

اللُّسَانُ الْعَرَبِيُّ

مَجَلَّةٌ دَوْرِيَّةٌ لِلْبَحْثِ اللُّغَوِيِّ وَفِشَاطِ التَّرْجُمَةِ وَالتَّعْرِيبِ

سَجَلٌ لِأَعْمَالِ

مَجَامِعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

• المَجَالِسُ الْعُلْيَا لِلْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْفُنُونِ

• الْجَامِعَاتُ وَالْعَاهِدُ الْعَامِيَّةُ

• الرَّبِّيَّاتُ وَالْمُرَاكِزُ وَالسَّبَبُ الْوَطْنِيَّةُ لِلتَّعْرِيبِ

• رِقَابُ الْفِكْرِ وَالْقَامِلِينَ لِإِعْدَادِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

• وَهَمَلُنَا فِي مَسْتَوَى اللُّغَاتِ الْعَالَمِيَّةِ الْحَيَّةِ

لِلْمَجَلَّةِ الْعَرَبِيَّةِ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

بِصَدْرِهَا

الْمَكْتَبَةُ الدَّائِمَةُ لِتَنْسِيقِ التَّعْرِيبِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ

جَامِعَةُ الدُّوَالِ الْعَرَبِيَّةِ :

الرِّبَاطُ (الْمَلِكَةُ الْمَغْرِبِيَّةُ)

دِرَاسَاتٌ وَأُجْحَاتٌ

- من مظاهر الوحدة : التكامل بين شقّي العروبة
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- الدلالة الجديدة والتطور اللغوي
للدكتور ابراهيم السامرائي
- الاضداد في اللغة
للدكتور حسين محمد
- دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة
اللغات الاجنبية في البلدان الانريكية
للاستاذ ادريس الكتانسي
- تحقيقات لغوية
للاستاذ عبد القادر زمامة
- تنقل الالفاظ
للاستاذ عبد الهادي الفضلي
- دخیل أم أثیل
للاستاذ عبد الحق فاضل
- مظاهر التعريب
للاستاذ محمد بن تساويت
- اختلاف المفاهيم اللغوية بين الامم
للاستاذ عبد الرحيم أبو الیمن
- الفصحى لغة القرآن
للاستاذ اتور الجندي
- الالفاظ الهندية المعربة
للدكتور محمد يوسف
- فلسفة الحركات في اللغة العربية
للاستاذ أحمد الاخضر غزال

من أمطار الوحدانية؛

الكتاب بين الشرق والغرب

لأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

المرحلة الأولى من استقلالنا الفتي لا تزال اللغة الفرنسية مهيمنة بأجهزة فكرية منظمة على جانب من حياتنا الحضارية ذلك يفكر بعضنا في كثير من الأحيان تفكيراً يستمد جذوره من ثقافة المستعمر حتى ولو كانت لغة تعبيره هي العربية فرسالة التعريب في المغرب العربي هي غيرها في الشرق العربي لأن الشرق ينطلق من لغة الضاد فيطعمها بلوازم العصر ونحن ننطلق حتماً من المزيج الحضاري الغربي العربي الذي عشناه ونعيشه لتخليق تراث جديد يربط ماضينا المجيد في كامل مقوماته بحاضر انصهرت في بوتقته عناصر علمية وتقنية وحضارية إنسانية فالشيء الذي يهنا الآن هو تحقيق هذا الهدف القريب الذي يستلزم عجن الطينة العربية عجنًا جديدًا في غير هوادة حتى تصبح لفتنا - كما كانت في العصور الوسطى بل أكثر مما كانت في العصور - أداة دولية للتواصل بين الاجناس في دقة علمية ورصانة تقنية وتجاوب عميق مع ما استجد في العصر من خلجات ولوجات فنحن في المكتب الدائم نعد العدة لهذا التعريب مستمدين من الشرق ما سبقنا الشرق إلى تعريبه ومستمدين من الغرب ما يجب أن يدرج بوضوح لتطعيم هذا المدد فلا تقبل من هنا أو هناك إلا ما يكفل استقصاء عراقية الضاد واستقراء مفاهيم العصر دون لبس ولا غموض فمثلنا مثل الطفل الغريب الذي يسأل والده عن اسم هذه الآلة أو تلك فاذا أعطاه اسماً ما لمسمى ما قبله ولكن إذا أعطاه نفس الاسم لمسمى مغاير سأل والده

لن نأتي بجديد إذا قلنا إن المغرب العربي الإسلامي استمد ولا يزال يستمد كثيراً من مقوماته الحضارية من شقه الشرقي وخاصة في الحقل الثقافي فالفكر العلمي الإسلامي عندنا ليس سوى امتداد أصيل مبدع للتراث الذي انبثق من قلوب العروبة النابضة في الحرمين ودار السلام والقاهرة ودمشق وحتى بالنسبة للعصور الحديثة فإن أسبقية الشرق إلى تطعيم الفكر العربي بمعطيات الفكر الغربي المعاصر جعلت من اللغة العربية وهي المفهوم الجوهرية للوحدة أداة تنصارع في تصاعد مطرد مع مقتضيات التطور العلمي والتقني الجديد على الصعيد الإنساني ولعل من أبرز ما استرددناه من الغرب المستعمر ما كان للفتنا من دقة في التعبير وجلال في التصوير وضبط في التنظير وقد استطاع الفكر اللاتيني خلال فترة الاستعمار أن يقحم لفته وثقافته في البرامج الدراسية بحصة الأسد حتى أصبحت الفرنسية بالنسبة لجانب مهم من رجال الفكر في المغرب العربي الجهاز الأساسي للتفكير والتعبير هذا بينما ترك نفس الاستعمار أخواننا في الشرق يمرحون في حرية نسبية داخل قفص مقفل مغرب البرامج والمناهج، فحركتنا الهادفة للتعريب في المغرب العربي لا تنطلق من نفس الأساس الذي انطلق منه التعريب في الشرق - إذا كان هنالك انطلاقاً للتعريب في الشرق حيث احتفظت العربية في الواقع بمكانتها العريقة مع جمود نسبي ناتج عن عوامل الاستعمار - فنحن بالرغم من جهلنا الجليل في هذه

العربي مضيغة أحيانا ما يوحي به اللفظ الاجنبي بكامل الدقة وتاركة لمؤتمرات التعريب المقبلة اصدار الكلمة الفاصلة في ذلك فهذه مرحلة أولى وضرورية للتوحيد فيها جرد للتراث وتقييم لمعطياته يسهلان مهمة الانتقاء .

فمجامع اللغة والمجالس العلمية العليا والاتحادات التقنية يجب ان تقوم بالبادرة الاولى لتسهيل عملية التنسيق في المكتب انطلاقا من اختصاصها وعلى المكتب أن يجمع وان ينسق في استقراره واف واستقصاء كشاف واستكمال للمفاهيم بالمقارنة والتنظير بين محتويات القواميس والمعاجم قديهما وحديثها صحيحها وسقيمها على اختلاف لغاتها وخبرات أصحابها ولا شك ان بذلك تتكون حصيلة لغوية صالحة تسير العصر وتجعل لغة الضاد جديرة - كما كانت - بأن تفرض وجودها في المحافل الدولية لا استجابة لعوامل وضغوط سياسية بل استنادا الى قيمة حقيقية علمية وتقنية للفتنا كأداة أممية للتقارب والتواصل .

ان سلفنا قد كد واجتهد لاحلال اللغة مكائنها العالمية المرموقة ونحن يجب ان نواصل هذا الجهاد بسلاح العصر ومراوغات العصر للاحتفاظ بهذه المكانة وتسهيلها اذا اقتضى الحال .

وإذا كان الناس يعرفون ما حققه الشرق العربي من بادرآت لكفالة هذا الاستثمار والاستقرار في مختلف الامصار والاعصار فان الكثير لا يعرفون بدقة مدى اسهام المغرب العربي في هذا الجهاد فلذلك ندم هذه الديباجة بفدلكة موجزة هي نموذج مبسط يلقي ضوءا على جانب من المبادرات المغربية عبر الاجيال في هذا الحقل الحيوي من جهادنا الحضاري المشترك .

وتجدون في غير هذا المكان من هذا العدد الممتاز معيجمًا للقويين يبرز جزءا من التراث اللغوي المغربي الذي هو امتداد أصيل لتراثنا العربي العام .

في غرارة الطفولة كيف اذن نفرق بين مسميين لهما اسم واحد فنحن نريد ان يوفر العرب لكل مسمى علمي قديم او حديث كلمة موحدة تعبر عنه في جزالة وجللاء ونحن اذا تقدنا ما بين ايدينا من غث وسمين مما يرد علينا من الشرق فلنا بزاعمين اننا ننقن الشرق الا بقدر ما يلقن الطفل والده او التلميذ استاذة في نطاق الاستمداد البناء واذا كان هنالك شيء سيفيده الوالد من ولده والاستاذ من تلميذه في هذا المجال فهو اجراج هذا ذلك نتعبه ما له من خبرة اوسع وحنكة ادق وتجربة ابلغ لتجلية الدلالة وتعميق الاصاله وتدقيق العبارة وتوحيد الاشارة .

وقد زاد في الطين بلة بين شقي العروبة ما بين قوام الاستعمارين اللاتيني والانجاء سكوني من بون يتسع أحيانا ليعمق الهوة بين الثقافتين الاجنبيتين اي بين يتبوعي الاستمداد النسبي في حضارتنا الموحدة فالمقابل العربي المقترح للتعبير عن مدلول علمي او تقني حدث مستمد من خلال هذه اللغة او تلك يختلف في بعض الاحايين الى حد التناقض لما يكون أحيانا بين اللغتين من نياز لا يتلافاه الا من تضلع فيهما ونظر بين قواميهما لاستخلاص القدر العلمي المشترك او المشاع بينهما ويكفي لتدرك هذه الظاهرة ان تقارن بعض ما يرد عليك من دمشق ببعض ما يرد من القاهرة لتلمس صعوبة مجرد التنسيق ولا نقول التوحيد ونحن نعلق على اتحاد الجامع الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد اكبر الآمال لتقريب الهوة وتثوير الصوة لان رسالة التوحيد يجب ان تنبثق في الحقيقة من هذه الجامع اذ لا نتجاوز نحن تجميع وتنسيق ما تحفنا به هي نفسها غير ان خبراءنا في الوطن العربي يدفعون دفعا الى ان يتساءلوا ويلحقوا في التساؤل، انتجاعا للدقة، عما تنطوي عليه بعض المقابلات العربية الشائنة والمقترحة من لبس وسطحية او عما يتم عنه أحيانا معجمنا الجديد من تنكر للاصاله وللدقة والوضوح .

وهذا مشكل لا تحله معاجمنا التي ترصص في صف واحد ما يستعمل هنا وهناك في أجزاء الوطن

الدَّلالة الجَدِيدَة وَالتَّطوُّر اللُّغَوِي

الدُّكتور إبراهيم السَّامرائي - بغداد - كَلِيَّة الآدَاب .

ومنهم من رد هذا التطور اللغوي الى ما يظن على المجتمعات من اختلاف الظروف الجغرافية والمناخية . وهم يبنون هذا على جملة وقائع عرضت لشعوب مختلفة في تطورها التاريخي . على أنهم يذهبون مذاهب في تفسير هذا التطور الصوتي ، غير أن هذه التفسيرات المختلفة لا تسلم من الطعن فيها فهي وإن كانت وجيهة فإنها تفتقر دائما الى الاصلية والشمول ، بحيث يمكن لأخذ بها على أنها نظريات ثابتة .

وقد حلا لبعضهم ان يفسر التطور الصوتي بقوانين « مندل » في الوراثة ، والرد على هذا من الامور الهينة . وقد استعاروا طريقة تشارلز دارون العالم الانكليزي في التطور وهو ما يدعى بـ « المذهب الطبيعي » . قال دارون في كتابه « أصل الانواع بمسألة تنازع البقاء وظهور

« The Origin of Species »

صفات خاصة في بعض الافراد وانتقال الصفات الخاصة بالوراثة الى النسل وشيوع هذه الصفات وكثرتها بحيث يمكن اعتبار من يرثها من النسل نوعا مختلفا عن من يرثها . وقد طبق العالم الجيولوجي « ليل » هذه النظريات على اللغة فقرر : « ان الانواع في الطبيعة ، واللغات في التاريخ تتغير تبعا لنواميس متشابهة ... والعاملان الجوهريان في اللغات هما كما في الانواع الطبيعية التغير والانتخاب الطبيعي . وكما يحصل في الانواع يحصل كذلك في اللغات أيضا نتائج عظيمة لتجمع أسباب عديدة صغيرة لا قيمة

شارك العرب الاقدمون في العلم اللغوي كما شارك غيرهم من الامم القديمة كالليونان والهنود والصينيون . ولعله من غير المجدي في عصرنا الحاضر ان نبحث في أصل اللغة ، والذي يعنينا من اللغة أنها مظهر ونشاط للطبيعة البشرية الانسانية . وينبغي على ذلك أنها مظهر من مظاهر علم الاجتماع الذي يعنى بالنشاط الانساني في مختلف احواله .

واتصف « علم اللغة » في العصر الحاضر بالصفة العامة الخالصة ذلك انه ليس مادة يستعان على ادراكها بالتأمل كما كان في عصور سلفت . انه الآن مادة موضوعية يتبع في علاجها ومعرفتها المنهج الوصفي ، ومن هنا يدخل التطور اللغوي في هذا المنهج .

ان علم اللغة بهذه الحدود الجديدة من العلوم القرية الحديثة التي بحثها الفريبيون وتشعبوا فيها ، وقد كان ذلك اثر الاهتمام بما دعاه كريم Grimm بالقوانين الصوتية فقد كان سائدا أنها قوانين عامة شاملة تنطبق على جميع اللغات وهي كالقوانين الطبيعية الأخرى .

وقد عرضوا لاسباب هذا التطور في الاصوات فردوا ذلك الى الاختلاف الذي يحصل في اعضاء النطق ، وقد عرضوا في ذلك لجملة من الملاحظات والتجارب لاثبات ما يعنون الاصوات من تغيير اذا ما حدث اي تشويه في اعضاء النطق .

لها في أحد ذاتها كادخال عبارات أجنبية وكثرة الخطباء والكتابة والاختراعات والاكتشافات وتعلم علوم جديدة وتنازع الالفاظ الى غير ذلك مما يغير اللفظة « (1) » .

ثم جاء بعد « ليل » العالم اللغوي شليخسر فنشر كتابه بعنوان « دارون وعلم اللغات » وقد قرر فيه « ان مبادئ دارون ينطبق جميعها على كيفية نمو اللغات فان جميع اللغات الاوربية يكاد يكون لها اصل واحد هو اللغة الهندية الجرمانية ، ومنها تفرعت عدة فروع بايدي ذي بدء ثم تفرع من هذه الفروع فروع اخرى . على ان تفسير التطور اللغوي بهذه المحاولات لم يكن الا مجرد آراء اخذ بها اللغويون في مطلع هذا القرن ، وهي من غير شك محاولات لا تسلم من النقد الذي وجه اليها .

غير انه من الثابت ان التطور اللغوي يحدث في مادة اللغة التي تؤلف بنيتها وكيانها واعني بذلك الالفاظ التي تبنى منها اللغة . هذه الالفاظ يخضعها الاستعمال فتجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية Sémantique جديدة يستدعيها الزمان والمكان . وليست العربية بدعا بين اللغات ، ذلك ان اللغات كافة تخضع لسنة التطور ، وان الكلمة في كثير من اللغات مادة حية يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها وتجد فيها الحياة فتتطور وتبديل وربما اكتسبت خصوصيات معنوية ابعدها الاستعمال عن اصلها بعدا قليلا او كثيرا . وليست العربية بنجوة من هذا الذي يطرا على غيرها من اللغات .

وعلى هذا يتحتم على الباحثين والدارسين ان يأخذوا انفسهم بالمنهج الوصفي ، فان كثيرا من الالفاظ انتقلت انتقالات عدة بحيث ان « المصطلح الفني » يؤلف مثلا مرحلة معنوية من الدلالة التي انتهت اليها لفظة من الالفاظ او تركيب من التراكيب . فلا بد ان يعنى المعجم الحديث بهذه الناحية ويثبت هذه الالفاظ التي جددت في العربية واقتضتها ظروف المجتمعات الجديدة .

ومن العجب ان المعجم العربي الحديث لم يول هذه الناحية ما تستحقه من عناية كافية وربما تنكر

اصحاب المعجمات الحديثة لهذا التسرع من المولد الجديد . وليس عجيبا ان يكون نفر من هؤلاء ما زال يعد الجديد المولد غير فصيح وان اقتضاه عصرنا وجرى عليه الاستعمال ، وشاع وقيد في النصوص والوثائق . وهذه النظرة وان تمسك بها جماعة من اللغويين في عصرنا فان المعربين كافة اخذوا انفسهم باستعمال الجديد ، وقد بحث الاوربيون في هذه الناحية وألفوا فيها مصنفات عدة ما زالت تدرس حتى يومنا هذا (2) .

واذا عدنا الى عربيتنا الحديثة وجدناها تزخر بمئات من الالفاظ الجديدة المولدة والمعربة وقد اخذت طريقها الى الاستعمال وصارت مخصصة مقيدة بنوع خاص من المعنى . غير ان اللغويين ما زالوا مترددين في عد هذا الجديد من الفصيح .

ان عربية يومنا هذا غير تلك العربية التي كان ابناء امسنا القريب في مطلع هذا القرن يعربون بها . ومن غير شك ان عربية هذا الاقليم تختلف عن عربية اقليم آخر في هذا الوطن العربي الفسيح الارزاء . ومن غير شك ايضا ان خصائص العصر لا بد ان نلمسها في لغة أية حقبة . ان هذه الحال تصدق اذا عرفنا ان القدماء قد جردوا من اللغة طائفة من الالفاظ والاستعمالات تتصل بحقبة من الحقب او بنظام سياسي معين او بلون اجتماعي خاص او بفرقة من الفرق ، كان تكون هناك الفاظ عباسية واخرى من المجازات الاسلامية كمجازات القرآن ومجازات الحديث ، وطائفة لغوية ذات علاقة بالتصوف الاسلامي ، وطائفة اخرى تتصل بالفلسفة الاسلامية . وجاء العصر الحديث وبرزت الحضارة الغربية وتطلع العرب الى ألوان هذه الحضارة فوجدوا ان لا ضير على الحضارة الاسلامية من اخذ شئ من ألوان هذه الحضارة الوافدة . وسواء رضينا ام ابينا هذه الالوان الجديدة فانها لا بد ان تجد سبيلها اليها . وكان من ذلك ان صارت لغتنا العربية معبرة عن خصائص هذا العصر الجديد فحفلت بالفاظ جديدة كما حفلت بطرائق جديدة في الاستعمال . قلت : قد حفلت العربية الحديثة بالفاظ جديدة . ان عنصر الجودة في هذا الموضوع هو ان

(1) من المقالة الثانية من كتاب « فلسفة النسوء والارتقاء » لشبلي شميل (مطبعة المقتطف مصر 1910) ص 120 - 121 .

(2) من هؤلاء Darmestetiv في كتابه « حياة الكلمات » La vie des mots . ومنهم Whitney في كتابه « حياة اللغة » La vie du langage . ومنهم Richard و Ogden في كتابهما The Meaning of Meaning

او «الانبراطورية» . والامبريالية كلمة يستعملها صنف كبير من الكتاب السياسيين والاقتصاديين وتظهر في كتاباتهم للتعبير عن مصطلح أعجمي لا بد من توفيره في العربية . وهي كسابقتها «الامبراطورية» من الشيوع والاستعمال .

وبعد فليس من الحق الا يعرض أصحاب المعجمات الحديثة لشيء من هذه المعربات . ومن الناحية التاريخية ان الوصف بـ «الامبريالي» Impérialiste كان قد عرف في سنة 1546 بمعنى المتعصب والمنحاز للامبراطورية الالمانية . وفي القرن التاسع عشر كان هذا الوصف يعني من يتعصب للأسرة النابوليونية ، ثم صار يعني من يتعصب ويميل للامبراطورية البريطانية التوسعية .

(2) الإنتاجية : مصطلح جديد قذف به كتاب الاقتصاد يريدون به «قابلية الانتاج» Productivité ، وقد بني هذا المصطلح على المصدر الصناعي . واذا كان المصطلح كلمة واحدة كان خيرا من آخر مركب من كلمتين او اكثر . وينبغي ان يراعى في ذلك اللغة التي عرب منها المصطلح .

(3) الانتهازية : كلمة تشيع في كتابات المعاصرين للتعبير عن نمط في الاخلاق غير مقبول ، فالانتهازي عندهم هو النهاز للفرص بغية الحصول على منفعة . وعلى هذا كان الانتهازي من لا يؤمن ولا يطمأن اليه ، والكلمة مما ينز بها في هذا العصر . والانتهازية الخلق الذي يتصف به الانتهازي ، والكلمة من غير شك ترجمة لـ Opportunisme وهي معروفة مستعملة في كتابات السياسيين . والانتهازي من الساسة من يحسن الافادة من الظروف خدمة لمصالحه .

فاذا كانت الكلمة بهذه الحدود الواضحة وبهذه الكثرة من الاستعمال فمن الغريب ان يخلو منها معجم حديث العربية . ومن الغيد ان أشير الى الكلمة القديمة «نهاز» وهي وزن المبالغة لـ «ناهز» او نهزة على «فعله» لما قد يؤديان من المعنى الجديد ولما يقتربان مما هو انتهازي .

دلالة جديدة قد وجدت . وهذا يعني ان تطورا ما قد حدث وان المعربين وجدوا انفسهم محتاجين الى شيء من جديد يؤدي معاني جديدة استحدثت لفرض من اغراض الحياة الجديدة .

اقول : من الواجب علينا ان نفسح لهذا الجديد انذى قذف به المستعملون ، في كتاباتنا لانه صار من مادة هذه اللغة . وسأعرض لجملة من هذه الالفاظ ولم ارد من ذكرها الا ان تكون امثلة على النهج الذي اشترت اليه من ذي قبل . وهذه اشوات جمعتها من هنا وهناك ولم اتبع في جمعي هذا منهجا خاصا فمنها ما شاع في لغة الصحافة اليومية ، ومنها ما هو جار على السنة المذيعين ، ومنها ما هو مستعمل في لغة الكتابة الخاصة ، واعني بالخاصة لغة الكتابة غير الادبية كالالفاظ الاقتصادية والسياسية ونحو ذلك .

لعل احدا يقول : ان هذه الالفاظ ينبغي ان تصنف في مجموعات حسب الاختصاص الذي تنسب اليه ، كان يكون لالفاظ السياسة مجموعة خاصة ينتظمها سفر خاص ، وهكذا في سائر الاختصاصات . وهذا صحيح غير ان العربية ما زالت مفتقرة اليه .

على ان هذا لا يعني اغفال هذه الالفاظ الجديدة في المعجم اللغوي ، ذلك انها معان جديدة ينبغي ان يشار اليها بايجاز في معجم لغوي حديث (1) .

ودونك شيئا من هذه الالفاظ الجديدة :

(1) الامبريالية : لفظة اعجمية الاصل عربت على حياة المصدر الصناعي ، والمصدر الصناعي مادة مهمة في العربية أفيد منها كثيرا في التوصل الى كثير من المصطلحات العلمية . والكلمة تعريب Imperialisme وهي تعني فيما تعنيه الاتجاه السياسي المتصف بالسيطرة والتوسع . وعلى هذا كانت الامبريالية درجة عليا من درجات الاستعمار . والوصف منها «امبريالي» وهو مقابل لـ Imperial والاصل الاعجمي القديم الذي بنيت منه الكلمة القريبة هو الكلمة اللاتينية التي ترجع الى العصور المتأخرة Imperialis وهو من Imperium وهذه الاخيرة تعني Empire وقد عربت هذه بـ «الامبراطورية»

(1) أغفل « المعجم الوسيط » كثيرا من هذه الالفاظ الجديدة كما أغفل غيرها . انظر مجلة المجمع العربي بدمشق (المجلدات: الثامن والتاسع والثلاثون والاربعون) : نظرات في المعجم الوسيط لعدنان الخطيب .

4) **الإنهزامية** : كلمة أخرى تشيع في كتابات المعاصرين ممن يتناولون المسائل السياسية . وهي نموذج خاص من الخلق ، فالإنهزامي هو الذي لا يحتمل مواجهة الأمور الصعبة والظروف الدقيقة ، وإنما يفضل الابتعاد عن الصعاب ولا يستطيع احتمال النتائج . والكلمة ترجمة للكلمة الأعجمية Défaitisme .

واظن من المناسب ان يشار الى مثل هذه المولدات الجديدة في معجم جديد للعربية .

5) **البرجوازية** : مصطلح جديد بني على المصدر الصناعي للتعبير عن طبقة اجتماعية خاصة ، وهي الطبقة الوسطى كما يذهب أصحاب علم الاجتماع . على ان الكلمة قد تكون وصفا فيقال مثلا: **المفاهيم البرجوازية** اي مفاهيم هذه الطبقة وانماط تفكيرها والكلمة تعريب للكلمة الفرنسية Bourgeoisie .

والاصل فيها كلمة Bourg وتعني المدينة فكان « **البورجوازي** » في الاصل ساكن المدينة Bourgeois ثم تطورت في الاستعمال عبر العصور فصار البورجوازي يعني المتمتع بحقوق خاصة يملها عليه سكنى المدن . ثم صارت تعني الرجل المرفه المترف ، ثم هي عند العمال تعني رب العمل او السيد المطاع . وربما افادت الكلمة معنى سلبيا في نظر طائفة من المجتمع ، ذلك ان البورجوازي لدى العمال في بداية عصر التحول الصناعي ، انسان غير محبوب ، واذا كان غير محبوب فالكلمة تشير الى التبر من هذه الناحية .

وهي في كتابات علماء الاجتماع والسياسيين صارت تعني طبقة من الناس لها افكارها ولها اخلاقها، ثم اندست معربة في العربية بهذه الخصوصية المعنوية . وعلى هذا كان من المفيد ان يشار اليها في معجمنا الحديث .

6) **التقدمية** : مصطلح جديد يفيد طريقة في التفكير واسلوبا في العمل وفلسفة تنجح الى التقدم والعزوف عن الجمود وهي كلمة جديدة شاعت في كتابات السياسيين وعلماء الاجتماع في مطلع هذا القرن ولاسيما في كتابات الاشتراكيين وأنصار المذاهب اليسارية . والتقدمي هو القائل بالتقدمية والسالك في نهجها والأخذ بفلسفتها . وهي من غير شك ترجمة لـ Progressisme والتقدمي يقابله لفظ Progressiste .

ومن المفيد ان نشير الى ان الكلمة حين استعملت في العربية اوشكت ان تكون من لوازم الاشتراكية . وهذا يعني ان الاشتراكيين والشيوعيين من القائلين بالتقدمية . ثم توسع في استخدام التقدمية حتى استقرت في مكانها الصحيح حتى صار التقدمي هو المؤمن بالتقدمية في المجالات الإصلاحية . وعلى هذا كان من الضروري ان يشار الى هذه الكلمة في صورها المختلفة في معجم حديث للعربية .

7) **الثورية** : مصطلح جديد يفيد النزعة الى الثورة والاندفاع اليها . و « **الثوري** » هو المتصف بهذه النزعة وهذا الاندفاع . والكلمة لاختيرة ترجمة لـ Révolutionnaire .

8) **الجمهورية** : نظام معروف في الحكم . ولا نرى حاجة للقول ان الكلمة لا بد ان يشار اليها في معجم لغوي لشيوعها واستعمالها .

9) **الديمقراطية** : وليس من حاجة للاسهاب في شرح هذا المصطلح الذي صار من الشيوع بحيث صار مفهوما لدى المختص وغيره . وقد عرب الكتاب العرب هذه الكلمة واجروها على المصدر الصناعي للتعبير عن المعاني التي تنطوي عليها كما اخذتها امم كثيرة للتعبير عن المعاني نفسها فلا بد ان نشير اليها في معجماتنا اشارة كافية . وهي تقابل كلمة Démocratie .

10) **الديماكوجية** : وهذه كلمة جديدة اخذت سبيلها في كتابات المعاصرين من أصحاب العلوم الاجتماعية . وهي معربة من Démagogie . وهي تعني في السياسة الطريقة التي يتملق بها الجمهور والعامه .

والكلمة من اصل اغريقي هو Démagogia والمتذهب بهذه الطريقة يقال له Démagogue اي الديماكوجي . ولا بد من الاشارة الى ان هذه الكلمة قد استعملها الكتاب العرب في المشرق العربي على هذا النوع من التعريب . غير ان نفرا من الكتاب قد آثر ان يلجأ الى ترجمة هذه الكلمة فاتخذ « **الفوغائية** » مقابلا للكلمة الأعجمية . وهذه الكلمة الأعجمية المنسوبة الى « **الفوغاء** » أريد بها التبر والاحتقار حين جعلت مقابلا للأعجمية . ومن الضروري

الميل للأفكار القديمة وعدم الإقبال على الجديد من الفكر والعمل. ووصف نفر من الناس بالرجعية من باب النبز والاحتقار ، ولا يصفهم بذلك الا أصحاب التقدمية والقائلون بالفكر الجديد . وعلى هذا تكون الرجعية ضد التقدمية .

والكلمة ترجمة للكلمة الاعجمية « Réaction » .
وصاحب هذه الصفات (الرجعي) Réactionnaire .
ولما كانت هذه الكلمات مما يصف بها التقدميون خصومهم فقد يفرط في استعمالها . وعلى كل حال لابد من الاشارة الى هذه المولدات اللغوية في المعجم الحديث أو على الأقل في المعجمات الخاصة كمعجم المصطلحات السياسية ومعجم المصطلحات الاقتصادية ونحو ذلك .

14 الكولونيالية : وهو مصطلح جديد معرب على هذه الطريقة استعمله الكتاب السياسيون . والمراد به « الاستعمار » وكان هؤلاء عدلوا عن الاستعمار لعمومه وشموله وعدم تحديده للمراحل السياسية والحدود التي يجري عليها استعباد الشعوب . وعند هؤلاء ان « الكولونيالية » الصق بنوع خاص من السيطرة لا تؤديه كلمة « استعمار » وهو من « Colonialisme » .

ولا ندرى ايكذب لهذه الكلمة المعربة الشيعوع والبقاء ام يطويها الزمن كغيرها مما يقذف به الكتاب لحاجة طارئة تقتضيهم ذلك .

15 المحسوية كلمة معروفة يكثر استعمالها في لغة الدواوين ويراد منها ان يكون لبعضهم حظوة لدى جماعة من الحكام والرؤساء فهؤلاء يقدمونه ويخصونه بالمنافع ويؤثرونه على غيره مراعاة له على نحو يتعد عن العدالة والنصفة دون حساب لمصالح الآخرين . والكلمة ترجمة لـ Favoritisme .

16 المسئولية : مصدر جديد يراد به الاضطلاع بالأمر وتحمل العواقب والتهيؤ للعمل الجاد بحيث ان صاحب المسئولية مسئول عما يقوم به . و « المسئول » نظير الرئيس والحاكم والمتصرف بالامور . وهذا مما ينبغي ان ينبه عليه في كتب اللغة التي تعنى بالجديد من المعاني . والمسئولية يقابلها بالفرنسية Responsabilité كما يقابل كلمة مسئول Responsable .

ان يشار في معجمنا الحديث الى هذه الكلمة ونظائرها مما هو جار في استعمال الكتاب العرب عملا بالنهج لعلمي بدي يؤرخ الالفاظ في علم المعجمية الحديثة .

11 الفوضوية : وهو اصطلاح جديد يريدون به سيطرة الدهماء والغوغاء . وهو في استعمال الكتاب العرب يتخذ شيئا من النبز والاحتقار ، في بعض الاحيان . وهو مذهب له انصار في المجتمعات افريقية الحديثة وهؤلاء اصحاب افكار غريبة . والكلمة ترجمة لـ Anarchisme وقد بنيت هذه الكلمة الجديدة في العربية على كلمة « فوضى » المعروفة ، وينبغي ان نعرض لهذه الكلمة التي تقلبت في الاستعمال ، فال معروف أن « فوضى » جمع على « فعلى » والاصل فيها « فضى » جمع فضيض مثل شتى جمع شتيت ثم عرض لها الابدال ، وكثيرا ما يعرض هذا النوع من الابدال . ثم ان المعنى يدل على هذا الاصل ، فكلمة « فوضى » تعني في الاصل « المتفرقين » والى هذا ذهب الشاعر القديم :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهالهم سادوا

اقول : ان هذه الكلمة اصابتها التحول والتبدل بسبب الاستعمال الكثير ، فقد انتقلت من الجمع الى المصدرية اذ المعروف ان « فوضى » في لغتنا الحديثة تعني « عدم النظام » وما ابعد هذا عن المعنى القديم . وفي هذا عرض للتطور الذي يعرض للغة .

12 الراسمالية : مصطلح جديد من مصطلحات علم الاقتصاد الحديث . والكلمة مركبة منحوتة ، فان « راسمال » بالهمز ، او « راسمال » بتسهيل الهمزة كلمة جديدة ، وكان تركيبها قد اغفل النظر اليه فصارت تجمع على « راسمائل » . على ان تركيبها ما زال منظورا اليه لدى من يجمع الكلمة على « رؤوس اموال » . ومن الطريف ان يشار الى ان العامية العراقية قد اغفلت النظر الى تركيب هذه الكلمة فاشتقت منها فعلا هو « راسمائل » بمعنى ان البضاعة المبيعة قد ردت « راسمالها » اي انها لم تخسر ولم تريح .

13 الرجعية مصطلح جديد مبني على طريقة المصدر الصناعي للتعبير عن معنى جديد هو

« فعيل » من هذه الكلمة ، فهي جديدة في صيغتها جديدة في معناها . وهي تقابل Agent الاعجمية . والكلمة من الشيوع في الاستعمال بحيث يجب ان ينص عليها اذا ما اريد تسجيل العربية تسجيلاً تاريخياً .

(21) الرائد (Pionnier) : وهي كلمة قديمة . والرائد الذي يرسل في التماس النجعة وطلب الكلاً ، وفي حديث امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) في صفة أصحابه : « يدخلون روداً ويخرجون ادلة » أي يدخلون طالبين للعلم ملتصقين للحلم ويخرجون هداة للناس . وأصل الرائد الذي يتقدم القوم ليصر لهم الكلاً ومساقط الفيث .

هذا هو استعمالها المأثور عن العرب الاقدمين ، أما الاستعمال الحديث لهذه الكلمة ففيه شيء من الجدة ينبغي ان يشار اليه ولا يكتفى بتخطئه فيقال : « الزعيم الرائد » في الكلام على زعيم من الزعماء ، كما يقال : الصحيفة الرائدة او الفكرة الرائدة . وهذا نوع من الاستعمال جديد يوصل اليه بشيء من اللطف في فهم التشبيه والمجاز .

هذه جملة مصطلحات جديدة لها مكانها في اللغة الحديثة فهي تستعمل في مقامات مخصوصة بحيث صارت جهمرة القراء تقرؤها كل يوم وتسمعها كل يوم . ولذا كان من الواجب ان تدون هذه الاستعمالات مقرونة بالظروف والاحوال .

ان الجديد الذي نلاحظه في لغتنا الحديثة آخذ بالازدياد لما عرضنا في مقدمة هذا البحث من اسباب . أما القول بأن هذا من لغة الجرائد نبزا له وابعادا فذلك غير سديد . ان طائفة كبيرة من الالفاظ القديمة قد انصرفت الى معان جديدة فينا حاجة ماسة اليها .

فان لم تقبل هذه المعاني الجديدة فكيف تعمل ازاء التأمين ، والتصميم والتخطيط والصمود والمسح والتفطية والتوعية والارضية والخلفية وايشياء اخرى ؟ وساعدوا لبحث في هذه الالفاظ الجديدة في مبحث قابل والسلام عليكم .

(17) النضالية : وهي كلمة جديدة مبنية على طريقة المصدر الصناعي للدلالة على الاستعداد الطبيعي للعمل الشاق في سبيل تحقيق هدف سام كالاعمال الوطنية عامة والنضال ضد المستعمر مثلا . ومعنى الكلمة كما قلت على طريقة المصدر الصناعي يشعر ان هذه الكلمة أصبحت مصطلحا يفيد « القابلية على النضال » او « الروح النضالية » (1) (Militantisme)

(18) الوصلية : من المصطلح الجديد وهو مصدر صناعي من « الوصول » للدلالة على ما في « الوصولي » من الخلق والعمل . والوصلوي من يعمل كل شيء ويسوغ لديه كل عمل في سبيل الوصول انى يقته . والوصلوي من الصفات الجديدة التي يوصف بها هذا النوع من خلق الله . وهو خلق رذيل ، ومن هنا كانت الوصلية نبزا وشتما وهي تحضر في كتابات السياسيين في عصرنا . وعلى هذا كان من الضروري الاشارة الى هذا النوع من المولد الجديد . والوصلية ترجمة لـ « Arrivisme » .

(19) مؤتمر : وهذا مصطلح جديد يراد منه ان يكون مقابلا لـ « Congrès » وهو الندوة التي يجتمع فيها نفر من الناس يتشاورون في امر ما . وهو الائتثار والاستثمار والتآمر والمؤامرة وهو التشاور . وعلى هذا كان التآمر والمؤامرة بمعناها الحديث وهو المكيدة والخديعة ، غير معروف في اللغة القديمة . غير ان شيئا من هذا المعنى الحديث وجد في « الائتثار » جاء في التنزيل : « ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك » قال ابو عبيدة : أي يتشاورون عليك ليقتلوك . وعلى هذا كانت الكلمتان « مؤامرة » و « تآمر » من الكلمات المعروفة التي شاعت وكثر استعمالها في المعنى المشار اليه في اعلاه وهي تعد من باب المولد الجديد الذي ينبغي ان ينص عليه .

(20) العملاء : وهي من كلمات النبسز والشمم الجديدة . والكلمة جمع مفردا « عميل » والمراد به من يعمل لمصلحة دولة اجنبية ضد مصلحة وطنه . وعلى هذا كأنها تقابل « جاسوس » من الالفاظ القديمة . ولا يوجد في العربية صفة على

(1) وردت كلمة Militantisme في معجم لاروس : « Dictionnaire du Français Contemporain »

الأضداد في اللغة

الدكتور حسين

- 3 -

أما ما انفرد به أبو حاتم عن قطرب وابن السكيت فأضداد قلائل ، يمكن ان نفرعها الى الانواع التالية :

أ - ما يتبع صيغة انفعل وانفعل من الاجوف والمضاعف ، وهما الصيغتان اللتان زادهما هذا المؤلف (175) .

ب - ما يتبع صيغة فعول وفعيل (158 ، 160 - 165 ، 173 ، 203 ، 204) . وسبب انفراده تجديده في امثلهما .

ج - اضداد كان يشك فيها (246 ، 272) .

د - اخطاء (209 ، 231) .

وظننت في بادئ الامر انه حذف ما حذف من اضداد ابن السكيت ، لانه لم يرض عنها او عن نوع الاضداد الذي تمثله . ولكن الدراسة بينت انه ذكر من الاضداد ما هو من نوعها . فقد حذف بعض اضداد مجازية (65 - 69 ، 71) واضداد اللغات (57 ، 59) واضداد التطير (96) واضداد المتعلقة (13) . واضداد فعول وفعيل (87 ، 30) وغيرها . وكان من هذه الاضداد التي حذفها ما رواه أبو عبيدة (60 ، 67 ، 70 ، 71 ، 100) وأبو عمرو الشيباني (12 ، 14 ، 56) والاصمعي (10 ، 15) وقطرب (98) . وكان فيما زاده اضداد الصيغ المختلفة من افعال وفعول ومفتعل وتفعل (162 ، 165 ، 175 ، 203 ، 231) واضداد مجازية (273)

خالفت اضداد ابي حاتم السجستاني ما سبقها من كتب في العنوان ، اذ لم تقتصر على الاضداد وحدها ، بل هي « كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب ، والمزال عن جهته ، والاضداد » . والمراد بالجزء الاول من هذا العنوان ما يسمى « المقلوب » مثل تهيبني الطريق وبالجزء الثاني الاضداد نفسها مثل الجزء الثالث ، فالمزال عن جهته هو ما وجه وجهة مضادة غير معناه الاصيل . فالعنوان يصرح اذن ان الكتاب خاص بالاضداد ، والعبارة المقلوبة . ولكن هذا التقسيم لم يشر ما يماثله في متن الكتاب .

وتشتمل اضداد ابي حاتم على 170 ضدا ، اخذ منها 116 من قطرب ، واتفق ابن السكيت معه في 54 منها . ولم يشترك أبو حاتم مع ابن السكيت في شيء من بقية الاضداد التي لم يأخذها من قطرب ، وقدرها 54 ايضا . فلم يقع بينهما اشتراك الا فيما اخذاه من قطرب . ولكن ابا حاتم لم يأت بهذه الاضداد من عنده ، بل اخذها منها من ابي زيد (166 ، 211 ، 216 ، 243 ، 244) ، و 3 من الاصمعي (214 ، 267 ، 271) ، واثنين من ابي عبيدة (106 ، 118) وواحدا من التوزي (180) وآخر من ابي زيد والاصمعي معا (275) . واشترك مع ابن الانباري في 28 ضدا ، لا ندري مصدرها على وجه اليقين ، وان ورد فيها اسماء بعض اللغويين .

لكنه حوض من أودى بأخوته
ريب المنون فأضحى بيضة البلد

وأما قول ابن الزبيرى :

كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصه لعبد مناف

فليس من هذا فى شيء» . وقال (3) : «زهق .
الزاهق : الميت . يقال : زهقت نفسه وقال تعالى :
« وتزهق أنفسهم » و « قل جاء الحسق وزهق
الباطل » وزهق بين يدي القوم : مضى وتقدم .
وقالوا : والزاهق : السمين ، قال زهير :

القائد الخيل منكوبا دوابرها

منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

وقلما كان يسلك الطريقة الثانية ، إلا فى
المقتطفات التى أخذها من غيره . وكان فى بعض
الاحيان يترك الطريقتين ، ويذكر المادة كما تأتي .
قال (4) : « ظهر . بطن : وقال الحسن رحمه الله :
(بطاننها من استبرق) . ظواهرها . وقالوا : ظهر
السماء : وجهها ، وبطن السماء كذلك ، وقرات
القرآن عن ظهر قلب . وعن ظهر اللسان . قال
الشاعر :

وان من القول التى لا شوى لها

إذا زل عن ظهر اللسان انقلابها

وقالوا فى قوله تعالى : « فيظللن رواكد على
ظهره » أي على وجه البحر . وقالوا : امر ظاهر
عنك : أي زائل ، قال الهذلي أبو ذؤيب :

وعيرها الواشون أني احبها

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

أي زائل . ويقال : النعمة ظاهرة عليه : أي
لازمة له » . فالمعاني والشواهد كلها مختلطة لا نظام
لها .

وأضداد اللفات (227) وأضداد المتعلقةات (236)
وغيرها . أما الفرق الواضح بينهما فكثر اعتماد
ابن السكيت على أبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني ،
وأكثر أبي حاتم الرواية عن قطرب وأبي زيد
والاصمعي .

وجمع أبو حاتم فى آخر كتابه ثلاثين ضدا ،
أفردا عن بقية الكتاب لشكه فيها . ووجه اليها
نقدا عاما إذ قال (1) : « وقد ذكر بعض اصحابنا
حروفا لا علم لي بها : اتقال أم لا » . وكان من هذه
الأضداد ما شاركه فيه ابن الأنباري (257) وما
شاركه فيه قطرب وابن الأنباري (252) ، وما
شاركه فيه الاصمعي وابن السكيت وابن الأنباري
والصفاني (187) .

ولا تختلف الخطة التى سار عليها أبو حاتم فى
معانجة الأضداد ، فى معاملها الكبرى وان اختلفت فى
بعض التفاصيل ، عما رأيناه فى أضداد ابن السكيت .
فهما متفقان فى تقديم المادة ، فمعنيها ، فشواهدهما
تارة ، وتقديم المادة فأحد المعاني وشواهده ، فالمعنى
الأخر وشواهده . قال (2) : « بيضة البلد . يقال :
فلان بيضة البلد : إذا ذم ، أي قد انفرد ، ويقال
ذلك فى المدح ، زعموا . فأما فى الذم فقال الراعي
لعدي بن الرقاع العاملي :

تأبى قضاة أن تعرف لكم نسيا

وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

قال أبو حاتم : يجوز ان يكون قول الراعي
هزأ ، يهزا بهم يقول : انتم سادة البلد ، وهو يهزا
بهم . وقال حسان لمزينة ، وقد قتلوا أباه فجعلهم
جلايب ، أي سفلة :

أرى الجلايب قد عزوا وقد كثروا

وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

وقال المتلمس :

(1) ص 148 .

(2) 171 .

(3) 195 .

(4) 240 .

(نـد) الشيء مثله وشبهه وعدله ، ولا اعلمهم
 اختلفوا في ذلك ... والجمع اعداد .. وكثير من
 العرب يجعلون الند ايضا للجمع من الرجال والنساء .
 وللانثيين من الرجال والنساء ، كما يجعلون المثل
 والشبه والعدل والصد .. ويقال : ند ، ونديد ،
 ونديدة بالهاء ، كما يقال في الحديث : « اذا اتاكم
 كريمة قوم فأكرموه » : اي كريم قوم ... قال تعالى :
 « كلا سيكفرون بعبادتهم ، ويكونون » اي تكون
 الالهة ضدا عليهم . وانما جعل الضد كالمصادر التي
 تكون للواحد والجمع سواء . كقولك : القوم
 رضى ، والقوم عدل . وهم جنب ... وهذا مشهور
 فى المصادر خاصة . ويقال : قوم كرم ، فى معنى :
 كرام وقالوا : قوم شرط : وقزم : للثام ، وقد
 يجمع فيقال : قزامى واشراط » .

وكتاب الاضداد لابي حاتم اكثر انتظاما من كتاب
 ابن السكيت ، اذ ينظم اعداد فعول ، وافتعل
 وانفعل من الاجوف ، وافتعل من المضعف الثلاثي ،
 ولم يظهر ذلك التنظيم بهذا البروز فى اعداد ابن
 السكيت . يضاف الى ذلك انه آخر مجموعة كبيرة
 من الاضداد التى شك فيها الى آخر اعدادها ،
 وصرح بشكها فيها . ولكن تسرب اليه الاختلال فى
 مادة « ضنين وظنين » التى لا ندرى سبب وضعه
 اياها فى الاضداد ، وفى مادة « تعد » التى كررها
 مرتين (9) .

يضاف الى ذلك ان ابا حاتم فى اعدادها امتاز
 على ابن السكيت امتيازاً كبيراً ، دل على قدرة
 فائقة . وقد ظهرت آثار هذه القدرة فى النقود التى
 عقب بها على كثير مما أورده من اعداد . وعندما
 نتبع هذه النقود نخرج بالملاحظات التالية :

اقام ابو حاتم الشطر الاكبر من نقده ، على عدم
 معرفته هو بالمعنى المقول به للفظ . وهو يقيم من
 نفسه مثالا للقيوين ، فيعنى بقوله : « لا أعرفه »
 ان اللقويين لا يعرفونه . قال مرة (10) « اجتمعت

واعتمد ابو حاتم فى علاجه على الشواهد ولكنه
 كان يقلل منها فى الشواهد التى انفرد بها عن ابن
 السكيت ، ولم يظهر لي انه أخذها من غيره . ولا
 يختلف الاستشهاد عند ابي حاتم عنه عند من
 سبقه ، طريقة وانواعا ، غير انه أكثر من الآيات
 القرآنية ، وقلل من الامثال والاقوال . وهذه بعض
 امثلة الاستشهاد عنده . قال (5) : « الآدم من الأبل
 ومن الظباء : الأبيض . ومن كل شيء بعد ذلك :
 غير الأبيض على ما يقول الناس . يقولون : رجل آدم
 - (اسمر) وظبية ادماء : بياض . وبعير آدم :
 للابيض ، وناقاة ادماء » . وقال (6) : « قد قالوا :
 بصير ، للبصير الأعمى ، وللزنجي ابو البياض .
 وقال لي رجل من شق الاحساء : لي ام بصيرة ،
 يريد عمياء .

ولكن ابا حاتم خالف من قبله فى ناحية
 واحدة من الشواهد ، هي ايراده أحيانا السند فى
 تفسير الآيات والاحاديث . قال (7) : « حدثني ابو
 عامر العقدي قال : حدثني سفيان بن عيينة ، عن
 عمرو بن دينار : ان ابن عباس قرأ : (وكان امامهم
 ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) ... » .

وكان فى العلاج يحاول الا يستطرد كما كان
 يفعل ابن السكيت ، وأن يلتزم بما اتصل بالاضداد
 وحده .

ولكن هذا لم يمنعه من الالتفات الى المشتقات
 المتصلة بالاضداد ، والعناية باللغات ، كما نرى فى
 قوله فى « نـد » (8) : « النخل ، يؤثته اهل
 الحجاز ويذكره سائر الناس . ويؤمل : من املته ،
 مخففة ، ويقال : هو مامل ومن قال املته ، فشدد
 اليم . قال : هو مؤمل . وقالوا للواحد : شبه
 وشبيه ، وعدل وعديل . وقد يقال للعدل من
 الاحمال : عديلة : ايضا » .

وكان الى جانب هذا ياتفت أحيانا الى بعض
 القواعد والاحكام اللغوية والنحوية ، ويذكرها .
 قال : « قال ابو حاتم : اجتمعت العرب على ان

(5) 176 .

(6) 225 .

(7) 111 .

(8) 106 .

(9) 212 ، 261 .

(10) 106 .

العرب يجعل الضد مثل الند ، ويقول هو يضادني ، أعلمهم اختلفوا في ذلك ... (و) زعم قوم ان بعض العرب يجعل الند مثل الند ، ويقول هو يضادني ، في ذلك المعني ، ولا اعرف انا ذلك . فاما المعروف في الضد في كلام العرب فخلافاً للشيء ، كما يقال : الايمان ضد الكفر ، والعقل ضد الحمق . . » .

وكان في اكثر الاحيان يأتي بهذا التقيد في الاضداد المتعلقة بالقرآن تخرجاً منه وورعاً . مثال ذلك قوله « (11) : » كان أبو عبيدة يقول : خفاف من الخوف ، ومن اليقين . وكان يقول : « فان خفتم الا تعدلوا » يريد ايقتنم . ولا علم لي بهذا لانه قرآن ، فانما تحكيه عن رب العالمين ، ولا تدري لعله ليس كما يظن . » .

والدعامة الثانية عنده . تغليط القائل ، مثل قوله (12) : « قال أبو عبيدة : الخنذيد من الخيل : الفحل والخصي . وغلظ ، انما الخنذيد الفائق من الخيل ، ومن كل شيء . ويقال خطيب خنذيد ، وشاعر خنذيد . وقال خفاف بن عبد شمس :

وبراذين كاييات واتنا

وخناذيد خصية وفحولاً

الخصية : الخصيان . فأراد منها خصيان ومنها فحول . وقال بشر بن أبي خازم في نعت فرس :

وخنذيد ترى الفرمول منه

كظي الزق علقه التجار »

وعثرت على نقد واحد من أبي حاتم قام على عدم الثقة بمن روى الضد ، قال (13) : « قال أبو عبيدة : اسررت الشيء : أخفيته وأظهرته أيضاً . وكان يقول في هذه الآية : (واسروا الندامة لما راوا العذاب) : اظهروها . ولا اثق بقوله في هذا ، والله اعلم . وقد زعموا ان الفرزدق قال :

فلما رأى الحجاج جرد سيفه

أسر الحروري الذي كان أضمرأ

ولا اثق ايضاً بقول الفرزدق في القرآن . ولا ادري لعله قال : « الذي كان اظهراً » أي كتم ما كان عليه . والفرزدق كثير التخليط في شعره ، وليس في قول نظيره جرير والاخلط شيء من ذلك . فلا اثق به في القرآن . » .

كذلك عند أبي حاتم نقد واحد قام على ان الضد من احتمالات النحويين قال (14) : « قال قوم : سوى الشيء ، غيره ، وسواه : هو هو . وقال قوم : بل سوى تكون زيادة احيانا ، كقول أبي النجم : « كالشمس لم تعد سوى ذورها » يريد لم تعد ذورها ، أي أن ذرت ، أي طلعت . وانشدنا أبو زيد :

انا فلن نعدل سواه بغيره

رسول أتى من عند ذي العرش هادياً

يعني النبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى فلم نعدله بغيره . وقال الاخفش : أراد فلم نعدل سواه بغير سواه ، فالهاء ترجع الى سواه . وهذا من احتمالات النحويين ، وكلام العرب على غير ذلك .» .

— * —

كتاب ابن انباري

وصل لنا ايضاً « كتاب الاضداد » لابي بكر محمد بن القاسم الانباري . وقد قدم المؤلف - كابي حاتم - بين يدي كتابه مقدمة ، صدرها بالحمد والصلاة ، ثم عرف الاضداد ، وذكر ما دفعه الى التأليف فيها ، وقسم الكلام العربي تمهيداً لوضع الاضداد في موضعها اللائق بها ، وابان نشأتها الاولى في اللغة . ونستبين من الاطلاع عليها ان ابن الانباري ادخل في مقدمته مقدمة قطرب كلها .

وكشف ابن الانباري عن النهج الذي اختطه في كتابه ، فقال (15) : « وقد جمع قوم من اهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا في احصائها كتاباً . نظرت فيها . فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف

(11) 117 .

(12) 115 .

(13) 168 .

(14) 181 .

(15) ص 13 .

بجزء . واسقط منها جزءا ، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها . فرايت أن أجمعها في كتابنا هذا ، على حسب معرفتي ومبلغ علمي ، ليستفني كاتبه والنظر فيه عن الكتب القديمة المولفة في مثل معناه ، إذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعد منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد .

ووفى المؤلف من الخطوة الأولى من نهجه . فقد ذكر جميع ما في أضداد ابن السكيت وأبي حاتم ، ما عدا قريبا من 30 أهملها لشكها فيها - وجميع ما في أضداد قطرب غير 12 ضدا . وكان قطرب قد انفرد بعشرة منها ، واتفق معه أبو حاتم في الباقيين 77 ، 164 . وزاد عليها أضدادا أخرى ، فبلغ المجموع 357 . وكانت هذه الزيادة وفاء منه بالخطوة الثانية من منهجه ، إلى جانب ما أورده من فوائد في أثناء الحديث عن الأضداد نفسها .

أما « حسن البيان » فظهر أولا في الخطة التي رسمها لنفسه ولم يحد عنها تقريبا . وأوجزها في الابتداء بالتنبيه على أن اللفظ من الأضداد ثم تقديم معنييه المتضادين ، ثم اتباعهما بالشواهد أن كان بين يديه شيء منها . وها أنذا أفتح الكتاب عفوًا ، لا لتقط الضد الذي يكون فيها . قال (16) : « وتائم حرف من الأضداد . يقال : قد تائم الرجل : إذا أتى ما فيه المائم ، وتائم إذا تجنب المائم ، كما يقال : قد تحوب الرجل إذا تجنب الحوب . ولا يستعمل تحوب في المعنى الآخر . أخبرنا محمد بن أحمد بن النضر قال : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثنا زائدة ، عن هشام قال : قال الحسن ومحمد : ما علمنا أحدا منهم ترك الصلاة على أحد من أهل القبلة تائما من ذلك ، أي تجنبيا للمائم . » وكان في بعض الأحيان يجمع بين كلام قطرب والأصمعي في سياق واحد ، كما فعل غيره أيضا (ريب) .

وظهر « حسن بيانه وكثرة فوائده » في حشو المواد . فقد عني بابانه أصل الأضداد وما اتصل بها من مشتقات في أحيان كثيرة ، مثل (17) : « وقال الفراء : حسب أصله من حسبت الشيء أي وقع في

حسابي . تم كسرت السين منه ، ونقل إلى معنى الشك ... وقال الفراء : خلت أصله من الخيال إذا تخيل لك الشيء ، ثم عمل في الاسم والخبر . ونقل إلى معنى الظن .. » .

وعنى في بعض الأضداد بإيراد معانيها الأخرى غير المتضادة ، مثل (18) : « الظن يقع على معان أربعة : معنيان متضادان : أحدهما الشك . والآخر اليقين الذي لا شك فيه . . والمعنيان اللذان ليسا متضادين : أحدهما الكذب ، والآخر التهمة . فإذا كان الظن بمعنى الكذب قلت ظن فلان . أي كذب ، قال الله عز وجل : « ان هم إلا يظنون » .

وأكثر في علاجه للمواد من إيراد الأحكام والقواعد اللغوية والنحوية بشكل بارز لم نره عند من قبله . قال في « توسد (19) » : « وأنشد الفراء :

يا رب ساربات ما توسدا

الا ذراع العنس او كف اليد

أي كان ذراع الناقة بمنزلة الوسادة . وموضع اليد خفض بإضافة الكف إليها ، وثبتت الألف فيها . وهي مخفوضة ، لأنها شبهت بالرحى والفتى والعصا ، وعلى هذا قالت جماعة من العرب : قام أباك ، وجلس أخاك ، فشبهوها بعصاك ورحاك وما لا يتغير من المعتلة . هذا مذهب أصحابنا . وقال غيرهم : موضع اليد نصب بكف ، وكف فعل ماضٍ من قولك : قد كف فلان الأذى عنا . وقال : « الأون حرف من الأضداد ، يقال : الأون ، للرفق والدعة ، والأون : للتعب والمثونة ... والمثونة أخذت من الأون ، وهو التعب والنصب . والأصل فيه ماونة مفعلة ، من الأون ، فنقلت ضمة الواو إلى الهمزة ، ويجوز أن تكون مفعلة من الأون وهو الرفق والدعة فإذا قالوا هو عظيم المثونة فمعناه : عظيم التسكين والرفق . ويجوز أن تكون المثونة مفعلة من الأين ، والأين التعب . قال الشاعر :

(16) 105 .

(17) 43 .

(18) 1 .

(19) 115 .

مذهب أهل العراق . ويقال في جمعه اقراء وقروء .
وقال الاصمعي عن أبي عمرو : يقال : قد دفع فلان
الى فلانة جاريتها تقرئها ، يعني أن تحيض ثم تطهر
للاستبراء . ويقال : القرء هو الوقت الذي يجوز أن
يكون فيه حيض ، ويجوز أن يكون فيه طهر . . .
ويقال : قد أقرت النجوم اذا غابت . قال أبو بكر :
وهذا حجة لمن قال : الاقراء الاطهار ، لانها خرجت من
حال الطلوع الى حال الغيبة « وقال الاصمعي وأبو
عبيد : يقال : قد أقرت المرأة اذا دنا حيضها ،
وأقرت اذا دنا طهرها . قال أبو بكر : هذه رواية
أبي عبيد عنهما . وروى غيره : أقرت اذا حاضت ،
وأقرت اذا طهرت . وحكى بعضهم قرأت ، بغير
الف في المعنيين جميعا . والصحيح عندي ما رواه
أبو عبيد . »

وقد رأينا - فيما سبق - أن ابن الأنباري نقد
بعض الأضداد ، لأن المعنيين لصيغتين مختلفتين لا
صفة واحدة مثل فعل وأفعل ، أو لأن المعنى الثاني
لللفظ غير شائع الاستعمال ، أو لعدم وجود شواهد
تدعم المعنى الثاني . ويمكن أن نضيف إليها ما يحدد
السياق معناه ، مثل (21) : « قال قطرب : من
الأضداد قولهم أليت المرأة تآلى ، اذا عظمت أيتها ،
وأليت الشاة وغيرها ، اذا قطعت أيتها . قال أبو
بكر : وليس هو عندي من الأضداد ، لأن كل
واحد من الحرفين ينفرد بمعنى واحد ، ولا يقع
على معنيين متضادين » .

وإذا قارنا بين نقد أبي حاتم ونقد ابن الأنباري ،
وجدنا الأول منهما معتدا بنفسه ومعلوماته ، عنيفا
في هجومه ، ولم نجد شيئا من ذلك عند الثاني .
فابن الأنباري لا يقارن أقوال قطرب أو غيره من
مؤلفي الأضداد بمعارفه هو كما يفعل أبو حاتم بل
بأقوال غيره من اللغويين . ولم يفلط ابن الأنباري
أحدا ، ولا حجب ثقته عنه ، ولا عد أقواله من
الاحتمالات كما فعل أبو حاتم . وبيننا كان أبو عبيدة
هدف نقد أبي حاتم الأول ، كان ابن قتيبة الهدف
الأول لنقد ابن الأنباري .

ومن مظاهر قدرة ابن الأنباري في التمهيط
حذفه ما حذف من أضداد ابن السكيت وأبي حاتم .
فقد حذف من الأول أرقام 14 ، 17 ، 87 ، 96 ،

لا يغمز الساق من أين ولا نصب
ولا يعرض على شرسوفه الصفر
وأصلها على هذا القول مأينة ، فحولوا ضمة
الياء الى الهمزة ، وجعلوا الياء واوا لانضمام ما
قبلها ، كما قال الآخر :

وكنت اذا جاري دعا لمضوفة
أشمر حتى ينصف الساق مثرري

فمضوفة مفعلة من الضيافة ، وأصلها مضيفة ،
ففعل بها ما فعل بمثونة . وتكوين المثونة فعولة من
منت الرجل ، فتهمز الواو لانضمامها ، كما قال امرؤ
القيس :

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها
ثوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فثوم فعول من النوم ، همز الواو لانضمامها «
وامثال ذلك في الكتاب كثيرة .

وعنى في الحشو أيضا باللفات . فكان يقول :
« أخبرنا أبو العباس قال : يقال : هو الباز وهو
البازي ، فمن قال : هو اباز ، قال في التثنية :
هما البازان والجمع البازان ، على مثال قولهم :
الخال والخيلاق ، ومن قال : هو البازي قال في
التثنية : هما البازيان ، وفي الجمع البازة على مثال
القاضي والقضاة . قال أبو بكر : في الباز لغة ثلاثة
لم يذكرها في هذا الكتاب وذكرها لنا في بعض
أماله قال : ويقال : هو الباز ، بهمز الالف مثل
الفأس والكأس ، وتجمعه في أدنى العدد من ثلاثة
الى عشرة فتقول : ثلاثة أبوز ، كما تقول : أفؤس
وأكؤس . فاذا كثرت فهي البؤوز ، كما تقول
كؤوس وفؤوس . فجمع القلة على أفعل مثل الأفلس
والأبحر ، وجمع الكثرة على الفعول مثل الفلوسوس
والبحور . قال أبو بكر : في الباز لغة رابعة ، يقال :
هو البازي ، بياء مشددة تشبه بياء النسبة . . » .

وكثر في حشوه النقد وخاصة نقد قطرب وابن
قتيبة . وأقام ابن الأنباري كثيرا من نقده على تعارض
الأقوال المختلفة من اللغويين . فأورد أقوالهم وقارن
بينها ليخلص الى الرأي الصواب عنده ، مثل (20) :
« القرء حرف من الأضداد . يقال : القرء للطهر ،
وهو مذهب أهل الحجاز ، والقرء للحيض ، وهو

(20) 8 .

(21) 322 .

100 ، 103 ، 105 . وكلها كان أبو حاتم قد حذفها غير رقم 94 الذي اوردته فيما شك فيه من اصدقاء ، ولعل ذلك الذي دعا ابن الانباري الى تركه .

وحذف من ابي حاتم ثلاثة انواع من الاضداد : اولها ما انفرد به ، مثل 246 ، 272 ، 244 ، 266 ، 275 ، 166 ، 109 ، 242 ، 173 ، 236 . واكثرها مما شك فيه أبو حاتم نفسه ، أو اقيم على أساس خاطيء 109 ، 166 ، 180 ، 236 . ثانيها بعض ما كان على صيغة فعول ، مثل 160 - 163 . ثالثها بعض ما كان على صيغة افتعل وانفعل من الاجوف ، أو افتعل من المضاعف ، مثل 118 ، 175 . وكان حذفه لما حذف من هذه الصيغ اكتفاء بما ذكره هو منها لا لشكه فيها .

واخيرا وفي « باستيفاء الاحتجاج واستقصاء الشواهد » . فاتي بالانواع المختلفة من الشواهد : من القرآن ، والحديث ، والشعر ، والامثال والاقوال . كما فعل سابقوه . وقد مرت علينا امثلة ذلك . وعني في كثير من الآيات والاحاديث وتفسيرها ، بإيراد سند اقواله . وكانت عنايته هذه اكبر من عناية ابي حاتم . فكان يقول (22) : « اخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن عاصم قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا أبو عبد الرحمن عثمان بن عبد الرحمن الجزري قال : حدثنا عبيد الله بن أبي العباس ، عن جويبر ، عن الضحاک قال : سألت نافع بن الأزرق عبد الله بن العباس عن قول الله عز وجل : (واتم سامدون) فقال : معناه لاهون . فقال نافع : وهل كانت العرب تصرف هذا في الجاهلية ؟ قال : نعم ، اما سمعت قول هزيلة بنت بكر وهي تبكي عادة حيث تقول :

بغيت عاد لقيما

وأبا سعد مريدا

وأبا جلهمة الخيد

سر فتى الحي العنودا

فيل : قم فانظر اليهم

ثم دع عنك السمودا

وكان يأتي بالشواهد على الامور الاستطرادية في كلامه . ويعلق على الشواهد ويشرحها ويطلب احيانا ، وقد يبين ما في الشواهد الشعرية من روايات . قال مثلا في مادة « ماتت بجمع » (23) : « وقال الشاعر يذكر ماء وردة :

وردناه في مجرى سهيل يمانيا

بصر البرى من بين جمع وخادج

فالجمع : التي في بطنها ولد ، ويقال : بجمع بكسر الجيم . والخادج : التي اتقت ولدها ويقال : قد خدجت الناقة تخدج اذا القت ولدها قبل اوان النتاج وان كان تام الخلق ، واخذجت تخدج اذا القته ناقص الخلق وان كان لتمام » . وقال في « طرب » (24) : « وقال لبيد في معنى الحزن .

واراني طربا في اثرهم

طرب الواله او كالمختبل

معناه : واراني حزينا . ويروي : او كالمختبل ، بالحاء : اي كالذي يقع في حباله الصائد » . والشواهد في الواقع كثيرة عنده جدا ، معنى بها لدرجة كبيرة . فكان يستقصى الاستشهاد على جميع اصدقاءه . ولم يترك منها الا الاضداد التي نقلها عن غيره بدون أن يكون مستشهدا عليها ، أو في المعاني المشهورة . وكان يصرح بأنه لا يستشهد على المعنى المشهور ، لانه ليس في حاجة الى ذلك . فكثيرا ما ترى هذه العبارة التالية عنده :

« لا يحتاج فيه الى شاهد لشهرته عند الناس » . أو « لا يحتاج مع شهرته الى ذكر شواهد له » أو « شهرته تقني عن اقامة الشواهد عليه » وما ماثلهما .

يتضح من كل ذلك أن قول دائرة المعارف صحيح حين وصفت اصدقاء ابن الانباري بأنها أهم كتب الاضداد . فهذا الكتاب قريب من كتاب ابي حاتم ، ولكنه يفوقه في كثرة المواد وحسن العلاج ، وكثرة الشواهد وتنوعها ، ودقة النقد وكثرته ، وفي الاستطرادات التي تحوي كثيرا من الفوائد النحوية ، عن الامة الكوفة .

(22) 17 .

(23) 152 .

(24) 57 .

الى مرتبة التفلسف والتقد ، بدلا من الاقتصار على الجمع .

وتبين هذه النظرة المدققة الناقدة فى منهج المؤلف ، اذ قسم كتابه الى قسمين : الاول للاضداد المرضية عنده ، والثاني للاضداد التى ادخلها السابقون وليست من الاضداد فى حقيقتها . قال فى مقدمته : « وترى من سبقنا الى هذا الكتاب قد ادخل فيه ما ليس منه ، مما نحن ذاكرو صدر منه فى آخره بعد الفراغ من المقصد فيه » .

اما الاضداد المرضية ، او القسم الاول من الكتاب - وهو الاكبر - فرتبه فصولا بحسب حروف المعجم . ووضع فى كل فصل الالفاظ المدوارة بالحرف المعقود له الفصل معتبرا الحرف الاصلي فيها . قال فى المقدمة : « وقد رأينا ان نبويه على حروف المعجم ، اذ كانت همة اهل زماننا مقصورة عليه ، وقلوبهم مائلة اليه ، وخير ما تحرى ما نفع . وفضل ما انتدب له ما شفى ونجى » . ولكن ابا الطيب اكتفى بترتيب الفصول ، ولم يحاول ترتيب الالفاظ نفسها فى داخلها .

والقسم الثاني من الكتاب ، الخاص بما ادخله السابقون من اضداد ليست منها فى الحقيقة ورتبه ابوابا . كل باب منها خاص بنوع من هذه الاضداد . وبلغ عددها اربعة ابواب ، اولها لما استوى فيه الفاعل والمفعول من صيغة مفعول ومنفعل من الاجوف ، وثانيها لما استوى فيه الفاعل والمفعول من المدغم العين فى اللام ، وثالثها للمجازي ، ورابعها للمقلوب . والبايان الاولان مرتبان على الحرف الاول ايضا ، اما الاخيران فغير مرتبين ..

وحين يلقي المرء نظرة على هذا الكتاب يجده مفتتحا بمقدمة قصيرة ، تستهل بعد الحمد والصلاة بما تحراه المؤلف فى كتابه من احكام التصنيف واحسان الترتيب ... ثم تعريف الاضداد ويختمها بمنهجه والدعاء .

وتبدأ الاضداد بعنوان « الالف » الذى يشير الى فصل الالف بالطبع .

ولم يسم المؤلف هذه المجموعات « فصولا » ولكني وهبتها هذا الاسم للتيسير .

ويظهر منذ الضد الاول تحري ابي الطيب الجمع والاستقصاء ، اذ يقتبس فيه من جميع السابقين

ولا يعيب الكتاب غير بعض الاختلال ، الذى كان له اربعة مظاهر :

1 - الاضطراب : فالمؤلف ينظم صيغة فِعُول لان قطربا نظمها ، ولا ينظم فَعِيل ، لان هذا لم ينظمها . وابو حاتم نظم صيغتي افتعل وانفعل من الاجوف والمضاعف ، والمؤلف لا يفعل ذلك (262 ، 263) . ولا يبين انها قاعدة عامة فيما جاء على هذه الصيغة . ويذكر ابن الانباري كثيرا من الالوان على انها اضداد ، ولكنه يفرقها فى أماكن مختلفة ، وحقها الجمع فى موضع واحد . ونتج عن هذا تكرار الكلام عن بعضيا . وينطبق الكلام نفسه على الحروف والادوات التى عدتها من الاضداد . ويتصل بذلك تفريقه اشباه الاضداد ، وكان واجبا عليه ان يفصل الاضداد ، عن اشباهها ، ويضع كلا منها على حدة .

2 - التكرار : مثل الاخضر (223 ، 245) وطلع (202 ، 257) وزعوم (230 ، 259) كرر الكلام عنها فى الموضعين مع اتفاق السياق على وجه التقريب فى (طالع) واختلافه فى (الاخضر) و (زعوم) . وكرر عن فزع ايضا (129 ، 182) وان اختار فى المرة الاولى صيغة (فزع ومفزع) وفى الثانية (فزع) .

3 - اضداد لا ينبه فى صدرها على ذلك ، ويبتدىء فى علاجها مباشرة ، مثل ناء (94) حتى اضطرب الناشر المصري الاول فيها ، واتى بها فى تضاعيف الكلام عن سابقتها (124) كأنما ليست مادة جديدة .

— * —

كتاب ابي الطيب اللغوي

ظهرت اول محاولة لترتيب الاضداد على يد ابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي المتوفى عام 351 هـ . فقد اطلع هذا اللغوي على كتب الاضداد السابقة ، وجمعها امامه ، ثم نظر اليها نظرة ناقدة ، خرج منها بكتابه . واذن فقد كان يرمى ابي الطيب الى « احكام تصنيفه ، واحسان ترصيفه ، والزيادة على ما ذكر منه ، والفاء ما خلط من غيره فيه ، لتقوى منة القائلين به ، ويضعف قول النافين له » كما يقول فى مقدمته . وبدلنا هذا على ان حركة التأليف فى الاضداد نضجت ، ووصلت

عليه . قال : « قال ابو زيد : يقال : امر أمم : اذا كان عظيما ، وامر أمم : اذا كان صغيرا . وقال الاصمعي : امر أمم : اي قصد . وقال ابو عبيدة : الامم : القريب . وقال عمرو بن قميئة في الصغير :

يا ليف نفسي على الشباب ولم
أفقد به اذ فقدته أمما

وقال الاعشى :

لئن قتلتهم عميدا لم يكن أمما
لنقتلن مثله منكم فتمتسل

قالوا : معناه لم يكن صغيرا حقيرا . وقالوا : بل لم يكن قصدا . وانشد قطرب في معنى التصد :

اتاني عن بني الاحرا
ر قول لم يكن أمما
ارادوا نحيت اثلتنا
وكنا نمنع الخظما

وانشد ابو عبيدة في معنى القريب :

يا ليت شعري عنك والامر أمم
ما فعل اليوم اويس في الغنم

قال ابو حاتم : اظنه والامر قصد ، وانشد في معنى القريب :

« قومي اياد لو أنهم أمم »

اي لو أنهم قريب . وقال الآخر :

كوفية نازح محلتها
لا أمم دارها ولا صقب

ويروى : « لا سقب » بالسين ايضا : وهو القريب : ولذلك قالوا : دار فلانة مسقية بدارنا : اي قريبة منها . وفي حديث الشفعة : « الجار اولي

(25) 67 . وانظر فهارس الكتاب .

(26) 47 . وانظر الفهارس .

— او أحق — بسقيه « : اي بما دنا منه وقرب من داره » . ذكر ابا زيد ، والاصمعي ، و ابا عبيدة ، وقطربا ، و ابا حاتم .

ونستخلص من دراسة اضداد ابي الطيب الظواهر التالية :

الانتظام : فقد باقت الاضداد عنده نضحها في اندراسة ، وغايتها في الانتظام الداخلي . فالمعاني تقدم في مفتتح المادة ، ثم ترد الشواهد على المعاني . ثم تعالج المادة كلها .

وتكثر الشواهد وتنوع عنده بصورة لا تخطئها عين . فيعتمد على الشعر كما رأينا في المادة السابقة . ويعتمد على القرآن كما نرى في قوله (25) : « ومن الاضداد بطانة الثوب : يكون بمعنى البطانة ، وبمعنى الظهارة . وقال الحسن في قول الله تبارك وتعالى : « بطائنهما من استبرق » قال : اراد ظواهرها . قال قوم : لان كل واحد من الظهارة والبطانة يكون وجها . تقول العرب : هذا ظهر السماء ، وهذا بطن السماء ، لذى نرى منها . وقال الزبير في قتلة عثمان رضي الله عنه : « ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب » يعني هربوا في البلاد . وقال آخرون في هذه الآية : انما اراد الله تعالى ان بطائن هذه الفرش من استبرق ، وهو الغليظ الفاخر من الديباج ، فالظواهر أشرف واعلى . والله اعلم بكتابه » .

ويعتمد على الاحاديث ، مثل قوله في مادة باع (26) : « وروى ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، عن ابيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من باع عبدا وله مال ، فماله الذي باعه الا ان يشترط المبتاع » اي المشتري . فالمبتاع يكون بمعنى البائع ، والمبتاع يكون بمعنى المشتري ، والمبتاع يكون بمعنى المبيع . وفي حديث رواه ابن سيرين ، عن شريح ، عن ابن مسعود قال : اذا اختلف البيعان — يعني البيع والمشتري — والبيع قائم بعينه ، فالقول ما قال البائع ، او يترادان البيع » . يعني بالبيع الشيء المبيع . وفي حديث آخر : « البائع بالخيار » يريد البائع والمشتري .. وفي حديث آخر رواه ابن

مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا اختلف المتبايعان استحلف البائع ، ثم كان المتبايع بالخيار » .

ويعتمد على اقوال الصحابة، كما رأينا في ظهر، وكما نرى في قوله (27) : « يروى عن حذيفة انه قال حين حضرته الوفاة : بيعوا لي كفنا ، ابي اشتروه لي » .

ويعتمد على اقوال الاعراب والاقوال المتبادلة بين الناس في حياتهم اليومية ، كما رأينا في ظهر ، ونرى في قوله ايضا (28) : « ذكر اعرابي جريرا فقال : كان سفيرا ابي حاذقا بالشعر » .

ويعتمد على الامثال ايضا (29) : « وبشرة الانسان : ظاهر بدنه عندهم جميعا ، والجمع بشرات وبشر ... ابو زيد : تقول العرب في مثل : « اراك بشر ما احار مشفر » وبعضهم يقول : اولج مشفر . قال : سمعتها من رجل من بني اسد يقول : ما اكلت استبان على بشرتك وفي لونك » .

وكثيرا ما كان يورد تعليقات على الشواهد توضحها ، كما نرى في قوله : « وقول الشاعر :

امك بيضاء من قضاة في الـ
سبيت الذي يستظل في ظنبه

اراد نقيه من المعائب ، ولم يرد ان يصف لونها . وكذلك قوله :

امك بيضاء من قضاة قد
تمت لها الوالدات والنضد

النضد ها هنا : الاعمام والاخوال .. » .

ونسب كثيرا من الشواهد الى من انشدها كما رأينا في أمم : ونرى في قوله : « الامين : المؤمن ، والامين المؤمن ، بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول . وانشد ابو حاتم للناطقة في معنى المفعول به .

وكننت امينه لو لم تخنه
ولكن لا امانة لليماني »

- (27) 45 . وانظر الفهارس .
(28) 45 . وانظر الفهارس .
(29) 74 . وانظر الفهارس .

واغترف ابو الطيب من اضداد سابقيه ، وما اتوا به في سبيل تفسيرها وتعليلها وتقددها

والاستشهاد عليها . وكان حريصا كل الحرص على نسبة كل قول الى قائله ، حتى في الاحوال التي لم يلتزم فيها عبارة واحد منهم ، وجمع بين عباراتهم ، اشار الى ذلك . فكان اكثر من جمع بين عبارته قطرب وابو حاتم . وجمع ايضا بين التوزي ، وقطرب وابي عمرو ، وقطرب وابي عبيدة . وجمع احيانا بين اقوال ثلاثة منهم معا ، مثل قطرب وابي حاتم والتوزي ، وابي عبيدة وابي زيد والاصمعي .

وكانت الثمرة الطبيعية لهذا ان كثرت الاضداد عنده كثرة هائلة تعادل كثرتها عند ابن الانباري ، وان تمثلت في كتابه جميع الظواهر التي وجدت في كتبهم ، في الاضداد والشواهد والتفسير . بل ان ما جاءوا به ولم يرض عنه لم يخل كتابه منه ، وجمعه في آخر الكتاب .

ولكن ذلك لم يبلغ شخصية ابي الطيب . فما اكثر تعليقاته الشخصية التي يورد بعضها عن لغويين آخرين ، ويأتي بعضها من معارفه العامة ، ويقصد فيها الى زيادة التوضيح ، والاعتراض ، والنقد ، والترجيح ، وما الى ذلك من امور .

والحق انه يبادل كتاب ابن الانباري قدرا واهمية . ويفوقه في اتجاهه الادبي ، وكثرة شواهده وتنوعها ، وكثرة الاحاديث عنده ، وفوائده التي اضافها ، واصراره على نسبة كل قول الى صاحبه ، وما ادخله على الاضداد من ترتيب . اما ابن الانباري فيفوقه في القرآنيات ، والعلل اللغوية والصرفية ، والعبارات المؤلفة .

— * —

كتاب ابن الدهان

اعلن ابن الدهان في مقدمة اضداده انه نظر في كتب السابقين عليه ، فوجد فيها اختلالا : اذ يذكرون ما يجب عليهم حذفه ، ويتركون ما يجب

عليهم ذكره ، ووجدها مشحونة بالشواهد . فاستهدف ان يخرج مختصرا حاويا للاضداد مجردة عن كل شيء . فهدفه الجمع والاختصار . ثم رد على من انكر الاضداد . واتبع ابن الدهان ما فعله ابو الطيب في ترتيب اصداده ، فلم يراع فيها غير الحرف الاصلي الاول واهمل بقية الحروف .

ولا يزيد الكتاب عن قائمة تورد اللفظ الضدي له معناه . وعلق من وقت لآخر على بعض الاضداد بعبارة « وفيه نظر » دلالة على شكه فيه . وطبيعي ان الكتاب حوى الانواع المتعددة من الاضداد ، بسبب اعتماد المؤلف على الكتب السابقة ، التي اشار منها الى كتب الاصمعي والفراء وقطرب وابن السكيت وتعلب والسجستاني وابن الانباري .

وامثل لنهج الكتاب بما يلي :
« الامين : المؤمن والمؤمن .

الماتم : النساء يجتمعن في الحزن ، وفي الفرح ، وفيه نظر .

اذ : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .
اذا : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .
الامم والامم : التحقير والعظيم .
الاشرة : الاشارة والمأثورة .

— * —

كتاب الصغاني

في اوائل القرن السابع ، اخرج الصغاني كتابا في الاضداد ، وصل الينا بتحقيق الاستاذ الدكتور هفنر Dr August Haffner ويفتتح الكتاب بالعبارة التي يبدو ان الصغاني كان يفتتح بها كتبه جميعا مع البسطة والحمد ، والتي تدل على اعتكافه في المسجد الحرام ..

وصرح المؤلف في مقدمته بانه قرا جميع كتب الاضداد ، وذكر ما فيها ، مع تحري الاختصار والترتيب على حروف الالفباء ..

ولم اعثر قبل الصغاني على كتاب في الاضداد مرتب على الحروف في جميع الفاظه ، فلعله اول من فعل ذلك . وكان ينظر في ترتيبه هذا الى اوائل الحروف ، فحرفها الثانية ، فالثالثة فالرابعة اي الترتيب الحديث المعروف لنا ، مع تقديم الواو على

الهاء . وكان لا يعتمد في ترتيب الالفاظ الا على حروفها الاصلية . اما الزائدة فلا اعتبار لها عنده . ويبدو من عباراته الاخيرة انه تحرى الجمع وتدوين ما وضعه السابقون في كتبهم بدون تمحيص او نقد ، فهو لا يقبل المرضي وحده ، ويحذف المشكوك فيه ، بل يقبلهما معا . وقد اشار الى ذلك مرة ثانية في خاتمة كتابه القصيرة التي قال فيها : « آخر كتاب الاضداد ، ولله الحمد والمنة . وفيه كلمات ليست هي عندي من الاضداد ، ولكنني قفوت فيه آثار من سبقني الى جمعها مثل ابن الانباري وغيره ، حذار ان يقال : اهل شيئا مما اثبتوه ، فليمهد العذر العائر عليها ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كثيرا » .

وحين ندرس الكتاب لثرى مقدار وفائه بوعوده نراه في الخطوة الاولى جمع 337 ضدا ، ولكنه لم يذكر كل ما في اضداد قطرب وابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري . فقد حذف من الاولى حوالي 67 ضدا ، ومن الثانية حوالي 10 اصداد ، ومن الثالثة حوالي 55 ومن الرابعة حوالي 40 ضدا . واتى في مقابلها بقريب من 75 ضدا ، ليست في هذه الكتب الثلاثة . ولا يقوم هذا الحذف على اساس الشك والنقد ، اذ لم يحاول المؤلف ذلك بتصريحه . اصف الى ذلك ان كثيرا مما حذفه رواه غير واحد من مؤلفي الاضداد (20 ، 225 ، 217 ، 77 ، 226 ، 193 ، 205 ، 60 ، 219 ، 127 ، 210 ، 185 ، 85 ، 214 ، 218 ، 213 ، 24) . ولكن تجب الاشارة الى ان كثيرا مما حذفه خاطيء (231 ، 180 ، 166 ، 109 ، 255 ، 286) او مشكوك فيه (259 ، 246 ، 272 ، 273 ، 244 ، 270 ، 266 ، 118 ، 275 ، 252 ، 265 ، 243 ، 242 ، 257 ، 271) او انفرد به قائلوه (16 ، 100 ، 105 ، 96 ، 17) واكثر ما حذفه من اصداد ابن الانباري ، او ينطوي تحت صيغ فعول (60 ، 158 ، 159 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165) او فعيل 203 ، 204 او افتعل (175) .

اما المنهج الذي سار عليه فغاية في البساطة : ايراد اللفظ ومعنييه المتضادين . ولا عناية بما بعد ذلك . فلا ذكر للغويين الذين يأخذ عنهم الا قليلا (490 ، 688 ، 706) ولا ذكر لشواهد ، ولا لمستقات ولا لمعان اخرى للاضداد ، ولا لفوائد وزيادات واحكام وقواعد . فالكتاب يمكن تسميته « متن الاضداد » . وهالك بعض الامثلة :

وسار المؤلف ايضا على نهج القاموس فى العناية بالتفسير وحده ، وحذف الشواهد . فكان يورد اللفظ ثم معنييه المتضادين . وكان فى غالب الاحيان يحافظ على نص القاموس ايضا . وهذه بعض الامثلة من باب الهمزة منه ، تؤكد ما سبق من اقوال : « ثانياً الابل : عطشها وارواها . وثالثات : عطشت ورويت . جفا الباب : اغلقه وفتحته كأجفاه . خجىء : استحيا وتكلم بالفحش . وادأ الشيء : حركه وسكنه . داراته : دافعته ولاينته . رقا بينهم : افسد واصلح . القراء : الحيض والظهر . ناء بالتحمل : نهض مثقلا ، واثقل فسقط . وراء : خلف وقدام . »

— * —

كتاب محمد المدني

تقتني المكتبة السليمانية بالاستانة رسالة اخرى فى الاضداد للشيخ محمد المدني ، تماثل الرسالة السابقة او تكاد ، تحت رقم 1041 . وليس للرسالة مقدمة تبين هدفها ولا منهجها . ولكن لها خاتمة اخذ جزءا منها من الزهر للسيوطي ، ومن اصدقاء ابن الانباري . وصرح فيها : « وقد تتبعت القاموس وغيره من كتب اللغة ، واستخرجت ما صادفته ، ولم ادع الاحاطة » .

وعند مقارنة مادة هذه الرسالة بمادة الرسالة السابقة لا نجد بينهما فرقا يذكر ، لاعتمادهما الرئيسى على القاموس المحيط فى الاضداد ، وترتيبها وتفسيرها . ومثال ذلك قوله :

ثانياً الابل : ارواها وعطشها ضد . وثالثات الابل عطشت ورويت ضد . جفا الباب : اغلقه كأجفاه وفتحته ضد . داراته : داريته ودافعته ولاينته ضد . رقا بينهم رقا : افسد واصلح ضد . القراء ، وبضم : الحيض والظهر ضد .

— * —

دورق الانداد للبياري وشروحه

وفى اوائل العصر الحديث شارك الشعر فى حركة الاضداد ، فالتفت فيها الرسائل المنظومة ووصل اليها من هذه الحركة رسالتان . اولاهما المسماة « دورق الانداد فى نظم أسماء الاضداد »

« الابض : السكون والحركة .
الابل : الرطب واليبس .
الماتم : النساء المجتمعات على الحزن وعلى الفرح .
الارة : الحفرة التى تحفر للنار ، والنار نفسها ايضا .
الأزر : القوة والضعف .
أسد : اذا جزع وجبن ، واذا جسر كالأسد .
افسد : اذا اسرع واذا ابطأ .. الى آخر الكتاب . »

ولكننا نأخذ عليه اضطراب ترتيب بعض الالفاظ عنده . فقد قدم « اون » على « اور » و « تصدق » على « صامت » و « قانس - قنيص - قانع فتوع » على « قموء » والعكس اصح . كما قدم « ناء » فى اول حروف الواو اذ ذكرها مع تاء التكلم « نوت » والاصح وضعها فى التون مع الواو .

— * —

كتاب عبد الله بن محمد

تقتني دار الكتب المصرية رسالة صغيرة جدا فى الاضداد عنوانها : « ذكر بعض الاضداد التى ذكرت فى القاموس » جمع من يسمى « السيد عبد الله بن محمد ... » . تحت رقم 241 مجاميع وهي ورقات ، ناقصة من آخرها . اذ وقفت فى اثناء مادة « القتين » .

وواضح من عنوانها ان المؤلف جمع ما فيها من اصدقاء من القاموس المحيط للفيروزابادي وحده وقد سار المؤلف على ترتيب القاموس ، اذ يبدو انه فى اثناء اطلاعه كان يدون كل لفظ من الاضداد يعثر عليه . ولم يختار المؤلف الاضداد التى نبيه عليها الفيروزابادي وحدها ، بل اختار ايضا الالفاظ التى روى لها معنيين متضادين دون تنبيه على انها من الاضداد . ولم يغير المؤلف فى ترتيب الالفاظ التى اختارها من القاموس ، فبقيت على ترتيبها فيه ، اى على الحرف الاصلي الاخير اولاً ، فالحرف الاصلي الاول ثانياً ، فحروف الوسط الاصول مرتبة ..

ويريد بالبيت الثاني - كما نص شارحه - :
 « ان كثرت الاضداد بان كان اللفظ مشتركا بين
 اربعة معان مثلا ، كل معنيين منها متضادان ، جئت من
 الأربعة مثلا . بما يفنى عن الضد من كل منها وذلك
 اني اذكر معنيين فقط : كل منهما محذوف الضد
 لينفهم المحذوف بالمذكور » .
 وسار في ضبط الفاظه على هدى القاموس المحيط ،
 قال :

ينبيك قاموسها بالاصطلاح لها
 اذ منه مرجانها والاولى انتظما
 ما كان مهمل او مفتوحا اوله
 اطلقته وضبطت الغير معتصما
 والوزن فيما له قد حركوا اوله
 قد سكنوا مؤذن بالضبط للفهما
 فان ضرورة شعر قد دعت لسوي
 هذا ، اشرت اليه خوف ان تهما

واتبع ترتيب الفيروزابادي وتقسيمه لقاموسه ،
 فالكتاب مقسم الى ابواب بحسب الحرف الاخير
 للكلمات التي فيها . وترتب الكلمات في داخل هذه
 الابواب بحسب حروفها الاولى فالوسطى . ولكن
 الشعر ارغمه احيانا على الاخلال بهذا الترتيب في
 داخل الابواب لا بين الابواب . اعني الاخلال في
 ترتيب الحروف الاولى ، او الحروف الوسطى ، اما
 الحروف الاخيرة فلا .

وهاك قدرا مما قاله الناظم في « باب الهمزة »
 لتبرز معالم منهجه :

بفرة الشهر فسر البراء كذا
 بالانس فسر بساء واكسرن لهما
 ثم البلاء لمنحة اتسى ولمح
 سنة ، كما جاء في القرآن متفهما
 ثنائات ابلى : اي ارويتهما ، وكذا
 ثنائات هي : اي اضحت ذوات ظما
 والاجتداء بسؤال فسرروا وعطا
 كذا الجداء ، قاله القالي عن العلما

للسيد عبد الهادي نجا الابياري المتوفى عام 1305 هـ .
 وقد افقه قريبا من عام 1297 ، اذ تمت النسخة
 الثانية منه على يد الناظم في ضحوة يوم الثلاثاء
 تاسع شوال من ذلك العام ، كما تصرح نسخة دار
 الكتب المصرية ، التي تحت رقم 844 لفة .

والسبب الذي دفع الابياري الى تأليف نظمه
 اعانة الابداء الذين يرمون الى التائق بالجناس
 والتورية والمحسنات . واما المراجع التي اعتمد عليها
 فالقاموس المحيط للفيروزابادي وشراحه ، قال
 الناظم في مقدمة قصيدته :

وقد تيسر لي في جمعها جمل
 تجمل المجتني من روضها كلما
 كل الذي ذكر القاموس جئت به
 الا الذي بصري قد زاغ منه وما
 وزدت اشياء من شراحه وسوا
 ها ، هكذا منه ، لكن بالذي فهما

حتى ظننت بان لم يبق قط من ال
 اضداد شيء ، ولكن يا اخي ربما

وشرح لنا الناظم منهجه في المقدمة ايضا ،
 فعرفنا بأنه لم يلتزم الالفاظ الواضح تضاد معانيها
 وحدها ، بل ذكر ما أورده غيره ولو كان فيه تجوز
 وتوسع ، وان تقدمه في احيان اخرى ، قال :

وربما كان في بعض الذي ذكروا
 تسامح بعموم او بما لزمنا
 فاقتفي اثرهم طورا ، وآونة
 ابدي الذي يشراى فيه للفهما

ولم يلتزم ايراد المعنيين المتضادين في كل
 لفظ من الاضداد ، بل حذف احيانا المعاني المعروفة
 المشهورة واكتفى بايراد المعاني غير المعروفة ، قال :

طورا اجيء بكل المعنيين وطو
 را بالذي كان مجهولا ومنبهما
 فان تعددت الاضداد جئت بما
 يفني عن الضد من كل ، لينفهما

واجفئ الباب : اغلقه ، وداداه
معناه حرك ، والتسكين قد فهما

دارات خصمي - مهورا ، كذاك ييا -
دافتمه ، وكذا لاينتة كرمنا

ما ستراه ، ان شاء الله ، من الالماع ، بما يسحر
الاسماع ، من تحقيقات شريفة ، وتدقيقات ظريفة . .
تراها مرة شرعية ، وكرة اديبة ، وطورا يمانية ،
وحينا معدية . . . يرتاح اليها الفقيه ومن حذا
حذوه ، واللفوي ومن نحا نحوه . . . » .

وداب الرجل في هذا الشرح على معالجة نص
الناظم نحويا وعروضا وتفسيره تفسيراً كاملاً ،
وتناول كل ما عن له من مشاكل في النص . فهو يقوم
على طريقة التون والشروح والحواشي التي كانت
تسود العمود الاخير من تاريخنا . وصدر كل باب
بكلمة عن عنوانه .

منبه الرقاد

تملك دار الكتب رسالة اخرى في نظم الاضداد ،
تحت رقم 329 لفة ، باسم « منبه الرقاد في ذكر
جملة من الاضداد » لا يعرف مؤلفها . وقد تم
نسخها يوم الثلاثاء الموافق لآخر يوم من شهر رمضان
سنة اربع وثلاث مئة والف ، كما في آخرها .

وتختلف هذه القصيدة عن السابقة في عدة
مظاهر ، اولها ان هذه من المزدوج الذي يقفي
شطراه وحدهما ، وتختلف القافية في الابيات بعد
ذلك . اما السابقة فكانت من بحر البسيط ،
والتزمت في رويها اليم المشبعة الفتحة . وانفق
الانثان في الابتداء بمقدمة شرح كل منهما فيها
منهجه . ولكن المنهجين لا يتفقان تماما . فقد صرح
ناظم هذه القصيدة بعد الحمد والصلاة بان قصده
بها علمي هو تنبيه الغافلين والجاهلین - ومن ثم
اسمها - على حين كان مقصد الابياري ادبيا علميا
كما رأينا . يقول ناظمنا :

وبعد فالقصد بهذا النظم

تنبيه كل غافل وامسي

سميته منبه الرقاد

في ذكر جملة من الاضداد

وأراد ناظمنا - كما اراد الابياري - الجمع
ورجع في سبيله الى القاموس والصحاح وكتب ابن
ابن جني على حين رجح الابياري الى القاموس
وشروحه . يقول الناظم في المقدمة :

وقام المؤلف نفسه بشرح قصيدته في كتاب
سماه « الرونق على الدورق » اكثر فيه واطال
واستطرد . ولكنه - فيما يبدو - لم يتمه ، وانما
اعطانا وصفه احمد بن احمد بن اسماعيل الحلواني ،
في مقدمة شرحه للدورق . قال : « وكان - حفظه
الله - قد ابتدا شرحه الموسوم بالرونق على الدورق ،
لكنه طال وسار بل سال ، في رياض الادب الفوال ،
عن يمين وشمال . فانه التزم فيه تحف المناسبات
الظريفة ، طرق الاستطرادات الشريفة ، وحقق
ودقق ، ونمق وناق ، وحرر وحجر ، ونضد ونضر ،
ونثر الدر والجوهر ، فاكثر . . . فقد رأيت منه اربعة
كراريس ، يبذل الاديب في مثلها النفس والنفيس .
ولكنه زهر في الاكمام ، وطفل لم يبلغ حد الفطام . . »

ورجا المؤلف من الحلواني ان يؤلف شرحا
مختصرا على قصيدته . فحقق الرجاء بكتابه الذي
تحتفظ دار الكتب المصرية بمسودته تحت رقم 844
لغة ، بعنوان « الكأس المروق على الدورق » ، وقد
فرغ منها « يوم السبت الخامس والعشرين من صفر
سنة اثنتين وثلاث مئة والف من الهجرة الشريفة » .

وحدد الحلواني خطوات منهجه بقوله في
مقدمته : « فسرعت في الشرح وما اطله ،
فالمقصود الدورق وهو سبيله . الا اني ان ظفرت
بشيء من الاضداد ، في باب من الابواب ، فاني
اذكره تميما للمراد ، في خاتمة ذلك الباب . ولا
التزم في اخذه من نحو القاموس او تاجه : ان تكون
نصا في الضدية ، سيراجع الدورق في منهجه من
اعتبار العبارة الاشارية . ولا التزم ايضا الاستقصا ،
فاني ان رمته استعصى ، كيف واللغة بميدة
الساحل ، مديدة المراحل ؟ . . . ولكن ما جاء عفوا
اخذته صفوا . ثم لا تراني معاذ الله اعمد الى مقام
مشهور ، مجته اسماع الجمهور ، فأسود به وجه
السطور ، فذلك مما ينفر الطباع ، ويكدر الاسماع ،
ويكون عارا لا يحويه اعتذار ولا استشفاع ، اللهم الا
ان كان من الحقوق الواجبة ، او سيق لمناسبة ، او
نكتة مناسبة ، فالشيء بالشيء ، والشمس بالفيء ،
فهذا لا اتحماه ، بل احمي حماه ، واتقي اذاه ، الى

احسب ما وجدت منها مع قصور
وغيبتي عن فنها مع الحضور

واحسب هنامعنى اعد ، ويقول فى الخاتمة :

معمدا ضبطي على القاموس

لانى فى الفن كالبابوس (30)

وفى الصحاح جاعلا مجنى

وربما اخذت فى ابن جنى

وجمل من خطته ذكرا للمشتقات المرتبطة
بالاضداد وخاصة المصادر والصفات ، على عكس
الايباري يقول :

وربما اومى للاشتقاق

والقيد ان كان وللاطلاق

وللمصادر فاضبط الكلم

والوصف مع بعض اللغات المنبهم

وخصص الجزء الاخير من قصيدته للالفاظ
المتماثلة - اى الكلمات المتماثلة المعنى مع تغير بعض
حروفها بالابدال - والمقلوبة ، يقول :

وللمماتيلين والمقلوب

عونك يا مقلب القلوب

ولجا فى تقسيم قصيدته الى التقسيم الذى
ارتضاه صاحب القاموس ، والايباري . فالقصيدة
مقسمة الى ابواب بحسب الحرف الاخير من الاضداد
التي يحتوي عليها كل باب ، والالفاظ ترتب فى
داخل الابواب بحسب حروفها الاولى ، واواسطها
ولكن الترتيب كثيرا ما افلت منه فى داخل الابواب .

وختم القصيدة بخاتمة اشارت الى انتهاء ما
يريد نظمه ، وأشياء من منهجه ، والدعاء الى الله ان
يفقر ذنوبه ، والصلاة على الرسول وآله وصحبه
والتابعين .

وهذا باب الهمة منه ، يمثل تناوله ونظمه :

(30) ولد الناقة ، والصبي الرضيع .

نائا ذا ابله : ارواهما
كذا اذا اغرى بها صداها

وثائتات هي : اذا ما رويت
يوم ورودها ، كذا ان عطشت

وجفا الباب : اذا ما اغلقه
كذا اذا فتحه : فحقته

دائرات ذا : دفمته لشره
كذا اذا لابنته لمسره

رقا : افسد واصلح ، خذ
والصدر الرقو ، والرقا انيد

والقرء ، بالفتح وبالضم اتى
يكون للحيض وطهر ثبنا

وناء زيد : خف او قد ثقلا
فمعجز الحال به بين الملا

ثم السورا بهمز لا اعتلال
يكون خلف وامام تالى

عكس الذى توهم الامام
الجوهري العالم الهمام

ويتضح من هذه الابيات ان الناظم خالف الايباري
فى عدة مظاهر : اهمها التزامه ذكر المعنيين المتضادين
فى كل نفظ ، عدم التزام قافية واحدة فى جميع
الايبيات ، ثالثها الاشارة الى المشتقات مثل مصدر
الرقو ، رابعها الضبط واللفات فى القرء ، خامسها
نقد الجوهري فى « وراء » اذ جعلها مع المعتل واصلها
الهمز ، وقد اخذ هذا النقد من الفيروزابادي ،
سادسها انه يترك بعض الاضداد التي ذكرها الايباري ،
اي عناية الاخير باستقصاء الاضداد اشد من عناية
صاحب « المنبه » . ومن اهم اوجه الخلاف ايضا
شعور المرء - بان قصيدة صاحب « المنبه » اشد
سلاسة ، واعظم وضوحا ، واقل تكلفا من قصيدة
الايباري .

وهناك اوجه خلاف اخرى لم تظهر فى الابيات
السابقة ولكنها ظاهرة فى القصيدة كلها ، اهمها
اهتمام صاحب « المنبه » بذكر المعاني التي لا تدخل
فى المعنيين المتضادين للاضداد مثل قوله :

الأزر للضعف والقوة قل

الفرييب المصنف

وللاحاطة وللظهر نقل

فمعاني الشطر الثاني لا تدخل فى الاضداد ،
وقوله :

وبتر الرجل : اعطى ومنع

كذا اذا طلى الضحى حين طلع

فصلاة الضحى ليست من المعنيين المتضادين ،
وكذلك قوله :

والشع - بالكسر - : قبال النعل

ولقليل المال ثم الجسل

فشع النعل ليس من الاضداد . وامثال ذلك
كثيرة ، ولم يعن الابياري بها .

وبعيب هذه القصيدة امران : قلة الاضداد
فيها عما فى الدورق ، وكثرة الاضطراب فى
الترتيب ، كما يظهر فى باب الباء ، والحاء والدال ،
والراء ، والسين ، والضاد ، والعين وغيرها .

(الفصل الرابع)

فصول عن الاضداد

لم يقصر لغويو العرب جهودهم على تأليف كتب
مستقلة للاضداد ، بل شارك بعضهم فى هذه الحركة ،
بتخصيص ابواب او فصول للاضداد من كتبهم
الجامعة . ومن الطبيعي اننا لا نستطيع ان نغفل او
نحط من هذه الجهود ، وان كانت بحكم وضعها اقل
شأنا من الكتب المستقلة .

وقد وصلت الينا خمس مجموعات تحتوي على
ابواب مخصصة للاضداد ، وهي بترتيب ظهورها :
الفرييب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى
بين عامي 223 - 230 - ، وادب الكاتب لابن قتيبة
270 هـ ، وسر العربية لعبد الملك بن محمد الثعالبي
المتوفى عام 429 ، والمخصص لابن سيده المتوفى
عام 458 ، والمزهر للسيوطي المتوفى عام 911 هـ .

(31) البغية 376 .

(40) 323 - 4

(41) 313 .

اما ابو عبيد فاعتمد فى « باب الاضداد » من
غريبه على اساتذته « ابي زيد ، و ابي عبيدة ،
والاصمعي ، و ابي محمد اليزيدي ، والكسائي » (31)
والثلاثة الاول خاصة . واورد فى هذا الباب 41 ضدا ،
كها موجود فى الكتب المستقلة بالاضداد . ولما كان
اعتماده على اساتذته ، كان يروي عنهم مباشرة ،
فصدر الباب بعبارة : « سمعت ابا زيد يقول » .
وانواع الاضداد عنده قليلة ، تتألف من الاضداد
الحقيقية ، واضداد التناول ، واللغات ، والقلب ،
وصيغة افعال .

وسار المؤلف على خطة ايراد اللفظ ، ثم معنييه ،
ثم شواهد ان وجدت ، ونسبة كل منها الى قائله .
وهو فى اغلب المواد قريب من اضداد ابن السكيت
متفق معها . قال مثلا : « قال ابو زيد : طلعت على
القوم اطلع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك ،
وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يروك . وقال :
لمقت الشيء المقه لمقا : اذا كتبته فى لغة بني
عقيل ، وسائر قيس يقواون : لمقته : محوته » .
وقال ابن السكيت (40) : قال ابو زيد : يقال : طلعت
على القوم اطع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك ،
وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يروك . ويقال :
لمقت الشيء المقه لمقا : اذا كتبته فى لغة عقيل ،
وسائر العرب يقولون : لمقته : محوته » .

ولكنه كان يميل الى الاختصار ، فاختصر
عبارة ابن السكيت ، كما نرى فى قوله : « فرع
الرجل فى الجبل : صعد ، وفرع : انحدر ، وقال
معن بن اوس :

فساروا ، فاما جل حي ففرعوا

جميعا ، واما حي دعد فصعدوا

ويروى : فافرعوا ، وافرغ فى الحالين جميعا .
وقال ابن السكيت (41) : « فرع الرجل : اصعد
وفرع : انحدر ، قال معن بن اوس :

فساروا : فاما جل حيي ففرعوا

جميعا ، واما حي دعد فصعدوا

فاعد لما تعلق فمالك بالذي
لا تستطيع من الامور يدان

قوله : يشعب امره : يعني يفرقه ويشتمه .
وقواه : لما تعلق ، يقول : تكلف من الامور ما تقهره
وتطبيقه . وشرح ابن السكيت اوفى من ذلك ، اذ
قال (45) : « قوله : يشعب امره : يفرقه . يقال :
شعبت اهوؤهم : اي تفرقت . وقوله : لما تعلق : يعني
تكلف من الامر ما تطيقه وتقهره ، ويقال : هو عال
لذلك الامر : اي ضابط له قاهر » .

وتاتي مزايا هذا الباب من الاضداد من انه
يصحح بعض نقول ابن السكيت ، كما فعل في (لحق)
اذ نسب معنى (مجا) الى قيس . موافقا بذلك ابا
حاتم (46) وابن الانباري (47) ، ومخالفنا قول
ابن السكيت (48) .

ويمتاز ايضا بأنه ينسب كثيرا من الاضداد
التي اهملها ابن السكيت وأبو حاتم الى اصحابها
الذين قالوها ، مثل افاد ، واودع . والشيح وصارخ
وهاجد وصريم وبثر وظن ووراء وغيرها .

ومن الطبيعي ان نضع في مزاياه زياداته في
تضاعيف الشرح ، والخطة التي اتبعها في علاج
الاضداد ، وجعلته لا يعني الا بما اتصل بها ، ويحذف
ما عدا ذلك ، ويقتل الشواهد ، حتى صار الباب
في مرحلة متوسطة بين كتب ابن السكيت وابي
حاتم وابن الانباري الفاصلة بالشواهد والمعلومات ،
وبين كتاب الصغاني الذي حذف الشواهد جميعها .

ولكننا نأخذ عليه تكرار مادة « وراء » وتبعها لها
مادة « دون » مرتين : اولهما في منتصف الباب
عن ابي عبيدة ، وثانيتها في آخره تقريبا عن غير
ابي عبيدة . ولن نعتذر عنه باختلاف الراوي لانه
كان يستطيع التنبيه الى ذلك في الموضع الاول ،
ويستغنى عن التكرار . . . والمأخذ الثاني عليه ايراد
بعض الاضداد التي تقدمها المؤلفون ، مثل خنديذ

ويروي : فاصعدا . ويروي : فأفرعوا . وقد
أفرع الرجل : اذا انحدر من الجبل ، وأفرع : اذا
صعد ، قال الشماخ :

فان كرهت هجائي فاجتنب سخطي
لا يدركنك افراعي وتصعيدي

وقال رجل من العبلات من بني امية :

اني امرؤ من يمان حين تنسبني
وفي امية افراعي وتصعيدي

الرواية : وتصويبي . فحذف ما اورده في
« أفرع » حتى التبس قوله بعض الشيء ، وحذف
ما بعدها من شواهد . وكثيرا ما كان يحذفها
اختصارا .

وبرغم هذا الاختصار ، كان يزيد احيانا على ما
في اضداد ابن السكيت ، مثل قوله : « قال ابو
زيد : السدفة في لغة بني تميم : الظلمة ، والسدفة ،
في لغة قيس : الضوء . وكذلك قال ابو محمد
اليزيدي ، وانشد للعجاج :

« واقطع الليل اذا ما اسدفا »

اي اظلم . وبعضهم يجعل السدفة اختلاط
الضوء والظلمة مثل ما بين طلوع الفجر الى الاسفار .
ولم يرو ابن السكيت (42) ولا ابو حاتم (43) ولا ابن
الانباري (44) العبارة الاخيرة .

ولم يمنعه الاختصار من شرح شواهد ،
والالتفات الى ما فيها من رواية . وكان يتفق مع ابن
السكيت في اكثر الشرح مع اختصاره . مثال ذلك
في قوله : « قال الاصمعي : شعبت الشيء اصلحته ،
وشعبته : شققته . قال : والشعوب منه ، وهي
النية لانها تفرق . وانشدنا لعلي بن غدير الغنوي :

واذا رايت المرء يشعب امره
شعب العما ويلج في العصيان

(42) 43 ، 316 .

(43) 1144 .

(44) 645 .

(45) 277 .

(46) 1372 .

(47) 133 .

(48) 324، 50 .

على ضدين فقط ، أحدهما بيت من الشعر ، والثاني
بآية من القرآن : قال الخيلولة للشك واليقين ،
قال أبو ذؤيب :

فبقيت بعدهم بعيش ناصب
وأخال اني لاحق مستتبغ

أي وأتيقن . والنسب المثل والضد
وفى القرآن : (وتجعلون لله اندادا) على
المعنيين . وواضح من هذه الخطة ان المؤلف لا يريد
الا ان يأتي ببعض الامثلة على الاضداد فى اللفظ ، اذ
هي فى رأيه « من سنن العرب المشهورة » كما قال
فى أول فصل الاضداد . فلاضداد عنده ليست
مسألة او مشكلة علمية تبحث ، بل مسألة فرغ
البحث منها ، فهو يشير اليها فقط ، ويمثل لها ..

ونستطيع ان ندخل من كتابه ثلاثة فصول
أخرى ، لان مؤلفي العرب القدامى اعتبروا امثالها
من الاضداد ، وهي « فصل فى المفعول يأتي بلفظ
الفاعل و « فصل فى الفاعل يأتي بلفظ المفعول (51) .
و « فصل فى المدح يراد به الذم فيجرب مجرى التهكم
والهزل » . ويحتوى الفصل الاول على سبع كلمات .
ودرج فيه على ذكر الكلمة فى عبارة ، ثم يفسرها باسم
المفعول . قال : « تقول العرب : سر كاتم : أي
مكتوم . ومكان عامر : أي معمور » . ولم يورد
الالفاظ الباقية فى عبارات ، بل فى آيات قرآنية ،
والاخيرة منها فى بيت من الشعر ، وفسرها كالكلمات
الاولى . قال : « وفى القرآن « لا عاصم اليوم من امر
الله) أي لا معصوم . وقال تعالى : (خلق من ماء
دافق) أي مدفوق . وقال : (عيشة راضية) أي
مرضية . وقال الله سبحانه : (حرما أمنا) أي
مأمونا . وقال جرير :

ان البلية من تمل كلامه
فانفع فؤادك من حديث الوامق

أي من حديث المومق » .

ويحتوي الفصل الثاني على لفظين ، ذكرهما
المؤلف فى آيتين ، وفسرهما باسم الفاعل قال :
قال تعالى : (انه كان وعده ماتيا) أي آتيا . وكما
قال جل جلاله : (حجابا مستورا) أي ساترا » .

وأسر ، التى أوردهما أبو عبيدة ، وتقدهما أبو حاتم ،
ونقل النقد ايضا ابن الانباري .

— * —

ادب الكتاب

وأفرد ابن قتيبة بابا صغيرا من ادب الكاتب ،
« للمتضادين باسم واحد » (49) اورد فيه 27 ضدا .
ونهج على ان يقدم اللفظ المراد ثم معنيه المتضادين .
واكتفى بذلك كثيرا ، وفى مرات أخرى اورد
شاهدا من الشعر ، وكثيرا ما اكتفى بشرط واحد من
الشاهد . ونسب فى احد الاضداد قولاً لابي عبيدة ،
وأخر للفراء . وأورد فى احد الاضداد ايضا قولاً
يبطل التضاد اخذه من أبي عبيد وان لم ينبه الى
ذلك ..

وامثل له بقوله : « الجون : الاسود ، وهو
الابيض ، قال الشاعر :

بيادر الجونة ان تفيبا

يعني الشمس .

والصريم الليل ، والصريم الصبح .

والسدفة الظلمة ، والسدفة الضوء ، وبعضهم
يجمل السدفة اختلاط الضوء والظلمة كوقت ما بين
طلوع الفجر الى الاسفار .

والجلل الشيء الكبير ، والجلل الشيء
الصغير » .

سر العربية

وأفرد الثعالبي فى كتابه « سر العربية فى
مجازي كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن
على اكثرها » فصلا خاصا بالاضداد ، سماه « فصل
فى تسمية المتضادين باسم واحد (50) » .

وهذا الفصل قصير جدا كبقية فصول الكتاب،
ويحتوي على ثمانية اضداد فحسب . نهج المؤلف فى
معالجتها ، على ان يذكر الكلمة ، ثم معنيها . قال
مثلا : « الجون للابيض والاسود ، والقروء للاطهار
والحيض ، والصريم لليل والصبح .. » واستشهد

(49) 177 - 181 .

(50) 5652 .

(51) 492 .

ويحتوي الفصل الثالث على أربع عبارات، تجري مجرى الاستهزاء في كتب الاضداد ، والاخيرتان منها آيتان قرآنيان . ولم يعلق المؤلف على الأقوال أو الآيات ، ولم يفسرهما لوضوح مقصده منها في عنوان الفصل . قال : « العرب تفعل ذلك (يريد الاستهزاء بالمتضاد) فتقول للرجل تستجهله : يا عاقل . وللمرأة تستجبها : يا قمر . وفي القرآن : (ذق انك انت العزيز الكريم) . وقال عز ذكره : (انك لانت الحليم الرشيد) » .

— * —

المخصص

وافرد ابن سيده في كتابه « المخصص » (52) بابا للاضداد سماه « كتاب الاضداد » . واعتبر ابن سيده هذا الباب كتابا بالفعل ، والاضداد مشكلة علمية جديرة بالبحث ، فصدر الباب بمقدمة في بحثها . وتناول في هذه المقدمة تقسيم الكلام الى مختلف ، ومترادف ومشارك وعمل كل قسم منها ووضع الاضداد في المشارك وبين أن اصل وجودها اللغات والمجاز ، ورد على منكرها كما رد على منكري الترادف . واقام كلامه هذا في المقدمة على ما قاله سيبويه في أول كتابه ، وشرح أبي علي الفارسي لهذه الأقوال .

وأورد ابن سيده في باب حوالى مئة ضد ، اعتمد في الشطر الاول منها على أبي عبيد ، وفي الثاني على ابن السكيت ، وأورد في الجزء الاخير منها اضمادا من مصادر متفرقة . ولذلك نرى الشطر الاول يسير متفقا مع ترتيب باب اضمادا الغريب المصنف اتفاقا تاما ، عدا مواضع متفرقة قليلة زاد فيها ابن سيده مادة من مصدر آخر ، أو اختل الترتيب فيها . ونرى الشطر الثاني يسير متفقا مع ترتيب كتاب ابن السكيت تماما ، مع حذف المواد التي سبق اقتباسها من أبي عبيد . إذا كان الاثنان اشتركا فيها .

وسار ابن سيده على النهج الذي سار عليه أبو عبيد إلا أنه مال الى الاختصار أكثر منه . وتمثل هذا

الاختصار في تغيير عبارته ، وبعبارة ابن السكيت ، بما يفظها ولا يخرجها عن معناها . نرى ذلك في قوله (53) : « يقال لقت الشيء المقه امقا : كتبه ، عقيلية ، ولقته محوته ، قيسية » .

ونرى ذلك في قوله (54) : « القوي : الذي لا زاد معه ولا مال له ، والقوي : المكثّر : يقال : اكثّر من (اتيان) فلان فانه مقو ، والقوي : الذي ظهره قوي » . وحذف في بعض المواضع عبارات ضرورية في المادة ، مثال ذلك قوله (55) « السدفة : اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت ما بين صلاة الفجر الى الاسفر » فاقصر على العبارة الاخيرة من قول أبي عبيد ، ولم يظهر وجه اعتباره مادة من الاضداد لما حذفه منها .

وتمثل الاختصار فيما حذفه من أشياء . فقد حذف أسماء الفويين الذين رووا الاضداد وذكرهم أبو عبيد وابن السكيت ، واكتفى بنسبتها الى أبي عبيد وابن السكيت . وكان أبو عبيد خاصة يحب أن يشير الى الاضداد التي اتفق فيها بعض الفويين ، فحذف ابن سيده كل ذلك . .

وحذف بعض الشواهد ايضا .

أما الشواهد التي ذكرها فحذف كثيرا من أسماء قائلها ، وكان أبو عبيد وابن السكيت يذكرهم . وآخر مظاهر الاختصار عدم تكريره اللفظ مع المعنيين المتضادين اكتفاء بذكره مرة واحدة في أول المادة ، في بعض الاضداد ، مثل : « شريت : بعث واشتريت ... دحت الشيء دوحا : جمعته وفرقته . .

ولكن - برغم ميله الى الاختصار - كان لا يحذف شرح الشاهد أو التعليق عليه ، كما نرى في شري ، وشعب ، وجون وخلوف والظن وغيرها . وكان في بعض المواضع يحذف الشاهد ويأتي بآخر بدلا منه ، كما فعل في « سواء » .

ويمتاز هذا الباب - الى جانب الاختصار - بما اتى به من اضمادا زائدة على ما في كتب ابن السكيت وأبي حاتم وابن الانباري . فقد رجع - للمرة

(52) 13 : 258 .

(53) 26 .

(54) 265 .

(55) 261 .

على متن الاضداد ، او هو بعبارة ادق ، فى مرحلة متوسطة بين باب الاضداد عند ابي عبيد وكتاب الصغاني من حيث تناول ، ولكنه يفوق باب ابي عبيد من حيث عدد الاضداد التى يحويها . وادق وصف له انه اعظم باب من مجموعة لغوية فى عدد الاضداد ، ومن احسنها دقة تناول . ولا يعيبه غير بعض ما اجراه من حذف شديد فى بعض الاضداد القليلة حتى جعلها غير واضحة ..

* — الزهر

وفى القرن العاشر الهجري افرد السيوطي فصلا من كتابه « الزهر » للاضداد ، وعنوانه « النوع السادس والعشرون : معرفة الاضداد » . وعالج السيوطي الاضداد علاج ابن سيده لها ، اى اعتبرها مشكلة لغوية تستحق البحث والنقاش . فقدم بين يدي فصله مقدمة تناولت تقسيم الكلام ، واقوال بعض اللغويين فى ذلك وفى الاضداد بنوع خاص ، والدفاع عنها ، والرد على منكريها . واقتبس اقواله هذه من علماء لم نرهم فى المخصص ، مثل الكيا ، وابن فارس والمبرد . ثم انتقل من هذه المقدمة الى الاضداد نفسها .

واعتمد السيوطي فى الجزء الاول من اضداده على ما رواه ابو عبيد فى الغريب المصنف ، كما فعل ابن سيده . ولكنه حين انتهى من اضداد ابي عبيد لم يقتبس اضداد ابن السكيت مثله بل تتبع الاضداد فى بعض المعاجم مثل جهمرة ابن دريد ، وديوان الادب للفارابي ، والصحاح للجوهري ، والجمل لابن فارس والقاموس للفيروزابادي ، وكتب الامالى والرسائل الخاصة مثل امالى القالي ، ومجاز الكلام وتصاريفه لشعرب ، وادب الكاتب لابن قتيبة ، ونوادير ابن الاعرابي والمقصود والمدود للاندلسي ، والمشاهدة للأزدي ، والانفال لابن القوطية . ويتضح من هذا ان السيوطي خالف القدماء فى المراجع التى اعتمد عليها . فقد كانوا يستقون من كتب الاضداد نفسها ، واستقى ابن سيده للمرة الاولى من بعض المعاجم . فلما جاء السيوطي اكثر من هذا الورد وتوسع فيه حتى صار الاصل عنده .

ونهج السيوطي لنفسه ان يذكر اللفظ ومعنييه المتضادين ، وقد يكرر اللفظ مع كل معنى . ولا يعنى الا بما تعلق بالاضداد نفسها ، اى يحذف

الاولى فى تاريخ الاضداد - الى معاجم اللغة الكبيرة، كجهمرة ابن دريد (دوح والعكوك وخفق وغيرها) والعين للخليل (الحصباء والزاهق) ورجع الى علماء لم يؤلفوا فى الاضداد ، ولكن التقطوا منها أشياء كابي حنيفة الدينوري ، الزاهق) او الفوا فيها ، ولكن روى عنهم اضدادا ليست فى كتبهم كابن السكيت (الحرج) . ولا يختلف علاجه لهذه الاضداد الزائدة عن علاجه لاضداد ابي عبيد وابن السكيت ، غير انه خصص لها الجزء الاخير من بابيه . وان تناصر منها شيء فى داخل كلامه المتببس عن ابي عبيد وابن السكيت ..

ولم يزد فى الاضداد وحدها ، بل زاد احيانا فى الشرح ، مثل ما فى (اودع) ، وحيانا بايراد بعض المشتقات التى لم يوردها سابقوه ، مثل ما فى (المسيح) ، وبعض الزيادات الاخرى التى نرى امثلتها فى نهل . وشرى ، ومثل ، وظن ، وسواء ، وخشب وغيرها . وكان فى بعض الاحيان او اكثرها ينسب هذه الزيادات الى اصحابها .

وفى آخر الباب جمع ابن سيده بعض الالفاظ ، وجعل عنوانها « ما هو فى طريق الضد » . وهو فصل شبيه بالقرب من الاضداد او ما يجري مجراها ، مما رايناه فى كتب الاضداد . واورد فيه بعض الالفاظ التى تختلف معانيها اختلافا يكاد يكون متضادا ، مثل قوله : « سنج عليه الشيء يسنج ستوحا : سهل ، وسنحت بالرجل : اخرجته » . وروى احد هذه الالفاظ عن ابن السكيت (وليست فى اضداده واحدها عن صاحب العين واحدها عن ابي زيد والخليل معا . ويحتوي الفصل على اربعة الفاظ فقط .

وخلاصة القول ان هذا الباب من المخصص جدير باسم « كتاب الاضداد » الذى اطلقه عليه مؤلفه فهو لا يقل عن الكتب المستقلة فى شيء - لا فى مقدمة تبحث المشكلة ، ولا عدد الاضداد او علاجها او شواهدا ، او ما الى ذلك . بل مائلها فى العناية بما يجري مجراها ايضا . ولكنه من الكتب التى تميل الى الاختصار ، فتركز اهتمامها بالاضداد ، وما يوضح تضادها من شواهد وعلاج ، فلا تكثر من الاستطراد وتناول الامور النحوية واللغوية والمعاني الاخرى للاضداد ، وما مائل ذلك من امور وجدناها فى بعض الكتب المستقلة . فهو فى مرحلة متوسطة بين هذه الكتب وبين كتاب الصغاني القاصر

وخلاصة القول في هذا الفصل انه يضارع
فصل ابن سيده ، ولا يقلل من شأنه الا استفناؤه
عن الشواهد ، فهو من هذه الناحية يوضع مع
كتاب الصغاني ، غير ان هذا يفوقه في الترتيب
والتنظيم وخلوه من التكرار .

— * —

((الخاتمة))

الاضداد ظاهرة غريبة .

فالذهن ينكرها للوهلة الاولى ، ويأبى ان يصدق
وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده . فالمنطق
العقلي يعرف الضدين بأنهما الامران اللذان لا يقعان
على شيء واحد ، وفي وقت واحد . ومن ثم كانت
الالفاظ الاضداد غريبة في ماهيتها . وعلى هذا
الاساس انكرها من انكرها . ولكن هذا الاساس لم
يمنع ان يؤمن بها جماعات من القدماء ، وقلنة من
المحدثين . وكانت الفئة الاخيرة - او افراد منها -
هي التي حاولت ان تعلل هذه الظاهرة القريبة
بالرجوع الى التفكير البشري في فطرته وسداجته ،
او بالتأمل في مراحل معينة من التاريخ البشري او
التاريخ العربي القديم .

ولعل ظاهرة لغوية اخرى بمثل سوء الفهم
الذي احيطت به ظاهرة الاضداد . فمنذ عهد مبكر ،
اختلف اللغويون فيها ، ولا زالوا مختلفين . فاذا تأملنا
ما دار بينهم من نقاش وجدنا الفاظهم وعباراتهم
تتنافر وتتصادم ، والمؤدى الاخير لما يقولون واحدا .
فهم يتجادون حول تصورين لا تصور واحد ، وفي
مجالين لا مجال واحد . ولو تحدثوا عن تصور واحد ،
وفي داخل مجال واحد ، لهدأ كثير من الخصومة ،
وبطل كثير من الأدلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المنكرون للاضداد ينظرون في مجال
ضيق لا يتجاوز اية لهجة قبلية على حدتها . ولما لم
يمشروا على ااضداد في داخل اللهجة الواحدة انكروا
الاضداد برمتها . وأبوا ان يسموا بالاضداد ما جاء
دالا على معان متضادة في لهجات قبلية مختلفة ، وان
ضمتها اللغة العربية بعد .

الشواهد ، والشروح ، والمشتقات وما اليها ، فلا
ذكر لها عنده ، الا في النادر جدا . فبابه من
« متون الاضداد » اي من نوع كتاب الصغاني . يقول
مثلا (56) : « اجعلب الرجل : اذا اضطجع ساقطا ،
واجعنت الأبل : اذا مضت جادة . وبعث الشيء :
اذا بعته من غيرك ، وبعته : اشتريته . وشريت :
بعث واشتريت . وشعبت الشيء : اصلحته ،
وشعبته : شققته ، وشعوب منه ، وهي المنية لانها
تفرق . والهاجد : المصلي بالليل . والهاجد :
النائم » .

ولجأ في الاضداد التي نقلها عن أبي عبيد الى
ترتيبها على قائلها . فقد نشر أبو عبيد ااضداد كل
لغوي نثرا دون ان يجمعها في موضع واحد ، فكانت
عنده مختاطة بما يروى لغيره فلما ادخلها السيوطي
في فصله ، فصل كل نوع على حدة ، وقدم ااضداد
أبي زيد ، فالاصمعي فأبي عبيدة فالكسائي فالاموي ،
فما رواه غير واحد ، فأضداد أبي عمرو ، فالاحمر .
وكان واجبا عليه تأخير الاضداد المهمة الى ما بعد
اضداد الاحمر . ومن الغريب ان « الاحمر » لا يرد
له ذكر في فصل الاضداد من كتاب الغريب المصنف
الموجود في ايدينا اليوم ، وربما سقط الاسم من
نسختنا وكان في نسخة السيوطي . اذ ان هناك
بعض الاختلاف بين النسختين ، فبينما تنسب
نسختنا : « شعب » للاصمعي ، ينسبها السيوطي
لابي زيد ، وسقط من نسختنا احد معنيي « اشكى »
المتضادين ، وهو موجود عند السيوطي .

ولكن السيوطي عندما ترك ااضداد أبي عبيد
اضطرب ، ولم يفلح في ترتيبها حتى على ترتيب
الكتب التي اخذ منها ، بل أورد ما وقع منها تحت
نظره ، ولو كان سبق ذكره . ولذلك تكررت عنده
بعض المواد مرتين وأكثر ، مثل « سوى » رواها عن
أبي عبيد - وابن دريد ، و « الفايبر » رواها عن ابن
دريد والجوهري ، و « نصل » عن الفارابي والجوهري ،
وغيرها . فبلغت الاضداد عنده قريبا من مئة
وعشرين ، وهي في الحقيقة اقل من ذلك كثيرا .

وختم السيوطي فصله بفائدة ذكر فيها اسماء
بعض من ألف في الاضداد ، ثم سرد اكثر مقدمة
كتاب الاضداد لابي بكر بن الانباري . .

وقصر المنكرون تصورهم على الالفاظ فى وضعها الاول. واصلنوا انهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب حين وضعوه دالا على معنيين متضادين. اما اذا كان الاستعمال او التبدلات اللغوية او التغيرات الصرفية قد ادت بعد ذلك الى ان تزول الفوارق بين بعض الالفاظ ذوات المعاني المتضادة ، فتبدو الآن فى صورة واحدة ، ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الاضداد عندهم .

ونستطيع ان نقول : ان كل لفظ توفر له سبب ما فادى به الى الدلالة على معنيين متضادين يابى المنكرون ان يسموه ضدا ، مهما كان هذا السبب : لهجات قبلية ، او حذفاً ، او تخفيفاً او ابدالاً ، او اعلالاً ، او مجازاً ، او تغاؤلاً وتظييراً ، او ما شاكل ذلك من امور . وانما الضد عندهم يجب الا يكون هناك سبب فى دلالة هذه ، بل وضع اصلا لها .

اما المؤيدون للاضداد فوسعوا نظرتهم ومجالهم . نظروا الى اللغة العربية فى شمولها وعمومها . فلفت نظرهم وجود هذه الفئة من الاضداد . ثم لم يعنوا بالبحث عن اسبابها او - ان شئنا الدقة - لم تهتمهم الاسباب - فقد عرفوا اسبابا الظاهرة . واصلن اكثرهم ان كثيرا من الاضداد آتية من اللهجات القبلية ، وكشفوا عن كثير من هذه الطائفة من الالفاظ . ولا خلاف بينهم وبين المنكرين غير انهم ارتضوا تسمية هذه الالفاظ القبلية بالاضداد ، ولم يرتضها الاخرون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظرتهم على الالفاظ عند وضعها الاول ، بل اغفلوا هذا الوضع عامدين اذ لا اهمية له عندهم . واصلنوا النظر فى الالفاظ العربية التى يسمعونها ، ويتحدثون بها ، ويدونون ما يدونون . فوجدوا فيها فئة من هذه الالفاظ ، التقطوها ومنحوها اسم الاضداد دون ان يابهاوا للاسباب التى ادت بها الى ذلك ، ودون ان ينكروا هذه الاسباب . بل لقد شارك بعضهم كقطرب فى الكشف عن بعضها كالتوسع وما شاكله ، لان وجود سبب للضاد لا يتنافى عندهم مع التسمية .

ولعل الاجابة عن الاسئلة التالية تزيل كل لبس امام المتنازعين :

1 - هل توجد فى العربية الفصحى التى نعرفها اليوم الفاظ ذوات صورة واحدة ، ومعنيين متضادين؟ اعتقد ان احدا لا يستطيع ان ينكر هذا الوجود .

2 - هل تعد هذه الالفاظ ظاهرة خاصة يجدر بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد ان احدا لا ينكر هذا ايضا . واصلنوا الى ذلك ان هذه الظاهرة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل توجد فى بعض اللغات السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفى بعض اللغات الاوربية كما كشف الاستاذ عبد الفتاح بدوي . واذن فوجود الاضداد ليس منقصة للفئة العربية ، كما ظن الشعوب قديما ، وكما يفهم من اقوال بعض المستشرقين حديثا ، مما كان واحدا من الدوافع - فى اعتقادي - التى حملت عبد الفتاح بدوي على المغالاة فى رفض الاضداد .

3 - هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟ اعتقد ان كل ظاهرة مهما كان شيوعها يجدر بها ان يكون لها اسم خاص . اما المؤيدون فقد سموها « الاضداد » ، فاذا كان المنكرون يجدون لها تسمية اكثر ملاءمة ، فاهلا بها .

4 - هل الاضداد بالشيوع الذى صوره القدماء ؟

واضح من الدراسة الماضية ان تصور الاضداد اختلف من وقت لآخر ، ومن رجل الى رجل ، فضايق حيناً واتسع آخر . فكان تصور الاضداد ضيق المجال ، باديء الامر عند المحدثين فيها دون ان يحاولوا لها جمعا او تدوينا . ولكن هذا التصور اتسع اتساعا غربيا عند اول مؤلف فى الاضداد : قطرب ، فشمّل شتاتا غربيا من الالفاظ ، مما يدل على ان قطربا لم يكن يحسن تصور الاضداد ، ولا احسن وضع الحواجز الفاصلة بينها وبين غيرها واضطر اكثر من جاء بعد قطرب الى تضيق المجال الذى وسعه ، ونفى كثير من الفئات والالفاظ التى ادخلها فى كتابه . فاخذ تصور الاضداد فى الوضوح ، وحدودها فى البروز . ثم اتسع المجال مرة اخرى عند ابن الانباري خاصة بما ادخل من انواع جديدة من الاضداد . واذن فالمجال كان متغيرا عند القدماء ، وما اظن الا انه كذلك عند المحدثين ، وان كان اضيق عندهم منه عند القدماء .

5 - هل تعد كل الانواع التى اتفق عليها القدماء من الاضداد ؟

اعتقد ان احدا لا يجادل فى ان ذلك مستحيل ، وان بعض ما عده القدماء من الاضداد لا يستحق هذه التسمية . واضرب امثلة لذلك بما يلي :

ج - ما وضع في الاضداد تعسفا او تكثرا ،
مثل الالفاظ التي تختلف معانيها دون ان تتضاد ،
والالفاظ التي تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من
ادوات كـرغب عن والى ، وانصرف عن والى ،
وغيرهما .

6 - ما السبيل الى معرفة اللفظ الجدير باسم
الضد ؟

اعتقد ان السبيل الوحيد الى ذلك هو المعنى
الذى يدل عليه اللفظ . وهنا احتريز فأقول المعنى
الحق للفظ . واعني بهذا الاحتراز امثال هذه الالفاظ
التي لم يحسن بعض اللغويين التنبيه الى معناها الحق ،
ونسبوا اليها معاني بدت متضادة . فالصرير هو
الوقت المنقطع ، اعني الوقت المنقطع من وقت آخر ،
كالليل ينقطع من النهار ، والنهار ينقطع من الليل ،
وليس الصرير الليل خاصة ولاالنهار خاصة . والدليل
الجلي على ذلك أصل اللفظ ، ومعناه ، فأصله
الصرم ومعناه القطع .

والسدفة ليست ظلمة حائكة ولا ضوءا مشرقا ،
بل هي الظلمة التي ينبعث فيها الضوء ، او الضوء
الذي تشوبه الظلمة ، هي اختلاط الظلمة بالضوء ،
سواء كان هذا عند دخول الليل او انبلاج الصباح .
وامثال ذلك كثيرة ، فطن اليها بعض القدماء
انفسهم ، كما فعلوا في المأثم والطرب وغيرهما .
وليست هذه الالفاظ من الاضداد في شيء .

واذن فما وجدنا معانيه تؤول الى معنى واحد
لا تضاد فيه يجب ان نخرجه من الاضداد . وما دل
من الالفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى خارجيا
او ذهنيا ، يجب ان نخرجه من الاضداد .

وانما يجب ان يكون الضد لفظا واحدا ، ذا
صورة واحدة ، ومعنيين متضادين حقا لم يمكن
الجمع بينهما . تلك هي الصورة الصحيحة
للأضداد ، وذلك هو السبيل القويم الى تطبيقها .

أ - ما اختلف في تفسيره من الآيات، والاشعار،
والاقوال . فالانفاق تام بين اللغويين انه لا يوجد
فيها لفظ ذو معنيين متضادين . وانما جاء التضاد من
اختلاف الناس في فهم هذه العبارات في مجموعها .
ومثال ذلك الآية التي اوردناها سابقا : (وقال رجل
مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) . فقد اختلف
المفسرون فيما يتعلق به الجار والمجرور (من آل
فرعون) . فذهب بعضهم الى انه متعلق بمحذوف
صفة لـ (رجل) ، فصار القائل عندهم رجلا مؤمنا ،
من اقرباء فرعون ، يكتم ايمانه عن الناس جميعا .
وذهب بعضهم الى انه متعلق بالفعل (يكتم) وان
الآية حدث فيها تقديم وتأخير ، وان الترتيب العادي
لها : قال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون ،
فصار القائل عندهم رجلا مؤمنا ، غير انه يخفي هذا
الايمان عن آل فرعون . وليس هذا وامثاله من
الاضداد في شيء .

ب - الفاظ وعبارات التفاؤل والتطير
والاستهزاء . فاننا يجب ان نعترف ان المتحدث قد
يتكلم على وقع ذهني ، يصدق احيانا على الواقع
الخارجي ولا يصدق اخرى . فالتحدث (المتفائل او
التطير) يكره الواقع الخارجي ، ويحاول ان يتجاهله ،
فيوفر لنفسه كل السبل التي تؤدي به الى نسيانه .
ومن اهمها عدم التحدث عنه او اعطائه اسما آخر
لا يدل عليه . واذن فالتفائل حين يسمي اللدوغ
سليما ، والمريض معافى ، لا يريد الصورة التي
يكرهها ، بل الصورة التي يحبها . فاللفظ اذن
مستعمل في معناه الاصلي ، وان كان لا يتفق مع
الواقع الخارجي . اضيف الى ذلك ان المتحدث
يريد ان يرسم في ذهن المستمع صورة متفائلة .
فاللفظ لا يدل الا على معناه الاصلي عند المتكلم
والمستمع كليهما ، وان كان معناه ذهنيا لا واقع له
في الخارج . لو لم يكن الامر كذلك ، لما كان هناك
تفاؤل او تطير او استهزاء . واذن ليس هذا
وامثاله من الاضداد في شيء .

« المراجع »

المطبوعة

- الاصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب : الأضداد ، طبع بيروت 1913 .
ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم : الأضداد ، طبع الكويت 1960 .
اشعالي : سر العربية في مجاري كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها ، طبع
المكتبة التجارية 1938 .
الخليل بن أحمد : العين ، مصور بمكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد ، وطبع الجزء الاول
منه ببغداد 1967 .
ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن : الجمهرة ، طبع حيدر اباد بالهند .
ابن الدهان . أبو محمد سعيد بن المبارك : الأضداد ، المطبعة الحيدرية بالنجف 1371 - 1952 في
نغاس المخطوطات .
الرازي ، أبو الحسن أحمد بن فارس : الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ،
طبع بيروت 1964 - 1383 .
السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد : الأضداد ، طبع بيروت 1913 .
سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان : الكتاب ، طبع بولاق 1316 .
ابن سيده : المخصص ، المجلد 13 ، طبع بولاق .
السيوطي : الزهر في علوم اللغة وأنواعها ، طبع دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .
الصفاني ، أبو الفضائل الحسن بن محمد : الأضداد ، طبع بيروت 1913 .
أبو الطيب اللغوي الحلبي عبد الواحد بن علي : الأضداد في كلام العرب ، طبع دمشق 1382 -
1963 .
عبد الفتاح بدوي : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أضداد (الطبعة العربية) .
ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري : أدب الكاتب ، ط الرابعة 1382 / 1963 .
قطرب ، أبو علي محمد بن المستنير : الأضداد ، في مجلة Islamic ، المجلد الخامس ، سنة 1931 ،
من ص 247 الى 293 .
المبرد : الكامل ، طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
منصور فهمي : الأضداد ، مجلة مجمع اللغة العربية (الملكي) ، الجزء الثاني ، صفر 1354 -
مايو 1935 .

المخطوطة

- أحمد بن أحمد بن اسماعيل الحلواني : الكاس المروق ، مخطوط بدار الكتب المصرية .
عبد الله بن محمد بن القاضي : منبه الرقاد في ذكر جملة من الأضداد ، مخطوط بدار الكتب
المصرية .
عبد الله بن نجا الأبياري : دورق الأنداد في نظم أسماء الأضداد ، مخطوط بدار الكتب المصرية .
أبو عبيد القاسم بن سلام : الفريب المصنف . مصور بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
محمد المدني : الأضداد . المكتبة السليمانية بالآستانة ، في مجموعة تحت رقم 1041 ، يبدأ
الكتاب من وجه ورقة 98 الى وجه ورقة 103 .

المراجع الأجنبية

Abel: Über den Gegensinn der Urworte, Leipzig 1884.

Giese: Untersuchungen über die Addad auf Grund von Stellen aus altarabischen Dichtern, Berlin 1894,

H. Hirschfeld: The Journal of Royal Asiatic Society, 1895.

• تعريف وتعليق على كتاب جيز السابق .

Landau: Die gegensinnigen Wörter im Alt—und Neuhebräischen, Berlin 1896.

Landberg, Le comte de: La langue arabe et ses dialectes, Leide 1905.

Leguest: Etudes sur les formations des racines sémitiques, Paris 1858.

Nöldeke: Wörter mit Gegensinn (Addad), Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910.

Th. M. Redslob: Die arabischen Wörter mit entgegengesetzten Bedeutungen, Göttingen 1873.

Weil: Addad, in Encyclopydia of Islam.

دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الإفريقية⁽¹⁾

إدريس الكتاني

الأستاذ بجامعة محمد الخامس (الرباط)

ان الدور الهام الذي لعبته اللغات في تاريخ الحضارات والفكر البشري ليس بالشيء المجهول الذي يحتاج الى توضيح جديد هنا ، واذا كانت الدول الكبرى خلال التاريخ ، وفي العالم المعاصر ، تهتم بتطوير ونشر لغاتها الوطنية ، فلتقديرها لهذا الدور ، وشعورها بأهميته البالغة في بنيانها الاجتماعي ، وعظمتها الدولية .

وتعتبر فرنسا من اشد الدول المعاصرة احساسا بهذا الدور ، ولذلك فهي تبذل في سبيل لغتها ما لا تبذله اية دولة اخرى .

منظمة اليونسكو تنصح الدول النامية باستعمال لغاتها الوطنية في التعليم

وفي تقرير اعدته لجنة من خبراء اليونسكو كلفت بدراسة مسألة الحفاظ على اللغات الوطنية للشعوب النامية ، وتطورها ، والتدابير التي يمكن اتخاذها لتعجيل باستعمالها في التعليم ، طبقا لرغبات هذه

ان اللغة ليست اداة تفاهم واتصال فقط ، ولكنها ايضا اداة للتفكير والتأمل . والانسان يفكر باللغة التي يتكلمها ، ويعيش تحت تأثير قيمها الثقافية والعلمية والدينية ، وباختصاصه واستيعابه لرموز لغته الوطنية ، وكنياتها ، واستعاراتها ، وايحاءاتها ، ودلالاتها الخاصة بالزمان والمكان ، يستطيع ان يدرك الحقائق العلمية ، والظواهر الاجتماعية ، ويتجاوب مع الناس والاحداث ، وينمي طاقاته العقلية والبدنية والانتاجية ، وذلك ببذل نفس الجهود المعتاد في البلدان المتقدمة .

لكن عندما يفرض على شعب متخلف استعمال لغة اجنبية عنه ، لاسباب استعمارية او سياسية او طبقية او مذهبية ، هل تستطيع اللغة الاجنبية ان تؤدي وظيفة اللغة الوطنية ، وان تصبح اداة سهلة لتحقيق الاهداف الوطنية ، وخاصة ما يتعلق بمحاربة الامية ، وايقاظ الوعي الوطني ، ونشر الثقافة والقيم الاخلاقية ؟ وهل سيكون بوسعها ان تساعد على تعميم التعليم ، وتحقيق تطور اقتصادي واجتماعي لمعوم المجتمع ؟

(1) « نشر هذا البحث أولا باللغتين الفرنسية والانجليزية بمجلة

« Cahiers Africains d'Administration Publique » التي يصدرها المركز الافريقي للتكوين والبحث الاداري للتنمية « CAFRAD » التابع للامم المتحدة بمدينة طنجة ، في عددها الخاص بتحضير المؤتمر الافريقي المنعقد بطنجة في 18 شتنبر 1972 لدراسة « مشاكل نمو الطاقات البشرية والتسيير في القطاع العام الافريقي » عدد 8 غشت 1972 . وقد تفضل السيد الاستاذ الكتاني باتحاف مجلتنا بهذا البحث القيم الذي نختصره للقراء .

مع مصلحته هو لا مصلحة البلد الافريقي الذي يعنيه الامر ، ونظرا لذلك فان الشخصية الوطنية لاغلب الدول الافريقية أصبحت هي نفسها من مخلفات الاستعمار ، فليس من المدهش اذن أن عددا قليلا جدا من هذه الدول هي التي استطاعت ان تبني لغة فصحي للتقنين (Langue véhiculaire) تكون في نفس الوقت « وطنية » و « افريقية » .

ان الاساتذة لسوو وكرايست ووليامس (Low, Grant et Williams) فضلا عما اكده من أن الاطفال الذين يدرسون بلغة تختلف عن لغة الامومة لا يتقدمون الا ببطء ، يعترفون بأن الانجليزية تعلم بطريقة سيئة جدا في افريقيا ، واغلب المعلمين في عدة نواح افريقية لم يتلقوا أي تكوين ، وخاصة في افريقيا الغربية ، وحسب تقرير بانجو Banjo سنة 1962 ، كان يوجد في نيجيريا الغربية 26 000 معلم من بين 40 000 لم يقع تكوينهم .

« وهذه الانتقادات تتوجه خاصة الى المدارس الابتدائية ، ومع ذلك فان التعليم الثانوي أيضا لا يقوم الا على اقلية من التلاميذ ، ويوشك الامر ، كما هو حاصل في الهند ، ان تنفصل النخبة عن الشعب ، بسبب استعمال اللغة الانجليزية » .

وبعد استقلال الدول الافريقية استعملت بعض اللغات الافريقية المحلية في نطاق معين ، في المستوى الابتدائي ، ولكن الانجليزية والفرنسية لم تلبثا ان دخلتا في سلك التعليم ، وغالبا في السنة الاولى من الثانوي ، وأصبحتا لغات فصحي .

وبلاحظ ان طانجانيقا هي احدي البلدان الافريقية النادرة - باستثناء الدول العربية الافريقية - التي لها لغة وطنية ، هي اللغة السواحلية . وقبل استقلال هذه البلاد في 2 دجنبر سنة 1961 ، عمل حزب الاتحاد الوطني الافريقي لطانجانيقا « Tanu » على تعليمها في مدارس وطنية خاصة تابعة له ، كما عمل على تعليمها للكبار في البلاد كلها ، ولم يتردد بعد استقلال البلاد في استعمالها كلفة رسمية في دوائر الحكومة والبرلمان والتعليم ، وشرع في ترجمة النصوص التشريعية الى هذه اللغة ، وفي سنة 1965 أصبحت اللغة السواحلية اجبارية في جميع المدارس الثانوية ، وفي سنة 1968 فقط نظم أول درس جامعي عن الادب السواحلي في تنزانيا .

الشعوب ، وعلى أساس التجارب المعروفة في البلدان الاخرى ، أكدت لجنة اليونسكو هذه انه لا يوجد أي عائق في نظام لغة ما يحول بينها وبين جعلها لغة حضارة حديثة ، وترى هذه اللجنة انه اذا كانت (اللغة الام) كفيلا بأن تكون لغة للتعليم الجامعي والتقني ، فانه يجب استعمالها لهذا الغرض ، وطلبت اللجنة أيضا من هيئة اليونسكو أن « تدرس » امكانيات تنسيق المصطلحات العلمية والفنية للغات العلمية ، وذلك لمساعدة اللغات النامية على ان تكون لها مصطلحاتها الخاصة ، وأن تتطابق في ذلك ، بقدر الامكان ، مع مصطلحات اللغات العالمية .

البنك الدولي للبناء والتنمية ينصح باستعمال اللغة الوطنية في التعليم

وهناك مؤسسة مالية دولية اخرى اتخذت موقفا من اللغات الاجنبية يتفق مع موقف اليونسكو ، ففي سنة 1963 طلبت الحكومة المغربية من البنك الدولي للبناء والتنمية القيام بدراسة عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب ، وفي التقرير الذي اعدته بمئة البنك ، بعد ان قضت في المغرب شهرا في الدراسة والبحث ، نصحت الحكومة المغربية ، ومن وجهة نظر اقتصادية بحث ، بأن تضع حدا لتعليم اللغة الفرنسية في المدارس الابتدائية توفيراً لـ 30 ٪ من وقت التلاميذ والمعلمين ، وتوفيراً لنحو 7 ملايين من الفرنك التي تنفق بدون طائل في هذا المجال ، وتخصيص هذا المبلغ الضخم في طبع الكتب ، واعداد الادوات المدرسية ، وتكوين المعلمين ، الى آخر ما جاء في التقرير من النصائح المتعلقة بتخطيط سياسة وطنية ملائمة لحاجاتنا ومصالحنا .

تجربة اللغة الاجنبية في شرق وغرب افريقيا

كانت اللغة الانجليزية حتى سنة 1963 هي اللغة الرسمية لدول افريقيا الشرقية الثلاث : طانجانيقا وكينيا واوغندا ، كما هي الحال في مستعمراتها الافريقية السابقة الاخرى ، ولكن هذا لا يعني أكثر من انها لغة نخبة تمثل نسبة ضئيلة من السكان ، لا يتجاوز مستواها بضعة اعوام في التعليم .

واكبر مشكلة واجهتها هذه البلدان بعد استقلالها السياسي هي ان الاسلوب التربوي عندها من وضع النظام الاستعماري الذي عمل على أن يتناسب ويتطور

هذه اللغة ، واذا كان الرئيس نيريري قد استطاع ترجمة « يوليوس قيصر » الى اللغة السواحلية فان هذه اللغة لا يمكن ان تكون صعبة للغاية - كما حاولت التايمس (Times) في ملحقها الادبي سنة 1967 اظهار ذلك - مثلما يقال بالنسبة للغات افريقية اخرى. وهناك عقبات كبرى وضعت لحذف اللغة الانجليزية او الفرنسية لفائدة لغات محلية ، وحتى لو لم تكن هذه شائعة كاللغة السواحلية .

ونشير اخيرا الى ان وجود لغة وطنية افريقية واسعة الانتشار ، كاللغة السواحلية كان له تأثير كبير على القادة الافارقة الذين كانوا بصدد انشاء منظمة سياسية قوية .

وتلعب اللغة السواحلية في اوغندا - التي استقلت سنة 1962 ، ويبلغ عدد سكانها 10 ملايين - دورا اقل أهمية من دورها في تنزانيا ، فحتى سنة 1963 كان في اوغندا عدد كبير من الاوغنديين يفهمون اللغة السواحلية في مستوى قضاء حاجاتهم من السوق ، كما ان عددا اقل من ذلك يتكلم هذه اللغة بسهولة ، مع العلم بانها تعلم في المدارس الاوغندية خلال فترة التقارب بين البلدين ، وقبل ان يقع التخلي عنها في سنوات 1930 . أما النقابات والاحزاب فكانت تستعمل الانجليزية في اجتماعاتها ، وترجم خطبها الى اللغة الاوغندية او السواحلية .

ويرجع ضعف اللغة السواحلية باوغندا لكون الطرق التجارية بها لم تكن قد تطورت بالقدر الذي حدث في طنجانيقا ، وهناك سبب آخر اكثر أهمية وهو وجود قبيلة كبيرة وقوية كانت تتمسك باستعمال لغتها .

وبالرغم من القرار الذي صادق عليه مجلس الشعب الاوغندي سنة 1962 بتقوية استعمال السواحلية لفائدة الوحدة بين الشعبين الاوغندي والتانزاني ، فان المسؤولين الاوغنديين ظلوا مستمرين في استعمال لهجات قبلية في برامجهم الاذاعية ، ولم يقتصروا على السواحلية .

وكان يبدو ان النخبة الاوغندية قد اختلفت فيما يرجع لمسألة اللغات ، واتضح هذا بمناسبة حوار جرى سنة 1962 حيث انتصر عدد من الشخصيات السامية (ثلاثة منهم اصبحوا وزراء بعد ذلك) لفائدة اللغة السواحلية ، وعلل أحدهم وهو نكوبي موقفه بأنه استحال عليه مدة عشرين عاما القاء خطب بالانجليزية امام الجماهير الشعبية ، بينما عارض سروانو الذي

ولم تصل سنة 1970 حتى فرض على جميع التلاميذ ان يجتازوا امتحانا في هذه اللغة في مستوى البكالوريا . « مع العلم بأن تعليما متقدما باللغة الانجليزية لا يزال مفروضا في السنة الاولى من التعليم الثانوي ، ويتمنى في بعض الاوساط ان تصبح التربية الوطنية كلها بما فيها التعليم الجامعي باللغة السواحلية ، ومع ذلك فان اعداد المواد البيداغوجية قلما يتجاوز مستوى المدارس الابتدائية » .

وفي سنة 1970 ايضا اعتبرت اللغة السواحلية الوحيدة التي يمكن لمرشحي الاتحاد الوطني الافريقي استعمالها اثناء حملتهم الانتخابية ، وفلا فقد صرح نائب رئيس الجمهورية رشيد كاواوا قائلا : « اذا كان السكان لا يعرفون اللغة السواحلية فان جميع المرشحين يجب ان يكونوا مصحوبين بمرجم » ، وعندما أصدر كاواوا الأمر لجميع الادارات الرسمية ، والى لجان الاتحاد ، سواء على المستوى الاقليمي او في المقاطعات ، باستعمال اللغة السواحلية كلفة تعبير ادارية قدم ، بصفة خاصة ، الملاحظات التالية : « ان اكبر جزء من الاوراق المستعملة لا تزال حتى الآن مطبوعة بالانجليزية مع اننا نعلم جيدا ان اغلبيّة الذين يعنيههم الامر لا يعرفون هذه اللغة ، انها اهانة موجهة الى الامة » .

وفضلا عن ذلك فقد قام الرئيس نيريري بترجمة يوليوس قيصر (Jules César) لشكسيير الى اللغة السواحلية ، وهو الذي قال : « في خلال ثماني سنوات لم التجيء لمرجم الا مرة واحدة » .

وقد اكتسبت اللغة السواحلية اهميتها من عدة عوامل ، فهي منتشرة في جزء كبير من افريقيا الشرقية ، وخاصة في الكونغو الشرقي واوغندا الجنوبية وهي ايضا منتشرة في كينيا ، فضلا عن انها أصبحت اللغة الرسمية في تنزانيا ، وهي لغة تعبير عن جميع الاشياء والافكار ، وبفضلها استطاع موظفو الاتحاد الوطني الافريقي لطنجانيقا ان يتصلوا بالقاعدة الشعبية ، وان يقوموا بنشاطهم في الاقاليم التي لا تكاد تعرف . يضاف الى ذلك ان اللغة السواحلية كانت دائما مقوما اساسيا للشخصية الوطنية لطنجانيقا ، واحدى خصائصها العميقة .

ومن المفيد ان نشير الى ان اللغة السواحلية ، حسب جميع القواعد ، بعيدة من ان تعتبر لغة «بدائية» ذلك ان ادبها الحي الشعري يرجع الى القرن السابع عشر ، ومن اجله وقع استعمال الكتابة العربية ، ولم يقتصر الامر على الكتابة ، فقد كانت تعرف ايضا من

السواحلية ، بأن حوالي نصف السكان يفهمون اللغة السواحلية .

ومن الجدير بالملاحظة ، كمثل على صعوبة اختيار لغة وطنية ، أنه يوجد بكنيا 42 جماعة قبلية لعدد من السكان يبلغ أحد عشر مليونا ، ولا يتجاوز عدد أكبر جماعة منها وهي كيكويو مليونا ونصف مليون ، ومن الوجهة القبلية تعتبر السواحلية الآخذة في الانتشار بكنيا لغة « محايدة » ، لها حظوظ لتصبح لغة وطنية ، ولكن الإنجليزية حتى الآن لا تزال هي اللغة الرسمية والتربوية .

والارقام المنشورة في الجدول التالي عن اللغات المستعملة في صحف الدول الثلاث تؤكد أن السواحلية هي اللغة الوطنية لطنجانيقا ، وانها لغة مهمة في كينيا ، كما انها تستعمل الى حد ما في أوغندا . وهذا التشابه اللغوي بين كينيا وطنجانيقا يوضح الفكرة التي أعلنها سنة 1963 عدد كبير من السياسيين ، والتي تؤكد ان الروابط بين الكينيين والطنجانيقيين أقوى منها بينهما وبين الاوغنديين .

أصبح فيما بعد الرئيس المساعد للمجلس ، وندوب الذي أصبح نائب رئيس الدولة ، بصراحة في استعمال السواحلية .

وأخيرا ، في سنة 1963 قرر الوزير الاول ميلتون أوبوت الاستعمال العال للغة السواحلية ، ولكن رئيس U.P.C. جوهن بابيها لم يكن متحمسا ، بينما أكد وكيل الدولة بأن الاوغنديين لن يقبلوا أبدا اللغة السواحلية .

فاذا انتقلنا الى كينيا ، وهي الدولة المجاورة لكل من أوغندا وطنجانيقا على ساحل المحيط الهندي ، والتي نالت استقلالها سنة 1963 ، فنسجد انها تتوفر على سكان يتكلمون سواحلية « أهلية » في الساحل ، كما كانت صورة مشوهة منها تستعمل منذ زمن طويل بين أصحاب الاعمال وعمالهم ، وهكذا قاومت اللغة السواحلية الجهود التي بذلها النظام الاستعماري لازالتها .

وقد أكد وزير الانباء الكيني السابق السيد اشيانك أونيكو سنة 1963 ، وهو من أكبر انصار

نسبة الصحف المنشورة بمختلف اللغات سنة 1962

لغات محلية	الانجليزية	السواحلية		
—	30	70	صحف يومية	طنجانيقا
2	26	72	صحف شهرية	
—	64	36	صحف يومية	كينيا
13	41	46	صحف شهرية	
51	49	—	صحف يومية	أوغندا
93	7	—	صحف شهرية	

لقد حصلت مدغشقر ، البالغ عدد سكانها 6.750.000 ، على استقلالها سنة 1960 ، ومن الجدير بالملاحظة ان طلبة الجامعة وتلاميذ التعليم الثانوي الذين قاموا باضرابات ابريل وماي 1972 التي شارك فيها السكان ، وهزت كيان الدولة ، وارغمت رئيس الجمهورية على تسليم سلطاته للجيش ، هؤلاء الطلبة يمثلون الجيل الذي بدأ تعليمه في المدرسة الملغاشية المتفرنسة في عهد الاستقلال . وهذا

تجربة اللغة الأجنبية في مدغشقر

واذا كانت مشكلة اللغة الأجنبية لا تبرز للعيان بحدة في كثير من الدول الأفريقية ، فلأنها غالبا ما تختفي خلف مشاكل التعليم التي تلتحم بها ، وهذه المشاكل نفسها كثيرا ما تندمج في اطار المطالب الوطنية والسياسية العامة التي تبناها المعارضة ، وتواجه بها الحكم القائم .

فهذا أولا وبالذات ، أن التعليم القائم ليس وطنيا طالما انه لا يعتمد على اللغة الوطنية التي هي شرط أساسي في نظرهم ليصبح التعليم عاما ، وديمقراطيا ، وفي خدمة المصالح القومية العليا للشعب كله ، ويتخصص من التبعية والسيطرة والتوجيه الاجنبي ، ذلك التوجيه الذي يحصر هدفه في تكوين عدد محدود من الاطر التي تحتاج اليها ادارة الدولة فقط .

تجربة اللغة الاجنبية في الجزائر

وفي اطار النظام الاستعماري الذي عرفته الجزائر من 1830 الى 1962 ، والذي فقد معه الشعب الجزائري ارضه وسيادته وجميع ثرواته الوطنية ، جاءت اللغة الفرنسية الاجنبية لتحل محل اللغة الوطنية في الادارة والتعليم والحياة اليومية ، ولتلبس الشعب الجزائري ثقافته العربية الاسلامية ، وشخصيته القومية ، حتى تسهل عملية ادماجه النهائي في الامبراطورية الفرنسية .

وفي سنة 1938 ، اي قبل الحرب العالمية الثانية ، وبعد مرور اكثر من مائة عام على هذا النظام ، كان يعتقد ان عملية الادماج هذه قد نجحت نهائيا ، عندما كتب زعيم وطني جزائري ، عضو في البرلمان الفرنسي يومئذ ، يتساءل بحسن نية : هل توجد حقاقمة جزائرية ؟ .

وبعد اعلان حرب التحرير الجزائرية سنة 1954 من طرف الشعب الابي ، اكتشف هذا الزعيم فجأة ظهور هذه الامة التي كان يبحث عن لفتها وثقافتها وشخصيتها الوطنية دون جدوى ، فارتدى بين احضان الثورة ليصبح اول رئيس للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

وفي سنة 1962 كان اول عمل للجمهورية الجزائرية المستقلة هو استعادة سيادتها المطلقة والكاملة على الارض والثروات الوطنية الجزائرية ، اما العمل الثاني الذي شرعت فيه فور انتهائها من المرحلة الاولى فهو استعادة اللغة والثقافة الوطنية ولم تكن هذه القضية تحتل اية مناقشة ، رغم الصعوبات التي كانت تكتنف تطبيقها ، ذلك ان كل تطور ونمو للشخصية الجزائرية ، وكل تعليم ، وكل ثقافة وطنية ، يستحيل قيامها بغير اللغة العربية ، لغة المدرسة الحرة الاسلامية الجزائرية ، باعثة النهضة ، وشعلة الثورة ، ولغة تحرير الانسان الجزائري من العبودية والجهل والاستغلال .

يعني ان هذا الجيل لم يندمج اجتماعيا ونفسيا وتربويا في هذه المدرسة الاجنبية ، ولم تتكامل شخصيته الوطنية بواسطة لغتها ومناهجها واطرها الاجنبية ، وعندما شعر بانها لن تحقق اهدافه ومطامحه في التطور والتقدم ثار ضدها ، ووجد تجاوبا كاملا مع جميع المنظمات الملتفافية التي تطالب معه بتعليم وطني كشرط اساسي لاصلاح التعليم .

وفي وصف هذه الحالة عقب الاضرابات المذكورة يقول مراسل جريدة « لومند » الباريسية : « كانت مطالب الطلبة ذات اهمية ، ولكنها لا تخرج عن النطاق الطلابي ، ورغم ذلك فان الرئيس سير انانا قد وصل الى حد اغلاق الجامعة في شهر مارس 1971 بعدما طالبت الجمعيات بتعليم وطني ، وتخفيف برامج الدراسات والامتحانات ، وقد اصبحت المساعدات الثقافية الفرنسية بكاملها معرضة للنقصد من طرف المنظمات التي تدين التبعية الثقافية .

وبعد ان استعرض المراسل المذكور العوامل السياسية الاخرى التي تدعو اغلبية الشبان لاستنكار نظام الحكم الذي يعتبرونه شديد الارتباط بالاستعمار السابق ، اشار الى ان هذا لم يبد في الشعارات التي حملها الطلبة المتظاهرون يوم 24 ابريل الماضي حيث اكتفوا بشعارات كهذه : « معاهدات التعاون معاهدات استعباد » الفرنسية لغة الاستعباد .

وقد جاء في تصريح ادلى به لجريدة « لومند » ريموند وليام ريمنتجرا عضو الحركة الجمهورية الملتفافية الحرة ، بعد ان تولى الجيش جميع السلطات ، حول مستقبل هذه الجمهورية ما يلي : « اما فيما يتعلق بمصير اللغة والثقافة الفرنسية فان للملتفانيين كامل الحق في الدفاع عن لغتهم الاصلية ، وعن التراث الروحي والثقافي لاجدادهم ، ولكن من الواجب عليهم ايضا بالنظر للحاضر والمستقبل ، ان لا يعزلوا عن الفكر العالمي ، وداخل هذا النطاق ، سوف لا نفرط في كل ما هو فرنسي » .

هذا هو الموقف الصريح والعلني من قضية اللغة الاجنبية في بلد افريقي نام ، كان لا بد ان تمر اثنتا عشرة سنة على استقلاله قبل ان يلاحظ شعبه انعكاسات هذه التجربة المرة على حياته الاقتصادية والاجتماعية والقومية ، ويعلن سخطة وثورته ضدها .

ومن الجدير بالذكر انه عندما يطالب الطلبة في مدغشقر ، او في اي بلد افريقي آخر بتعليم وطني ،

لقد استفادت الجزائر منذ استقلالها سنة 1962 من تجربة المغرب السابقة في سياسة التعليم والتعريب منذ استقلاله سنة 1956 ، واستطاعت بفضل وضوح رؤيتها ، وبعد نظرها ، وعمق تجربتها ومحتتها في عهد الاحتلال ، ان تتجنب الاخطاء التي وقع فيها غيرها ، وان تقرر جعل اللغة العربية اداة علم وعمل في جميع قطاعات النشاط الوطني ، وادخالها الى الميادين العلمية والثقافية ، وخلق مدرسة جزائرية ذات صبغة قومية .

وقد تحدث الرئيس الجزائري هواري بومدين يوم 28 ابريل 1970 امام اللجنة الوطنية لاصلاح التعليم عن التعريب بوصفه اختيارا اساسيا لا رجوع فيه ، فاكد بانه مطلب وطني ، وهدف من الاهداف الكبرى بالنسبة للجماهير ، وقال : انه توجد بالجزائر نخبة وشعب وفي مثل هذه الحالة يجب على النخبة ان ترجع للشعب خاصة بالنسبة لهذا الموضوع ، لان الشعب هو الذي احتضن عبر القرون كل ما يمثل عنصرا اساسيا لما نسميه اليوم « بمقومات الشخصية الوطنية » .

وبهذا القرار التاريخي الحاسم ، فتحت الجزائر الباب على مصراعيه لتطبيق مبدأ تعميم التعليم ، ودمقراطيته ، ومحاربة الامية ، وتكويين الاطر الوطنية ، وخلق الوعي لدى الجماهير الشعبية بأهمية التدابير المتخذة في سياسة التصنيع ، والتطور الاقتصادي ، والاجتماعي ، والاصلاح الزراعي .

تجربة اللغة الاجنبية في المغرب

ومنذ استقلال المغرب سنة 1956 حتى اليوم، لم يحدث ان اجمعت الاحزاب الوطنية ، والنقابات العمالية ، واتحادات الطلاب ، والنقابات العمالية ، واتحادات الطلاب ، والمؤسسات العلمية والثقافية والدينية على مبدأ وطني مثل اجماعها على ضرورة استعمال اللغة العربية في التعليم والادارة والحياة اليومية بدل اللغة الفرنسية التي فرضتها الحماية في عهدها السابق .

ففي 13 ابريل 1964 قامت وزارة التعليم بتجربة عندما نظمت مناظرة وطنية كبرى حول التعليم دعت لها 400 شخص يمثلون جميع المؤسسات الحكومية والشعبية لوضع سياسة وطنية قسارة

للتعليم ، وكانت نقطة الصراع الوحيدة والمغطاة بمشاكل التعليم ، هي التي جاءت في هذه التوصية التي كانت محل اجماع أعضاء المناظرة ، وانتصر فيها ممثلو المؤسسات الوطنية الشعبية انتصارا ساحقا :

« لفة التعليم هي اللغة العربية في جميع المراحل الدراسية ، ويشرع في تعليم اللغات الاجنبية ابتداء من الطور الثانوي » .

وبعد مصادقة الجمع العام للمناظرة (400 ممثل) على هذه التوصية الصادرة عن « لجنة السياسة العامة للتعليم » تمكنت اللجان العشر الاخرى - بعد اسبوعين من العمل الجاد ليلا ونهارا - من اصدار توصياتها المتعلقة بالسياسة الوطنية العامة للتعليم .

وقد انعقدت مناظرة اخرى في افران للبحث عن اسباب الاضرابات ومحاولة ايجاد حل لها واصدر المثقفون المغاربة بيانا تاريخيا وقعته 500 مسن الشخصيات المغربية في طليعتهم كبار العلماء ، وقادة الاحزاب الوطنية ، ونقابات العمال ، واتحادات الطلاب والاساتذة والمثقفون .

ومما جاء في هذا البيان ان الشعب المغربي لا يريد بعد تحرره واستقلاله ان يظل مربوطا بعجلة اية دولة اجنبية ، ويظل فكره القومي محتكرا للفتها ، وانما يريد ان يستوعب الحضارة الانسانية العالمية بمختلف لغاتها الحية ، وعن طريق التبادل الثقافي والعملي والصناعي ، دون ان يتخلى قيد انملة عن لغته العربية ، كلفة رسمية حية ، في التعليم والادارة والعمل اليومي ، فان علماء المغرب ومثقفيه ، ورجال الفكر والاصلاح فيه ، يرون من واجبههم القومي والديني بمناسبة الحوار المفتوح حول سياسة التعليم ومستقبله في المغرب :

اولا - ان يجددوا نصحهم وتحذيرهم من اية سياسة لم تحقق غير المزيد من فرنسة الاجيال المغربية الناشئة ، وفرنسة لفة التخاطب العامية ، وترشيح فرنسة الادارة والمصالح العمومية والخصوصية بالمغرب المستقل ، مما يهدد وحدة وكيان ومستقبل الشعب المغربي ، ويعرقل تقدمه وازدهاره وامنه الفكري .

ثانيا - ان يذكروا بان التعريب الكامل العام ، في التعليم والادارة والعمل والشارع هو مطلب قومي

معرفة ، وليس نتيجة لفته ، أما دعوى عزل الشعب عن تيارات الحضارة العالمية ، فهي مجرد خداع وتضليل للرأي العام الوطني .

3 - ان السكان يتسابقون ، حسب زعم هؤلاء ايضا ، لتسجيل ابنائهم في مدارس البعثات الاجنبية ، حرصا منهم على ان يتعلموا بلغتها ، والحقيقة هي ان طبقة من السكان المترفين اذا كانت تفر من مدارس الدولة الرسمية - وهذا لا يشرف انة حكومة بهذا الوضع - فليس ذلك لتعلقها اكثر باللغة الاجنبية ، ولكن لانها تخشى المصير التمس الذي ينتظر أبناء الشعب الذين يغادرون المدرسة دون ان يحصلوا حتى على شهادة الثانوية العامة .

4 - ان استعمال اللغة الاجنبية أصبح مرتبطا بالمصالح الاقتصادية والشفافية والسياسية للدولة صاحبة هذه اللغة ، وبمساعدهاتها المختلفة للدولة التي تستعمل لغتها ، ومن شأن التحول الى اللغة الوطنية ، حسبما يعتقد هؤلاء ، ان يسبب الى علاقات الدولتين ، والى مصالح المنتفعين فيهما ، وليس من شأن دولة غير ثورية ان تقوم على مثل هذه الخطوة الجريئة .

5 - ان استعمال اللغة الاجنبية قد يكون - فضلا عن الاسباب السابقة - لمجرد الحاجة ، لان الدولة المعنية لا تملك لغة علمية مكتوبة ، او بسبب الضغط الاستعماري المتواصل ، او فقط عبارة عن اختيار سياسي لتحقيق اهداف سياسة معينة ، فلما يقع الانتباه لها . او لان النخبة الحاكمة لا تزال تشعر بالنقص تجاه المستعمر القديم وتجاه لغته ، فهي لا تجرؤ على المس بالمؤسسات التي خلفها ، وكثيرا ما تجتمع اغلب هذه العوامل في البلد الواحد .

هذه ، على الاقل ، خلاصة الاسباب التي تجعل اغلبيه الدول الافريقية تتبنى اللغات الاجنبية ، دون ادراك واع منها بان هذا التبنى يشكل عقبة كبرى في طريق نمو شعوبها ، وتقدمها ، واستقلال طاقاتها البشرية .

الافارقة سينتخلصون عاجلا او آجلا من اللغات الاجنبية :

وهناك شعور متزايد لدى الرأي العام ، ولدى المؤسسات الوطنية في الاقطار الافريقية بان الدول الغريبة المستعمرة السابقة لها ، كانت تهتم بنشر

اجمعت عليه الامة منذ الاستقلال ، وهو لا يتعارض بحال من الاحوال مع دراسة اللغات الاجنبية الحية كلفات ، ولا يتناقض مع رغبتنا جميعا في التفتح على حضارة القرن العشرين ، وانما يؤكد فقط رغبة الشعب المغربي في المحافظة على مقومات شخصيته الوطنية ، ومن المعلوم انه لا يمكن لهذه الشخصية ان تنمو وتزدهر الا في اطار اللغة القومية ، ولا يمكن للتعليم ان يصبح شعبيا وديمقراطيا ومزدهرا الا باللغة القومية .

ثالثا - ان ينهوا الى التجني الذي يرتكب في حق اللغة العربية عندما يراد ربطها بالوضع الذي يوجد عليه العالم العربي اليوم ، وبالنقص السذي يلاحظ في المصطلحات العلمية الحديثة ، مع انه لا ينكر احد ان اللغة العربية كانت هي اللغة العلمية العالمية الوحيدة في العصور الاسلامية الزاهرة (القرون الوسطى في اوربا) ، وان خلفها اليوم في ميدان المصطلحات الحديثة لا يرجع لعجزها هي ، بل لجمود المجتمعات العربية التي عليها ان تقوم بسد هذا النقص في الميدان اللغوي ، في نفس الوقت الذي تعمل فيه على سد نقصها في الميادين العلمية والصناعية ، ذلك ان اللغة العربية ، ككل اللغات الحية ، لا يمكن ان تتطور وتتقدم بمعزل عن الحياة والعلم والمجتمع ، وابعادها عن ان تكون لغة التعليم والادارة والعمل ، هي الطريق المفضية بها الى الموت البطيء ، لا الى الحياة الخالدة .

اسباب المحافظة على اللغات الاجنبية بافريقيا :

1 - ان اغلب المسؤولين والمشرفين على سياسة التخطيط يجهلون هم انفسهم لغتهم الوطنية ، لانهم تعلموا باللغة الاجنبية التي لا يزال نفوذها مستمرا بالرغم عن استقلال بلدانهم ، وحيث انهم عاشوا في هذا الوضع ، واندمجوا فيه اداريا فهم يخشون اي تغيير قد يمس مصالحهم بسوء .

2 - ان عودة اللغة الوطنية لاحتلال مركزها الطبيعي كلفة رسمية للدولة سيؤدي حسبما يزعمه هؤلاء الى خلل في سير الادارة ، والى انخفاض المستوى في التعليم والتكوين ، والى عزل الشعب عن تيارات حضارة القرن العشرين . والواقع ان الخلل الاداري ، وانخفاض المستوى ، هما بعض ما تعانيه هذه البلدان ، بالرغم عن استعمال اللغة الاجنبية ، لانها نتيجة لسلوك الرجل ومستوى

لغاتنا في هذه البلدان ، أكثر مما تهتم بتطورها أو نشر التعليم فيها ، وهذا الشعور تؤكد حتى اليوم الدراسات والمجلات التي تعني بهذا الموضوع .

ان تجارب الشعوب الافريقية مع اللغات الاجنبية اكدت بأن تبني هذه اللغة أو تلك من طرف نخبة قليلة من شعب افريقي لا يعني حصول هذا الشعب على تقدم أو تطور بفضلها ، فالشعب الجزائري ، مثلا ، الذي استمرت عملية فرنسته خلال 132 سنة من الاستعمار ، كان قد وصل أقصى درجة من الفقر والجهل والانحطاط قبل قيام ثورته المعجزة سنة 1954 ، وتجربة الشعوب الافريقية بعد الاستقلال ، سواء منها التي ورثت اللغة الانجليزية أو الفرنسية ، جعلتها تزداد اقتناعا بأن استعمال هذه اللغات لن يحل مشاكلها ، بل ربما خلق مشاكل جديدة لم تكن في الحسبان ، ولذلك فان الشعور الوطني العام يسير نحو التخلص من هذه اللغات التي اقترن تاريخها بالعبودية والاستغلال الاقتصادي .

ان هذا الاتجاه قد أدركه بذكاء المفتش العام للتعليم في فرنسا طابو « R. Thabault » الذي كان آخر مدير للتعليم في المغرب عندما قال : « .. كيفما كان سبب تبني الافارقة للفرنسية ، سواء كان اختيارا ، أو مجاملة ، أو مصلحة ، أو ضرورة ، فان هذا لا ينبغي أن يحجب عنا حقيقة تكاد تكون مجهولة في فرنسا ، وهي انه مهما كانت الصعوبات وعدم الملاءمة مع المشروعات ، فان الافارقة لهم رغبة جامحة في أن تكون لهم لغة خاصة بهم ، لغة افريقية مشتركة تعوض الفرنسية ، وفي الحقيقة فان التحول الى الاستقلال قلل من حدة هذه المشكلة ، بيد ان الجذور الاحساسية والعاطفية لهذه الرغبة عميقة جدا ، وتوشك المشكلة أن توضع بقوة من جديد في المستقبل » .

ونفس الفكرة عبر عنها بيير بورني (Pierre Burney) بالنسبة لدول المغرب العربي عندما قال : « كيفما كانت الاسباب التي حددت اختيار الفرنسية كلفة ثانية ، سواء التقاليد ، أو السهولة ، أو المصلحة ، أو المجاملة ، فان تعريبا تدريجيا للتعليم سيتم حتما » .

وقد لاحظ نفس الاتجاه في افريقيا الجنوبية الاساتذة لوكرانت ووليامس السابق ذكرهم قائلين : « .. ومع ذلك فانه يلاحظ في افريقيا الجنوبية انه يقع الالحاح بقوة على التعليم باللغة المحلية أكثر من

الانجليزية ، وهذا يعني ان التربية البانتوية (لغة البانتو) لا تعني فقط تلقين مواد ولكن أيضا وجود لغة معبرة » .

وعندما انعقد الملتقى الجامعي الاول حول الوحدة الافريقية بالجزائر في نهاية مارس 1971 ، اكد ما سجله الجميع على البيئة التربوية القائمة في القارة الافريقية المستقلة ، التي تتميز بظاهرة الاستلاب الثقافي ، أو التبعية الثقافية . وهذه التبعية جعلت أغلب المثقفين الافارقة لا يقدرون ثقافتهم الوطنية ، ولا يشعرون بالدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الثقافة ، وانزالهم عن شعورهم لم يكن نتيجة لأفكارهم الجديدة فقط ، بل لانهم أيضا أصبحوا يتحدثون بلغة تختلف عن لغة شعوبهم » .

هذا الموقف الافريقي من اللغات الاجنبية الذي أدركه بوعي وتجربة خبراء اجانب في شؤون التعليم واللغات بافريقيا كالأستاذين طابو وبورني في سنة 1962 ، جاءت اضرابات الطلبة والتلاميذ لتؤكد بقوة في شعاراتها ضد التبعية الثقافية وسيطرة اللغة الفرنسية ، بينما غاب هذا الإدراك عن بعض السياسيين والمسؤولين الافارقة أنفسهم .

خـ لـ اـ صـ لـ ة :

ان تعلم اللغات الاجنبية وخاصة الانجليزية والفرنسية بالنسبة للطبقة الاجتماعية المتعلقة بالقارة الافريقية ، هو مطمح كل متعلم دون جدال ، ووسيلة ضرورية لاغناء الثقافات الوطنية ، وتكوين الاطر العلمية والتقنية الوطنية في سائر المجالات ، وتيسير التبادل العلمي والثقافي مع شعوب العالم المتقدم ، هذه هي الحقيقة الاولى التي لا يجادل فيها احد .

ولكن اسلوب التعليم الذي فرضه الاستعمار الغربي على شعوب القارة ، كان يهدف بالدرجة الاولى الى نشر لغة الدولة المحتلة ، وفرضها كلفة رسمية في الادارة والتعليم ، وقد تبين لهذه الشعوب ، بعد التجربة المرة ، انه اسلوب خطير ، وان أقل اخطاره القضاء على الشخصية الوطنية ، وعلى الثقافة والقيم التاريخية والدينية ، وعرقلة كل تقدم وازدهار حقيقي للشعب ، واخضاعه باستمرار لتبعية الدولة التي يفكر ويتكلم بلغتها ، وهذه هي الحقيقة الثانية التي بدأت هذه الشعوب تدركها .

ومن خلال التجارب الافريقية اتسعت المعرفة، وازداد اليقين بحقيقة علمية ، وهي ان الاطفال الذين يدرسون بلغة أجنبية ، تختلف عن لغة الامومة - وخاصة اصحاب الذكاء العادي وهم الاغلبية الساحقة - لا يتقدمون فى دراساتهم الا ببطء ويشتد هذا البطء اذا فرض عليهم التعلم باللغة الأجنبية ، وباللغة الفصحى الام للغة الامومة ، او بلفتين أجنبيتين عن لغة الامومة وهذه هي الحقيقة الثالثة .

وقد برهنت الحركات التقدمية او الثورية التي تفلطت فى القارة الافريقية على ان دوافعها الاساسية لا تخرج عن النطاق الوطنى الذي يستهدف النمو وتقدم الانسان الافريقي ، وتحريره من كل أنواع العبودية

واعتناق بعض الحركات للشيوعية نفسه ليس اجتهادا فكريا متأثرا بالدعاية الأجنبية ، بقدر ما هو عبارة عن رد فعل اجتماعي قوي للتحالف مع اية قوة خارجية ضد الحكم الذي لا يخدم مصالح الشعب ، وما دام هذا الحكم يؤثر عليها مصالح المستعمر السابق ، ويدعم لفته وثقافته على حساب اللغة والثقافة الوطنية ، فان التيار العام ، وخاصة لدى الطبقة المتعلمة - سيزداد اتساعا وعنفا ضد هذه السياسة وضد اصحابها ، وسيعمل على التخلص من هذه اللغات فى التعليم والادارة عاجلا او آجلا ، وهذه هي الحقيقة الرابعة التي نستخلصها فى النهاية من هذا العرض .

ألقاب الصوفية فى المشرق :

الاولى : المجلس العالى يكتب بها لشيخ الشيوخ بالديار المصرية
وهي المجلس العالى الشيخي الكبيرى العالى العاملى السالكى
الخ ..

المرتبة الثانية : المجلس الساميتى (بالياء)

المرتبة الثالثة : المجلس السامري (بغير ياء)

المرتبة الرابعة : مجلس الشيخ (صبح الاعشى ج 11 ص 85)

تنقل الألفاظ

الأستاذ عبد الهادي الفضلي
كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز

الجواليقي ومغرب المطرزي وشفاء الخفاجي والالفاظ الفارسية المربة لادي شير الكلداني ، وتوفرت جملة اخرى منها على التعريف بالكلمات العربية التي استعجمت كقاموس دوزي المستشرق الهولندي الذي جمع فيه المفردات العربية التي دخلت الاسبانية والبرتغالية و (الكلمات العربية في اللغة البرتغالية) لجورج ليان و (الكلمات العربية الشائعة في اللغة الانكليزية) لجرجيس فتح الله المنشورة بمجلة المجمع العلمي العراقي .

والفرق بين ظاهرة الاستعجم - واعني بها دخول الكلمة العربية الى اللغات الاخرى - وظاهرة الاستعراب - وهي دخول الكلمة غير العربية الى العربية - وبين ظاهرة التنقل في مجال الدراسة والبحث ومجال التدوين المعجمي واضح لا يتطلب فيما اعتقد اي شي من التوضيح .

والفرق في مجال الاستثمار الدراسي هو المهم هنا - فيما اخذ - ذلك ان دراسة الدخيل لا تكشف لنا في الغالب الا عن مجال من مجالات الكلمة قبل دخولها العربية قد يكون الاصل وقد يكون غيره . ودراسة الاستعجم هي الاخرى قد لا توقفنا على اكثر من مجال دخاته الكلمة العربية .

قد تعد ظاهرة تنقل الالفاظ من ابرز الظواهر اللغوية الاجتماعية لشيوعها بين مختلف اللغات ، وبخاصة اللغات الحية منها ، وفي كثير من المجتمعات ، وفي شتى انماط لغاتها من فصحة وعامية .

وهي : تعني تنقل الكلمة من لغتها الاصل الى اكثر من لغة ، ومن مجتمعها الام الى اكثر من مجتمع .

وتنشأ تلقائيا كأي ظاهرة اجتماعية اخرى ، وذلك بسبب الاتصال الحضاري عن طريق الترجمات ونقل المعارف وبسبب الاتصال الاجتماعي عن طريق الاسفار والهجرة .

ويفاد من دراستها وبحثها في التعرف على تاريخ الكلمة في نشأتها وتطورها وتغيرات هيئتها وتقلبات مضمونها .

وقد توفرت جملة من معجمات بعض اللغات على التعريف بها كالانكليزية في مثل Webster's (International Dictionary وكالفارسية في (فرهنك نفيسي) . . غير اننا لا نجد مثل هذه المعجمات في اللغة العربية مع توفر جملة من معجماتها على التعريف بالدخيل امثال : معرب

اما فى دراسة تنقل الالفاظ فمجالات الافادة كثيرة ، منها ما ألحت اليه اعلاه ، ومنها الكشف عن قابلية الاستيعاب فى لفتنا وقوة الهضم والتمثيل وسعة التفاعل مع اللغات الاخرى اخذا وعطاء مما يجعلها مرتفعة الى مصاف اللغات الحية المرنة ، التى اكتسبت صفة التقدم نتيجة التأثير والتأثر والتبادل اخذا وعطاء .

ولعلنا فى ضوء ما نراه من توسع كبير فى الدراسات اللغوية المقارنة يجعلنا نتوقع صدور مثل هذا المعجم الذى يعنى بتاريخ الكلمة العربية المستعربة او العربية عن قريب باذن الله تعالى .

وكامثلة اضع بين يدي القاريء الكريم اضمامة صغيرة من الكلمات العربية المنقولة التى أفدتها من بعض المعاجم الانكليزية وبخاصة المعجم المذكور اعلاه ، وبمساعدة زميلي السيد جورج يول George Yule استاذ اللغة الانكليزية بكلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز الذى يسر لي كثيرا مهمة الرجوع الى المعاجم الانكليزية . والكلمات هي :

- 1 - موسيقى Music - اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 2 - مفاطيس Magnat - اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 3 - كريستال Crystal - اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 4 - نرجس Narcissus - اليونانية . اللاتينية . الانكليزية . الفارسية . العربية .
- 5 - بوليس Police - اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . الفارسية . العربية .
- 6 - كلية College - اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 7 - بروفيسور Professor - اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 8 - ليمون Lemon - اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية . الفارسية .
- 9 - صراط Street - اللاتينية . الالمانية القديمة . الانكليزية القديمة . العربية القديمة .

10 - امراطور Emperor - اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

11 - بنك Bank - الإيطالية القديمة . الفرنسية . الانكليزية . الفارسية . العربية .

12 - كاش Cash - اللاتينية . الإيطالية . الانكليزية . العربية .

13 - بلاتين Platinum - الاسبانية . الانكليزية . العربية .

14 - ماركة Mark - الالمانية . الانكليزية . العربية .

وكنموذج تطبيقي نأخذ مثالا واحدا من الكلمات المعربات المنقولة ، هو كلمة (كعك Cake) العربية عن الفارسية ، وهي من العرب القديم الذى يمتد فى تاريخه الى اوائل العصر العباسي .

فاننا عندما نرجع الى تاريخها فى لفظها الانكليزي (كيك Cake) نجد انها انتقلت من اللغة النرويجية القديمة الى اللغة الالمانية القديمة ، ومن الالمانية القديمة انتقلت الى اللغة الانكليزية ، ومن الانكليزية انتقلت الى العربية بلفظها الانكليزي (Cake) وراحت تستعمل الى جانب لفظها السابق العرب عن الفارسية (كعك) وفى معنى آخر يشبه معناها السابق .

وهذا الاختلاف جاءها - فيما أخال - من انها سلكت فى دخولها الى اللغة العربية طريقين : طريق الفارسية قديما وطريق الانكليزية حديثا ، واخضعت فى اولها الى اصول التعريب فتحولت الى (كعك) ، بينما لم تخضع فى ثانيهما الى تلك الاصول فبقيت على لفظها الأعجمي (كيك) ، وربما عاد ذلك الى التفرقة بين معنيي استعمالها والى ضعف الالتزام بأصول التعريب .

وفى ختام حديثي هذا اعود فأقول : ان هذه الظاهرة تتطلب كثيرا من العناية فى دراساتها اللغوية وبخاصة المعجمية منها لما ستلقيه من الاضواء على الكثير من المسائل والقضايا اللغوية بمختلف حقول اللغة وفروعها .

مَظَاهِرُ التَّعْرِيبِ

الأستاذ محمد بن تاويت

أما ابدال تلك الهاء « المخفي » كما يسميها
الفرس ، قافا ، فذلك ما كان مطردا في العربية ، كما
كان مطردا أيضا ابدالها جيما ، كما في كلمة «برنامج»
التي أصبحت برنامج ، وقد عقد سيبويه في كتابه
فصلا سماه « باب اطراد الابدال في الفارسية » فذكر
من هذا كونه وموزنه وكربق وقربق ، الى غير ذلك من
الكلمات ، التي يكتفي فيها بهذا الحذاء العربي في
نهايتها ، اعني الجيم او القاف .

وطبعا انهم لا يقبلون الحروف التي لا
يستعملونها ولا يلقون اجراسها ، فالحرف P
ينقلب باء او فاء ، والحرف G ينقلب جيما غالبا ،
والحرف V ينقلب واوا في الغالب كذلك .

وبعد هذا لا بد من انسجام في الهيئة والامتداد ،
فتبدل بعض الحركات بغيرها او تحذف بعض
الحروف التي تعدى الكلمة طورها في العربية ،
ان لم تحذف منها تلك الحروف ، في الغالب أيضا ،
ولم يتحموا هذا للاضطرار ، بل اخذوا كلمة «جلاب»
وهي ماء الورد .

وهكذا كانت مشكلة التعريب في القديم ،
مسألة التعليم بمدولنا ، ولم تكن مشكلة التعريب كما
فهنا ، فالقضية تهذيب لفظي بوسائل في غاية
البساطة .

لما ترجمت العلوم الى العربية ، اتخذ فيها ما
كان مهبودا من ذي قبل ، فقبل ، فقبل ، فلسفة في

كثيرا ما قلنا ان التعريب كان منصبا على
الانفاذ ، بينما التعريب الآن منصب على المعاني
فما معنى هذا الكلام ؟

معناه ان العربي ، كان اذا جلب كلمة او جلبت
اليه ، يستغني بالباسها لباسه العربي ولو بغطاء
الراس مثلا او الحذاء

جاءته كلمة « كروان » بمعنى انقافلة ، فقال
فيها قروان ، وغطى رأسها بالالف واللام فأصبحت
القروان او القيروان ، وبذلك صارت الكلمة تتمتع
بكل الحقوق التي تتمتع بها الكلمة العربية في
اعرابها ، فلا تمنع من الصرف لعلة المعجمة ، لانها
قد ارتفعت عنها بهذا العقال ، الذي هو هنا الالف
واللام ، كما حدث في الهند والصين والروم والترك .

سمع النبي عليه الصلاة والسلام ، من سلمان
الفارسي ، كلمة خندق فاستفسره عن معناها ، وهي
اسم مفعول ، من كندن الفارسي بمعنى الحفر ،
فكانت كنده ، وعربت بان ابدلت الهاء التي لا تنطق
قافا ، فصارت خندق ، فتقبلها النبي ولم يأنف من
استعمالها بل اشتق منها خندقوا ، فسميت
الغزوة بغزوة الخندق .

ولعل الكاف كانت في النطق تميل الى الخاء ،
كما هي في اليونانية والعبرية ، وهي ما تسمى عند
مقرئي المغرب بالكاف الموسوس ، ولهذا نطقت خندق .

كل ما فى طاقتها من قوة فهل العربية قادرة على هذا ؟

نعم ، هي قادرة . لو مكنها من قدرتها ، ونفسها بطول الانفاس ، ان لم نكتبه فيها .

والعربية ، الى جانب احتمالها للالفاظ ، تحتل كذلك ما نطلبه من معان فيها ، ان كلماتها لا تنفذ . بما فيها من اشتقاق وخيالها بحمد الله خيال خصب ، يسعها بالتشبيه وما ينشأ عنه من استعارات ، ويسعها بهذا التداعي الذى تتولد منه الكنايات ، ولا يبخل عليها استعمالها العتيق ، بهذه المجازات المرسله ، ثم النحت .

لقد تقدمت فى الاشتقاق ، كلمة « خندقوا » من الخندق ، ولنا ان نزيد على هذه الصيغة كل الصيغ المعروفة فى المادة العربية نفسها ، فتسعنا فى الاعمال بأنواعها وأوضاعها ، وتسعنا فى الصفات بأنواعها كذلك وأوضاعها ، وتسعنا فى أسماء الزمان والمكان والمصادر على اختلافها ، كما تسعنا الكلمة العربية ، عند الاحتياج الى نسلها من اولاد واحفاد

هذا الاشتقاق الطليق ، لا نجده فى غير العربية ونجد امثلة من البواقي فى غيرها ، مثل ما نجد فى الفارسية والتركية والفرنسية ، ازاء البطاطا ، حيث شبهتها جميعا بالتفاح الذى اضافته الى الارض ، فقالت الفارسية « سيب زمين » والتركية « ير الماسي » والفرنسية **Pomme de terre**

وسمت الاسبانية ملابس العمال ، ذات القطعة الواحدة « Mono » أي قرد ، كما سمت الآلة التى ترفع بها جوانب السيارة باسم « Gato » أي الهر ، لانها تشب مخلصها فى جانب السيارة ولم تأنف ان تسمى بالبق « Chinche » المسمرات التى تثبت الورق ونحوه .

وقالت الانجليزية للقطار السائر تحت الارض **Underground** أي تحت الارض ، مجازا مرسلًا ، كما استعمل هذا المجاز المرسل فى نحو « سندويتش » « Sandwich » و« كرافاط » « Cravate » وكان الاصل فى هذين انهما اسمان لرجلين استعملهما .

وأمن الالمان ، كما نعمن نحن فى الاشياء لنستخرج اسماءها ، بدقة وطبق الاصل ، فسموا « الهيدروجين » باسم **Wasserstoff**

Philosophia و **Philosophos** وقيل ، فاطيفورية **Kategoria** والسفسطة **Sofisikae** وايساغوجي **Isagoge** وغير ذلك من الكلمات اليونانية الاصل ، ولم تجد العربية الفسيحة الصدر فى هذا حرجا او احراجا ، وقد وجدنا الابهرى من رجال القرن السابع يؤلف فى المنطق رسالته « ايساغوجي »

Taos	كما عربوا الطوس من
Zone	والزنار من
Kassitoros	والقزديسر من
Ibrizón	والابريز من
Diáblos	وابليس من
Thériaka	والترياق من
Chartés	والقرطاس من
Genos	والجنس من
Esthlós	والاثير من
Gramaatika	والاجرومية من
Asfaltos	والزفت من
Karyofyllon	والقرنفل من
Gypsos	والجبص من
Staflinos	واصفلينة من
Sotolos	والاسطول من
Astron-lambauo	واسطرلاب من
Drachmé	والدرهم من
Kados	والقادوس من
Atlas	والاطلس من

ولا شك ان كلمات من هذه عرفتها الجاهلية ، كالقرنفل والدرهم وابليس ، ولكن معظمها لم يعرف الا عند الترجمة ، ولا يعزب عن البال ، ان كلمة الاجرومية ، ليست منسوبة الى ابن آجروم المغربي ، كما يتوهم ، فان القضية اتفاقيه ، وكثيرا ما يقع هذا الاتفاق فى اللغات .

هذه امثلة بسيطة ، اذا كانت الحياة على نمط من البساطة ، اما الآن فقد تعقدت الحياة وتعاقبت المخترعات وازدحمت فى هذه الدنيا المخلوقات ، فأصبحت وكأنها دار تسكنها عائلة واحدة ، لا بد من التعارف التام فيها والاتحاد فى مدلولاتها ومزاولة كل فرد منها ما يزاوله الآخر

فصارت مسؤولية اللغة شاقة ومتطلباتها كثيرة ، وعليها ان تقوم بأعباء ذلك وعليها ان تستنفد

يتصل بالوصف ، وتسجيل خطوات اللفه . وموقفها من طبيعة الأشياء ، فكان منها بعض اللمحات عن موضوعنا هذا ، مثل « باب الحكاية التي لا تغير فيها الاسماء عن حالها » فالتركيب اذن معروف بين كلمتين عند النحاة ، قديما وحديثا .

اما النحت بهذا الاسم قليلا ما يتعرض له النحويون . ومن هؤلاء الخضري ، اذ يقول فيه « وهو ان يختصر من كلمتين فكثر ، كلمة واحدة ، ولا يشترط فيه حفظ الكلمة الاولى بتمامها بالاستقراء ، خلافا لبعضهم ، ولا الاخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات » .

وبهذا نعم كلمة النحت في تركيب الكلمة من كلمتين وفي اختصار كلمة من كلمتين أو أكثر ، والنوعان معا موجودان في العربية ، وفي جل اللغات غيرها ، وان كان بعض منها يعيل الى التركيب اكثر مما يعيل الى الاختصار ، على عكس العربية . كما سنرى :

تقول العربية « البسمة » و « الحمدلة » و « السجدة » و « الحوقلة » و « السمعة » ، من قولنا : « بسم الله » و « الحمد لله » و « سبحان الله » و « لا حول ولا قوة الا بالله » و « السلام عليكم » ، كما تقول « الهيلة » و « الحيلة » . ويزعم ابن فارس ان كل ما زاد على ثلاثة ففيه نحت وتقول « التحييد » كما تقول غير هذا من جمل عديدة ، ونشتق من ذلك الافعال وغيرها مما يشتق من كل مصدر ، وهذا أيضا مما تمتاز به العربية وتفضل على غيرها ، فان باقى اللغات ، تستعمل هذا النحت في حالة معينة ، تستوجب منها هذه العملية ، وتقف عند هذا الحد ولا تتعداه غالبا فهي في ذلك تلتزم ما التزم - غالبا - في اسماء الافعال والاصوات من العربية ، وهذا الباب أيضا ، مما توسعت فيه العربية ، بخلاف غيرها .

مثلا ، نجد الالمانية تمنع في حقائق الأشياء ، وتحاول ، مثلنا ، ما أمكنتها الحيلة ، ان تدخل المعاني الى لفتها ولا تدخل اليها الالفاظ ، سواء منها ما كان مفردا وما كان مركبا ، فمن المفردات ، نجد كلمة التاريخ ، غير مستعملة عندها ، كما هي في باقى اللغات الاوربية ، بل اشتقت لها من مادتها الالمانية كلمة سرد Gescichte ولكن المؤرخ Historiker والوصف hietorisch فهي اذن لم تبق حرة طليقة وكذا الامر في المركبات ،

فركبوا الاسم من كلمتين Stoff اي جوهر ، و Wasser اي ماء ، فصار الاسم هكذا ، الجوهر المائي ، او جوهر الماء (كما في الفارسية والتركية مولد الماء)

وقد كلفهم هذا الاعتزاز كثيرا من العنت . اضطروا معه ، الى تركيب اسم لسمى واحد من كلمتين أو كلمات ، في بعض الاحيان ، فلا يكتفون غالبا بالنحت ، الذي نجده في جل اللغات ، ومنها العربية .

وقيل ان ناتي بأمثلة من العربية لهذا النحت . نرى ان تقف وقفة قصيرة ، عند أصله اللغوي . .

فالنحت أصله ، النشر والشر والقطع في الصلب من المواد ، كالخشب والحجر ونحوهما . وقد يكون هذا من كلمتين ، كما ينحت النجار ، خشبتين ويجعلهما قطعة واحدة ، كما يكون من قطعة واحدة ، وهو الاصل ، كالنحيتة التي تنحت من جذم شجرة ، على هيئة الجب للنحل ، وهذه النحيتة هي المعروفة عندنا باسم الجباح ، ومن هذا قول الاعشى :

الست منتبيا عن نحت اثلتنا

ولست ضائرها ما اطت الابل

اما النحت في الحجر ، فمنه قوله تعالى « وتنتحون من الجبال بيوتا فريين »

هذا ما يتعلق ، بأصل المادة من اللفه .

واما معنى النحت في الاصطلاح ، فهو صوغ كلمة من كلمتين فكثر .

ويدخل في هذا التعريف ، تركيب كلمة من كلمتين ، مما تناوله النحاة ، في عدة ابواب من كتبهم . وفي الالفية نجد التعرض للتركيب المزجي ، في باب العلم ، وباب ما لا يتصرف ، وباب النسب ، كما نجد الاشارة الى المركبات عامة في ابواب غير هذه .

وجملة القول ان النحو تعرض للمركبات من الاسماء الا ان تعرضه هذا كان لجرد الاحكام النحوية والصرفية الواجب تطبيقها عليها في الجملة .

نعم ان « الكتاب » لسبويه لم يقف عند تطبيق الاحكام ، بل وقف عدة وقفات ، كان منها ما

فتقدم انها سمت «الهيدروجين» باسم اصل الماء او جوهر الماء ، هكذا Wasserstoff ماء Wasser ومادة Stoff مركبين وهي في هذا قد استعانت بأصل الكلمة اليونانية hudór أي ماء ، و gen أي اصل من مصدر genna-ein فحلت مشكلتها ووقفت عند هذا الحد بالرغم من أن لها في لغتها روافد عديدة ، حيث انها تحتوي على عدة لهجات تغنيها عن غيرها غالبا .

ومهما يكن ، فاننا بصدد العربية ، وموقفها من عملية النحت الذي عرفه ابن فارس بقوله « تؤخذ كلمتان وتنحت منها كلمة آخذة منهما جميعا» فقد رأينا انها تجمع بين الطريقتين فيه ، والقدمى حاولوا احصاء المنحوت في العربية ، فوقف بعضهم عند بضعة عشر من امثله ، وآخرون لم يتعدوا او لم يصابوا بها الى المائة .

غير أن ابن فارس جرى بعملية النحت

اشواطاً قارب بها نحو الألف ، حيث يرى أن أكثر الرباعي والخماسي منحوت من كلمتين .

والواقع أن هذا العدد لا يعيننا بقدر ما يمكننا من الحرية في عملية النحت ، الذي أصبحت الحياة المعقدة تاح علينا فيه ، وأصبحت الاجناس البشرية، تتقارب فيما بينها وتكون لها مجتمعات على مستوى الدول عامة او على مستوى جماعة منها او على فكرة من الافكار ، بعد المخترعات العديدة ، التي قد تتطلب مئات الاشياء وآلاف الأدوات ، وكل ذلك لا بد من تسميته مركبا بعد أن كان مسمى مفككا او على

انفراد اجزائه ، فكان الاتوموبيل والتيليفون والتلفزيون ثم التلفزيون والنيلون ، هذه الاشياء تعد من أبسط ما واجهنا به النحت ، كما واجهنا بالديموقراطية والديكتاتورية والنازية ونحوها ، وكانت اليونسكو والمخترعات الكيماوية مما وجدت لها حلا في اللغات ، فكيف بنا الآن أمام المخترعات الفضائية التي تتألف من مئات الاشياء وآلافها ؟

وعلى كل حال فاننا من استعراضنا للوسائل التي تستعملها العربية في تعبيرها ، وجدنا منها ما استعمل ترفا ، كالتشبيه والمجاز عموما وكالكناية ، وما استعمل بداعي الحاجة ، كالاضافة والنسب والاشتقاق الذي يطبق على هذه جميعا ، كما يطبق على غيرها فيما سنرى وعلى العموم فقد دخلت الاولى في منطقة تجميل الكلام ، وهي « فن البلاغة » ، ودخلت الباقية في ضروريات الكلام ،

وعلى كل حال فاننا من استعراضنا للوسائل التي تستعملها العربية في تعبيرها ، وجدنا منها ما استعمل ترفا ، كالتشبيه والمجاز عموما وكالكناية ، وما استعمل بداعي الحاجة ، كالاضافة والنسب والاشتقاق الذي يطبق على هذه جميعا ، كما يطبق على غيرها فيما سنرى وعلى العموم فقد دخلت الاولى في منطقة تجميل الكلام ، وهي « فن البلاغة » ، ودخلت الباقية في ضروريات الكلام ،

وعلى كل حال فاننا من استعراضنا للوسائل التي تستعملها العربية في تعبيرها ، وجدنا منها ما استعمل ترفا ، كالتشبيه والمجاز عموما وكالكناية ، وما استعمل بداعي الحاجة ، كالاضافة والنسب والاشتقاق الذي يطبق على هذه جميعا ، كما يطبق على غيرها فيما سنرى وعلى العموم فقد دخلت الاولى في منطقة تجميل الكلام ، وهي « فن البلاغة » ، ودخلت الباقية في ضروريات الكلام ،

فهي في التصريف والنحو، وضربنا ذلك امثلة باللغات الاجنبية ، وهي تعم الجميع .

ومن تلك الامثلة ، ادركنا انه لا حدود فاصلة تامة بين النوعين المذكورين ، فقد تدعو الضرورة، فلا تجد من يسعفها الا وسائل الترف ، وقد لا تكون هناك ضرورة ، ومع هذا تستعمل وسائلها . وبذلك ينشأ المترادف ، كما ينشأ بالترف والمغرب وتعدد اللهجات . ومن المفيد أن تأتي ببعض الامثلة التي هي في العربية مقابلة لتلك التي ذكرناها من غيرها .

فمن الاضافة وجدنا قوس قزح واكسير الحياة ، وحب العزيز في مصر ، وحب الملوك في المغرب ، ودار الصنعة ، وبيت المال ، ودار الثقافة بالمغرب . ومن النسب : اليماني والهندي في القصص ، وفي معناه الجديد في عاميتنا ، كالكومية والوزانية فيها ، والمهلبية بالشرق والمنصورية بالمغرب ومن الاشتقاق ، كالثشيرة ، بمعنى ما يعرف الآن باسم « القاتورة » ويصح ان نضع فيها « النغالة » أيضا ، وكتاهما للمفعولية والاخيرة « النفولة » . ومن الاستعارة كيد الدهر ، ورأس الكلام ، ومرآة الحياة ، وشباب الزمان ، ولحن السعادة ، ودمدمة الشقاوة ، و « طعام الائم » و « العزيز الكريم » تهكما . ومن المجاز المرسل ، شرب الكأس ، (ولا بأس بالجرسى Jersey) والتكلم مع الدار ، وجعل الاصابع في الاذن وعصر الخمر ، والبرتقال للفاكهة المعروفة، ومن الكناية أهل الحجر والمدر والوبر، وبيت الماء، وأهل الدار، وعريض القفا، للحمار، كما في حديث من فهم الخيط الابيض والاسود على الحقيقة ، وريق النحل ، والتكفف وخفة اليد . . . اما التشبيه ، على ما هو عليه ، فلا وجود له ، فيما نعلم بالعربية ، ولكن خليل التركي استعمله كثيرا ، في مختصره المعروف ، وقلما يخلو منه باب من ابوابه ، وهذه امثلة قليلة من ذلك : « بكاعزى » في اليمين ، « في كسبيل انله » بالنذر « من كقاعد » في الجهاد ، « في كافرقيقة » بالنكاح « لا بكاعتراض » في الخيار منه ، « من كابل » في الصداق ، « عند كامها » في نكاح التفويض ، « علي كجدار » في وليمة البناء بالعروس ، « ولو بكتقويم » في الطلاق ، « وان بكاحرام » في الارتجاع ، و « بكمشيئتها » في الظهار ، و « وفي كالثلاثة » - الايام ، وفي التطوع او غيره ان خرج - « لكرباط » فهذا مثالان وردا في رفع زوجة المفقود، و«نبد بكدباء»

في الطعام الباح ، وهو كثير جدا . ويكلف الشراح تأويلا يدعونه بحذف المنعوت والواقع ، ان الصنيع التركي ، هو الذي شجع هذا التركي العظيم على استعماله ، المذكور ، وهو الذي جعل شوقي التركي يقول :

ودخلت في ليلين فرحك والدجى
ولثمت كالصبح المنور فساك

فهذا التشبيه « كالمنور » هو المفعول به على الحقيقة ، كما ان ما قام مقامه ، في قوله : « ما يشبه الاحلام » هو الفاعل في البيت :

يا جارة الوادي طربت وعادني
« ما يشبه الاحلام » من ذكراك

وكذلك نجد لشوقي هذا الصنيع في نحو قوله :

ولا ينيبك عن خلق الليالي
كمن فقد الأحبة والصحابا

فقد جعل الفاعل هنا ، المشبه به أداة التشبيه ، ولا شك انه نظر في ذلك الى قوله تعالى : « ولا ينبئك مثل خبير » .

فالفاعل في الواقع المشبه به أداة التشبيه « مثل » اذ هي في المعنى لا تستقل بنفسها ، وان كانت في الصناعة فاعلا بنفسها ، مما اهلها في التركيب العربي ، لما لم تؤهل له كاف التشبيه .

ولكن غير شوقي وخليل ، ان احتاج الى هذا التشبيه ، احتال عليه ، فقال : « ذهب الاصيل » و « لجين الماء » و « حمار الشيخ » ونحو ذلك ، مما اضيف فيه المشبه الى المشبه ، وقد استعمله جدا ، ابن خفاجة ، زيادة على الصورتين الاولييين خصوصا في قصيدة له مطلعها :

يا رب ليل بته
وكانه من وصف شعرك

ومن الوسائل التي تتوسع بها اللغات في دلالاتها ، وسيلة التعميم والتخصيص ، فالخاص يستعمل في المعنى العام والعام يستعمل في المعنى الخاص .

وقد تنبه الاصوليون وعلى رأسهم الشافعي الى هذا في النصوص الشرعية بصفة خاصة ، الا انهم توسعوا فيه ، حيث كان قصدهم مناط الاحكام ، ولم

يكن مناط الدلالات ، بمعنى انهم اقرؤا بعض العمومات في دلالاتها اللغوية وان خصصوها في احكامها الفقهية ، فجاءتها هذه الخصوصية بنحو الاستثناء الذي اجاز فيه ابو حنيفة وغيره ان يتأخر عن المستثنى منه بمدة السنوات ، او نحو الصفات التي تقصر الاحكام على موصوفاتها ، وهكذا مما يطول الكلام فيه ، وحسبنا ان نجد له نماذج في باب اليمين بمختصر خليل عند قوله « وخصمت نية الحالف وقيدت » الى آخر الباب وفيه ايضا تعميم للخصوص والعام الذي اريد به الخصوص وهو الغالب .

ثم كان انبلاغيون والمناطقة يعالجون هذا النوع من التوسع ، فالبلاغيون حينما امعنوا في المجازات المرسلة وجدوا من نماذج ما يتصل بهذا الجاز ، لدرجة ان نشأ الخلاف بين الاصوليين فيه ، هل هو جميعا من قبيل المجاز هذا ؟ والمناطقة نظروا اليه وهو يقوم بمهمة الدلالة اللغوية ، فكان تناولهم فقهاء لغويا في الصميم ، كما نجد في السلم اذ يقول :

دلالة اللفظ على ما وافقه
يدعونها دلالة المطابقة
وجزئه تضمننا وما لزم
فهو التزام ان بعقل اتزم

وقد توسع فقه اللغة الحديث في هذه الدلالات وساط عليها الاستقراء التاريخي والتطور الاجتماعي والجنسي وهي على كل حال خاضعة لهذا الحصر المنطقي .

ومهما يكن فالعربية عرفت في الجاهلية هذه النماذج التي تتراوح بين التخصيص والتعميم ، وتوسع فيها الاسلام فالشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والطهارة والوضوء والكفر والايمن والشرك والجهاد والتكبير والتحميد والركوع والسجود وغير هذه من مئات الكلمات التي جددت دلالاتها في الدين الجديد ، كلها من هذا القبيل .

وقد الف الراغب الاصفهاني كتابه القيم « مفردات غريب القرآن » فأرجع هذه المفردات الى عموماتها او خصوصاتها في اصل الاستعمال اللغوي ، الذي لم يقطع الاستعمال الجديد في الاسلام صلته بالقديم فيها .

فهذه الصلاة والزكاة والطهارة ، نجدها في آية واحدة تمد يدها الى عمومها فتقول « خذ من أموالهم

صدقة تطهرهم وتزكئهم بها وصل عليهم ، ان صلواتك سكن لهم » .

والكفر نجده يستعمل فى معناه من الستر ، فعم الزراع لسترهم البذور ، ولهذا وردت الآية « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » اى الزراع ، ومن هذا الستر تكفير السيئات الذى ورد منه فى القرآن عشرات من الآيات ، مثل « كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم » ومثل « ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا » ومن العجيب ان نجد هذا الستر فى الكلمة باللغات الاوربية ، فى مثل Cover الانجليزى و Cubrir الاسبانى ونحو ذلك فى اللغات الآخذة من اللاتينية كالإيطالية والرومانية وغيرهما .

ومن الكلمات التى صارت تنجح الى التخصص كلمة الانتقاد ، فهى كذلك فى العربية وكذلك أختها Critic فى غيرها وهكذا العربية استفادت من التخصص فى عصرنا ، كما نجد ذلك فى تسمياتها الطائرة والدبابة والفواصة والعمامة والمدمرة والمدفع والحافلة والشاحنة والجرار والجراف والسيارة والدراجة والاسعاف والامن والنظام والاستقرار والمخبر والساعي والنجدة والانتقاد والامين والشوكة والسكينة ، وغير هذه مما يجد باطراد مستمر ، وقد يشتق من بعض هذه ، كالطيار والمطار ، كما اشتق من المطبعة الطباعة وغيرها .

فهذه كلها معان جديدة ولدتها أم التخصص لهذه العربية ، ولا أفهم مطلقا من يقولون ان دلالات الالفاظ فى العربية لم يطرا عليها تغيير فهذه القولة تسيء الى العربية ولا تشيد بفضلها .

بل ان التطور فى الدلالة ، حاصل حتى فى هذا التخصص . وهذه الكلمة نفسها ، وقد جاءت عفوا فى عبارتنا تطورت فى مدلولها عما كانت عليه بالامس ، فكلمة « التخصص » الآن لها مدلول لم يكن يعرف على ما هو عليه عندنا ، فهذا متخصص فى فقه اللغة العام وهذا فى فقه اللغة الخاص ، بالمقارنات او الاشتقاقات او التاريخيات او ما الى ذلك من نوع الدراسات اللغوية وهذا متخصص فى امراض الكلى وآخر فى لين العظام وآخر فى الجهاز الهضمى او البولي او السمعي او التنفسي او ما الى ذلك من الاجهزة الكثيرة ، زيادة على التخصص فى الاسنان والعيون ، مما اصبح مستقلا بنفسه تمام الاستقلال ، وسيأتي يوم يتخصص فيه طبيب الاسنان بالفك الاعلى ، وآخر بالفك الاسفل ، وطبيب العيون ، بالعين اليمنى وآخر بالعين اليسرى ، وطبيب الآن كذلك .

نعود الى هذا العام الذى خصص فى غير العربية ، لنقارن بين طبيعة التخصص فى العربية والمتخصص فى غيرها فكلمة Avion فى الاسبانية وغيرها ، وكلمة Aviación فيها وفى غيرها ، تقابلان ما تخصص فى العربية بالطائرة والمطار ، بضم الميم ، كما سترى .

وهنا تقف غير العربية ، فليس فيها طيار مشتق من Aviar بل فيها Piloto ونحوها ، بما لا علاقة لها بمادة الطيران ، بل هو من Pilotear العام فى الجو والبحر والارض ، وان كان قد اشتق له فيما مضى Aviator فى الاسبانية، ونحوها ، و Aviator فى الانجليزية كذلك ، الا ان الاستعمال الآن جنح الى المعروف بكونه يعم القائد والمرشد فى السماء والارض والبحار ، وقد بدأت العربية تجاري عولاء فى هذا الانحراف عن المادة الاصلية ، فصارت تسمى الطيار ، ربان الطائرة او ملاحها . ولا لزوم لهذه المجازة ، خصوصا وانها تستبدل بالكلمة الواحدة ، وهى الطيار ، كلمتين ، وهما ربان الطائرة او ملاحها ، ، زيادة على ان العربية لها فضل السبق فى خلق كلمة طيار للادمي ، وقد مضى عليها اربعة عشر قرنا ، منذ لقب بها الشهيد جعفر بن ابي طالب رضى الله عنه .

نكتفى بهذا المثال ، مما هو فى غير العربية من العام المخصص ، وتوجه الى مقابله ، الخاص المعم .

فمن ذلك كلمة الرائد ، فقد اشتق هذا من الورد الى الماء خاصة ، ثم تمم بالاتيان الى كل مطلوب ، وكان الرائد الذى يتقدم قومه فى السفر ليهديهم الطريق ، ومنه الرائد لا يكذب قومه ، بل صار الورد عاما فى كل آت مادي او معنوي حقيقي او مجازي ، مثل ورد فلان وورد الخبر علينا وورد الماء والتيار الكهربائي او الضوء ان اردنا .

ومن ذلك كلمة الاستنباط ، فقد كانت خاصة بعمل النبط ، وهو استخراجهم للمياه ، الذى مهروا فيه ، كالفيلاليين فيما مضى عندنا ، ثم صار كل استخراج للمياه يسمى استنباطا ، ولو لم يكن المستخرج نبطيا . ثم زاد التعميم فى كل استخراج للمياه وغيرها ثم تعدى هذا الى المعنويات ، ولازمها حتى اصبح او كاد يتخصص بها فيقع له ما سيقع لرواد الفضاء ، فيطلق عليهم رواد بدون هذا القيد .

ومن ذلك كلمة ماهية التى دخلت الى العربية من « ماه » القمر فى الفارسية ، وهى بمعنى المرتب

الشهري ، ثم أصبحت تطلق على كل مرتب ، شهريا كان أم غير ذلك .

وتظيره كلمة مشهورة التي دخلت الفارسية من العربية بمعنى المرتب الشهري ثم صارت تطلق على كل مرتب شهريا كان أم غير شهري .

ومن ذلك كلمة كفل ، وقد جاءت الي عفوا ، فوجدت أصلها خاصا بالكساء الذي يوضع على ظهر البعير فيعقد طرفاه ويلقى مقدمه على كاهل البعير ومؤخره على عجزه ، فالاكفال غير الاحلاس ، كما في الامثال ، ثم قيل تكفل الحمار ، اذا حلق ثوبا على ظهره وركبه ، ثم اطلق على كل اشتغال مادي ، ثم معنوي كالنفقة والقيام بالاشياء عامة ومضاعفة الجراء ، وصارت الكلمة تجنح الى المعنويات فيقال تكفل فلان بالامر ، اذا تعهد القيام به .

وهكذا تتعمم الكلمات في مدلولاتها التي كانت خاصة ، بالكثرة التي جعلت اللغويين ، يدعون أن الكلمات في نشأتها كانت خاصة ، وما تعممت الا اخيرا ، حيث ارتقى الانسان ، فأدرك الكليات بعد ادراكه للجزيئات ، وهو ما أدركه المناطقة عموما ، فقال السلم مثلا :

من أوليات مشاهدات
مجريات متواترات

الى آخر اليقينيات التي نشأت من المشاهدات هذه امثلة من العربية ، اما غيرها ، فكلمة Arrive الانجليزية ، كان معناها الوصول الى River أي النهر ، ثم صار معناها الوصول مطلقا وكلمة Salary كان معناها النقود التي تصرف لشراء الملح من كلمة Sal ثم صار معناها ما يدفع للاجير او الموظف عامة وصارت تجنح الى المرتب الشهري وهكذا نجد في عدد من اللغات يصبح الخاص عاما ثم تدور الدائرة فيصبح هذا العام خاصا في معنى جديد غالبا واللفة كائن حي نشيط

ومن هذه الوسائل التي توسلت بها العربية في توسعها او يمكن أن تتوسل بها الاشتقاق من الزمان والمكان فالزمان ، كالصباح والغداة والمساء والعشاء والضحى والقائلة والليل

فمن الصباح اشتقت العربية اصبح ونحوه ، كما قال الافوه الاودي :

أصبحت من بعد لون واحد
وهو لونان وفي ذلك اعتبار
ومن المساء ، كذلك ، مما نجده في قول ابي تمام :

وما كان الا مال من قل ماله
وذخرا لمن أمسى وليس له ذخرا
ومن الغداة كما في قول الفند الزماني :

مشينا مشية الليث
غدا والليث غضبان

ومن الضحى ، قول عمر بن الخطاب : « اضحوا
عباد الله » اي صلوا بالضحى
ومن العشاء ، قول الحطيئة :

متى تاته تعشو الى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد
فمعنى تعشو تراها ليلا وتقصدها فيه عشاء .
ومن القائلة ، الحديث « قيلوا فان
الشياطين لا تقيل » .

ومن الليل ، قول ابن حبوس الغاسي :

والكل في علم الامام مقصر
حسب المبرز منهم أن ليلا

وقالوا كذلك : ايل فلان اذا دخل في الليل ، والليل الكروان ، لتفريده ليلا ، ولهذا اسمه بالانجليزية Nightingale ففيها هذا الاشتقاق من الليل كذلك ، كما اشتقت من الصباح Morning واشتقت الاسبانية من الصبح Madrugar فالاول من Morn والثاني من Madruga التي يرادفها Alba وهو اول ضوء للنهار ، كما اشتقت الانجليزية من المساء ايضا Evening فهو مشتق من Eve اي انتصاف النهار ، ونحوه موجود في الاسبانية ، وان كانت قد جنحت به الى معنى ما تؤديه « ظل » في العربية ، وهو تطور في الدلالة ، من القيد الى الاطلاق ، او من التخصيص الى التعميم ، كما حدث في العربية ، للانفعال السابقة ، أصبح وأمسى وأضحى وحتى غدا ايضا ، فصارت من الافعال الناقصة ، وهي في تلك الامثلة السابقة افعال تامة ، والا لما دخلت واو الحال على ما ندعيه خبرا في غيرها ، كما رأينا ، وكما في قول الفند المذكور :

فلما صرح الشر

فأمسى وهو عريان

بل ان « ليس » التي ادعي فيها النقصان دائما،
وردت تامة ، كما في قول النابغة :
إذا ذهب العتاب فليس حب

ويبقى الحب ما بقي العتاب
وهذا مبحث آخر ستناوله عند تناولنا للفة
في تراكيبها ، اما الآن فنحن بصدد مفرداتها

ومن الاستعانة بالزمان ، قولنا الغداء . لظعام
الغداة ، والعشاء لظعام العشاء

ثانيا - المكان ، نقول : أنجد فلان صار في
نجد

واسهل صار في سهل

وأجبل صار في جبل ، قال ابن حبوس الفاسي :

وتفجرت عين النباهة بعدما

قد كان خاطرها اكل وأجبلًا

اي انقطع ، والاصل فيه سعد في الجبال
وأوقل فيها ، فانقطع خبره ، بل الوقل نفسه من
هذا ، فهو الحجارة ، وبذلك يكون من قبيل المكان

وأنهم صار في تهامة

وأيمن صار في اليمن ، وكذلك ، يامن

وعرض صار في المروض ، وهي مكة
والمدينة ، والطريق في عرض الجبل ، قال عبد
يفسوث :

فيا راكبا اما عرضت قبلها

ندامي من نجران الا تلاقيا

وهكذا استفادت العربية من الزمان ، كما
استفادت أيضا من المكان ، فقالت أعرق وبدأ وتمدن
وغار وأبلد وأعمن وأشام وأجنب وأشمل وشرق
وغرب .

فمن نجد ، وغور قول الاعشى :

نبي يرى ما لا ترون وذكره

أغار لعمري في البلاد وأنجدا

ومن العراق وتهامة وعمان ونجد أيضا ، قول
المزق العبدي :

فان تهموا أنجد خلافا عليكم

وان تغمنا مستحقي الحرب أعرق

ومن الشام ، قول الشاعر :

سمعت بنا قيل الوشاة فأصبحت

صرمت جبالك في الخليط المشم

ومن البداوة ، الحديث الشريف « من بدا
جفا » أي من سكن البادية اكتسب منها الجفاء

ومن المدينة ، قولهم تمدن فلان ، اذا سكن
المدينة .

ومن البلد ، قولهم أبلد بالمكان اتخذه بلدا

ومن الجنوب ، قولهم اجنب القوم ، اذا دخلوا
في الجنوب

ومن الشمال ، قولهم : أشملوا ، اي دخلوا
الشمال .

ومن الشرق ، قولهم : شرق فلان ، اذا اخذ
في ناحية الشرق .

ومن الغرب ، قولهم : غرب ، اذا اخذ في ناحية
الغرب ، قال الشاعر فيهما :

سارت مغربة وسرت مشرقا

شتان بين مشرق ومغرب

وبهذا نرى العربية قد استفادت من المكان ،
استفادتها من الزمان استفادة واسعة ، وهو ما لا نجده
في غيرها أيضا كذلك فقد نجد في الاسبانية من
الاندلس Andaluzada و Andalucismo
فالكلمة الاولى يراد بها المبالغات الاندلسية ، والثانية
اللهجة كذلك ومن قشطيلية Castilianizar ،
والمراد بها الاسلوب المنسوب لكستيليا بلقن للاجانب
عنها ، فالاشتقاق اذن حصل بعد النسبة لها ولا تكاد
نجد هذا الاشتقاق في غير هاتين الناحيتين ، وطبعًا
لا يتوقع ان يوجد شيء من ذلك في الانجليزية التي
تتحرك في اشتقاقها بمساعدة فعل الكينونة ، ان لم
يكن هناك مصدر تعتمد عليه مباشرة ، وكذلك
الشان في الالمانية والفارسية والتركية .

نعم ، قد سبق ان « Arrive » مأخوذ من
« River » ولكن قواميسهم في Etymology تذكر ان
الانجليز أخذوا هذه من الفرنسية بعد اشتقاق الكلمة
فيها

حقيقة ان الاسبانية اشتقت من الطريق فقالت:
Caminar من Camino ولكن الملاحظ في هذه
الحركة اكثر من الصيرورة فيه ، ولهذا لم تذكره

« الطويلة » باسم طمطم Tomtom وتسمية لعبة « البيكينجوك Ping-pong و Croquet ربما تكون كلمة « التراكاتور » من هذا القبيل . وعلى فرض انها مأخوذة من اللاتينية ، فان هذه قد حاكت الصوت . فيما سمت به قديما ، وقلدت في ذلك حديثا . قل لي طالب اسرائيلي ، كان يحضر علي درس الفارسية . اني ادركت تماما معنى كلمة « كرفتن » اي القبض والاستيلاء ، ولا شك ان ذلك كان في خفة وانتشال ، وهذا طبعا يفهمه الاسرائيلي اكثر من غيره .

الاساطير ، فنسمي طائرة من الطائرات ، مثلا ، باسم العنقاء ، او آفة هتلة باسم الفول ، وقد فعلت هذا انجلترا فسمت الآلة الرافعة للانتقال العظيمة باسم Bogey ومعناه الفول ، واخيرا وجدنا اميركا تلجئ الى اساطير اليونان ، فتسمي باسم اله الشمس وغيرها Apollo ثم تستعين بالارقام بعد ، فيكون أبولو واحد واثنين الى خمسة عشر ، وهكذا دواليك ، وهي التي سمت طائرتها المدمرة Phantom اي ببعع .

وقد يلعب الخيال ، فيصور الاشياء وهي لا ترى ، بصورة ما ، كدائرة السوء ، او يضي عليها لونا ، كالحمي الصفراء والاسودين للتمر والماء او يجعلها تصيب كنداء المجهول ، وهذا في الواقع من صنيع الشعراء ، واصحاب الخيال الخصب ، ولكنه اذا ما شعر صار يؤدي ما تؤديه الاسماء المعتادة فمن منا يجهد فهمه في ادراك « صوت الضمير » و « دائرة السوء » التي جاءت في القرآن الكريم ، وادركتها الافهام بلا كلفة او مشقة ، كما ادركت « رؤوس الشياطين » وقد جاءت في القرآن ، وادركت « انياب اغوال » في شعر امرئ القيس :

ايقتلني والمشرقي مضاجعي
ومسنونة زرق. كانياب اغوال

وبعد هذا كله فللغة ان تخترع ، وهذا من علامة حيوتها واستجابتها الى كل ما يجد في الحياة ومتطلباتها ، وقد جاء الاسلام بجديد فاحتاجت اللغة الى جديد في اللفظة ، فاخترعت الفاظا قرآنية ، لم يكن العرب يعرفونها ، وخصوصا فيما يتصل بالآخرة من تصوير احوالها وعذابها او نعيم جناتها ، كالسلسيل ، والصعود ، وسقر ، وسجين ،

في هذه الظروف المكانية ، وبعبارة ان الطريق ، كان بعد الطروق ، فهو مأخوذ من الفعل لا الفعل مأخوذ منه ، ومادة الفعل اوسع منه فهو فعيل من الطروق بمعنى مفعول منه .

وبالجملة فالزمان والمكان لهما أهمية خاصة في العربية ، ولذلك الف المرزوقي الاصفهاني من رجال القرن الرابع واول الخامس كتابه القيم « الازمنة والامكنة » وكان استاذنا المستشرق Paul Kraus اذا سال احدنا عن هذا الكتاب ، فاجاب بأنه لا يعرفه ، ينحى عنه بالتجهيل والتقريع . لان مثل هذا الكتاب ، يجب ان يكون كل طالب في العربية على علم به واطلاع عليه .

ومهما يكن ، فاننا زيادة على تلك الوسائل التي ذكرنا ، لنا وسائل اخرى نجعلها فيما يلي :

الالوان ، كتسمية نوع من الحيات ، باسم الاسود ، والتسمية بأحمر نمود ، والاعتماد على اللون ، نجده حديثا في مثل البطاقة الرمادية والبطاقة الخضراء ، المعروفتين لكل سائق سيارة .

الاشكال ، كما هو معروف عند الموقتين ، في نحو نحو «الربع المجيب» و «الربع القنطر» وعند اصحاب الهندسة ، كالربعات والمثلثات ونحوهما ، وقد تتعاون الالوان والاشكال والاصوات ، كما حصل هذا في « المربع الاحمر » لاصحاب زيت لوسيسور . وقد ذكر النحاة امثلة لذلك ، في نحو طاق للضرب ، وطق لوقع الحجر ، وغب لوقع السيف ، وساق حر ، لطائر ، قال الشاعر :

وما هاج هذا الشوق الاحمامة
دعت ساق حر ترحة وترنما

وقد وقف فقهاء اللغة عند هذه الكلمة وقفة طويلة ، يمللون اشتقاقها .

اما النحاة ، فمقدوا لهذا باب حكاية الاصوات ، كما ان اللغويين القدامى والمحدثين ، والفلاسفة في القديم ايضا ، استرعى نظرهم ذلك ، فكان منهم من ادعى ان الالفاظ اللغوية كلها ، انما نشأت حكاية للاصوات ، وهذا لا يعيننا ، ان كان صحيحا ام لا ، بقدر ما نستفيد منه ، وهو كائن في اللغة ، ويمكن الاستفادة منه ، وقد رأينا في اللغات الحية ، شيئا من هذا ، كما في تسمية

وطوبى ، وغساق ، وغير هذه ، وان ادعى كونها
معربات .

وهذا ليس بدعا في اللغات عامة ، وعندنا كلمة
Gaz تعيش في كل مكان . ولا يعرف لها اصل البتة .

واذكر ان احدهم صنع شيئا ، فدخل عليه طفل
سأله عن اسم المصنوع . فسأله هذا الصانع : كيف
تسميه ؟ قال له . كذا ، فسماه بذلك . ولم يكن
لذلك الاسم اصل من اللغة ، وقد وضع احدهم
رسوما متكررة . على شكل زوايا حادة متسلسلة ،
ودعاها « كيكريكو » ورسم الى جانبه رسما آخر ،
عبارة عن سلسلة من انصاف دوائر ودعاها « امبو »
ولكنه وضع الاسمين ، ودعا تلاميذ من مختلف
الجنسيات واللغات وسألهم : اي الرسميين
« كيكريكو » فكلهم اجاب بأنه صاحب الزوايا الحادة
ولا شك انهم يدركون العلاقة بين تره مك التركية
والاضطراب و trouble والواقع ان الرسم له
صلة بما يعرف عند الرسامين ، باسم « كروكي » .
واعرف سيدة اخترعت كلمة « زوطوطو » فسارت
الكلمة في الوسط العائلي ومن الكلمات المخترعة
كلمة « روكوكو » Rococo وهو من اسماء
الزخارف ، وكلمة « كوداك » Kodak .

ولا شك ان هذه الكلمات ، سيزداد عليها ، ولن
تقف مكتوفة ، بل سيشتق منها فيما بعد ، شأنها
شان باقي الكلمات في العربية . سأل الضيف صاحب
المنزل عن طعام ، قد أتى عليه ، فأغاظ صاحب المنزل
الاب الفقير ، ما اسم هذا الطعام ؟ فأجابه بفيض :
« الكجدور » فقال له : « على ش ما كجدرتوشي منو
بزاف ؟ » وهكذا اشتق من الكلمة الغربية عليه ، بمجرد
فهم مدلولها ، كما اعتقد ، وهي طبيعة العربية الام
الولود ، التي تمكن اولادها من حرية التصرف ،
فيشتقون من « الاستيك » ، فعل « استك » وغيره ،
كما يشتقون من da le المركبة في الاسبانية من
فعل أمر من صدر dar اي الاعطاء ، والمفعول
فكان التعبير dale اي اعطه ، ولكننا قلنا دالا
عليه ويدالي الى غير ذلك من كل ما يدخل الى
العربية من كلمات لها اصولها او مخترعة لا اصول
لها ، كما تقدمت امثلة له .

وبعدما تعرضنا للتعريب في مفهومه القديم
والحديث والوسائل التي تمكننا من سد الحاجة التي
نشعر بها حيال هذا العصر واختراعاته المتلاحقة ،
وما تتطلبه حضاراته المختلفة .

نلقي النظرة الاخيرة على ميدان التعريب ،
يكون بهذا تلخيص ما تقدم وتبسط بعض الجوانب
منه ، بأمثلة منها ما يعايشنا ويسايرنا في ثقافتنا
اليومية ، ونحن في مضمار الحياة ومعترك
الاحداث .

ولا شك ان اماننا مشاكل متنوعة في هذا
المضمار وذلك المعترك . فهناك العامية ، التي يجب
ان نأخذ بيدها ونسومو بها الى مستوى راق . بدل ان
ننزل اليها من هذا المستوى الراقي ، وهناك الفن
ومذاهبه ، كما قيل ، فهو يصور الحياة في لوحاته
الزاهية والشاحبة والقائمة ، برسومه وموسيقاه ،
التي أصبحت تتطور مع الايام بأدواتها واصداحها ،
اني جئت ذلك الرسم الذي لا يقتصر على المشاهد ،
بل اصبح يجاذب الكتابة ويرقى الى الرموز ، التي قد
تعجز عنها الكتابة نفسها ، فهو يسبح في عوالم خارقة
تلعادات وهو يخاطب او يحاول ان يخاطب وجدانات ،
بلفات لا تقوى عليها الكتابات والاصوات ، فهو حر
طليق لا يعترف حتى بسلطان النفسيات والمسجلات
للخبرات الرتبية ، في سهولة تتراد منه او اسلاس
ينقاد به ، انها الثورة التي يريدها الخيال الجامح
في اعلانها المكسرة لاصنامها . وهناك النحت ، لا يقل
في غاياته عن غايات الرسم ، وان كان طريقه وعرا ،
تكتفه الصخور عليه ان ينحت منها ، والاحوال عليه
ان يفوض فيها فهو على رعونته ، اصبح لا يقل عما
عليه الرسم في اطيافه واحلامه ، ووداعته وثوراته .

وهناك الكلام ، وهما كما يقول الشاعر :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما

جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والفؤاد هذا قلب قلب ، يقبله من هو كل يوم
في شأن ، فعلى اللغة ان تسجل خطراته ، وان تضبط
دقاته ، وهي كما قال شوقي :

دقات قلب المرء قائلة له

ان الحياة دقائق وثوان

نعم ، انها دقائق وثوان ، ولكن هذه الدقائق
والثواني ، ما اعظم متطلباتها ، وما اشد ما يتحمل
الانسان من اماناتها ، وقد آبت السماوات والارض
والجبال ان يحملن هذه الامانات ، كما قال تعالى
« انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه

ويطبق على ذلك قواعد ما يشبه عنمه . كما عليه ان
يخترع اسما جديدا لهذا العلم ، والكيمائي عليه ان
يحلل عناصر ما في هذا الكون او الاكوان ، ويسمى
تلك العناصر بما يخترع لها من اسماء ، لان المدلولات
قد تكون غريبة عن هذا الكون ، وليس لهؤلاء ان
يقولوا العرائس تلك الافلاك :

صوني جمالك عنا اننا بشر
من التراب وهذا الجسم روحي
او فابتغي فلكا تأوينه ملكا
لم يتخذ شركا في العالم الفاني

لان هذه العرائس تأوي فعلا هذه الافلاك فلم
تتخذ لها شركا في عالم غير عوالمها ، ولكن الانسان
هتك استارها وكشف خدورها فتجنت مفاتنها
للابصار ، وانهرت لاسرارها البصائر ، فلا اقل للغة
من الوصف ولا مناص لها من الكشف ، بكل دقة وكل
تبيان .

ان هذا الاكتشاف الذي ستلوه اكتشافات ،
قد تطب آلاف الآلات والادوات ، فعلى اللغة ان
تسمي كل ذلك بدقة وتفهمه للفهام وليس بقادر على
هذا الا اهل العلم انفسهم ، وقد وضعت اللغة امامهم
وبين ايديهم ما تملك من ادوات التعبير ، ووسائله
كالاشتقاق من الحقيقة والمجاز والتشبيه وحكاية
الاصوات والنحت والتخصيص والتعميم وكالاستعارة
من اللغات بعضها من بعض وكالاستعارة للكلمات
وخلقها من العدم ، اذا لم نجد في هذا الوجود ما
نستفيد من لونه او شكله او رائحته او حركته او ما
الى ذلك او مما يسعنا بمماثلة ما ولو في الوهم او
الخيال الذي يساورنا او يخلف لنا من اساطيره
وخرافاته .

لقد سمي آباؤنا سائل الكلونيا، باسم «مسيكو»
فاسمفتهم الرائحة ، واخترع « شيكبير » اسم
« دولار » قبل ان يكون دولار وسمى آباؤنا ايضا
الدراجة ، باسم « عود الريح » معتمدين على
السرعة في الحركة ، وكان هذا تلقائيا منهم ووفقوا
كل التوفيق (وفي الفارسية « دوجرخه » اي
فلكتان) اذن فالعزم اولا هو ما نتذرع به ، في
مواجهة التعريب ، وفي القديم واجه القوم ، فما
وهتوا ولا ضعفوا ، وحلوا مشاكلهم في تدوين
الدواوين ، ونقل العلوم المختلفة والآداب المتباينة
والعقائد المتضاربة الى لغة الضاد ، ولم يكن اولئك
اقدر منا في العربية ولا افهم منا لتلك العلوم

كن ظوما جهولا » هو ظلوم عليه ان ينصف نفسه
وينصف اناس . وهو جهول عليه ان يعلم ويتعلم ما
ينبغي رغبات الافئدة في هوائها . والعقول في مناطها ،
والاجسام في علها واسقامها ، وصحتها وملاذها .
من المشاهد والاذواق والشاعر والاسماع .

فهذا فن الكلام في آدابه ، التي تتولد وتتفاعل
في الوانها وامشاجها ومعطياتها ومقاصدها ، وجميعها
في تطور مطرد وفي انفصال هلامي مستمر . وفي
استقلال بيء اصحابها واطانها ومجتمعاتها وافكارها
وثقافتها ، بعد اللغات ، وقد اصبحت تعد بالالاف . .
واسبح على الانسان ان يفهم كل شيء ، وقد واجه في
حياته كل شيء ، فخيمت عليه الظلال من كل مكان ،
ووجهت عليه الانوار والنيان ، فعلى هذه اللغة ان
تسمد بكل شجاعة ، وعليها ان تقوم برسالتها ، بكل
عزم وقوة ، فتمثل دورها في جميع المحافل خير تمثيل
ان كانت على قيد الحياة .

ومن وراء هذا كله الفلسفة التي اصبحت من
هذا الجيل مطالبة بالجديد ، والا فليها ان تنزوي
من مسرح الحياة الجديد في جميع فروعها ، حتى
« الميتافيزيقا » نفسها ، فمهماتها صعبة في هذا
العالم الصعب المعقد ، الذي لا يرحم احدا ولا يحجم
عن الاخذ بتلابيب العلماء العظام والفلاسفة الكبار ،
فعلهم ان يفهموا ويسطوا وعليهم ان يقنعوا العقول
وهي في زيفاتها وصراعها للايكترونية العملاق .

وهذا العلم لم يبق بالرتابة او القداسة التي
كان عليها ، فهو يطارد مطاردة لا هوادة فيها ، منذ
بداية هذا القرن ، واشتدت المطاردة اثناء الحرب
الاخيرة ، وازدادت اشتدادا بعدها ، وصارت
الدنيا تמיד بها ، واذا بالافلاك والنيان تناجي
الانسان فيطالب العالم بان يحمله الى هذه الكواكب
والافلاك ، فلا يجد المسكين مناصا من ان يستجيب
لمطالب الانسان الجبار ، فيبني له المراكب الفضائية
ويزوده فيها بما يضمن له السلامة ولا يحرمه مع هذا
من الاتصال بالعالم الارضي لحظة ، ويتكفل بالعودة
به اليه بعد ان يحط رحاله بتلك الكواكب ويطوف
في ارجائها ويحمل من متاعها ويستعمر من بقاعها ،
فلا يلبث بعد عودته ان يطالب العلم بدراسة هذه
العوالم العليا .

فالجغرافي عليه ان يخترع ما يشبه علمه لهذه
الكواكب ، بل عليه ان يخترع اسما خاصا لهذا العلم ،
والجيولوجي عليه ان يدرس طبقات هذه الكواكب ،

والاداب وغيرها ، بل كانوا دوننا فى ذلك ولا شك ، الا انهم كانوا يتوفرون على شيء لا تتوفر عليه ، وهو الشعور بالهزة والكرامة وانهم سادة يجب ان يخضعوا لهم ، لا ان يخضعوا لغيرهم ، وبذلك اخضعوا لغتهم ، فى يسر ، كل ما وصلوا اليه او اتصل بهم .

هذا هو موقفنا الذى يجب ان نتفقه ازاء هذا التعريب ، وهو موقف ، لا محالة . يدعو الى التخصص . بعد تلك العزيمة ، والى النهل من العربية والتعمق فيها . حتى يمكن كل عالم او صانع او مفن او متفلسف ، ان يتولى ما يراوله او يعانیه بالتعريب .

وعليه ، فالطبيب يتولى تعريب ما يتصل بطبه . والمهندس يتولى ما يتصل بهندسته ، والمتفلسف والمفن ، كل لما يتصل بهأويته والصانع كذلك يعرب ما يتصل بصناعته ، وقد مكناه من ذلك بالتعليم ، الذى يسير فى ركبته هذا التعريب .

ولا نهمل مع هذا استشارة الشعب ، بل نعود الى قاموسه الحي ، الذى يمدنا بنحو « عود الريح » و « ميكو » و « والصدفة » و « الكسكاس » و « غويلة » و « ترابية » ، وغير هذه من الكلمات التى تخضع للعربية وقوانينها ، كما نتلقى منهم من غير مشقة ما عربوه هم مثل يكمي ، من Quemar الاسبانية والكرو من Cigarro الاسبانية ايضا الا اننا نخضع الكلمة لقانون العربية ، فلا نتركها لمتنها هذا ، وفى آخرها واو قبها ضمة لازمة ، بل تختم بهاء مثلا ، كما فعلنا فى ينيه ويلييه وسيبويه ، وسميت الصورة السالبة باسم « عقرية » فى عامية الشرق ، فلنا ان نستعير حتى من العامية .

كما نستعين برصيدنا فى الخارج فالاسبانية اخذت كلمة « كحال » Oculista لطبيب العيون وعنها اخذتها باقى اللغات الاوربية كما اخذتها مباشرة الفارسية والتركية . فلماذا لا نستعملها نحن العرب فنجاري اللغات الحية التى استعارت منا ولنا الفضل عليهم ؟ ربما نائف من هذا ، فلم لم يائف غيرنا ان يسموا طبيب الاسنان بالسني Dentiste كما فى اللغات الاوربية والتركية ؟ وعلينا ان نجاري غيرنا فى ذلك ، وقد استعملت هذه التسمية « دنيلية » فى الاندلس وان كانت فى الاحتفال يبدو الاسنان ، وادعى بعضهم ان لها اصلا فى الفصحى ، وتوقف الزبيدي هنا .

والفارسية ثم التركية سمت الهيدروجين « مولد الماء » كما تقدم ، واستعملت التركية « تهاكة » بدل « خطر » ، والاسبانية « انبوب » Embubo بدل قمع . وهكذا نجد الفاظا نستفيد من وجودها فى الخارج او نختارها منه .

وهذا عمل يحتاج الى تعبئة عامة ، وكفاح يشارك فيه الجميع : الحكومة بتدخلها فى تعريب انلافتات والتذاكر واللوائح والصحافة باختيار الكتب والمثقفين حقا والمتخصصين فى العربية تخصصا عميقا . فلا تترك الصحافة فى ايدي من لا يحسن لغتها من المتطفلين عليها ، والتمثيل المسرحي كذلك له رسالة فى هذا التعريب ، فعليه ان يختار الموضوعات التى يستسيقها الشعب حتى يقبل عليها فى لغتها ، فتعمل فيه بطريق الإيحاء ، وكذلك التمثيل الخيالي ومسرحه فى الواقع أقسح من غيره ، والأغاني العربية وحتى الشعبية تخدم كذلك التعريب ، اذا احسنا استعمالها واخترنا اصواتها الجميلة والحنان السجية واعدناها بالموسيقى العذبة المؤثرة والاذاعة والتلفزة من اقوى دعائم هذه التعريب ، فهي الصوت الذى يصحنا ويمسنا والمشاهد التى تحيينا وتسامرنا وتناجينا .

اما المدرسة والكتاب ففني امرهما عن البيان ، ولا بد من الاستمرار والتذكير ، فقد كنت كتبت فى كون العمالة بالكسر ، فكان لهذا صدها فى اذاعة تطوان وفاس ولكن التذكير بهذا انقطع فعاد الناس الى العمالة بالفتح وعدت انا معهم الى هذا الضلال على علم به مني .

واخيرا ، لقد تركنا المفردات وما يمكن ان يستفيد منه التعريب فى حركته الدائبة بنشاط هذه الاحياء البشرية وبقي علينا ان نوجه العناية الى المفردات فى تركيبها ، او تعريب الاساليب ، ان صح هذا التعريب .

وموقفنا هاهنا لن يطول ، لانه لن يكون معربا بحق وحقيقة ، فالعربية قد انتهت الى تراكيبها ، وليس فى الامكان ابداع مما كان فى بنيتها ، وارتفعت الاقلام عن تسطيرها وجفت الصحف بما فيها .

الا ان هناك ، جوانب لا تمت الى الخلق والابداع من جديد ، بل هي فى الواقع محافظة على ذلك الكيان اللغوي الذى هو بالنسبة اليها القلعة المتيدة والحصن الحصين ، الذى يجب الدفاع عنه الى آخر قطرة من دمائه هذه اللغة الابية المستمينة الصامدة .

ان العربية كما قلنا ، كريمة كأصحابها مضياف
تكرم نزلاءها ، فوجود مائات او آلاف من الكلمات
الدخيلة فيها لا يهدد حوزتها ، بل بالعكس يزيد
قوة ويكسبها منعة ، في مواجهات كل الطواريء .

ولكن العبث بالنظام المتبع فيها ، واحداث
الفوضى في مجتمعها ، هو الذي لا يقبله بحال . وهو
الذي يجب الا تقبله ، كما لا يقبله اي عرف من
اعراف اللغات قاطبة ، وهي لغات لها كرامتها ونها
وجودها الازلي والخالد خلود الدهر .

ونعود فنقول ، اننا لن نزيل في هذا التعريب
التركيبى . وسنقف وقفة قصيرة : عند بعض
الاعراض ولا نقول الامراض التي طرات على هذه
العربية في عصرنا المريض برجاله ومثله العليا .

فاول تلك الاعراض ، بل اول تلك الامراض ،
مع العذرة ، مرض حل بمستقبل هذه اللغة ، نعم ،
حل بمستقبلها مع الاسف ، ولكنه حل بمستقبلها
السايي ، لا الايجابي ، احسن الحظ ، والله الحمد
على كل حال .

من العلوم ، ان الافعال في اللغات ، هي مفاتيح
تلك اللغات ، بل هي حياتها التي بها يكون حيوانها ،
والحيوان في الواقع ، ما هو الا الحركة الجياشة ،
كالفيضان والغليان والثوران والجيشان نفسه ، وبهذا
الاعتبار ، قال تعالى : « وان الدار الآخرة لهي
الحيوان لو كانوا يعلمون » وبذلك تكون هذه الكلمة
في مدلولها الآن قد انحرفت عما خلقت لاجله .

وهذا لا يهمنا الآن ، فقد انتهينا من المفردات ،
كما قلنا وعلينا ان نعالج مستقبل هذه اللغة في افعالها
السلبية ، وهي التي تحتاج الى علاج ناجع وسريع .

نقول سوف نفعل ، كما نقول سنفعل ، وهذا
الاخير مختزل من الاول ، وكان قد عمل فيه هذا
الاختزال ، فقول سوف افعل ، وسف افعل ، وأخيرا
سافعل ، فوقع الاختصار على حرف السين
وحده ، واهمل الاختصار عليه مع الواو او الفاء ،
وحافظ على الام الرووم « سوف افعل » وهذا
جميل في هذه العربية التي تتجدد وتتطور ، ولكنها
لا تتنكر للماضي ، ولا تعق الامومة والابوة .

هذا هو الفعل المستقبل الموجب في العربية ،
سلمه الله من كل بلاء ، ودرا عنه كل اداء ، فبقي
كيوم ولدته امه على فراش الصون والعفاف

ولكن المستقبل المنفي وقع فيه من المصائب ما
لا عين رأت ولا اذن سمعت بمثله في غير هذه اللغة
الشريفة نسمع دائما ونقرأ دائما ، وخصوصا في
صحافتنا المسكينة هذا التعبير :

« سوف لا يأتي فلان » ونسمع ونقرأ في
صحافتنا المنكوبة ، ما هو افظع من هذا وادهى ...
نسمع ونقرأ :

« سوف لن يأتي فلان » ، ، فض الله فم من
كان اول الناطقين ، بتلك العبارة المسوخة ، وهذه
العبارة الملعونة من السماء ، لان الله ما انزل بها
من سلطان ، ولان كتابه الكريم قال : « لن تراني ولكن
انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني »
فعلمنا كيف نعبر بالمستقبل المنفي « لن تراني » وقابل
به المستقبل المثبت « فسوف تراني » .

اذن فاداة الاستقبال في الفعل العربي المنفي ،
هي الاداة « لن » فنقول « لن يسافر فلان » في
المستقبل من الزمان ، ولا نقول « سوف لا يسافر » ،
ومن المخجل ان تستعمل هذه العبارة ، في التمثيلية
التي جابت من مصر فعرضت في تلفزتنا بمناسبة
المولد الشريف ، وهي تحكي حوارا كان على عهد
الرسول ، عليه الصلاة والسلام .

وافظع من هذه العبارة ، هو « سوف لن
يسافر » ، فتلك جهالة جهلاء ، وعدم اكتراث باللغة ،
التي ظن اصحابها اليوم ، كأنهم قيل لهم فيها :
« تكلموا كيف شئتم » ، وصدق الشاعر :

رايت الحلم دل علي قومي

وقد يستجهل الرجل الحليم

ان مثل هذا التعبير انما هو استعمار انجليزي
تعدى الى اللغة بعد ان اعتدى على اصحابها ، وما
ابغضه من استعمار ، تخلص منه الناس ، ولم يتخلصوا
من ادوائه العديدة ، التي منها هذا الداء الوبيل ، فقد
تلقي احد الكتاب الطفيليين ، وما اكثرهم واسمجهم ،
مثل هذا التعبير الانجليزي I shall not come
فقد عليه عربيته المعذبة ، في قبضته الاثيمة ، فقال :
« انا سوف لا آتي » او « سوف لن آتي » ولو آمن
جدا في التعبير الذي سحره ، لقال : « انا سوف لا
آتيان » هكذا ، وهو تركيب لا يوجد الا في
الانجليزية والالمانية بهذا النسج وهذا الترتيب ، ولا
نعرف له مثيلا في لغة اخرى غيرهما ، وهكذا نجد

العبارة المذكورة . تكون في الالمانية

ich werde nicht kommen

سواء بسواء ، فتجعل اداة النفي تالية لاداة الاستقبال ، كما في الانجليزية وفي تعبيرنا هذا المسوخ « سوف لا » او « سوف لن » كما تقدم ، بينما الفارسية تدخل اداة النفي على اداة الاستقبال ، ولا تجعلها تالية لها ، فتقول في نفس الجملة « من نخوهم آمد » فالنون نفي وتخالف هذه جميعا التركية ، التي تأتي بالمصدر المرخم وتلحق به اداة النفي ، ثم تأتي اداة الاستقبال فتقول « بن كله ميه جفم » ويقتى بعد هذا اللغات المتفرعة من اللاتينية ، كالاسبانية ، فانها تأتي بأداة النفي ثم المصدر المرخم ثم اداة الاستقبال Yo no vendre

ويلاحظ ان هذه اللغات - ما عدا الانجليزية - تصل ضمائر الفواعل او علاماتها ، بأداة الاستقبال ، وانها جميعا تستعين بالمصادر ، في صوغ فعل الاستقبال ، الا ان الانجليزية وليس لها مصدر غير مؤول ، تحذف الحرف الموصولي v ، والالمانية تأتي بالمصدر كما هو ، بينما الفارسية والتركية والاسبانية ترخم هذا المصدر عموما .

ثم انها تتحد في كونها لها اداة تدخل عليها او تلحق بها اداة النفي ، وهي واحدة الا في الانجليزية ، فتختلف بحسب التكلم وغيره ، فهي للتكلم كما رأينا shall ولغيره will وقد يتبادلان قصد التأكيد كما يقول شيلي Our breath shall intermix وربما استعمل هذا الفعل في معناه الاصلي ، اذ لا مهمة له في الاستقبال « We shall become the same. We shall be one spirit »

وكذلك العربية لها اداتان ، واحدة في الاثبات ، وهي « سوف » او ما اختزل منها ، وواحدة في النفي وهي « لن » لا غيرها .

ولعل « سوف » كانت ظرف زمان في اصلها ، بنيت على الفتح للازمتها الظرفية ، وان كان المستشرق Bergstraesse يرى انها مستعارة من الآرامية Saupa ومعنى هذه « النهاية » او « الغاية » ، فكان معنى « سوف افعل » اني افعل في النهاية والغاية .

يقول علماء اللسان ، ان اللغات السامية - ما عدا الاكادية منها - ليس لها الا زمانان ، ماضي قديم انتهى ، وغيره لم ينته ويشمل الامر والحال والاستقبال .

فكون العربية استعانت بسوف ظرف زمان ، او saupa الآرامية على تعيين مستقبلها ، هذا شيء ليس بغريب في اللغات فالانجليزية ، في غير التكلم خاصة ، والفارسية عموما ، استعانت بفعل الإرادة ، الذي ما زال بهما يستقل بنفسه أحيانا ، فكان الاصل في « سيفعل » مثلا هكذا « يريد الفعل » وفي التكلم استعانت الانجليزية ، بكون الفعل ملزما ، فكان الاصل « سأفعل » هكذا « يلزمني الفعل » فهو الفاعل على الحقيقة ، وفي الالمانية استعين بفعل أصبح ، فكان الاصل في التعبير السابق هكذا « انا لا اصبح اتيانا » ويستعمل كذلك مستقلا وهذه الاستعانة نجدها في نحو «غادي» او «ماشي» او «خصني» او «نحب» التي تستعمل بالعامية كما يستعمل الرواح والود بالشرق

وليس لنا اداة لا تؤدي الا هذا الاستقبال المجرد ، سوى الاداة التركية والاداة الاسبانية الآتية من اللاتينية في غير العامية هذه مقارنات في سوف مثبتة في العربية ، ومطلقة في غيرها .

وبقيت « لن » فما أصلها ؟

اختلف فيها ، فمنهم من يراها خلقت كذلك ، ومنهم من يرى ان النون ، حلت محل الالف من « لا » للتأكيد ، ومنهم من يرى ان أصلها « لان » فكان الاصل في « فلان لن يفعل » فلان لا ان يفعل ، فهي تفهم كون فعل لن يقع في الاستقبال .

ومهما يكن فجميع هذه اللغات - ما عدا التركية - استعملت النون للنفي هنا ، أما التركية فالميم وهي أخت النون التي طفت عليها تماما بالفارسية .. والنتيجة ان الفعل المستقبل في العربية ، اذا نفي يكون بلن وحدها ، كما قال الشاعر :

هي الشمس مطلعها في السما

فمز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصمودا

وان تستطيع اليك النزولا

ومن قبل بثلاث وعشرين سنة كتبت في اداة الاستقبال ، فاهتمت بذلك مجلة الروس البيض بتونس وأبدته في مجلتها « Ibla »

الفُصْحَى، لُغَةُ الْقُرْآنِ

لغة فكر عالمي لنمو سبعمائة مليون مسلم جغرافيا ويمتد اربعة عشر قرنا في التاريخ والتراث

الأستاذ أنور الجندي (القاهرة)

ان طرح القضية على هذا النحو يمكن ان يكون صحيحا في اي بلد من بلاد العالم وفي مواجهة اي لغة ولكنه يصبح عسيرا جدا حين يطرح بالنسبة للغة العربية . ولو لم ترتبط اللغة العربية بالقرآن والاسلام لكان يمكن ان يكون هذا الكلام مقبولا .

اما وقد انزل القرآن منذ اربعة عشر قرنا باللغة العربية فانشأ عالم الاسلام الفكري والاجتماعي والديني فقد اصبح للغة العربية وضع مختلف لا شبيه له في اي لغة اخرى . ولم يعد للعرب وحدهم حق التصرف في اللغة العربية . ولم تعد اللغة العربية لغة اقليمية تخص قطرا ، بل لم تعد الامة العربية نفسها مطلقة الارادة في التصرف بها .

هذه هي الحقيقة التي واجه بها المفكرون المسلمون منذ أكثر من ثمانين عاما تلك المحاولة التي قام بها ولكوكس في مصر وماسينون في الشام وكولان في المغرب ، ثم تابعهم بعد ذلك سلامه موسى والخوري مارون غصن وكثيرون .

ان اخطر ما تمثل اللغة العربية هو ان قارئها اليوم في العقد الثامن من القرن العشرين يستطيع ان يقرأ ويفهم ما كتب بها منذ القرن الخامس الميلادي (أي ما كتب قبل نزول الاسلام بأكثر من نصف قرن) .

ان التاريخ ليذكر ذلك الجهاد المتصل السذي حمل لواءه رجال أمثال : مصطفى صادق الرافعي ، ومحب الدين الخطيب ، وأحمد زكي ناشا الملقب بشيخ العروبة ، وعبد العزيز جاويش ، وعلي يوسف ، والدكتور محمد محمد حسين ، وأحمد الحوفسي ، وغيرهم في سبيل مقاومة الهجوم على اللغة العربية وانتقاصها ، والحملة عليها طوال تاريخ طويل يمتد الآن أكثر من خمسين عاما من خلال حملات المستشرقين والمبشرين ، ومن خلال مقررات حملها وزراء في عهد الحماية البريطانية ودعوات في الصحف وبعض الجامعات من أجل تجزئة مفهوم اللغة العربية الاصيل المتكامل ، ومحاولة لتصوير اللغة العربية على انها لغة « أمة » ومن حق هذه الامة التصرف فيها .

تلك هي القضية : لقد حاول الاستعمار والتفريب ان يطرح شبهة جزئية وجرت الاقلام في سبيل دعمها واقناع الناس بها ، ان اللغة العربية لغة أمة هي الامة العربية وان كل قطر من شأنه ان يكتب لغة ، وان هذا الامر يستدعي كل بلد ان يتناول هذه اللغة على النحو الذي يرضاه ويراها محققا هذه الغاية .

وكان هذا الاتجاه في طرح القضية يحمل طابعا خطيرا من التمويه والتزييف والتجاوز .

أي ان ترانا حافلا قام في خلال هذه الفترة كلها – واعظمه ما جاء بعد الاسلام بالطبع – هذا التراث هو ملك حر لقراء اللغة العربية يلجون به العاما صحيحا دون أن يكونوا في حاجة الى مراجع أو معاجم ويفهمونه فهما صحيحا . وهذا ما لم يتيسر بالتقطع لاي لغة في العالم كله اليوم ، وذلك أن أي لغة قائمة الآن بخلاف اللغة العربية لا يستطيع قراؤها أن يفهموا من تراثها الا ما لا يجاوز الثلاثة قرون ، اما ما يبعد عن ذلك فانهم يلتمسون لفهمه المعاجم . ان مرد ذلك ثبات اللغة العربية الذي لم يتح لأي لغة أخرى ، ومرجع هذا الثبات الى نزول القرآن بها وارتباطها به على النحو الذي انشأ هذه الثروة الضخمة من العلم والتراث والتأليف .

ومن هنا أصبح للغة العربية خاصية متميزة لا تستطيع اللغات الأخرى ان تشاركها فيها ولا تستطيع هي ان تجاوزها : تلك هي انها لغة أمة ولغة فكر ودين . فهي لغة الأمة العربية التي يبلغ تعدادها أكثر من مائة مليون يتكلمون بها وبها يتعاملون ، وهي في الوقت نفسه لغة المسلمين جميعا : لغة فكرهم ودينهم وصلاتهم ولغة ذلك الرباط الذي يجمعهم بالتشريع والمعقيدة جميعا وهو القرآن الكريم .

ومن هنا كان الخطر الوحيد الذي يواجه أهل اللغة العربية هو أن يسقطوا عن مستأى أسلوب القرآن ، ليصبح أسلوبهم قاصرا عن فهمه وتعمقه ، لأن ذلك من شأنه أن يفصل بينهم وبينه ، وذلك مما تحاوله القوى الهدامة المعادية للعرب والاسلام ، والتي تدعوهم الى ما يسمى باللغات الوسطى أو تقرييب الفصحى من العامية .

وامانا القرآن وهو المقياس الثابت وعلينا في كل حركة من حركات العمل أن نتقرب منه ونلتقي به ، فعلى العامية أن تقترب من الفصحى وليس على الفصحى أن تنزل الى العامية .

والتعليم كليل اذا اتسعت آفاقه ان يقلل من الحاجة الى العامية وان يقرب الاتصال بالفصحى .

والذوق العربي كله متصل بالفصاحة ، وفهم الفكر الاسلامي والثقافة العربية متصل بهذا المستوى من الاسلوب والبيان .

لقد كان لارتباط اللغة العربية بالقرآن الذي نزل بها آثاره البعيدة المدى ، فلقد اتصلت اللغة العربية التي كانت تعيش على حدود الجزيرة العربية الى آفاق

العالم كله وحملت معها ثقافة القرآن ، وحصيلة العلوم ، ونظريات السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وحملت معها المنهج العلمي التجريبي . فالقرآن هو الذي اعطاها هذه المكانة وفتح امامها هذه الافاق ، فهي بوصفها لغة الاسلام قد حملت رسالة ضخمة الى العالم كله والى البشرية : هي رسالة التوحيد .

ولقد وهب القرآن اللغة العربية حصيلة ضخمة من المعطيات الفكرية والاجتماعية من خلال رسالته العالمية التي اتخذت من الفاظ اللغة العربية المتناثرة تشكيلا جديدا طرح على البشرية منهاجا شاملا من الحياة والفكر والنظر في الكون وبسواء المجتمعات والأخلاق .

وكان هذا هو مصدر دهنه الناس عند نزول القرآن ، فقد كانت هذه الالفاظ معروفة لهم بأعيانها ، ولكن الاعجاز كان متمثلا في هذا التشكيل الذي تشكلت به فكرا وأداء ، في هذه القيم الجديدة التي قدمها ، وهذه الصور المتعددة ، وهذه الروعة في أسلوب الاقناع والحوار ، وهذه المناهج المتعددة في مخاطبة القلب والعقل .

ومعنى هذا أن ثروة اللغة العربية انما ترجع في تشكلها القرآني الذي اعطاها هذه القوة ، وفي نفس الوقت اعطاها الاسلام هذا الاتساع والذيع .

ومن هنا قد أصبحت صلة اللغة العربية بالقرآن والاسلام صلة عضوية تمثل التجربة الاولى والأخيرة من نوعها في صلة رسالة السماء بلغة من اللغات ، ولا ريب أن هذا المفهوم له اثره البعيد في امتلاك المسلمين جميعا لهذه اللغة ، وما يتصل بهذا من خطأ القول بأن لقطر ما أو شعب ما ، القدرة على التصرف في اللغة العربية .

ومن الحق أن يقال ان اللغة العربية هي لغة فكر عالمي يضم سبعمائة مليون من المسلمين جغرافيا ويمتد أربعة عشر قرنا في التاريخ والتراث .

(2)

هذه الحقائق كانت واضحة في اذهان اولئك المنافحين عن اللغة العربية في كل عصر : نراه واضحا في عبارات مصطفى صادق الرافعي قبل خمسين عاما حين يعرض للقول بأن العربية لغة أمة ام لغة فكر :

« ان في العربية سرا خالدا هو هذا الكتاب المبين (القرآن) الذي يجب ان يؤدي على وجهه العربي الصحيح ، وبحكم منطقا واعرابا بحيث يكون الإخلال بمخرج الحرف الواحد منه كالزيج بالكلمة عن وجهها وبالجملة عن مؤادها وبحيث يستوي فيه اللحن الخفي واللحن الظاهر ، ثم هذا المعنى الاسلامي (الدين) المبني على الغنبة والمفقود على انقراض الامم ، والقيم على الفطره الانسانية حيث توزعت وأيسن استقرت ، فالامر أكبر من أن يؤثر فيه سورة حمق أو تأخذ منه كلمة جهل . »

من احوالنا وعلى كل حال فليس من شبه بين اللغات المشتقة من اللاتينية التي كما قلنا كانت لغة ميتة وبين اللغة العربية الفصيحة التي هي لغة حية منذ أربع عشر قرنا ، لم تحط اللغات العامية الكثيرة من فدرها مسع شيوعها ، ولو امكنتها ان تعزلا عن مرتبتها لفعلت ، لما كانت اللغات العامية سائدة بين الشعب لا تراحمها المدارس والمطابع والادباء بتأليفهم ومنشوراتهم العمية والسيارة على اللغة الفصيحة (2)

(4)

وليس ادل على قوة اللغة العربية من عبارة ارنتست رينان ، في كتابه تاريخ اللغات السامية :

« ان من اغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذي بدء ، فبدأت فجأة في غاية الكمال ، سلسلة اي سلاسة ، غنية اي غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا أي تعديل مهم . فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لأول امرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الاندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة ان يرجعوا سواتهم بالعربية ليفهمها النصارى . »

من اغرب المدهشات ان تثبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحاري عند امة من الرحل ، تلك اللغة التي فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها .

وكانت هذه اللغة مجهولة عند الامم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال الى درجة انها لم تتغير اي تغيير يذكر ، حتى انه لم يعرف لها في كل اطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ، ولا تكاد نعلم من شأنها ولا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تباري ولا نعلم شيئا عن هذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج وبقية حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة . »

ومن عجب ان يكون هذا رأي اهل العرب فيها ثم يقوم من ابنائها من ينتقص من قدرها ويلبسوا الى العاميات ويحاول ان ينتزعها من مكانتها العالية .

« اما القرآن جنسية لغوية تجمع اطراف النسبة الى العربية فلا يزال اهله مستعربين به متميزين بهذه الجنسية حقيقة او حكما ، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس وردهم اليها وأوجبها عليهم لما اضطرد التاريخ الاسلامي ولا تراخت به الأيام الى ما شاء الله ولما تماسكت اجزاء هذه الامة ولا استقلت بها الوحدة الاسلامية ثم تلاحمت اسباب كثيرة بالمسلمين ونضب بانهم ولم يبق الا ان تستلحقهم الشعوب وتستلحقهم الامم على وجه من الجنسية الطبيعية لا السياسية فلا يتبين من آثارهم بعد ذلك الا ما يثبت عن طريق الماء اذا انساب الجدول في المحيط » (1)

(3)

ويرد الكثيرون على شبهة المقارنة بين اللغة العربية واللغة اللاتينية : بقول الأب صالحاني :

ان اللاتينية ماتت كلفة للشعب بموت الدولة الرومانية وبقية كلفة للكنيسة والعلماء . اما الشعب فكانت اللغات على لسانه تتكيف بتكيفات مختلفة حسب الامكنة والازمنة والعناصر ، ولم تكن اللاتينية لغته الاصلية وانما كانت اخرى : كالسليزية السكسونية والجرمانية الهندية ، وامتزجت بلغة اليونان فلم تثبت تلك اللهجات الا بتمادي الزمان وتنوع الكتابة وفتح المدارس وتأليف الكتب ، وساعد الشعوب في ذلك انفرادهم في اصقاع متناحية ودول مستقلة، فاین كل ذلك

(1) البيان م 1913

(2) م المشرق ص 130 م 23 سنة 1965 .

فلسفة الحركات في اللغة العربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال

مدير معهد الدراسات والبحوث للتعريب

— الرباط —

1 - التسم الاول :

ولعمومه وحفاهه ولسانه وشفيته فيخرج الكلام بكل انواع اصواته الشديدة منها والمتوسطة والخفيفة والثقيلة والطوية والقصيرة الى غير ذلك من غرائب خلق الله وعجائبه سبحانه تعالى عز وجل .

الاصوات اللغوية :

واذ لا حركة ولا سكون الا باذن الله فان الاصوات التي يخرجها الانسان من جهازه لا يخرجها بدون سبب كما ان لكل ما يصدر عن الانسان ولكل ما يحصل له اسبابا منها المجهول ومنها المعلوم ، بله : كل ما يقع ويحدث في هذا العالم بمعناه العام له اسباب ، ولهذه الاسباب اسباب اخرى لها اسبابها التي تنشأ عن أسباب ، منها المجهول ومنها المعلوم الى غير ذلك من اسرار الطبيعة التي لا نعرف عنها الا القليل . وعلم الاصاتيات بخبرنا بالحركات التي تؤدي بالجهاز الاصاتي الى اخراج الصوات (فونيمات) التي تشكل الحروف ويجعلنا نقف عند حدود الفوارق ومؤثراتها .

ففيما يخص صويته الباء بالنسبة الى صويته الهاء مثلا نعلم جميع ما يحدث اثناء التلغظ بهاتين الصويتتين . فان صويته الباء يتطلب اخراجها مجهودا أكبر من المجهود الذي يقتضيه اخراج صويته الهاء ، لانه يفرض العمليات الآتية :

يحدث نشاط كيميائي وكهربائي تفاعلي داخل المشتبكات (والمشتبكات هي الامكنة التي تشتبك

من المعلوم ان اللسان هو العضلة الاساسية التي نستعملها داخل الفم لاجراء الاصوات اللغوية بمشاركة اعضاء اخرى خصتها طبيعة التركيب البدني بالمساهمة في انتاج الكلام على اساس تيق نفساني يديع يتصرف في عمليات بدنية متسلسلة خلاصتها ان موجات صوتية متتالية منشؤها ذبذبات فيزيائية . تنتشر في الهواء وتدخل في الاذن فتتحول عندما تصدم العصب السمعي الى سيالة (اي كهرباء بدنية) تنسرب الى ملايين الخلايا الدماغية لتثير صورة سمعية تنشأ عنها صورة بصرية . ويجب ان تكون الصورتان متطابقتين تطابقا تاما والا حصل سوء الفهم . ويحدث في الدماغ اثناء التفكير وقبل الرد بالجواب بموجات اخرى ما يحدث فتنتقل من فم المجيب ذبذبات اخرى تنشيء موجات بدورها تطير في الهواء وتصدم اذن المستمع وتلتقي بعصبه السمعي فتتحول الى سيالة اخرى وتصل الى وحداته العصبية لتثير صورته السمعية يجب ان تكون صورتها البصرية مطابقة لها مطابقة تامة والا حصل سوء الفهم من جديد . ويحدث في دماغه ما يحدث من التفاعلات الكيميائية والفيزيائية والاحيائية (اي البيولوجية) والنفسانية والروحانية والعقلية وغيرها ولا يدوم هذا كله الا مدة رمشة العين قبل ان ينبت الامر بالاجابة فتتسرب بالسيالة من جديد من المراكز والمناطق الخاصة بالكلام والسمع والبصر لتحرك بواسطة اعصابها العضلات المتحركة في اجهزة الكلام كالحنجرة واوراها وغضاريفها وكالقم

المفوح وحاملا صوت الباء الجهيرة عبر الهواء الطلق
في شكل موجات صوتية .

هذه العميات كلها بتناسقها العجيب وأنواع
حركاتها الدماغية والعصية والعظمية الدقيقة هي
التي تتطلبها الباء ونحن غير شاعرين .

أما الهاء فلا شيء من ذلك فيها إلا خروج الهواء
انحامل ذبذبات الوترين الصوتيين بينما تكاد أعضاء
الغم تكون في حالة استراحة وارتخاء .

وما يحدث للباء خفيف بالنسبة الى القاف والكاف
والراء والحاء والشين والصاد وثقيل بالنسبة الى
الحاء والعين والغين والفاء والهنزة الخ . . .

وإذا اشتد خروج الاصوات الثقيلة فذلك لسبب .
وإذا خف فذلك لسبب أيضا أرادته العقل ليعبر عن
الشدّة مع الاصوات الشديدة وعلى اللبونة مع الاصوات
اللينة ومثال ذلك : هف وقض ، فهفت الريح : هبت
فسمع صوت هبوبها ، وهب الريح : خف وعمب
الرجل : اسرع في سيره والهب انخفيف من الناس ،
وكل شيء خفيف لا شيء في جوفه والسلك الصغار ،
وسحاب هف : رقيق لا ماء فيه . بينما نرى في قض
ما يبني : قض عليهم الخيل أرسلها ونشرها وقض
الحائظ هدمه هدمًا عنيقا وقض الودد : قلعه وقض
الشيء دقه وقض السير أو الوتر ، سمع له صوت
كأنه قطع الى غير ذلك من المعاني . فكأنما خفت في
خف اشتدت في قض .

وهناك فكرة أخرى وهي فكرة الاستعانة ،
استعانة الصوت بالنسبة للمدلول . فان كان صوت
الهاء لا يتطلب نفس الجهد الذي تتطلبه القاف والراء
مثلا فان اصوات الحروف وانغامها ورنينها وأجرامها
موضوع استحسان أو استخشان من طرف الانسان
(انظروا هنا الى الفرق بين مادة حسن ومادة خشن ،
فالحاء لطيفة والحاء ثقيلة) فلكل لطيف وانيق وجميل
وحلو ومطرب ومفرح ومسمد اصوات لطيفة لينسة
وموسيقية ، ولكل خشن وثقيل وخبيث وبشع ومقلق
ومحزن الخ . . . اصوات تناسب تلك الصفات بمعاني
اصواتها .

وهذه الافكار انتبه اليها فقهاء اللغة القدماء
فخصصوا لها ابوابا مشهورة عنوانها بمطابقة اللفظ
للمعنى ، ومن أشهرهم في هذا ابن جني ، كما الفوا
فيها كتبا أشهرها قاموس مفاتيح اللغة لآحمد ابن
فارس ، الا ان علماءنا المحدثين ممن تتلمذوا على

فيها الاستطلاات الشعرية الخاصة بالوحدات المعيبة
التي تنساب معها السيادة العصبية ، وهذه المشتبكات
تشبه مرآة كهربائية (اي بطاريات) فيها عدة خلايا
في كل واحدة منها مادة كيميوية أساسها الكالسيوم
والبوتاسيوم والصوديوم وأنواع مختلفة من العناصر
النادرة كالحديد والمنغنيز والبور والماغنيزيوم
والكوبالت الخ . . . والكلمة منمات (ذائب) في سائل
خاص يسمى الخليل المراري (الاستيلكولييسن)
والتفاعل الكيموي الذي يحدث في هذه المشتبكات
يخلق الكهرباء الخاصة بالبدن وهي السيادة . وهذه
السيادة مهمتها حمل الإهجات (اي الطنقات العصبية)
الى الوحدات العصبية الأخرى أو الى أجهزة التنفيذ
المحيطة كالعضلات مثلا . وفيما يخص نقطة موضوعنا
بالضبط تتسرب طنقات سيالية نحو عضلات الحجاب
الحاجز لترتفع الاضلاع فتنتفخ الرئتان اذالك ويحدث
امتصاص للهواء الخارجي الذي يتسرب اليهما من
منفذ الانف أو الفم أو منهما معا - بعد ان حصلت في
مشتبكات أخرى من الدماغ عمليات أخرى لامر عضلات
الغم بفتحها - فينساب الهواء مع الرغامى (اي القصبة
الرئوية) الى القصبتين اللتين تتشعبان في الرئتين ،
وذلك بعد حدوث اهجات أخرى في الدماغ امرت
عضلات الحنجرة بابعاد الوترين الصوتيين الواحد عن
الأخر لينفخ المجال امام الهواء الجاري نحو الرئتين -
ثم بعد ذلك تنطبق الشفتان الاحدى على الأخرى عندما
تضغط الرئتان الهواء ليفر منهما متسربا مع الرغامى
فيجد الأوتار الصوتية قد تباعدت لتسمح له بالمرور
فيصل الى البلعوم وعند ذلك أو قبل ذلك بقليل يرتفع
الحفاف بلهاته وينطبق على منفذ الانف ليسده مانعا
الهواء من التسرب منه حتى لا تحصل الفنة في صوت
الباء ثم يصل هذا الهواء الى الفم ويريد النفوذ من بين
الشفقتين فيجدهما منطبقتين كما اسلفنا فيصدمهما
ويحاول تفريجهما فتزداد حركة عضلات الشفتين تقلصا
ويزداد انضمام الشفتين شدة لمنع الهواء من الخروج
ويشتد ضغط الهواء على الشفتين وعلى الشدقين
وعلى الحفاف وكل هذه الاعضاء تقاوم ذلك الضغط
بالتقبض والتقلص ، وإذا بالوترين الصوتيين يقتربان
ويشرعان في التذبذب لانشاء ما يسمى باللحن
الحنجري الذي سيجمل من حرف الباء حرفا مجهورا
لا مهموسا فتحصل اذالك عملية الترنن وهي فزيائية
محضة ، وفجأة تباعد الشفتان الاحدى عن الأخرى
وينفث الهواء المضغوط بعنف وشدة خارجا من الفم

العلماء الاوربيين اقلعوا عن هذه الابحاث النفيسة لانهم عملوا بنظريات العلماء الغربيين الذين فشلوا في بحث هذا الموضوع ولا غرابة ، لانهم لهم يحافظوا على لغتهم الاصلية فأصبحت لغاتهم خليط لهجات لا تطابق طبيعتها عبقريتهم ، اذ لكل شعب خصائصه اللغوية لا سيما في موضوع الاستغاثة ، فهذا الشعب الالمانى مثلا يستحسن صوتية الخاء وصوتية الراء الالمانية ، بينما الشعب الفرنسى يستحبها . وهذا الشعب الانكليزي ينفر من « تغنين » الانكليزية ، بينما الشعب الامريكى يستحسنها - وبينما لا نرى شعبا اوروبيا يجيد صوتية (u) اذا بالشعب الفرنسى يكثر منها - وتغلب صوتية الشين فى البرتغالية ، كما تغلب عملية التفعر البلعومي فى اللغة الروسية ، وما أحنى صوائت الحاء والهاء فى اذنا ، وما أقبحها فى اذن غيرنا الخ . . من الاعتبارات التي يرجع سببها الى اختلاف الذوق .

لهذا كله لا تصح هذه النظريات الا فى موضوع لغة أصلية بالنسبة الى شعبها الاصيل ، ومعنى هذا انها لا تنطبق على الالفاظ الدخيلة والاجنبية مع مراعاة التفاوت داخل شعب واحد ، ومن قبيلة الى قبيلة ، ومن بطن الى بطن ، ومن حي الى حي ، وحتى من عائلة الى عائلة ، ومن أسرة الى أسرة .

ولا ننظر الوصول الى نظرية شاملة قائمة على أسس متينة فى مدة قصيرة لان فى هذا المطلب من التداخل بين الاصوات باعتبار الحقيقة والمجاز وباعتبار الاقدمية والاحداثية وتغير الصوائت عبر التاريخ بالنسبة الى اللهجات العربية من جهة وبالنسبة الى تغير الدلالات من جهة اخرى مما هو فى الحاجة الى تضافر الجهود وتبادل الخبرات وتوفير اجهزة المد والاحصاء والترتيب والتصنيف الشيء الذي ينقصنا اليوم . وقد يتبادر الى الذهن أن هذا العلم فى تناول اي شخص اذا ما اعتمد على الملاحظة والمقارنة بوسائله الخاصة . كلا ! وحذار ثم حذار ! لان اجدادنا اللغويين وهم المعروفون بالدقة والاجتهاد وسعة الباع ان اجادوا فى بعض هذا العلم فان وسائل تقصتهم فتوهموا فى بعضه الآخر .

واذا كانت الحروف تتكون من الصوائت فان الكلمات تتكون من الحروف . واذا كان لكل حرف معنى فان مجموع معاني الحروف يؤدي الى معنى الكلمة ومجموع معاني الكلمات يؤدي الى معنى الجملة ، وهنا قال علماءنا بمطابقة التراكيب للمعاني كذلك وقالوا ان

الزيادة فى المبنى زيادة فى المعنى . بدون اعتبار دوران الحركات فى الاوزان . فبحر جمعه بحور وبحار وابحرة واباحير وابحار ، والبحر قليل التركيب لانه يدل على المفرد وجموعه أطول منه لانه يدل على الكثرة . ولكن تحديد المعاني بالتراكيب اختلف فيه كما اختلف فى ما سبق لعدم توفر مواد البحث فى ما وصل اليه العلم الحديث . الا انهم تركوا هذا الموضوع لتعقده واشكاله فلم يعيروا الحركات الاهمية التي تستحقها وغلبت عليهم نظرية السماع والقياس التي كانت سائدة فى العلوم اللغوية آنذاك مما أدى الى ما يسمى اصطلاحا بالعامل المؤثر باعتبار متن اللغة او فى ما هو ضمنى باعتبار الاعراب . كل ذلك لغاية واحدة هي المحافظة على التراث اللغوي وعلى القرآن ورفع اللحن الذي كان قد انتشر بصورة مهولة . اصف الى ذلك انه كلما ثبت عند بعضهم القياس الا واضعفته شواهد سماعية شاذة مما أدى الى بليلة الافكار واللجوء الى السماع مع الإبقاء على فكرة القياس رمزيا لان احدا من القائلين بالقياس لم يجرؤ على تغيير ما أصبح شائعا من اللغة واحلال القياس محل السماع . فبقدر ما درسوا معاني الحروف وتوفقوا فى بعض نواحيها بقدر ما فشلوا فى معاني الحركات ولم يصلوا الى نتيجة علمية تجعلهم يشيدونها بمثابة قاعدة . فكلهم قالوا عن الفتحة انها أخف الحركات العربية لذلك كثرت فى اللغة وقالوا عن الضمة انها أثقل من الفتحة وقالوا عن الكسرة انها أثقلها . اذن بنوا حكمهم فيما يرجع الى الحركات على اساس سمعي لا جسماني كما فعلوا ذلك فيما يخص الحروف . وهذا الاساس السمعي هو الذي سنحاول الكشف عنه :

فجاء ابراهيم مصطفى فى عصرنا الحديث والى كتابه المشهور « احياء النحو » الذي كان له أكبر صدى فى هذا الميدان فعلى الفتحة بأنها أخف الحركات وانها تدل على شيء وعقل الضمة بأنها علم الاسناد ودليل على ان الكلمة المرفوعة يراد بها الاسناد اليها والمحادثة عنها . اما الكسرة فانها علم الاضافة ، واشار الى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط بأداة او بغير أداة ، وقال ابراهيم انيس بعدم معاني الحركات فى الاعراب (انظر اسرار العربية) وقال المخزومي : ليست الفتحة علما لشيء خاص ولكنها علم كون الكلمة خارجة عن نطاق الاسناد (الذي هو للضمة) او الاضافة (الذي هو للكسرة) وان الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يهرع اليها العربي ما وجد الى الخفة سبيلا ، وهو رأي الخليل وسيبويه ، واما ابراهيم

لانه يتغير وليس بتأثير كالأسماء . ولا تضم الا اذا بني للمفعول . فيبقى الفتح في فاء كل فعل ماض - أما الحرف الاخير فهو مبني على الفتح الا اذا طرأ عليه ما يضمه أو يسكنه . وحرف الوسط فقد ذكرنا ما جاء عندهم فيه .

ونستنتج مما سبق انه ليس هناك قاعدة عامة يطمئن الفكر اليها ويركن وان السماع هو الأساس بيد انه اذا تتبعنا آراء معالجة معاني الحروف ، معاني الحركات قد نهتدي الى شيء مضبوط ناتج عن الاحضاء من جهة وعن اعتبار قانون الجهد والكسل المهيمن على كل ما هو من قبيل تصرف الانسان في عميق حياته . اذ منذ ان ظهر الانسان على البيضة الا وحاول وما يزال يحاول ان يوفر لنفسه أسباب الحياة بأقل جهد ممكن مما أدى به الى هذه الاختراعات العجيبة التي يريد تسخيرها لخدمته ليعيش سعيدا والسعادة لديه معناها الحصول على كل ما من شأنه ان يلبي رغائبه وحاجاته وآماله بلا تعب ولا مشقة . اضافة الى ذلك ان له نشاطا عقليا جعله يتصور العالم بصورة مختلفة باختلاف الاغراض والهوايا والاماني والخيال والشعور وبما يؤثر به على الطبيعة وعلى غيره من البشر وبما يتأثر به من الطبيعة ومن المجتمع . ومن الأسباب التي دفعتنا الى تركيز البحث على معاني الحركات التناقض الظاهر في مدلولاتها .

فهذه لغة - العربية تبدو لك في كتابتها مبنية على أساس حروف صامتة وهذه الحروف لا تصوت الا مع علامات خاصة توضع فوقها او تحتها وهذه العلامات لا تنطق وحدها لانه لا يوجد في العربية معنى يفاد بصوت حركي مفرد كما هو الشأن في اللغات الأوروبية حيث « او » (ou) مثلا تفيد مدلول المكان ، او التخير يعني انه لا يوجد لفظ مكون من حركة واحدة والكلام كله صوائب (جمع صوتية = فونيم) مركبة من حروف مع حركاتها لا من حروف وحدها ولا من حركات وحدها فالكلام عند العربي من كلم اي جرح وشق بمعنى فتح - الصمت) فهو مكاشفة ومباشرة من الكشف اي رفع الستار عن المختبئ ومن البشر اي الشق والفتح - والعربي يعتبر ان الانسان في سكوت وسكون وهدوء بالنسبة الى العالم الذي يعيش فيه وبالنسبة اليه أي الى وضعه فيه ، فهو يكلم هذا العالم الغريب عند التعبير كما يفطر ذلك الصمت الذي هو الصيام ، لذا سمي انطارا من فطر أي شق وقطع ، الله فاطر السماوات والارض أي خالقها من فعل خلق اي شق : خلق وخرق وخرج وحرك الخ . والحركة

السامرائي فانه يقول في الفتحة انها وجدت في كثير من اللغات السامية الا انه سرد أقوال « مارسيل كوهن » و « يوهان فوك » الذين يثبتان بأن اللغات السامية كان لها اعراب ، ولم اعثر على نظر له في هذا الموضوع . اما اثبات الاعراب فانه جاء في معظم كتب اللغة من صاحبها والمزهر الى كتب فقه اللغة الحديثة .

ومن الذين عالجوا هذا الموضوع عبد الله العلابي الذي قال : « باب ضرب يضرب » يخضع له التلبس بحركة الفعل في الزمن الحاضر ، بينما الخمسة الاخرى فلافادة معنى زائد . . . فاذا اردت الدلالة على التفوقية او التركب فسوق الدلالة على التلبس بالحال الفعلية تنقل الفعل الى باب نصر ينصر ولذا طرده اللغويون في المفارقة والمبالغة (فأمرته فقمته فانا اقمه) واذا اردت الدلالة على التقلب والانسراح تنقل الفعل الى فتح يفتح ولا تلق بالا الى ما اشترطه اللغويون من ان هذا الباب خاص بما كسان عينه اولامه حرف حلق فهو تقدير واهن . . . واذا اردت الدلالة على التغير خلوا وامتلأ وجودا او عدما تنقل الفعل الى علم يعلم . . . واذا اردت الدلالة على الرسوخ والطبع تنقل الفعل الى حسن بحسن واذا اردت الدلالة على التجزؤ (والتقسم تنقل الفعل الى سباب ورث يرث) انظر المعجم للعلابي .

وهذه الاقوال كلها اما تكرير لما قاله القدماء واما استنباط منها ، اذ قالوا اجمالا ان « فعل » يفتح العين لمعان كثيرة لا تنضب ، منها القلب : قامرني فقمته اقمه اي اقلبه في القمر ، ومنها ان افعال الحدوث تندرج تحت عنوانه - بينما فعل يشمل افعال الفرائز والطبائع فيدل على لزوم مداولاتها لان ما يقتضيه الطبع يدوم بدوامه وتكثر فيه العليل والاحزان واضدادها . . . وتجيء في غير فعل الا انها فيه اكثر منها في غيره ، وفعل للطبائع وهي الافعال اللازمة الصادرة عن الطبيعة وهي القوة الموجودة في الشيء التي لا شعور لها بما يصدر عنها ، وخص الضم بها لانضمام الطبيعة الى الذات عند صدور هذه الافعال منها كانضمام الشفتين عند خروج الضم منها .

وفي الحرف الاول من الفعل قالوا : لما كانت العرب لا تبتديء بساكن فلا تكون ساكنة فاؤه ساكنة ولا تكون مكسورة - الا للضرورة وذلك عندما يكون الفعل اجوف وبني للمجهول او من باب فعل وهو اجوف كذلك وتضم كذلك في الاجوف من باب فعل لا غير - اذن لا تكون مكسورة لقوة الكسرة وهو قليل

الغم من العض والقطع للمأكولات وهذه العملية عملية
 افعال الغم - هي أساس حياة الرجل لتلبية حاجته
 الاساسية ليعيش اما ابعاد الفك السفلي عن الفك
 العلوي فتقوم به ثلاث عضلات كذلك الا انها ضعيفة ،
 وهي ذات البطنين Digastrique والظرسية
 الامية Mylohyoïdien والدقنية الامية
 Géniohyoïdien فعملية الافعال اذن بفضل
 عضلاتها القوية اسهل وأيسر من عملية الفتح الضعيفة
 العضلات فأخراج الفتحة اصعب من اخراج الضمة
 التي تقتضي فتحا اقل من الذي للفتحة وهي اصعب
 بدورها من الكسرة التي تقتضي انفتاحا قليلا للغم حتى
 ان صوتية الكسر قد تخرج ويكاد الكفسان يكونان -
 منطبقين الواحد على الآخر وفي الحقيقة اذا قال
 القدماء بخفة الفتحة وتقل الضمة والكسرة باعتمادهم
 على ظاهرة الجمال الصوتي فذلك له اساس في اعماق
 الانسان الا وهو الكلام المفتوح يروق لما يوحى به من
 حركة ونشاط وحيوية وارادة بالنسبة الى الكلام
 المكسور ان الذي يشير الى الانهزام والخضوع والرذوخ
 وبالنسبة الى الضم الذي يدل على التراكم والتفاقم
 والسكون والركود .

واذا تمهلنا في هذه النظرية وتاملناها تأملا
 متندا عميقا في حد ذاته ثم بالنسبة الى اصول اللغة
 لا الى فروعها وأخطائها وشائنها ، وتبصرنا امورها
 الباطنية اعتمادا على فلسفة الحركات بالنسبة الى
 البدن البشري وطبقناها تطبيقا محكما ، امكننا اذنا
 ان نشيد نحوا جديدا منطقيا يكشف لنا الستار عن
 النحو القديم الاصيل الذي بنى عليه العرب القدماء
 لغتهم فأصبحت مطابقة لاغراض عقلمهم وشعورهم
 واحاسيسهم اي بكلمة واحدة مطابقة للحياة ، اذا فعلنا
 هذا ستصبح اذنا العربية اسهل اللغات بالنسبة الى
 العقل اي بالنسبة الى ما يريد العقل التعبير عنه
 فيمكن حينئذ ان نسترجع ملكة اللغة العربية التي
 ضاعت وبضياعها انزوت في السماع اي في الحفظ
 بخطئها وصحیحها بدون معيار للتمييز بين الصالح
 والفاقد وبين التطور الدائر المتكرر والتقدم القاصد
 الهادف الى الكمال .

الامثلة :

خذوا مثلا مادة « دخن » التي جاءت منها الابنية
 الثلاثة : دخن ودخن ودخن ، فانكم تجدون ما يلي :

اما يقوم بها الانسان واما تحصل له من غيره من البشر
 الذي يعيش معه او من العالم الذي هو فيه بالنسبة
 الى عناصره من ريح ورعد ومطر ونار الخ ... فهو اما
 مؤثر على العالم واما متأثر به . فالعربي . بهذه
 الفلسفة التي تتجلى في لغته واضحة لانه حافظ نسبيا
 على اوضاعها بينما نراها اندرست في اللغات الاخرى
 يرى العالم في ابعاد ثلاثة كما ان لغته مبنية على ثلاث
 حركات ، حركة الفتح أي التأثير على العالم الخارجي
 وهو عمل صادر عن الارادة ، مثل ضرب وقتل وخرج
 ونطح وقطع واكل وفتح ودحل وصرع الخ .. وكلها
 افعال مفتوحة العين لان الفتحة تدل على العمل الصادر
 عن الفاعل بارادة منه حقيقة او مجازا - ثم حركة
 الكسر اي التأثير الذي يحصل للفاعل من طرف العالم
 الخارجي ، فالكسر والخسر والقصر والخزل كلها
 بمعنى حصول الشيء للفاعل المغلوب المقهور . فالفعل
 المكسور العين يدل على كل ما يحصل للفاعل بدون
 ارادة منه حقيقة او مجازا مثل مرض وحزن وعطش
 وعلم وفرح وسقم وغرق وعسور وحذب وجزع الخ ..
 ثم الضم (والظم والتم وكلها تدل على التجمع والكثرة
 والدوام والثبات) ك : حسن وخشن وكبر وصفير
 وقرب وعرج وعور ودخن وشرف وكلها بمعنى حصول
 الشيء للفاعل لا حصولا طارئا أو مؤقتا كما هو في
 فعل بل بكثرة ودوام وثبات ونهاية . كل هذا مبني على
 اساس قانون الجهد والكسل الذي اشرنا اليه . فيما
 ان الحروف بشدتها ورخاوتها ، برخومتها وخشونتها
 تصدر عن الانسان للدلالة على الشدة والرخاوة والرخومة
 والخشونة في الاشياء ووصافها فان الحركات كذلك
 يجب ان تعتبر على هذا الاساس الجسماني الا ان فكرة
 الثقل والخفة بالنسبة الى الاذن حسب ما ذهب اليه
 الافدمون فكرة ناقصة لانها مبنية على ظاهر اللفظ لا على
 باطنه المحرك الذي هو النشاط العصبي الدماغى
 بالنسبة الى تحكم الانسان في كلامه . واذا كان ذلك
 كذلك فلنا ثلاث حركات تقوم بها اعضاء الكلام لاخراج
 ثلاثة انواع من الحركات : الفتحة والضمة والكسرة
 التي تتصرف في جميع اللغة ، فلماذا الفتحة تدل على
 العمل الارادي ؟ لان فكى الغم عند اخراج صوتية الفتحة
 يتعدان الواحد عن الآخر . وما الذي يبعدهما ؟ ثلاث
 عضلات : الاولى عضلة قوية جدا عريضة وغليلة تسمى
 الماضفة Masseter وعضلة ثانية تساعد الاولى
 وهي الجناحية Pterigoïdien وعضلة ثالثة
 هي الصدغية Temporal تساعد الثانية
 اذن ثلاث عضلات قوية لرفع الفك الاسفل حتى يتمكن

دخن (بفتح العين) الدخان : اذا سطم وارتفع .
وهنا تشخيص للدخان وكأنه يرتفع بارادة منه .

ودخنت (بفتح العين) النار : ارتفع دخانها
اي اطلقت الدخان فارتفع . وهنا تشخيص كذلك
لفعل الفعل اراديا) .

ودخنت (بكسر العين) : التي عليها حطاب
فأفسدت فهاج دخانها (والمعنى واضح ، أي حصل لها
الدخان وأصيبت به فأصبح الدخان يحصل لها ويؤثر
عليها) .

ودخن (بكسر العين) الطعام واللحم وغيرها :
اذا اصابه الدخان في حال شبه أو طبخه حتى تعطب
رائحة الدخان على طعمه (وهنا معنى الحصول واضح) .

ودخن (بكسر العين) الطبخ اذا تدخنت القدر -
وشراب دخن (بكسر العين) : متغير الرائحة (اي
بالمعنى الحقيقي رائحته هي رائحة الدخان وبالمعنى
المجازي : لم تبق رائحته الاصلية فتغيرت واطلق
اللفظ على سبيل العموم) -

ودخن (بفتح العين) الغبار : سطم وارتفع اي
كما يسطم الدخان يسطم الغبار) -

ودخن (بكسر العين) خلقه : ساء وفسد وخبث
(بمعنى حصل لها السوء والفساد والخبث) ودخن
(بضم العين) النبات ودخنت (بضم العين) الدابة
دخنة مثل دخن (بكسر العين) (يستخلص منه الثبات
والدوام على حالة الدخنة اي الكدرة يعني صار نهائيا
في ذلك اللون أو لم يستطع الصبر على كثرة الدخان) .

واذا اخذنا مادة اخرى فيها الابنية الثلاثة مثل
« ش ر ف » ومعناه العلو نرى ما يلي : شرفه (بفتح
العين) : غلبه في الشرف . وشرف (بفتح العين)
الحائط : جعل له شرفه ، وشرفت (بفتح العين)
الناقة : صارت شارفا (اي على سبيل التشخيص

علت وارتفعت في السن) وشرف (بكسر العين)
الرجل : دام على اكل السنام (بمعنى غلبت عليه
شهوة اكل السنام اي الشرف وهو السنام أصلا من
نفس المادة) وشرفت (بكسر العين) الاذن وشرف
(بكسر العين) المنكب : ارتفعا اي شرفا (بكسر الراء)
اي صار مرتفعين - وشرف الرجل (بضم العين)
صار ذا شرف (اي في حالة ارتفاع وعلو تبنت فيه
واصبح يتصف بها) وشرفت (بالضم) الناقة : صارت
شارفا (والفرق بين شرفت الناقة (بالكسر) وشرفت
(بالضم) واضح فالاول ملحوظ الوصف بعد عدمه
والثاني كثرته وتراكمه ودوامه حتى اصبح في اعلى
درجة منه) .

وفي مادة « حزن » حزن (بالكسر) حزنا وله
وعليه : ضد سر اي حصل له الحزن - وحزنه (بالفتح)
ضد سر (لغة تميم وهي عندي اقرب الى الاصل
العربي من لغة الحجاز) ، ولم يرد « حزن » (بالضم)
في الاستعمال تلافيا للطيرة مع ان مصدره حزونة بقي
مستعملا بالمعنى الحقيقي وهو غلاظة الارض وشدهتها .

وفي مادة « بشر » بشر وبشر بالثبوت وجهه
خرج به بشر : (والمفهوم الضمني المعاقبة بين الثاء
والزاي : « بز » والمعاقبة بين الثاء والصاد : بصر -
ومراعاة القلب المكاني : ثبر - فباتينا منه معنى القروح
ومعنى الكثرة ومعنى نوع من الارض . واذا وقفنا على
المعنى الاول فمفاده : بشر (بالفتح) وجهه : اخرج بثورا .
وبشر (بالكسر) وجهه حطت له بثور . وبشر (بالضم)
وجهه وهو : اصبح ذا بثور فهناك تدرج واضح في
المعاني بين فعل (بالفتح) وفعل (بالكسر) وفعل
(بالضم) وذلك في الافعال كلها .

وباعتبار هذا كله نصل الى الحقيقة الاتية وهي
ان العربي كان ينطق حسب ما في دماغه من اغراض .
واللغة العربية - داخل حدود نظريات وقواعد ثابتة -
اداة تمتاز بطواعية للتعبير عن جميع ما يختلج الفكر
لا ميل لها في أي لغة من لغات هذا العالم .

التعريب والتفتح في المغرب العربي

للدكتور محمود عبد الوكيل

«تونس»

— ان التفتح شطر اللغات الحية والحضارات المتقدمة يجب ان يكون مدروسا — لا متروكسا للصدف ، لكي يلعب دوره المكمل الفعال لثقافتنا ولقننا وأصالتنا .. والا انقلب الى خطر ماحق يهدد شخصيتنا وكياننا الاجتماعي والثقافي ، بالمسح ولذئبة ... كما نرى — لا تناقض بين قيمنا القومية وقيم الاممية في مضمار الاصاله والتفتح . نستطيع ان نأخذ عن الغير العلم والتقنية والثقافة المتقدمة وذلك بتعلم بعض اللغات الاجنبية الحية بدقة واتقان — اذا أمكن — وفي نفس الوقت نتمسك بمفومات شخصيتنا العربية والاسلامية حيث تكون اللغة العربية والفكر الثوري من عناصرها الاساسية، هذا في رأبي هو الانفتاح المنشود . أما الاقتصار فقط على الاخذ من فرنسا وحدها عن طريق لفتها وثقافتها ، فهذا هو التحجر والذوبان معا .

انه التحجر لان فرنسا هي في الواقع تعتبر في خصوم بعض الميادين العلمية والتكنولوجية متخلفة بالنسبة لعدد من البلدان المتقدمة كأمريكا وانجلترا وروسيا وألمانيا ... الا انها تعتبر طبعاً — متقدمة تقديماً مهولاً — بالنسبة للبلدان المتخلفة جميعها . ليس من الافضل لبلدان المغرب العربي ان تستفيد من اختصاصات — هي في حاجة اليها — ولا تجدها في فرنسا بل في بلدان اخرى متقدمة ، سواء كانت في الشرق الاشرقي أو الغرب الراسمالي ؟ . اذا كان الجواب بنعم ، فلا شك ان تعلم لغة من اللغات

ينحدث الناس كثيراً ، هذه الايام عن الانفتاح أو التفتح ، حتى غدت هذه الكلمة مبتدلة واصابها ما أصاب بعض العملات ، اثناء الازمات الاقتصادية ، من تضخم قد قضى على جزء ضخم من قيمتها اشرايية .

ولا نعدو الحقيقة كثيراً اذا قلنا ان كلمة انفتاح أو تفتح أو تعصير ، أصبحت ، في قاموس البعض ، تملأ لانهايم كل من انبرى للدفاع عن حظوظ اللغة والثقافة الوطنية ، بالتحجر والزمانة والانطواء على النفس ...

وبهذه المناسبة ، ونحن نضع بعض ملاحظاتنا حول « جدلية التعريب والتفتح » أو جدلية « الاصاله والتفتح » — تؤكد لادعاء الانفتاح والتفتح والتعصير — دون ذكر اسمائهم — ان كل من يعتز بلغته وأصالته الثقافية والقومية بطريقة ، ثورية وموضوعية ، بإمكانه ان يستفيد من عملية الاخذ والعطاء مع الحركات الفكرية والعلمية في العالم . وذلك على شرط ان تكون اللغة والاصالة الحضارية والاجتماعية هي الاصل والمنطلق ، لكل عملية تفتح عبر اللغات والحضارات الاجنبية . لذلك لن يتم هذا الاخذ والعطاء الخصب الا في شروط موضوعية معينة منها :

— تحريك قيمنا الحضارية الخالدة — وتراثنا الثوري الحافظ ، وربطها بالحركات الفكرية والعلمية المتقدمة في عالم القرن العشرين .

وادبولوجية ونفسية لا تخفى على احد . واذا صارحنا
انفسنا وضماثرنا ، فهو . في حقيقة الامر قضية
مصيرية تتحكم فيها السياسة والاقتصاد ، بحيث
تتجاوز امكانيات رجال الفكر والتربية والثقافة في
المغرب العربي . والراي عندنا ان الحل الجذري
لمشاكل كثيرة يتخبط فيها مجتمعنا المغربي اليوم ،
يكنم في تبنى سياسة التعريب الشامل والمرحلي .
فهل لنا ان نعرب ؟ وهل لنا ان نجعل من لغتنا
القومية ، لغة المدرسة والادارة والشارع ، والانتاج
الفكري والعلمي ...؟

از لا يمكن ، اطلاقا عزل المفهوم السياسي
لعلمية التعريب عن مفهومها الثقافي ، فكلاهما وجهان
لعامة واحدة !؟

لذلك ونظرا للشعب قضية التعريب ، باعتبارها
قضية سياسية ومجتمع ، وحضارة ، ولغة ، وشعب
ومثقفين ، وهي مطروحة اليوم بثقلها الكامل والملح
على الصمغين الرسمي والقومي ...

لذلك ونظرا لكل هذه الظروف والملايات
الادبولوجية والنفسية التي تحف بالتعريب لا يسعنا
الا ان نؤكد الحقائق التاريخية التالية :

اننا لا ننكر ابدا المشاكل والصعوبات
النفسية والمادية التي تعرقل سير قطار التعريب ،
خاصة ونحن نعلم ان الاوضاع الاستعمارية التي
رزحت تحتها بلادنا ، قد فرضت علينا واقعا ثقافيا
واقتصاديا واجتماعيا متخلفا . ان هذه التركيبة
الاستعمارية الثقيلة والبيضة قد عكست على حياتنا
الاجتماعية ارتباطا لغويا وثقافيا خطيرا .

كان هدف الاستعمار في العصور الحديثة
سواء كان فرنسيا او انجليزيا يرمي الى تمزيق
وحدة الامة العربية وتقسيم الوطن العربي الى
دويلات وكيانات سياسية عديدة ، وذلك لغاية
السيطرة على مقومات هذه الامة بجماهيرها
الكادحة ، اقتصاديا وثقافيا ولغويا ...

وكان من نتائج هذه السياسة الاستعمارية
الادماجية في المغرب العربي الكبير بخاصة ، هو
تجهيل الجماهير بلقمتها وتاريخها وواقعها ... ومن
هنا كانت وضعية شعوبنا المغربية مطابقة للحقيقة
العلمية التي صدع بها ، منذ قرون عديدة العلامة ابن
خلدون وهي تؤكد بان « الامة الغالبة تفرض على
الامة المقلوبة حضارتها ولغتها .. » .

الحية كالانجليزية او الروسية او الالمانية ...
امر لازم .

ان افتاح مغربنا على العالم المتقدم - عن طريق
لغة او لغتين من هذه اللغات الحية سيساعده - دون
ريب على الخروج من معركة التخلف بنجاح للانطلاق
بعد ذلك - الى التنمية الاقتصادية والاجتماعية
والاشماع الثقافي والعلمي والتكنولوجي ...

وهو ذوبان وانحلال لشخصيتنا وخصوصياتنا
القومية والحضارية اذا استخدمنا اللغة الفرنسية
ك لغة شبه رسمية واهملنا اللغة العربية . . لان الانفتاح
على الثقافة الفرنسية او على اية ثقافة اجنبية اخرى
يجب ان يمر عن طريق عربتنا كما أكد ذلك العالم
الاجتماعي الفرنسي جاك بارك (Jacques Berque)
في عبارته الشهيرة :

«La francité du Maghreb passe par son arabité»

لذلك طالب المثقفون في تونس والمغرب الاقصى
قبل الاستقلال وبعده بالتعريب والاصالة الثقافية
لا لاسباب عاطفية ، وانما لانه المطمح الطبيعي
والشعبي ، والسبيل الوحيد الى تحقيق ذاتيتنا
ونهضتنا ، والمنطلق السليم نحو وحدة مغربنا العربي
كخطوة نحو وحدة وطننا الاكبر ...

الواقع ان موضوع الاصالة والتعريب هو موضوع
له حساسية خاصة ويتطلب منا قدرا كبيرا من
الموضوعية والشجاعة . قد يحدث التباس في الاذهان،
ونحن نشير الاسئلة والتساؤلات حول قضية الاصالة
والتعريب ، قضية الساعة في مجتمعنا ، هذا
الالتباس يتمثل في ان الفرض من اثاره مشكلة
التعريب في تونس او الجزائر او المغرب الاقصى هو
احراج المسؤولين او التهمج على هذه السياسة
التربوية او تلك . لكن الذي حدانا الى معالجة هذه
القضية المصيرية هو حرصنا على بناء المغرب الكبير
على اسس متينة ، كخطوة مرحلية نحو بناء الوطن
العربي .

فالواجب يفرض علينا التقد الزويه والموضوعي
لجوانب حياتنا اللغوية والثقافية وغيرها كلما شعرنا
بان هناك خطرا يهدد كياناتنا . ان اسلوب السكوت
والغفول الكاذب هو بمنزلة الخيانة لانه يقضي على
امل شعوبنا في التقدم والتحرر والوحدة .

نحن لا ننكر ان موضوع التعريب والاصالة هو
موضوع خطير ، قد حفت به ملايات سياسية

تركيا الفتاة . اما في المغرب باقطاره الثلاثة ، فقد قامت محاولات شرسة على يد الاستعمار الفرنسي ، ترمي فيما ترمي اليه ، الى الفرنسة والادمج ، واحلال لغة المستعمر وثقافته محل اللغة العربية وثقافتها .

لذلك اكد المثقفون المغاربة - مرارا وتكرارا - ان لغة المستعمر ، بما تحويه من ثقافة وتقاليد لا تتماشى مع متطلبات السيادة الوطنية ولا تنسجم مع مقومات الشعب العربي في تونس والمغرب الاقصى والجزائر . وانما هي - بالعكس من كل ذلك - تمسخ او بامكانها ان تمسخ - شخصيته وتلهيه عن مشاكله الحقيقية .

لذلك فواقع اللغة العربية يعود تفسيره لظروف تاريخية وحضارية . بدأت اثر عصور الانحطاط والظلام ، وبخاصة في بداية العهد التركي ، ثم تطورت الامور عندما حاولت عائلات دخيلة محاربة اللغة العربية وذلك كخطوة نحو تتركب الاقاليم العربية . وكلمة تتركب هي كلمة دارجة حتى اليوم في بعض اللهجات العربية في المغرب وتونس وتعني مثلا العبارة : « يحب بتركني » معناه « يريد ان يهلكني » (1) . من هنا ندرك العلاقة المعنوية بين عملية مسخ العرب الى اترك عثمانيين . وعملية الهلاك والاهلاك .

ان عملية التتركب هذه قد نادى بها - كما نعلم - وحاول تطبيقها دعاة الطورانية من جماعة

(1) كلمة « تركة » بتشديد الراء معناها في عامية المغرب الاقصى : سلب او نهب كل ما يملكه ، وكان « المتترك » (يفتح الراء وتشديدها) مات فصارت تركته تحت رحمة السالب . ومن هنا يتضح اشتقاق الكلمة العامية من الفصحى ، كما يتضح من استعمالها في المغرب الاقصى بالمعنى الذي اشرت اليه .

اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية⁽¹⁾

الأستاذ أنطون شال⁽¹⁾
جامعة هايدلبرج
ترجمته الأستاذ إدريس الخطّابي

الفينا فقرته الحادية عشرة تقول من بين اشياء اخرى: « ينقسم الكلام الى ثمانية اقسام: اسم وفعل واسم مفعول واداة تعريف او تنكير وضمير وحرف جر وحال وعطف ». أما النحويون الرومان فاننا نجدهم يتخذون المصطلحات اليونانية مترجمة بالحرف الواحد. ولذلك ظل نموذج ديونيزيوس تراكس عالقا بالأذهان لدرجة ان الاقسام الثمانية ظلت قائمة على الدوام مع تغيير بسيط وهو احوال حرف التعجب محل أداة التعريف التي لم توجد في اللاتينية. وقد تولى النحاة الثقات، مثل دونات (Donat) وبريشيان (Priscian) نشر هذا المذهب طوال القرون الوسطى والزموا به الناس. أما التقسيم الثلاثي الذي أوردنا في مطلع بحثنا فلا يوجد له أثر واحد في هذا الوقت على ما اظن.

وقد أسس يوهانس رويشليين (Johannes Reuchlin) سنة (1506) في بفورتهام (Pforzheim) قواعد اللغة العبرية عند المسيحيين في كتابه « مبادئ العبرية ». وفي الصفحة (551) يكتب عند تعرضه لأقسام الكلام

اذا فتحنا كتابا من الكتب الحديثة التي تعالج قواعد اللغة اللاتينية نستعلم عن انواع الكلمات المكونة للجملة وجدنا التقسيم كما يلي: الاسم والفعل والجزئ (أو الأداة) (Partikel). والعلامات التي يستند اليها هذا التقسيم ذات طبيعة عريضة اي انها ليست من صميم الكلمة: فالاسماء المعربة والأفعال المنصرفة كلمات قابلة للتغير. وأما باقي الكلمات غير المتغيرة فيشملها اللفظ العام: جزئ. غير أن علامات التمييز هذه لا تفي بالفرض اذا أردنا أن نقسم الجزئ الى اقسامه المختلفة. ومن ثمة ادخلت فكرة وظيفة الكلمة في الجملة وتفرع الجزئ الى حال وجرار وعطف ونداء. فنحن نرى اذن، أن قائمة أنواع الكلمات أو اقسام الكلام، قد اشتملت على الفاظ ذات طبيعة متباينة تباين وجهات النظر النحوية عبر التاريخ.

وإذا رجعنا الى ما قبل اليوم بحوالي قرنين أي الى زمن وضع القواعد النحوية الأولى في البلاد الغربية، والقينا نظرة على « فن القواعد اليونانية » لمؤلفه ديونيزيوس تراكس (Dionysios Thrax)

(1) جاءنا هذا البحث من مؤلفه من ألمانيا الاتحادية ورغم بعض الآراء الغربية التي جاءت فيه فاننا ننشره حتى تكون على علم بكل ما يكتب عنا مهما كانت نوعيته أو قيمته وقد نشرنا الاصل في مكان آخر من هذا العدد. وهو عبارة عن كلمة القيت بمناسبة تولي المؤلف الاستاذية فوق المادة للغات السامية الحديثة والاسلاميات في جامعة هايدلبرج في 21 ديسمبر 1971.

العبري : هنالك ثلاثة أقسام : الاسم والفعل والآتي بمعنى - نقول اليوم الجزىء - ، ويشتمل الاسم أيضا على الضمير واسم المفعول . ويشتمل الحرف على الأربعة الآتية : الحال والعطف وحرف الجر والتعجب . نرى أن تقسيم كتابنا الحديث للقواعد اللاتينية يتفق مع كتاب رويشلين اتفاقا مدهشا . والجدير بالذكر أن رويشلين والعلماء المسيحيين المعارضين له أخذوا فكرتهم حول أقسام الكلام عن الأعمال النحوية اليهودية القومية حول اللغة العبرية ، غير أن أعمال علماء اليهود النسقية الأولى كتبت باللغة العربية وألفت تحت تأثير وحسب نموذج القواعد النحوية العربية القومية .

قادتنا هذه الفارة الصغيرة في تاريخ النحو الى علم هيمن في عهد لعمان الثقافة العربية الاسلامية . وتأثير هذه الثقافة وبقائها في علوم الغرب الطبيعية والرياضيات وعلم النجوم ودورها الواسطي بالنسبة للتراث اليوناني معروف معرفة عامة . غير أن الأثر المتواضع لهذا العلم العربي الاصيل في وسط كتاب من كتب النحو الحديثة لم ينظر اليه بعد ، من هذه الزاوية .

ولم نجد في نطاق عملي ، شعبا من الشعوب القديمة ، عني بلغته وفكر فيها وحاول تنسيق تأملاته حولها الا الشعبين اليوناني والهندي . أما الدور الذي قام به النحو القومي اليوناني فقد سبق ان أشرنا اليه وأما الهنود فقد تجاوزوا دقة اليونان في هذا المضمار وأظهروا أصالة في أبحاثهم ووصلوا الى القمة بمؤلفات بانينسي (Panini) أواسط القرن الاول قبل المسيح . وقد مهدوا بالفعل الطريق امام الباحثين الهندوجيرمانيين في الدراسات المقارنة بين اللغات . ولم تتم الانجازات العظيمة الرائعة في هذا العلم الا بعد دراسة السانسكريتية والبحوث الدقيقة التي قام بها النحويون الهنود الذين القوا الضوء على هذه اللغة وأوضحوا غوامضها الدقيقة .

ويقع النحو القومي العربي ، في المكان والزمان ، موقع الوسط بين النحويين الهندي واليوناني وهذا الموقع هو الذي جعل الناس يتساءلون الى الآن ، عما اذا كان النحويون العرب قد استعانوا بنماذج اجنبية ونظروا لهذا الوضع ولعدم تمكن العلماء من اعادة المراجع الى أصولها بالدقة المطلوبة أصبح من المستحيل الفصل في هذا الامر ، اذ ليس من المتوقع أن نجد

(1) بالعربي في الاصل .

قبل الخليل ، الذي يعتبر المؤسس للنحو العربي ، مصادر أقدم منه للرد على هذا السؤال . وفي القرن الثاني الهجري اي في نهاية القرن الثامن الميلادي ، طلع على الناس ببيان عجيب ، هو بمثابة صرح لقواعد اللغة العربية . والذي شاد هذا البناء الشامخ هو تلميذ الخليل الفارسي سيبويه . وأهم أعماله النحوية هو مؤلفه المسمى « الكتاب » . وفيه أول عرض شامل منسق للغة العربية وهو بالنسبة للنحويين العرب « الكتاب » الذي لا يزال ثقة الى يومنا هذا .

أما نقطة الانطلاق بالنسبة لأكثر العلوم العربية نقاوة فتدور حولها مجموعة من الأساطير . فقد كان أبو الأسود الدؤلي - أحد انصار علي بن ابي طالب آخر الخلفاء - قاضيا في البصرة وهي المدينة الكبيرة التي كانت في اول أمرها معسكرا للجندود العربية ، والموجودة اليوم في جنوب العراق . وقد سئل أبو الأسود الدؤلي : كيف تعلم العلوم النحوية فأجاب بأن الخليفة نفسه هو الذي علمه اياها ولم يكن أبو الأسود يعبر معلوماته اهتماما كبيرا حتى أمره حاكم العراق بوضع دليل للغة العربية ليتمكن الجمهور من تفهم القرآن كتاب المسلمين المقدس . ولم يبد أبو الأسود رغبة في الانصياع لهذا الامر يبد أنه سمع يوما أحد الناس يتلو جزءا من السورة التاسعة من القرآن (سورة التوبة : المترجم) كما يلي : « ان الله برىء من المشركين ورسوله (1) » بدلا من ورسوله كما هي القراءة الصحيحة . والقراءة الخطأ ليست أقل من الكفر لأن معناها ان الله برىء من المشركين ومن رسوله . فذهل أبو الأسود من هذه القراءة وقرر على الفور تلبية امر الحاكم .

ليس من الصعب معرفة النواة التاريخية لهذه الاسطورة ، فالمسألة تدور حول المحافظة على تراث مقدس أي حول وقاية ما يمتقده العرب انه كلام منزل من عند الله بلغة عربية خالصة نقية . فكانت اذن الاسباب التي أثارَت عند العرب الانتباه الى القواعد النحوية هي اسبابا دينية . كان من الواجب ان يسان القرآن عن الأخطاء في أفواه العديد من الذين كان عهدهم بالاسلام حديثا . والاتصال باللغات الأجنبية في البلاد المغزوة هو الذي نبه العرب الى الاعتناء بلغتهم وليس هذا السبب أقل الدوافع لوضع النحو القومي ، مع العلم بأن الاتصال باللغات الأجنبية في البلاد الغربية

التعريف نفس تعريفنا نحن الغربيين ، مع العلم ان العلوم الاسلامية ومعها النحو العربي القومي قد اتجهت وجهة متباينة تمام التباين عن وجهة العلوم الغربية . فنحن نحاول توسيع المادة الماثورة وتنميتها حسب الامكان ، ففي مادة التاريخ - مثلا - نجتهد دائما في ضم مصادر اخرى حتى نستطيع تحديد اسباب مصرنا بطريقة ادق . وفي العلوم اللغوية نسعى الى مضاعفة تعميق نظرتنا حول تطور اللغة وذلك بواسطة طبع امهات الكتب والبحث في اللغة الدارجة . نعم نقيم - نحن ايضا - نظرياتنا على اساس المواد الموجودة بين ايدينا ، واذا تغيرت هذه المواد او وجدت مواد جديدة يمكن ان تتغير النظريات تحت ظروف معينة تغيرا حاسما . غير ان العلوم الاسلامية نمط آخر : فالمادة المتواترة قد اكتملت ووصلت الى حدودها في زمان معين في الماضي . فبعد ان اقام اللغويون العرب نظريتهم النحوية على اساس الادب العربي المعترف به آنذاك أصبحت هذه المادة المحدودة ، المقياس الوحيد لبناء النسق النحوي .

ولاجل هذا النموذج الذي وضعه النحويون الاوائل لم يؤخذ بعين الاعتبار مع القرآن الكريم الا الشعراء الاقدمون والنصوص النثرية القديمة القليلة من بينها الروايات الخاصة بايام المعارك التي خاضها العرب الجاهليون والامثال القديمة واحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، اما الادب النثري الجيد الذي ازدهر بغزارة بعيد عهد الامويين والذي هو جزء مهم من الادب العربي النحوي فلم يستعمل به لبناء قواعد اللغة . والسبب في اهماله وفي عدم محاولة تلاميذ سيبويه استخراج الامثلة النحوية من النثر يرجع الى قسرة الاسلام على التشبث بالمعطيات الاولى . واذا طبقنا ذلك على اليونان فانه يعني حصر استخراج النماذج النحوية على مؤلفات هوميروس والشعراء الاقدمين واهمال هيرودوت (Herodot) وتوكيديدس (Thukydidides) وبما ان لغة القرآن كانت هي اللغة القانونية والمحترمة الوحيدة وبما ان اللغة العامة كانت تختلف عنها في التشكيل وتركيب الجمل كان من الطبيعي ان يرفض العرب رفضا باتا استعمال ظواهر اللغة العامة في بناء النسق النحوي .

ولقد ادت الاعتبارات الدينية هنا الى تقلص المادة المتواترة وظهرت فعلا وفي زمن مبكر معارضة لهذه الفكرة وذلك في القرن الثاني الهجري وكانت المعارضة تتوخى توسيع الماثور اي الزيادة في المادة المستعملة لبناء النسق النحوي . لكن سرعان ما انتصر

في نفس الزمن - اي في القرون الوسطى - لم يؤد الى الاشتغال باللغة القومية : فاللغة العربية عرفت درجات مختلفة من النمو وكانت هذه اللغات المختلفة المستويات تتنازع الصدارة قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم - المترجم) . فمن ناحية توجد لغة دارجة منقسمة الى لهجات متباينة ، ومن ناحية اخرى اللغة العربية العتيقة الاتية من القدم ، لغة راقية او لغة الادب . ولا نستطيع اليوم تحديد الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما هذه اللغة الراقية ولا متى اعترف لها بالصدارة ولا متى اعتبر استعمالها ملزما بشروط معينة ، والشيء الذي لا يتطرق اليه الشك هو ان هذه اللغة كانت في زمن محمد (صلى الله عليه وسلم) متميزة عن اللهجات الاخرى واصبحت لغة نعم جميع القبائل فيما يخص الشعر والاحتفالات ذات الابهة والاحترام . وقد احتفظ الشعر العربي القديم - باوزانه الصارمة البنية - لهذه اللغة بتفاوتها . واهمية الشعر - كبديل للفن التشكيلي - الذي كان مستحيلا في الحياة البدوية - جعلت من الممكن ابقاء هذه اللغة حية على الدوام .

والتناقض بين لغة العامة ، ولغة الشعراء والقران كان لا بد ان يعمق التفكير في اللغة القومية . ومن المؤكد ان الذين اتخذوا تلاوة القرآن مهنة كانوا في نفس الوقت نخاة . فلم يكن تأويل القرآن الذي كان ينظم الحياة العامة والخاصة ممكنا الا بمعرفة دقيقة للغة الراقية . وفي المدينتين الطموحتين الكوفة والبصرة - بادنى العراق - نشأت مراكز للعلوم النحوية ، ربما اقتصر هذا العلم بادىء ذي بدء على مراقبة كلام البدر وجمع وشرح الاشعار والروايات الخاصة بالحروب القديمة والامثال والتقاليد ، فنعرف - مثلا - ان معظم اعمال الكوفيين مجرد تجميع . اما البصريون فيظهر انهم بكروا بترتيب المواد المتواترة والممثلان الرئيسيان لمدرسة البصرة الخليل وسيبويه ، هما اللذان اتما تنسيق النحو العربي .

نعرض على القارئ فيما يلي تأملا قصيرا عن النظرة الاسلامية للعلوم :

عرف السيوطي العالم العربي المشارك كل العلوم بانها جزء من المنقول الماثور الذي عولج بعقل وتدبر . ويشتمل هذا التعريف على ركني كل عمل علمي : احد هذين الركنين هو المنقول اي المادة الماثورة القابلة للمعالجة والتنقيح ، والركن الثاني هو عقل العالم المنقح مع موهبته البنائية والتركيبية . ويمكن ان يكون هذا

مذهب المتواتر المعهود على مذهب التوسيع والتجديد وحتى في النحو الذي ما كنا نتوقع فيه وجود علاقة بالدين يتمكّن النزاع المتواصل الذي نلاحظه في التطورات المذهبية والشرعية في الإسلام . وفي هذا النزاع انتصر انصار القديم المتصلبين . ولهذا السبب رفض ممثلو النحو القومي العظام ، الانشغال باللغة العامة أو تصحيح أخطائها . ولم يألوا جهدا في الحفاظ - بغيره - على القانون الذي هو نموذج الأعمال الأدبية العظيمة وعدم توسيعه، ولهذا استعملوا دائما في مؤلفاتهم نفس الأدلة والأمثال . وبذلك اتخذ النحو صبغة « علم معيار » وأخيرا أصبح هذا المعيار والمعبارة « ممنوع » سببا في أن اللغة العربية الفصحى ظلت هي ، في أساسها ، منذ ثلاثة عشر قرنا .

وإذا عرفنا أن النحو العربي لم يتزود بأية مادة حية من أية لغة حية ، سهل علينا أن ندرك كيف غدا هذا العلم بالضرورة ، شيئا فشيئا ، جامدا مثل العموية . ويمكننا أن نأخذ فكرة عن ذلك في رواية من روايات الشاعر الفارسي الشهير سعدي في ديوانه « جنّة الورد » في القرن الثالث عشر . ففي إحدى رحلاته إلى تركستان الشرقية - التي هي ولا شك ، ثمرة خياله الشعري - رأى سعدي في مسجد كئشكار طالبا منصبا بحماس على باب من أبواب كتاب الزمخشري . ويجب هنا أن استطرّد لأقول أن النحو العربي يشرح حالات الإعراب في جمل نموذجية صغيرة وتدرس نهايات الإعراب مرتبطة بنصوص مفترضة لا يحاد عنها قط ، ولذا سمع سعدي الطالب يقرأ : ضرب زيد عمرو وعمرو هذا مفعول وزيد فاعل . وحدث أنه في السنة نفسها عقد حاكم توران سلما مع القيصر الصيني بعد حرب طويلة . وقال سعدي للطلاب الشاب في سخرية خفية :

لقد تصالح توران والصين ، وما زال زيد يضرب عمرو . والى يومنا هذا يتضارب عمرو وزيد في جميع المدارس التي يلقن فيها النحو العربي على الطريقة القديمة .

هذا ولم يعتبر المسلمون قط اللغة شيئا متطورا وناميا كما لم يتفهموا الفرق بين اللغة والكتابة التي هي شيء عارض مخترع والسبب في ذلك هو القرآن أيضا فمعنى كل كلمة في نصه المأثور لا يوجد في صورته الملفوظة فقط ولكن يوجد أيضا - بل أكثر منه - في رسمه المكتوب الذي تناقله الأجيال في شكل معين . فلرسم والكلام نفس الوزن . وقد بنيت القواعد النحوية على أساس نص القرآن أي حسب صورة الرسم كما ترى بالعين لا حسب صورة اللفظ كما تسمع بالأذن . فأصغر جزء في الكتابة هو الحرف أما في العربية فهو الحرف المتحرك فقط (I) ولذلك يسوي في الاصطلاح النحوي اللفظ والحرف المتحرك والمدلول الذي تدل عليه الكلمة (Silbe) ، والذي هو أصغر جزء في الكلام الملفوظ المسموع ، لم يكن معروفا عند النحويين المسلمين في القرون الوسطى ولم تعرف اللغة اصطلاحا عليه ، وبما أنه لم يعمل إلا حسب صورة الرسم فكان المدلول الذي تدل عليه الكلمة (Vocal) ينقص في اللغة . ولم تدخل علامة الحركة في اللغة إلا عند ما أدخلت العلامات الدالة على فسر الحركة . ولم يحدث ذلك إلا لأن العرب يرمزون إلى الحركة بعلامة خاصة . والشيء الذي يثير الاستغراب هو أن نظرية صوتية تشبه نظريتنا قد بنيت على هذا الأساس . بل تطورت منها الأوزان الشعرية وذلك بدون أن يكون المفهوم من الكلمة (Silbe) معروفا .

وبالإضافة إلى معنى ضيق للمادة لا نفهمه نحن الغربيين ، فالمعرجي الخارجي الذي اتخذته النظرة إلى اللغة القومية في العالمين الغربي والإسلامي متباين تمام التباين . فالليونان ، وهم أساتذتنا في العلوم النحوية ، كانوا ، قبل اكتشاف العلوم المختلفة ، قد عنوا كثيرا بالعام الذي يكمن وراء الخاص واهتموا بمبادئ الفلسفة ، وبنوا بالفعل صروح المنطق ، وفي إطار هذا الأخير وجدت المادة التي تستند إليها العلوم المختلفة وخصيصا اللسانيات أرضا صلبة . فالكلام

- (1) تنقسم الحروف الأبجدية عند الغربيين إلى (Konsonant) بالفرنسية (Consonne) وهي ذات المخارج و (Vocal) بالفرنسية (Voyelle) وهي ما يسميه العرب الحركات كالفتحة والكسرة والضمة والسكون - الفرق بين العرب والغربيين هو أن الحركات عند الغربيين (a, e, i, o, u, y) تعد من الحروف وتكتب إلى جانبها - ولا تعد في العربية من الحروف ولا تكتب بالضرورة معها وإنما توضع فوقها أو تحتها إذا أشكل النطق - (المترجم)
- (2) يعبر عن هذه الكلمة اليوم بـ مقطع (المترجم)

والفكر عند اليونان يشتملان على نفس القوانيين المنطقية . ولذلك كان من الممكن ادراك الاثنين في نفس المنهج الفكري . فيتساوى عندهم الحكم والجملة ، والمدلول والكلمة . اما في الاسلام فقد تطورت الامور تطورا مضادا على طول الخط ، حيث جمع المسلمون ، اولاً ، المادة اللغوية التي هي موضوع البحث والتنظيم ، ثم كونوا منها بعد ذلك نظرية لغوية ولا نقول ان هذه النظرية الاساسية غير منطقية ولكنها ليست ، كما عند اليونان ، منطقية صرف ، فالنحويون القوميون العرب ينظرون مع وعبر اشكليات والقالب الى محتويات ومعاني الجمل . واليونان ومعهم الفرييون اليوم يرون العام وراء الخاص . اما النحو الاسلامي فلم يستطع ان يخرج من الخاص الى العام الا بشق الانفس . وتصلح نظرية اليونان اللغوية ان تطبق على جميع اللغات لأنها تطورت تطورا موضوعيا . اما النظرة العربية الاسلامية الى اللغة فلا يمكن تطبيقها اساسا الا على اللغة العربية نفسها لأنها لم تنبع من مبادئ منطقية موضوعية صرف . ولذلك يمكن ان يفهم السبب الذي جعل اللغتين الادبيتين الكبيرتين الفارسية الحديثة والتركية العثمانية المعتمدتين على العربية ، لا تستطيعان تطوير نظرية لغوية خاصة بهما . فالفارسية الحديثة الهندوجيرمانية ابست ان تخضع لنسق لا يصلح الا للغة العربية .

وتختلف التقسيمات في النحو الاسلامي ، حتى في مظهرها ، عن التقسيمات في نحونا اختلافا كبيرا . فعلى اساس التوازن المنطقي بين الكلمة والمعنى وبين الجملة والحكم ، تنقسم قواعدنا النحوية الى دراسة تكوين الكلمات اي علم الاشكال ، ودراسة تكوين الجمل اي (Syntax) . اما النحويون العرب فينهجون نهجا آخر ، فهم يميزون بين المفردات من الناحية النحوية الصرف فقط ، حسب نهاياتها وحسب عملها الذي تعمله في الجملة . ثم يكفي تقسيم المفردات تقسيما خارجيا لا يستند الى بنيتها ، وخلال هذا التقسيم الى مفردات مختلفة الانواع يمكن استخراج نظرية حول تكوين الجمل ، لان الكلمات تتغير في نهاياتها حسب موقعها من الجملة .

وتقسيم الكلمات هذا الى انواع ، هو الذي ادى بي الى نقطة الانطلاق في هذا البحث . فيقسم العرب جميع مواد كلامهم الى ثلاثة اقسام : الاسم ، (I)

والفعل (I) ، والحرف (I) الذي نعبر عنه نحن بالجزئي . وهذا هو التقسيم الذي اخذه رويشليين من القواعد القومية اليهودية المقتبسة هي بدورها من القواعد العربية القومية . وقد ظن الناس في الاول ان العرب مدينون ، في معاني قواعدهم الاساسية هذه لتأثير اجنبي وبالاخص تأثير يوناني . مع العلم اننا ، نحن الغربيين ، لم نعرف الا بعض المؤلفات النحوية التي تحمل آثار التعريفات الارسطوطالية . وقد ظهرت هذه المؤلفات في وقت متأخر نسبيا وجاءت مرتطة بأصلها ارتباطا جديرا بالملاحظة ولم تنفصل عنها الا نادرا . بذلك كان من الممكن ان ينشأ اخيرا الاعتقاد القائل ان القواعد القومية العربية ارتكزت على الفلسفة اليونانية ، العكس تماما لما تواتر عند العرب الذين يعتبرون القواعد القومية علما عربيا محضا . وبهذا الاعتقاد فقد الفرييون ملكة تقدير المصادر القديمة بموضوعية ونسوا ان هذه المراجع الاصلية اقدم من التاريخ الذي دخلت فيه الحكمة اليونانية العالمية في دائرة الفكر العربي . وقد أتى بعضهم بدلائل ضعيفة جدا ليحاول ان يجد في انشاء المعاني عند النحو العربي تأثيرا من القواعد اللاتينية وذلك عندما قارنوا بين الاصطلاح اللاتيني (Terminus) والعربي « حرف » مع ان « حرف » يدل على شيء من الملفوظ او المكتوب صغير ليس محدودا في حجمه ، ابتداء من حرف او حرف متحرك حتى الكلمة وعبارة ، وجزء من جملة . ولا ينبغي فهم هذه الكلمة التي نعبر نحن عنها بكلمة (Partikel) اي قسم الكلام الثالث ، كما يفهم اليوم . فالمفهوم العربي لهذه الكلمة ليس كذلك . يقول سيويه ان الكلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : الاسم والفعل والحرف (I) ثم يعرف الحرف ويوضحه كما يلي : يعبر الحرف عن معنى ليس بالاسم ولا بالفعل . ولذلك فكلمة « حرف » تعني شيئا آخر غير الحرف المفرد او مجموعة من الحروف التي تكون كلمة لا معنى لها بذاتها . كل ما ليس اسما او فعلا ينتمي الى الحرف ويأتي بمعنى . ولا تمت هذه الكلمة الى الكلمة اليونانية (Syndesmos) بصلة . وفي العبارة « حرف معنى (I) » كما كان يسمى القسم الثالث في الاصل يقع الوزن في الكلمة الثانية « معنى » ويمكن التعبير عنه في لفتنا ب « مجموعة من الحروف الابجدية الدالة على معنى » .

(I) بالعربية في الاصل وترجمها المؤلف الى الالمانية

والمنطق الالهي وواجب النحويين هو ازالة الحجاب عن المنطق الذي يكمن وراء الكلمات واكتشاف اسرار اللغة (اسرار العربية) (1)

ويسمى العالم النحوي العربي ، من وراء الظواهر اللغوية الى استخراج قواعد تمكن من تفسير تطور لغوي . اما بالنسبة للعالم للغوي العربي فاللغة مبنية نفسها بناء منطقيا وينبغي له ان يستدل على منطق هذه القواعد ويبرهن على ان كل كلمة اينما تقع في هذا المكان على أساس من المنطق السليم ، وانطلاقا من ظواهر استثنائية معينة يقيم النحويون العرب المتأخرون - باستدلال صارم - قاعدة لغوية مطلقة وقد لعبت هذه القاعدة دورا صغيرا في مرحلة النحو العربي المتقدمة لانها غير عقلانية ولم تلائم حياة اللغة ، بيد ان هذا الدور نما فيما بعد نموا غير طبيعي واصبح النحو علما محتاجا الى استدلال ومعيار بدلا من ان يكون علما مفسرا وشارحا .

وهذا مثال لمنهجهم : تقتضي كلمة الاستفهام العربية « كم » المنصوب بعدها . لماذا ؟ يفكر العالم النحوي العربي كما يلي : تحل « كم » محل عدد . ولا يعرف السائل هل « كم » حالة محل عدد صغير او كبير . واعراب ما بعد العدد يختلف اختلاف وقوع العدد في احدى المجموعات الثلاث : (3 - 10) او (11 - 99) او (100 فما فوق) وبما ان الجواب غير معروف بالتاكيد فان الاختيار المنطقي الوحيد هو مجموعة الوسط (11 - 99) . وهذه المجموعة تقتضي المنصوب وكذلك - اذن - « كم » .

هذا مثال نموذجي لحوار النحويين العرب . فالقواعد العربية شاملة صارمة. ولا تقبل الاستثناءات. واذا حدث انحراف عنها يستعان بالتشبيه للدلالة على ان هذا الانحراف منتظم في القاعدة . ويؤتي لاجل ذلك بوجه او اوجه للشبه . واذا كان عاملان متشابهين يختار للثاني نفس العمل الذي للاول . ولا يهم ان يكون هذان العاملان قابلين او غير قابلين للمقارنة . وبما ان كل المفردات تتكون من الحروف المتحركة وبما ان هذه الاخيرة اجزاء اقسام الكلام المختلفة يمكن ايجاد علاقة بين الاسم والفعل الماضي ، مثلا ، وكلما زادت اوجه الشبه الخارجية والداخلية امكن التسوية بين اعمال العوامل المشبهة ، وبما ان هنالك خمسة اوجه للشبه بين الاسم والفعل الماضي فذلك يكفي مثلا

يستعمل النحويون اليهود مرارا وبكل بساطة ترجمة عبرية لهذه الكلمة « معنى » للتعبير عن القسم الثالث للكلام . ولا يمكن التحدث عن استعمارة من اليونان . والمطابقة بين الاصطلاح العربي « اسم » والاصطلاح اليوناني (Onoma) (تسمية شخص او شيء) على قسم الكلام الاول ليس الا صدف محضة . ولا علاقة ايضا بين الاصطلاح اليوناني (Rhéma) (هذا الذي يحكى على شخص) والاصطلاح الدال على قسم الكلام الثاني « فعل » في العربية .

فالفاعل عند النحويين العرب ليس هو الفاعل عندنا . كان هذا الاصطلاح في الاصل اصطلاح علم المنطق ونقله اليونان الى النحو ويعبر عندهم عن الكلمة التي يقال عنها شيء . لا يعرف النحو العربي هذا المفهوم الاصيلي لكلمة « الفاعل » . فليست الجملة عند النحويين العرب حكما بل سلسلة من الكلمات الدالة على معنى . ولذلك ، فثمة انواع مختلفة من الافعال حسب هذا الشيء الذي يقال عنه . فاذا بدى بالفعل سمي الفاعل ، الذي في محل رفع ، « فاعلا » . ولكن اذا بدى بالاسم سمي الفاعل « الكلمة التي بدى بها » واذا بنيت الجملة للمجهول اصبح الفاعل غير فاعل ولكن مفعولا وسمي المفعول الذي لم يسم فاعله .

وقد ظهرت هذه المعاني النحوية الاساسية عند اقدم النسقين العرب . كانت المادة المخصصة للعمل محدودة للغاية ولذلك كان ينبغي ان يهتموا وخلفاؤهم معهم بالركن العلمي الثاني ، أي العقل ، المدير والمرتب ، اكثر من اهتمامهم بالركن الاول ، فبهذه الطريقة قد يكون ما يضيفه العالم الى المادة اكثر من المادة نفسها التي يستخدمها .

وبلاضافة الى ما سبق ، فان العرب لم يهتموا الى مقارنة العربية بلغات سامية اخرى لانهم كانوا يكادون يجهلونها . اما تطبيق المنطق على اللغة فلم يكن ممكنا لانعدام النسق عندهم . ولهذا السبب تمت جميع اعمالهم على اساس مبدا واحد : القرآن كلام الله وهو العقل والمنطق . ولغة القرآن اذن مثال اللغة العربية ونموذج تعبيراتها ، ولا بد ان يظهر في كل جزء من بنائه المنطق الالهي . واذا كان اليونان قد سوا بين اللغة والفكر وبين قوانين اللغة وقوانين الفكر ، فالنحويون العرب قد سوا بين اللغة العربية

(1) بالعربية في الاصل .

القاضي الذي انيطت به اقامة العدالة الالهية والمحافظة عليها .

تفصلنا عوالم عن هذا المنهج وهذه النظرة العلميين بل من الصعب علينا بمكان أن نساير هذا النوع من طرق التفكير ولا يمكن تفسير هذا المنهج - كما قلت آنفاً بايجاز - خصيصاً بالنسبة الى النحو القومي العربي ، بالتأثيرات الاجنبية . فالعلم اليوناني والعلم العربي مؤسسان على مبادئ متباينة تماماً . ولكن ليس من الانصاف الاستهزاء بهذا العمل العلمي . فانه يصدر عن سبب سام الا وهو واجب الانسان الاساسي في القرون الوسطى الاسلامية اعني العبادة (1) اي خدمة دين الله . ومن ثمة يأتي واجب الفرد ان يحيا حياة مستقيمة ، ومهمة العلم هي تنسيق وتاويل ما أتى به الوحي والحديث لاقامة هذه الحياة المستقيمة . ومهمة النحو كعلم من علوم اللغة ، في نشر القرآن والحفاظ عليه مهمة ممتازة للغاية ، ومن ثمة يمكن تفسير جموده فيما بعد ولكن من ثمة أيضاً جاء الدافع القوي الى العمل .

والمرأة التي بحثنا فيها عن صورة اللغة العربية اكثر من مرآة بمعناها المألوف ، فهي بؤرة اشعاع ومصدر الضوء فيها هو الدين الذي ذابت اللغة العربية في اشعته لخدمة الاله .

لائبات ان هذا الاخير له الحق ، بالضبط كالاسم ، ان يغير ، قبل سواه حركاته .

يؤتي بالبراهين من كل ميدان ومجال . فمعروف في الطبيعة مثلاً ان السبب يسبق المسبب . ولذلك فلا تسمح اللغة ان تأتي الجملة الشرطية في المقام الثاني بعد جوابها في مركب شرطي . فهذه الجملة تدل على علة ولذلك يجب ان تسبق . اما الايقاع الجميل والعرف الرفيع فيفسران لنا كيف يجب ان يتبع المجرور عامل الجر فيه ، على العبد ان ينتظر حتى يأخذ السيد مكانه . وكذلك يجب على الكلمة المعمول فيها ان تقع وراء الكلمة العاملة . فيأتي مثلا المضاف قبل المضاف اليه ويقع حرف الجر قبل المجرور به .

فاللغة العربية صورة العقل والمنطق
ونتيجة الفكر ، والعدالة والانسجام الالهيين . والاستثناءات من القاعدة توجد في هذا النحو بالندرة التي توجد بها الاستثناءات من العقل في الحياة . بل لقد برر بعض التحويين المتأخرين الاستثناءات من القاعدة بواسطة المنطق . وفي الحالات التي لم يكف فيها المنطق الفيت الاستثناءات بكل بساطة من المادة الاصلية ويقف عقل النحاة فوق المادة ويسهر على عقلانية اللغة ويتساوى في العمل المعياري مع

(1) بالعربية في الاصل .

الورق المهرق stencil

ذكر ابن الأبار (الحلة السبراء ص 137) « انه كان لعبد الرحمن كاتب اعتاد أن ينشيء الرسائل الرسمية في منزله ثم ينقلها الى ديوان خاص يصير فيه اظهارها على الورق وهو من نوع الطباعة فتصدر في نسخ متعددة توزع على عمال الدولة » .

اللغة العربية تماشي الأمة العربية إلى الأمام لأنها جزء حي منها

الأستاذ إلياس قنصل (عاصمة الأرجنتين)

الى تاريخها ، يريد ان يشوه معالمه الواضحة
العالية ليزيل الاتصال بين الماضي والحاضر .
الى نشئها ، يعني ان يبيث فيه من الانفلات ما
يذيب شخصيته المأولة .
الى اقتصادها ، يرمي الى وقفه عند حد محدود ،
فلا يتفاعل مع امكانيات النشاط .
الى كل شيء .

وقد كان « اللغة العربية » نصيب وافر من تلك
الحراب المصوبة التي تقطر بالسم الزعاف .

طلعت الدعوات العديدة تشير الى وجوب البحث
في « تطوير » اللغة ، ولم يكن القصد لا التطوير ولا
ما يشبه ذلك من بعيد أو قريب .

كان القصد ايجاد البلبلة في اجزاء الامة التي
تتكلم هذه اللغة ، واحداث شكل من اشكال الفوضى
قد يمتد الى عوامل لها علاقة وثيقة باللغة .

كان القصد منها - الى ذلك - شغل فئة من
حملة الاقلام بالآخذ والرد والمباحكات والمناقشات
البيزنطية ، وصرفهم عن اذكاء نيران الحماسة في
النفوس لمحاربة الاستعمار .

لا نقول ان جميع الدعوات التي تعالت مطالبة
بالاصلاح ، كانت من ابياء الاستعمار ، فقد تنزه بعضها ،
عن ذلك ، ولكننا نقول ان معظمها كان مدفوعا من
الاخطبوط المذكور .

والذي يراجع تاريخ هذه الدعوات يجد ظاهرة من
اغرب الظواهر لا يمكن أن تكون من عمل الصدق :

كل سلاح وصل الى يد الاستعمار ، استعمله ،
محاولا القضاء على القومية العربية .

انزل الاستعمار على المدن العربية قنابله ،
ووجه الى صدور ابنائها رصاصه ، وهدم ، وخرّب ،
وشرد ، واعتقل ، ما شاءت له مطامعه .

ثم حاول - وقد رأى ان بطشه المكشوف لم
يجد - زعزعة اركان الوعي القومي العربي من الداخل ،
فرشد الانصار ، وجند الاعوان ، واشترى الضمائر ،
ولكنه على الرغم من ذلك ، لم يستطع الوصول الى ما
يبغي ، فقد كان هؤلاء الانصار والاعوان من القلّة ،
وكانت اليقظة الشعبية من الشمول ، بحيث اخفقت
محاولاته ، ورأى نفسه كما رآه العالم ، متعثرا بأذيال
الفشل ، لا يكاد يللم ذاته من حفره حتى يقع في حفرة
ثانية .

واذا كان الخذلان قد اصابه في محاولاته ، فليس
المعنى ان المعركة التي استهدفت لها الامة أو بعبارة
اصح أن المعارك التي ساقها اليها ، كانت معارك هينة
لينة ، كلا ، لقد كانت جولات عنيفة ، تركت في جوانب
الامة جراحا ضمدت بعضها ، ولا يزال بعضها ينزف
بالدم ، الى الآن .

صوب الاستعمار حراجه الى سائر مقومات الامة
العربية :

الى اخلاقها ، يريد ان ينفذ بالفجور الى
مناعتها ، فينهار تماسكها .

كانت هذه الدعوات تطل برؤوسها عندما يشتد ضغط الشعب مطالباً بالحقوق المفضوبة .

ان هذه الدعوات لم تكن تظهر ابداً في فترات السكون السياسي ، والاستكانة القومية وهي الفترات التي كانت حرية بأن تظهر أثناءها ، لان هذا الاصلاح - اذا صح ان مرماه الاصلاح - يحتاج الى درس ، لا يتم الا تحت ظلال الاطمئنان .

قال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية فوق مستوى الجمهور ، وانها وقف على طبقة معينة من الامة ، وان هذا عيب من عيوبها ، تلافية ان تكتب بلغة الشعب بالعامية

ولو تم لهم ما اردوا ، لقصي القضاء المبرم على واسطة التفاهم بين الاقطار التي تضمها الفكرة العربية

لقد رأى هؤلاء ان اللغة العربية - في حالتها الحاضرة - تجمع السوري الى المراكشي ، كما تجمع المصري الى الويتي ، كما تجمع العراقي الى اللبناني حتى لا يكون بين المجتمعين اي فارق ، مهما كان ، فكان المقيم في أقصى القارة الاسيوية كالمقيم في ادنى القارة الافريقية .

راي هؤلاء المطالبون باصلاح اللغة ذلك ، فهالهم الامر الذي يكاد يكون منقطع النظير في ادوات التفاهم ، فعمدوا الى تفكيك هذه الوحدة ، وبرزوا بالنفمة « النشاز » : تحويل اللغة الفصحى الى العامية ، اي وضع حدود او شيء كالحودود بين اللهجات المختلفة بحيث يصعب التفاهم بين قطر وقطر ، واذا لم يصعب ، فلا اقل من ان يكون ثقيلاً .

ولو كانت نية هؤلاء ما قالوه ، لدعوا الى رفع العامية من مستواها الى المستوى الذي تتقرب فيه من الفصحى كما يفعل الزمن دون ان يشعروا ، فالاصلاح الحقيقي هو ان تنجبه الى الكمال ، لا ان تتحدر الى الناقص ، ومن البديهي الذي لا يكابر فيه ان الفصحى هي رمز الكمال ، لا العامية .

وقال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية ذات صرف معقد ونحو غامض ، وان الافكار تنصرف عنها لهذه الاسباب التي يستطاع ازالها بمحو جميع العقد منها ، وملاشاة الغموض ، اي بترك الحبل على الفارب ، لمن يشاء ، ويتحول الارباب فيها من قضايا منطقية ذات قواعد، الى مجموعة من عناصر التشويش التي لا يضبطها منطق ، ولا تنتظم

في قاعدة . وينسى هؤلاء او يتناسون ان جميع لغات الدنيا التي تتداولها المحافل المحترمة لا تخلو من قواعد وقياسات وانظمة وما اليها ، وان بعض اللغات التي يعتبرونها مثالية شواذ لا يقاس اليها ما في لغة الضاد .

وقالوا فيما قالوا :

ان الاحرف العربية في هندستها الراهنة ليست احرفا تماشي الحضارة التي بلفتها الدنيا ، وان الواجب يقضي باستبدالها بحروف فرنجية ، او بحروف لا هي بالفرنجية ، ولا هي بالعربية .

وما يرمون اليه من هذا الاقتراح واضح : انهم يرمون الى وضع حاجز بين الجيل الحاضر والتراث العربي القديم الخالد ، انهم يرمون الى القضاء دفعة واحدة، على ثمرات الفكر العربي في الاجيال الماضية وينسون او يتناسون ان التراث الفكري العربي القديم لا يشكل مفخرة من مفاخر العبقرية العربية فحسب ، ولكنه يصل الينا ، وهو خلاصة التجارب الفكرية في المدى العربي ، وهو عصارة الفلسفة العربية في نظرها الى الحياة ، والى ما في الحياة من مشاكل .

وقالوا فيما قالوا : اشياء كثيرة لا تخرج عن هذا النطاق ، ولكنها مفضوحة النيات ، مكشوفة المعامل .

لقد استطاعت اللغة العربية ان تعبر عن ادق الخواجج الانسانية ، وان تستوعب دقائق الفنون والعلوم في مختلف العصور الماضية ، فكيف تعجز الآن عن النهوض بهذه المسؤولية ، وقد سهلت امامها الوسائل التي لم تكن متوفرة في العصور الفائقة ؟ كيف تعجز الآن عن ذلك ، وقد تكشف للعلماء كثير من اسرار تراكيبها ومشتقاتها كانت مغلقة على الذين نقلوا اليها العلوم والآداب من الامم الغربية ؟

نحن لا ندعو الى الجمود .

انا نعرف ان تقدم الحضارة يتطلب ان ترافق اللغة ما يظهر من اختراعات ، ولكننا نعرف كذلك ان اللغة العربية في وسعها ان تجاري التقدم مجارة ليس بعدها زيادة لمستزيد ، فهي لغة لها اتساعها في مفرداتها ولها دقتها في جلاء اخفى ما تنطوي عليه النفس من شعور ، ولها غزارتها في منح ما يتطلبه الراءب في استيعاب مكنوناتها الدفينة ، ولها جمالها الذي لا يماثله اي جمال في اية لغة اخرى .

النتيجة الا ماشاء الحق ، وبقيت اللغة العربية في حصن حصين من مناعتها الطبيعية ، ولم تؤثر عليها هجمات الموتورين الحائقيين .

والقومية العربية تعرف ان اللغة احد الاسلحة الفعالة في درء الاخطار المخيفة بها ، وهي لذلك تحرص على سلامتها حرصا لا يمكن ان يتسرب اليه الوهن ، وهي لذلك تمر بالدعوات التي تبدو بين الحين والآخر مرور الاحتقار والامتهان ، لانها تدرك ان الداعين لا يضمرون لها الاخلاص ، ولو اضمروه لتوجهوا الى ايجاد الاصلاح الحقيقي ، لا الى هذه الحملات التي لم تعد تخدم احدا .

ان لغة الضاد التي رافقت امتها في جميع الادوار وانبعثت منها الطرائف الخالدة ستظل تمشي هذه الامة في مراحلها الى الامام لانها جزء حي منها .

ان اللغة العربية فيها « حياة » يكاد المرء يلمسها كما يلمس الحياة في الكائن الحي الانساني ، وهي ، الى انها اداة للتعبير والتفاهم ، آصرة من اواصر القومية كان لها عملها في الاحتفاظ بهذه الروح التي نجدتها الآن في العالم العربي .

والاستعمار لم يكن على خطأ ، حين وجد فيها ، قوة من قوى العروبة ، بقاؤها على جيويتها ، نذير له بان الوحدة العربية التي يخاف منها ، باقية الاصول ، ينميتها الزمن ، ويفذيها الجهد المخلص اربعمائة سنة او تزيد ، بقيت اللغة العربية تجابه الطغيان العثماني ، مجابهة ، خرجت منها فائزة منتصرة ، وارتد الطغيان مدحورا مكسورا .

وعادت قوى الشر التي حشدتها الاستعمار الحديث ، فشنت عليها الغارات المتواصلة ، ولم تكن

تَحْقِيقَاتٌ لِعَوِيَّةَ

الأستاذ

عبدالقادر زمام

في مقال سالف تحدثنا عن كلمات : الشكازة والشكاز . والحوالة . والوادي بمعنى
النهر والنسبة الى مقرة ... !

وفي هذا المقال نتابع الحديث بالكلام على : المصاراة والمسرة ... !

الاولى : الدلالة الحقيقية لهذه الكلمة .

الثانية : الرسم الصحيح لكتابتها

ولنبدا في النقطة الاولى ... بالاشارة الى بعض
الكتب الاندلسية التي استعمل مؤلفوها كلمة المصاراة
لنرى مدلولها هناك ... !

— مؤلف الكتاب المسمى (باخبار مجموعة)
يستعمل كلمة المصاراة باعتبارها اسم مكان معين يقع
خارج عاصمة قرطبة ... ! جرت فيه عدة احداث
ومعارك بين عبد الرحمان الداخل الاموي ... وبين
محاربيه قبل أن يتم له الامر ... !

بل اننا نجد مؤلف هذا الكتاب يذكر المصاراة في
اخبار ثعلبة بن سلامة سنة 124 هـ . قيل مجيء عبد
الرحمان الى الاندلس ... وقد اقام ثعلبة هذا سوقا عند
المصاراة ... وبيع بها اسراها من خصومه
المغلوبين ... !! (1)

— ومؤرخ الاندلس ابو مروان ابن حيان القرطبي
(377 هـ — 469 هـ) يذكر المصاراة عدة مرات

المصاراة : كلمة معروفة ومستعملة في كتب
المؤرخين والجغرافيين الاندلسيين . كما انها معروفة
ومستعملة في المغرب نجدها في عدة مصادر تاريخية
مخطوطة ومطبوعة سنشير اليها فيما بعد ... !

والمعنى الاجمالي الذي يتبادر الى ذهننا لهذه
الكلمة . عندما نجدها في النصوص الاندلسية
والمغربية هو انها تعني عند الذين يستعملونها في
كتاباتهم ... الفضاء الفسيح الذي يقع خارج المدن
الكبرى وتحيط به الجنات والحقول مما يجعله معدا
لائمة للمهرجانات والافراح العامة .. والتمتع بجمال
الطبيعة في فصل الربيع ... !

لكن هذا المعنى الاجمالي الذي ندركه من خلال
الاستعمال . لا يكفي في ميدان التحقيق اللغوي الذي
يحدد المعاني بدقة . استنادا على نصوص معجمية .
او استعمالات اصطلاحية معينة ... !

لذا كان البحث هنا في هذه الكلمة منصرفا الى
نقطتين :

(1) اخبار مجموعة ... ص 45

فاذا اطلق الاندلسيون كلمة (المصاراة) على الفضاء الفسيح المحيط بمدينة من مدنهم الكبرى المشتمل عادة على الحقول والجنات والياديين الواسعة ... فان ذلك ضرب من ضروب المجاز اللغوي المعروفة المستعملة في فصيح اللغة ...!

اما اذا كان هذا الفضاء مستعملا كلا او بعضا لعدو الخيول وسباقها بالفعل ..! فان الاطلاق يكون اذ ذلك حقيقة لغوية ... لا مجازا ..!

وبهذا ظهر ان كلمة (المصاراة) لها أصل لغوي صحيح . وان الاصطلاح الاندلسي مبني على هذا الاصل ...! فلا مجال فيها للتوقف ..! لا من جهة الاصل ..! ولا من جهة الدلالة ..!

وفي المغرب نجد الكلمة مستعملة عند عدد من المؤلفين . الا اننا سنشير الى بعض النصوص التي وردت فيها على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء..!

— مؤلف كتاب : (روض القرطاس) يقول : « ويحصد الزرع بفحص المصارات — كذا — التي بخارج باب الشريعة من ابواب عدوة القرويين عن اربعين يوما ...! وقد شاهدت الزرع حرث بالمصاراة المذكورة في خامس عشر من شهر ابريل . وحصد في آخر مايه ..!! » (5)

— ونجد الروض المريني المسمى بـروض المصاراة مذكورا في عدة مصادر كتبت بأعلام اعلام ذلك العصر .. ومن بعدهم ..!

— فابن الخطيب في (نفاضة الجراب) يذكر جنة المصاراة ويعبر عنها مرة أخرى بروض المصاراة. ويصف المهرجانات والاحداث التي شاهدها هناك ..! (6)

— وابن خلدون في (العبر) يذكر روض المصاراة الذي انزل به ابو الحسن المريني ضيفه ابن الاخير وكان هذا الروض لصق دار ابي الحسن ..! كما يقول ابن خلدون ..! (7)

وذلك في القسم المطبوع من كتابه (المقتبس) في بيروت 1965 م ... وذكر ابو حيان في القسم المذكور استقبالات كبرى جرت في مصارة قرطبة احتفالا بضيوف الاندلس الوافدين على عاصمتها اذ ذاك..!! (2)

كما ذكر اشياء أخرى وقعت في هذه المصاراة ..!

وفي هذا الكتاب وفي غيره نجد مصالحي المصاراة (3) لكن المصاراة ليست موجودة في قرطبة

وفي هذا الكتاب ليست موجودة في قرطبة وحدها بل ان هناك عدة مدن اندلسية نجد فيها مصارات أخرى لا غرض لنا باستقصائها الآن ..!

ويكتفينا الآن ان نرجع الى القسم المطبوع من كتاب (ترصيع الاخبار وتنويع الآثار) الذي ألفه الجغرافي الاندلسي احمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي لنجد فيه خبرا عن : « وتيقعة المصاراة بلورقة » (4) باقليم مرسية ، وبذلك نتأكد لنا ان

(المصاراة) ليست علما على موضع خاص في قرطبة ..! بل هي « اصطلاح » اندلسي عرف واستعمل عند الاندلسيين منذ سنواتهم الاولى ... حتى صار لكل مدينة كبرى هناك مصارة ...! ولا بد ان نتساءل عند البحث ... عن الكيفية اللغوية التي نشأ بسببها هذا الاصطلاح هناك ...! وعند الرجوع الى (تاج العروس) نجد هذا النص اللغوي :

« مضر الفرس كعني استخرج جريسه ..! والمصاراة بالضم الموضع الذي تمصر فيه الخيل ..! »

فالمادة لغوية معجمية ما في ذلك من شك ...! والمعنى اللغوي لكلمة المصاراة كما شاهدنا في النص . هو الميدان الذي تطلق فيه الخيل لاجل العدو والسباق واستخراج الطاقة الحيوانية .

ومن شأن الميدان المعد لذلك ان يكون خارج المدينة في فضاء فسيح ..!

(2) الارقام المذكورة في فهرسة القسم المذكور ...!

(3) ابن عذاري ج 2 ص 199

(4) نصوص الاندلس ص 5 معهد الدراسات الاسلامية بدمريد 1965 م

(5) الجزء الاول ص 59 . ط . الرباط 1936 م وانظر أيضا ص 54 من نفس الجزء ...!

(6) نفاضة الجراب ص 184 و 213 و 217

(7) العبر ج 7 ص 531 . ط . بيروت 1959 م

وغني عن التأكيد اننا هنا بصدد البحث عن
(كلمة) المصارة .. ! لا عن (موضع) المصارة ...

واشتهرت هذه الكلمة في عصر بني مرين وفي
الوثائق المتعلقة بعاصمتهم ... ومن أجل ذلك تداولتها
الاسنة والأتلام طوال قرون بعدهم . واستمر ذلك الى
الآن ... ! في الوثائق الخطية المتعلقة بالاملاك التي
كانت تجاور المصارة لمعينين أو للاعباس ..!

ولا شك ان رسم الكلمة رسما صحيحا يتوقف
على استحضار أصلها اللغوي ومعرفته ... ! فاذا نسي
هذا الأصل أو أهمل ..! فان الكلمة تأخذ طريقا أو
طرقا الى التحريف والتصحيف ... ! وهذا ما حدث في
كلمة المصارة ...

وقد وصلنا الآن الى النقطة الثانية ... وهي
الرسم الصحيح لكتابتها ... !

ونشير هنا الى اننا لاحظنا في الوثائق التي مرت
إمام أعيننا « وجلها من الصكوك المخطوطة » ان هناك
من يكتبها ... المصارة ..! (بالصاد) ومن يكتبها
المسارة ..! (بالسين)

ولا يبعد ان يكون غيرنا قد اطلع على رسمها
رسما ثالثا أو اكثر .. !

— وفي مقدمة (جذوة الاقتباس) لابي العباس
ابن القاضي نجد ناسخ الكتاب كتب المصارة هكذا
« جنات المسارة » بالسين .. !

ولا شك ان ما قدمناه كاف لاتناعنا ان رسم
الكلمة الصحيح لغة واصطلاحا هو (المصارة)
بالصاد ... لا بالسين .. !

والغريب ان هذا التصحيف الذي لمساته فيها
يرجع للمصارة المغربية في عاصمة بني مرين قد لحق
المصارة الاندلسية في عاصمة الامويين .. ! بناء على
ما جاء في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية
بمديرية ... ! (8)

وننتقل الى كلمة — المسرة —
ففيها يرجع الى الدلالة اللغوية نجد المسرة
مصدرا ميميا للفعل سرت ...! كما نجد اسمها لأطراف
الرياحين ... (9)

اما في المسوع بين الناس في المغرب . وكذلك
في بعض الكتب التاريخية فان المسرة تعني جنة فيحاء
من جنات مراكش الحمراء وقد استست هذه الجنة
وغرست وجرت اليها المياه على عهد الموحدين ..!

وعلى المنهاج الذي سرتنا عليه فاننا نبحث
عن (كلمة) المسرة ... ! لا عن (موقعها) او (صفاتها)
التي ذكرها المؤرخون ..! او بعبارة أوجز وادق .. فاننا
نبحث عن الاسم لا عن المسمى ... !

فهل سمي الموحدون منشآتهم التي غرسوها
بأنواع الاشجار والرياحين في مراكش بهذا الاسم
— المسرة — فعلا ... !!

ومع اعترافنا من الناحية اللغوية بصحة تسمية
الرياض وما في معناها باسم المسرة . لكونها ظرفا
للسرور الانشراح ... او سببا من اسبابها . او لغير
ذلك من العلاقات ..! فان البحث هنا منصرف الى شيء
آخر ... وهو كما قلنا آنفا :

— هل سمي الموحدون منشآتهم التي غرسوها
بأنواع الاشجار والرياحين في مراكش بهذا الاسم
— المسرة — فعلا .. !!

ونؤكد اننا لا نشك ان الموحدين جعلوا عاصمة
الامبراطورية الكبرى بعدد من الحدائق والجنات
والتصور والمساجد والبريات ... !

ولكن هناك فرقا بين « انشأوا » وبين « سموا »
ونحن نبحث عن الثانية دون الاولى ... دفعا لكل
التباس ..!

فالمؤرخون الذين تناولوا تاريخ مراكش وهم
كثيرون يذكرون « المسرة » باعتبارها من منشآت
الموحدين ونكتفي هنا بالإشارة الى المقدمة الحافظة
لكتاب « الاعلام بمن حل مراكش وأغيات من الاعلام »
لمؤلفه القاضي عباس ابن ابراهيم رحمه الله ... !

فاننا نجد فيها نقلا عن المؤرخين .. ان عبد المومن
« انشأ » المسرة ... ! التي يظاها جنات الصالحة ...
كما نجد ان عبد المومن « انشأ » المسرة وهي البستان
الذي « جده » المنصور الذهبي ... ! (10)

وبحثنا — جهد الامكان — منذ مدة في المصادر
والكتب التي لابس مؤلفوها دولة الموحدين وعمرسوا

(8) المجلد الثالث عشر مدريد 1965 م — 1966 م

(9) اعتمدنا على تاج العروس في المادة ..!

(10) انظر من الصفحات 67 و 86 و 94 .

عاصمتهم مراكش . ومنهم من سكنها فعلا في العصر
الموحدي ... ! فلم نجد فيها تسمية ما انشأه الموحدون
هناك باسم « المسرة » ولا باسم « المصار » .. !!
بل وجدنا أسماء أخرى لا غرض لنا بذكرها الآن ... !

واهم هذه الكتب الموحدية هي :

— الاستبصار في عجائب الامصار

— المعجب في تلخيص اخبار المغرب

— القسم المنشور من نظم الجمان لابن القطان .

— تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة

— مجموع رسائل موحدية

— كتاب المؤرخ البيدق

بل اننا نجد المؤرخ البيدق يذكر في كتابه : اخبار
المهدي . ان عبد المؤمن كلف اميرا من امراء الاندلس وهو
احمد بن ملحان .. ؟ ملك وادي آش .. ! بتنسيق بسنانه
العظيم الذي انشأه بمراكش وهذا البستان يسميه
البيدق « شنطولية » (11) .

فهل جاءت كلمة « المسرة » التي نراها عند
بعض المؤرخين من تعريب كلمة « شنطولية » التي
حافظ لنا عليها المؤرخ البيدق .. !!

ولا بد لنا هنا من تطبيق القاعدة المعروفة في
الابحاث العلمية وهي :

— ان عدم الوجدان لا يقتضى عدم الوجود ... !

فاذا لم يتيسر لنا الآن الاطلاع على نص موحدي
فيه كلمة « المسرة » فمن الجائز ان غيرنا من الباحثين
— مستشرقين أو عرب — قد اطلعوا عليه فعلا .. أو
سيطلعون عليه في مخطوط أو مطبوع ... !!

اذ ان من السهل ان يثبت الباحث شيئا وقف على
نص يثبته ... ولكنه من الصعب ان ينفي شيئا لم يجد
له نصا ... !!

هذا اذا كان يحترم منطق العلم ... !

ويطبق آداب البحث ... !

وإذا كان المؤرخون الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد
عصر الموحدين قد استعملوا كلمة « المسرة » فيما
يرجع لمنشآت الموحدين بمراكش .. ! فانهم استعملوا
كلمة « المصار » فيما يرجع لمنشآت المرينيين بفاس .. !

ولكن لا ينبغي ان نستنتج من ذلك نتائج جزافية
أو نفرض فروضا خيالية لا سند لها من النصوص ...
لهذا كان من اللازم ان نتابع البحث الذي بدأناه ..
ونسير به في كتب المتأخرين كما فعلنا في كتب المتقدمين

— فالمؤرخ اكنسوس في (الجيش العرمرم) وهو
خبير بتاريخ مراكش وفاس .. يذكر في كتابه ...
مسرة الموحدين بمراكش (12) كما يذكر مسرة فاس .. !
ويقول عن هذه الأخيرة بالحرف : « وإما المسرة
فليست الا على ضفة نهرها المطرد ... ! (13)

فمن مسرة مراكش فان كلام اكنسوس يدخل في
عموم كلام المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر
الموحدين ... ! حيث اننا نحفظنا ونحتفظ الى ان نجد نصا
موحديا يسمي منشآت الموحدين «مراكش باسم
(المسرة) فعلا ... !

وعن مسرة فاس ... ؟

فان الامر يستدعي ان يقوم دليل يدل على ان
هناك بفاس شيئين اثنين :

(المصار) التي تحدثت المصادر عنها كما
شاهدنا ذلك في النصوص السابقة ... !

(والمسرة) التي ذكرها اكنسوس ... ! والحالة
هذه . ونحن لحد الآن ... لا نعرف الا الاولى ... !

— والمؤرخ الواعية ابو العباس المقرئ حدثنا في
كتابيه : روضة الاس ... ونفخ الطيب عن روض
المسرة الذي هو ثالث مصانع المنصور الذهبي .. (14)
البديع .. ! والمشتهى .. ! والمسرة .. ! والظاهر
انها كلها بمراكش .. !

ويقول المقرئ ان المنصور الذهبي وري بمصانعه
الثلاثة في بيتين انشدهما ..

(11) أخبار المهدي ابن تومرت ص 120 . ط باريز 1928 م .

(12) الجزء الثاني ص 10 و 22

(13) المصدر السابق ص 55

(14) النفع ج 7 ص 80 و 81 . ط . بيروت وزهرة الاس ص 25 ط . الرباط

والذي يزيدنا اطمئنانا على هذا (التحفظ) الذي
تحفظنا به في شأن كلمة (المسرة) هو ان ابا العباس
المقري كان متمكنا من معرفة الاسماء والمسمايات في
الموضوع ...

نقد وجدناه يفرق بين (روض المسرة) الذي هو
من مصانع المنصور الذهبي بمراكش .. ! فيكتب
(المسرة) هكذا بالسين وبدون ألف ... كما في النص
الذي اشرنا اليه قبل في نفع الطيب وروضة الآس ...

وبين (قصر المصارة) بفاس الذي هو من
منشآت المرينيين فيكتب (المصارة) بالصاد بعدها
الف ... كما هو الصواب .

وتد حدثنا المقري عن قصر المصارة المريني
وروى لنا شعر ابن خبيس الذي سمعه ابو عنان في
هذا القصر ... ! (15)

بستان حسنك (أبدعت) زهراته
ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى

وقوام غصنك (بالمسرة) ينثني
يا حسنه رمانة (للمشتهى)

فالمنصور الذهبي المتوفى سنة 1012 هـ حينما
سمى أحد مصانعه العظمى بمراكش .. باسم (المسرة)
كان يعبر عن رغبة خاصة ! كالرغبة التي دفعته
ليسمي المصنعين الآخرين باسم (البديع) و
(المشتى)

ولهذا تكون (مسرة) الذهبي بمراكش امرا
واقعا ليس له من دافع .. !

اما (مسرة الموحدين) بهذا الاسم فتحتاج في
راينا المتواضع الى نص موحد يثبت ان الموحدين
استعملوا هذا الاسم .. !!

(15) ازهار الرياض ج 2 ص 316

دخيل أم أثيل

للهنأف عهد الحوافضيل

- 4 -

مشيته لانه يدرج اي يمشي قبل ان يطير ، وللدراج العربية مشتقات كثيرة ليس هناك ما ينبىء ان اسم (الدراج) ليس منها . وائل اللفظة (الدر) - زنة الجر - ومنه الدرير : السريع من الدواب .

الدراعة (زنة الرمانة) :

جبة مشقوقة المقدم ، ار : (دورعو dour'o) : ثوب تحتاني من صوف عند الرومان .

ان (الدرع) اثلها (الدرء) أي الدفع وهذه اثلها (رد) ، وانما سميت الدرع بهذا لانها تدرأ أي ترد عن المحارب ضربات تربيعة ، ولها كانت الدرع تلبس كالثوب صارت تطلق على بعض الملابس استعارة ، ومن ذلك درع المرأة : تميصها ، ودرع الجارية الصغيرة : ثوب صغير تلبسه في البيت . ومن ذلك سموا الليف الذي يكسو النخلة (درعة) زنة جرعة . فلا عجب ان اطلقوا (الدراعة) على الجبة المشقوقة المقدم . وينفس المعنى قالوا (المدرعة) - زنة المقرعة - أيضا . لكن اللغويين لم يقولوا ان هذه الاخيرة من الأرمية لانهم لم يجدوا لها فيها شبيها .

ويلاحظ ان الصيفة الأرمية يقابل مبنهاا درع المرأة ، لا الدراعة التي تعني الجبة المشقوقة المقدم ، كما ان معناها لا يطابق الثوب تحتاني الصوف عند الرومان .

السرب :

الطريق ، ار : (دربو darbo)

اصل معنى الدرب هو الباب الاكبر ، وبسبب السكة الواسع الذي صرنا نسميه البوابة ، مقابل (gate) بالانكليزية.

اما اثل اللفظة فهو (الدار) بالعربية و (دور dour) بالآشورية كالذي تطرقتنا اليه في العدد الماضي من اللسان العربي ، وتوجد الكلمة بشكليها العربيين في الفارسية (در dar) ودرپ (darb) بمعنى الباب وبشكلها الآشوري في الانكليزية (دور door) بمعنى الباب أيضا .

وهذا ينبىء بكل وضوح ان (الدار) كانت تعني الجدار الذي (يدور) أي يحيط بالبيت اول الامر (كما ذكرنا في العدد السابق) ثم اطلقت على البيت نفسه ، ثم على باب البيت ، ثم على باب السكة ، ثم على السكة أي الطريق . وعندئذ ظهرت في الأرمية بصيغة (دربو) بهذا المعنى الاخير .

الدراج (زنة الدكان) :

طائر يشبه الحجل ، ار : (دروكو drogo) .

انما سمي الحجل بهذا من مشيته لانه يبدو حين يسير كأنه يحجل ، ومثل ذلك سمي الدراج مسن

أدركت الشسيء :

علمته ، فهمته ، أر : (درك drak) دخل مكانا .

الراحة :

هي الاستراحة . أر : (روتو rawhto) من (روح) : تنفس .

تحدثنا عن الراحة والروح والريحان والمروحة.. في عدد سابق ، وبرهنا على أثالها في العربية .

الرب (زنة الضب) :

المولى ، أر : (ربو rabo) : كبير ، استاذ رئيس .

وردت الكلمة في البابلية أيضا ومنها اسم حمورابي (= حمو : الحمو أو الاب + رابي : الكبير) وأثلها هو فعل ربا يربو الذي أصل معناه الارتفاع بدليل ان الرابية هي ما ارتفع من الأرض . وهذا الفعل أثله (ربا) بالهمزة بمعنى ارتفع ، ولكل من هذه الأفعال الثلاثة (رب وربا ورباً) اشتقاقات كثيرة لا تدع مجالاً للشك في أثالها عربيتها . وان أردنا ترسييسها زيادة في الاقتناع فان (ربا) أثله رفع وهذا من فرع وهذا من فرع وهذا من فرع (أي محاكاة صوت أجنحة الطائر عند فراره) .

الرب (زنة الدب)

ما يختر من عصير الثمار ، أر : (روبو roubu) .
ان هذه الكلمة وان كانت من نفس مادة الكلمة السابقة فان أثلها يختلف عن أثلها . فالرب هنا من الكلمات المائية الكثيرة التي تنتهي بالياء مثل : الجب والصب والعب والسرب والشرب .. وأثلها جميعا (آب) : ماء . اما (الرب) فأثله المباشر الرب ، وقد قالوا راب اللبن : خثر فهو رائب ، وأصل معنى (راب اللبن) هو موه الحليب أي انفصل (ماؤه) فتكثف قوامه وخثرت مادته : ومن روب اللبن نشأ السرب بمعنى التخثر عابئة ومنه تخثر عصير الثمار ، ثم ظهر في الأرامية .

الريبة (زنة الخفة) :

الجماعة الكثيرة من الناس ، أر : (ربوتو rébouto) .

هذه الكلمة أيضا أثلها ربا يربو ، وهذا أثله ربا يربا (بالهمزة) بمعنى ارتفع كالذي تقدم بنا . ومن

نشترط في ترسييسنا اللغوي التشابه في اللفظ والمعنى جميعا ، والا فان مجرد الشبه اللفظي لا يؤدي الى نتيجة يعول عليها . فكلمة zink (خارصين) بالانكليزية مثلا لا نستطيع ان نقول انها بنت (زنق) العربية ولا امها ، لان تباين المعنى لا يسمح لنا بمثل هذا الادعاء . لكن لما كان المعنى الباقي من (الزنق) في المعجم هو جعل (الزنابق) تحت حنك الفرس أي ذقنه كان في وسعنا ان نقول ان (زنق) هذه بنت (الذقن) العربية وام (زنخ zenakh) الفارسية التي تعني الذقن أيضا .

فاذا كانت (أدرك) العربية بمعنى فهم تشبه (درك) الأرامية التي تعني (دخل مكانا) فلا نرى وجهها لاعتبار أيتها مقتبسة من الثانية ، وبينهما هذا التباين في المعنى .

لكننا نستطيع ان نرشدهم الى اثل هذه الكلمة الأرامية في العربية وهو (أدرج) الشيء في الشيء : ادخله ، ومن ذلك (الدرج) - زنة البرج - بمعنى السفت والتمطر لانهم يدرجون فيهما الأشياء أي يدخلونها . ومن ذلك قولك أدرجت العبارة بين السطور بمعنى ادخلتها ، وصارت تعني دونتها أيضا .

وما أظننا بحاجة الى تعداد استعمالات مادة (الدرج) وتطوراتها الكثيرة في العربية لنبرهن على انها اثل (درك drak) الأرامية .

داس الحنطة :

درسها ، أر : (دوش doch) .

أثل الدوس في العربية هو (الدش) - زنة الرش . ومن ذلك قالوا دش القمح ونحوه : رضه . والدش أثله ورسه (الدق) ، والدق من محاكاة صوته . ومنه الدك أيضا . فالدش هو أثل (دوش) الأرامية والدوس العربية كليهما . اما في الانكليزية فهي dash : حطم .

الربووة (زنة النسوة) :

الجماعة العظيمة من الناس ، نحو عشرة آلاف .
ار : (من أصل الرية) .

هذه أيضا من الكثرة والنماء ، ولم يكن بهم حاجة الى ذكر كل هذه الالفاظ المشتقة من لفظة واحدة . لكنهم وجدوا لكل منها ما يقابلها في الأرامية فظنوها الاثول الأرامية بينما يعني الامر بمفهومنا أن هذه الالفاظ الأرامية القليلة هي المقتبسة من بين العشرات من الصيغ العربية .

الراجل :

الجندي من البشارة . ار : (ركلويو regloyo) .

الراجل مشتق من الرجل (بكسر الراء) لانه يسير برجله خلاف الراكب . والرجل - بفتح فضم - أيضا مشتق من الرجل لأنه يسير على رجليه في العادة خلاف النساء والأطفال . وما زال الرجل يسمى (الراجل) بالدارجة المصرية . والسوريون يسمون الرجلين (اجرين) ، وكنا قبل اهتدائنا الى الترسيب نظن هذه الصيغة محرفة من الرجلين لكن يبدو لنا الآن انها أثيلة وان (الرجلين) هي المحرفة منها . ومفرد (اجرين) السورية هو (اجر) .

وقد قال العرب (جرى) : ركض . وفعل الامر هو (اجر) . ويظهر ان هذه الصيغة هي التي صارت تعني الرجل (بالكسر) ثم اندثرت في الفصحى وبقيت في السورية الدارجة . لهذا فان (ركلويو) الأرامية تبدو مقتبسة من (الراجل) وهذه من (الرجل) وهذه من (الاجر) - بكسر الهجزة - وهذه من فعل الامر : اجري اجري اجري .. وصلني يا عم وصلني ...

الرحيقي :

البعيد (معنى مبات) ، الخبر . يقول المؤلف « كان الخبر يأتي الى شبه جزيرة العرب من بعد بعيدة » . ار : (رحيقو rahiqo) : بعيد .

لا علم لي بعلاقة البعد بالخبرة العربية ، لكني أرجح أن المعنى من القرح والقراح . ولا شأن لنا هنا بالقرح والقريح بمعنى الجرح والجريح اللذين اثلهما الحرق .

معنى الارتفاع قالوا ربا التبت بمعنى ارتفع وطال اي نما ، ومن ثم صارت الكلمة تعني النماء والزيادة والتضخم ، ومن ذلك (الربا) عن المال أي الزيادة المستوفاة عن القرض . ومن ثم صارت الكثرة والزيادة من معاني (رب يرب - بالتشديد أيضا - ومنها الجماعة الكثيرة من الناس .

الربيل (زنة الخشن)

نعت للرجل يعني الجسيم . ار : (ربل rbal) : انتفخ .

فعل الربيل أيضا كثير الاشتقاقات وأكثرها تعني النماء والتضخم . من ذلك تربل الرجل : كثر لحمه ، وتربل جسمه : انتفخ . واثله فعل ربا يربو . ومنه ربا الفرس : انتفخ . ومنه ربي (بالتشديد) تربية بمعنى انشأ وانمى . ومنه تربية الولد .

الربالة (زنة الزمالة) :

كثرة اللحم ، يقول انها من أصل الربيل الأرامي آنفا .

وتقول في هذه نفس ما قلناه في تلك .

الربلثة (بفتح الباء أو تسكينها) :

أصل الفخذ . كل لحمة غليظة ، يقول انها من أصل الربيل الأرامي .

ونحن نقول فيها ما قلناه في الربيل .

ربا الولد :

نما . ار : (ربو rbo) من (ربو rabo) كبير . نوهنا بمعناها في (الربيل) آنفا .

ربي الولد :

انما . ار : (ربي rabi) .

هذا الفعل المضعف هو الفعل المتعدي من فعل (ربا يربو) الأثف الذكر .

بمعنى خططت عامة ، ثم صارت الكلمة تعني كتبت أيضا .

ثم اشتقوا الرسم والراسوم بمعنى الختم على الطين وعلى رأس الخابية وعلى غير ذلكم ، لأن الختم يكون فيه رسم أو كتابة .

ونطقها قوم بالشين بنفس المعنى أولا ، ثم تطورت الكلمة الشينية مستقلة كما هي الحال في أمثال هذه الالفاظ ، فقالوا رشمت (بالتخفيف أو التشديد) : كتبت ، وقالوا الارشم : الذي به وشم وخطوط ، وقالوا ارشمت الاناء وارتشمته : ختمته بالروشم ، وهو الختم . ومثله الراشوم . وكلاهما (الروشم والراشوم) يطلق كذلك على لوح منقوش لختم البيادر وغيرها ، أي مثل الرسم والراسوم ، ومثل ذلك قالوا رصنت الدابة : وسمتها بالمرصن أي الرسم كما هو واضح ، فتبع تطورات الكلمة ، معاني وجباني ، ابتداء من رسم البعير أي تركه أثرا على الأرض حين يسير ، يرينا بجلاء الى أية من اللغتين تنتمي كلمة الروشم .

الراشوم :

لوح منقوش تختم به البيادر . ار : (روشمو rouchmo) : علامة .

مر الكلام عليها ضمن (الروشم) . ومعناها الأرمي (العلامة) مستحدث بالقياس الى معناها العربي . هي والروشم والرؤسم والراسوم كلمات حضاريات أخريات .

رشاه :

برطله . ار : (رشمي rachmi) : اهدى هدية .

اثل الرشوة هو الرسم ، فمن تطورات الكلمة انهم قالوا كالذي مر بنا (الارشم) : الذي به وشم وخطوط . ثم انهم قالوا (الرسم) : السواد في وجه الضبع ، لان جسم الضبع مخطط . أي ان الرسم صار يعني السواد بعد أن كان يعني التخطيط . ومن هنا انتقل المعنى الى النبات فصار الرسم يعني أول ما يظهر من النبات ، وذلك لسواده بالقياس الى ما حوله من تراب الأرض . وعندئذ صارت (أرشية) النبات تعني خيوطه اذا امتدت ، وواحداه (الرشاه) صار

أما قرحنا (بضم القاف) فهو أول ماء يستنبط من البئر حين تحفر . ومن البديهي أن هذا المعنى الخاص كان عاما أول الأمر . لكن القراح (بفتح القاف) هو الماء الخالص ، وهنا لابد لنا أن نلاحظ أن الرحيق يسمى (رحاقا) - زنة الفرات - أيضا بالعربية ، والرحيق والرحاق من اثل (أهرق اهراتا) و (هرق هرقا) بمعنى أراق أي سكب وسفح . و (هراق) من (أراق) وهذا من (الريق) - زنة العين - أي الماء ، وتسمية الخمر من الماء ليست غريبة ، فالفارسية أيضا تدعو الخمرة (مي may) من (ماء) العربية كما تنطق في الدارجات : ماي بالعراقية ، ومية بالمصرية .

وأكثر اشتقاقات الرحيق في العربية تعني الصافي والخالص . فالحسب الرحيق : الخالص لا شوب فيه ، والمسك الرحيق : الخالص لا غش فيه .

لهذا يخيل لنا أن معنى (البعيد) المهمات الذي كان يعنيه الرحيق له اثل آخر غير هذا الأثل السذي اكسبه معنى الخمر .

الرحمن :

« نعت مختص بالله تعالى » . ار : (رحونو rahmono) : رحيم .

إن صيغة الفعلان كثيرة في العربية ، منها الغضبان والظمان والوسنان واليقظان . لكن كون (الرحمن) من الالفاظ الدينية يجعل من المرجح أن تخصصها بهذا المعنى من فعل الأرمية .

المرزاب والمزاب :

قناة يجري فيها الماء . ار : (مزريبو mazribo) . سبق الكلام عليهما في المزاب .

رشم :

كتب . ار : رشم (rcham) .

أصل معنى الرسم في العربية : الخط والتخطيط . وهذا المعنى جاء من (الرسم) فقد قالت العرب رسم البعير : أثر سيره في الأرض ، ثم صار (الترسيم) يعني التخطيط حيث قالوا : رسمت الثوب (بتشديد السين) : خططته . وقالوا (رسمت) بالتخفيف

رغد :

نعت العيش . أر : (رعـدو ra'do) : لين .
هذه الكلمة تأثيلها يطول ، لكن لا مفر من إيراده ،
ولا مناص من الاختصار .

قالت العرب ترشرش الماء : سال . ومن ثم
رشرش الشيء : استرخى ، ولا سيما الخبز اذا كثر
ماؤه وارتخى فقد سموه رشراشا ، ثم هم نطقوا
الشين خاء فقالوا : رخخت الشراب : مزجته بالماء ،
وأرخ (بتشديد الخاء) العجين : كثر ماؤه ، والرخخ
(زنة القصب) : السهولة واللين ، والعيش الرخاخ
(زنة الرجاء) : الهنيء . ورخاخ العيش : رغبه
وسعته ، ثم كسعت الكلمة بالفاء فقالوا رخف العجين :
استرخى ، والرخف : العجين المسترخي ..

ثم هم ابدلوا العين من الخاء فقالوا رغفت
العجين : جمعته وكتلته .. ثم ابدلوا الدال من الفاء
فصار (رغد) العيش يعني طيبه واتساعه ، والاصل
لينه ، وكثيرا ما عبروا بلين العيش عن رغبه ومن
ذلك كان الليان (زنة الزمان) يعني « رخاء العيش
ونعيمه . ويقال هو في لين من العيش ، اي نعيم ورخاء
وخفض » .

رغت العين :

اختلفت . أر : (رف raf) : تحرك

اثل الكلمة رفرغ الطائر اي حرك جناحيه . وهذه
من فرقر ، والفرقر : العصفور . واختلف العين
يشبه الرفرفة اي تحريك الجناحين ، ومن هنا جاء
معنى الحركة في الأرمية .

السرف :

خشبة أو نحوها تثبت في حائط لتوضع عليها
كتب أو غيرها . جماعة من الطيور . أر : (رفو rafo)

ان اطلاق الكلمة على الجماعة من الطيور
يرشدنا الى انها من الرفرفة . وعلى المجاز اطلقت على
رف الجدار لشبهه بالجناح الناتئ من الجدار . ولا
ندري لماذا ظنوا ان العربية هي المقتبسة الا على
اعتبار ان الرف من لوازم الحضارة ، وقد سبق
تفنيد هذه النظرية ، في مقدمة هذا البحث وفي أثنائه .

يعني الحبل عموما ، وحبل الدلو خصوصا ، وكما ان
(السبب) الذي معناه الحبل صار يعني مجازا :
« الذريعة وما يتوصل به الى غيره » على حد تعبير
المعجم صار « الرشاء » وهو الحبل ايضا كما قلنا
يعني الذريعة التي يتوصل بها لدى الحكام الى قضاء
الحاجات ، اي الرشوة وكثيرا ما ورد في مائـسورات
العرب قولهم لمن يقصد اميرا يسترفده : هل لديك
سبب اليه يا اخا العرب ؟ فيجيب : نعم ، ابيات قلتها
وهذا كثير الشبه بالرشوة .

اما تطور الكلمة في الأرمية وخروجها من معنى
الحبل والوسيلة حيث صارت (رشاه) . تعني اهداء
هدية ، فيدل على انها مستحدثة فيها .

الرصفة (زنة السمكة) :

« البلاط اي الحجارة التي تبلط بها الشوارع
وغيرها (معنى مبات) ، حجارة مرصوفة في مسيل
الماء » . : (رصوفو rsofo) : بلاط .

اثل الرصف هو الرص ، وهذا اثل الرس اي
ابتداء الشيء .

وقد قالوا رص الشيء : ألصق بعضه ببعض
وضمه ، ومن ثم قالوا رصف الحجارة : ضم بعضها
الى بعض . ومن ذلك (الرصف) - زنة الاسف :
الحجارة المرصوف بعضها الى بعض في مسيل الماء .
والواحدة هي الرصفة - زنة السمكة - وهسي
موضوع حديثنا . واما استعمالها في الأرمية بمعنى
البلاط فواضح انه مستحدث مثل استعمال الرصيف في
العربية بمعنى الشارع المبلط ، ثم بمعنى طـسواز
الشارع المرصوف ، ثم بمعنى الطوار ولو لم يكن
مرصوفا .

الرصيف :

طريق مبلطة . أر : (رصيفتو rsifto) :
بلاط مرصوف .

هذه الصيغة الأرمية مؤنثة الرصيف اي تتأبل
(رصيفة) بالعربية . ولا نرى بعد الذي تقدم ما يدل
على انها غير مقتبسة من العربية .

الرق (يفتح الراء وكسرها) :

جلد رقيق يكتب عليه . أر : (ر ق و raqo) .

من كونه رقيقاً نشأ اسمه . ومثله الورق ، وما دام العرب قد استطاعوا صياغة الورق من عمل (ر ق رة) فلا يعجزهم صياغة الرق بمعنى الجلد الرقيق . وقد تعلم العرب الكتابة — قبل ظهور الأرميين في المنطقة — في الرافدين (العراق القديم) والكنعانية (ديار الشام) ومصر ، وربما في اليمن أيضاً .

وبعد فالرق — بالكسر — يعني ورق الشجر أيضاً ، مما يدل على أنها أصل التسمية ، ثم اطلقوه على الجلد الرقيق يكتب فيه تشبيهاً ، مثلما اطلقوا الورق على ورق الشجر أولاً ثم عمموا على كاغذ الكتابة .

الرق (زنة السرق) :

ذكر السلاحف . أر (ر ق و raqo) : سلحفاة .

الرق أيضاً : الماء الرقيق في البحر أو الوادي . ولما كانت السلاحف تعيش في مثل هذا الماء سميت الرق من باب تسمية الشيء ببيئته ، ثم تخصص الاسم بذكورها . أما في العرانية الداريجة فما زالوا يسمون السلحفاة رقة . والرقعة في النصحى : الأرض التي يغطيها الماء ثم ينضب عنها ، وهي بيئة السلاحف أيضاً .

الرق (زنة البن) :

« الماء الرقيق أي القليل العمق في بحر أو نحوه » . أر : (ر ق و r q o q o) .

يلاحظ أن هذه الصيغة الأرمية تقابل لفظياً (رقيق) في العربية ، لا الرق ، ومهما يكن فإن أسرة الكلمة كبيرة في العربية ، فقد قالوا ترقيق الماء : جرى جرياً سهلاً . والرقارق (زنة المراهق) : الماء الرقيق في البحر والوادي . والرووق من السحاب : سيله ، والرووق من الماء ونحوه : الصافي . وراق الماء على وجه الأرض : تردد وانصب ، وأراق الماء : صبه . والريق (زنة العين) : الماء ، والريق (زنة العيد) : ماء الفم أي اللعاب ، وأخيراً الرق وهو ماء الطيبخ ... إلى غير ذلك ، مما يكفي العرب بعضه ليشتقوا منه (الرق) بمعنى الماء الرقيق .

لا بد أن الذين قالوا أن الرق وغيره من الألفاظ مقتبسة من الأرمية قد نقبوا ونبشوا كثيراً في معاجم اللغتين حتى وجدوا الصيغ الملائمة لدعواهم . لهذا نسأل : ألم يلحظوا كثرة الصيغ العربية الأخرى لنفس الألفاظ ؟

الرقاق (زنة الرفاق) :

أرض لينة مستوية التراب أو نضب ماؤها . أر : (ر ق و r q o q o) .

هذه أيضاً من المعاني المائية المتشعبة من : رق وراق ورترق . يقال فيها ما قيل في سالفاتها .

مسراق البطن :

ما رق ولان منه . أر : مرقوقو (marqoqo) .

هذا الوزن ليس بدعا في العربية ، فمثله المساد جمع مسد والمصاف جمع مصف . وتعريف المراق بأنها ما رق من البطن ولان يوضح صلة معناها بمبناها في العربية .

الركوبية (زنة الغضوية) :

كل حيوان يركب . أر : (ر ك و r k o b o) .

تسمى في العربية كذلك الركوب والركوبية والركوب . ومشتقات الركوب في العربية كثيرة لاندع مجالاً للشك في أثلتها . ولا نرى وجهاً للقول أن صيغة (الركوبية) وحدها مقتبسة من الأرمية .

الرمح :

أر : رومحو (roūmho) .

تأثيل الكلمة طویل ، ويعيد عن معنى الرمح ، أيجازه : قالوا غمض عينه وغمضها (بالتخفيف والتشديد) : أطبق جفنيها . ومن هذا نشأ قولهم غمض (بالكسر) : كان بعينه غمض (زنة تمر) وهو رشح أبيض دبق يسيل من العين ، ثم سهوه الرمح . وقالوا كذلك رمض إليه : نظر إليه نظراً خفياً ، أي تشبيهاً بنظرة من رمضت عينه . ومن هذا نشأ قولهم : رمقته : لحظته لحظاً خفياً ، أو أطلت النظر إليه ، ومن فعل (رمق) نشأ : رنا ورمى ، ومن كثرة

تشبيههم للحاظ والنظرات (الرنوات) بالسهم قالوا:
(رميت) السهم عن القوس ! والرماة : سهم صغير
ضعيف .

ان اندثار الكثير من المعاني وتطور الكثير منها
يضيع آثار الصلات بين الالفاظ لكن بعضها يبقي منه
أثر يمكن تقصيه كآثر المسافر الهارب، فلمعرفة العلاقة
بين الرمح والرمح نلاحظ قولهم رمصت الدجاجة :
ذرقت ، وقولهم رمح الطائر : القى بذرقه ، وهم
صاغوا الرماج (زنة الزمان) بمعنى كعوب الرمح
وإنابيه . ثم قالوا رمحته : طعنته ، ورمحته الدابة :
رفسته . ومن معنى الطعن صيغ الرمح لأنه أدواته . ثم
ظهر الرمح بنفس صيغته في الأرامية (رومحو) .

الرمص (زنة القفص) :

وسخ أبيض في مؤق العين ، أر : (رمصو
remso) .
أثلا غمص ، وهذه أثلا غمص ، كالذي قلنا توا .

الرمكة (زنة السمكة) :

الفرس أو اثني البرذون يتخذ للنسل . أر :
(رمكو ramko) : فرس .

يخيل لنا ان أثل الكلمة هو رمحته الدابة بمعنى
رفسته ، ثم تخصصت بالفرس والبرذونة المتخذين
للسل .

الرممان (زنة الدكان) :

أر : (رومونو roumono) .

أثل الكلمة هو النار ، ومنها نشأ النور (زنة
اليوق) أي الضوء ، والنور (زنة الثور) أي الزهر ،
وقد سمي زهر الرمان قديما (النار) لشبه لونه
بلونها فيما نرى ، ثم أطلقت الكلمة على الثمرة أيضا
والشجرة ، وما زالت الكلمة باقية بهذا المعنى في
التركية (نار) وفي الفارسية (انار anar)
غير أن صيغة (النار) قد اندثرت في العربية أو
بالأحرى تحرقت وتطورت حتى صارت تنطق (رمان) .
ولا يستبعد أن تكون الأرامية قد ساعدت في هذا

التطوير ولو أننا لا نجد ما يدل على ذلك ، لكن المادة
اللغوية عربية على كل حال .

الروح :

النفس . أر : (روهو rouho) :

تنفس . نفس سبق الكلام عليها في الفصل الأول من
هذا البحث .

مروحة :

أر : (مروحتو marwahto) من (روح rawah) :
انعاش .

سبق الكلام عليها كذلك ، وأصل المعنى من
الريح واستعمالها في الأرامية بمعنى الانعاش مستحدث
يقابل في العربية (الترويح) عن النفس . أي عكس
ما يظنه اللغويون الآريون من أن معنى المروحة في
الأرامية هو الناشيء من معنى الانعاش .

الروسم والروشم :

سبق الكلام عنها في (الراشوم)

الريح :

هواء متحرك ، أر : (ريحو riho) .

الريح هي أثل اشتقاقات الروح والراحة
والاستراحة والروحة والريحان والرائحة والترويح ..
فما أثلا يا ترى ؟ انها من الكلمات المائية التي ترجع
الى الريق والريل والريق والري .. وقد قالوا راه
الماء : اضطرب على وجه الأرض . والري : ارتوى
النبات والشجر ، والريا - زنة هيا - الريح الطيبة
كأنما تصدوا الريح التي تأتي من جهة الشجر المرتوي.
والرية - زنة النية - هي الرئة التي تدخلها الريح
ومن هنا صارت الريح تعني الهواء ومنها الروح أي
النفس - زنة النفع - التي صاغوها من النفس
- بفتحتين - أي الهواء الذي يدخل الرئة أيضا .

الريسن (زنة الطير) :

« ريق يخرج من ثم الطفل » . أر : (ريرو riro) :
ريق .

تدسمت . وفي الفصحى تدسم الشيء : علاه الوسخ
والدنس

واصل المعنى ناشيء من الزفير أي اخراج
النفس بعد الشهيق ، ولما كان زفير بعض الناس
والحيوانات كرية الرائحة صار يعني خبث الرائحة أولا
ثم الدسم ثانيا . ومن ذلك سمي الأسد (الزفر)
— بضم وفتح — ليخره ، أي كراهة رائحة فيه . ومن
ذلك نشأ (الزفر) فقالوا زفر الشيء : ظهرت رائحته
واشتدت اطيبة كانت أم خبيثة . فأصل المعنى هو
الزفير ، ثم تكون معنى الوسخ متأخرا حيث ظهرت
في الأرامية .

زل الدرهم :

نقص وزنه . أر : ازل (zal) : كان مفرط
الخفة في الميزان .

اثل زل هو زلق . والأرض الزلق : الملساء ليس بها
شيء . والزلقة : الصخرة الملساء . ومن ذلك قالوا
زل زللا : كان ازل ، أي خفيف الوركين . ومن ذلك
قول المتنبي في وصف الأسد : « كتفا ازل وساعدا
مفتولا » . ومن هنا صار الزلل يطلق على الخفة .
وصار الدرهم الناقص الوزن أي الخفيف يسمى الزال.
وزل الدرهم : نقص وزنه ، ومن ذلك (زل الميزان) :
نقصانه . ومن ثم ظهر في الأرامية . (زل) : كان
مفرط الخفة في الميزان .

واخوات زل في العربية ليست بالقليلة : زلق ،
زليح ، زلحف ، زحل ، زحف ، وحلف ، زحلق ، زلح ،
زلج ، زلزل ، زلم .. سحف ، سحج ، سحا ، سحل ،
سحب ، سح ، سحج .. سل ، سلب ، سلت .. سلحب
سحلف (ومنه السلحفاة) ، سلخ ، سلس (ومنه
السلسيل) ، سلف ، سلك ...

زمن ، زمان :

أر : (زبنو zabno) من (زمن zman) :
عين زمانا .

هذه الكلمة تتنازعها عند اللغويين ثلاث لغات :
العربية والأرامية والفارسية التي يسمى الزمان فيها
(زمانه) .

والذي نعتده أنها عربية لأن اثلها دمن ، فقد
قالوا دمنت باب فلان : لزمته ، وادمنت الشيء : ادمته

قلنا في حديث سابق ان (آب) نشأت منها كلمات
مائية كثيرة منها آل ولاب وبال ورال وراف وراق
وراه ... كالذي نوهنا ببعضه توا أيضا . وتزيد الآن
تعمل (لاب يلوب) الذي بقي من معناه العطش أي
تطلب الماء ، والحوم حول الماء . ومنه (اللواب) ومن
هذا نشأ (اللعاب) وكلاهما يعني الريق . ومثل ذلك
قالوا من (الريل) رال الصبي : يال رiale أو ريله ،
أي لعابه ، ومن هذا الأخير نشأ (الرير) ، ثم ظهر في
الأرامية

الزجاج :

أر (زكوكيتو zgoquito) .

اثل الكلمة الجزاز . والعراقيون يسمونه الكزاز
(gzaz) . وهو من فصيلة جز وقر وقص . وقد
قال العرب : جز الصوف أو العشب : قطعه ، وهنا
يساعفا علم الآثار على تأثيل الكلمة . ذلك أن القدامى
اكتشفوا حجرا بركاني شفافا اذا انكسر كان حرقه
حادا ماضيا يصلح للحلقة ، وتدل الحفريات على انهم
استعملوه فعلا . وقد جرب أحد الأثريين —
سيابزر — فطلق وجهه في العراق بحجر من هذا
الطراز حلقة قال انها كانت جيدة نظيفة . فهذا الحجر
سموه الجزاز أو التزاز كما لا يزال يسمى في بعض
الدارجات ومنها العراقية التي ينطق القاف فيها كانا
مخففا أحيانا فسموه (الكزاز) كالذي قلنا ، وقد
كانت النصحى أيضا تنطقه بالقاف وبقيت من ذلك
ءثاره هي (القازوزة) : القارورة الصغيرة ، أما في
المصرية فالقاززة (وتنطق الازازة) هي التي تعني
القارورة .

ويبدو ان هذا قد تم في جزيرة العرب أولا ، ثم
تلبت الكلمة — الجزاز — فصارت (الزجاج) — بفتح
الزاي أو كسرهما أو ضمهما . ومن ثم ظهرت في مختلف
لهجات القبائل ومنها (زكوكيتو) في الأرامية .

زفر :

« أكل اللحم . أر : (زفر zfar) :

توسخ ، سبب التوسخ ما يبقى في الاصابع من آثار
اللحم » .

الزفر — زنة المطر — بالدرجة العراقية هو
الدسم من لحم أو دهن أو نحوهما ، وتزفرت يده :

قالوا في العربية طويت الشيء اي ثنيته . ومن الطبي نشأ التو (الفرد من الطيتين) والزو (الشفع اي كلا جانبي الشيء المطوي) . ومن الزو نشأ الزوج ، كما نشأ زويت الشيء : طويته . ومن هنا نشأت الزاوية .

الزيت :

ار : (زيتو zayto) .

قال العرب زاب الماء يزوب زوبا : جرى . والازيب (زنة الاثيب) : الماء الكثير . ونطقت الكلمة بالدال فنشأت منها صيغ مما بقي منها المازدة : جلود يضم بعضها الي بعض ويوضع فيها الماء ، وكانهم تمدوا المزابة . ومن ثم صارت (المازدة والمزاد والزود / تعني الوعاء الذي يوضع فيه الزاد ايضا ، وهو الطعام في الاصل ، ثم خصوه بطعام السفر .

ومن ثم قالوا زات القوم يزيتم زيتا ، وزيتهم (بالتشديد) تزييتا : « اطعمهم زيتا او جعل (زاهم) الزيت ؟ والظاهر ان (الزيت) اطلق أولا على السمن ونحوه من الدسم عامة ، ثم اخص بالزيت وهو دهن الزيتون .

الزيتون :

ار : (زيتونو zaytouno) .

صيغ اسم الزيتون من اسم (الزيت) الذي يمتصرونه منه . ومن ثم ظهر في الاربعة . هل نمسده مادة حضارية ؟

الزيز :

حشرة . ار : (زوزو zouzo) .

هذه كلمة صوتية ، اي ان هذه الحشرة انما سميت بهذا محاكاة لصوتها (زيز زيز زيز ..) . ويجوز ان نجاري الاربعة الى حد ما فنقول ان الصوت (زوز زوز زوز) . لكن كثرة الكلمات الصوتية في العربية من اسماء الطيور والحشرات يجعلنا نرجح اثالة العربية ، مثل : الجدجد ، الصرصر ، سمران الليل ، الرتيلاء (تطلق على انواع من العناكب والهوام كالنباب ، والاغلب من صوت ترتيلها) ، والبلبل والهدهد .

كما قالوا ازمن الشيء : دام ، وازمن بالمكان : اقام زمانا ، ومثل ذلك مدن بالمكان ومتمن به . ونعتقد ان آئل هذه الكلمات الثلاث (زمن ، دمن ، متن) هي دمن وهي من دم الأرض : سواها ، واصل المعنى كما في الدراجة العراقية دم الشيء : طمره ودفنه ، وائلها طم بمعناها ومنها الطبي اي الغرين الذي يغير الأرض ، والطر من الغمر ، وغمر من غم اي غطى...

الزورق :

ار : (زورقو zawrqo) .

ان الزلق والانزلاق من الزرق وهو معنى مائي ائله الرق (زنة البن) : الماء الرقيق في البحر او الوادي ، وترقرق الماء .. مما سلف ذكره . والماء الأزرق الصافي ، وقد صار الزرق يعنى الزلق وبقي من ذلك قولهم أزرقت الناقة حملها : اخرته الى الوراء ، اي زلقته .

وقد ضاعت بعض المعاني المائية من الزرق لكن بقي قولهم زرق الطائر : رمى بسلحه ، والزراعة (زنة السيارة) : المضخة ، و « المزراق : الرمح القصير » ، لانه ينزرق حين يرى ، و « الرزيق : طائر اكبر من المصفور قليلا » . لانه ينزرق في طيرانه ، ومن هذا المعنى سمي الزورق لانه ينزرق اي ينزلق على سطح الماء .

زوق تزويقا :

زين تزيينا . ار : (زيقي zayeq) : سطوع .

الزواق (زنة الزواج) : زينة الجارية . والذي يغلب على ظننا ان ائل قولهم زوقوا الجارية هو : زوجوها ، لان التزويج يقتضي التزويق ، ولايسد ان الكلمتين كانتا مترادفتين أولا ثم اختلفت الثانية بمعنى تزوين العروس ، ثم التزيين عموما . وما زال الزواق (بضم الزاي) يعني بالدراجة العراقية زينة المرأة خصوصا ، ويقولون عنها زوقوها وتزوقت . كذلك ورد في النصحة تزويت المرأة بمعنى تزوقت .

الزاوية :

ار : (زويتو zowito) .

المسبار :

آلة لسبر الجرح ، أر (سبر sbar) :

حكم .. قدر .

أثل رسب يرسب هو رسا يرسو ، ورسب الشيء في الماء سقط الى أسفله أي قعره . ومن هذا نشأ قولهم سيرت الجرح أو البئر : امتحنت غوره لتعرف عمقه ، والبئر هي الأصل ثم استعير المعنى للجرح . ومجازا قيل سيرت الأمر : جربته واختبرته ، ومن هنا قالوا سيرت الشيء : قدرته ، وصار الشبر يعني مسافة ما بين الخنصر والابهام يقيسون بها .

ويلاحظ أن الفعل الأرمي يعني الحكم والتقدير مثل فعل الشبر العربي بالإضافة الى سبر الأمر ، أي نتيجة السبر والشبر .

والمسبار أداة حضارية أخرى (طبية هذه المرة) تنشئها العربية كما هو واضح لتبطل الحجة الحضارية في عزو الالفاظ العربية الى الأرمية .

السيبط :

صفة الشعر المترسل . أر : (شبط chbat)

امتد .

ان للسيبط في العربية اسرة كثيرة العدد نذكر منها لفرض التأثيل وحسب : سبط ، وسبد رأسه : سرح شعره ، وأسبل الستر : أرخاه ، ثم أسدله ومنه (السدل) — زنة الفكر — و (السدل) — زنة الكفر : الستر . وهذا يرجع بنا الى أعمال سدف وسجف وسجا الليل ...

أما (شبط) الأرمية فلها واحد من هذه المعاني وهو الامتداد الناشيء من التبساط والانسداد .

سجد :

أر : (سكد sgued) سجد . ركع .

يبدو لنا أن فعل (سجد) أثله (الجسد) أي الجسم ، مثل مثل (جثم) الذي نشأ منه (الجثمان) أي الجسم أيضا .

سجور التور :

ملاه وتودا ثم أحماه . أر : (شكر chgar)

اشمل .

مثلا قولهم سقرته الشمس : لوحته وآذت دماغه بحرما . وكلتاها من أثل (شعل) ، وهذه أثلها شعت الشمس : نشرت أشعتها . لهذا كان من المعتول أن يكون معنى (شكر) في الأرمية : شمل واشمل .

سجن الماء :

تعكر وفسد . أر : (شكش chgach)

هيج .

ان المعنى العربي هو الأصل ، لان الكلمة مائية وهي من اخوات سجلت الماء : صببته ، وسحجت السحابة الماء : صبته . وهذه أثلها سجر الماء النهر : ملاه ، وسجر البحر : فاض ...

وبعد ان تطورت الكلمة لفظا فصارت (سجنس) ومعنى فصارت تعني تعكر الماء وفساده ظهرت في الأرمية بمعنى التهيج الذي أصله التعكير .

السجسس :

الاضطراب . الشغب ، أر : (من أصل سجنس)

هذا صحيح ، فقد ورد التنويه بظهور معنى الشغب أي التهيج توافي (سجنس الماء) .

السجف (زنة الزحف والحزب) :

الستر . أر (شكف chgaf) غطى .

ومثل السجف : السجاف (زنة اللصاف) والسجيف (زنة التحيف) . وسجفت البيت وأسجفته : أرخيت عليه سترا ، أي سترته ، وكان أولى بهم ان يقرنوا هذا الفعل العربي بهذا الفعل الأرمي ، بدلا من ان يقرنوا بين هذا الأخير والاسم العربي (الستر) وفعل سجف نشأ منه في العربية فعل سجا يسجو ، فقد قالوا سجا الليل وسجف بمعنى ، أي امتد واستطال .. وأصل المعنى : اظلم .

أما أثل السجف فهو السدف قيل أسجفت الستر : أرخيته ، كما قيل اسدفت الحجاب : أرخيته . والسدف (زنة الخزف) والسدفة (زنة الغرفة) هي الظلمة أصلا ، وصارت تعني مجازا : السترة تكون على الباب تقيه المطر .

السحتوت (زنة الانبوب)

والسحتيت (زنة الابريق) :

سويق قليل الدسم كثير الماء . ار : (شحتينو
(chahtito) : حنطة محبسة .

فعل السحت ائله الحت ، ومن اخواته النحت ،
فقد قالوا سحل الشيء : نحته ، كما قالوا سحت
الشحم عن اللحم : قشره ، ومن ثم قيل سحت الشاة :
ذبحها . ومعنى الحت والقشر والذبح والاهلاك يظهر
في اخوات فعل (سحت) مثل سحبت الشيء :
قشرته .

وسحطه : ذبحه ذبحا سريعا .

وسحف الشعر عن الجلد : كسحطه ، وسحف
الراس : حلقة ، والسحفة : الشحمة التي على
الظهر ، والسحفة : آلة يقشر بها اللحم ويكشط
الجلد . وهي اداة حضارية عربية ايضا ، لا دخل للغة
اخرى في تكوينها .

ومثل ذلك ايضا سحقته : اهلكته او دككته ،
وسحقت الريح الارض : قشرت وجهها بشدة هبوبها ،
وسحقت الراس : حلقته .

ثم سحن الشيء : دقه او كسره .

وسحا الشيء يسحاه ويسحوه ويسحبه سحيا :
قشره ، ومنه المسحاة وهي اداة كالجرفة ، وهما
حضاريتان ايضا وعربيتان .

فمن قولهم سحت الشحم عن اللحم (اي قشره)
نشأ معنى قلة الدسم لأن كسحط الشحم يقلل دسم
اللحم عند طبخه ، وعلى التشبيه استعير المعنى
للسويق الذي قل دسمه وكثر ماؤه . وبعد هذا ظهر في
الارمية (شحتينو) بمعنى الحنطة المحبسة اي التي
يصنع منها السويق .

السحشاف (زنة السلاف) :

مرض السل . ار : (سحيفتو shifto)
خراب .

السحف صيفه ومعانيه كثيرة في العربية اوردنا
بعضها آنفا ، وانما اختاروا من بينها السحشاف لانه
اسم مرض وقد عدوا تسمية الامراض من الشؤون

والسدف ائله السدل ، فقد قالوا اسدللت الشعر
او الثوب : ارخيته . وفعل سدل من دلس ، وهذا من
دمس ، وهذا من طمس ، وهذا من طم وطمي ...

هذا والسجف يعني الستر بالعربية بينما (شكف)
يعني غطي بالارمية كالذي تقدم بنا . ولو كان العكس ،
اي لو كان السجف اي الستر والستار والسجفاف
والسدفة .. هي التي في الارمية لكان من الصعب
اقتناعهم بأثالثها في العربية لأنها كلمات (حضارية)

اسجبت الناقاة :

كثر لبنها . ار (اسكى asgui) كثر

السجو كلمة مائية . من اخواتها : السجل
والجسم والسجن والسج . فقد قالوا سجت الماء :
صببته ، ثم صار السجل يعني الدلو العظيمة ، ومن
ثم (الضرع العظيم) ، (والضرع السجيل) - زنة
السجين : الواسع المتدلي .

كذلك قالوا سجمت السحابة الماء : صببته كما
تقدم ، وانسجم الماء : انصب . (وناقاة سجوم
وسجام) : كثيرة الدر .

ومن مادة السجن بقي من معنى الماء (الساجنة):
مسيل الماء من الجبل .

ومن السج نجد (السجة والسجاج) - زنة
الحجاج : اللبن الكثير الماء .

فلا غرابة ان قالوا من السجو ايضا (اسجت
الناقاة) غزر لبنها ، ومن ثم تطورا (ناقاة سجواء) :
تسكن عند حلبها . ثم ظهر معنى السكون : (امراة
سجواء الطرف) : ساكنته ، و (ليلة سجواء) :
ساكنة ، (واسجى البحر) : سكنت أمواجه ، و
(سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى ...

ومن كل هذه المراحل التطورية تظهر في الارمية
مرحلة (اسجت الناقاة) : كثر او غزر على تعبير
المعجم ، لبنها ، في صور (اسكى) : كثر .

ونضيف بالمناسبة ان هذه الصيغة الارمية توحى
لنا بأن (السقي ، والساقية ، والساقى) ايضا قد
تطورت من نفس المادة اللغوية .

الحضارية التي لم يعرفها العرب ، فيما يبدو ، ولو أنهم لم يجدوا متبالة في الأرمية .

لقد استعمل السحف أيضا في العربية بمعنى كشط الشحم ، ومن ذلك (السحيفة) : ما يقشر من الشحم ، و (السحوف) : الناقة التي ذهب شحمها ، وقد اشتق اسم مرض السل من هذه المادة اللغوية لأنه يذهب بشحم المبتلى فيصيبه الهرال ومن ثم الهلاك . وقد قلنا أن أصل المعنى هو الحت والنحت ، وليس قليلا قول العرب براه السقام أو الغرام بمعنى انحله وأبلاه ، وما معنى الخراب في الأرمية الا تطور متأخر .

السخلية (زنة النخلة) :

ولد الشاة . أر : (سخلتو sahlto) .

نرجح أن الأثل هو (السلخ) زنة السجن : جلد الحيوان المسلوخ . وقد جاء ذلك من قولهم سلخت الخروف : كسخت جلده . وبما يؤيد ذلك أن (السليخة) تعني الولد ، وائل السلخ هل السل - زنة التل) الذي منه أيضا صيغ السليل بمعنى الولد .

سخم الله وجهه :

سوده . أر (شحم chaheh) سود

أثل الكلمة سخم يسخم (كعلم يعلم) : اسود فهو اسخم ، وكما قالوا سخم الله وجهه قالوا أسخم وجهه بنفس المعنى . والتسخيم يعني التسخين أيضا . وائلها جبيعا تولهم حم الماء : سخنه . وقد سبق الحديث عن تأثيل (حم) وترسيبها عند الكلام على (الحمام) في العدد الماضي .

السخم (زنة الصنم)

السواد . أر : (شحومو chhomo) .

هي من نفس المادة .

سندر الجميل :

« أصابه الدوار واختل نظره من فرط الحر » .
أر : (سدر sdar) أصابه الدوار .

أصل المعنى أظلم بصره ، وائل اللفظ سدرت الشعر فانسدر : سدلته فانسدل . ومن هذا الباب أيضا : سترت الشيء : غطيته ، وسدفت الحجاب : أرخيته ، وأسجفت الستر : أرخيته أيضا ... كما تقدم .

وقد تقدم بنا كذلك معنى الظلمة في هذه الالفاظ مثل سجا الليل وأسجف وأسدف أرخي سدوله .

ومن الظلمة تحير البصر والأصل غموضه واظلامه . وقد قالوا من مادة السدف « أسدف المرء : اظلمت عيناه من جوع أو كبر » .

ويمكننا أن نضيف : أو من سبب آخر . ثم ظهر المعنى في مادة سدر بقولهم « سدر البعير : تحيره نظره من شدة الحر » . ثم ظهرت الظلمة في الأرمية بمعنى الدوار لأن الدوار أيضا يسبب تحير النظر .

السدان (زنة السجان)

« مسند يطرق عليه الحديد » . أر : سدونو (sadono) .

أصاب المؤلف بتسميته مسندا فان (السند) هو أثل الكلمة .

و (السدان) هذا لغة ضعيفة في السندان ، الذي اكتسب اسمه من كونه مسندا يوضع عليه الحديد عند طرته . وخطو الصيغة الأرمية (سدونو) من النون الأول دليل حداثتها . وهذه كلمة حضارية أخرى ..

السرج :

الرجل ، أر : (سركو sargo) .

مادة التسريح أثلها التشريح . وشرجت الشيء تعني في الأصل شققته ، لكنها خرجت عن معناها هذا ، وبقي فيها من معنى الشق صيغ مثل انشرج الشيء : انشق نصفين ، والشرج : فلقة العود إذا شق فلقتين متساويتين ، ومن هذا المعنى نشأت (الشريجة) . وهي جوالق كالخرج يسرج من سعف النخل ، سميت بذأ لأنها فلقتان تتدليان على جانبي الدابة . ثم تطور المبنى والمعنى فنطقوه (السرج) بمعنى الرجل وغلب استعماله للخيل .

السراج (زنة السلاح) :

أداة يستضاء بها وهي وعاء يشعل فيه فتيل مغموس في الزيت . أر : شروكوو (chrogo) من (شرك chrag) أضاء .

أثله الكلمة (السيرج) وهو دهن السمسم ، بدليل قولهم أسرج السراج : أوتده ، وأصل المعنى فيما يخيل لنا : ملاه بالسيرج الذي يظهر أنهم كانوا يستعملونه للاستضاءة ثم استعملوا سواه من الزيوت أيضا . وأثله السيرج هو (الشيرج) : زيت السمسم أيضا أي عصيره . وهذا أثله (الشرو) — زنة الصنو — أي العسل ، وينطق بفتح الشين كذلك . ومنشؤه فيما نرى عسل الفواكه أي عصيرها من فعل (جرى يجري لأن عسل الفاكهة ولا سيما التمر يجري عند تكديسها ، ثم استعيرت الكلمة لعسل النحل)

ومن الشرو — بالكسر — نجد في الفارسية (شيره) بمعنى عصير الفواكه ونحوها ، أي عسلها

على ما تقدم يمكننا تصحيح تأثيل الكلمة في الأرامية فإن فعل (شرك : أضاء) هو المشتق من (شروكوو : السراج) المقتبس من العربية ، كلمة حضارية أخرى

السرو :

شجر قويم الهيكل . أر : (سروو (sarwo) .

معنى فعل سرا يسرو سروا هو علا يعلو . ومنه شرف (من باب كرم) بنفس المعنى . ومن معنى الانتصاب في مادة (شرف) قالوا استشرف الشيء : انتصب .

والسرو شجر منتصب متجه بجذعه وأغصانه إلى أعلى ، ويكون بعض أنواعه سامقا سحيقا في الفضاء ، فلا غرو أن يسموه (السرو) من معنى الارتفاع والانتصاب . وإذا كانت الأرامية قد سبقت إلى هذه التسمية — وليس لدينا ما يرجع ذلك — فالمادة اللغوية عربية عريقة .

المسطح (زنة المنجل) :

البيدر . أر : (مشطوحو (machtoho) ميسدان .

أي ان كل صيغ مادة (س ط ح) في العربية أثيلة ، عدا (المسطح) بمعنى البيدر على رأيهم لأنهم وجدوا (مشطوحو) في الأرامية ولو بمعنى آخر .

معلوم أن فعل سطح يسطح يعني في العربية بسط وسوى . وصيغة المسطح نفسها تعني في العربية عدا البيدر أشياء أخرى لها علاقة بالتسطيح ، فهي أولا آلة التسطيح لأي شيء ومن ذلك اطلق على المرقاق الذي يسطح به الرغيف ، كما اطلق على موضع تجفيف الثمر لأنهم يسطحون فيه الثمر أي يفرشونه ليجف . معان حضارية أخرى .

أما (مشطوحو) فيظهر أنها من قول العرب « رأيت الأرض مساطح : أي لا مرعى بها ، شبهت بالبيوت المسطوحة » .

سطره :

كتبه . أر : (سطر (srat) : خط ، رسم الذي نراه أن السطر أثله الشطر ، وما الساطور إلا الشاطور . وشطرت الشيء أثله : شرطته ، وهذه من شترته وهذه من شترته .. ومن أخواتها شرج وشرح وشرخ وشرز وشرع وشرك .

فأصل معنى سطرت الشيء هو قطعته ، وتقديما قالوا سطره بالسيف : قطعه ، ومجازا قالوا سطرت الرجل : صرعته .

والسطر يعني الصف من الكلمات أو الشجر أو البناء أو غيره ، ويبدو لنا أن أصل المعنى هو تخطيط المحراث الذي يخدد الأرض أي يشرطها صفونا ، ثم أطلق على الصف من كل شيء . وقد شاع استعمال السطر لصف الكلمات ومن ثم قالوا سطرته : كتبه . وبعد أن صار السطر يعني الصف من الكلمات المكتوبة ، نشأت الأسطورة التي ظهرت في اللاتينية بصيغة historia بمعنى التاريخ والاحدوث القديمة .

وبعد هذا ظهرت في الأرامية بمعنى الخط والرسم .

السطور (بسكون الطاء أو فتحها) :

صف الكلمات أو الشجر . أر : سدرو (sedro) ترتيب . من (سدر (sdar) : رتب .

هذا المعنى الأرامي مجازي متطور من المعنى العربي ، من مثل قولهم « سطرت القرطاس : رسمت عليه خطوطا يحتذيها » .

الساطور :

وسده وصده ورده واحد . وقد استعملوا (الصد
بمعنى السد في مثل قولهم صد الطريق : اعترض دونه
مانع من عقبة ونحوها ، اي صار ما نسميه بالطريق
المسدود .

سكين كبير لقطع اللحم . ار : (سوطـورو
sotouro) سكين الطباخ الكبير .

ورد ايضاحها ضمن (سطره) .

السطام (زنة السلاح)

سداد القارورة ، ار : يقول انها من اصل
سطم) .

نعم ، تؤيد ذلك . فانظر (سطم الباب)

— يتبع —

سطم الباب :

اغلقه . ار (سطم stam) اغلق .

(سطم) الباب : اغلقه ، ومثله (سدمه) :
رده ، اثلهما الصدم وهذه من الصد ، بدليل قولهم :
رد الباب بمعنى اطبقه . والمتصود من اغلاق الباب

امسي شاعر :

هو الزبيري صاحب ابي العلاء صاعد بن الحسن اللغوي ، كان اديبا
شاعرا فطنا بديها ذكره ابو عامر بن شهيد وقال كان اميا لا يقرأ
ولا يكتب وكان مع هذا من اطبع الناس شعرا وأسرعهم بديهة
(جذوة المقتبس في ولاية الاندلس لمحمد بن فتوح الحميدي مخطوط
488 - ص 384)

اختلاف المفاهيم اللغوية بين الأمم، ما المجتمع مثلاً؟

الأستاذ عبدالرحيم أبو اليمن
أوبلادن - ألمانيا الغربية

اشخاص من بني الانسان لا تتميز جماعة عن جماعة الا بالعلاقات . ان المجتمع في حقيقته التفصيلية هو اناس ، وافكار ، ومشاعر ، وأنظمة . هذه الامور الاربعة هي المجتمع . ذلك ان الذي ينشئ العلاقة بين الناس هو المصلحة ، فاذا وجدت مصلحة كانت العلاقة ، واذا لم توجد مصلحة لا توجد علاقة . والمصلحة مبنية على افكار عن الشيء او الامر بأنه مصلحة ، فاذا توافقت افكار الناس على امر بأنه مصلحة وجدت بينهم علاقات وتوحدت هذه العلاقات ، واذا اختلفت افكارهم على امر من حيث المصلحة ، هذا يراه مصلحة وذاك يراه مفسدة فانه لا توجد بينهم علاقات . فالذي يوجد العلاقات بينهم هو اتفاق افكارهم على ان هذا الامر مصلحة . وهذا اول شيء في وجود العلاقة . الا ان هذا لا يكفي وحده بل لا بد ان تتوافق مشاعرهم نحو هذه المصلحة ، فاذا توافق فرحهم للمصلحة وتوافق حزنهم عليها وتوافق رضاهم عنها وتوافق سخطهم عليها الى غير ذلك من مظاهر المشاعر فان العلاقة توجد ، واذا لم تتوافق هذه المشاعر لا توجد العلاقة حتى لو وجدت الافكار ، فاذا حينئذ تكون مجرد افكار فلسفية كفلسفة اليونان عند الفرنسيين مثلاً ، فان الفكر لا يكون فكراً له واقع اي لا يكون مفهوماً الا اذا ارتبط بالمشاعر، فوجود الافكار والمشاعر تتكون العلاقة . الا ان هذه العلاقة لا تخرج الى حيز الوجود ولا تكون لها ثمرة الا اذا توحدت بينهم الانظمة التي تنظم هذه العلاقة ، فوجود العلاقة ملموسة

يكثُر الكتاب والمفكرون في العالم المسمى بالعالم الحر من ذكر المجتمع وتحليله على اعتبار ان المجتمع هو مجموعة الناس من البلد او البلد باعتبارها مسكونة بالناس . فيقولون قضايا المجتمع ، والنهوض بالمجتمع او القضايا المادية للمجتمع وما شاكل ذلك . والعالم الغربي او ما يسمى بالعالم الحر هو المسيطر على اكثر اجزاء العالم ومنه العالم الاسلامي بحضارته ومفاهيمه ، ولذلك تركز هذا المعنى للمجتمع في اذهان الناس في العالم الاسلامي ولا سيما في اذهان المثقفين والمفكرين وحتى جمهرة اليساريين بجميع انواعهم . وبالرغم من وضوح خطأ هذا المعنى ، ومن مخالفة الفكرة الاشتراكية له فانه ظل هو الغالب لدى المثقفين والمفكرين بل ظل هو المسيطر . ولما كان هذا المفهوم للمجتمع من الافكار الاساسية لدى الغرب ولدى الحضارة الغربية ، ولما كنا نحن المسلمين نعمل على قلع الحضارة الغربية من جذورها لازالة الخطر وخطر الغرب كله كان لا بد من توضيح معنى المجتمع بشكل شامل لمن سيطرت ثقافة الغرب على عقولهم من ابناء المسلمين ومنهم من يعتنقها ، لادراك واقعه حين ادراك مدلولاته .

واقع المجتمع انه مجموعة الناس بما بينهم من علاقات ، وليس مجموعة الناس فقط . فمجموعة الناس هي جماعة وليست مجتمعا . والذي يكون المجتمع هو العلاقات وتتميز المجتمعات عن بعضها بحسب هذه العلاقات ، والا فالناس في كل بلد هم الناس ، اي هم

ومشورة لا يتأتى بتوحيد الافكار والمشاعر بل لا بد من توحيد الانظمة التي تنظم هذه المصلحة . بل ان الانظمة التي تنظم المصلحة اذا وجدت ، ولو بطريق الفرض والاجبار ، تنشأ عنها الافكار والمشاعر ، ولذلك كانت الانظمة في تكوين المجتمع عاملا وان كان دون اهمية المفاهيم اي الافكار التي اصبحت مفاهيم .

وعلى هذا فانه من الخطأ ان يقال قضايا المجتمع ويراد الناس ، بل قضايا المجتمع هي قضايا العلاقات بين الناس وليست قضايا الناس ، ولذلك فان اصلاح المجتمع هو اصلاح العلاقات وليس اصلاح الناس ، وتغيير المجتمع هو تغيير العلاقات وليس تغيير ما يستعمله الناس من أدوات ولا تغيير ما يلزم لحياة الناس . ومن هنا لم يكن جعل الفسالة الكهربائية مكان لجن (طشت) الفسيل ، وجعل المكينة الكهربائية مكان مكينة القش ، ولبس السروال الاجنبي مكان القنباذ او الجلباب ، لم يكن ذلك كله وسيلة لتغيير المجتمع ولا اصلاحه ، فانه لا علاقة له في المجتمع . صحيح انه قد يؤثر على الافكار، وقد يؤثر على المشاعر، ولكنه تأثير انطباع وتقليد لا تأثير فهم واصالة ، وهو تأثير مؤقت من السهل ازالته ، ومع ذلك فانه لا ينشئ علاقة ولا يكون مجتمعا . بل اصلاح المجتمع وتغييره انما هو بتغيير الافكار والمشاعر والانظمة ، ولا يصلح ولا يتغير الا بذلك ، اي الا بالافكار والمشاعر والانظمة .

وانه وان كان ذلك ، اي فهم المجتمع هذا الفهم المغلوط يؤثر وقد اثر فعلا على الناس بوصفهم افرادا وبوصفهم جماعة ، وحال دون نهضتهم وجعلهم في حلقة مفرغة عشرات السنين ، ولكن تأثيره على السياسة اي على رعاية شؤون الناس كان افظع بل كان الكارثة التي حلت بهم والتي نقلتهم دون ان يشعروا الى اخذ الحضارة الغربية اخذا يصل الى حد الاعتناق في بعض الاحيان ، وجعلهم ينتقلون حتى في اذواقهم نحو مفاهيم الغرب من شدة تأثير الحضارة الغربية عليهم في اغتنامها فرصة الفهم المغلوط لمعنى المجتمع .

ولناخذ من ذلك مثالين اثنين هما - مفاهيم الحكم ومفاهيم الاقتصاد ، لانهما اظهر المفاهيم التي اخذت عن طريق الفهم المغلوط للمجتمع ، واثرت على تصرفات الناس واذواقهم . فالغرب يرى ان الحكم للشعب ، وان السيادة للشعب ، وان القيادة جماعية ، وان الامة مصدر السلطات . وهذه المفاهيم هي افكار تتعلق بالعلاقات في السياسة ، اي بالعلاقات في رعاية الشؤون . وهي مفاهيم نشأت عند الغرب نتيجة

الظلم السياسي الذي حصل في اوربا ثم في أمريكا من قبل الملوك والامراء والاقطاعيين ، ومن قبل الدول الاستعمارية في أمريكا حين كانت مستعمرات ، فنشأت عن هذا الظلم محاولات من قبل المفكرين ادت الى هذه المفاهيم . فجعل كل للشعب من اجل رفع الظلم السياسي عن الناس . وبالرغم من لمسه ان واقع الحكم هو غير هذه المفاهيم ، ومع ذلك ظلت هي المسيطرة عليهم وعلى مفكرهم وتناسوا ان الواقع لا يمت بصلة الى هذه المفاهيم . ولما كان المجتمع عندهم هو مجموعة الناس فانهم لم يلاحظوا رعاية الشؤون أي السياسة هي علاقات الناس فيمن يحكمهم وليست حاكما ومحكوما . ولهذا اعتبروا مجموعة الناس هي المجتمع ، واعتبروا ان الناس هم الذين يحكمون انفسهم ، أي يرعون شؤونهم أي يرعون شؤون انفسهم ، فظلوا تائبين عن معاني هذه المفاهيم ، يعتقدونها وان خالفت الواقع الذي هم فيه . فهم لم يلاحظوا ان الشعب لا يحكم ، فهو لا يتولى السلطة وانما الذي يتولاها نيكسون في أمريكا ، وبريجينييف في روسيا ، وبومبيدو في فرنسا الخ . ومع ذلك ظلوا يقولون ان الشعب هو الذي يحكم ، ولم يلاحظوا ان الشعب لا يتولى القضاء وانما يتولاه قد درسوا القانون ، وانه كما يستحيل على الشعب ان يتولى السلطة كذلك يستحيل عليه ان يتولى القضاء ، فانهم ظلوا يقولون ان الشعب هو الذي يتولى القضاء تماما كما يقولون ان الشعب هو الذي يتولى الحكم . ولم يلاحظوا ان الشعب لا يتولى التشريع وانما يتولاه رجال القانون وتسنة الحكومة ، ومع ذلك ظلوا يقولون ان التشريع للشعب وان الشعب هو الذي يتولى التشريع ولم يلاحظوا ان الشعب ليس له في الواقع الا اختيار الحاكم وليس له عزله ، وان الحاكم هو الذي يشرع ، وهو الذي يسيطر على القضاء وانه لا توجد الا سلطة واحدة هي سلطة الحاكم . ومع ذلك قالوا ان هناك ثلاث سلطات هي السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية ، وان الشعب هو مصدر السلطات . نعم لم يلاحظوا مخالفة مفاهيم الحكم لواقع الحكم ، اذ اعماهم عن ذلك الفهم المغلوط عن المجتمع ، الى جانب ما سمعوه عن الظلم السياسي وما يتصورونه من هذا الظلم اذا لم يكن الشعب هو كل شيء .

هذا بالنسبة لمفاهيم الحكم ، اما مفاهيم الاقتصاد فان ما عانته اوربا من ظلم الاغنياء والاقطاعيين والتفاوت الفاحش بين الناس في العيش ، وما عانته أمريكا من ظلم الاستعمار واستيلائه على خيرات البلاد الى جانب

المال ، وأن الحاكم لا عليه الا ان يوفر المال للبلد بوصفه كلاي لمجموعة الناس ، فظلوا تائهين عن معاني هذه المفاهيم يعتقدونها وان خالفت الواقع الذي هم عليه وان الحقت بهم الاضرار وركزت ظلم الاغنياء ووسعت التباعد الفاحش بين الناس في العيش .

هذا هو المفهوم المغلوط للمجتمع ، وهذه المفاهيم المغلوطة عن الحكم وعن الاقتصاد وكل ما ترتب على معنى المجتمع عندهم من مفاهيم أخرى هي التي نقلت العلاقات بين الناس ، ونقلت مفاهيم الناس وحتى ادواقهم الى الخضوع للحضارة الغربية بل الى طريقة العيش (عند الغرب) ووجهة نظره في الحياة . لذلك كان من أهم ما على الناس جميعا حتى في الغرب ، ولا سيما المسلمين في العالم الاسلامي ان يتبنوا معنى المجتمع ، وان يتبنوا ثم يحاربوا مفهوم الغرب عن المجتمع كحظوة أولى لنبدأ سائر مفاهيمه لا سيما مفاهيم الحكم والاقتصاد لانهما الركيزة الأساسية في التأثير .

لذلك كان لا بد من ان يتركز عند الناس ولا سيما المسلمين في العالم الاسلامي ان المجتمع هو مجموعة الناس بأفرادهم بما بينهم من علاقات وليس البلد ولا مجموعة الناس ، وبناء على هذا التركيز يبنون عليه ان ما بين مجموعة بأفرادها هو علاقات ، وان ما بين مجموعة ومن يتولى السلطان فيها أي يتولى رعاية شؤونها هو علاقات ، وان ما بين مجموعة الناس هذه ومجموعات أخرى أي أمم ودول أخرى هو العلاقات ، وان المسألة كلها تتعلق بالعلاقات فيكون البحث هو من هذه العلاقات .

ظلم الاغنياء والتفاوت الفاحش بين الناس في العيش قد اوجد عند المفكرين فكرة توفير المال للناس يأخذونه بمقدار قدرتهم على تحصيله وتوصلوا الى ان المشكلة الاقتصادية هي الندرة للمال ، أي عدم كفاية المال في البلد بكميات تكفي لحاجات مجموعة الناس ، كان الفقر هو حاجة البلاد للمال وليست حاجة أفراد الناس له ، فصار الفقير هو المجتمع حسب فهمهم وليس الافراد ، أي هو مجموعة الناس وليس أفراد هؤلاء الناس ، وبناء على ذلك انصب التفكير على ايجاد المال في البلد بكميات تكفي لحاجات مجموعة الناس ، وليس توفير حاجة كل فرد من الناس . وبالرغم من لمسه ان واقع الاقتصاد هو حاجة كل فرد من الناس وليس مجموعة الناس ، وبالرغم من لمسه ان ظلم الاغنياء لا يزال قائما بل ازداد ، وان التفاوت الفاحش بين الناس في العيش قد ازداد ، أي بالرغم من لمسه ان واقع الاقتصاد هو غير هذه المفاهيم . ومع ذلك ظل مفهوم المشكلة الاقتصادية عندهم هو القدرة النسبية ، وظلت هذه المفاهيم الاقتصادية هي المسيطرة عليهم وعلى مفكرهم ، وتناسوا ان الواقع لا يمت بصلة الى هذه المفاهيم ، ونظروا لأن المجتمع حسب فهمهم هو مجموعة الناس ، لم يلاحظوا ان الاقتصاد أي التوفير توفير المال هو علاقات بين الافراد مع بعضهم ، وعلاقات بين مجموعة الناس ومن هو مسؤول عن توفير حاجاتهم ، وليست مالا يوضع في اليد ويأخذ منه كل بحسب قدرته . ولهذا اعتبروا مجموعة الناس هي المجتمع ، واعتبروا ان الناس هم الذين يوفرول لمجتمعهم

اعلانات :

الوواح تعلق في الاسواق (كامل ابن الاثير ج 10 ص 171 و ج 11 ص 29 وتاريخ ابن الفرات (ج 4 ص 17 و 64) .

الألفاظ الهندية المعربة

من مظانها الواحدة:

الدكتور محمد يوسف
أستاذ اللغة العربية - جامعة كراتشي (باكستان)

أوربا إلى الشرق الأدنى « (الحضارة الإسلامية ،
1950 ، ص 4) . كذلك يعتبر اهتداء واسكودي
كاما (Vasco da Gama) إلى طريق الهند نقطة
التحول في العلاقات بين الشرق والغرب ، وحقا لئن
كانت صفقة تفوق صفقة أبي غبشان في الخضارة
والغبن ، فهي تلك التي جعلت أسد البحر ابن ماجد
يقود رائد البرتغاليين إلى ميناء كاليكت (Calicut)
في سنة 1498 م .

فأثر تجارة الهند والصين في التطورات السياسية
بين الأمم الشرقية والغربية معروف عند كثير من
المؤرخين بإبرازه وتقدير خطورته ، إلا أن هناك ناحية
أخرى طالما بقيت غامضة مطوية لم تلق الاهتمام
اللائق بها إلا منذ زمن قريب ، ألا وهي تأثير العلاقات
التجارية بالهند وما وراء الهند في حضارات الفرس
والعرب والروم في العصور القديمة والوسطى ، ولا
أجد ما أقدم به لهذا الموضوع أحسن مما كتبه
البرونسور هيرن (Heeren) العالم المتخصص في
العلاقات التجارية الدولية القديمة وهذا نصه :

لمتازت الهند منذ أقدم العصور بوفرة وتنوع
إنتاجها النباتي والحيواني والمعدني كما أنها اشتهرت
بجودة الصناعات المختلفة المرتكزة على ذلك الإنتاج
الطبيعي ، ثم هي تصاقب من الناحية الشرقية بلاد
الصين التي اقتصت بطائفة أخرى من الحاجيات
والكماليات التي لم يكن للعالم الغربي يدمنها ، ومن
هنا نشأت « التجارة الشرقية » التي تنافس عليها
المتنافسون من الفرس والعرب والروم ، وأخيرا أقوام
أوربا الغربية ، أعني البرتغاليين والفرنسيين
والهولنديين والإنجليز ، وقد استمرت هذه التجارة
العالمية تجري من الشرق إلى الغرب حتى غير مجراها
الإلات والمخترعات الحديثة وما أدت إليه من الانقلاب
الصناعي والتقدم الاقتصادي في الممالك الغربية .

لقد كان لهذه التجارة أثرها الفعال في مداولة
الأيام بين الناس ، فمثلا يقول العلامة بارتولد :
« صارت إيران مزاحمة قوية للدولة الرومانية في زمن
الساسانيين ... واستولت برا وبحرا على طريق تجارة
الهند والصين ذات الخطر لجميع العالم المتحضر ،
وبهذا الحادث يبتدىء انتقال التفوق في الحضارة من

الجغرافي ، أكثر تلك الشعوب اتصلا وحرصا على الاحتفاظ بدورهم في حركة استيراد المنتجات الهندية المختلفة ونقلها عبر أراضيهم الى شواطئ البحر الابيض المتوسط ، ولئن كنا نأسف حقا لعدم وجود المصادر اللازمة للحصول على معلومات وافية عن نشاط العرب في هذا الميدان فيما يتعلق بالمعصور السابقة للإسلام ، ففي وسعنا ان نتلافى هذا النقص بالرجوع الى لغة العرب وآدابهم (1) ودراستهما دراسة مقارنة الى جانب اللغات الهندية مثل ما فعل العلماء الأفرنج بشأن دراسة علاقات الروم بالهند ، وبما ان العرب كانوا في موقع وسط بين الروم والهند فقد الفت بحوثهم أضواء على العلاقات العربية الهندية الا انها ، بطبيعة الحال ، أضواء جانبية فقط ، أما موضوع العلاقات العربية الهندية بالذات فقد بقي مغمورا مجهودا لا لشيء الا لعدم اتساع علم اللغويين الاول والمعنيين بالمعرب والدخيل في العربية الى الهند ولغاتها ، نراهم — وكثير منهم ينتمون الى أصل فارسي — يقتصر على أرجاع الكلمات الى الفارسية ، وفي بعض الأحيان يتقنون حائرين أمام كلمات لا يجدون لها أصلا بالفارسية فيأتون بتعليلات من الخيال (2) ان دلست على شيء فهو ان الكلمة عدت غريبة في نظرهم ، وأخيرا الفت دراسات الغربيين النظر الى هذا الموضوع الشيق فاقبل عليه العلماء الهنود بجد واهتمام ،

وفعلا اثمرت جهودهم ثمرة طيبة من حيث انها مهدت الطريق أمام الباحثين في المستقبل الى ميدان واسع بكر .

*/

هناك ثلاث طرق سارت عليها تجارة الهند الى موانئ البحر الابيض المتوسط :

"Of all the divisions of Asia the southern, containing the territory of Hindustan, is distinguished by the richness and diversity of its productions. Here we not only find, with very few exceptions, all the products of other parts of civilised Asia, but so great a variety peculiar to its own climate, that it would appear as if a new and more beautiful creation had sprung up under the hand of nature. Nearly all the spices, which become necessary to mankind in exact proportion to the progress of luxury and refinement, have at all times been peculiar to this region, while two of the most important articles used in clothing, viz., cotton and silk, were first produced here, and continue to be so in an especial degree, though their cultivation has been gradually extended to other countries The influence which an intercourse with India may have had on the civilisation of mankind, is a question worthy the close attention of the philosophical student of history; and one which, notwithstanding the important illustrations it has of late received, has been by no means sufficiently elucidated. It is of the greatest consequence to ascertain the channels through which, at various periods, it found its way, or into which it was conducted; and the whole course of history tends to prove that the countries which became the staples or depots of this commerce, uniformly attained a high degree of opulence and refinement; which, however, gradually changed the habits and corrupted the manners of their inhabitants; at the same time that these were softened, sowing among them the seeds of luxury, and consequently of decline and ruin." A. H. L. Heeren: *Historical Researches into the Politics, Intercourse and Trade of the principal Nations of Antiquity*, Oxford, 1833, vol. I, pp. 35-56.

اذن كان من اثر تجارة الهند ان تطورت سبل المعيشة واساليب الحياة ، بل وتغيرت الامزجة والطباع لغير واحد من الشعوب القاطنة غربي الهند، وغني عن القول ان العرب ، بالاشتراك مع الفرس كان الخليج الفارسي ، كانوا ، بطبيعة مركزهم

(1) يقرر الاستاذ هيرن هذا الاصل بقوله :

"We too often find ourselves without the information necessary to follow the course of trade into the most remote regions; but when we meet with the mention of articles which are unquestionably peculiar to certain countries, we are warranted in concluding that a communication then existed with those countries, though we may be unable to define its nature and extent. A piece of sugar or a morsel of pepper in a neglected corner of a village inn would be a certain proof of the trade with either Indies, even if we possessed no other evidence of the commerce of the Dutch and English with these countries." Heeren, 139-40.

(2) راجع مثلا تحقيقنا عن « الفالج » و « القلبي » والكلام على « الشمال » في الصفحات التالية .

1) برا من المرات على الحدود الشمالية الغربية للهند الى بلخ ، ثم على خط سير القوافل شمال صحراء كرمان الى المدائن الى انطاكية والموانئ المجاورة لها .

ب - بحرا من الساحل الغربي للهند الى الخليج الفارسي مصعدا بالفرات ثم برا الى انطاكية والموانئ المجاورة لها .

ج - بحرا من الساحل الغربي للهند الى ساحل عمان الى ساحل اليمن ومن هناك اما على طول ساحل البحر الاحمر او على خط سير القوافل الى موانئ سوريا وفلسطين .

غني عن القول ان الطريق البري استخدم قبل ان يستخدم الطريقان البحريان ، فعلا وجد علماء الآثار ما يؤكد ان العلاقات بين ارض الانهار الخمسة (البنجاب) وارض الرافدين ترجع الى عشرين القرون قبل عهد التاريخ المنتظم (3) الا ان التجارة عن هذا الطريق كانت عبارة عن انتقال البضائع من قبيلة الى اخرى ضد احوال طبيعية صعبة وكانت ايضا متأرجحة لعدم استقرار الاحوال السياسية ، ولذلك كان التحول الى الطريق البحري ايدانا بزيادة ملحوظة في التبادل التجاري بين البلدين .

والدليل الموثوق به على جلب البضائع برا من الهند فيلة (4) على مسلة (Shalmanassar) (858 - 824 ق . م) ذكرت باسم غير معهود في الاشورية هو (Baziati) عن السنسكريتية (Vasita) وبما ان الفيلة ذكرت الى جانب « الابل من (Bactria) ذات السنامين » يتأكد لدينا انها نقلت بالطريق البري عبر الحدود الشمالية الغربية للهند (5) .

ولا بأس بان نقف قليلا عند ذكر « الابل من Bactria » في القرن التاسع ق.م فنلاحظ ان من أشهر

واعز اصناف الابل عند العرب « البختية » وهي على حد قولهم « الابل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج » (اللسان) والفالج : البعير ذو السنامين... يحمل من السند للفحلة (الصحاح) وصف الفالج بهذه الصفة ابن حوقل سنة 350 هـ (6) والمقدسي سنة 375 هـ حيث يقول هو الآخر :

(من خصائص السند) « الفالج الذي تسراه بالشرق وفارس يولد البخاتي وهو اعظم من البخت له سنمان مليح لا يستعمل ولا يملكه الا الملوك ولا تكون البخت الا منه » (7) .

والفالج كلمة سندي محلية والجيم فيها علامة العجمة لا غير مع ان بعضهم لم يعد مهم التعليل بان الفالج « يسمى بذلك لان سنانه نصفان » (المخصص 68/7) !!! وكذلك البختية « دخيل في العربية اعجمي معرب » (اللسان ومثله في المخصص 135/7 عن صاحب العين) . اذن فما هو اصل الكلمة ؟ لم ينصوا عليه بل ربما لم يهتموا اليه حتى ان بعضهم اجترا على القول بان الكلمة عربية (انظر اللسان) ... على كل حال ما من شك في ان « البختية » لم تكن غير « الابل من Bactria » .

ومن الجدير بالملاحظة ايضا في هذا الصدد ان اصحاب المعاجم قد فرقوا ، جريا على عادتهم ، بين مادتي « بخت » و « بخر » الا ان مشية الجبال البختية طوال الاعناق ذات السنامين هي اشبه شيء بمشية الخيلاء وقد جرت العرب على هذا المنوال في قولها « تفخخت » من مشي الفاخرة (المخصص 109/3) ومن الثابت ايضا انها كانت تصف النساء « بالبخت » قال الشاعر :

وفيهن من بخت النساء سبحة
تكاد على غر السحاب تروق (9)

Wilson: The Persian Gulf, p. 28 (3)

4) الفارسية « pil » السنسكريتية « pilu » الا ان بعض العلماء يذهبون الى ان هذه الكلمة ليست اصيلة في السنسكريتية . انظر Hobson-Jobson, (Supplement, « Elephant »

5) Kennedy, J.; Early Commerce of Babylon with India. JRAS, 1897, p. 242-288

6) المسالك والممالك ص 231 .

7) احسن التقاسيم ص 482 .

7) احسن التقاسيم ص 482 .

8) انظر Dozy: Supplement

9) سمط اللالي 351 .

2 — العبرية (almug) (14) عن السنسكريتية والتاميلية (valgu) .

3) المبرية (Koph) القردة عن السنسكريتية (Kapi) (قارن المصرية القديمة (Kafu)) .

4 — العبرية (thuki-im) عن التاميلية (tokei-togai) وعنها الفارسية والعربية « طاووس » .

هذا بالإضافة الى الذهب والفضة والاحجار الثمينة التي تتألف منها قائمة البضائع المستوردة من الهند على ذلك العهد (15) .

ولا يخفى ان هذه الأدلة ، قليلة كما هي ، قد تناولها بعض العلماء بالتجريح والرفض (16) الا انهم في الوقت نفسه أكدوا أن عدم توفر الدليل لا يعني وجود ما يمنع التجارة البحرية ، بل بالعكس امتاز الدراوريون (Dravidians) سكان جنوب الهند منذقديم الزمان بالاتجاه الى الملاحة .

ومنذ القرن السادس ق.م ينقشع الظلام وتتوفر لدينا الأدلة القاطعة على ازدهار التجارة البحرية ، منها :

1 — العثور على قطع من الساج (الرهتية (Sag)) وغيره من الاخشاب الهندية في قصر نبخت نصر (Nebuchadnezzar) (604 — 562 ق.م) وفي معبد اله القبر الذي جدد نبخت نصر بناءه ب(Ur) .

2 — انتشار عدد كبير من البضائع الهندية في اليونان حيث كانت ترد عن طريق بابل ولا تزال

اما العلاقات التجارية البحرية بين المنطقة الممتدة من الخليج الفارسي الى البحر الأحمر وبين الهند فمن المقطوع به انها راسخة في القدم الا ان الأدلة فيما يتعلق بالفترة السابقة لسنة 700 ق.م ليست بكثيرة ، من اهمها :

1 — ورد في الكتابات التي ترجع الى ما قبل 2000 ق.م ان الاكاديين كانوا يستوردون الاخشاب من (Magan) اي عمان ، ويرجح ان تلك الاخشاب انما كان اهل عمان بدورهم يجلبونها من الساحل الغربي للهند (10) .

2 — كلمة (Sindhu) الواردة في مكتبة (Assurbanipal) (668 — 626 ق.م) انما يرجع أصلها الى الهند وهي تعني « القطن الهندي » ومنها العبرية (Sadin) والعربية « سدين » (11) .

3 — كلمة « Karpas » العبرية توافق السنسكريتية « Karpasa » .

4 — في القرن العاشر ق.م استعان سليمان ، جريا على سياسة أبيه داود ، بالفينقيين لتنشيط حركة الملاحة والتجارة بين ميناء (Ezion Geber) (العقبة) (12) و Abhira = Ophir اعالي الساحل الغربي للهند (13) وتعد الكلمات الآتية من آثار هذه الحركة التي كانت ولا شك اقدم بكثير من عهد سليمان ، ولم يكن منه الا أن جعلها مباشرة بعد ان كانت تجري على أيدي وسطاء كثيرين :

1 — العبرية «Shen Habbin» = « سن الفيل » (العاج) عن السنسكريتية « ibha-danta » .

(10) انظر Wilson: The Persian Gulf, p. 27 ولعل Magan هي « مزون » بالعربية .

(11) H. J. Rawlinson: Intercourse Between India and the Western World, Cambridge. 1926, p. 2-3

(12) لقد أمكن تحديد الموقع بتل الخليفة غربي العقبة على اثر الاعمال التي قامت بها بعثة أمريكية هناك اثناء 40 — 1938 م .

(13) اختلف كثيرا بشأن Ophir بعضهم قرأوا الكلمة Sophir « سوبارة » بالهند أيضا او « ظفار » باليمن او « سفالة » الزنج ، الا ان المرجح انها كانت بالهند .

(14) نوع من الخشب الثمين ، الصندل الاحمر على الأرجح راجع Cheyne: Ency. Biblica

(15) Rawlinson, pp. 10-11

(16) في مقدمة هؤلاء الأستاذ J. Kennedy الذي مضت الإشارة اليه .

الإلغام اليهم) قيل أنهم اثاروا اعجاب أهل بابل بالغرابة
تارة وبالطاووس تارة أخرى .

ولا يفوتنا في هذا المقام التنويه بأن تجارة الهند
هذه كانت السبب الرئيسي في رخاء بابل وعظمتها التي
بلغت أوجها في هذا العصر حتى اثار حسد فرعون
مصر (نخاو) (Necho) 612 - 596 ق.م) فما كان
منه الا أن بذل الكثير من الاموال والارواح في سبيل
اعادة بناء القناة الموصلة من النيل الى البحر الأحمر،
تلك التي كان امتتحها لأول مرة (Sesostris)
في القرن العشرين ق.م .

/*

وقد كان لهذه العلاقات أيضا اثر خالد في أربع
من اهم نواحي الحضارة في الهند :

I - الخط البراهمي (Brahmi) ، الذي تفرعت
منه الخطوط الهندية المختلفة، انما كان من أصل سامي
توي الشبه بالحروف الفينيقية الى درجة تؤكد أنه دخل
الهند عن طريق الساحل الغربي على أيدي التجار
الفينيقيين وقد حدد الدكتور بوهلر (Dr. Bühler)
تاريخ دخوله الهند بسنة 800 ق.م ومع أن هذا
التحديد لا يزال موضع نقاش الا أنه من البديهي أن
الخط لابد أن يكون قد مضى عليه قرون قبل أن
يتطور فيتلاءم مع مقتضيات اللغات الهندية كما يبدو

اسماؤها اليونانية والعربية ترشدنا الى أصلها فمثلا :
السنسكرتية (Chandan) = العربية (صندل) .
التاملية (Arisi) = العربية (الأرز) (17) .
التاملية (Karppu) = العربية (قرفة) .
التاملية (Inchiver) = العربية (زنجبيل) .
التاملية (Pippalij) = العربية (غفل) .
السنسكرتية والتاملية (18) (Vaidurya)
= العربية (بلور)
السنسكرتية (Kirmi) = العربية (قرمز)
فهذه هي بعض الكلمات الهندية الأصل التي
دخلت اللغة اليونانية عن طريق بابل في الفترة التي
نحن بصدها (19) .

وقد بحث العلماء عن التطورات التي أدت الى
نمو التجارة البحرية بين بابل والهند في القرنين
السابع والسادس ق.م فوجدوا أن تلك الظاهرة توافق
تفكيك (Sennacherib) بالكلدانيين واحلال الفينيقيين
محلهم في سنة 694 ق.م لأن الكلدانيين الذين سكنوا
« سيف البحر » (20) منذ القرن التاسع ق.م لم يكن
لهم من التفوق في الملاحة ما كان لأترانهم الفينيقيين
الذين جلبهم الملك الآشوري من أعالي دجلة والفرات
وعلى هذا يمكن القول بأن شجاعة الفينيقيين
وخبيرتهم بأعمال الملاحة والتجارة التي اكتسبوها في
موطنهم الغربي هما اللتان تغلبتا على مخاوف البحر
الهندي (21) . ومن ناحية أخرى نجد في المصادر
الهندية الراجعة الى هذا العهد ولاسيما المجموعة
المسماة بـ « Baveru Jataka » قصصا عن
التجار الهنود (أغلبهم من الدراويرين الذين مضى

(17) الرز والأرز والرنز لغات فيه (* الإنجليزية « Rice ») وقد اتجه بعض العلماء أخيرا الى الاعتقاد
بأن المركز الذي انتشر منه الأرز في العالم هو التركستان ولذلك قالوا أن أصل الكلمة هو
« virinzi/virinza » بالفارسية القديمة = « briinj » بالفارسية الجديدة = « vrihi » بالسنسكرتية .

انظر : Sir George Watt: The Commercial Products of India
London, 1908, p. 824 etseq.

وليعلم أن كلمة أخرى مماثلة « البهط : الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة » هندية أيضا كما جاء في
المخصص 3/5 وأصلها « bhata » .

(18) بالبراكرتية « Vailurya » انظر : Hobson-Jobson « Beryl »
(19) Rawlinson, p. 14

(20) « Sealand » الوارد ذكره في الكتابات السامرية والممتد من مصب الفرات الى
= البحرين (فارس نامه لابن البلخي تذكرجرب، 1921 م ص 140) ويظهر أن العرب كانوا يعنون
بـ « السيف » هذا السيف الغربي للخليج الفارسي خاصة ، قال الأحنس بن شهاب :
لكيز لها البحرين والسيف كله وان ياتها بأس من الهند كارب (المفضلية 41 / 9)

(21) راجع مقال Kennedy السالف الذكر .

في الكتابات التي يرجع عهدا الى القرن الثالث ق م وهي اقدم الكتابات التي عثر عليها في الهند (22) .

2 — نظام منازل القمر المهود عند الهنود انما هو مأخوذ من بابل . (Nakshatras)

3 — يرجح الاستاذ كينيدي (Kennedy) أن الهنود انما اقتبسوا نظام التعامل بالعملة المعروفة بـ « Puranas » مما كان متبعاً عند أهل بابل (23) ولا يخفى أن (Puranas) اقدم عملة عرفت بالهند وقد استمر التعامل بها الى عهد قريب ، ويرى كاتب هذا المقال انها هي المعنية بـ « الفهري » عند مسعر بن مهلهل (24) و « الفهري » (تصحيف « الفهري » أو « الفهري ») ، عند المقدسي (25) .

4 — يتبين بعض العلماء علاقة ما بين الاوزان الهندية القديمة وبين مثيلاتها عند أهل بابل مثل « المن » اذ ان امرها مشكوك فيه جدا (26) .

/*/

في سنة 538 ق.م : امتدت سيطرة الفرس على بابل وغرب آسيا كلها وامتازوا بالجمع بين مصر من جهة ووادي السند من جهة أخرى في جورتهم الا ان هذه الميزة ، التي لا يمكن التقليل من أهميتها ، لم تستخدم ، كنتيجة للمنازعات السياسية ، لتسهيل التبادل بين المناطق الثلاث (البنجاب وبابل ومصر) التي كانت أهم مراكز التجارة الدولية ، ومن ثم يعتبر هذا العهد — عهد الأخمينيين (Achaemenians) الذي

/*/

في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م. قلب الاسكندر الاوضاع ببسط سلطانه الى حدود السند

- (22) Cam. Hist. of India I, pp. 140-142 وانظر ايضا دائرة المعارف البريطانية « Sanskrit »
(23) راجع الجزء الثالث من مقاله الذي سبقت الاشارة اليه .
(24) البلدان لياقوت « الصين » : « درهمهم (أهل كله) يزن ثلثي درهم ويعرف بالفهري » .
(25) أحسن التقاسيم 482 — في نسخة « الفهري » وليعلم ان المقدسي نفسه ينص على القهريات غير « القاهريات » أو « القندهاريات » (كما عند ابن حوقل 228 والاصطخري 173) = كل درهم منها خمسة دراهم .
(26) Rawlinson, p. 15
(27) لعل تحول تجارة الهند عن طريق الخليج الفارسي الى طريق البحر الأحمر كان قد بدا في عهد نبخت نصر ويعلل ونسنت Vincent تخريب ذلك الملك لمدينة صور بهذا السيف نفسه . انظر Wilson, p. 33 .
(*) بحذاء هجر في الجنوب الغربي من مدينة القطيف تقع « المعتير » وهي الآن ميناء صغير وعلى مقربة منها خرائب يعتقد العلماء انها موضع (Gerrha) = جرها . (الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام 140/1) .

وسرعان ما أبدى اهتمامه باعادة النشاط التجاري بين ساحل الهند والخليج الفارسي فأرسل بعثة استكشافية لهذا الغرض تحت قيادة (Nearchus) على غرار ما كان فعله دارا الأكبر من قبل الا ان موته حال دون القيام بأي عمل آخر في هذا الشأن. أما خلفاؤه الذين اقتبسوا المملكة بينهم فقد شغلوا بالحروب الأهلية حتى ان السلوقيين (Seleucids) لم يكن يهمهم غير الحصول على الفيلة من الهند عن طريق ايران كما ان خصمهم في مصر بطليموس الثاني كان معني بجلب ذلك الحيوان من الحبشة لأغراض حربية ولكن السى جانب ذلك تلاحظ ان العلاقات بين ملوك الهند من جهة وملوك الشام ومصر من جهة أخرى كانت في هذه الفترة أكثر وثوقا من ذي قبل ، لا ادل على ذلك من ومسود (Megasthenes) و (Dionysius) سفيرين لسلوكس وبتليموس على الترتيب لدى بلاط جندر كبت موريا (Chandragupta Maurya) ومما يذكر عن ملك الهند هذا انه اقام عددا من الموظفين للاتصال بالاجانب والسهر على راحتهم اثناء زيارتهم للهند ويستنتج من هذا كله ان التجارة بين الهند والخليج الفارسي لم تكن قد وفتت أو هبطت الى درجة كبيرة، ثم ساعدت الاحوال السائدة بأعالي الخليج على تركيز هذه التجارة في أيدي اهل Gerrha الذين ربما كانت تتألف أغلبيتهم الآن من العرب وفي نفس الوقت كان نشاط سبأ في ازدياد مستمر وقد شاركهم في هذا النشاط التنبطيون بأعالي البحر الأحمر ، أولئك القوم الذين ما كانت عاصمتهم الرقيم (Petra) لتتسأل شهرتها في التاريخ لولا انها وقعت موقعا هاما على خطي سير للتوافل من اليمن ومن العقبة (Aelana) ايضا .

الروم واليونان كانوا يمتدنون طوال هذه المدة ان المنتجات الهندية التي كانت تنقل اليهم عن هذا الطريق كانت من منتجات اليمن المحلية (28) . ويجدر بالملاحظة في هذا المقام ان الاخطار الشديدة التي كانت تحدث بالملاحة في البحر الأحمر فوق عدن من عدم وجود موانئ صالحة وثلة الماء والقرصنة وما إليها كانت من أهم العوامل التي جعلت من الخط البري الطريق المفضل ترونا عديدة ، الا ان اليونانيين كانوا دائما يبذلون محاولات جديفة للتغلب على تلك الصعاب من تاعدتهم في مصر مما جعل اليمنيين يرتقبون تصرفاتهم بيقظة وحذر ، فمثلا لما عمد بطليموس الثاني (285 – 246 ق.م) ، الذي كانت سلطته تمتد الى فينيقية وفلسطين ، الى اعادة فتح القناة القديمة بين النيل والسويس (Arsinoe) أولا وانشاء الطريقين الصحراويين من (Koptos) الى (Berenike) ومن (Koptos) الى (Myos Hormos) ثانيا أحدث ذلك رد فعل قوي بين اليمنيين . على كل حال اتصى ما توصل اليه اليونان ، بعد هذه الجهود المضنية ، هو ابتياع البضائع الهندية من حين الى آخر في الموانئ اليمنية ، خاصة (Mouza) ، ثم نقلها الى (Koptos) كما مر بدون ان يتسنى لهم الاستغناء عن وساطة سبأ ومن المعتقد ان النساء والكلاب والثيران والإبقار والتوابل الهندية المحملة على الجمال ، تلك التي ازدان بها الموكب التاريخي لبطليموس الثاني سنة 271 – 270 ق.م انها وصلت الى عاصمة مصر بعد اعادة شحنها في الموانئ اليمنية . نعم وقد برز في هذه الآونة أيضا اسم جزيرة سقططرة (29) كسوق دولي هاجر إليها واستوطنها اليونانيون (30) للمشاركة في تجارة الهند والحبشة .

مختلصة القول ان تجارة الهند ما زالت تتحول من الخليج الفارسي الى البحر الأحمر منذ بدايته عهد الفرس الاخمينيين ، بل وقيل ذلك منذ أيام بخت نصر الى ان أصبح الطريق الأخير هو الطريق الرئيسي في القرن الثاني ق.م وفي هذه الفترة بالذات أي منذ انتقال الكلدانيين الى (Gerrha) بدأ العرب سكان المناطق الساحلية الجنوبية الشرقية والجنوبية

/*/

لقد انضج مما سبق ان مصير سبأ ورخاءها وحضارتها كانت مرتبطة ارتباطا تاما باستمرار تجارة الهند على الخط البري المحاذي لساحل البحر الأحمر الى أسواق الشام ، وعملا نرى تجار سبأ حريصين حرصا بالغا على الاحتفاظ بهذا الخط الى حد ان

(28) Hitti : Hist. of the Arabs, p. 48

(29) السنسكريتية « Dvipa Sukhatara » اي جزيرة السعادة.

(30) يقول أبو زيد السيرافي ، سلسلة التواريخ ، باريس 1845 ، ص 133 – 134 ، ان الاسكندر هو الذي اهتم باسكان اليونانيين تلك الجزيرة تحقيقا لرغبة ارسطاطاليس في الاستيلاء على منابت الصبر بها .

يمارسون هذه التجارة ويستولون عليها أكثر حتى أصبحوا مخترين لها يعضون على احتكارهم بالنواجد ولم يستطع عملاؤهم اليونان ، مع شدة قلقهم ، أحداث أي تغيير جوهري في الوضع حتى القرن الثاني ق.م.

/*/

ولكن ما كاد القرن الثاني يقترب من النهاية حتى حدث ما كان في الواقع بداية لنهاية أمر العرب وهو أن ملاحا هنديا غرقت سفينته فوصل في قارب النجاة إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر حيث تولى الخفر نقله إلى الاسكندرية ، وبينما هو في تلك المدينة وقد أخذ الحنين إلى الوطن إذ التقى بـ (Eudoxus of Cyzicus) الذي كان له باع في علم الجغرافيا ، ولم يمض وقت طويل حتى تواعد الاثنان وحصلا على موافقة الملك (Evergetes II) ومساعدته للقيام برحلة إلى الهند وقد تم ذلك فعلا ما بين 120 - 110 ق.م (31) فرجع الملاح الهندي إلى أهله بعد أن دل يودوكسس على الطريق إلى الأرض التي كان يسمع عنها اليونان أن بها « أشجارا تثبت الصوف » و « أحجارا تذيب في الفم فتكون أحلى من التين ومن العسل » (القطن والنكر على حد تعبير Herodotus, Megasthenes على الترتيب) .

ولم تكن نتائج هذه الرحلة ، التي كانت الأولى من نوعها ، لتضيق على الملاحين اليونان فقد اتبعها يودوكسس نفسه على الأقل برحلة أخرى وما من شك أن آخرين حذوا حذوه من حين لآخر لانا نفاجا قبل مضي فترة طويلة بسبق الملاح اليوناني ، المتمثل في (Hippalus) ، على العرب إلى الاكتشاف عن طريقة استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في السفر إلى الهند أيام الصيف . من المؤكد أن العرب لم يكونوا يجهلون الرياح الموسمية ، كفى دليلا على ذلك أن الكلمة العربية « موسمية » هي التي انتقلت وتطورت

إلى (monsoon) لكنهم ، لسبب ما ، لم يكونوا قادرين على استخدامها إبان هياج البحر في فصل الصيف بالذات (32). مهما يكن من أمر فإن ما امتاز به اليونان كان كشافا عظيما أدى إلى انقلاب خطير في طريق الملاحة والتجارة ويؤرخ هذا الكشف - كشف (Hippalus) - في سنة 45 م إلا أن بين أيدينا أدلة على تغلغل اليونان وكثرة ترددهم على المناطق التجارية بالهند قبل ذلك، منها إيفاد بعثة من قبل الملك (Pandion) بأقصى جنوب الهند (33) إلى (Augustus) بمصر في سنة 20 ق.م ، كذلك شهادة استرابو (Strabo) الصريحة بأن 120 مركبسا سارت إلى الهند في سنة واحدة (25 ق.م) من ميناء (Myos Hormos) ، ثم لا يخفى أن حملة (Aulus Galus) على اليمن في عهد (Augustus) نفسه سنة 24 ق.م لم تكن إلا حلقة في سلسلة الخطوات لانتزاع تجارة الهند من أيدي العرب (34) . وذلك بالتواطؤ مع النبطيين شركاء سبأ الذين سبقت الإشارة إليهم ، لكن الحملة فشلت فشلا ذريعا وظل مركز العرب قويا وكان ناقوس الخطر قد دق والخراب يتسرب إلى اليمن رويدا رويدا .

وبمناسبة ذكر الملك (Pandion) لا بأس بأن نستطرد قليلا لنضرب مثلا للفائدة التي تعود على الأدب العربي من الدراسات المقارنة فنقول ان مملكة (Pandya) بأقصى جنوب الهند قد اشتهرت من قديم الزمان بمفاصات اللؤلؤ الواقعة في المياه الضيقة بين ساحل الهند وجزيرة سيلان وجاء عنها في الأساطير الهندوكية أن الإله كرشن (Krishna) جمع اللآلئ من أنحاء العالم وركزها في تلك المنطقة لتترين بها ابنته ملكة (Pandya) . لقد ذكر (Megasthenes) المفاصات والأسطورة المتعلقة بها (35) كما لم يغفل الإشادة بها أحد من الزائرين لتلك المنطقة في جميع العصور من بينهم سليمان التاجر (36) وماركو بولو (37)

(31) انظر : Rawlinson, p. 96-99

(32) سيدد القاريء بحثا قويا عن هذا الموضوع في : George Fadlo Hourani

Arab Sea-faring in the Indian Ocean, Princeton, 1951, p. 25

(33) « Pandion » = Pandya هذا هو التفسير السائد وقد ذهب البعض إلى أن المراد به

(Kadphises I) « Porus » بالمنطقة الشمالية الغربية انظر : Rawlinson, p. 108

(34) انظر : Hitti, p. 46

(35) Cam. Hist. of India

(36) سلسلة التواريخ ص 120 .

معظمها كانت قد تحولت الى اليمن والبحر الأحمر .
ومن الجدير بالملاحظة أن هؤلاء التجار الوسطاء على
ساحل الخليج الفارسي استمروا في أعمالهم ونشاطهم
طوال قرون عديدة بدون أية محاولة للتدخل من قبل
السلوقيين اللهم الا ما كان من (Antiochus III)
الذي أغار على (Gerrha) حوالي سنة 205 ق.م
لكنه سرعان ما رضي بالرجوع تانعا بالفنائم والهدايا
من البضائع التي كان الأهالي يتجرون بها ولا يخفى أن
السلوقيين كانت لهم تجارة واسعة بالهند عن طريق
البر (إيران) وهكذا ظل الحال أيام البارثيين
(Parthians) الذين استولوا على بابل والمدائن ما
بين 140 و 130 ق.م فمهم أيضا تصروا اهتمامهم على
تجارة الهند (والصين أيضا) عن طريق البر فقط (42)
وقد كانت تكفي لتدر عليهم أرباحا طائلة . على كل حال
لم يحدث في منطقة الخليج الفارسي مثل ما حدث في
منطقة البحر الأحمر من منافسة اليونان للعرب .

/*/

لم تكد دعائم الامبراطورية الرومانية تتوطد في
سوريا وفي مصر قبيل بدء التقويم المسيحي حتى نعمت
البلاد بالاستقرار وتأمين السبل والقضاء على
القرصنة مما أدى الى شدة الاقبال على سلع
الكماليات المستوردة من الهند والصين في رومسا
والاسكندرية والمدن الأخرى ، ولذلك يعتبر القرن الأول
المسيحي ازهى عصور تجارة الهند بالغرب ، أما
التطورات التي كانت قد حدثت في سير هذه التجارة
بالنسبة الى العرب فتبينها بوضوح فى مذكرات بحار
يوناني مجهول كتبها حوالي سنة 80 م باسم
(The Periplus of the Erythraean Sea)
— تتبين منها ان الملاحين الروم كانوا اذ ذاك يبحرون
راسا من قنا أو من (Ocelis) الى
(Cranganore = Muziris)
بالجزء الاسفل من الساحل الغربي للهند وذلك في
الحقيقة يمثل تقدما كبيرا على ما جرت عليه العرب

الا انه كان بهذه المنطقة ميناء هام ربما سار اسمه مع
اللاي التي كانت تصدر منه وهو (Kolkai) (38)
وبما ان مياه البحر انحسرت وابتعد الساحل من موقع
هذا الميناء اثناء العصور القديمة نفسها اختفت الإشارة
اليه فيما عدا المصادر اليونانية الراجعة الى الفترة
التي نحن بصدددها ، ثم مضت قرون فاجأنا على اثرها
الشاعر العربي علقمة بقوله :

محال كأجواز الجراد ولؤلؤ
من القلعي والكبيسي الملوب (39)

كذلك قول ابن الرومي أيضا :

يفتر ذاك السواد عن يقق
من ثغرها كاللا القلق (40)

« القلعي » ؟ = الـ (Kolkai) لا غير . لكن
انظر ما جاء عنه فى اللسان « القلعي ضرب من الحلبي ،
قال ابن سيده : ولا أدري الى أي شيء نسب الا أن
يكون منسوباً الى القلق الذي هو الاضطراب كأنه
يضطرب فى سلكه ولا يثبت .. » ! وفى بعض الاحيان
الجات الحيرة النساخ الى التحريف : « القلعي » بدل
« القلعي » — الا ان الأمر لم يزل مغلقا .

لقد سبق أن رأينا ما كان لـ (Gerrha)
من شأن كبير فى التجارة الدولية ، يبين لنا
(Eratosthanes) (276 — 194 ق.م كيف أن أهلها —
ولاشك أن غالبيتهم كانت من العرب — كانوا يقومون
بنقل انواع الطيب والبضائع الأخرى المجلوبة من جنوبي
جزيرة العرب والحبشة الى بابل و (Seleucia)
كانوا ينقلونها بالقوافل البرية وربما أيضا بالسفن
التي كانت تصعد بدجلة الى (Seleucia) نفسها (41)
وقد كان لهم نصيب من تجارة الهند أيضا مع أن

- The Travels of Marco Polo, Broadway Travellers, London, 1931, pp. 292-293 (37)
على نهر Tamraparni باتليم Tinnevely انظر The Periplus of the Erythraean Sea (Schoff), 1912, p. 237 (38)
العقد الثمين ق 4/1 (39)
كتاب التشبيهات لابن أبي عون — تفكاركب — ص 97 (40)
Wilson, p. 45 (41)
Hourani, p. 14 (42)

من السير بمحاذاة الساحل الى «منطقة البوازيج» (43) أي كجرات (Gujerat) وربما انحدروا من هناك الى ساحل المليبار أيضا - إلا أن الروم ، على الرغم من تفوقهم هذا ، كانوا لا يزالون بعيدين من القضاء على نفوذ العرب القديم في الأسواق الهندية ، يذكر أن الروم لم يكونوا يستطيعون الحصول على الترفنة (اللحاء) الا في رأس (Guadrafui) لأنها كانت تحجب عنهم في الأسواق الاصلية بينما كان ورق تلك الشجرة ، شجرة الترفنة نفسها ، معروضا عليهم في المليبار حتى اشتهر بينهم باسم (Malabathrum) (44) وهذا ا طرف مثال للاواصر الوطيدة بين المصدرين من التجار الهندوس والوسطاء العرب ضد عملائهم الروم .

لكن لا يظن أن الاتفاق بين الشريكين القديمين كان كفيلا بمقاومة تغلغل الدخيل الجديد الذي اقتحم الميدان مسلحا بالتفوق في طرق الملاحة فان المصدر نفسه أعني (Periplus) يحدثنا أيضا عن الموالاة بين الروم وبين حمير ملوك ظفار الذين كانوا قد حلوا محل سبأ منذ حوالي 115 ق.م ، وذلك شاهد على أن العرب وان لم يكونوا قد تركوا الميدان الا أنهم كانوا قد بدأوا يهادنون خصومهم وهل ذلك الا كنتيجة للضعف والوهن ؟

ومما زاد الطين بلة ظهور منافس جديد للعرب في تجارة الهند . لا يخفى أن الهندوس كانت لهم علاقات تجارية قديمة جدا بساحل الصومال والحيشة ، لا ادل على ذلك من أن المصادر الهندوسية تحتوي على أقدم الاشارات الى « رجال التمر » و « جبال التمر (45) ، ثم أن العرب ، وان لم يرحبوا بالتجار الهندوس في الموانئ اليمنية ، كانوا قد امسكوا عن مزاحمتهم في منطقة شرق أفريقيا (46) حتى أصبحت ملقبة للتجار الهنود والعرب واليونان والروم أيضا وقد ظلت على حالها هذه الى أن بدأ الحبشيون يتطلعون في الفترة التي نحن بصدها الى نصيب أكبر لانفسهم من تجارة الهند وسرعان ما راحوا ينشدون تحالفا مع الروم ضد العرب لهذا الغرض (47) وهكذا أصبحوا عاملا جديدا كان له شأن يذكر فيما بعد .

على كل حال بلغ استهلاك البضائع الشرقية ، ولاسيما انواع الطيب ، ذروته في عهد نيرو (Nero) - 54 - 68 م - فقد ذكر بيلني (Pilny) أن المملكة الرومانية كانت تتكبد ما يقدر بمليون ومائة الف جنيه سنويا ثمنا لمشترياتها من جزيرة العرب والهند والصين وكان نصف هذا المبلغ تقريبا من نصيب الهند وحدها (48) . وقد اضطر الملوك الذين جاءوا من بعد الى مرض بعض التقشف صونا للمركز المالي الا أن حركة الاستيراد ما زالت قوية حتى كان عهد طراجن (Trajan) 98 - 117 م - الذي سعى لتضييق الخناق على العرب وذلك باعادة فتح القناة القديمة بين النيل والبحر الاحمر . (وكانت قد انسدت منذ عهد البطليموس الثاني) وتوصيلها الى بابل مصر ثم بضم اقليم النبطيين ، الذين كانوا قد ساعدوا (Aulus Galus) ضد اليمانيين ، الى مملكته وانشاء طريق رئيسي من العقبة الى دمشق واخيرا بانتزاعه جميع الاراضي الممتدة الى (Charax) و (Apologus) بأعالي الخليج الفارسي من أيدي البارتيين . لاشك أن فكرة السيطرة على هذين الميناءين كانت فكرة سليمة جريئة لانهما كانا على اتصال بحري شرقا بالهند وقد اتفق لطراجن نفسه حينما كان واقفا على رصيف Charax أن رأى سفينة تتأهب للاتلاع الى الهند فأسف على أنه لم يكن في وسعه التقدم الى تلك البلاد لكبره وكانت تمتد أيضا من الميناءين خطوط تجارية غريا الى موانئ الشام وعلى ذلك فقد أراد طراجن أن يتم له الجمع بين منطقتي الخليج الفارسي والبحر الاحمر تحت سيطرته وتلك ميزة لم تتيسر من قبل لغير دارا الاكبر والاسكندر وكان يرجى أن تكون لمثل هذه الخطوة آثار بعيدة لولا أن البارتيين سرعان ما استردوا ما كانوا قد فقدوه فاقترصت النتيجة على أن برز اسم مدينته (Palmyra) تدمر كخلف للرقيم التي خربها طراجن سنة 105 م وقد نال هذا المركز التجاري الجديد قسطا وافرا من الازدهار لأن الفريقين رأيا من مصلحتهما عدم التعرض له حتى بقي أهله يتجرون

(43) هكذا يسميها أبو الفداء : التكوين (باريس) ص 358 .

(44) Periplus ص 4

(45) المصدر نفسه ص 87 نقلا عن Speke : Discovery of the Source of the Nile

(46) المصدر نفسه ص 3

(47) Hitti ص 59

(48) Rawlinson ص 103

اشتد أيضا في الوقت نفسه مركز الأبحاث حتى أصبحوا المنازع الوحيد للفرس في تجارة الهند :

انتقل زمام الحكم من البارتيين الى الساسانيين في سنة 225 م ومن أهم ما امتاز به الساسانيون اهتمامهم بتشجيع الملاحة عند الفرس - الناحية التي لم يلتفت اليها أسلافهم قط ، يتجلى هذا الاهتمام فيما قام به أول ملوك الأسرة الجديدة ، اردشيسر الأول (225 - 241 م) من انشاء الموانئ وما اليها . وفي مطلع القرن الرابع نسمع عن حملة العرب سكان الساحل الغربي على الفرس بالساحل الآخر عبر الخليج الفارسي ثم عن انتقام سابور الثاني من العرب بعد ذلك بزمن قليل مما يدل على تقدم الملاحة واجتياز المنصرين دورا من المزج والصح في بوتقة واحدة . وفي هذه الأثناء زالت روما وخلفتها قسطنطينية سنة 330 م كما ان حمير استكملت سيادتها على الجزء الجنوبي من جزيرة العرب حتى أصبح التبغ « ملك سبأ وحضر موت ويعنات ونهامة » لكن حمير كانت الآن مهددة تماما من قبل الحبشيين الذين كان يجري في عروقهم دم المهاجرين من اليمن نفسها وفعلا بدأ ملوك كسوم (Axum) يتحرشون بسكان الساحل الشرقي للبحر الاحمر منذ اواخر القرن الثالث حتى نجحوا في النصف الاول من القرن الرابع في اخضاع حمير لسيادتهم ، ومع ان سيادتهم لم تدم الا برهة قصيرة استأنفت حمير بعدها استقلالها الا ان الحبشيين بقوا عاملا يعتد به في كل ما يتعلق بالتجارة والسياسة في البحر الاحمر .

لقد مررنا سريعا بالقرن الثالث والرابع والخامس لقلّة المصادر عنها غير ان الوثائق التي سردناها تعطينا فكرة عن التيارات الآخذة في النمو والاشتداد وما ان نصل الى القرن السادس حتى نرى نتائجها واضحة مستكملة وهي تلخص في استيلاء الحبشيين مرة أخرى على حمير سنة 525 م ، ومما يسترعي الانتباه ان ذانواس لم يكن يملك أسطولا ولم يظهر اية مقاومة الا بعد وصول المهاجمين الى البر ، ثم جاءت النهاية الكبرى للخراب الذي كان يتسرب

في كلتا الملكتين المتخاصمتين ويتقلون البضائع بينهما وذلك الى سنة 273 م - الوقت الذي رأى فيه الروم ان الفرصة قد سنحت للاستيلاء على تدمر كما كانت تد استولت على الرقيم من قبل .

يتجلى لنا في جغرافية بطليموس (حوالي 150 - 160 م) مدى التقدم الذي كان قد أحرزه التجار الروم في الاستيلاء على التجارة الشرقية وذلك طبعا على حساب نفوذ العرب ومصالحهم فقد كانوا عرفوا خليج البنغال بما فيه مصب نهر الكنك (Ganges) و « بلاد الذهب » (جنوبي ملايو) كما ان واحدا منهم على الأقل يسمى الاسكندر كان قد زار طونكينج (Tong King) ، كذلك وصل وفد منهم في سنة 166 م الى عاصمة الصين ليشكو من احتكار الايرانيين لتجارة الحرير ويعرض انشاء علاقات مباشرة عن طريق الهند (49) ومن جهة اخرى تفيدنا المصادر الهندية التاميلية (Tamil) عن وجود جاليات للروم في جنوب الهند وانخراطهم في خدمة الامراء الهنود (50) كما ان ظهور التجار الهنود في أسواق الاسكندرية - الأمر الذي يشهد به Dio Chrysostom على عهد طراجن (51) يعد دليلا على نمو العلاقات التجارية المباشرة بين الروم والهند .

وهكذا استمرت هذه الحركة قوية طوال القرنين الثاني والثالث بينما أصبحت العرب غير ذات شأن الى ان حدثت تطورات سياسية جديدة وساعات احوال روما الاقتصادية وانخفضت قيمة عملتها التي كان يتعامل بها كل من العرب والهنود فكانت النتيجة ان ركبت التجارة وتضاعفت الى ادنى حد بدليل انه لم يعثر في الهند على العملة الرومانية الراجعة الى ما بعد 211 م الا القليل النادر (52) .

*/

لقد رأينا أننا كيف ان العرب غلبت على تجارة الهند ولكن القضاء لم يمهل الروم طويلا ليجنوا من ثمرات نصرهم فسئرى كيف ان الفرس حلوا محل العرب والروم جميعا اثناء القرون التالية ، نعم وقد

(49) انظر Hirth: China & the Roman Orien, 1885 ص 173 - 178 .

(50) Rawlinson ص 121

(51) المصدر نفسه ص 140

(52) المصدر نفسه ص 151

لم ينجحوا في ذلك لما كان يتمتع به الفرس من النفوذ وحسن ادارة الامور في اسواق سيلان والهند. ولم يقتصر نفوذ الفرس عند هذا الحد بل تعداه الى انشاء مراكز لهم في سقطورة وفي (Adulis) نفسها واخيرا نراهم يطردون الحبشيين من اليمن ويفتزعونها لانفسهم حوالي 570 م .

هكذا تمت للفرس السيطرة على جميع المياه الواقعة بين سيلان من جهة وساحل شرق افريقيا من جهة اخرى ، وكان من الطبيعي ان يصبح الخليج الفارسي الطريق الرئيسي لتجارة الهند في عهدهم ، كما كان البحر الاحمر ابان نبوغ الروم من قبل . ونجد هذه الاحوال منعكسة على الشعر الجاهلي العربي والروايات التي وصلتنا عن ذلك العهد : فهل ادل على الاتصال الوثيق المستمر بين الهند والخليج الفارسي من ان الابله كانت تعرف بـ « فرج الهند » (55) كذلك يرجح ان « عدولية » في قول طرفه :

عدولية او من سفين ابن يامن (56)

يجور بها الملاح طورا ويهتدي

هي السفينة المنسوبة الى (Adulis)

مما يدل على الاتصال بينهما وبين الخليج الفارسي .

بقي ان نتساءل : ماذا كان نصيب العرب من الملاحة والتجارة في هذا العهد ؟ يبدو انه لم يكن لهم صفة مستقلة ، انما كان اهالي عمان وما حوالها

الى اليمن منذ قرون بشكل انشقاق سد مأرب ما بين 542 — 570 (53) اما الفرس فكانت مكانتهم عالية ممتازة جدا ، كانوا قد اكتسحوا الروم من الموانئ الهندية وكانوا كما يشهد به (Procopius) و (Cosmos) يتسلمون الحرير الوارد عن طريق البحر من « الصين » (Sinæ) الساحلية في سيلان بينما كانوا هم انفسهم مسيطرين على الخطوط البرية الموصلة عبر وسط آسيا الى (Seres) مصدر « السرق » (54) اي الصين الشمالية . مخرصة القول انه لم يكن احد ينفذ من الحصار المضروب من قبل الفرس على الموانئ الهندية الا الحبشيون الذين كثيرا ما ترددوا ببضائعهم ، ولا سيما العاج ، على سيلان والساحل الغربي للهند حتى على موانئ الفرس انفسهم وكانت (Adulis) (حاليا Massawa) ميناء الحبشة الرئيسي (وتعادة الهجوم على اليمن) ، في هذا الوقت مركزا تجاريا هاما لان الروم كانوا قد اضطروا الى قصر نشاطهم على الاتصال بها والحصول على طلباتهم منها ولم يكونوا يستطيعون التجاوز عن باب المنذب الا قليلا ، وهل ادل على تخرج موقف الروم وعجزهم من انهم تو ما سمعوا عن استيلاء الحبشيين على اليمن بعثوا بعيد 531 م بسفارة من قبل الامبراطور (Justinian) الى اكسوم يطلبون من الحبشيين ان يحاولوا شراء الحرير راسا من الهنود وبيعه لهم (الروم) لكي تتوفر الاموال التي كان الروم مضطرين الى دفعها لاعادتهم الفرس، وفعلا حاول الحبشيون العمل بهذا الاقتراح الا انهم

(53) المهم ان انشقاق سد مأرب كان نتيجة لا سببا لخراب اليمن وتشتت سببا . انظر Hitti ص 65
(54) ظل العالم الغربي يجهل حقيقة طويلة ان (Sinæ) التي كان الوصول اليها عن طريق البحر و (Seres) التي كان الوصول اليها عن طريق البر انما كانتا تمثلان جزئين لبلد واحد ، كما ان سكانهما كانوا من شعب واحد ، وتمثل كلمة « السرق » بالعربية (* بالانجليزية « Silk ») الحرير الوارد عن طريق البر اي ايران (بالفارسية « سره » والاصل بالمنقولة (sirkek) والصينية « ssi ») انظر (Periplus) ص 266 .

(55) تاريخ الطبري (ليدن 12 / 2021 ، انظر ايضا 2023 حيث جاء : « كان فرج الهند اعظم فروج فارس شأننا واشدها شوكة وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر »
(56) ورد ذكر ابن يامن في بيت لامرئ القيس ايضا:

او المكرعات من نخيل ابن يامن
المشقر : قصر بالبحرين (البلدان لياقوت) . يرجح الدكتور سليمان الندوي انه كان تاجرا عربيا يهوديا هناك (عربون كي جهاز رائي ص 26) .

(57) انظر (Hourani) ص 42 . اما اللغويون فنجد اقوالهم متناقضة مما ينم على نوع من التخبط : عن الاصمعي عدولي قرية بالبحرين ، وقيل موضع يسمى عدلولة ، وعن ابن الكلبي : عدولي ليسو من ربيعة ولا مضر ولا ممن يعرف من اليمن انما هم امة على حدة (كذا في اللسان « عدل ») .

قد اختلفوا اختلافا كبيرا بجيرانهم الفرس ، وكان من الطبيعي أن يشاركوهم أعمالهم مما اكسبهم دراية وخبرة . او لا نرى الى ازد عمان وهم يحتقرون لكونهم « مزونيين » وملاحين كما أن كبراءهم ربما نسبوا في معرض الهجو الى أصل فارسي (58) . أما الصور الرائعة لمناظر البحر واهواله وسير السفن فيه التي يزخر بها ديوان العرب ، فلا يصح أن تتخذ دليلا على مزاوله العرب للملاحة أو اهتمامهم بها ولا سيما اذا كان هناك ما يؤكد استهجانهم لها ، إنما كانت تلك الصور كليشاهات نقلت الى داخل الجزيرة من المناطق الساحلية (59) .

/*/

على ضوء ما سردناه آنفا من الاوضاع السائدة في القرن السادس نستطيع أن نفهم جيدا بعض الحوادث التي وقعت في أوائل العهد الإسلامي، فمثلا حملة أهل عمان البحرية على فارس وحتى سواحل الهند وكجرات بدون سابق اذن من الخليفة الثاني عمر إنما تدل على المعرفة القديمة والتحمس الجديد لإثبات استقلالهم عن الفرس الذين كانوا متفوقين عليهم من قبل ، كذلك نرى كيف أن عمر الذي كان حذرا خائفا من « حمل الدود على العود » اضطر الى السماح بمهاجمة (Adulis) لاشعار الحبشيين بانتهاء سيطرتهم السابقة على المياه المجاورة ثم توسعت الفتوح الإسلامية حتى شملت مصر من جهة والهند من جهة أخرى فكانت النتيجة أن أصبح طريقا الخليج الفارسي والبحر الأحمر تحت سلطة واحدة وتلك غاية طالما تأقت الحكومات المختلفة الى تحقيقها فلم توفق الى ازالة الحدود بين العراق وسوريا كما قد رأينا من قبل وتبع هذا التطور الجديد أن ارتفع التنافس والتسابق بين المنطقتين ورجع نشاط كل منهما الى ما كانت تقتضيه طبيعة العمران والاستهلاك المحلي ، وبما أن خط الخليج الفارسي كان أكثر استقامة واقرب مسافة وأوثق اتصالا وأن التجار لم يلجأوا الى البحر الأحمر الا للضرورة ، لذلك استمر هو الأول الطريق المفضل لتجارة الهند كما كان منذ

عهد الساسانيين ومما زاد في نشاط هذه الناحية زيادة ملهوسة انتقال عاصمة الخلافة ومركز الحضارة الى بغداد ولعل قول مستشار المنصور الذي يسط فيه مزايا الموقع الجغرافي لتلك المدينة يقوم أوضح دليل على أهمية العلاقات التجارية التي نحن بمصددها، قال دهقان بغداد للمنصور : « ... تحمل اليك طرائف الهند والهند والصين والبصرة وواسط في دجلة ... » (60) .

يصدق هذا القول ما أورده الرحالون والجغرافيون أمثال سليمان التاجر (237 هـ) وابن خرداذبه (232 هـ) والمسعودي (332 هـ) والمقدسي (375 هـ) بشأن ازدهار التجارة والعمران في الأبله وسيراف والبصرة ، لقد كانت المراكب تطلع من هذه الموانئ الى مسقط ومن هناك رأسا الى كولم الى (Quilon)

بجنوب الهند حيث كانت تفرق الطرق فاما الى ساحل الدكن (جنوب الهند) الشرقي واما الى سرنديب (جزيرة سيلان) وكله (Kedah بملايو) على الطريق الى الصين ، هذا فضلا عن حركة التجارة المتصلة بالموانئ القائمة على الساحل الغربي للهند فوق كولم ومن أشهرها الديبل على مصب نهر الهند وكتبايت وبروص (Broach الحالية) بكجرات وتانه وصيمور (Chimur) وسوباره

(Churparaka = Sopara)

بإقليم بومباي ولنقدر مدى توثق العلاقات بين المصدرين الهنود وزبائنهم بقول سليمان عن ملوك الكمك (Konkon) أنهم « يعمرون ربما ملك أحدهم خمسين سنة وترغم أهل ملكة بلهرا (Rashtrakutas = «Vallabhrai») إنما يطول مدة ملكهم وأعمارهم في الملك لمحبتهم للعرب وليس في الملوك أشد حبا للعرب منه وكذلك أهل مملكته (61) لم لا والرخاء الاقتصادي في البلاد كان يتوقف على تصريف المنتجات في أسواق العرب ؟

ومما يلاحظ في هذا الصدد أن انتشار الإسلام الى الجانب الشرقي للخليج الفارسي ساعد كثيرا على تكوين شعب واحد من الفرس والعرب سكان السواحل في تلك المنطقة وقد كانوا اختلفوا

(58) المهلب بن أبي صفرة مثلا .

(59) انظر دائرة المعارف الإسلامية « السفينة » .

(60) البلدان لياقوت (ط أوربا) 681/1 .

(61) سلسلة التواريخ ص 27 .

يركبون في البحر الغربي فربما عدلوا بتجاراتهم التي القسطنطينية فباعوها من الروم وربما صاروا بها إلى ملك فرنجة فيبيعونها هناك ، وان شاعوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بانطاكية ويسيرون على الأرض تلك مراحل إلى الجابية ثم يركبون في الفرات إلى بغداد ، ثم يركبون في دجلة إلى الأبله ومن الأبله إلى عمان والسند والهند والصين كل ذلك متصل بعضه ببعض (63) .

ثم يحدثنا ابن خرداذبه عن التجار الروس الذين كانوا يقومون بالعمل نفسه :

« هم جنس من الصقالبة فانهم يحملون جلود الخنز وجلود الثعالب السود والسيوف من أقصى صقلية إلى البحر الرومي فيعشرهم صاحب الروم وان صاروا في تنيس نهر الصقالبة مروا بخليج مدينة الخنز فيعشرهم صاحبها ثم يصيرون إلى بحر جرجان ... وربما حملوا تجارتهم من جرجان على الأبل إلى بغداد ويترجم عنهم الخدم الصقالبة ويدعون أنهم نصارى فيؤدون الجزية ، فأما مسلحهم في البر فان الخارج منهم يخرج من الأندلس أو من فرنجة فيعبر إلى السوس الأقصى فيصير إلى طنجة ثم إلى افريقية ثم إلى مصر ثم إلى الرملة ثم إلى دمشق ثم إلى الكوفة ثم إلى بغداد ثم إلى البصرة ثم إلى الأهواز ثم إلى فارس ثم إلى كرمان ثم إلى السند ثم إلى الهند ثم إلى الصين (64) .

أما البضائع والمنتجات التي عرفت الهند بها بين العرب فقد أشار إليها بالأجمال أيوب بن القرية (من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث) حينما سأله الحجاج عن الهند فأجاب بقوله : « بحرها در وجبلها ياتوت وشجرها عطر » (65) . وقد عرض لها بالتفصيل أبو زيد السيرافي حيث قال :

« بحر الهند والصين الذي في بطنه اللؤلؤ والعنبر ، وفي جباله الجواهر ومعادن الذهب ، وفي أفواه دوابه العاج ، وفي منابته الإبنوس والبقم والخيزران وشجر العود والكافور والجوزبوا والقرنفل والصندل وسائر الأنواع الطيبة الذكية وطبوره الغفافي (يعني البيفارات والطاويس) وخرشبات

وأمتزجوا إلى حد كبير في العصر السابق ، ولذلك تراهم في العصر الإسلامي يشتركون في أعمال الملاحة والتجارة اشتراكهم في استعمال اللغة العربية كتابة وخطابة مما يجعل من الصير التمييز بين العنصرين ، إلا أن نظرة واحدة على أسماء النواخذة الوارد ذكرهم في كتاب عجائب الهند ليزرك بن شهريار (62) تكفي للتدليل على وجود العنصر الفارسي بل وعلى غلبته أيضا .

أما مقدار التجارة عن طريق البحر الأحمر فكان وفقا لحاجة مصر لا غير والسبب نفسه يرجح أنه زاد كلما ارتفع شأن مصر على اثر انحلال الدولة العباسية لاشك أن عمر كان قد جدد فتح القناة القديمة بين النيل والقلمز إلا أنه لم يكن يستهدف من ورائه غير نقل الميرة إلى الجار ميناء المدينة .

وأخيرا يجب التنبيه على أن ظهور الإسلام وان أدى إلى قيام دولة واحدة تشرف على طريقي الخليج الفارسي والبحر الأحمر إلا أنه في الوقت نفسه سبب القطيعة بين الدولة الجديدة وبيزنطة ، تلك القطيعة التي استمرت طوال القرون المتعاقبة بحيث لم تكن تسمح لتجار إحدى الدولتين بالأطمئنان إلى انشاء صلات مستديمة مع الدولة الأخرى فكانت النتيجة ان انحصرت مهمة نقل البضائع بين دار الإسلام وبلاد المسيحية في أيدي اليهود الذين يتحدث عنهم ابن خرداذبه بقوله :

« يتكلمون بالعربية والفارسية والرومانية والافرنجية والاندلسية والصقلية وانهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برا وبحرا ، يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخنز والفراء والسمور والسيوف ، ويركبون من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالفرما (Pelusium) ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلمز ... ثم يركبون البحر الشرقي من القلمز إلى الجار وجدة ، ثم يمضون إلى السند والهند والصين فيحملون المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا إلى القلمز ثم يحملونه إلى الفرما ، ثم

(62) Leide, 1883-86

(63) المسالك والممالك 153 — 154 .

(64) المسالك والممالك 153 — 155 .

(65) الاخبار الطوال للدينوري ص 326 .

أرضه الزباد وخباء المسك وما يحصيه أحد لكثرة
خير» (66) .

هذا وقد جمع أحد من الشعراء الموالي اسمه
أبو الضنع (كذ) في معجم المرزبانسي 513 وفي
المفهرست 174 «أبو الصلح» (السندي كل ما
امتازت الهند به من وفرة الإنتاج واشتهرت به من
جودة الصناعات في آبيات رائعة في معرض المدح
والافتخار، قال :

لقد أنكر أصحابي : وما ذلك بالأمثل
إذا ما مدح الهند وسهم الهند في المقتل
لعمري أنها أرض إذا القطر بها ينزل
يصير الدر والياقوت والدر لمن يعطل

فمنها المسك والكافور والعنبر والمندل
وأصناف من الطيب ليستعمل من يتفل
وانواع الأغاويه وجوز الطيب والسنبل
ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
وان أتوتيا فيها كمثل الجبل الأطول
ومنها الببر والنمر ومنها الفيل والدغفل
ومنها الكرك والبيغاء والطاووس والجوزل
ومنها شجر الرانج والساسم والفلفل
سيوف ما لها مثل قد استغنت عن الصيقل
وأرماع إذا ما هزت اهتز بها الجففل
فهل ينكر هذا الفضل إلا الرجل الأخل ؟

الآثار للقرظيني ص 85 وانظر الحيوان 50/7 .

الألفاظ الهندية المعربة

بعد . وعلى هذا فالتأكد من كون الهند الموطن الأول
لبضاعة من البضائع إذا اقترن بثبوت استيراد العرب
لتلك البضاعة منها (الهند) ينهض دليلاً قوياً . بل
قاطعاً . في كثير من الأحوال ، على أن الاسم هندي
الأصل كالبضاعة ذاتها . فمن الأمثلة المتفق عليها من
هذا القبيل الموز والكافور والقرنفل والصندل والساج
والمسك والليمون والনারجيل وأسماء عدد من العقاقير
كالطريفل وجميع أصناف التوابل تقريباً كالفلفل ،
وسنرى أننا لو سرننا على هذه القاعدة لكان في
وسعنا أن نلقي بعض الضوء على أصول عدد من
الكلمات التي لا يزال يكتنفها شيء من انغموض .

ولا يخفى أن لبحثنا هذا جانباً آخر على درجة
كبيرة من الأهمية وهو أن معظم تلك الكلمات التي
يقال عنها أنها عربية دخيلة في اللغات الأوربية ،
ولاسيما الإسبانية والفرنسية والانجليزية ، هي في
الأصل معربة عن الهندية واللغات المحلية لمناطق أخرى
شرقي الهند ، وذلك لأن تلك الكلمات إنما شقت
طريقها إلى أوربا عن طريق التجارة على أيدي
العرب ، ولكن العرب لم يكونوا منتجين في أي
من حقلَي الزراعة والصناعة لا لشيء إلا لان الطبيعة
حرمتهم من الثروة النباتية والمعدنية . إذن فكان

أن العلاقات التجارية بين الهند والعرب راسخة
في القدم تتمثل في الأسماء الهندية المعربة أكثر منها
في إشارات أو روايات في بطون المجاميع الأدبية
والتاريخية أو المؤلفات الجغرافية ، وقد استحضرت
في ذهني عدداً من المفردات المتعلقة بالتجارة وما
اليها أتوسمها لعلها قد بقي فيها بعد طول اغترابها
ما يمكننا من ردها إلى أصلها الهندي العتيق ،
وأقدم فيما يلي بعض النتائج التي وصلت إليها بشأن
أصل طائفة من الألفاظ المعربة ، والتي ربما اعتبر
بعضها عربياً محضاً .

ويهمني أن أتوه في هذا المقام بظاهرة ربما
يكفل إبرازها القضاء سلفاً على أي استفراب يلحق
القاريء فيما بعد ، وهي أن العرب الأول الذين
نراهم عبر التاريخ يغامرون بحياتهم في لبحج البحر
الهندي إنما دأبوا على ذلك ليحلبوا من الهند وما وراء
الهند لا البضائع فحسب بل أسماءها المحلية أيضاً
كما سمعوها من أفواه الذين اختلطوا بهم وعاملوهم ،
وسيدرو ذلك طبيعياً إذا نحن قدرنا أن معظم تلك
البضائع هي التي لم يعرفها العرب في أوطانهم وغير
أوطانهم من قبل ، بل إنما عرفوها لأول مرة في
الهند ثم عرفها العالم الغربي عن طريق العرب فيما

المصريين وبدأوا ينطقونها «المناخ»... (2) الحقيقة ان اصلها «رهمانج» عند ابن ماجد (69) وهو تحريف البحارين لكلمة «الراهنامج» التي جاء عنها في التاج 51/2 : «فارسية استعملها العرب واصلاها «راه تامه» ومعناه «كتاب الطريق»... وهو الكتاب الذي يسلك به الرابطة... في سفر البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها» كالشعب ونحو ذلك » .

صناعة السيوف وما اليها

(1) الآنسك : لقد اصاب ادى شير القول بانها قريبة من «Ranga» بالسنسكريتية (الفارسية : آهك) ، والرصاص الابيض معروف الى الآن في الهند بذلك الاسم ، وهو جزء من كلمة «الاسرنج» - اصلها ان يكون «h'sang» (70) الا «سرخ + آنسك» كما اورده ادى شير)

اما معدن الرصاص فيقول عنه مسعر بن مهلهل (القرن الرابع الهجري) : « انها (كله) اول بلاد الهند مما يلي الصين ، وانها منتهى مسير المراكب : ولا يتهيأ لها ان تجاوزها والا غرقت ،

الاقدار حتمت عليهم ان يقوموا بدور الوسيط في جلب البضائع الهندية والصينية وتوصيلها الى اوربا الى ان قدر لاوربا الاتصال مباشرة بالشرق الاقصى في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وهو لعمرى دور لعبه العرب لا بجرأة وكفاءة فحسب بل بامانة تركت اطيب الاثر واعمقه في نفوس السكان غير المسلمين لمختلف مناطق الهند الساحلية . فهذه الظروف تقرر علينا . كلما وجدنا في اللغات الاوربية كلمة تتعلق بالملاحة (67) او التجارة على ايدي العرب في المحيط الهندي ، ان نواصل البحث عن اصلها الهندي بعد ان نهتدي الى شكلها المعرب في العربية ، ولعل في مقارنة الطرفين الاوربي والهندي ما يكشف لنا بعض ما غمض على المتأخرين من العرب انفسهم في بعض الاحيان .

فمثلا كلمة (Almanac) لم يشك احد في انها انتقلت الى اوربا عن العرب لكن حار الباحثون في الاهتداء الى اصلها فقالوا انه « المناخ » (محيط المحيط - ن و خ) او ان العرب الاندلسيين استعاروا كلمة **БА ВІХІАЗНУ Ъ** (68) من

(67) لقد صرح السعودي : فيما يتعلق بالملاحة ، ان العرب حرصوا على الأخذ بالالفاظ المحلية في مختلف المناطق التي تردوا عليها ، انظر الى قوله : « انما نعبّر بلفظة اهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم » المروج 332/1 (ايضا 343 : « انما نخبر عن عبارة كل بحر وما يستعملونه في خطابهم » .

ويلاحظ ايضا في هذا الصدد ان العرب لم يأخذوا الكلمات الهندية من اللغة السنسكريتية الفصيحة ، ولاهم اعتنوا بأشكالها الصحيحة في الكتابة ، بل انما أخذوها من افواه التجار وسكان المناطق الساحلية التي كانوا يترددون عليها ، ولا يخفى ان تلك المناطق كانت ولا تزال تسودها لهجات متعددة بل لغات مستقلة .

Hob.-Job. - « Almanack » (68)

Ferrand : Instructions Natives, Tome I ص 60 « رهمانج » - 88 « رهمانجات » - 76 « رهمانجا » .

واللبس مثل الذي نشاهده في اول هذه الكلمة كثير شائع فيما يتعلق بالكلمات الاعجمية التي في اولها حروف تقارب الالف واللام . فكلمة « انجر » (Anchor) مثلا اصلها بالفارسية « لنكر » (القاموس - نجر) ، اضاف العرب عليها الالف واللام (ال لنكر) ، ثم التبس عليهم الامر فظنوا ان اللام ليست من الحروف الاصلية (النكر) وقالوا « انجر » - وكذلك الرصاص من « اريز » (انظر ادى شير) ، والماس من « Adamas » (Periplus) ص 224 وانظر بزرك ص 128 « الادماس ») بتمامه كلمة غير عربية والالف واللام من بنية الكلمة ، كذا في شفاء الفليل واللسان (ماس) عن ابن الاثير - وسيأتي الآنسك من « Ranga »

يلاحظ ايضا انهم كثيرا ما يحذفون الكاف والميم من الاول في التعريب ، انظر مثلا الرند = كرندة و « انباتي » نسبة الى كنيات و « انبجاني » نسبة الى « منبج » واترج / ترنجج تعريب « ما تلنفا » - وكذلك الواو يسقط من الاول مثل « النج » من « valgu » وارز من « virizi »

Watt (70) ص 707 .

وبها قلعة يضرب بها السيوف القلمية . وهي الهندية العتيقة لا تكون في سائر الدنيا الا في هذه القلعة . . وليس في جميع الدنيا معدن الرصاص القلمي الا في هذه القلعة « (71) .

فالنسبة في «السيوف القلمية» و «الرصاص القلمي» (الفرنسية : Alkalap الى هذه انعمه بـكله (72) وقد شهد الادريسي ايضا بأنها المعدن الوحيد للرصاص الابيض بالنسبة الى العالم اجمع في زمانه ، فانه يقول :

« وبهذه الجزيرة (كله) معدن الرصاص القلمي . وهو بها كثير صافي الجوهر ، والتجار يفشونه بعد خروجه عنها ، ومنها يتجر (يجهز) به الى جميع الارض » (73) .

ثم يظهر ان مثل هذا المعدن نجم في الاندلس ايضا فيما بعد ، فبدأ التجار يتجولون عن الهند اليها ، حتى اذا مضى زمن خلط الناس بين المعدنين كما في قول ياقوت :

« القلعة فيما زعم مسعر بن المهلهل بلد في اول بلاد الهند من جهة الصين ، واليه ينسب الرصاص القلمي والسيوف القلمية ، واقليم القلعة من كورة قلبرة بالاندلس ، وانا اظن الرصاص القلمي منسوباً اليها او الى قلعة بالاندلس فانه من هناك يجلب » (74) ان شهادة مسعر بن المهلهل والادريسي ليست موضع الشك ، وكل ما افادنا ياقوت هو ان الرصاص الابيض كان في ايامه يجلب من الاندلس بعد ان كان يجلب من القلعة بـكله من ذي قبل . ولعل في الاخذ باسم « القصدير » - الذي يرادف الآنك الا انه معرب عن اليونانية - ايضا دلالة على التحول المشار اليه من الشرق الى الغرب .

ثم انه يرجح عندي ان المراد ليس « القلعة بـكله » بل كلمة « قلعة » هي تعريب « كله » لا غير ، والمعدن المسمى « كله » باللغة المحلية انما كان واقعا على الساحل الغربي لشبه جزيرة ملايو ،

وقد ذهب الباحثون الى ان « كله » توازي « Kedah » أو « Kra » الحالية (75) .

وبلاحظ ان اهم ما اشتهرت به سيوف الهند جودة الصقل ، وهو عمل لا يتأتى الا بالآلئ الذي استأثرت القلعة بانتاجه ، اما الحديد اللازم لصناعتها فقد اورد الادريسي بشأنه ما يلي :

« ان بلاد سفالة (سفالة الزنج أي شرق افريقيا) يوجد في جبالها معادن الحديد الجيد الكثيرة ، واهل الرانج (الزانج ؟) وغيرهم من ساكني الجزائر المطيفة لهم يدخلون اليهم ويخرجونه من عندهم الى سائر بلاد السند وجزائره فيبيعونه بالثمن الجيد ، لان بلاد السند اكثر تصرفهم وتجاراتهم بالحديد ، ومع ذلك وان كان الحديد موجودا في بلاد الهند ومعادنه بها ففي بلاد سفالة هو اكثر واطيب وأرطب ، لكن الهندين يحسنون صنعه وتركيب اخلاط الادوية التي يسبكون بها الحديد اللين فيعود هنديا منسوباً الى الهند ، وبها ديار الضرب للسيوف وصناعتهم يجيدونها فضلا عن غيرهم من الامم ، وكذلك الحديد السبتي (كذا وفي نسخة أخرى: السندي) والسرنديبي والبينماني كلها تتفاضل بحسب هواء المكان وجودة الصنعة واحكام السبك والضرب وحسن الصقل والجلء ، ولا يوجد شيء من الحديد أمضى من الحديد الهندي ، وهذا شيء مشهور لا يقدر احد على انكار فضيلته » (76)

هذا وقد كانت البيلمان (البيلمان) مركزا آخر هاما لصناعة السيوف تنسب اليه السيوف البيلمانية ، وكانت تقع على ملتقى حدود السند والهند كما يتضح مما ورد في شأنها في فتوح البادان للبلاذري ص 440 و 442 ، اما القول بانه « يشبه ان يكون (البيلمان) من ارض اليمن » (انظر البلدان لياقوت و القاموس « ب ل م ») فلا يقوم على سند .

(71) القزويني 69 وياقوت « القلعة » و « الصين » .

(72) المغرب للجوالقي ، تحقيق احمد محمد شاكر - ص 276 .

(73) دار الكتب المصرية ، جغرافيا رقم 150 ص 130 .

(74) المشترك والمفترق 357 .

(75) انظر دائرة المعارف الاسلامية « Kalah » و « Kal'i » .

(76) ص 108 - 109 . قارن ابن الوردي ، القاهرة 1328 هـ ، ص 51 .

الرمح

تلك هي قصة السيوف التي لم تزل تحمل نسبتها الى انهد كسماز لجودة الصنعة وحسن الصقل ، ولنتقل الآن الى الحديث عن الرماح التي حوت نسبتها الى الهند على مر الزمان ، الا انه يمكننا اذا معنا النظر ان نستشفها من وراء كلمات لا تزال تحمل سمات الغرابة والغربة مع انها كثيرا ما عدت عربية لا لشيء الا لعدم الاهتداء الى اصلها .

يتكون الرمح من جزئين : الاول هو النصل أو السنان ، والثاني هو القنّاء . وغنى عن البيان أن صناعة السنان متجانسة مع صناعة السيوف بل هما صناعة واحدة ، وعلى هذا يصبح من الطبيعي أن يغيب الظن بأن العرب ربما استعملوا الأسلحة المصنوعة في الهند الا انه لا يعدنا من الدليل الإيجابي ما يرتفع بهذا الظن الى درجة اليقين ، فاننا نراهم يستعملون بعض الكلمات الهندية للتعبيرات الدقيقة المتعلقة بهذه الصناعة . انظر الى كلمة « الخرص » تبدو كأنها دخيلة على مادة « خ ر ص » العربية . فالخرص تعني الجزء الاعلى الذي فيه الحد من السنان ، وهي بهذا المعنى توازي كلمة « Kirch » بملالم (Malayalam) إحدى اللغات الدكنية - ولأردوية أيضا ، ولعل أصلها في لغة جاوة وملايو « Kris, Kiris, Kres » (77) - وربما اطلقت الكلمة على القضيبي والرمح نفسه كما قال حميد وابن ثور : « عض الثقاف أنخرص الخطيا » (78) ولا يخفى أن هذه النسبة الى الخط هي أقوى ما يؤيد الأصل الهندي للرمح المنسوبة اليها لان الخط لم تكن الا مرفاً لسفن الواردة من الهند كما سنبين ذلك بالتفصيل فيما بعد .

أما الجزء الثاني ، وهو بلا شك أهم الجزئين فقد كان العرب شديدي الاهتمام بالقنا والانتقاء لها حتى أن الشعر العربي يزخر بأوصافها ونوعاتها الا أن كثرة استعمال العرب للاسماء المختلفة للقنّاء وما يتبعها وجريها على سنتهم مجرى الكلمات العربية في الاشتقاق وما الى ذلك جعلنا أصل تلك الأسماء نسياً منسياً . هذا مع أنه قد ثبت بصورة

Hob.-Job. - « Crease, Cris » (77)

(78) اللسان 8 / 287 .

Hob.-Job. - « Candy » (79)

فاطعة لا يتطرق اليها أي شك أن منبت القنا الذي كان العرب يعتمدون عليها لسد حاجتهم - وما أكثر تلك الحاجة - لم يكن غير الهند كما سنبين ذلك آنفاً بعد أن نسوق بعض المقدمات ونتعرض لبعض الملابس التي لا بد منها نظراً الى غموض الموضوع .

أولاً : القنا = قصب السكر . لا يخفى أن إطلاق القنا على هذا المعنى إنما هو على سبيل التبعية والمجاز . وأن كان ذلك مطابقاً للمألوف في اللغة السنسكريتية وبعض اللغات الهندية الأخرى . وعلى كل حال فالمرجح عند العلماء هو أن موطن قصب السكر الأصلي لا يتجاوز ما بين بنغالة والهند الصينية (79) والدليل على ذلك أن جميع منتجات قصب السكر اشتهرت في العالم بأسمائها الهندية وهاكها فيما يلي :

1 - Candy = الفارسية والعربية « قند » = سنس « Khanda » وملالم « Kandi » (79) .

2 - العربية « فانيد » = الفارسية « بانيد » = سنس « Phanita » - فارن « Penidium » Med. Lat. وقد ذكر ابن حوقل والبشاري الفانيد من أهم الصادرات من مدن السند: فنجبور ومولتان وطوران .

3 - Sugar = العربية « سكر » = الفارسية « شكر » = البراكرتية « Sakkara » / سنس « Sarkara » .

ومن الطريف في هذا الضدد أن الهنود ، وأن كانوا أول من قام بإنتاج السكر ، سرعان ما بدأوا يستوردونه من الصين ومن مصر ، وذلك لأن الصينيين والعرب ، الذين نقلوا زراعة قصب السكر من الهند الى الصين والى مصر (ثم الى صقلية والاندلس) ، لم يلبثوا أن سبقوا الهنود في ابتكار وسائل جديدة للتكرير ، ففاق الصينيون في صنع سكر ناصع البياض بشكل قطع صغيرة ، كما أن المصريين اختلفوا بصنعه بشكل قطع كبيرة ، ولم تزل الهند تستورد ذبك الصنفين من السكر من

الصين ومن مصر الى مطلع القرن الماضي حتى انهما يعرفان الى الآن فى اسواق الهند باسم « صيني » و « مصري » على الترتيب (80) .
ثانيا : القنا بمعنى الرمح . يلاحظ فى هذا الصدد ان هناك شيئا يشبه السكر كثيرا ما يتكون داخل القنا (Bamboo Sugar) يسمى عند العرب والفرس « الطباشير » وكان استعماله كدواء شائعا

جدا فى العصور الوسطى ، ومن المتفق عليه ان كلمة انطباشير انما هي منقولة عن سنس « Trakkshira » اي انها هندية الاصل (81) .
ثم ان الخيزران يصفه العرب انفسهم بانه شجر هندي وهو عروق القناتة (انظر الصحاح والتاج « خزر ») افلا يكون القنا اذن شجرا هنديا ؟ والخيزران الهندي (82) هو الذي يتمثل به فى

(80) « Sugar » - Hobson-Jobson

ومما يشهد ببراعة المصريين فى هذا المضمار القطعة التالية منقولة عن ماركو بولو (Ramusio II, 44) :

« And before this city » (a place near Fu-chau) « came under the great Can these people knew not how to make fine sugar ; they only used to boil and skim the juice, which when cold, left a black paste. But after they came under the Great Can some men of Babylonia » (i.e., of Cairo) « who happened to be at the court proceeded to this city and taught the people to refine the sugar with the ashes of certain trees » - 1298 A.D.

ومجلة « اللسان العربي » تلاحظ ما يلي :

كان السكر يصنع فى شقي العروبة بافريقياسا : المغرب ومصر وقد حدثنا المقرئى انه كان بسمهود سبعة عشر حجرا لعصر القصب كما كان يعلوى عدة احجار (انخطط ج 1 ص 203) وكذلك فى قابس وجولوا (البكرى فى المسالك جزء افريقية والمغرب ص 17 و 32) .

وقد أكد ماس لاطري Latrie ان المغرب كان يصدر السكر فى القرن الثالث عشر الميلادى الى الفلاند والبندقية (علائق وتجارة افريقيا الشمالية ص 376) وقد نبه الحسن بن محمد الوزان المعروف - Léon l'Africain على وجود السكر بسوس قبيل السعديين ولكن الشرفاء السعديين هم الذين جلبوا اساليب تصفية هذا السكر وتبييضه فى معاصر ساهم الاسرى المسيحيون فى تأسيسها باكادير وخاصة ، سكساوة وشيشاوة (مستندات دوكاستر ج 1 ص 303) .

ويوجد نص رسالة موجهة من مولاي محمد بن عبد الغالب - المسلوخ - عن اذن والده الى ملك فرنسا مؤرخة من قصر الدار البيضاء (فاس الجديد) فى رجب 968 (مارس 1561 م) حول استعداد المغرب للسماح للملك شارل التاسع باحتكار سكر المغرب بشرط دفع ثمنه بالسعر المغربى مع زيادة نسبة فى المائة وكذلك اصدار النحاس المغربى لفرنسا طبقا لرغبة ملكها بشرط دفع ثمنه سلاحا وعتادا (السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 746) .

ولما عجز الاوربيون المعجوبون لعصر قصب السكر فى معمل اكدال بمراكش وتصفيته واخراجه من القوة الى الفعل عن اتمام عملياتهم جلب محمد بن عبد الرحمن الصناع المهرة من مصر القاهرة (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 556) .

واسس مولاي الحسن عام 1878 مصنعا للسكر بمراكش وكلفه ذاك نفقات باهظة. ولكن هذا المصنع احيل بعد سنوات الى مدبغة للجلود (كامبو ص 59) .
وقد كان البلاطان الفرنسى والانجليزى يتنافسان فى القرون الاخيرة على اقتناء السكر المغربى المكرر لصفائه وجودته .

(المعجم التاريخى للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ص 38) .

(81) « Tabasheer » - Hob.-Job.

(82) لقد عرف العرب ان بلاد الروم كانت تمتاز بمنابت الخيزران كما يقول النابغة الجعدي : « بلادهم بلاد الخيزران » (انظر اللسان - خزر) الا انه من المحقق انهم كانوا يجلبونه من الهند ويتمثلون بالهندي منه فى شدة اللون . كذا فى محيط المحيط - خزر . وقد اورد القزويني فى الآثار ص 38 عن كله : « بها منابت الخيزران منها يحمل الى سائر البلاد » .

(x) وقد كان اهل Magan اي عمان يستوردون الاخشاب من نفس هذه المنطقة وذلك اربعة آلاف سنة قبل المسيح - انظر : Wilson : The Persian Gulf, p. 27

شدة اللين ومنه قولهم : الخيزرى والخوزرى
والخيزلى = مشية فيها تفكك .

وربما اقترن اسم القنا بالقسط ما عدا الخيزران
عند الربانة والجغرافيين العرب كما سنرى ،
ومن المسلم به ان القسط او الكسط هندي بحث
(سنس « Kustha ») وانما نسبوه فى بعض
الإحيان الى ظفار باليمن لانه كان يجلب اليه من
الهند ، القاموس « ظفر » .

ولنبحث الآن عن المواضع التى كان العرب
يترددون عليها لجلب القنا منها . نجد انها لا تتجاوز
ساحل السند والساحل الغربى والجنوبى لمنطقة
الدكن بالهند (**) : فهذا قول ابن خرداذبه 62 :
« ومن السند يجيء القسط والقنا والخيزران »
ويقول ايضا : « ومن مهران الى اوتكين وهى اول
أرض الهند مسيرة اربعة ايام ، وفى هذه الارض
ينبت القنا فى جبالها والزرع فى اوديتها واهلها
عتاة مرده لصوص » - كذلك يقول ابن الفقيه 251 :
« خص الله بلاد السند والهند ب... القنى
والخيزران ... » - وهذه شهادة مسعر بن مهامل
يقول : « وخرجت الى سواحل البحر الهندي
متياسرا فسرت الى بلد يعرف بمدورقين منابت
غياض القنا وشجر الصندل ومنه يحمل الطباشير
وذلك ان القنا اذا جف وهبت عليه الريح احتك
بعضه ببعض واشتدت فى الحرارة الحركة فانقذحت
منه نار فربما احقرت منه مسافة خمسين فرسخا
او اكثر من ذلك ، فالطباشير الذى يحمل الى
سائر الدنيا من ذلك القنا . فما الطباشير الجيد
الذى يساوي مثقاله مائة مثقال او اكثر فهو شيء
يخرج من جوف القنا اذا هزت وهو عزيز جدا ... »
ثم يقول عن مدينة كولم ايضا : « والخيزران والقنا
بها كثير جدا » (انظر ياقوت « الصين ») . كذلك
يقول الادريسي : « ومدينة تانة (بالقرب من
بومباي) جايلة ... وبجبالها وارضها ينبت القنا
والطباشير يتخذ فيها من اصول القنا ومنها يحمل
الى سائر البلاد من المشارق والمغرب » - ص 297 .
وبعد ان تفقدنا منابت القنا وجب علينا ان نقتفي
آثار نواخذة العرب لئرى اين تفرغ سفنهم حملتها

وهاك ما يقوله ابن سيده (المخصص 34/6) عن
« الرماح الخطية » اشهر الرماح عند العرب : (الخط
مرقا السفن بالبحرين (**) ينسب اليها الرماح
وليست الخط بمنبت لها ولكنها مرقا السفن التى
تحمل القنا من الهند كما قالوا مسك دارين (**)
وليس هناك مسك ولكنها مرقا السفن التى تحمل
المسك من الهند) .

ترى كيف ان القناة المطلوبة من منابتها بالهند
والتي ركب عليها خرص او سنان مصنوع فى مصانع
السيوف حول معادن الرصاص القلعي بالهند ، كيف
ان هذه القناة هى التى تصبح « رمحا خطيا » بمجرد
دخولها حدود جزيرة العرب ؟

السهمري :

والحديث عن « الخطي » يذكرنا على الفور بـ
« السهمري » و « الرديني » . لو رجع احد الى
اللفويين واصحاب المعاجم لوجدهم يقولون ان
السهمري نسبة الى سهمر والرديني نسبة الى ردينة
وهما زوجان كانا يقومان ببيع الرماح بالخط ، ولكن
المتبع للشعر العربي والمتأمل فى اقوال اللفويين
 واصحاب المعاجم انفسهم لا يلبث ان يتبين ان
السهمري يفاير الرديني تماما من حيث الصفات
النسوبة الى كل منهما ، فالسهمري يمتاز بصفتين
هما : - 1 - الاعتدال ، - 2 - الصلابة ،
اما الرديني فيتميز بصد الصلابة وهو اللدونة لانه
هو الذى يهتز دون السهمري . وعلى هذا فيا له من
تحديد الاختصاص بحيث يمارس الزوج والزوجة بيع
رماح من نوعين مختلفين - ولعل المفروض انهما
كانا يتخذان محليهما جنبا الى جنب فى سوق
الخط - بدون ان يطفى الواحد منهما على الآخر !
ويا لها من مراعاة للمناسبات والصلاحيات بحيث
يكون بيع الرماح الصلبة من حصة الزوج وبيع
الرماح اللدنة من نصيب الزوجة !! وما يزيد اقوالهم
ارتباكا كما يزيدنا ارتيابا ان احدا منهم على الاقل
- وهو الزبير بن بكار - ذهب الى ان سهمر كانت
قرية بالحشة (انظر التاج حيث جاء ان الصاغاني
انكر هذا القول) كما ان بعضهم قال ان سهمر اسم
امراة كانت تقوم الرماح !!!

(*) ذكر Pliny اسم موضع Chateni يقع على سواحل الخليج هو الخط ولا شك ، (الدكتور
جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام 309/2) .

(*) Daden/Dirin = البحرين او جزيرة بالقرب منها - (Heeren, II, 230)

كبير عناء بعد ان حططنا الاغلال التي كانت تقيّد فكرنا . كفانا ان ننظر الى كلمة « Rattan » بالانجليزية هي اسم لنوع معين من الخيزران غاية في المتانة والجودة وتمتاز قناته اكثر من اي شيء آخر بالمرونة واللدونة ، انظر « Rattan » - (Hob.-Job) ومما لا يشك فيه ان هذه الكلمة بالانجليزية منقولة عن « Rotan » بلغة ملايو والهند الشرقية . فهل يستبعد ان تكون (ردينة) الحلقة الوسطى بين « Rotan » من جهة و « Rattan » من جهة اخرى ليس الا ؟

القننا :

لقد آن لنا ان ندون بعض الملاحظات عن اصل كلمة «القننا» . اننا رأينا ان العرب ، مع كثرة وصفهم للرمح ، لم يذكروا اي منبت للقننا في ديارهم . بل بالعكس اجمعت الادلة كلها على انهم كانوا يعتمدون على منابت القننا بالهند ، ولا يفوتنا في هذا المقام ان نذكر ما أورده الجاحظ (البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون 16/3) من ان الشعوب طعنوا في العرب بقولهم : « انما كانت رماحكم من مران واستنكم من قرون البقر . . . » - لعل مغزى هذا المطن لا يعدو ان العرب لم يجدوا في ديارهم ما يمكنهم من صنع الرماح بجزئها القننة والسنان - واخيرا يجب علينا ان لا نغفل اعتبار الاحوال الطبيعية اللازمة لنمو القننا وهي تنحصر في سفوح جبال تهطل عليها السماء مدارا ثلاثة أو اربعة أشهر متتالية في السنة . افيوجد مثل هذه الاحوال في جزيرة العرب او شرقها وغربها الا في السند والدكن اي الساحل الغربي والجنوبي للهند ؟ ويخيل الي ان قول الزبير بن بكار السالف الذكر (بان سمهر كانت قرية بالحيشة) يخفي وراءه حقيقة ثابتة وهي ان العرب في وقت من الاوقات اتخذوا من الحيشة بديلا من الهند ، مرجعهم الفضل ،

ان المهم في هذا كله هو ان الزوجين ، على حد تعبير اللغويين ، كانا يبيعان الرماح بالخط والخط ، كما رأينا آنفا ، لم تكن الا مرفا للسفن الواردة من الهند ، اذن فمن المؤكد ان السمهريات والردينيسات كانت رماحا هندية ، هذا بفض النظر عن من قام بأعمال بيعها او توزيعها في الخط . افيستغرب بعد هذا ان يكون التجار العرب قد اخذوا اسمى الصنفين من الرماح - الصلب واللدن - من افواه التجار الهنود ؟ ان مثل هذا القياس يوافق مقتضى طبيعة المعاملات التجارية كما انه يصادف حرص العرب على تسمية الاشياء والبضائع التجارية بأسمائها المحلية . فربما يكون سمهر اسما هنديا جابه العرب مع مسماه (اي الرماح الممتازة بالاعتدال والصلابة) الى الخط وطبعاً خفي امره على الناس لكونه غير عربي ، فلذلك لم يفقهوا غير انه انتشر بين العرب عن طريق ذلك المرفأ بالبحرين (83) .

ولعل القاريء الأريب يتبين في قول ياقوت الآتي تأييدا لجميع ما قدمنا آنفا . يقول ياقوت : « سمهر قرأت بخت أبي الفضل بن العباس بن علي الصولي المعروف بابن برد الخيار . . . قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني الزبير بن بكار قال الرماح السمهريّة نسبت الى قرية يقال لها سمهر بالحيشة . . . قلت انا وحدثني بعض من يوثق به ان هذه القرية في جزر من النيل (الأثار للقزويني ص 30 « جوف النيل ») يأتي من أرض الهند على رأس الماء كثيراً من القننا فيجمعه أهل هذه القرية ويستوقدون زواله ويبيعون جيده وهو معروف بأرض الحيشة مشهور - وقول من قال ان سمهر اسم امرأة كانت تقوم بعمل الرماح فانه كلف من القول وتخمين (**) » .

الرديني :

لكن انتفاء شخصية سمهر يستلزم أيضا عدم بقاء ردينة كرامة تخير في خطابها من يخلف في بيع الرماح الصلبة ، الا ان تلك مسألة لا تستدعي

(83) لم استطع الجزم بالاصل الهندي الا انه لفت نظري الكلمتان التاليتان المعبرتان عن الاعتدال والصلابة : SAMA, even, level... straight - Williams : Sanskrit-English Dictionary, p. 1066. KHARA, hard, harsh, rough... dense - Ibid., p. 74

(**) هذا ونجد مثالا آخر لهذه الاسطورة بالذات فيما يتعلق بكلمة « السندرة » (انظر ص 68 الآتية) وقد ادرك القتيبي ان القول « السندرة امرأة كانت تباع القمح وتوفي الكيل » مجازفة لجأ اليها الذين وقفوا حيارى امام كلمة اعجمية الفوا استعمالها وعرفوا مدلولها لكن لم يدروا ما اصلها .

أنت قوسا نعت ذي انتقاء
جاء بها جالس بروصاء
بعد اعتياد منه وانتصاء
كافية الطول على انتهاء
مجلوزة الأكمب في استواء
سالمة من آسن السياء

(البيان والتبيين 93/3 - 94)

وانظر أيضا الى قول آخر للرقاشي في صفة
القناة التي تبرى منها القسي :

من شقق خضر بروصيات
صفر اللحاء وخوفيات
جدلن حتى اذن كالحيات
رشائقا غير مؤبنات
انفهن متمطرات
عمرو بن عصفور (85) على استنبات

(المصدر نفسه 71 / 3)

لا يخفى ان بروصا كما وردت الكلمة مضبوطة
في القطعة الثانية والتي جعلها الشاعر « بروصاء »
- « بروصاء » بالضاد المعجمة تحريف من الكاتب
ليس الا - في القطعة الاولى لضرورة الشعر - كانت
ميناء هامسا على ساحل كجرات فوق بمباي حاول
العرب عدة مرات ، قبل فتحهم للسند وابان حكمهم
لها ، الاستيلاء عليها (راجع فتوح البلدان للبلاذري)
وهي لا تزال مدينة معروفة باسمها القديم
« Bharoch »

والشريح بمعنى العود يشق منه قوسان (انظر
قول الشماخ : « شرائج النبع براها القواس »)
هي « chari » بالجيم علامة المعجمة بأخرها .
ومنه يقال لخطي نيري البرد شريحان .

ولا ننسى كيف ان ياقوت خلط بين كله (القلعة)
وبين معدن القصدير بالاندلس لاسباب متشابهة (*)
اذن اهل كلمة « قنا » نفسها معربة من
الهندية « ganna » البراكرتية « gandoo »
السنكرتية « gandaka » . (*)

الوشيج :

اذا كان « الخطي » هندية فهل من الغريب ان
يكون « الوشيج » - الذي لا يثبت الخطي الا هو -
هنديا ايضا ؛ ان اصل هذه الكلمة هو (Vansha)
والجيم في الآخر علامة المعجمة لا غير . وقد عهدنا
العرب دائما يظهرون مكة قوية للاحظة الطبيعة
بالدقة والاتقان وان كلمة الوشيج وما اشتق العرب
منها الا دليل على التثر بالطبيعة واستخلاص
المعاني العامة من مظاهرها فان كل من اتفق له ان
يتمتع بنظرة الى منبت القنا ليقدر تمام التقدير ان
اهم ما يروع المرء من اشجاره هو التفاف سيقانها
وتعانق اغصانها ، ومنه قولهم الوشيج بمعنى
القرباة ، والوشج بمعنى الاشتباك . واذا كان احد في
شك من هذا فليتنظر الى كلمة « البيش » (84)
لا ريب في انها هندية معربة اصلها (Visha/Bisa)
استخلص العرب من شجرتة معنى الخضرة
والنضارة فقالوا « بيش الله وجهه » ولاحظوا ايضا
ان شجرة البيش شديدة الثبات والتأصل فقالوا
« اباش الشجرة » .

القسي

اما فيما يتعلق بالقسي ، فقد كفانا الجاحظ
مؤنة البحث عن اصلها بقوله : « وكل قوس بندق فانما
جيء بقناتها من بروص ومدح ببريها وصنعتها عصفور
القواس . وقال الرقاشي :

(*) انظر ص 34 السابقة .

(*) Nainar, S. Muhammad Husayn : Arab Geographers' Knowledge of Southern India, Madras, 1942, p. 193, note 29, vide Platts : Hindustani Dictionary.

(84) « البيش وهو نبت لا يوجد الا بالهند » كذا في الآثار للقزويني ص 85 .

(85) لو كان سمير مثقفا للرماح او يباعا لها لكان من الواجب ان نظفر من شاعر من الشعراء القدماء
باشارة صريحة الى ذلك مثل ما نجد امامنا بخصوص عمرو بن عصفور ، ولكننا بخلاف ذلك
نراهم ، حسبما اعرف ، دائما يذكرون « السميرية » و « الردينية » و « رماح ردينة » (الشماخ ،
ديوانه ص 98) من غير ان يزيدوا شيئا ثم يجيء اللقويون فيفسرون هذه النسبة كما بدا لهم
بدون أي سند على نحو ما فصلنا الكلام عنه .

الكلاب السلوقية

يذكر عند العرب ذكر الكلاب « السلوقية »
وعني على حد قولهم منسوبة الى ساوق قرية باليمن
الا انهم لا يستقرون على رأي بل يظهر انهم
يحيون حول (Sileucia) = سلقية التي يصفونها
بمدينة الروم (معجم البكري) ومدينة اللان ومدينة
بالشام (البندان لياقوت واللسان) . لكن الجدير
بالاهتمام تصريح القزويني بأن « الكلاب يسفدها
الذئب (86) فتأتي بالكلاب السلوقية » (الأتسار ص
29) . وذلك يذكرنا بمشاهدة الاسكندر بارض
الهند وبصحبة الملك (Saubhuti) لكلاب لا ترخي
قبضتها على الاسد حتى ولو قطعت ارجلها . قيل
انها من نتاج الكلاب من النمر (87) ، ثم نذكر ايضا
ان اهل بابل كانوا يستوردون الكلاب من الميناء
الهندي المعروف (Barygaza) = بروص (88) كما
نعرف ان الموكب التاريخي لبطليموس Philadelphus
كان حافلا بالكلاب الضواري الهندية الى جانب
النساء الهنديات وانتوايل الهندية ، وبعد هذا كله
نعثر على قول ابن رسته الآتي في معرض الكلام عن
ملوك الهند : -

« وبعدد ملك يقال له نجابه (8) وهو شريف
فيهم وبلهرا الملك يتزوج فيهم ، وهم السلوقيون ولا
يتزوجون الا فيهم لشرفهم وهذه الكلاب السلوقية
يقال انها وقعت من بلادهم ولهم الصندل الاحمر في
بلادهم وغياضهم . الخ » (89) .

وسفوة القول ان قصب الهند على العموم هي
التي كان بضرب بها المثل لما يقول الشاعر :

قصب الهند والقنا أخذانك

والمقادير في السورى اعوانك

الخويري 54/2 . وجاء في كنيات الجرجاني

63 ان الشاعر هندي .

القطن ومنسوجاته

لا شك ان الهند هي الموطن الاصلي لشجرة
القطن الا ان الشجرة الهندية الاصلية كانت طويلة
العمر كما يبدو من اقوال القدماء . اما الشجرة التي
تزرع سنويا فالملتون انها نتجت على ايدي العرب
في العراق وسوريا والبلاد المجاورة ، على كل حال
اقتربت هذه الشجرة بالعرب الى حد انها هي
والسكر والدين ربما اعتبرت المقومات الثلاثة لحضارتهم
في نظر الاوربيين (Watt, p. 569) هذا وقد
اشتهرت الهند منذ قديم الزمان بالجودة ودقة
منسوجاتها التي كان الثوب منها يدخل في حلقة
خاتم ، كما شهد بذلك سليمان التاجر (سلسلة
التواريخ ص 30) ، ويذكر ابن خرداذبه (ص 70)
ان الثياب القطنية المخمل كانت تجيء من الهند كما
ان « الشال » و « الشيت » و « القوطة » من
الاسماء الهندية المعربة .
وبالاضافة الى منسوجات القطن امتازت الهند
ايضا بصناعة الثياب من الحشيش ، ابن خرداذبه
ص (70) .

(86) من طرائق النساخ ان « الذئب » تحولت الى « الثعالب » حيث جاء في صبح الاعشى 42/2

تقلا عن المقر الشهابي ابن فضل الله ان السلوقية « مولدة بين الثعالب والكلاب » !!

Cam. Hist. of India, 1/407 (87)

Heeren, 2/207 (88)

(89) الاعلاق النفيسة ص 135 .

معجم الالفاظ الهندية العربية

صاحب السكان (91) حيث يدخر المتاع) -
معرب من «Creshthin» الكلمة المألوفة في
المصادر الهندية القديمة بمعنى رأس التجار
Cam. Hist. of India ص 137 و 207 و
(477) مشتقة من سنس «Sreshti»
وقد تطورت الى «chatim» و «chetty»
بجنوب الهند (توازي «بانانيه» بشمال
الهند) ومنها سارت عند الاتراك ا بارتولد:
الحضارة الاسلامية ص 88) وهي Seth
بالهندية الدارجة، وربما تكون هي أصل كلمة
«ستي» عند ابن بطوطة (259/4) كلقب
للتجار الكبار في الصين .
(Hob.-Job. - «Chetty»)

اطريفيل ♦ سنس «Triphal»

النج / يلنج / النجوج / يلنجوج / النجيج =

عود الطيب وقيل هو شجر غيره يتبخر به -
قارن به كلمة «Algum/almug» بالانجليزية
عن سنس «valguka» والتاميلية «valgu»
وهو نوع احمر من عود الصندل كان كثيرا
ما يستعمل لنحت الاصنام وصناعة اعمدة
البيوت، ومع ان مثل هذا الاستعمال لم يذكر
في المصادر العربية الا ان الصندل من اعداد
الطيب بدون شك والمقارنة بين الكلمتين قوية
واضحة .

(انظر اللسان «لجج»، المخصص 198/11،
«Algum» O.D. Watt ص 24 و 909

راجع ما ذكرناه آنفا

الماس -

راجع ما ذكرناه آنفا

الوه / الالوه / الوه / لوه / ليه = العود
الذي يتبخر به، قال ابو منصور: اراها هندية
(اللسان)، اصلها سنس «Laghu/Lauha»

ابسق = القنب او قتره ♦ «abaqa»
بلغة الفلبين (Watt, 790)

ابنوس = كلمة من الهند الصينية سارت شرقا
وغربا. هي بالصينية
«wu-mon-tzi» وبلهجة Amoy: «O ban-tzi»
(Chau Ju Kua, 216)

انرج / ترنج ♦ سنس «ماتلنفا»
(matulunga/matulanga)
(Watt, 325 Williams, 768)

(راجع ما ذكرناه آنفا)

ادماسه ♦ سنس «ادماسا»

انظر ايضا ص 88 الآتية، الحاشية (3).

ارجوان ♦ ف «ارغوان» ♦ سنس

«Ergewan/Argawan»

يقال له ايضا «داداروان / دار اروان (دار
ارغوان)، وهذا اللون من الملابس مما كانت
القيصرة تختص به فيما مضى وتحظره على
غيرهم - كذا في ابن العبري 491 وانظر
Vullers «ارغوان» .

ارز / رز / آرز / رنز - قد اتجه بعض العلماء اخيرا
الى الاعتقاد بان المركز الذي انتشر منه الارز
في العالم هو التركستان، ولذلك قالوا ان أصل
الكلمة هو virinzi/virinza بالفارسية
القديمة = brinj بالفارسية انجديدة =
virih بالسنسكريتية arisi بالتاميلية -
قارن «oryza» باليونانية و Rice بالانجليزية.
(Watt, 824 et seq.; Periplus, 176; Rawlinson, 14)
ارزيز - راجع ما ذكرناه آنفا

ارين = قبة الارض، تحريف «ازين» ♦
«Ujziyaini» اسم مدينة بوسط الهند -
(Legacy of Islam, p. 93)

اشتيسام = رئيس الركاب، رأس الملاحين،
صاحب المتاع المحمول في السفينة (90)،

(x) ♦ رمز معناه «أصله من ..»

(90) Bibl. Geog. (Glossary)

(91) شرح ديوان زهير ص 118 .

بالهندية الاناء ، لف القماط) - وربما كانت
الكلمة برتغالية الاصل كما في

Hob.-Job. - « Basan »

و « سنية » = البقشه ، ابن بطوطة 232/4)
مقأوب من « سنية » . سنس « vasana »
= الهيمان .

بانانويه . الواحد منه « بنيان » . الكجراتية
« vaniyan » . سنس « vanij » .

بخست / فالج -

(راجع ما ذكرناه آنفا)

بد / بوذا . Buddha او تمثاله ، ومنه
ولد العرب : باذيبوذ اي افتقر بما ان الفقر من
اشهر خصائص الديانة البوذية .

بسمك -

انظر مقالنا الملحق عن العلاقات العلمية (ص 89
وما بعدها)

بقم - لم يأت « فعل » الا قليل بالعربية
(شرح ديوان زهير 54) - ابن دريد : فارسي
مغرب (الجواليقي) - الدينوري : ليس في
شجر بلاد العرب ولكنه من نبات ارض الهند
وأرض الزنج (92) ، « بكم » . الهندية
« بكم » .

انظر ايضا « الصرف » و « الورس » .
بلاذر . الهندية « Bhilawa » . سنس

« bhallatka » [= Anacardiaceae] جيد

لفساد الدهن وجميع الاعراض الحادثة في
الدماع من البرد والرطوبة ، وهو من جملة
السموم ايضا (ابن البيطار) - وقد لقب
صاحب فتوح البلدان ب « البلاذري » لانه
شرب من عصير هذا النبات فجن ومات .

انظر « Baladhuri » Watt E.I. : ص 981 ،
ابن العبري - رياض النفوس ص 416 الحاشية
(1) ، سواء السبيل) .

بلور . البراكتية « vailurya » . سنس
والتامية « vaidurya » .

Hob.-Job. « Beryl » E.I. « Billaur »

Rawl « Beryl » ، ص 14 ، Watt (ص 556)

راجع ما ذكرناه آنفا

ف « alwa ») - وقد كان هذا العود .
ولاسيما الذي ينسب الى سقوطه ، يستعمل
كدواء ايضا فان عصارته هي الصبر
(السقوطري) . فارت « aloes » بالانجليزية .
ومن عود البخور هذا ما يسمى بالسسكرتية
« Agaru » (التأملية « Aqhil » . لفة ملايا
« Uggar/Gahru » ، الهندية « Agaru »)
العربية « الفار » () . و « Agaru »

معناه الذي لا يطفو على الماء

و « Laghu » ضده اعني الذي يرسب في
الماء - ولما انتقلت هذه الكلمة الى الانجليزية عن
طريق البرتغاليين

(Portg. : Aquila ; Fr. : Bois d'aigle)

صارت « Eagle-wood » انتقارب في المخرج ،
ثم بدأ الناس يبحثون عن وجه لنسبة هذا العود
الى العقاب فقاوا ان قشرة العود تشبه ريش
العقاب ! ولكن هذا محض اختلاق .

(Watt, 72 ; Hob.-Job. - « Aloes » and « Eagle-
wood »)

انبج / عنبه . الهندية « amba »

والانبجات هي المربيات (او المربيات = الممولات
بالرب) جمع « انبج » وهي فاكهة هندية تربي
فاطلق عند الاطباء على ما سواه . كذا في
شفاء القليل .

انجسدان . ف « Anguzan » . سنس « hingu »

ابن البيطار : قال بعض الاطباء هو (انجدان)
ورق شجرة الحلثيت ، والحلثيت صمغ ،
والمحروث اصله - أبو حنيفة : المحروث اصل
الانجدان ومنابته في الرمل التي بين بست
وبلاذ التيقان -

(انظر ابن العبري و Watt ص 533)

انجسر -

(راجع ما ذكرناه آنفا)

اوج . سنس « uchcha » - (Rawlinson, 174)

بارجه . الهندية « بيره » - انظر البيروني :
كتاب الهند ص 102 و Fahmy ص 106
باسنه = آلات الصناعات وجوالق غليظ من
مشاقة الكتان ، ليس بعربي محض ، « باسن »

(*) قال عدي بن زيد :

« رب نار بت ارمقها

(البخلاء نشر فان فلوتن ، ص 257 .

(92) مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) المجلد 26 الجزء الثالث - « الجزء الخامس من كتاب
النبات » .

بالانجليزية . (O.D. « Tincal » ; Watt. 171) .
توتيساء - قال صفوان : « ومن توتياء في معادته
«ندي» البيان والتبيين 1 / 38) . سنس /
ف « tutha » .

انظر Watt ص 403)

جلفاظ - يقول الجواليقي : في حديث عمر ان
معاوية كتب اليه يستأذنه في غزو البحر .
فكتب اليه : اني لا احمل المسلمين على امواد
نجرها النجار وجلفظها الجلفاظ - اصل هذه
الكلمة غير عربي -
وجلفظة السفن كانت من اختصاص الهند
لا بسبب طبيعة .
يقول الادريسي :

« وكل ما يجري في بحر الهند والصين من
المراكب السفرية صفارا كانت او كبارا فانها منشأة
من الخشب الحكم نجره وقد حملت اطرافه بعضها
على بعض وهندم وخرز بالليف وجلفظ . بانديق)
وشحم البابة ، والبابة (95) دابة كبيرة تكون في بحر
الهند والصين منها ما يكون طوله نحواً من مائة ذراع
في عرض عشرين ذراعاً بنت على سنام ظهرها
حجارة صدفية ، وربما تعرضت للمراكب فكسرتها
وحكى (ايضاً) الربانيون انهم يرشقونها بالسهم
فتنحى عن طرائقهم ، وذكر انهم يتصيدون ما صفر
منها فيطبخونها في القدور فيذوب جميع لحمها
وتعود شحماً مذاباً ، وهذا الدهن مشهور ببلاد اليمن
في عدن وغيرها . . . وهو عمدتهم في سد خروق
المراكب » (دار الكتب المصرية جغرافياً رقم 150
ص 154 ، والزيادة ما بين المحققين عن نسخة اخرى
رقم 263 .

واليك قول لبيد العامري شاهداً على اشتها
الهند بالبراعة في هذه الصناعة ، يقول لبيد في
تشبيه الناقة :

كسفينة الهندي طابق درءها

بسقائف مشبوحة ودهان

(الديوان ، طبعة الخالدي ، فينا 1880 ، ص 65)

لا شك ان الكلمة انتقلت من الهند الى العربية
ومنها الى اللغات الاوربية ، فالكلمة الهندية والبنغالية
Kalapatti ان كانت مأخوذة من البرتغالية

بنسج = قال ابن دريد : لا احسبه عربياً
المخصص 38/10 ، سنس « Bhangā »
- ومنه بنجته أي نومه بالبنج -

بهار = الصنم . الكلمة بهذا المعنى منقولة عن
« vihara » وهو معبد البوذيين .

انظر مقالنا الملقب عن « العلاقات العلمية » .

بهار = شيء يوزن به . ومنه البهار بمعنى
العدل وحمل البعير ومتاع البحر ، قال القتيبي :
« يحمن البهاراً » أي يحمن الاحمال من متاع
البيت . الكلمة غير عربية كما اجمع عليه
الجميع . ما عدا الازهري . وليست قبطية كما
ذهب اليه ابو عبيدة ، بل هي هندية اصلها
« Bhara » - وهي انما تعني الحمل ويختلف
مقداره باختلاف البضاعة وما تحمل هي عليه
والبلد ايضاً (93) وهذا هو منشأ البلبلة
وتضارب الاقوال بشأن تحديده (94) .

بهطلة = الارز يطبخ باللبن والسمن خاصة .
هندية (المخصص 3/5 والخوارزمي 177 ،
اصلها « Bhata » .

بهند = الذي لا يجوز عليه الحكم لقلته
ومهانته وسقوطه مثل المغني والزامر وما اشبه
ذلك (بزرك 117 ، سنس « Bhandā »

بيشي -

(راجع ما ذكرناه آنفاً)

تكرري = القائد من قواد السند والجمع تكاترة
قال :

لقد علمت تكاترة ابن تيري

غداة البداني هبـرزري

وفي التهذيب الجمع تكاترة وبذلك انشد
البيت (اللسان « تكرر ») . الهندية « thakur »

تلاج / ثلاج = بركة ماء (بزرك 106) ،
الحوض الذي يزيد على عشر في عشر الى ما

يمكن ان يكون (ظفر الواله 2 - 3) .
الهندية « talla »

تنبول . سنس « tambula » .

تنكار . سنس « tunkar/tankar »

- قارن « tingkal » بلغة ملايو و « tincal »

(93) « Bahar » - Hob.-Job.

(94) انظر المغرب للجواليقي .

(95) كذا - « البالة » ؟

(96) « Calputtee » - Hob.-Job.

« Calafate » (96) فالظاهر انها بضاعة الهند ردت اليها .

جونة - لم يستورد العرب من الهند انواع الطيب فقط بل جونة العطارين ايضا، اصلها « Goni » - ولا املك في هذا المقام الا ان اردد قول الاعشى يصف نساء تصدين للرجال حاليات :

اذا عن نازلن اقرانهن

وكان المصاع بما فى الجون

(اللسان (« ج ون » والمخصص 11 / 202)

قارن الانجليزية « Gunny » (Hob.-Job.) - انظر

ايضا Watt ص 261

جيبا (من مصطلحات علم الهيئة) • سنس « jiva » .

جيسره (بلجيم الفارسية) = مظلة من ريش الطواويس ، يتخذونها لرؤساء الهند (السيرافي 145) والكلمة هي بالهندية (والفارسية ايضا كما اوردها ادى شير)

خرص = سنان الرمح وقيل ما هو على الجبة

من السنان ، اللسان « خ ر ص » ، الهندية

« Kirich » وبلغه ملايو « Kris » - قارن

بالانجليزية « Crease/Cris » .

(Hob.-Job. « Crease ». etc.)

(راجع ما ذكرناه آنفا)

الخطي - (راجع ما ذكرناه آنفا)

الخيثران - (راجع ما ذكرناه آنفا)

خيث - فارسي محض (ادى شير) ، لعل

اصلها بالسسكريتية « Kosh »

انظر Watt ص 406 .

داذي - نوع من الخمر كان العرب يستوردونه من

الهند (انظر ابن خرداذبة ص 71) يقول عنه

سليمان التاجر : « شراب النارجيل وهو

شراب ابيض ، فاذا شرب ساعة يوخد من

النارجيل فهو حاو مثل العسل ، فاذا ترك ساعة

صار شرابا ، وان بقي اياما صار خلا »

(سلسلة التواريخ ص 18) (*) - اصل كلمة

الداذي هو « Tari » بالهندية وهي بالانجليزية

« Toddy »

دلسو - مثل « دول » معنى وقريب منه لفظا

(ادى شير) .

دوينج • انهدية « دونكي » • سنس « Drona »

(ياقوت : البلدان - « قيس » وسليمان ندوي :

عرب وهندكي) تعلقات 63 و

Williams ص 441 .

ذويره • ف « زيريه/زيره » • سنس « Jira »

من مادة « Jri »

بمعنى الهضم) - انظر Watt, 442

فئات من قصب الطيب الذى يجاء به من بلد

الهند ، اللسان) .

وانسج = الجوز الهندي . كانه اعجمي الجواليقي

• بلغة بورما « Ong »

رخ - من اداة الشطرنج ، الليث معرب من كلام

العجم من ادوات لعبة لهم • سنس « رته »

(سواء السبيل) .

رديني - (راجع ما ذكرناه آنفا)

رهمانسج - (راجع ما ذكرناه آنفا)

زنجييل • التامية « Inji-ver » • سنس

« Sringavera » - قارن الانجليزية « Ginger » .

(Watt, 1139 ; Cam. Hist. of India, 593)

راجع ما ذكرناه آنفا

ساج • الميرتية « Sag » : (Mahratti)

سنس « Shaka »

راجع ما ذكرناه آنفا

ساسم / سلسب / سيسب - ابو حنيفة :

هو من شجر الجبال ، وهو من العتق التى

يتخذ منها القسي ، وزعم قوم انه الابنوس ،

وقال آخرون هو الشيز ، قال : وليس واحد

من هذين يصلح للقسي ، ويتخذ منه السهام

ايضا (اللسان « سسم ») =

Dalbergia Sissoo • انهدية « shisham »

• سنس « sinsapu » .

وربما تسوى منها الشيزي اي نقصاع من

خشب ، كما يقول ابن الاعرابي وأبو عمرو

(اللسان « سسم » و « شيز ») • سنس

« S'ans'apa » اي القصة المتخذة من خشب

ساسم - انظر Williams ص 998 .

سانسه - الادريسي (دار الكتب المصرية جغرافيا

رقم 150 ص 114) : ويسمون هؤلاء المختين

السانه • سنس « Santha (Sanda) » .

(Williams, 989)

(*) قارن به ما قاله ماركو بولو عن الداذي :

The Travels of Marco Polo, Tr. by Prof. Aldo Ricci, London, 1931, p. 285.

سديين - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سرق - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سروة / سرية = نسل صغير مدور مدملك
لا عرض له كأنه مخيط او مسلة أدق ما يكون
من نصال السهام يدخل في الدروع (اللسان)
♦ الهندية « سروة / سرية » ♦ سنس
« S'ora » - قارن ف « سرى = تيربي بر »
نفائس اللغات لأوحد الدين اليلكرامي)
(Williams, 994)

سكسر - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سهري - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سنن - نظرا الى سبق اهل الهند في الصقل
وما اليه ، لا يفوتنا البحث عن أصله فى سنس
« shan » (قارن الإنجليزية « Hone ») .

سنبه - اي الدهسر :

رب غلام قد صرى فى فقرته
ماء الشباب عنفوان سنبه

(الاضداد لابن الانباري ص 31)

هذه الكلمة هي فى الواقع دليل على معرفة
العرب بالتقويم الهندي فان « Samvat »
انما تعنى السنة ، ولا شك ان العلاقات
التجارية ، قبل الاطلاع على علم الحساب عند
الهنود ، هي التى ادت العرب الى تلك المعرفة .

سندر - « السندر الجريء المتشيع والسندرة
ضرب من الكيل .. والسندر مكيال معروف ..
قال ابن الاعرابي وغيره هو مكيال كبير ضخم ..
وقيل السندرة امرأة كانت تباع القمح وتوفى
الكيل ... قال القتيبي : ويحتمل أن يكون
مكيالا اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل
منها النبل والقسي ومنه قيل سهم سندي -
ويقال قوس سنديرة منسوب الى السندرة
اعني الشجرة التى عمل منها هذا القوس ،
وكذلك السهام المتخذة منها يقال لها سنديرة

وسنان سنديري اذا كان ازرق حديدا «
(اللسان) .

اصلها « Chandra » لا « Sundara »
كما أورده ادى شير ، بالسنسكريتية تعني
- 1 - شجرة معينة و - 2 - الرجل البارز
الشهير و - 3 - اللامع البراق - قارن
« سنان سنديري » -
(انظر Williams, p. 315)

سنندروس - السيرافي 117 : « وهو مع
النار كالفط » ♦ سنس « Sindur »
(Williams, p. 115 ; Watt, p. 707)

الشال ♦ سنس « Shala » (؟) وانظر الى قول
صاحب التاج : « والشال هذا الرداء الذى
يعمل بكشمير ولاهور ويطلب به الى البلاد
ويقال انه وبر الجمل سمي به لانه يرفع على
الاكتاف ان كانت عربية » - لا شك انه تحفظ
بقوله « ان كانت عربية » لان نسبة الشال الى
كشمير كانت ولا تزال شائعة معروفة الا ان
تعليله لهذا الاسم بكونه مرفوعا على الاكتاف
يبين لنا طريقة اللغويين فى البحث عن الاصول
القامضة لبعض الكلمات .

(Platts, John T. : A Dictionary of Urdu, Classical
Hindi and English, Oxford University Press).

الشبه والشبهه (بالفتح والكسر) = النحاس يصيح
فيصفر ، وفى التهذيب ضرب من النحاس يلقى
عليه دواء فيصفر ، قال ابن سيده : سمي به لانه
اذا فعل ذلك به اشبه الذهب بلونه (اللسان) -
لقد اشتط ابن سيده ولا شك ، انما هو
تعريب Shenbu بالهندية (من الحملانات
المتأثرة باللمعان - انظر ايضا الحيوان 83/1) .
(Watt, 401)

شريج -

(راجع ما ذكرناه آنفا)

شطرنيج - اللعبة من ابتكار الهند، انظر اليعقوبي
99/1 وما بعدها ♦ سنس « Chaturanga » .
(سليمان ندوي : عرب وهنديكي) تعلقات ص
181 وما بعدها .

صلا / صلاة وصلاية = ما يحق عليه الطيب
(المخصص 11 / 202) . سنس « s'ila »
والهندية « سل » .

صنحج ، يتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر
• الهندية « جهانجه » واجتماع الصاد والجيم
في كلمة واحدة علامة العجمة لا غير . (انظر
فرهنك آندراج) . والصنحج ذو الاوتار معرب
« جنك » بالفارسية .

صنل • سنس « Chandan » .

صنفي = العود المنسوب الى صنف
South Cochin China = « Champa »

صمر / صمر = الشعر الذي يتخذ منه
المذاب بنصب العاج والفضة الذي يقوم به
الخدم على رؤوس الملوكة (من مملكة رهمي -
المروج 1 / 385) ، شعر ذنب الحيوان
النتبتي المعروف بـ « Yak » سنس « Chamar »
(Hob.-Job. - « Chowry »)

طاووس • التاميلية « tokei / togai »
قال المسعودي : « للطواويس بارض الهند شان
عجيب ، والذي يحمل منها الى ارض الاسلام
وتخرج عن ارض الهند فتبيض وتفرخ تكون
صغيرة الاجسام كدرة الالوان ، لا تعطي انوارا
للابصار وبادراكها وانما تشبه بالهندية بالثبته
اليسير » .. (المروج 2 / 438) .

طباشير • سنس « Trakkshira »
(راجع ما ذكرناه آنفا)

طن = حزمة القصب ونحوها ، وهو عربي
صحيح لا دخيل ؛ وقال في كتاب البيان
الطن من القصب ومن الاغصان الرطبة اعواد
تجمع وتحزم ، ويسمى الكنشيه وأصلها نبطية
يقال لها « كنشا » ولا اظن الطن عربيا -
وقال في كتاب التنبيه على الغلط للبصري :
الصواب ان الكنشا وقاية بين السفينتين تدفع
ضرر احدهما عن الاخرى شبه بها الطن وليس
باسم خاص له بالنبطية ، واما الحرف العربي
فالطن مشبه بطن الانسان وهو قامته (شفاء
الغليل)

شكسي - من نمار بلاد الغليل ، ذكره الادريسي
وابن بطوطة • بلغة مليالم « Chakka »
• سنس « Chanpkalu »
(Chau Ju Kua, 212)

شلقاء - الشلق : الضرب والبضع والشلقاء
الكين • سنس « S'alaka » = آلة محددة
من آلات الجراحين ، كانوا يستعملونها للبضع ،
وقد جاء في اللسان ان الكلمة ليست بعربية
محض . (Williams, 995 ; Vaidya, 711)

شمئية = العباد والنساك من البوذيين كما
عند البيروني) • اللغة البالية :

(Pali) : « Samana » • سنس « Çramana »
(Hob.-Job. - « Gautama » ; Cam. Hist. of India,
420)

والكلمة بالفارسية « شمن » اي عابد الاصنام.
انظر الى قول رودكي :
« ابن جهان جون بت است وما شمنيم »
وقول الفردوسي :

« برستش كنم جون بتان را شمن »

وذهب صاحب القاموس وتبعه الخفاجي في
شفاء الغليل الى ان « صنم » معربة من « شمن »
الا ان ذلك خطأ كما جاء بهامش لف القمط
بدليل ان شمن يعني العابد لا الصنم .

شمنك = البوق الذي ينفخ فيه (سليمان 7) ،
معدنه في البحرين الهند وسرنديب ، • الهندية
وسنس « S'ankh » .

(Watt, 989; Hob.-Job. - « Chank »; Williams, 988)

شنگل / شناكل • سنس « S'rinkala »
اي سلسلة من الحديد - (Williams, 1018)

شيمت • سنس « chitra » ولا يخفى ان
الاقبال كان شديدا جدا على المنسوجات الملونة
التي اشتهرت الهند بصناعتها .

صرف (= البقم / الورس) • التاميلية
« Shappu »

فنجان * الهندية « بنكام » (ادى شير) .

الفهري / الفهري

- انظر ما سبق -

فوطنة - قال الازهري : رايت بالكوفة ازرا

مخططة يشترها الحمامون والخدم فيتزرون بها . الواحدة فوطنة ، قال الجواليقي : فلا ادري اعربي ام لا « (انظر المغرب) والاصل بالهندية « Pata » .

فوفل * الفارسية « pupal » * سنس

« Kubara » - قال المسعودي :

« الفوفل وهو الذي قد غلب على اهل مكة وغيرهم من الحجاز واليمن في هذا الوقت مصغه بدلا من الطين ، (مروج الذهب باريس 2 / 84) .
(Watt, 83)

فيل * ف القديمة « بيل » * سنس « pilu »

مع بعض الشك . يقال ان الفهلوية هي الاصل ومنها انتقلت الكلمة الى السنسكريتية .

« Elephant » - (Hob.-Job. (Supplement) -
Jefferey : Foreign Vocabulary of the Quran,
Baroda, 1938)

القاقلى - العود المنسوب الى قاقله - مرسى

على الساحل اشرفي لشبه جزيرة ملايو بالقرب من Kelantan (كذا عند ابن بطوطة 242/4 - 243) - والقاقلة (= الهال بوا) الكبيرة لها صلة بمقاطعة Krakor ببلاد Kamboja

(Vide Gerini, G.E. : Researches on Ptolemy's Geography of Eastern Asia, London, 1909, p. 444)

القامروني = العود المنسوب الى قامرون

« Kamarupa » = Assam بشرق الهند ، وانظر

وصف هذا العود في سلسلة التواريخ ص 130 .

قشارة = حديدة شبه سكة الحرث يدخل

الرجل يده فيها فتكسو ذراعه ويفضل منها مقدار ذراعين وضربتها لا تبقى (ابن بطوطة

31 / 4) * سنس « Katar »
(Hob.-Job. - « Kuttaur »)

انما يرتفع كل هذا الارتباك والتخبط اذا تذكرنا ان (Cedrella Toona) « Tun/tundu » اسم لشجرة هندية ربما استعملت لفرض الوقاية بين السفينتين واغراض اخرى مماثلة ، ولها اسم آخر مترادف وهو « Kac'cha » .
(Watt, 290 ; Williams, 194)

عاج = انياب الفيلة ، عظم الفيل * Singhalese

(لغة سرنديب) : « ala » = الكبير (العاج

- ال من اصل الكلمة - اي التاب الكبير) او

سنس « ibha-danta » (قارن العبيرة :

« Shen habbin » اي سن الفيل .

« Elephant » - (Hob.-Job. (Supplement) -
Raw., II ; Williams, 141)

عدوليلة - (راجع ما ذكرناه آنفا)

غار - انظر الالوه .

غري = صبغ احمر : قال الشاعر :

« كانما جينه غري » - (المخصص 211/11)

قريب الصلة بالهندية « geru » = سنس
« gairika » (*)

غريبن / غريل = ما بقي في اسفل القارورة من

الدهن ، ثقل ما صيغ به ، ما بقي في اسفل

الحوض والتدير من الماء والطين ، الطين الذي

يحمته السيل فيبقى على وجه الارض رطبا او

يابسا (اللسان) * سنس « Khal » بتلك

المعاني سواء بسواء (97) والنطق بالهندية

« Kharya » اشبه بالكلمة العربية .

فالج

- انظر ما سبق -

فانيذ

- انظر ما سبق -

فافل * سنس « pipali » .

(97) « Khal » = sediment, drugs, the deposit of oil, etc. - Williams, 274.

(*) Platt : Dictionary of Urdu, Classical Hindi and English, Oxford University Press.

كسر - انظر « كنيار » .

كوكندن - « لا أحسبه عربيا لانه مفارق لابنتهم »
(المخصص 8 / 58) ♦ سنس
« Khadgadanta »
أي ذو سن كالسيف - (« Sofula » - E.I.) .

كرندة (بزرک 118) ♦ سنس « Karanda »
وربما حذفوا الكاف فقالوا « الرند » - قال
الزهري : والرند عند أهل البحرين شبه
جوالق واسع الاسفل مخروط الاعلى يسف من
خوص النخل ثم يخيظ ويضرب بالشرط
المفتولة من الليف حتى يتمتن فيقوم قائما
ويعمرى بعمرى وثيقة ينقل فيه الرطب أيام
الخرف يحمل منه رندان على الجمل القوي ؛
قال ورايت هجريا يقول له « النرد » وكأنه
مقلوب ويقال له « القرنة » ايضا .

كشلى = الزر والماش ، يجمعون بينهما
ويسمون المجموع منهما كشلى يأكلونه بالشيرج
(نخبه الدهر للدمشقي ص 169) ♦ الهندية
« Khichri »

كنبار - الفزل المفتول من ليف النارجيل لخرز
المراكب (البيروني 103) .

كر - ايضا قيد من ليف او خوص ، جبل السفينة ♦
بلغة مليالم « Kaiyar » والتاملية « Kayiru »
وهي اصل « Coir » بالانجليزية بالاتفاق ،
وهل يستبعد ان تكون هي اصل كلمة « Cable »
ايضا ، فان مدلولها الاصلي لم يتجاوز ذلك
النوع الخاص من الحبل ؟
(Watt ص 355)

لكيشا = الكثير (المقدسي) سنس « laksha »

ليمون ♦ سنس « Limpaka, nimbuka » الشك .
(Watt, 325)

مسك ♦ سنس « mushka » .

مصرية (ابن بطوطة) = الناموسية ♦ سنس
(Williams, 752) « Masa-hari »

قرفة ♦ التاملية « Karppu » = دار صيني
(Watt, 313 ; Raw, 14 ; Cam, Hist., 593)

قرمز ♦ سنس « Kirmi » اي الدودة (قارن
الانجليزية « Crimson ») (Raw., 14)

قرنفل ♦ لغات الهند الجنوبية
« Kirambu/Karampu »

توازيها باليونانية « Caryophyllon »
ويذهب البعض الى ان الكلمة سارت من
اليونانية الى الهند الجنوبية عن طريق العربية .
(Watt, 526)

قسط ♦ سنس « Kushta » .
- انظر ما سبق -

القلمى
- انظر ما سبق -

القلمى
- انظر ما سبق -

القماري = العود المنسوب الى قمار
Cambodia = « Khmer »

قنا - انظر ما سبق -

قند
- انظر ما سبق -

قنقن (الادريسي ، نسخة الدار ، ص 114
القنقن) ♦ سنس « Kankan » نوع من
الحلى كالسوار .

كاغذ ♦ Kodzo = شجرة موطنها الاصلي
الصين واعالي بورما ، صنع منها الورق فى
قديم الزمان = « الكاذي » عند المسعودي :
الروج 2 / 202 - . (Watt, 186)

كافور ♦ سنس « Karpura »

كبتيح = الودع (سلسلة التواريخ ص 6) ♦
الهندية « Kavadi »

مطيمال (بزرك 36) = قارب صغير يشد الى سفينة كبيرة * الهندية « Patela » (Periplus, 248)

المندلي = العود (98) المنسوب الى مندل (Mandal) وهي تعني « الاقليم » عامة والمشهور « كورومندل » بجنوب الهند الا انه قد ورد في بعض المصادر ما يشعر بوجود « مندل » (= اقليم) آخر بالقرب من قامرون بشرق الهند . اما ما ذهب اليه Ferrand من ان النسبة الى « Mandri » مكان بعينه على الساحل الجنوبي للهند فاحتمال بعيد جدا (انظر حدود العالم ، تذكارجب ، 1937 م ص 240) . هذا وقد سجل الشاعر ضياء الدين نسبة المندلي الى الهند بقوله :

المندلي كريم

سقياله ولفرسه

لما اراد يرينا

للهند نسبة جنسه

غدا على النار ملقى

يجود فيها بنفسه

(حلبة الكميث ص 153)

وذكر ان الحسين بن برمك هو الذي حمل العود « المندلي » (كذا في صبح الاعشى 2 / 124 - وفي التويري 29/12 « الهندي ») معه اثر عودته من الهند وعرضه على المنصور فاستحسنه وامر ان يكتب الى الهند بحمل الكثير منه فاشتهر بين الناس وعز من يومئذ واحتمل ما فيه من مرارة الرائحة وزعارتها لانها تقتل القمل وتمنع من تكونه في الثياب .

موز * سنس « mocha » .

نارجيل * « narikila » .

نارنج * سنس « Nagaranga » - قال المسعودي : « شجر النارج والاترج المدور جلب من ارض الهند بعد الثلاثمائة فزرع بعمان ثم الى البصرة والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الشجر الشامي وانطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف ، فعدمت منه الروائح الخمرة الطيبة واللون الحسن الذي يوجد فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصة اليد (المروج 2 / 438 - 439) - هذا وقد جلب النارج الى الهند من الصين حيث موطنه الاصيل (Watt ص 318) .

النردين = هو السنبل الهندي (باليونانية « Nardos ») اصلها بالسسكريتية « Nalada » (بالفارسية القديمة « ناردا ») - انظر ادى شير - « الرند » .

النمط - اصلها « Namata » بالسسكريتية (= ف : نمذ) وربما استعملوا هذا النوع من الصوف الغليظ لتغطية المرات ، ومن هنا نشأ معنى الطريقة والمذهب .

النيلاج * سنس « nili » .

هرد * سنس « hari dra » اي الخشب الاصفر = الاردوية (Watt « haldi » ص 445) وهو الكرم كانوا يأتون به من الهند (ابن البيطار) وفي الحديث « ينزل عيسى بن مريم في ثوبين مهرودين (المخصص 211/11) .

هرهرة = حكاية اصوات الهند في الحرب * « Hari Hari »

هندول - مثل لحفة على اعناق الرجال (بزرك 118) * سنس « hindola » - قارن « Andor » بالبرتغالية (H.J.) - ومنه :

هندويل = الضخم الانوك المسترخي الضعيف

(98) العود الهندي « سمي عودا حتى صار اسما علما من قبل انه اشرف انواع العود » (المخصص 198/11) .

(Hob.-Job. - « Sappan Wood » ; « Brazil Wood »

وشيح =

- انظر ما سبق -

اليسارة = « التي تكون ببلاد الهند وتفسيرها

المطرقانه يدوم عليهم في الصيف ثلاثة اشهر

تباعا » (أبو زيد السيرافي في سلسنة

التواريخ ص 126) - كانوا يقولون « فلان

يسر بأرض الهند أي شتا هنالك (السعودى :

مروج الذهب 1 / 327) - أصل الكلمة

بالهندية « varsha » .

الهيل أو الهمال ، هي بالسنسكريتية « ايل »
وبالفارسية « هيل » وكان معدنه رأس هيلي /
ايلى على الساحل الغربي بجنوب الهند وذكره
الجغرافيون العرب وابن بطوطة الرحلة 81/4 .

ورس (= اليم / الصرف) - شاعت كلمة
« الورس » وانتقلت من العربية الى اللغات
الاوربية في العصور الوسطى بالإيطالية « verzi »
حتى انه يقال ان البرازيل Brazil من الورس،
سميت تلك الخطة من العالم الجديد كذلك
لوجود هذا النوع من الخشب فيها .

الرموز

سنس = اللغة السنسكريتية

ف = اللغة الفارسية

♦ = ان اصل الكلمة باللغة الفارسية او السنسكريتية او .. ما هو كذا وكذا .. الخ.

المراجع

- 1 - الآثار للقزويني = آثار البلاد واخبار العباد ، صنيف زكريا بن محمد بن محمود القزويني .
E. Wustefeld, Gottingen, 1848
- 2 - الاخبار الطوال للدينوري ، ليدن ، 1888 م
- 3 - الادريسي = نزهة المشتاق للشرىف الادريسي ، نسخة دار الكتب المصرية ، جغرافيا رقم 150 .
- 4 - ادى شير : الالفاظ الفارسية المعربة .
- 5 - بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .
- 6 - ابن بطوطة = الرحلة له ، طبعة باريس .
- 7 - بزرك = كتاب عجائب الهند ، تأليف بزرك بن شهريار الناخذاه الرام هرمزي ،
Par P.A. Van Der Lith, Leide, 1883-1886.
- 8 - البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون .
- 9 - البيروني = كتاب الهند ، طبعة زخاو
- 10 - الجواليقي = المغرب له ، طبعة الدار ، 1361 هـ .
- 11 - سلسلة التواريخ (سليمان التاجر وابو زيد السيرافي) ، باريس 1811 م
- 12 - سليمان ندوي : (عرب وهندكي تعليقات ، اله آباد ، 1930 م .
- 13 - شفاء الفليل للخفاجي .
- 14 - سواء السبيل فى المغرب والدخيل ، تأليف توما آرنلد وقاضي ظفر الدين احمد ، مطبع رفاه
عام 1903 م .
- 15 - ظفر الواله بمظفر وآله للحاج دبير ، طبعة السير دنيس روس .
- 16 - ابو الغداء : تقويم البلدان ، باريس ، 1830 م .
- 17 - لف القمط = لف القمط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المغرب والدخيل والاعلاط،
لابي الطيب الصديق بن حسن القنوجي ، بهوبال ، 1296 هـ .
- 18 - المروج = مروج الذهب للمسعودي ، طبعة باريس .
- 19 - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تأليف الشيخ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي
طالب الانصاري الصوفي الدمشقي ، بطرسبورغ ، 1865 م .
- 20 - ابن الوردي (سراج الدين) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب .
- 21 - ياقوت : معجم البلدان .

المراجع الانجليزية

- (1) Bibil. Geog. = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Ed. de Geoeje, Leiden, 1870-94.
- (2) Chau Ju Kua : Chu-fan-chi, translated and annotated by F. Hirth and W.W. Rockhill. St. Petersburg, 1911.
- (3) Fahmy, Ali Muhammad : Muslim Seapower in the Eastern Mediterranean, 1950.
- (4) Hirth : China and the Roman Orient, 1885.
- (5) Hob.-Job. = Hobson-Jobson : A Glossary of Anglo-Indian Colloquial words and Phrases and of kindred terms by Col. Henry Yule & Arthur Coke Burnell, London, 1886.
- (6) Hourani, George Fadlo : Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Mediaeval Times, Princeton University Press, 1951.
- (7) Legacy of Islam, ed. Sir Thomas Arnold, Oxford University Press.
- (8) Periplus = The Periplus of the Erythraean Sea (Shoff), 1912.
- (9) Rawlinson, H.G. : Intercourse Between India and the Western world, Cambridge, 1926.
- (10) Smyth, W.C. : Dictionary Hindustani and English, London, 1820.
- (11) Vaidya, L.R. : The Standard Sanskrit - English Dictionary, Bombay, 1889.
- (12) Watt, Sir George : The Commercial Products of India, London, 1908.
- (13) Williams = Sanskrit - English Dictionary by Monier, Williams, Oxford, 1872.

بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب

للبنافاة والطفافة التسلل عبر الحدود والالتجاء بملسك السنځ ، مما زاد فى اهتمام العرب بجارتهم ، وفى الوقت الذى كانت الممالك الشرقيفة للءولة الأموية قء استمكلت قوتها واستعدادها لشن هجوم شامل برا وبحرا معا بعد أن انتظمت أمورها وسلسلت صعابها تحت امرة حاكمها الحازم ذى البأس الشءىء الحجاج ابن يوسف الثقفى ، فى ذلك الوقت سببت الصلفة التجارىفة بصورة مألوفة فى التاريخ القءىم والحءىث على السواء ، التءءل السياسى والعسكرى من جانب العرب ، وذلك بأن بعض القراصنة استولوا بالقرب من دبيل على مركب كان ىنقل الى العراق عءا من الأرامل والبئامى لبعض التجار العرب الذين وافتهم آجالهم فى جزيرة سيلان ثم اعئر ءاهر ملك السنځ بعجزه عن تنفيذ طلب الحجاج بمعاقبفة المجرىمىن وتسليم الأسرى ، فلم يكن منه هو الآخر الا أن نءب ابن أخيه الشاب محمد بن القاسم الثقفى لغزو السنځ نهائىا (3) .

ءءل محمد بن القاسم السنځ فى سنة 89 هـ ووفق فى انجاز مهمته توفىقا تاما ، فانه تمكن فى بحر خمسة اعوام من القضاء على مملكة ءاهر وفتحها للمسلمىن من منابع نهر جهىلم بكشمىر فى الشمال الى البحر فى الجنوب ، الى حدود مملكة قئوج (كئوج) بالقرب من ملتان وحدود كجرات فى الشرق ومنذ ذلك الحىن ظل اءلیم السنځ جزءا من الءولة الأموية ، تعاقب على حكمه عءء من الأمراء العرب ، سعى بعضهم لتوسىع نطاقه فى الشرق وعلى ساحل كجرات فلم يلقوا فى ذلك كبرى نجاج ، ولكنهم على كل حال بقوا اقرباء قاءرىن على اخءاء الثورات مالكىن لازمة الأمور فى الءاىل .

وهكذا اصبءت للعرب علاقات سياسىفة وطىفة مع الهند بعد أن كانت لهم علاقات تجارىفة قوىفة معها فبما قبل الاسلام ، وكان من المءقوم على هذه القاعدة الجءىفة للعرب ءاىل اراضى الهند أن تصبىح مبءا

من المءروف أنه لم يكن هناك اسم واحد ىطلق على الشبه قارة الهندو — الباكستانىفة بأكملها بل كانت الاقالىم المءئلفة تعرف بأسمائها كل على حءة وربما شمل اسم العاصمة جمىع المناطق البواقعة تحسب سلطتها أو نفوذها . وكان نهر « السنځ » الذى ىذكره العرب القءماء باسم « مهران » — مءروفا باسمه الحالى الى أن امءء الىه نفوذ اهل فارس فى العصر القءىم فسموه « هنءهو » جربا على عاءتهم فى اءبال السىن فى السنسكرىفة بالهاء ، ولذلك امثلة كئىرة فى اللغة الفارسىفة القءىمة . ثم جاء العرب فاقروا اسم « السنځ » للأراضى البواقعة على ضفئى ذلك النهر ، وبءاوا ىطلقون « الهند » على ما وراءها (1) .

كان العرب قء عرفوا الهند قبل الاسلام وأحبوها الى حد أنهم اءءءوا منها اسما لنسائهم ، ولكنهم انما عرفوا عطورها وأحجارها وسىوفها وثمارها ولما كانت تجارتهم عن طرىق البحر كان من الطبىعى أن ىقتصر اءصالهم على الشواطىء والسواحل ، ولاسىما الساحل الغربى والجنوبى ، لا ءءل على ذلك من اسماء فى العربىفة هى فى الأصل اسماء للأمكنة التى كانت تستورء منها مسمىاتها، مثل المنءل والهىل(2) ثم جاء الاسلام فصارت هذه المءرفة والصلة التجارىفة من اهم ما وجه المسلمىن من عرب عمان والمناطق الساحلىفة المءاورة لها الى شن القارات البحرىفة بقىفة تأسىس ءعائم حكمهم على مواءع من ساحل السنځ وكجرات ، تهانة (تانه) بالقرب من بومباى وبهروء (بروص) وءبىل بالقرب من كرائشى ، وكان ذلك فى عهد الخلىفة الءانى عمر بن الخطاب الذى كان شءىء الحءر من « من حمل الءوء على العوء » ثم تكررت مءاولة من هذا القبىل فى عهد عثمان أيضا ، ولكن لم يكن لهذه الغزوات اثر ىذكر ، ومضى العرب فى هذه الاثناء قءما من نصر الى نصر حتى تم لهم فتح بلاد فارس كلها وصارت حدود ءولتهم الشرقىفة قئاخسـم حدود مملكة السنځ الغربىفة مباءرة بءىث تسنىى

(1) الءكئور السىء سلیمان الءئوى : عرب وهئءكى تعلقات ص 12 .

(2) على الترتىب ، العوء المسئورء من « كورومئءل » كان العرب ىطلقون عليها « المءبر » أيضا وفوه « هال » أو « هىل » (بالعامىة : حب هان) المسئورء من (رأس) هىلى أو « ابلى » بجنوب الهند

بالقرب من كورومئءل ، كانت میناء ومءىنة عامرة اىام زىارة ابن بطوطة لها ، راجع الرءلة 81/4 .
(3) الفئوح للبلأزرى 431 — 432 و 435

خط لسير العلوم والآداب الهندية الى عاصمتهم ، ولكن الحركة — لأسباب طبيعية عامة — انها نمت وازدهرت في العهد العباسي الأول . أما في العهد الأموي فلا يلفت نظرنا الا ظواهر معينة ، هي بمثابة المقدمة لما نحن بصددده في مقالنا هذا .

كان العرب قد عرفوا من قبل الزط (جات) والميد وهما قبيلتان من قبائل السند عرفتا بالغزو والتهور والشراسة فجندهما الفرس ، وربما كثر احتكاكهما بالعرب حتى اننا نجد عبد الله بن مسعود يقول عن بعض من رآهم في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم « رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم » (سنن الترمذي ، باب الأمثال) مما يدل على أنهم كانوا معروفين لدى العرب تماما في ذلك الوقت (4).

ثم بعد أن تم فتح فارس على أيدي العرب انخرطت هاتان القبيلتان ولاسيما الزط في جنود الاسلام : استخدمهم علي رضي الله عنه لحراسة أموال البصرة في وقعة الجمل ، وانزلهم معاوية في مدن الشام الساحلية لمواجهة الروم ، وعمرهم وليد ابن عبد الملك في انطاكية (5) . هذا ما يتعلق بالعصر الذي سبق فتح العرب للسند ، أما بعد ذلك فقد تيسر للعرب أن يعرفوا لا الزط المحاربة فحسب ، بل السنديين عامة ومن أهم ما ساعد على ذلك نقل عدد كبير من العبيد والأماء أسرى الحرب الى العاصمة (x) وبعض المدن الكبيرة الأخرى ، وهناك بدأ العرب يتبعون خصائص وعوائد هذا العنصر الجديد بعناية

كبيرة ، كما أن أولئك الدخلاء اقبلوا على الأخذ بأسباب الحضارة العربية بجد واهتمام ، ولم يلبث العبيد من أهل السند أن بدأوا يساهمون مساهمة فعالة في الحوادث الجارية حتى أنه ذكر أن أحدا منهم (ابن زياد بن أبي كبشه) اشترك في قتل الخليفة الوليد بن يزيد في سنة 126 هـ (6) أما مدى سرعة تعريبهم واندماجهم في المجتمع والثقافة العربية فيمكن أن نقدرها بوجود علماء أجلاء أمثال ابن معشر نجيب بن عبد الرحمن السندي (7) وابن الاعرابي (8) ؛ ورجال الحكومة مثل السندي بن شاهك (9) وشعراء أمثال أبي عطاء السندي وأبي الأصم (10) كلهم موال انحدروا من أصل سندي لم يتجاوز عهدهم جيلين و ثلاثة على فتح السند ، وقد استغنت بذكرهم عن التعرض للذين نشأوا فيما بعد .

لا شك أن الارتقاء وغيرهم من عامة أهل السند لم يكونوا ليعرفوا العرب الا برطانتهم وجعلهم الجيم زاء وبعض الملح تتعلق بالمعجزات والخصيان منهم (11) وما الى ذلك من عجائب العوائد وغرائب الاخلاق كما اشرت اليه آنفا وربما كان وجودهم مثار التساؤل بين أهل الفكر عن مدى الحضارة والعلوم وحكمة الهند ومبعث تطلع الأذهان الى الوقوف عليها ، ولكن التبادل العلمي ونقل الآداب الهندية الى العربية إنما كان يتوقف — ولا غرو في ذلك — على الجمع بين الخاصة وأهل العلم من الطرفين العرب والهنود ، وهل يتأتى ذلك الا اذا استقرت الأحوال الداخلية

(4) يرجح أن الامام ابا حنيفة كان من سلالة هؤلاء الزط ، فانه ذكر أن جده زوطي كان من كابل (حسب الرواية المشهورة . راجع ابن خلكان وتهذيب الاسماء للنوي) نقل الى الكوفة بين أسرى الحرب أما ادعاء حفيده اسماعيل بن حماد ، الانتساب الى أسرة مالكة من الفرس فتلك محاولة معروفة حاولها كثير من الموالى لاثبات اصلتهم في العز الذي نالوه في الاسلام .

(5) البلاذري الفتوح : 375 — 379 .

» انظر قول ابي النجم المعجلي : علقت خودا من بنات الزط الخ (الاغاني)

(6) ابن الأثير 217/5 .

(7) شذرات الذهب 278/1 سمع عنه الواطدي بالمدينة .

(8) « كان أبوه زياد عبدا سنديا » ياقوت : معجم الادباء .

(9) السندي بن شاهك مولى جعفر المنصور ، كان اميرا على دمشق فأخرب سورها في فتنة ابي الهندام في سنة ست وسبعين ومائة في خلافة هرون وولي القضاء ببغداد وكانت وفاته هناك . ترجمته في مرآة الزمان نسخة دار الكتب المصرية الجزء السادس الورقة 42 ، وكان للسندي هذا ابن يسمى ابراهيم روى عنه الجاحظ كثيرا (البيان والتبيين 1 \ 141) .

(10) أبو عطاء معروف ترجمته في الاغاني وأبو الأصم الهندي له ذكر في المرزباني 513 (« أبو الضلع » كذا في الفهرست 164) والحيوان 171/7 .

(11) البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) 70/1 ، 74 ، والحيوان 118/1

وتفرغ اولو الامر لتشجيع الحركات العلمية ورعاية الادب وذويه ؟

كانت اواخر ايام بني امية ألوهن والاختلال والفتن اعتبها الانقلاب العباسي فلاقى أبو مسلم الخراساني بعض العناء في أخضاع منصور بن جمهور الكلبي ذلك الطاغية الذي كان قد اغتصب ولاية السند منذ زمن غير بعيد ، ولكنه نجح أخيرا في ضم هذه الولاية للسفاح على يد موسى بن كعب التميمي في سنة 134 هـ . وقد اقترن ظهور العباسيين بتقلب العاصمة من دمشق الى بغداد فازداد التقارب من السند جغرافيا ، مع ما هو معروف عن الخلفاء العباسيين وأعيان السلطنة في عهدهم من الميل الشديد الى الفرس والعجم وحضاراتهم وآدابهم .

لم تكد الأمور تنتظم في العهد الجديد حتى نرى وفدا من أهل السند يفد على السفاح ، وذلك قبل موته بثلاثة ايام (12) . لا نعلم اذا كان هذا الوفد يضم احدا من أهل العلم ، ولكن على كل حال لم يكن له اثر يذكر لمصادفة وصوله في وقت غير ملائم .

ثم استمرت الأحوال تنهيا لجلب العلوم من الخارج في عهد المنصور مما حفز أهل العلم في السند الى عرض ما لديهم ، فوصل احد منهم كان متضلعا في علم الهيئة والرياضيات ، الى بغداد في سنة 154 هـ ، فنتقدم الى الخليفة بكتاب «سدهانت» (السند هند x) الذي قام ابراهيم الفزاري بترجمته الى العربية (13) واطلاع العرب على «سدهانت» يعد نقطة هامة لا من حيث كونه بداية حسنة للتبادل العلمي بين الهند والعرب فحسب ، بل من حيث الآثار المترتبة على ذلك ايضا ، فانه وان يعلم بالضبط متى تعلم العرب «الأرقام الهندية» فالظنون أنهم تعلموها عن طريق ترجمة «سدهانت» الذي يحتوي اليابان الثالث عشر والرابع والعشرون منه على بسط وبيان لتلك الأرقام (14) . على كل حال نال «سدهانت» من اقبال العرب وتقديرهم ما كان سببا لرفع صيت الهند الى درجة عالية ، آية ذلك أنهم قاموا في مدة قصيرة بترجمة كتابين آخرين في علم الهيئة هما «ارجيهذ» (الأصل : آرية بهت) و«أركند» (الأصل كهنند اكهنديك Khanda-Khadyaka) . نقل الاول أبو الحسن الأهوازي والثاني يعقوب بن طاروق في سنة 161 هـ (15) .

(12) تاريخ اليعقوبي 433/2 .

x قال البحتري (د الجواب 160/2) : الست بالسند هند ذا بصر ان لم تفق حاسبيه تنتصف

(13) البيروني : كتاب الهند ص 208 .

(14) عرب وهندي تعلقات ص 134 هذه الأرقام مغروفة عند العرب بس «الأرقام الهندية» وعند الأفرنج بس «الأرقام العربية» [Arabic figures] لأنهم بدورهم أخذوها من العرب ، أعني عرب الأندلس وربما سماها عرب الأندلس «حساب القبار» لأن الهنود كانوا يرسمونها على التراب أو الرمل بدل اللوحة أو السبورة لتعليم الأولاد كما يشاهد ذلك في بعض أرياف الهند الى يومنا هذا . انظر قول الشاعر يصف التخت الذي يضرب عليه حساب الهند :

وقلم مداده تراب
في صحف سطورها حساب
يكثر فيها المحو والاضراب
من غير ان يسود الكتاب
حتى يبين الحق والصواب
وليس اعجام ولا اعراب
فيه ولا شك ولا ارتياب

(الحصري : زهر الآداب 90/2)

(15) هاك الألفاظ الهندية التي بقيت كمصطلحات علم الهيئة بالعربية : «كردجه» (الوتر المستوي) أصلها بالسنسكريتية «كرمجيا» ، «جيب» أصلها «جيو» ، «أوج» أصلها «أوج» بالجيم الفارسية ، «أرين» من «أجين» اسم لبلدة في وسط الهند ، «أدماش» أصلها «أدهماسا» .

وعلى اثر هذه البداية الحسنة لابد ان الامراء واهل العلم في بغداد قد عرفوا واعترفوا ببراعة اهل الهند في ميادين اخرى ، ولاسيما الطب ، فلذلك نراهم يشيرون على هارون الرشيد ابان مرضه باستقدام الطبيب الهندي الشهير « منكه » (مانك) وورد الطبيب الهندي فنج في علاج الخليفة وحظي عنده ويقسي يشرف على نقل الكتب من اللغة السنسكريتية (16) .

وفي هذه المرحلة اي بعد ان كان الطريق قد مهد لحركة نقل العلوم من الهند الى بغداد يطالعنا التاريخ بظاهرة قوية ، يجدر بنا ان نقف عندها لعلنا نكتشف حقيقة طالما غمضت على كثير من المؤرخين القدماء والمحدثين . وتلك الظاهرة هي التي اشار اليها ابن النديم بقوله :

« الذي عني بأمر الهند في دولة العرب يحيى ابن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بأمر الهند واحضارها علماء طبها وحكائها » (كذا / . الفهرست 345 .

فما هو مبعث هذه النزعة الى الهند وعلومها في نفوس البرامكة ؟

لنبحث عن اصل البرامكة حتى نصل الى جواب لهذا السؤال .

البرامكة من أصل بوذي لا مجوسي

المعروف عن البرامكة ان اجدادهم كانوا يتولون قبل الاسلام معبدا للمجوس ببلخ ، وكان « برمك » لقباً لرئيس سدنة ذلك البيت الذي كان يسمى « نوبهار » . اما اصل كلمة « برمك » من ناحية اللغة فلم يتعرض له القدماء ، وجاء المتأخرون من المؤرخين واصحاب المعاجم من الفرس فقالوا بان الكلمة مشتقة من المصدر « برمكيدن » اي المص بالفارسية وايدوا قولهم هذا برواية مؤداها ان اول « برمك » اسلم (بعد ان خرب قتيبة بن مسلم « نوبهار » في سنة 86 هـ) لما وقف امام الخليفة اضطر الى الاعتراف بانه كان يحمل معه سما في خاتمه حتى يمسه (بالفارسية : « برمك ») اذا وجد الموت خيراً من حياة الخزي ،

وهذه الرواية مختلفة بدليل ان المؤرخين مجمعون على ان « برمك » لقب قديم كان يلقب به رؤساء « نوبهار » قبل الاسلام بكثير . وقال بعض آخرون ان « برمك » اسم لمكان والنسبة اليه « برمكي » . واتى ابن الفقيه الهمداني وياقوت بتعليقين في منتهى الغرابة حينما قال الاول ان « برمكة » يعني حاكم مكة (17) وذلك لان معبد بلخ كان قد انشئ ليكون نظيراً لمكة ، وقال الثاني ان « بر » هنا بمعنى الابن وان « برمكة » اما يعني ابن مكة (18) وهذه الأقوال كلها ظاهرة البطلان لا تستحق التعليق عليها بشيء .

وذهب الكاتب الهندي عبد الرزاق مؤرخ « البرامكة » (باللغة الأردوية) الى ان اصل « برمك » هو « برمخ » - « بر » يعني « كبير » و « مخ » [magos باليونانية و « مجوس » بالعربية) يعني عبدة النار - وعلى هذا « برمك » يكون معناه « رئيس المجوس » وهذا القول يظهر انه قريب جدا الى الصواب ، مع انه لم يعرف بعد مثال آخر لابدال « الغين » « بالكاف » في التعريب ، الا انه قد بقي ان نتأكد اذا كان معبد بلخ معبدا للمجوس يعبدون فيه النار او معبدا للبوذيين يعبدون فيه الاصنام او « البد » على حد تعبير المؤرخين العرب .

من حسن الحظ ان بايدينا وصفا مسهباً لهذا المعبد عند المسعودي والهمداني وياقوت يمكننا ، اذا أمعنا النظر فيه ، من الاهتداء الى جواب على هذا السؤال وهناك ما يقوله ياقوت عنه :

« قال عمر بن أزرق الكرمانى : كانت البرامكة اهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف ، وكان دينهم عبادة الاوثان ... ونصبوا حوله (اي حول بيت النوبهار) الاصنام وزينوه بالدبياج والحريسر وعلقوا عليه الجواهر النفيسة ... وكانت الفرس تعظمه وتحج اليه ، وتهدى له وتلبسه انواع الثياب وتنصب على أعلى قبته الأعلام ، وكانوا يسمون أعلى قبته « الاستن » وكانت مائة ذراع في مثلها وارتفاعها فوق مائة ذراع بأروقة مستديرة حولها وكان حول البيت ثلاثمائة وستون مقصورة ليسكنها خدامه وقوامه

(16) ابن أبي أصيبعة 33/2 .

(17) كتاب البلدان ص 323 « فسما سادنها الاكبر برمكا » اي انه باب مكة ووالي مكة فصار كل من ولى منهم ذلك يسمى برمكا .

(18) معجم البلدان (نوبهار) « كانوا يسمون السادن الاكبر « برمكا » لتشبيههم البيت بمكة يسمون سادنه ابن مكة فكان كل من ولى منهم السادنة برمكا .

وسدنته ، وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا ، ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذي فوق القبة فتلقته بترمز وبينهما اثنا عشر فرسخا ... وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تديسن بذلك الدين وتحج الى هذا البيت ، وكانت سنتهم اذا هم وافوه ان يسجدوا للصنم الأكبر ويقبلوا يد برمك .

هذا الوصف لياقوت في معجم البلدان (النوبهار) يطابق لفظا ما أورده الهمداني (البلدان ص 3 — 322) بحيث يصبح من المؤكد أنها استقياه من مصدر واحد وان لم يذكر هو الآخر اسم عمر بن أزرق الكرمانى كما فعله ياقوت هو الأول . كذلك يوافق هذا الوصف معنى ما جاء في مروج الذهب — 48/4 — للمسعودي (ايضا آثار البلاد للقرطوبى 221) ومما يجدر بالملاحظة والتنبيه عليه في هذا الوصف :

أولا : لم يرد فيه ذكر للنار حتى يقال ان النوبهار كان بيتا من بيوت النار .

ثانيا : بالمعكس نص فيه على ان معبد بلخ لم يتجاوز ان يكون بيتا لعبادة الأوثان والأصنام التي كان من بينها « الصنم الأكبر » الذي كانت سنتهم ، اذا هم وافوه ، ان يسجدوا له .

ثالثا : من المعروف ان « ملوك الهند والصين وكابل شاه » ولنصف اليهم نيزك طرخان ملك تركستان الذي جاء عنه في الهمداني وياقوت (وستقل هذه القطعة فيما بعد) أنه غضب من قبول البرامكة الاسلام وزحف اليهم بجيشه ونكل بهم كل هؤلاء الملوك لم يكونوا يدينون الا بالدين البوذي (Budhism) .

رابعا : ان (« الأستن » « آسبت » « است ») ليست الا اشكالا محرمة لكلمة « استب » بالأصل « استوب » (stupa) وهي تطلق على معبد البوذيين الذي أودع فيه رماد جثة بوذا ، وقد كان الرماد قسم ودفن داخل قباب مبعثرة في عدد من الممالك التي كانت البوذية سائدة فيها ، ولا تزال المعابد من هذا النوع موجودة في الهند منها « استوب سانجي » بالقرب من مسقط رأسي مدينة بوفال في وسط الهند . يظهر

ان الكتاب كانوا اعرف بكلمة « الأستن » اي العامود بالفارسية فحرفوا « استب » الى ذلك الشكل .

ثم هناك أدلة أخرى ترشدنا الى الجزم بأن معبد بلخ انما كان معبدا للبوذيين وهي :

(ا) ان بلخ جزء من إقليم خراسان وما وراء النهر ومن المحقق ان « على هذا المذهب السنية اي البوذية ، كان أكثر هل ما وراء النهر قبل الاسلام » (الفهرست 345) .

(ب) يزيد المسعودي في وصف النوبهار فيقول : « وقد ذكر بعض أهل الرواية والتنقيب أنه قرأ على النوبهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته : قال بوذاسف ابواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا تحته بالعربية (19) كذب بوذاسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال ان لا يلزم باب السلطان » . اما « بوذاسف » فلاشك ان المراد منها « بوذا » لا غير ولعل أصلها « بودهاسطور » كما ذهب اليه المحقق زخاؤ (انظر مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند) .

وقد وردت هذه الحكاية ايضا في مسالك الابصار (224/1) لابن فضل الله العمري وهناك « سوراشف » بدل « بوذاسف » مصحفا

(ج) قال العمري ايضا : « بناء منوشهر الهندي وكان يأتيه من الصائبة من يتقرب بالقمير » لا يستبعد ان يكون المراد من المتقربين بالقمير « الهندوس لا غير بناء على ان البعض يرون ان أصل « هندو » هو « اندو » اي القمير (قارن المسعودي : « النوبهار ... بناء منوشهر ... على اسم القمير ») .

(د) قد ورد لهذا المعبد ذكر كمعبد للبوذيين في مذكرات السائح الصيني هوان كوانك الذي زار بلخ في القرن السابع الميلادي اي قبيل او بعيد فتح العرب لها (دائرة المعارف الاسلامية « Barmakids » .

فهل من شك في ان النوبهار لم يكن بيتا من بيوت النار يعبد فيه الجوس بل انما كان معبدا للبوذيين يعبدون فيه الأصنام او « البد » واذا وثقنا من هذا فليس من الصعب الاهتداء الى ان أصل النوبهار هو « نووهار » وهار اسم معروف لمعبد البوذيين والخاتناه حوله ولا

(19) في مسالك الابصار : « ثم لما ملك الاسلام مدينة بلخ ، كتب تحت هذه الكتابة بالعربية ... الخ » .

هما المستشرقان زخاو (مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند ص 31) وبرتالد (Barthold) دائرة المعارف الاسلامية) (Barmakids) كما ان الاول هو الذي بحث عن الاصل السنسكريتي لكلمة « برمك » ثم تتبع نتائجها الكاتب الهندي الدكتور السيد سليمان الندوي الذي يرجع اليه الفضل في بسط الدلائل كما قد اقتبسها هنا من كتابه « عرب وهندي تعلقات 102 - 124 ، ثم يمضي الدكتور السيد سليمان الندوي خطوة اخرى فيلفت النظر الى ان القول بانحدار البرامكة من اصل ايراني ينتقض ايضا بما جاء به ابن الفقيه الهمداني (وياقوت حرفا بحرف) وهذا نصه :

« فلم يزل يليها برمك الى ان فتحت خراسان ايام عثمان بن عفان وقد صارت السدانة الى برمك ابي برمك ابي خالد فوجه برمك الى عثمان في الرهائن فورد المدينة ورغب في الاسلام فأسلم وسمي عبد الله ورجع الى ولده وصارت البرمكة في بعض ولده فكتب بعض الملوك الى برمك يعظم ما أتى من الاسلام ويدعوه الى الرجوع في دين آباءه فكتب اليه برمك اني انما دخلت فيه اختيارا وعلما بفضل عن غير رهبة (ولا رغبة) (20) ولا أرجع الى دين بادي العوار متهنك للاستار فغضب الملك وزحف الى برمك بجمع كثيف فكتب اليه برمك قد عرفت حبي للسلامة واني ان استنجدت عليك الملوك انجدوني فانصرف والا صرت الى لقائك ، فانصرف عنه ووادعه ثم لم يزل ذلك الملك واسمه نازك (نيزك) طرخان يغتر برمك ويطلبه حتى بيته وقتله وعشرة بنين له فلم يبق لهم برمك سوى برمك ابي خالد فحملته امه وهربت به وكان صغيرا الى بلاد قشمير ، فنشأ برمك وتعلم النجوم والطب وأنواع الحكمة ، وبقي على شركه واصابهم وباء فتشاعروا بمفارقة دينهم فكتبوا الى برمك فقدم عليهم فاجلسوه في موضع ابيه فتولى امر النوبهار فسمي برمكا وتزوج ابنة ملك الصغانيسان فولدت له الحسن وبه كان يكنى وخالدا وعمرا وام خالد ، وسليمان بن برمك من امراة غيرها من اهل بخارى وكان صاحب بخارى اهدى الى برمك جارية فولدت له كال بن برمك وام القاسم وبنسا اخرى (كتاب البلدان 323 - 324) .

يزال اقليم الهند الشمالية الذي ولد فيه بوذا يسمى « بهار » (Bihar) الى وقتنا هذا . وليس بمستغرب ان خفي الامر على العرب فانهم كانوا اعرف بكلمة « بهار » الفارسية فلذلك قالوا : « وتفسير النوبهار البهار الجديد لان « نو » الجديد ، وكانت سنتهم اذا بنوا بناء حسنا او عقدوا بابا جديدا او طامتا شريفا كللوه بالريحان وتوجوا ذلك باول ريحان يطلع في ذلك الوقت ، فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه اول ما يظهر من الريحان ، وكان البهار فسمى نوبهار لذلك « (ياقوت) ، هذا وقد اتفق للعرب ابان فتحهم للسند « ان عرفوا معابد البوذيين من قبيل وهار ، وهاك مما اورده البلاذري في وصف واحد منها :

وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح اطافت بالمدينة ، وكانت تدور ، والبد نميما ذكروا منارة عظيمة يتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم او اسنام ليشهر بها وقد يكون الصنم في داخل المنارة ايضا ، وكل شيء اعظموه من طريق العبادة فهو عندهم بد والصنم بد ايضا .

او لا تؤكد المقارنة بين وصف معبد البوذيين هذا وبين وصف النوبهار بان الواحد لم يختلف عن الآخر ؟

كذلك نرى العرب يخطبون خبط عشواء في تفسير « برمك » فانهم لم يكونوا ليتصوروا ان تكون كلمة « مك (مكا) » غير « مكة » فاضطروا الى القول ان البرامكة « وصفت لهم مكة وحال الكعبة بها ولما كانت ترميش ومن والاها من العرب يأتون اليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام « (ياقوت) اما « بر » فقد كان في متناولهم كلمة « بور » بمعنى الابن بالفارسية فلجأوا اليها . ثم جاء المؤرخون واللغويون من الفرس فلم يكن منهم الا ان اعتمدوا على علمهم باللغة الفارسية فتخرصوا بان تكون « برمك » مشتقة من « برمكين » ثم دعموا هذا التخرص برواية مختلفة كما مر . ولكن الحقيقة التي تنسجم « وهار » واباها هي ان « برمك » اصلها باللغة السنسكريتية « برمك » ومعناها الصدر او ذو الرئاسة العليا ، لم يلقب بهذا اللقب احد من سدنة بيوت النار او معابد الجوس ، بل انما اخص به رؤساء النوبهار لاسباب ذكرناها آنفا .

ولعل من الواجب في هذا المقام ان اثبت ان اول من اشار الى كون « النوبهار » معبدا للبوذيين (وهار)

(20) كذا . زيادة في ابن الفقيه لا توجد في ياقوت .

هذا وقد جاء في النويري (نهاية الأرب 12/29)
عن محمد بن العباس المسكي عن الأسباب التي
حملت البرامكة على اللجوء إلى الهند ما هو أقرب إلى
الصواب فإنه يقول : « لما قلت الأموال في أيديهم
(الأمويين) شرعوا في مصادرات الرعايا وأخذوا
الأموال من غير وجوهها وتعرضوا إلى أموال الأوتاف
والإيتام فتمرض ولاية خراسان لبرمك ولولده وطالبوها
بالأموال وكان تحت يد برمك أوتاف جلييلة مهرب هو
ولده من أعمال خراسان إلى بلاد الهند فأتاها بها
إلى أن ظهرت الدولة العباسية ... ثم قدم خالد بن
برمك وأخوه الحسين وأهلها على المنصور ، أبى
جعفر لما أفضت الخلافة إليه فاصطنعهم وادناهم
وتربهم الخ (نفس الرواية في صبح الأعشى 2/126)

أولا يجدر بنا أن نتساءل : لماذا هربت أم أبي
خالد إلى بلاد قشمبر ؟ لأن أصل البرامكة كان من
الهند لا من إيران ولا يخفى أن قشمبر كانت مركزا
من مراكز البوذية مثل خراسان وتركستان وهناك
نشأ برمك أبو خالد على دين آباءه . لاشك أن الفرس
ادعوا انتماء البرامكة إلى جاماسب وزير كستاسب
ليثبتوا أنها أسرة إيرانية عريقة في الوزارة ، كما أن
العرب حاولوا ضم عظمة البرامكة إلى أنفسهم بدعوى
أن أم خالد جليته من عبد الله أخي قتيبة لكنها دعاوا
بقيت موضع الشك إلى أيامنا هذه . أما الماع الشعراء
إلى عبادة النار في معرض هجو البرامكة فمن السهل
جدا عدم الأخذ به لجهل العرب عامة بالفرق بين
المجوس والبوذيين ولاطلاتهم « المجوس » على المعجم
كلهم . وأخيرا لا ننسى أنه كان في مصلحة البرامكة
التضامن مع الفرس لأغراض سياسية ظاهرة .

إن يتضح لنا كل الموضوع تلك الظاهرة القوية
التي تستوقف كل من يتتبع حركة نقل العلوم والآداب
الهندية إلى بغداد ، وهي عناية البرامكة القائمة بهذا
الموضوع ، فإنا نراهم يستخدمون جميع الوسائل
الممكنة لعرض ما للهند على العرب وهم في ذلك يبدون
كانهم يعرضون شيئا من عندهم على غيرهم . أنظر
اليهم يستقدمون ابن دهن فيمهدون إليه بإدارة
المستشفى المعروف باسمهم والإشراف على ترجمة

الكتب من السنسكريتية (الفهرست 2/45) ثم أنظر
إلى جعفر البرمكي يقدم صالح بهلة إلى الرشيد لمعالجة
ابن عمه إبراهيم بن صالح (21) ويمنح أبان الشاعر
جائزة قدرها مائة ألف درهم على نظمه قصة كليلة
ودمنة (22) أما تصب السبق في هذا الميدان فكان
ليحيى بن خالد - حفيد أبي خالد الذي نشأ في بلاد
قشمبر وتعلم هناك « النجوم والطب وأنواع الحكمة »
فإنه هو الذي جلب من الهند علماء وأطباء أمثال بهلة
ومنكة وبازيكر قنبرقل وسندباد الذين أتوا ببغداد ،
وربما أسلم بعض أولادهم مثل صالح بن بهلة والذين
عرفوا العرب الطب والبلاغة عند أهل الهند (23) ،
ولكن أهم الأعمال التي تمت على يدي يحيى بن خالد
إطلاقا هو إرساله رجلا في بعثة علمية إلى الهند
« ليأتيه بمقايير موجودة في بلادهم وأن يكتب لسه
أديانهم » (الفهرست 345) فإن التقرير الذي وضعه
هذا البعث ربما كان هو المرجع الوحيد للعرب
والمسلمين في كل ما يتعلق بالموضوع طوال مدة قرنين
إلى ظهور ذلك النايف المحقق أبي ریحان البيروني .
وقد وقع في يد ابن النديم نسخة من هذا التقرير
مكتوبة « يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع
وأربعين ومائتين » ومطابقة حرفا حرفا نسخة أخرى
بخط يعقوب بن اسحق الكندي ، أورد منه ابن النديم
مقتطفات تتضمن وصفا لبعض المعابد وقرق الهنود
(الفهرست 345 - 349) ونجد بمقارنة بعض أجزاء
هذه المقتطفات بما جاء في كتاب البدء والتاريخ
(9/4 إلى 19) أن مؤلفه مطهر بن طاهر المقدسي ،
ربما اقتبس من ذلك المصدر نفسه . ثم إن بيان مطهر
ابن طاهر المقدسي كأنه جزء مما جاء (مترجما
بالفارسية) في كتاب زين الأخبار لكرديزي في هذا
الباب (24) وقد نص الكرديزي على أنه أخذ عن كتاب
التواريخ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير
بني سامان (أوائل القرن الرابع الهجري) ويذهب
البروفسور مينورسكي إلى أن الجيهاني ربما اعتمد
بدوره على كتاب المسالك الكبير (أصل المختصر
الذي نشره دي غويه) لابن خردادبه . هذا وقد
عثر أخيرا على مقطوعتين في كتاب أخبار الزمان
المنسوب إلى المسعودي (القاهرة 1938 م ص 27)

(21) ابن أبي أصيبعة 34/2 .

(22) الجهشياري 259

(23) البيان والتبيين 1 / 92 — منكه كان صحيح الإسلام ، كذا في الحيوان 213/7 .

(24) V. Minorsky: Gardizi on India, Bulletin of Lond

on, School of Oriental Studies, 1948, XII/3 & 4.

كانها اصل الترجمة الواردة في كرديزي (البندان 41 و 42) .

الهنود في العلوم والفنون المختلفة ، كما بسطها الجاحظ في رسالة فخر السودان على البيضان ، وكما يجملها قوله : « انها الامم المذكورون من جميع الناس اربع : العرب وفارس والهند والروم » (البيان والتبيين 1 / 137) اما استقصاء نتائج هذه الحركة فهو موضوع مستقل لا سيما اذا تفكرنا انها استمرت فيما بعد الى ان بلغت ذروتها في شخصية البيروني الذي مر ذكره آنفا .

فهذا هو الجو الذي ازدهرت فيه حركة نقل العلوم والآداب الهندية الى العرب وانما قصدنا الى ابراز بعض العوامل التي ساعدت في قيامها ، ولاشك انها بدأت قوية بحيث تكونت للعرب في اوائل القرن الثالث للهجرة فكرة واضحة جلية عن مدى براعة

البرانس (جبال) :

جبال البرانس ويقول لها العرب ايضا جبال البرنات ويقولون اذا تجاوزت معابر البرانصة فاعلم انك قد دخلت في افريقية (الحل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية لشكيب ارسلان ج 1 ص 24 ط مصر 1355 - 1936) وذكر ارسلان انها تسمى ايضا الجبل الحاجز او الفاصل (ص 36) ويسمون جبال فشتالة بجبل الشارات .

أبحاث عامة

- تاريخهم من لغتهم — أطلنطة —
● للاستاذ عبد الحق فاضل
- ملاحظات منهجية حول الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي
● للدكتور محمود عبد المولى
- ابن الحاجب المصري واثره في الدراسات اللغوية
● للدكتور عبد العال سالم مكرم
- علم الحركة في الفلسفة العربية
● للدكتور جلال شوقي
- الاتجاه النفسي في دراسات العقاد النقدية
● للدكتور احمد محمد الحوفي
- النظامة الالكترونية تحمي جذور مفردات اللغة العربية
● للدكتور ابراهيم أنيس
- سمات ومشابه عربية في ادب الكاتب الايطالي جوفاني فيرغا
● للدكتور عيسى الناعوري
- لغة الموسيقى كأداة للتعبير الفني
● للاستاذ سعيد الديوه جي
- دليل جديد على عروية الارقام المستعملة في المغرب العربي
● لأبوفارس
- الاستعراب في ليننغراد
● للاستاذ فيكتور بيلاييف
- الاستشراق في رومانيا
● للوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى
- للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- صور ... لشاعر العروبة عزيز اباطة باشا
- الوديمة — الى مجلة « اللسان العربي »
● للاستاذ يوسف الغريب



تاريخهم من لغتهم

أطلنطة

عبدالحق فاخيل

هذا جانب من وصف ذلك (الطوفان) المدمر
الذي اغرق البشرية ، كالذي جاء فى ملحمة
قلقميش (1)

والشطران الموضوعان بين قوسين (...) هما
من اضافاتي لشرح المعنى الذى كان معروفا لدى
القاريء البابلي الذى له نظمت الملحمة فلم يجد
مؤلفها ضرورة لايضاحه . والذى يهمننا هنا ، فى
هذا الحديث القريب موضوعا والمعجيب نتيجة ، هو
(ايراقال) الذى يرد اسمه فى المصادر الانكليزية
(Irragal) ، وهو عند البابليين . الاله مياه العالم
السفلي التي تحسبها دعائم او اعمدة ، وكأنهم كانوا
يتصورونها مثل دعائم السدود والخزانات تقام لحبس
مياه السيول والانهار . وكان اقدام هذا الاله
السفلي الشربير على قاع تلك الاعمدة هو تفسير زيادة
مياه الانهار عندهم وارتفاعها عن المستوى المعقول
احيانا ، ايام الفيضان كل عام . وكثيرا ما كان انفتاح
السدود يفرق القرى والزرورع كما شهدنا مرارا فى
الثلاثينيات والاربعينيات ، قبل بناء السدود المهمة
الاخيرة التى الجمت واسرجت دجلة والفرات ايام

فحين لاحت للبصر
اولى طلائع السحر
انبعثت من اصل افق السماء
غمامة سوداء
فى جوفها يلعلع الرب « ادد »
يسعى امام فيه « خانيش » و « شولات »
ليندرا بين يديه فى السهول والجبال
واقطلع الدعائم الاله « ايراقال »
(فانهاال ماء العالم السفلي)
وجاء بعده « نرتسا »
(رب الوغى ، بعزمه القوي)
وفتق السدود ...
وزمجرت
عواصف الجنوب ، يوما اكملنا
احتدمت
حتى طفى هبوبها العاتي ففطى الاجبلا
فتتك فتكا بالنفوسى
هوجاء كالحرب الضروسى !
ولم يعد اخ يرى اخاه ..

... الخ

(1) ملحمة شعرية بابلية ، سبق التنويه بها فى حاشية موضوع « عشتار » فى العدد الماضى .
ولكاتب السطور كتاب عنوانه « هو الذى رأى » يتضمن ترجمة شعرية للملحمة تتقدمها دراسة
عنها .

هياجهما . وما دامت دعائم السدود الفوقية هذه قوية محكمة لم يعد يهنا اقتلاع دعائم المياه السفلية التي تسبب فوران الانهار .

ويبدو ان وليمي بمقارنة الالفاظ وتمحيص معانيها واستعراض متشابهاتها قد ابتلاني بحساسية خاصة لا شعورية في بعض الالفاظ ، فما سمعت عيني كلمة (ايراقال) ، اعني ما وقعت عليها عيني وتحسستها اذني ، حتى قفز الى ذهني اسم هرقل (Herakles) بالاعريقية و (Hercules) باللاتينية . لكنني في العادة سرعان ما انبذ الاهتمام بالتشابه اذا لم اجد صلة معنوية تربط بين اللفظين . اما الشبه بين (ايراقال) و (هرقل) فلم استطع ان انبذه بهذه السهولة لان شيئا آخر قفز معه الى ذهني هو « اعمدة هرقل » Pillars of Hercules بالانكليزية و Hercules columnae باللاتينية .

واذا لاحظنا ان اقدم اسماء هرقل على اختلاف صورها في اللغات الاوربية هو الاسم الاغريقي (هراكلس Herakles) الشبيه جدا باسم (ايراقال Irragal) البابلي لم يسعنا الا ان نتساءل جادين : هل اعمدة هرقل هي نفسها اعمدة ايراقال ، او هل هي مقتبسة منها ؟ هل هي اعمدة مائية ؟

ان اعمدة هرقل ليس لها تعريف واضح محدد، وانما يطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في المحيط الاطلسي بالقرب من جبل طارق . ويطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في البحر المتوسط بالقرب من جبل طارق ايضا . ولا يدري احد سبب هذه التسمية .

ثم قفزت الى خاطري مسألة اخرى . كنت قرأت في كتاب عربي ان هذا المضيّق كان يقوم عليه جسر بأعمدة يعبر عليه الناس والدواب !

ومسألة رابعة . لترك المسألة الرابعة الآن، لكي نعود اليها حين يجيء دورها في تفسير غرق (اطلنطة) الذي تجرنا اليه ذكرى الطوفان البابلي .

اطلنطة (Atlantis أو Atlantica) - قارة او جزيرة اسطورية كانت في المحيط الاطلسي ، كالذي رواه افلاطون نقلا عن بعض قدامى الكتاب . وخلاصة العروف عنها ان كهنة مضربين تحدثوا الى (صولون) عن تاريخ غابر لامته فقالوا له ان اعظم

مآثر اثينة قاطبة هو دجرها لجزيرة اطلنطة التي يجدون في مدونات لهم قديمة ، انها كانت قبل تسعة آلاف عام - من ذلك العهد - دولة عظيمة تقع قبالة اعمدة هرقل ، ويروى امتدادها على مجموع ليبيا وآسيا الصغرى . وقد كانت ممرا الى جزر اخرى وقارة اخرى ، وكان البحر المتوسط مجرد ميناء لها . وتمتد امبراطورية اطلنطة من الاعمدة حتى مصر وتيرهنيا (Tyrrhenia) . ويقول الكهنة المصريون « ان هذه الدولة القوية كانت قد عبأت قواتها ضد مصر وهيلاس (Hellas) - اليونان - وجميع الاقطار المحاذية على البحر المتوسط . وعندئذ دحرتها مدينتك بشجاعة ، فذاعت شهرتها في الارض قاطبة . فقد قامت، معرضة حتى وجودها للهلاك وقد تخلى عنها الهيلانيون الآخرون ، بصد الغير فوهبت الحرية عن طواعية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة . وبعد ذلك بقليل حدث زلزال عظيم ففاز كل قومك الصناديد في الارض واختفت جزيرة اطلنطة كذلك في البحر . وهذا هو تفسير الضاحض التي توجد في ذلك الجزء من المحيط الاطلسي » .

وتقول المعلمة البريطانية - ط 9 - عام 1875 ! - التي استقيننا منها هذه المعلومات ان هذي هي المادة الاساسية لحكاية الجزيرة كما رواها القدامى، وهي حكاية ان لم تكن خيالية بجملتها فهي تعود الى اشد اصقاع التاريخ غموضا . ولعل القصة تجسد اسطورة شعبية ، ولعل الاسطورة قائمة على ظروف تاريخية معينة ، اما ماذا كانت هذه (الظروف) فمن المتعذر البت فيه الآن » .

لكننا نستبعد القول بانها اسطورة شعبية لان الاغريق الذين تخصصهم الحكاية احرياء عندئذ ان يكونوا قد سمعوا بها خلال ذلك العهد المتناول . هذا الى ان الكهنة الذين رووها قالوا انها من مدوناتهم ، لا من الاساطير المتداولة . ويصدق قول المعلمة فقط اذا قلنا ان تلك المدونات القديمة نفسها تعتمد على اسطورة شعبية .

اما طبعة عام 1960 - الحديثة - من المعلمة البريطانية فتشكك في صدق افلاطون نفسه حيث تقول « ويتمذر البت الى اي مدى تعتمد هذه الاسطورة على اختراع افلاطون والى اي حد تقوم على وقائع لم يبق تسجيل عنها » .

« المحيط الاطلسي » من جهة وانها « تمتد من اعمدة هرقل حتى مصر » من جهة اخرى . فكيف نوفق بين هاتين القالتين ؟ كذلك سبق ان امتدادها « يربو على مجموع ليبيا وآسية الصغرى » .. فما الداعي الى مقارنة اطلنطة بهاتين الرقعتين الكبيرتين من الارض فى شرقي البحر المتوسط وهي واقعة فى المحيط الاطلسي ؟

كذلك غرق الاثينيين - فى البحر المتوسط طبعاً - لا يتفق مع اسم اطلنطة الذى هو اقرب الى اسم المحيط الاطلنطي او الاطلسي منه الى اسم اي بحر آخر .

ثم ما معنى قول الرهبان المصريين ان ائينة بدحرها جيوش اطلنطة « وهبت الحرية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة » ؟ فهل كانت هناك اعمدة لهرقل تحيط بالنظر الاثيني وعدد آخر - يبدو انه عدد كبير - من الاقطار ؟ .

هنا ياتي دور الحقيقة الرابعة التي خطرت لي مع اعمدة هرقل وكان نصيبها الارجاء حتى الآن .

يقول الجغرافيون ان البحر الابيض المتوسط كان ارضاً يابسة تصب فيها الانهار من اوربة وافريقية اللتين كانتا من ثم متصلتين وان جبل طارق كان يمتد بينهما فى أقصى الغرب منهما كالجسر ، أو بالحري انه كان يقوم بوجه مياه المحيط الاطلسي كالسد . ثم حدثت تقلبات ارضانية من الزلازل فانفتق الجبل وانقسم ، فتدفقت مياه المحيط الاطلنطي من ذلك الخرق العظيم الذى نسميه الآن مضيق جبل طارق فأغرق ارضاً شاسعة هي التي تسمى الآن بالبحر الابيض المتوسط .. فانفتحت القارتان اللتان كانتا رتقا .

واذن فان كان لاسطورة اطلنطة نصيب من الصحة فلا بد انها كانت فى منطقة هذا البحر الابيض المتوسط ، لا فى المحيط الاطلسي .

وتشابه العقائد بين شعوب العالم القديم فى كثير من الكليات وبعض الجزئيات ، مثل عبادة الشمس والنجوم والظواهر الطبيعية .. يدل على أن عقيدة الاعمدة التي تحجز المياه ويحكمها الاله ، قد كانت شائعة أيضاً منذ ذلك العهد السحيق يفسرون بها

والطبعة القديمة - الائمة الذكر - اقرب الى الانصاف والمنطق حين تعزو الشك فى صدق الاسطورة الى تقادم العهد وطبيعة المأثورات الشعبية بدلا من اتهام افلاطون باختلاق الرواية من اساسها .

ومهما يكن فقد اثارت المسألة مجادلات طويلة فكذبها قوم لهم وزنهم وصدقها قوم لهم وزنهم . لكن كاتب المادة فى هذه الطبعة الحديثة من المعلمة اميل الى التكذيب حيث يقول كالمستنكر حتى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان صدق الاسطورة يناقش فى جد ، وفى تصديق أحيانا حتى من قبل مونتائين (Montaigne) وبفون (Buffon) وفولتير (Voltaire) !

ومما اضعف الحكاية واوهى حجتها كثرة الاساطير الشبيهة بها - والمنشقة منها فيما نخال - منذ اودية هوميروس التي وردت فيها قصة شبيهة عن جزيرة الفاياقيين (Phaeacians) . وقد اهتم الباحثون بعد عصر النهضة بتحقيق اسطورة اطلنطة ، وقال بعضهم انها امريكة ، وآخرون اسكندناوية ، أو الكناري .. وقال بعضهم انها فلسطين !

وارتأى بعض الاعراقيين (1) أن اخلاف اولئك الاطلنطيين المرفقين هم الباسكيون أو قدامى الايطاليين أو غيرهم .

لقد انكر الكثيرون وجود اطلنطة لكن احدا من المنكرين لم يستطع أن يدعم انكاره ببرهان مقبول . وقد أيد الكثيرون صحة وجودها لكن احدا منهم لم يتمكن من اثبات تأييده بدليل معقول . فهل فى وسع اللغة ان تساعفنا ولو ببصيص من النور فى هذه المناهة المظلمة ؟

ارشدتنا اللغة الى الشبه بين اسم هرقل وايراقال ، والى دعائم هذا واعمدة ذلك . وقد جرتنا الطوفان الذى احده قلع اعمدة ايراقال واغرق البشر فى العراق الى ذكرى تلك الجزيرة أو القسارة التي اغرقها الزلزال فى المحيط الاطلسي . فهل لهرقل علاقة ما باغراق اطلنطة ؟ هل قلع هو الآخر دعائمه فاهلك تلك الامبراطورية المتجبرة ؟

ان اسطورة اطلنطة هذه تفرقتنا بدورها فى بحر من الغموض والتناقضات . فقد سلف انها تقع فى

(1) تقصد بهم علماء الاجناس او الاعراق البشرية « ethnologists » وتترجح لعلم الاعراق البشرية « ethnology » مصطلح « الاعراقيات » على غرار الارضانيات لعلم « الجيولوجية » .

فيضان الانهار . واذن فهذا الجبل المنقسم هو المقصود بأعمدة هرقل ، لا الجزر القريبة منه شرقا أو غربا . واذن فالإلاه هرقل هو المجرم الذي قلع أعمدة مياهه فأغرق اطلنطة وبعض المناطق المحيطة بها مثلما كان إيراغال يرتكب جريمة قلع أعمدة المياه السفلية في الرافدانية كل عام فيحدث الفيضان الذي يتقونه بالسدود الكثيرة المنتظمة ، الا اذا فتق الإله الحرب (نرتا) بعض السدود فيفترق الاراضي الفيحة أحيانا ، وذات مرة بالإضافة الى تفتيقه السدود أغدق الإلاه (أدد) مياه العالم العلوي أيضا فحدث الطوفان الأكبر الذي أغرق العالم كله وأهلك الحرث والنسل .

كان هرقل الإله عند الاغريق ، أبوه جوبيتر ، وأمه (ألكمينة Alcmena) . وكان اسم (هرقل) يطلق كذلك على بطل اغريقي أنجز اثنتي عشر فعلة يتعذر إنجازها على البشر العادي . لكن المعلمة البريطانية - ط 1960 - تقول ان هرقل ، أشهر أبطال الاغريق ، لا يمكن ان يكون الإله في الاصل لان اسمه الاغريقي (Herakles) ربما كان يعني « العظيمة المجيدة من هيرة Hera » ، لانه لم يكن للاغريق قط إله يتركب اسمه من اسم الإله آخر . « فلعل رجلا حقيقيا ، أو رئيسا .. يكمن وراء أسطورة هرقل البالغة التعقيد » - (مادة Hercules) .

بعد الذي رأينا لا نستطيع ان نطمئن الى صحة هذا التأثيل القائم على تجزئة الاسم لمجرد الشبه اللفظي الذي وجوده بين اسم هيرة والنصف الاول من اسم هيراكلس - بالرغم من علمهم بمخالفة هذا التأثيل لطريقة الاغريق في تسمية آلهتهم . بل يقلب على الظن ان الاسم منقول بتمامه من اسم (إيراغال) او من اسم آخر كان أثلا لكليهما .

وشبهه بهذه التسمية المنقولة اسم (لاتو Lato) أم ديانة وأبولو ، اللذين أنجبتهما من جوبيتر أيضا .

وهو نفسه بدون تحريف أو تحوير ، اسم اللات باللغة الباشورية (1) . ويسمى اللاتين (لاتونة Latona) أيضا . ومن فرط افتتانهم باللات وتقديسهم إياها سموا من باب التبرك والتشريف على ما يظهر - ولديها من جوبيتر هذين باسمين مشتقين من اسمها بالإضافة الى اسميهما الأصليين ، وهما (لاتويوس Latoius) : أبولو ، و (لاتوية Latoia) او (لاتوية العذراء Latoia virgo) : ديانة (2) .

فهذا الذي تقدم هو الذي يبرر لنا الى حد ما أننا رجحنا كون اسم (هيراكلس) مقتبسا بكامله ، غير مجزا . أطلقه الاغريق على الإله الدعائم المائية اولا ثم على البطل الانسان ، الاغريقي المشهور .. لا كما ذهب اليه كاتب المعلمة البريطانية من ان « شخصا حقيقيا أو رئيسا .. يكمن وراء أسطورة هرقل البالغة التعقيد » .. التي زادها ذلك التأثيل الخاطيء من اسم هيرة تعقيدا . وتسمية الأشخاص البشر بأسماء الآلهة مألوفة منذ القدم ، منها تسمية بعض الملوك الرافدانيين نستشهد منهم باللاهين اللذين مر ذكرهما في اطلاق بلاء الطوفان وهما (أدد Adad) : الإله الزوابع والريعود والأمطار ، و (نورتا Ninurta) : الإله الحرب .

أما التناقضات التي مر حديثها عن موقع اطلنطة فتنحل مشكلتها بمجرد قولنا انها كانت في البحر المتوسط ، لا في المحيط الاطلسي كما توهم الأقدمون الذين خدعتهم مشابهة اسم هذا المحيط لاسم تلك لجزيرة . والذي يهدينا اليه التأثيل ان أسماء اطلنطس (Atlantis) واطلنطيقا (Atlantica) والمحيط الأطلنطي (Atlantic) ترجع الى أثل واحد هو الصحيح الصريح وتعني (اطلس) ، وهو اسم عربي خالص يدل على قدم اكتمال اللغة العربية وسعة امداء انتشارها في ربوع العالم القديم .

- (1) اللغتان البابلية والآشورية متقاربتان لان الشعبين بطنان من قبيل واحد . وحين استولى الآشوريون على بابل اتخذوا اللغة البابلية الفصحى - أي الرسمية - لغتهم الرسمية والثقافية ، وتكونت على مر الزمن لغة قوامها مزاج من اللغتين يسميها علماء الرافدانيات اللغة « البابلية الآشورية » . ونقترح ادماج الاسمين اختصارا في اسم واحد هو (الباشورية Babissyrian) .
- (2) ويحتمل بالإضافة الى ذلك ان يكون اسم « لاتو » أو أحد مشتقاته أثل كل من «لاتيوم Latium» أي الموقع الذي تقوم عليه مدينة روما ، و «لاينيوم Latinium» أي اللاتيومي (اللاتيني) واللغة اللاتينية .

والأطلس (Atlas) اسم أطلقه الإغريق على الإله
يسند الأعمدة الباسقة التي تستقيم الأرض والسماء
منفصلتين ، ثم مسخه الإله (بيرسوس Perseus)
جيلا صخريا عقابا له على سوء استقباله . لكن الذي
نخمنه أن العكس هو الصواب أي أن الاسم كان يطلق
أولا على جبل أطلس ثم مسخته الأسطورة الأها . . على
عادة الأساطير مع الجبال الأخرى والانهيار والأبصار
والاشجار والاحجار . وامتداد جبل أطلس حتى المحيط
الأطلسي هو الذي جعل هذا المحيط يسمى أولا
« البحر الأطلسي » ثم « المحيط الأطلسي » ، نسبة
إلى الجزء العربي الأخير ، المجاور للمحيط ، من هذه
لسلسلة الجبلية الطويلة .

وهذا أيضا يؤيد أن أطلنطة كانت في البحر المتوسط
لأن جبال أطلس موازية ومحاذية له ، فمن المعقول عندئذ أن
تسمى هذه الجبال باسمها . وهو من جهة يفسر قول
أولئك الكهنة أن امبراطورية أطلنطة كانت تمتد من
الأعمدة حتى مصر وبيرونية ، ويوحى إلينا من جهة
أخرى أن أرض أطلنطة ربما كانت تتضمن هذه السلسلة
من الجبال أي أنها لم تفرق كلها طبقا لحدودها
السياسية بل غرق الجزء المنخفض الأهم الماهول أو
الزردحم بالسكان منها ومن بعض الأقطار المجاورة لها ،
فقال الأسطورة أنها غرقت كلها ، كما أن الفيضان
النبالي أغرق جزءا كبيرا من جنوبي العراق . فقالت
أسطورتهم أنها أغرقت العالم كله . فعلى هذا ربما يمكن
القول أن بعض أراضي المغرب العربي الكبير - من
ليبية إلى المحيط - كان جزءا من امبراطورية أطلنطة

ويذكر القاري أن الكهنة قالوا لصولون أنه بعد
حدوث الزلزال العظيم « غار كل قومك الصناديد في
الأرض ، واختفت جزيرة أطلنطة كذلك في البحر .
وهذا هو تفسير الضحاح التي توجد في ذلك الجزء
من المحيط الأطلنطي » .

إن النصف الأول من هذه العبارة يؤيد كذلك
كون أطلنطة في البحر المتوسط لأن قوم صولون
الصناديد فيه تقع بلادهم . وأما تلك الضحاح « في
ذلك الجزء من المحيط الأطلنطي » فلا نعرف المكان
المقصود به لكننا واثقون أن أمم هذا المحيط مقحم هنا
في غير موضعه بسبب مشابهة الاسم التي ضللت
الرواة منذ قديم الزمان . غير أنه يمكن تطبيق
الضحاح على بحر ايجة الذي يكتنف أرض اليونان
وعلى الأرخييل بوجه عام .

ومما يستأهل الذكر هنا أن الباحثين المحدثين
قد وجدوا بقايا من طمي دلته النيل في ذلك الأرخييل
قرب اليونان ما يشيء أن هذا النهر كان ينصب هناك
ذات زمان ، أي أن أرض مصر كانت تمتد حتى
الأرخييل الأيحي قبل الفرق . وذلك تأييد أي تأييد
لقول الكهنة العلماء أن أطلنطة كانت قد عبأت قواتها
ضد مصر وهيلاس ، لأن امتداد الأرض المصرية حتى
السواحل اليونانية يعني طبعا أنهما كانتا متجاورتين .

وقد تساءلنا آنفا عن معنى كلام الكهنة عن تحرر
جميع الأمم الواقعة « ضمن الأعمدة » ، الذي يوهم
ظاهرا أن هناك أعمدة كانت تحيط بمدد غير قليل من
الأقطار . فالآن نجيبنا حقيقة انفتاح جبل طارق عن
تسألنا . فالمقصود هو جميع الأقطار التي تقع ضمن
المنطقة التي أغرقها اقتلاع الأعمدة ، أو البحر الذي
لا منفذ له إلى المحيط الأطلنطي غير تلك الأعمدة التي
انقمت وزالت وبقي اسمها يطلق على مكانها .

وأما نعت أطلنطة بالقارة تارة وبالجزيرة طورا من
قبل الكهنة أنفسهم فالظاهر أنها تسمية متأخرة .
سميت قارة تعبيرا عن اتساع رقعتها ، وسميت
جزيرة على اعتبار أنها كانت في المحيط الأطلسي .

لكن العجب العجيب هو شأن أولئك الباحثين
الذين شخصوا الأرض المفرقة بأمريكا واسكندناوية
والكناري وفلسطين ، بعد عصر النهضة . ولم تذكر
المعلمة حجة كل منهم . لكن هذه أراض موجودة لا
مفقودة ، ويجوز أن يقال أن زازالا قد أبرزها من البحر
لا أن يقال أن زازالا قد أغرقها في البحر .

وأما قول القائلين أن جسرا كان يقوم على مضيق
جبل طارق فوهم صراح ، لأن العالم المتحضر لم
يستطع حتى اليوم أن يقيم جسرا على مثل هذا المضيق
البحري العريض .

لكن هذا الوهم قد سببه فيما يظهر أن بعضهم
صار يسمى المضيق نفسه « أعمدة هرقل » فأول ما
يخطر على بال سامع هذه التسمية هي دعائم الجسر ،
فخالوا أن جسرا كان وزال . وحين يكون جسر يعبر
الناس ، والدواب أيضا .

ونعود إلى قول الكهنة أن تاريخ أطلنطة يرجع إلى
تسعة آلاف عام قبل عهد صولون ، فهذا لا نشك فيه
لأن الحضارات وتأسيس الامبراطوريات الضخمة
والجيوش العبأة المنظمة الجرارة لم تكن قد ظهرت في
ذلك التاريخ البعيد . ولا نستطيع نحن تحديد تاريخ

ولو تقريبي ، لاننا لا نعرف متى وقع الزلزال الوخيم .
وانما هم الارضانيون الذين يسمعون ان يفثونا فسي
معرفة ذلك . لكن الواضح ان الرقم (9000) المبالغ
فيه يتفق مع طبيعة الاساطير والتواريخ الموهلة في
القدم ، التي كثيرا ما يداخلها الخلط والتزيد ، حتى
لو كانت قائمة في اصلها على حقائق من الواقع ..
كالذي نراه حتى في (تواريخنا) المعاصرة .

الارجح عندنا اذن ان اسم (اطلس) قد كانوا
اطلقوه على اطلنطة نفسها اول مرة ، ثم انتقل الى
سلسلة الجبال الموازية لها ، او التي كانت ضمن
امبراطوريتها او حدودها كالذي نوهنا به قبل ، ومن
ثم انتقلت التسمية الى المحيط الاطلسي .

ومعنى (الاطلس) في عربيتنا الباقية : الاغبر
الى سواد . واصله فيما نعتقد : الاسود ، وهذا امله
المظلم ، من قولهم طلس البصر : ذهب ، وائله طمس
البصر او النجم : ذهب ضوءهما ، اي اظلما . ومثل
ذلك دلس ودمس ... (وقد ورد تأثيل هذه الالفاظ
وتجانس معانيها في موضوع «دخيل ام ائيل» في
مكان آخر من هذا العدد من «اللسان العربي») .

ويبدو ان تلك الارض انما سميت بالاطلس كناية
عن خصبها على غرار تسمية العراق «ارض السواد» .

وانذي يرجح ذلك ويؤيد ان الاقدمين كانوا
يطلقون السواد على الارض المخصاب لشدة خضرتها
هو ان قدامى المصريين ايضا كانوا يطلقون نفس الاسم
على بلادهم .

ومعلوم ان العرب كثيرا ما كانوا يذكرون بعض
الالوان مكان بعض على المجاز او الاستعارة ، ومن ذلك
اطلاق السواد على خضرة الزروع بوجه عام حتى صار
قولهم «سواد البلدة» يعني ما حولها من الريف
والقرى (1) .

فاسم قارتنا المفقودة اذن هو (اطلس) على ما
يبدو لنا من تسلسل تطور الكلمة ، ثم اطلقت على

الجبال المغربية الموازية لها ، او الداخلة ضمن منطقتها
على الارجح ، او المعينة لحدودها الجنوبية . وقد
سمها الاجانب اطلنطس (Atlantic) ، ثم سموها
المحيط الاطلسي (Atlantis) نسبة اليها ، ثم هم عادوا
الى القارة فسموها اطلنطيقية (Atlantica) نسبة الى
هذا المحيط ، الذي حسبوها غرقت فيه .

كان الاغريق يسمون الثور tauros او اللاتين
يسمونه (taurus) وهو اسمه العربي الواضح . حتى
زيادة السين في آخر الاسم سبق ان ائناها في العربية
(في عدد سابق من «اللسان العربي» وفي كتابنا
«مغامرات لفوية») . وكان القومان - الاغريق
واللاتين - كلاهما يطلقان الاسم على جبال طوروس .
وربما كان ان الذين بدؤوا هذه التسمية قوما اقدم كثيرا
من اللاتين والاعريق ، اي قوما كانوا يتكلمون العربية ،
او كانوا يتكلمون لغة اقرب الى العربية من الاغريقية
التي تدل الملابس اللغوية على انها هي الاخرى كانت
في عهدها الاولى اقرب الى العربية .

فمن اجل هذا وامثاله من القرائن يسعنا القول ،
انه لا يستبعد ان يكون هذا شان الذين اطلقوا اسم
(اطلس) على الارض التي التهمها البحر المتوسط ،
بمعنى الارض السوداء .

ولو اتسع بنا الوقت ومصادر البحث لاتينا
بالكثير من التسميات الاوربية القديمة التي تتائل في
العربية . ولعل لنا عودة الى تفصيل ذلك اذا تيسرت
لنا الفرصة ذات حين . ويكفينا الآن ان نقول مثلا
ان اسم فرطبة Corduba باللاتينية) الذي
اظة (قريت طيبية) اي البلدة الطيبة (2) ، كما سماها
بناتها الكنعانيون (الفينيقيون) (3) .. وكما يقول
الباحثون .. يذكرونا باسم (ثيباي Thebae) الذي كان
الاعريق يطلقونه على مدينة (طيبة) في مصر العليا ،
وعلى مدينة ثانية في (بويوتية Boiotia) اسماها
قدموس الكنعاني ، وعلى مدينة ثالثة في (ساليبة

- (1) من امثلة خلط العرب الالوان بعضها ببعض تسميتهم الاسود اخضر - على العكس مما تقدم - في
مثل قولهم « اخضر شاربه » اي اسود ، واصل المعنى نبت . كذلك قولهم « القبة الخضراء » اي
الزرقاء ، و « زرقاء المنايا » اي سودها . والبغداديون يقولون ان الخوخ مثلا « ازرق » اي اخضر ،
فج لما ينضج .
- (2) جاء في الآية : « بلدة طيبة ورب غفور » مما قد يدل على ان هذا التعبير كان مالوفا ومستحبا عند
العرب ، ومن ثم سموا به قرطبة ، وغيرها ايضا فيما نظن .
- (3) يراجع فصل لنا في المصدرين المذكورين عن تسمية « فنيقية » .

التي سمي فيها فريق آخر منهم ذلك الربع الفريق
(اطلسس) .

ولنزد الامر غرابة وتطلبنا للتأمل وانعام النظر
فنقول لعل اسم (تايوان) (I) - اي جزيرة فرموزة
كما سماها البرتغاليون الفاتحون - ايضا من هذه
الفئة فهو قريب من اسم (تيب) ولاسيما اننا سمعنا
من أحد الصينيين ان اسمها يعني الأرض او الجزيرة
الجميلة !

فمن من قرائنا الكرام نتاح له الفرصة لمعاونتنا في
التحقق من هذه وتلك ؟

فيثيوتيس (Thesalia Phthiotis) ، وعلى بلدة رابعة
في (ميسية Mysia) وهي التي دمرها أخيل .

وان كان بعض هذه المدن حديثا كنعانيا كتلك
التي بناها قدموس في بويوتية فلعل (طيبة) مصر
وبعض الاخريات أقدم عهدا من ذلك بأحقاب كثيرة ،
ولعلها معاصرة لقارة اطلس .

ولولا خشيتنا الاغراق لقلنا ان بلاد (التيبت
Tibet) في احضان هملاية ايضا قد تكون من هذه
المجموعة الأعرابية ولاسيما اذا كان الاسم يعني في لغتهم
قديما او ما زال يعني الطيبة او الحسنه ، او ما الى
ذاك . فان صح هذا كان لنا ان نستنتج ان فريقا من
العرب سموا التيبب بالطيبة ربما في نفس الحقبة

(I) ان الحروف B و W و V .. كثيرا ما يحل بعضها محل بعض في مختلف اللغات . وفي الفارسية
ينطق الواو باء في بعض الالفاظ مثل كاب وكاو : بقرة . لهذا تنطق تايوان في الفارسية
مثلا : Tayban و Tayvan .

ملاحظات منهجية حول الدراسات الإجتماعية في الوطن العربي

الدكتور محمد عبد المولى (تونس)

اقتصر هذا المعهد في البداية على البحث في العلوم الجنائية كعلم الجريمة وعلم كشف الجريمة ، وعلم العقاب ليصبح بعد ذلك سنة 1960 « المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية » . وانطلاقا من هذا التاريخ أصبح المعهد يعنى بالعلوم الاجتماعية بمعناها المعروف ، ونعني بذلك علم الاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية (1) .

— وتأسست ، حوالي سنة 1962 ، دائرة لعلم الاجتماع في كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة اللبنانية ويمكن للطلاب أن يتخرج منها بالاجازة في علم الاجتماع .

— وفي تونس تأسس فرع خاص بالعلوم الاجتماعية سنة 1964 ... كما تأسس مركز للبحوث الاجتماعية الى جانب مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية (C.E.R.E.S.) ومن المعلوم أن هذا المركز يضم الى جانب البحوث الاجتماعية شعبا عديدة مثل شعبة الالسنية والحقوق والاقتصاد والديمغرافيا . ومن ميزة هذا المركز — الذي كان يتلقى اعانة مالية من مؤسسة فورد الأميركية حتى سنة 1971 — أنه يهتم بالبحوث الميدانية وخاصة في الحقول الاجتماعية والديمغرافية (2) .

ان مجتمعاتنا العربية الاسلامية ، والمجتمع المغربي جزء منها ، في اشد الحاجة الى دراسات اجتماعية لجميع مشاكلها ومؤسساتها ونظمها وتطاعات حياتها الاقتصادية والسياسية والثقافية ...

فالبحث العلمي الاجتماعي يعد في الواقع تقليدا جديدا في مجتمعنا ، وليس للعرب فيه اسهام حديث يستحق الذكر . هذا اذا استثنينا العلامة العربي عبد الرحمان بن خلدون (1332 — 1406) الذي كرسنا له ، خارج هذا العرض بحثا خاصا .

فلم يصل ، الى علمنا ، ان أحد الباحثين العرب تمكن من ربط تراثنا العلمي العربي في حقل الدراسات الاجتماعية والسياسية بالحركات الفكرية والعلمية في العالم ، وخاصة ربط هذا التراث بحقول علم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعي ، والانثروبولوجية الاجتماعية ..

ان محاولات اجراء البحوث الميدانية والعلمية في حقول علم الاجتماع (سوسولوجيا) وعلم النفس الاجتماعي ، في المجتمع العربي ، ما تزال في بدايتها ..

— فالبنسبة لجمهورية مصر العربية ، فان البحث الاجتماعي ما زال في بداية المحاولة وليس له جذور راسخة ... ويعتبر انشاء المعهد القومي للبحوث الجنائية عام 1956 نقطة الانطلاق في هذا المجال :

(1) انظر : الدراسات الاجتماعية . وتطوير المجتمع (1971 — ص 95 — 100) ص 95 و 96 .

(2) انظر مشاريع البحث العلمي في نشرتين خاصتين (1969 و 1970) :
1) Programme des Travaux de Recherche - (I.P.S.E.J.E.S.), 23, rue d'Espagne.
2) Programme des Travaux de Recherche - 1970 (C.E.R.E.S.), 23, rue d'Espagne.

— ومنذ سنوات قليلة تأسست جمعية جزائرية للدراسات الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية Aardes ، وهي تقوم بتنفيذ طلبات وزارة التخطيط والاقتصاد الوطني . كما أكد لي ذلك مديرها — وأعمال هذه الجمعية لا تعدو أن تكون جمع المعلومات الحيوية واحصاءها وفرزها .. حول ناحية معينة أو موضوع معين كالملكية الخاصة ، أو الاستهلاك العائلي ، أو احصاءات تتعلق بالسكان .. الخ بحيث ليس هنا بحوث اجتماعية بالمعنى العلمي للكلمة .

— وفي المغرب الأقصى انشئ معهد العلوم الاجتماعية ثم الحق بكلية الآداب .

أما دائرة العلوم الاجتماعية في جامعة الجزائر، فبحكم حداثة سنها لا اشعاع علمي لها .. ربما ذلك راجع الى قلة الباحثين والأساتذة الأكفاء .. وفي سنة 1967 تأسس قسم خاص يعلم الاجتماع في جامعة بغداد .

هذه هي ، باختصار محاولات الاعتناء بالبحوث الاجتماعية ، وهي تجربة لا تزال تلتبس طريقها الى النمو والأصالة والإبداع .

ولا يسعنا امامها الا ان نبدي الملاحظات المنهجية التالية :

1 — ان اللغة الاساسية لتدريس العلوم الاجتماعية والبحث العلمي الاجتماعي ، في كليات ومعاهد الشرق العربي هي اللغة العربية .. الى جانب لغات أجنبية مساعدة .

أما اقطار المغرب العربي ، فان الفرنسية هي المعتادة كأساس للتدريس والبحث في حقول الدراسات الاجتماعية ، نستثنى من ذلك دائرة العلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر التي قطعت خطوات موفقة في تعريب العلوم الاجتماعية . ومن المؤلفون ان نلاحظ ان جل الباحثين في علم السوسولوجيا بتونس والمغرب الأقصى ، عندهم جهل يكاد يكون تاما باللغة الوطنية والتراث الشعبي ، وبالتالي بلغة المجتمع ورموزه وتاريخه ...

2 — اقتصر الجيل الاول من الباحثين واساتذة علم الاجتماع — وكان تكوينهم في الغالب فلسفيا — على تدريس علم الاجتماع (سوسولوجيا) ، على غرار التقاليد الفرنسية التي تهتم بشديد الاهتمام بالمقارنة بين الأفكار والمدارس السوسولوجية ، مقارنة فتتفر الى الدراسات الميدانية والواقعية ... (وانصب جزء كبير من اهتمامهم على شرح اعمال المدرسة الدوركايمة (1) ابتداء من مؤسسها اميل دوركيم ومرورا بأعمال غوكوني (2) عن المسؤولية وسلاستين بوتلي (3) في كتاباته عن المساواة : والديمقراطية امام العلم وريسي هيسر (Hubert) (1885 — 1954) في قواعد السلطة في الديمقراطية .. ودراسات ليفي بريل الانثروبولوجية ... الخ .

وقد اقتصر هؤلاء الأساتذة والباحثون الرواد : كما فعل زملاؤهم في أمريكا اللاتينية على النقل دون الفحص والتفسير والتأصيل . وهذا يعني ان هؤلاء جميعا لم يهتموا بربط النظريات الاجتماعية بالظروف الاقتصادية والسياسية التي نشأت وترعرعت في ظلها، فلا يمكن بأية حال من الأحوال ان نفهم مدرسة اميل دود كيم الا في ضوء أوغست كونت (4) الذي هو الآخر لن يفهم في معزل عن ظسروف العصر الذي عاشه : مثلا الصراع بين البورجوازية والطبقات الكادحة على مستوى حركة المجتمع ، وبين الايجابية الوضعية (Positivisme) والاشتراكية على مستوى الصراع الايديولوجي .

ان الدراسات داخل هذا الاطار تساعدنا كثيرا على فهم أوغست كونت وبالتالي اميل دوركيم .

ويقول كاتب معاصر في هذا الصدد : « عجز هذا الجيل عن تقديم منظور سوسولوجي للمعرفة يربط بين الفكر وبين البناء الاجتماعي برباط وثيق ، وبالتالي قدم الفكر السوسيكولوجي الفرنسي معزولا عن جذوره ، وبكل ما يتضمنه من تحيزات ايديولوجية صارخة ، لم يكن الغرض منها سوى الحفاظ على مصالح الطبقة البورجوازية الأوروبية ، وأهم هذه التحيزات ضرورة الفصل بين القيم والواقع ، ومنع

(1) Emile Durkheim (1858-1917)

(2) Paul Fauconnet (1874-1938)

(3) Célestin Bouglé

(4) Auguste Comte (1793-1857)

الباحث الاجتماعي من تقييم الظواهر الاجتماعية او الحكم عليها نزولا عن رغبة « موضوعية » العلم و « حياده » .

3 - وبعد سنوات جاء جيل من الاساتذة والباحثين العرب فأدخلوا ، لأول مرة ، في البيئة العلمية العربية مناهج وطرائق البحث الاجتماعية الميداني ، وشرعوا في تطبيقها على نطاق محدود جدا لا يتعدى الدراسات والبحوث ، للحصول على درجة الدكتوراه او في صورة اعداد بحوث جزئية لدراسة موضوعات خاصة .

ومن الملاحظ ، في هذه المرحلة بالذات ، تأثير الباحثين والاساتذة العرب ، او جلهم على الاقل ، بالمناهج الغربية وبأدوات البحث المستعملة في الغرب الرأسمالي وكان من الصعب ان تتوفر الفطنة النظرية لدى الباحث الاجتماعي العربي حتى يكشف عن الجذور الايديولوجية التي يزخر بها علم الاجتماع .

ولم يكن من الهين ، في هذه المرحلة الانتقالية على الباحثين العرب هضم ما درسوه في الشرق او في الغرب ، والاستقلال بوضع طرائق علمية وعلم اجتماع عربي - اسلامي له أساليبه وطرائقه لدراسة واقع المجتمعات العربية - الاسلامية ، بينانها وطبقاتها الاجتماعية ومشاكلها ومؤسساتها ، وفي تحليل هذا الواقع بما احتوى عليه من قيم غنية خالدة ، الى جانب ما تضمنه من فوضى وتناقض ، صنعت بعضها ، عصور الانحطاط والظلام ، وصنع بعضها الآخر التخلف الفكري والمادي طوال الاحتلال الاستعماري في العصر الحديث .

4 - ان استعمار المناهج المستوردة في دراسة المجتمعات العربية الاسلامية : دون نظر الى طبيعتها الخاصة وظروفها وتطورها التاريخي والسياسي والاقتصادي ، ورموزها وحركيتها ، هو خطأ منهجي في منتهى الخطورة . انه مصدر سوء التفاهم والخلط الذي كثيرا ما يحدث في استعمال المناهج العلمية في غير ما وضعت له . واذ عمد الباحثون الاجانب ، الى درامة المجتمعات العربية الاسلامية ، رغم جهلهم

الظاهر بطبيعتها ورموزها ولغتها ، وحركيتها وتفكيرها الديني ، - استعملوا طرائق منهجية قد تكون صالحة لدراسة مجتمعاتهم ، والتطور التاريخي والاجتماعي والفكري لها - فاذا ما تهافت الباحثون العرب وخاصة في المغرب العربي - الا من رحم ربك - على هذه الدراسات التي وضعها الاجانب عن المجتمع العربي وتاريخه ، فانهم يفقدون بذلك موضوعية بحثهم ويرتكبون بذلك ، خطأ منهجيا ، خطير العواقب (1) .

لا بد اذن ، والحالة هذه ، من اعادة النظر في دراسات الأروبيين والاجانب من مستشرقين ومن دار في فلهم من اساتذة ودكاترة ، ان عدم ثقتنا بانفسنا وتخلفنا العلمي والتكنولوجي ، والاقتصادي قد حجب الينا كل ما هو اجنبي « الى حد ان هناك جماعات تعتقد ، كما اكد علال الفاسي ، ان الخير كل الخير هو في تقليد اوروبا الغربية ، وامريكا السكسونية ، وروسيا السلافية ، والمانيا الجرمانية » .

5 - ان التقاليد الفرنسية في علم الاجتماع ، جعلت جل الدراسات الاجتماعية مبنية على مبدأ الحياد وتعلمة الموضوعية ، وهذا الموقف لا يمكن ان يفسر الا بتطور المجتمع الأروبي نفسه . ذلك ان المجتمعات الأروبية - والمجتمع الفرنسي جزء منها ، - قد تأثرت بمؤثرات وحفت بها ملامسات ، ما عاشتها مجتمعات العالم الثالث ، والمجتمعات العربية الاسلامية خاصة : مرت هذه المجتمعات (الغربية الرأسمالية) بعصور الانقطاع والجهل والظلام ، الى عصور الثورات التي عصفت وما تزال : فمن ثورة فكرية في القرن السابع عشر ، الى ثورة سياسية في القرن الثامن عشر ، الى ثورة اقتصادية في القرن التاسع عشر الى ثورة اجتماعية في بداية القرن العشرين كل هذه الثورات بمذاهبها المختلفة وملابساتها الخاصة جعلت للمجتمع الأروبي تركيبات وانظمة خاصة بها ، وبالتالي تفكيرا اجتماعيا وسوسيلوجيا خاصا . ولا يتسع المجال هنا لعرض تطور الفكر الاجتماعي في اوروبا (2) : بل نشير فقط الى ان علم الاجتماع قد ولد بصفة رسمية في اوروبا في القرن التاسع عشر ، (وفي الوطن العربي في القرن الرابع عشر على يد العلامة

(1) انظر بحثنا عن التحليل العلمي الشامل ... اللسان العربي - المجلد السابع الجزء الاول - يناير 1970 الرباط . ص . 342 - 349 .

(2) انظر كتابا مبسوطا لبوطول وهو معرب :

Bouthoul, Histoire de la Sociologie, Que sais-je ? - PUF, Paris.

بعد ، أساس علم الاجتماع الفرنسي . لقد وصلت
 مقومات فكرة علم الإنسان هذه الى سان سيمون ،
 عبر الفلاسفة المثاليين والأطباء . واحد هؤلاء الأطباء
 هو الدكتور بيردان (Dr Burdin) الذي أوحى الى
 سان سيمون بأن يلقب علم الاجتماع بعلم ايجابي -
 وضعي ، وكأنه علم الحياة العضوية (Physiologie)
 أما أوغست كونت ، فابتدا اول الامر بتسمية علم
 الطبيعة الاجتماعي كما فعل سان سيمون قبله ،
 والقصد من هذه التسمية ، هو المناداة بقيام علم
 جديد يكون على غرار علم الموجودات الطبيعية
 (Sciences naturelles) غايته دراسة الأحداث الاجتماع
 ويتجانس مع بقية اقسام الطبيعة . وفي سنة 1835
 تمكن الفلكي البلجيكي كاتلي من نشر تأليف عنوانه :
 « الإنسان وتطور ملكاته » او في سبيل فيزياء
 اجتماعية ، ثم اعاد نشره سنة 1860 تحت عنوان
 « فيزياء اجتماعية » (2) (Physique sociaie)
 كانت منهجية كاتلي في كتابه الاتف الذكر تعتمد على
 معطيات مختلفة ديمغرافية واحصائية في دراسة
 الجريمة مثلا . وقد اتضح له من خلال البحث
 والملاحظة ان القوانين التي تظهر في المجتمع ، تخضع
 لنفس النظام الذي تخضع له القوانين في الطبيعة .
 وقد توصل عبد الرحمان ابن خلدون ، قبل كاتلي
 بقرون ، الى نفس الملاحظة ، اذ قال : « فشان
 المجتمع في ذلك (النواميس والعلل) شان عالم
 الطبيعة وناموس العلة واحديهما (3) .

أما أوغست كونت فكان ينتهج طرائق مغايرة ،
 وهي ان هناك انقطاعا بين علوم الطبيعة والعلوم
 الاجتماعية ، فبالاضافة الى كراهيته الشديدة
 للأحصاءات وحساب الاحتمالات ، رفض أن يسمى
 هذا العلم الجديد بالفيزياء الاجتماعية واختار له
 اخيرا اسما آخر هو علم الاجتماع (سوسولوجيا) ،
 وذلك لاسباب شخصية بينها في كتابه : « دروس في
 الفلسفة الايجابية » (4) .

عبد الرحمان ابن خلدون) ، لكن لا بد من الرجوع الى
 القرن السادس عشر لنعرف « أن أزمة المؤسسات
 السياسية والدينية والتربوية قد أدت الى خلق علم
 اجتماعي لم ينضج بعد ، ولكنه كان نقديا على أية
 حال ، للنظام السائد والامكار التي تؤيده . مثلا : قام
 رابلي ، قبل الثورة الفرنسية (1789) بنقد اجتماعي
 كما قام مونتاني (Montaigne) بتحليل عملية جعل
 الثقافة والعلم والتربية ، لائكية ، يعني ان التربية ، بعد
 أن كانت جهازا تابعا للكنيسة ، تصبح شيئا فشيئا
 جهازا تابعا للدولة . وقد قال ما معناه : « أن العلاقة
 بين الكنيسة والدولة او العلاقات بين الكنائس وجميع
 اشكال الدولة في أوروبا ، وعلاقات الكنائس بالمدارس
 والمؤسسات ، وكذلك علاقة العائلة بالكنيسة ...
 يجب ان تنقلب رأسا على عقب وذلك حسب
 عملية انتقال لها جميع خصائص الزلازل الأرضية (او
 السماوية ؟) . ان هذا التحليل والموقف الانفجاري
 لا يعدو أن يكون ، في ذلك الوقت ، محاولات انتقادية
 اشبه ما تكون بالأدب الساخر . نظرا لفقدان الكشوف
 الميدانية والاحصاءات .. (1)

6 - ومن المؤلفين ، في تاريخ الفكر الاجتماعي
 الحديث أن علم السوسولوجيا قد ولد في نفس الوقت
 الذي اخترع له أوغست كونت (1798 - 1857)
 هذا الاسم (Sociologie) في أغلب الأحيان ينسب ان هذه
 التسمية قد وضعت كرد مضاد لمؤسس آخر وهو
 كاتلي (Quetelet) عندما كان أوغست كونت سكرتيرا
 خاصا لهنري سان سيمون (H. de St Simon)
 (1760 - 1825) الذي استوحى « فكرة علم
 الإنسان » من كتاب دائرة المعارف ، ولا شك ، أن
 لهم أهمية فائقة في عصر سان سيمون : كانوا اول من
 عمل على جمع العلوم في مؤلف واحد ، بعد ما أكدوا
 وحدة المعارف الاجتماعية ، ثم توصلوا الى وجوب
 فصل النظرية عن الواقع ، وهذا الفصل أصبح ، فيما

(1) انظر كتاب :

Clefs pour la Sociologie, Seghers, Paris 1971 (par Georges Lapassade et René Lourau), p. 25

Sur l'homme et le développement de ses facultés, ou essai de physique sociale. (2)

انظر : المقدمة (في النصوص الفلسفية المبسرة) لكمال اليازجي . ص : 408 (3)

الجزء الرابع ، الدرس 47 . ص : 252 (4)

ابن الحاجب المصري وأثره في الدراسات اللغوية

للدكتور عبد العال سالم مكرم
أستاذ النحو العربي بجامعة الكويت

الحركة النحوية في عصره :

السننهم ، ويصلح كلامهم ، وتفهم رسائلهم ، ويكونوا
تربيين من هذا الشعب العربي الذي يخضع لحكمهم .

من أجل ذلك لم يكن عجيبا ان يضرب ملوك هذه
الدولة بسهم وافر في ايجاد حركة نحوية قوية .

وقد بلغ بالملك العزيز ان ينتقل لطلب العلم بين
الاسكندرية والقاهرة ولا يجد حرجا في ان يجلس
مجلس التلميذ امام معلميه ، وكما اخذ هذا الملك
الحديث في الاسكندرية عن الحافظ السلفي ، والفتحة
من ابي طاهر بن عوف الزهري اخذ النحو بمصر عن
العلامة ابن بري النحوي (1) .

اما الملك الكامل فانه اشتهر بصفة خاصة بعلم النحو،
وله فيه آراء وافكار مما هيا له ان يكون عالما بهذا
الفن ، مسلما بمسائله ، خبيراً بمشكلاته فاهماً
لخلافاته والغازه .

وهذه المنزلة التي بلغها الكامل جعلت العلامة
ابن بري يمنحه اجازة في هذا الفن (2) .

ومعنى هذه الاجازة ان هذا الملك وصل الى
درجة الافتاء في النحو والتعميق في مسائله والقدرة على
حل مشكلاته .

كان للخلفاء الفاطميين قبل بني ايوب عناية
خاصة بالنحو العربي وفضل كبير في نشره ، ورعاية
كتبه ، ورصد الجوائز للناهبين من ابنائه وحرصهم على
ان تسير كتبهم وتعاليمهم ورسائلهم على نهجه حتى
انه بلغ بهم الامر ان عينوا ابن بابشاذ النحوي محررا
في ديوان الرسائل والانشاء ، وكان ابن بابشاذ من
كبار النحويين والقراء في هذه الدولة .

واذا كان الشأن كذلك في الدولة الفاطمية فان
دولة بني ايوب لم تكن اقل منهم عناية بهذا العلم ، بل
ان ملوك هذه الدولة جعلوا النحو في مقدمة العلوم التي
يتعلمونها لما له من فضل كبير في تقويم الالسنة ، ومنهم
القرآن ، ومعرفة اسرار السننة هذا فضلا عن انهم لم
يكونوا عربا ، لانهم اكراد ، واللحن في السننهم سليقة
وطبيعة ، وقد جاءوا على انقاض دولة عربية ، كانت
العربية في ابنائها جبلة وطبعها ، ومع هذا لم يقصروا
في تعليمها ، والالمام بقواعدها والزموا ابناءهم بتعلمها
لاختلاطهم بغيرهم ممن فسدت السننهم ، وكثر اللحن
في كلامهم .

لهذا فقد راي ملوك بني ايوب انهم احوج الى
تعلم العربية ممن سبقهم من الفاطميين حتى تستقيم

(1) النجوم الزاهرة ج 6 ص 127

(2) النجوم ج 6 ص 228

يقول صاحب النجوم « ... وكان عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو يوردها فمن أجابه حظى عنده » (3) .

«ومدرسة القدس تقع على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة الى الغرب بناها المعظم عيسى سنة 604 هـ وكان يدرس فيها الكتاب لسيبويه (5) .

هذا ، وقد كانت الدراسات النحوية قبل المعظم تدرس جانب المواد الاخرى في المدارس المتعددة التي انشأتها هذه الدولة .

« ولم تخصص مدرسة لدراسة النحو الا هاتين المدرستين ، وكان معنى التخصص في هذه المدارس ان المادة الاساسية فيها هي التي انشئت المدرسة من اجلها وليس ذلك بمانع من ان تدرس الى جانبها مواد اخرى (6) .

في هذه الحياة الفكرية المتوثبة ، وفي هذه البيئة العلمية الناهضة عاش ابن الحاجب ، ولمع نجمه في سماء النحو في هذه الفترة من التاريخ فأصبح علما من اعلامه .

والحقيقة ان ابن الحاجب لم يحظ بعناية الباحثين كما يجب ، لان اخباره وآراءه ، واتجاهاته مبثورة في مراجع عديدة تحتاج الى عناية لجمعها ، وقيام دراسات حولها .

وقد شعرت بتوفيق كبير حينما استطعت ان اكشف عن شخصية هذا الرجل العظيم واميط اللثام عن آرائه واتجاهاته ، ومن غير فخر استطيع ان اتول ان هذه الدراسة لم يسبقني احد اليها .

من هو ابن الحاجب ؟

(1) نسبه :

علم من اعلام مصر في النحو واللغة ، والاصول والقراءات ، صاحب مدرسة في النحو ، قائمة على نهج جديد .

وهو عثمان بن عمر بن ابي بكر بن يونس ، الامام العالم جمال الدين ابو عمرو المعروف بابن الحاجب الكردي .

على ان هذه المنزلة التي وصل اليها الكامل في علم النحو لم تصل الى الدرجة الكبيرة التي وصل اليها اخوه الملك المعظم عيسى ملك الشام في هذا المضمار فقد كان المعظم عيسى اديبا نحويا ، يحب الادب ، ويقدر النحو والنحاة ولعل نشأته بالشام ، وقراءته الادب والنحو على تاج الدين الكندي كان لها اثر كبير في تكوين شخصيته النحوية الادبية هسذده الشخصية التي كانت المع شخصيات ملوك هذه الدولة ، وبخاصة في الميدان العلمي .

وقد قرأ المعظم عيسى كتاب سيبويه على التاج الكندي والم بشرحه الكبير للسيرامي وكتاب سيبويه في حقيقة امره مدرسة قائمة بذاتها فكل من فهم هذا الكتاب ، وركب هذا البحر ، ووقف على اسراره ، وغاص الى درره كان حريا به ان يتصدر في النحو ، وان يكون علما من اعلامه .

ولم يقف امر المعظم عند هذا الحد ، بل انه نبغ في القراءات والقراءات والنحو متلازمان ، فقرأ كتاب الحجة لابي على الفارسي في القراءات على شيخه تاج الدين الكندي وقرأ ايضا عليه كتاب الايضاح لابي على الفارسي حفظا (4) .

لهذا كله يحق لنا ان نقول : ان احتضان الملك المعظم عيسى لعلم النحو والقراءات افاد هذا العلم فائدة جلية ، لان الناس على دين ملوكهم كما يقولون فقد اتبل المتعلمون على النحو ، وفتح لهم الملك المعظم عيسى ابواب تعليمه ، وتعلمه بل انه جعل لكل من يحفظ كتاب سيبويه جائزة كبرى فتنافس الطلاب في حفظه وتعاونوا على فهمه مما كان له اثر كبير في ايجاد حركة نحوية ، وبخاصة في اقليم الشام حيث يعيش هذا الملك ، وتعيش معه عطاياه وجوانزه .

ومن حسناته التي خلدها التاريخ انه انشأ مدرستين للتخصص في الدراسات النحوية ، واحدة في القدس والاخرى بدمشق .

(3) النجوم ج 6 ص 237 .

(4) النجوم ج 6 ص 267 .

(5) خطط الشام ج 6 ص 119 لمحمد كرد علي .

(6) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص 41 .

2 - نشأته :

قرأ علي أبي الفضل الغزنوي ، وأبي الجود اللخمي ، وأخذ عن الشاطبي القراءات كما أخذ عنه النحو (12) .

ولد في أواخر سنة 570 هـ بإسنا من بلاد الصعيد « وهي بلدة كبيرة خرج منها جمع كبير من أهل العلم والأدب (7) .

ولم يقتصر ابن الحاجب على ما أخذ من علماء القاهرة فأتجه إلى دمشق ليأخذ عن أساتذتها ، وكبار علمائها مما كان له أثر كبير في تكوين شخصية ابن الحاجب العلمية التي استطاع صاحبها بفضل ما أوتيته من قوة في التفكير وقدرة في الذكاء ، ونبوغ في العقل ان ينتفع بما أخذ من كبار العلماء في عهده .

وقد انتقل إلى القاهرة صغيراً ، لأنه كما تحدثنا دائرة المعارف الإسلامية قد حفظ القرآن الكريم ، ودرس العلوم المتصلة به كالفقه وأصوله على مذهب الإمام مالك ، وكذلك النحو والأدب (8) .

4 - حياته :

ولما تسلح ابن الحاجب بما يتسلح به العالم من شتى أنواع العلوم والمعرفة جلس للأفادة وتردد بين القاهرة ودمشق مرات كثيرة ، وأقامته بدمشق مكنته من أن يكون « مدرساً للمالكية » وشيخاً للمستفيدين عليه في علمي القراءات العربية (13) .

واشتهر بابن الحاجب ، لان إياه كان حاجباً للامير عز الدين موسك الصلاحي (9) ووظيفة الحاجب كانت في هذا العصر وظيفة لها مكانتها الاجتماعية ، لان الحاجب « كانت مهمته ادخال الناس على السلطان حسبما تقتضيه الضرورة بالسماح لهم بالثول بين يديه ، مراعيًا في ذلك مقامهم ، وأهمية أعمالهم ولم تقف مهمته عند هذا الحد ، بل كان يفصل فيما يحدث بين الأمراء والجنود ، وذلك بعد استشارة السلطان أو نائبه (10) .

وقد كانت المادة التي تشغل حيزاً كبيراً من تفكيره هي مادة النحو فقد ظل في دمشق يؤدي رسالة العلم والمعرفة ، وكان الأغلب عليه دراسة النحو (14). وأقامته في دمشق لم تستمر بسبب حادث العز بن عبد السلام مع الملك الأشرف فقد كان هناك خلاف بين العز وبين الأشرف ولم يجد العز من يقف في جانبه من العلماء ويشد أزره في محنته غير ابن الحاجب ، وكان هذا الموقف من ابن الحاجب سبباً في تغير الملك الأشرف عليه ، وكرهيته له ، مما أدى به ، وبصاحبه إلى الخروج من دمشق والعودة إلى مصر (15) وكانت عودته إلى مصر سنة 628 (16) وفي مصر تصندر بالفاضلية ، وجلس في موضع الشاطبي (17) .

وهناك رواية أخرى يرويها بعض المؤرخين حيث يقول : ان إياه لم يكن حاجباً ، وإنما كان يصحب بعض الأمراء فلما مات كان أبو عمرو صبياً فرباه الحاجب فعرف به ، ولكن الأدفوي في الطالع السعيد ينفي هذه الرواية ، ويؤكد ان الرواية الأولى هي المشهورة (11) .

3 - شيوخه :

وانتقله إلى القاهرة ، وأقامته فيها يسرت له الانصال بكبار الشيوخ والعلماء والجلوس في حلقاتهم ، والأخذ عنهم ، والتأدب عليهم .

(7) الطالع السعيد للأدفوي ص 16 مطبعة الجمالية.

(8) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول ج 2 ص 126 .

(9) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(10) الظاهر بيبرس للدكتور جمال الدين سرور ص 132 .

(11) الطالع السعيد من صفحة 188 إلى 195 .

(12) الطالع السعيد من صفحة 188 إلى 195 .

(13) البداية والنهاية ج 13 ص 179 .

(14) روضات الجنات ص 8 - ع ص .

(15) شذرات الذهب ج 5 ص 646 .

(16) الذيل على الروضتين وفيات 646 هـ .

(17) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص 139 د . بدوى .

5 - تلاميذه :

وأشهر تلاميذه الذين أخذوا عنه : المنذري
الدمياطي أخذ عنه الحديث أما علم العربية فقد أخذه
عنه الرضى القسطنطيني (21) .

6 - ثناء العلماء عليه :

وصفه شهاب الدين أبو شامة فقال : « وكان من
أدنى الأئمة تريحة وكان ثقة حجة ، متواضعا ،
عفيفا ، كثير الحياة ، منصفا ، محبا للعلم ، وأهله ،
ناشرا له محتسلا للآذى صبورا على البلوى (22) .

وأثنى عليه ابن خلكان فقال : وجاء لي مرارا
بسبب أداء شهادات وسألته عن مواضع في العربية
فأجاب ابلغ أجابة بسكون كثير وتثبيت تام (23) .

7 - كتبه :

خلف ابن الحاجب وراءه تراثا ضخما من العلم،
وبخاصة علم النحو وكان هذا التراث ممثلا في كتبه .
وقد قالوا عن هذه الكتب التي تركها لتحيي ذكره وترفع
تدره عند النحويين ، والدارسين للنحو ، « انها كانت
في غاية الحسن ورزقت قبولا تاما بحسنها
وجزالتها » (24) .

وكتبه النحوية كانت مدرسة قائمة بذاتها ،
عاش على مبادئها النحويون . وقد قال عنه الرواة
انه : « خالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم
اشكالات والزامات مفحة يعسر الجواب عليها (25) .

وقد قال الإدفعي يصف كتب ابن الحاجب :
« ان الناس انتفعوا بتصانيفه لما فيها من كثرة النقل
مع صغر الحجم ، وتحرير اللفظ » (26) .

وكان الشاطبي امام مصر في علمي القراءات
العربية ، وبالفاضلية كثر الطلبة وقصدوها من كل
مكان من أجل ان يأخذوا العربية عن ابن الحاجب .

وظل ابن الحاجب متصدرا بالفاضلية يفيد تلاميذه
ويملئ عليهم من مختلف العلوم وبخاصة علم النحو
والقراءات حتى انتقل للاسكندرية للاقامة فيها .

ويذكر الدكتور بدوي في كتابه « الحياة العقلية »
ان ابن الحاجب انتقل الى الاسكندرية بعد تصدده
بالفاضلية ، ولا يدري سببا لهذا الانتقال (18) .

ويظهر لي ان ابن الحاجب - وان فتح له باب
الفاضلية ، وجلس في موضع رجل من كبار شيوخ
مصر ، وهو الشاطبي - فقد كان مورده ممن تصدوه
بالفاضلية لم يمكنه من الحياة الهادئة المستقرة التي
تطلبها حياة العلماء لتجود قرائحهم وتنتج عقولهم .

ولم يجد في القاهرة من يحس بحاله ، ويشعر
بحاجته ، فيكفيه مؤونة البحث عن الرزق . فهاجر
الى الاسكندرية عله يجد فيها ما مقده في القاهرة .

وقد أوحى الي بهذه الفكرة هذان البيتان اللذان
يدلان على نفس تلقه وروح مضطربة ، وحياة بائسة.

يا أهل مصر رأيت أيديكم

عن بسطها بالنوال منقبضة

مذ جئت نازلا بأرضكم

اقلت كتبتي كأنني أرضة (19)

على أية حال فقد ألقى ابن الحاجب عصا
التسيار في الاسكندرية ولم تطل مدة اقامته هناك ،
فوفاه الاجل في ضحى نهار الخميس سادس عشر من
شوال ودفن خارج باب البحر بقرية الشيخ صالح بن
أبي شامة سنة 646 هـ (20) .

(18) نفس المصدر والصفحة .

(19) رياضات الجنات في باب العين ص 8 ع . ص .

(20) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(21) شذرات الذهب ج 5 ص 234

(22) البداية والنهاية ج 1 ص 179 .

(23) وفيات الاعيان ج 1 ص 314 ط بولاق .

(24) رياضات الجنات ، باب العين ص 48 .

(25) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(26) تاريخ سورية ج 6 ص 237 ليويسف الياس مطران بيروت (ط بيروت) مطبعة بيروت سنة 1902

ومعنى هذا انه كان متمكنا من اللغة ، ملما
باسرارها يسر له كثرة النقل والرواية .

ولاجل ان ينتفع الناس بتراثهم الماضي استطاع
بسلامة ذهنه وقوة فهمه ، فجاعت كتبه وافية بالفرض
الذي الفت من أجله ، وهو تيسير العلم ونشره في
وضوح وايجاز .

ولهذا السبب راجت كتبه في بلاد العجم ، واهتم
الناس بها هناك لما فيها من ايجاز وترتيب وتنظيم ،
وتنسيق وتبويب .

قال صاحب كتاب تاريخ سورية : « ذكر هذين
الكتابين » اي الكافية ومختصره في اصول الفقه -
جميع البلاد خصوصا بلاد العجم واكب الناس على
الاشتغال بهما الى زماننا هذا .

واشهر كتب ابن الحاجب النحوية كتاب للكافية.

1 - الكافية :

عرفها كشف الظنون بأنها : « مختصرة معتبرة،
مغنية عن التعريف ، وهي دستور هذا الفن ، اذ بها
يعرف أكثر مسائله » .

ولما كانت الكافية تشبه القوانين العامة ، او
الخطوط الرئيسية منها وتحتاج الى تفسير وايضاح
- ألف لها شرحا لبيان الغرض من مسائلها والهدف
من قوانينها وقد تداول الناس هذا الشرح ، واكبوا
عليه وانادوا منه وشغلوا به وبالكافية .

وفي عهد ابن الحاجب كان الملك الناصر داود
ابن الملك المعظم عيسى الايوبي محبا للنحو كابيه
فلما رحل ابن الحاجب عن دمشق الى الكرك نظم لهذا
الملك مقدمته الكافية ، وسمى هذا النظم بالوافية ،
ولم يكتب بنظنها ، بل شرحها له (27) .

وهذا الصنيع من ابن الحاجب يدل على رغبته
القوية في تذليل النحو وتسهيله من أجل ان تهضم
تواعده ، وتشرح غوامضه .

(27) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .

(28) نفس المصدر والجزء والنهر ، وما بعده .

(29) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .

هذا وقد تسابق العلماء على شرح كافيته ،
مظهر لها شروح كثيرة باللغة العربية ، وبالفارسية
والتركية .

واهم شروحها باللغة العربية :

(1) شرح الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن
الاستراباذي النحوي .

قال السيوطي : « لم يؤلف عليها ، بل ولا على
غالب كتب النحو مثله جمعا وتحقيقا فتداوله
الناس ، واعتمدوا عليه ، وله فيها اباحات كثيرة
ومذاهب ينفرد بها ، فرغ من تأليفه سنة
686 هـ (28) .

(2) وصنف السيد ركن الدين حسن بن محمد
الاستراباذي الحسيني ثلاثة شروح على
الكافية : كبير وهو المسمى بالبسيط ، ومتوسط
وهو المسمى بالوافية ، وهو المتداول وصغير
وتوفي سنة 777 هـ .

(3) وشرحها تاج الدين أبو محمد أحمد بن عبد القادر
ابن مكتوم القيسي الحنفي المتوفى سنة 749 هـ .

(4) ومن الملوك الذين اهتموا بشرحها : الفاضل
الملك المؤيد عماد الدين بن الاضل علي الايوبي
المعروف بصاحب حماة المتوفى سنة 732 هـ
وهو شرح لطيف علقه من شرح المصنف لهذه
المنظومة ومن غيرها من شروح الكافية ،
وفرغ من تأليفه في شعبان سنة 722 هـ .

(5) وقد اسهم في شرحها الامام تاج الدين أبو محمد
على بن عبد الله بن أبي الحسن الاشيلي ثم
التبريزي ، نزيل القاهرة المتوفى في رمضان
سنة 746 هـ وهو شرح كبير كشرح الرضى ،
وفرغ من تسويده لثلاث بقين من محرم سنة
742 هـ سماه : مبسوط الكلام في تصحيح ما
يتعلق بالكلم والكلام .

(6) ولشمس الدين محمود بن عبد الرحمن الاصفهاني
المتوفى سنة 749 هـ شرح كبير كالرضى ، قدم
فيه عشر معلقات نافعة . (29)

الا بعد عصر أبي حيان وأبن هشام ، فلم يقفنا على هذا الشرح (31) .

ولقد طفت شيرة كتب ابن مالك في الاقليمين على هذه المقدمة وشروحها فلم يكتب لها الحياة في مصر والشام الا في زمن متأخر حينما نقل شرح الرضى الى الاقليمين .

منهجيه في الكافية :

رغب ابن الحاجب في ان تيسير النحو لطلابه ، فعمد الى كتاب المفصل للزمخشري واختصر منه هذه المقدمة الصغيرة وسماها : الكافية ، ولعل اسمها يدل على الغرض الذي من اجله الفت فهي تغني الناشئ او المتعلم عن كتب النحو المعقدة التي تحتاج الى ملم بهذا الفن ، خبير بمسائله .

وقد سار ابن الحاجب في ترتيبه لابواب الكافية كما فعل الزمخشري في كتاب المفصل فالناظر فيه يرى انه مقسوم على اربعة اقسام : الاول - في الاسماء ، والثاني - في الافعال ، والثالث - في الحروف والرابع - في المشترك من احوالها .

وقد نهج على هذا التقسيم ابن الحاجب ، فقسم الكافية الى اربعة اقسام : اسماء ، وافعال ، وحروف ، ومشارك من احوالها .

واغلب الظن ان هذا الترتيب والتقسيم لم يكن من مبتكرات الزمخشري فقد سبقه في هذا أبو علي الفارسي في كتابه « الايضاح » فقد كان أول من ابتكر هذا الترتيب ، وسنه للمعاصرين له من تلاميذه وللخالقين من النحاة من بعده (32) .

على ان ابن الحاجب لم يكن بعيد الصلة عن كتاب الايضاح لابي علي ، لان هذا الكتاب عني به المصريون منذ ان بدأ النحو في مصر يستقر على دعائم ثابتة على يد النحو المصري ابن بري ، وابن بري من الذين عنوا بالايضاح وشرحوه (33) .

وبعد ، فلا استطيع في هذا المقام ان أعـدد جميع شراح الكافية ، واكتفي بما ذكرت ، وقد سجل حاجي خليفة في كشف الظنون شراح هذه الكافية (30) والحواشي التي وضعت على هذه الشروح ، ولا يسعني في هذا المقام الا ان ابين ان الكافية شغلت العلماء طوال العصور منذ عصر ابن الحاجب الى يومنا هذا ، ومن ثم كثرت الشروح والتعليقات عليها ، ولا زالت الكافية وشروحها مصدرا كبيرا من مصادر الدراسة النحوية في عصرنا هذا .

والحق الذي لا ينكر ان الذي أضفى على هذه المقدمة شهرة واسعة النطاق هو شرح الشيخ رضى الدين الاستربادي ، هذا الشرح الذي انتشر ذكره وعمت دراسته ، وبخاصة في بلاد العجم حيث ترجم الى الفارسية .

وكان انتفاع العجم بالمقدمة وشروحها اكثر من انتفاع مصر والشام بها وذلك لانه وان اسهم بعض علماء هذين الاقليمين بشرح هذه المقدمة والتعليق عليها فان هذه الشروح لم تنتشر بين الطلاب ويشتهر امرها كما كان ذلك في بلاد العجم .

ولعل لهذا سراً ، فان ابن الحاجب كان يميل الى الفلسفة والمنطق والقياس والتعليل ، وقد سادت فيه هذه الروح منذ ان نبغ في علم الأصول وعلم الأصول تقوم تضايها على النهج المنطقي .

وكان أهل مصر ينفرون من الفلسفة ، ويفرون من المنطق ، ويحبون الوضوح في كل شيء ، في حين ان أهل العجم كانوا يميلون الى الفلسفة ويتجهسون في دراستهم الى المنطق ، فكان ذلك ادعى الى ان تروج كتب ابن الحاجب وبخاصة الكافية في بلاد الفرس ، على حين انها تقف في دائرة ضيقة محدودة في الاقليمين المصري والشامي .

— وكما قدمت سابقا — ان هذه المقدمة نفخ فيها من روح الحياة ووضع فيها سر الخلود هو الرضى بشرحه ، ولم ينتفع أهل مصر والشام بهذا الشرح لانه نقل الى مصر في زمن متأخر ولم ينقل الى مصر

(30) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .

(31) هامش كشف الظنون نهر 1370 مجلد 2 .

(32) أبو علي الفارسي للدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي — ص 521 — مطبعة مصر الجديدة .

(33) سيبويه امام النحاة — للاستاذ على النجدي ص 187 .

وظل هذا الكتاب المحور الذي يدور حوله النحاة منذ القرن الرابع الهجري حتى عصر ابن الحاجب الذي أسهم بنصيب كبير في شرحه لهذا الكتاب .

فابن الحاجب اذن لم يكن تأثيره بالايضاح اقل من تأثيره بالمفصل ، فقد شرح الكتابين وكان لهما عليه تأثير كبير في نحوه ، بل وفي آرائه مما سآبينه بعد .

على اية حال ، فقد كانت الكافية تسير مقتنية خطى المفصل والايضاح في الترتيب والتنظيم وفي التبويب والتقسيم ، وان كان كل من المفصل والايضاح كتابا كاملا جمع النحو ، وحوى قواعده ، فان الكافية تلخيص موجز غاية الاجاز لهذين الكتابين مما ادى الى صعوبة فهمها ، وادراك مسائلها الامر الذي حدا الكثير من النحويين للتصدي لشرحها ، والتعرض للتعليق عليها ، حتى بلغت تعليقاتها وشروحها ما يربو على الستين شرحا (34) .

اسلوب الكافية :

ابن الحاجب في الكافية عمد الى التلخيص والاجاز لدرجة ان الدارس لها يجد صعوبة في فهمها ، وحل تراكيبها ، والوقوف على الغرض من عباراتها فهو وان حاول بهذا العمل ان يلخص النحو ، ويتقدم قواعده سهلة للمبتدئين الا انه خاتمه الحظ في الوصول الى هذا الغرض ، فجاء تلخيصه يحمل الفاظا غير واضحة ولعل ابن الحاجب احس انه لم يوفق في هذا التلخيص كل التوفيق فانجه الى شرحه لينير الطريق لسالكه ، ويعبد السبيل لدارسه .

ولا ادل على ذلك من ان الرضى شارح الكافية كان يعاني من اسلوبها وتراكيبها الشيء الكثير مما ادى به الى مهاجمة المصنف ولومه على هذه الصعوبة التي كانت شعار اسلوبه في مقدمته فيقول :

« قال ابن الحاجب في مقدمته في اعراب الاسم • وهو معرب ومبني فالعرب المركب الذي لم يشبهه مبنى الاصل » .

وعلق الرضى بقوله « ولفظ المركب يطلق على شيئين على احد الجزأين او الاجزاء بالنظر الى الجزء الآخر او الاجزاء الاخرى ، كما يقال في ضرب زيد مثلا ان زيدا مركب الى ضرب ، وضرب مركب الى زيد فهما مركبان .

ويطلق على المجموع فيقال ضرب زيد مركب من ضرب ، ومن زيد ، وهذا كما يقول مثلا لاحد الخفين هو زوج الآخر ، ويقول لهما معا : زوج .

ومراد المصنف المعنى الاول ، وليس بمرض ، لان المركب في اصطلاحهم في المجموع اشهر منه في كل واحد من جزئيه ، او اجزائه ، فيوهم ان المعرب من الاسماء لا يكون الا مركبا في شيئين فصاعدا كخسة عشر ونحوه (35) .

ثم قال الرضى : وهذا دأب المصنف يورد في حدود هذه المقدمة الفاظا غير مشهورة في المعنى المقصود اعتمادا منه على عنايته وينبغي ان يختار في الحدود والرسوم اوضح الالفاظ في المعنى المراد ويحترز عن الالفاظ المشتركة فكيف باستعمال لفظ هو في غير المعنى المقصود اظهر (36) .

2 - الشافية :

وكما الف ابن الحاجب كانيته في النحو الف الشافية في الصرف وكدايه في شرح ما الف ، وتوضيح ما انتج شرح الشافية .

واشهر من شرحها من نجاه مصر في القرن الثامن الهجري ابن هشام الذي الف لها شرحا في مجلدين سماه : عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب وتوفي ابن هشام سنة 672 هـ .

وكما انتشرت الكافية في مصر والشام في العصور المتأخرة انتشرت ايضا الشافية وظلت محور الدراسة والبحث حتى عصرنا هذا فقد قرر تدريسها في بعض المعاهد العلمية المهمة بالتواحي اللغوية والنحوية .

(34) كشف الظنون ج 1 ص 212 .

(35) شرح الرضى على الكافية ج 1 ص 14 .

(36) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1020 .

3 - الأمالي :

الاخيرة في سنوات املائه هذه الآراء مما يرجح ان ابن الحاجب مكث في القاهرة يعلم ويلمي حتى سنة 616 هـ ثم انتقل بعد ذلك الى دمشق سنة 617 هـ ، وبقي يقرأ بجامعها ، ويلمي هذه الامالي حتى سنة 625 هـ وظل بدمشق بعد ذلك ينشر رسالة العلم حتى سنة 628 هـ حيث وقعت الفتنة بين الملك الاشراف ، وبين عز الدين هذه الفتنة التي ادت بابن الحاجب الى العودة الى القاهرة ، ثم الانتقال منها الى الاسكندرية حيث لقي ربه سنة 646 هـ .

امالي ابن الحاجب تضمنت آراءه في بعض المشكلات النحوية وتوجيهات لبعض الآيات القرآنية وتعليقات على كتاب المفصل للزمخشري وآراء في بعض الابيات لكبار الشعراء وتخريجها .

وقد املى هذه الامالي على تلاميذه في حلقات متعددة وازمنة مختلفة وامكنة متباينة .

وفي النسخة المحفوظة بدار الكتب (رقم 1007 نحو) نقرا في الصفحة الاولى من الامالي ما يأتي :

4 - شرح الايضاح لابي على الفارسي :

وكتاب الايضاح هذا شرحه كثير من النحويين قبل ابن الحاجب وعنوا به عناية فائقة وكان هذا الكتاب يسير جنباً الى جنب مع كتاب سيوييه .

وهو كتاب متوسط يشتمل على مائة وستة وتسعين باباً منها الى مائة وستة وستين نحسو ، والباقي الى آخره تصريف .

ومن الذين صنفوا له شروحا ابن الحاجب وسماه - المكتفي للمبتدئ (41) .

5 - شرح المفصل :

ولم ينس ابن الحاجب ان يشرح كتاب المفصل للزمخشري في كتاب سماه « الايضاح » وهو السذي تأثر بالزمخشري في مفصله ، حتى اختصر كافيته . وهذا الشرح منه نسخة بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم 545 ب واخرى بمكتبة ابراهيم باشا رقم 18 وثالثة بمكتبة سوهاج رقم 5 نحو (42) .

6 - شرح كتاب سيوييه :

ولكتاب سيوييه ، كما قلت سابقا منزلة كبيرة عند النحاة المصريين والشاميين فقد اهتموا به منذ ان عرفوا هذه الدراسات النحوية .

« هذه الاجزاء مشتقة على امالي متفرقة في النحو جليلة ، من كلام الشيخ الامام العلامة حجة العرب ومخرهم منشاء العلوم والرجع اليه في تقريرها وتحريرها جمال الدين عمرو بن الحاجب برد الله مضجعه وطيب مهجعه ، منها ما يتعلق بكتاب المفصل للزمخشري . ومنها ما يتعلق بأبيات عربية ومحدثة وغير ذلك . وهذه الامالي عزيزة الوجود مضمون بها على غير اهلها ، بل على اهلها لغاية شرفها بعظيم نفعها (37) .

وكطبيعة كتب الامالي لم تكن في امالي ابن الحاجب وحدة ، او تنظيم وترتيب ولكنها خواطر وآراء امليت في ازمنة متعددة في القاهرة ودمشق .

وقد بدأ بها سنة 609 هـ في القاهرة ، لانه قد جاء في اماليه ، وانه قال ايضا ممليا في القاهرة سنة تسع على قوله تعالى « ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا » (38) .

وقد تبعت سنوات الاملاء في القاهرة ، فلم اجد له املاء قبل هذا التاريخ وظل يلمي آراءه في القاهرة حتى سنة 616 هـ بدليل ما جاء في اماليه « انه املى في القاهرة سنة ست عشرة على قوله تعالى : « ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى » (39) .

وفي سنة 617 هـ نجده ينتقل الى دمشق ويلمي بها ، ويظل يلمي حتى سنة 625 هـ (40) . وهي السنة

(37) الامالي - ابن الحاجب ، مخطوط رقم 1007 نحو (دار الكتب)

(38) الحجر - 47 .

(39) البقرة - 282 .

(40) الامالي - ابن الحاجب مخطوط رقم 1034 نحو .

(41) كشف الظنون - ج 1 نهر 212

(42) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص 107 .

(1) أثر الفلسفة والمنطق في اتجاهاته النحوية:

صلة النحو بالفلسفة قديمة ، بدأت حينما ظهر المنطق اليوناني في مدينة البصرة التي كانت حينئذ مركزا كبيرا لفلاسفة المعتزلة الذين تأثروا بالمنطق الارسطي في اتجاهاتهم الكلامية .

ومن غير شك ان نحاة البصرة وعلى رأسهم سيبويه لم يكونوا في معزل عن هذا التيار الجارف ، تيار الفلسفة والمنطق فتأثروا به .

وقد كان النزاع الذي ظهر منذ القرن الثاني بين مدرسة القراء وبين مدرسة الكلام كان له اثره في اتجاه النحاة البصريين الى الاخذ بمبادئ مدرسة الكلام وتجنبهم الخصائص التي تتجه اليها مدرسة القراءة التي تعتمد على الرواية والنقل ، في حين تعتمد المدرسة الاولى على القياس والعقل .

يدل ذلك على ما رواه الشعبي : « من ان القراءة سنة فاترعوا كما قرا اولكم » (47) .

وفيما قاله الداني من ان ائمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفتس في اللغة ، والأفتس في العربية ، بل على الاثيث في الاثر ، والاصح في النقل والرواية ، واذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فثو لغة لان القراءة سنة متبعة ، يلزم قبولها والمصير اليها (48) .

واستمرت النزعة الكلامية التي تقوم على الجدل والمنطق تعمل عملها في النحو منذ عصر سيبويه الى عصر ابن الحاجب ، فلقد تسربت اصطلاحاتهم وطرائقهم الى النحو حتى انه روي عن ابن جني انه قال ان اصحابنا انتزعوا العلل عن كتب محمد بن الحسن وجمعوها منه بالملاحظة والرفق .

وقد شرحه ابو جعفر المعروف بابن النحاس المتوفى سنة 338 هـ .

وشرحه ايضا وانتقده ، وانتصر له احمد بن محمد بن ولاد المتوفى سنة 332 هـ وشرحه ايضا ابن الحاجب ليقرب نحوه لابناء عصره ويوقفهم على سراره وتركيبه (43) .

7 - ولابن الحاجب تصيدة في المؤنثات السماعية طبعها هافتر وشيخو في بيروت سنة 1908 (44) .

8 - رسالة في العشر - وهو بحث صغير في استعمال كلمة عشر مع الصفتين اول وآخر ، طبع في بولن رقم 6894 (45) .

9) وكما كان ابن الحاجب علما في النحو والصرف كان علما ايضا في علم العروض فله منظومة من البحر البسيط عن العروض سماها : « المقصد الجليل في علم الخليل » في ليدن فهرس 2 رقم 273 ، وبرلين رقم 7126 (46) .

وبعد ، فلست في حاجة الى ان ابين شخصية ابن الحاجب في علمي الاصول والفقه ، فقد كان في هذا المضمار وحيد عصره له انتاج ضخم يشيد بقدره ويشير بفضل ، ويرفع من ذكره .

وهكذا كان ابن الحاجب علما في النحو والصرف والعروض ، وناطقة في الفقه والاصول . وقتلما تيسر العالم ان يجمع بين هذه العلوم وينبغ فيها ويجلس على قمتها اللهم الا اذا كان يتمتع بعقل ناضج ، ومكر ثاقب ، وذكاء لامع ، وقريحة وقادة ، وادراك واسع .

وقد وجد هذا كله في ابن الحاجب ، كما شهد له بذلك العلماء واثنى عليه الفضلاء .

ويكفي ان مؤرخيه ذكروا عنه انه كان ركنا من اركان الدين والعلم .

(43) سيبويه امام النحاة - ص 188 الاستاذ على النجدي .

(44) دائرة المعارف الاسلامية م 1 ص 127 .

(45) المصدر السابق .

(46) المصدر السابق .

(47) غاية النهاية ج 1 ص 357 لابن الجزري (مطبعة السعادة)

(48) النشر في القراءات العشر ج 1 ص 10 لابن الجزري ، تحقيق محمد احمد دهمان ط اولى مطبعة التوفيق بدمشق .

انه يختلف عن اسلافه من عدة وجوه ليس هذا دليلا واضحا على ان الرجل كان يمزج النحو بالفلسفة وكان يورد القضية النحوية ووراءها دليلا المنطقي . كل ذلك يوضح لنا اثر علم الاصول ، وتضايها واقبيستها ومنطقها في نحو ابن الحاجب .

وإذا حاولنا ان نأتي بأمثلة تؤيد هذا الاتجاه ، فاننا نجد الكثير منها .

مثال ذلك :

(1) في موضوع مسوغات الابتداء بالنكرة يرى ان كل ما دل على معنى العموم صالح للابتداء ، وخرج الآية القرآنية ، « ولعبد مؤمن خير » على هذا الاتجاه (55) .

قال ان المسوغ للابتداء في الآية انها هو معنى العموم وخير خبر المبتدأ « قال لانا قاطمون بان المراد المفاضلة بين الجنسين لا افرادهما الخصوصية » .

وإذا قرر ابن الحاجب ذلك لا يكتفي بمجرد سرد الفكرة ، وذكر الرأي انما يحاول ان يدعمه بحجته المنطقية ، وادلته الفلسفية ما استطاع الى ذلك سبيلا وسيله الى هذا سبيل الحوار والجدل يورد اسئلة يقتضيها المقام ، ثم يجيب عنها اجابة تكشف حقيقتها ، وتوضح غموضها وهذا من غير شك اثر من آثار الفلسفة والمنطق وهماك الدليل :

يقول : فان قلت — المسوغ هنا الصفة ، قلت لا يستقيم لانها انما تكون معتبرة في الموضع الذي لا يراد فيه الجنس ، وتاتي هي مخصصة لذلك المفرد المقصود ، وهو مع ذلك ضعيف ، قليل استعماله ورب فكرة بلا صفة اخص مما لها صفة ، والذي اضعفه انه اذا صح جسم حي في الدار لوجود التخصص بالصفة ينبغي ان يجوز ، رجل في السدار لانه اخص منه بدرجات ثم قال — « فان قلت الدليل

والحق الذي يقال — ان ابن جنى قد وضع الامر في نصابه حينما قرر العلاقة القوية بين النحو وبين علم الكلام والاصول ، بل انه لم يقف عند هذا الحد فقرر ان علل النحو انتزعت من كتب محمد بن الحسن وجمعت منها ، وكتب محمد بن الحسن تقوم على الاصول والمنطق لان اصول الفقه تعتمد كل الاعتماد على الاقيسة العقلية ، والقضايا المنطقية وقد نقل السيوطي في الاقتراح : « ان ابن جنى قال ، اذا ادرك القياس السلي شبيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه ، ثم علق عليه بقوله : وهذا يشبهه في اصول الفقه نقض الاجتهاد اذا بان لنص بخلافه » (49) وهذا النص الذي ذكره ابن جنى يوضح تمام الوضوح ، كيف يقتضي النحاة اثر الاصوليين في نظرياتهم وقواعدهم ومناهجهم .

وبعد :

فاننا اذا اردنا ان ننظر الى اتجاهات ابن الحاجب النحوية فلا ننسى انه كان اصوليا بل وقد كان ضليعا في علم الاصول ، فقد صنف فيه مختصرا وآخر اكبر منه سماه المنتهى (51) .

ولغلبة المنطق والفلسفة على ابن الحاجب ، قال عنه المؤرخون انه كان فقيها مناظرا مفتنا (52) .

وكل الذين كتبوا عن ابن الحاجب ذكروا انه خالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم اشكالات والزامات تتعذر الاجابة عنها (53) .

وتقول دائرة المعارف الاسلامية انه اشتهر في النحو على وجه خاص وهو في هذا الميدان يختلف من عدة وجوه عن اسلافه (54) .

وحينما يورد ابن الحاجب اشكالاته والزاماته للنحويين ليجيبوا عنها ، وهي اشكالات ملحمة والزامات معقدة وحينما تذكر عنه دائرة المعارف ،

(49) الاقتراح ص 86 .

(50) الاقتراح ص 86 .

(51) روضات الجنان باب العين ص 8 — ع — ص .

(52) نفس المصدر .

(53) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(54) المجلد الاول ج 2 ص 126 .

(55) البقرة 221 .

كثير من الناس وذلك لان دقته في الاصول كشفت له عن كثير من جوانب اللغة والمعاني التي ترمز اليها الكلمات فقد املى بدمشق سنة اربع وعشرين وستائة — على قوله في الفصل في حروف التخصص:

« ان قيل ان حروف التخصص اذا وقع بعدها الماضي فيستحيل فيها معنى الطلب لاستحالة طلب الفعل بعد مضي وقته وان لم يكن فيها معنى الطلب تعذر النصب بعدها بالفاء ، والجزم بغير فاء » .

وهذا اعتراض في ظاهره وجيه ، لانه اعتراض واقعي ، فما دامت حروف التخصص ليس فيها معنى الطلب لاستحالة طلب الفعل بعد مضي وقته ، فلا يصح حينئذ ان ينتصب بعدها الفعل او يجزم بغير فاء .

ولكن ابن الحاجب تسعفه فلسفته في هذا المقام فيجيب عن هذا الاعتراض بما يقتنع به نفسك ، او يجعلها قريبة من الاعتناء حينما يقول :

« فالجواب انها لا تنفك عن افادة معنى الطلب في الوقت الذي كان صالحا له ، وانما اوقع بعدها الماضي تنبيها على ان المطلوب منه ذلك ، قوته حتى انقضى وقته ، فصار كالتوبيخ واللوم على ترك المطلوب فباعبار ما فيه من معنى الطلب المقدر في وقته نصب جوابه بعد الفاء ، وجزم بغير فاء » ... انتهى (59) .

هذا الاتجاه الفلسفي او الاصولي في نحو ابن الحاجب ظاهر في معظم آرائه وتوجيهاته النحوية ، مما يدل على ان الرجل كان بصريا في اتجاهاته منطقيا في آرائه فلسفيا في تحقيقاته اصوليا في تعبيراته وتخرجاته .

2 — ابن الحاجب مع البصريين :

نحو البصرة كان النحو السائد لعلماء مصر والشام منذ الرحلات القديمة التي قام بها علماء مصر اذ ذاك امثال ابن ولاد ، وابن النحاس الى العراق ، والتزود من الدراسات النحوية فيه .

على ان المخصص بالصفة انك لو قلت : ولبعد خير باستاظ الصفة لم يجز ، قلت هو مستقيم في الاعراب ، الا ترى انك اذا قلت — العالم قديم لكان كلاما مع انه كذلك (56)

ليس هذا الحوار فلسفة ؟ وماذا تكون الفلسفة اذا لم تكن هذه النظرات فلسفة ؟ والذي لا شك فيه ان الفاظ العموم ، والخصوص والاعم والاخصاص اصطلاحات اصولية تقوم عليها نظرات علم الاصول .

وطريقته في الاستدلال من غير شك طريقته منطقية فهو يذكر القضية ويورد الاعتراضات عليها ، ثم يهدم هذه الاعتراضات اعتراضا اعتراضا ليخرج بالنتيجة التي قررها أولا .

(2) القياس اصل من اصول الفلسفة وركن كبير من اركان الاصول كان ابن الحاجب يستخدمه في كثير من آرائه النحوية ، فاذا ما خرج شيء عن القياس ، وشذ عنه فان هذا لا يقتنع ابن الحاجب ، بل يحاول ان يبحث ويدقق حتى يجد له نظيرا فيلحقه به .

يقول في كتاب الامالي في مطلب ربه رجلا : الضمير في قوله ، ربه رجلا ليس بنكرة وانما كان حكمه حكم التكرات باعتبار كونه مبهما اطلق عليه النكرة لذلك ، ولذلك لم يوصف لانه ضمير بلا خلاف ، والضمائر لا توصف ، ثم قال انه مفرد على كل حال لانه مضمرة على خلاف القياس اتى به لغرض الابهام فوجب ان يكون مفردا قياسا على نعم .. انتهى (57) .

(3) وتراه يعقب على الزمخشري تعقيا فلسفيا منطقيا حينما قال — ملليا على قوله في المنصل — المبني هو الذي سکون اخره وحركته لا يعامل — قال ابن الحاجب هذا الحد ليس بمستقيم لانه اتى في الحد بواء العطف فان قصد الجمع لم يستقم اذ ليس شيء فيه سکون وحركة في آخره وان قصد معنى او كان فيه تزود لفظي في استعماله الواو بمعنى او ، واستعماله لفظ او في الحد الواحد (58) .

(4) وابن الحاجب له بصر بفلسفة الكلمات ، ولمس المعاني الخفية التي تحملها والتي لا يبصرها

(56) حاشية ياسين ج 1 ص 169 (الحبلي) .

(57) الامالي لابن الحاجب ص 63 من النسخة رقم

(58) نفس المصدر .

(59) الامالي لابن الحاجب ص 67 مخطوط نسخة

وكتاب سيبويه الذي حوى مسائل النحو البصري ، والذي أحاط بكثير من أصولها وفروعها وعللها ، وأقيمتها ، سار هذا الكتاب سير الشمس في جميع الاقطار الاسلامية واشتغل الناس به درسا وتمحيصا وشرحا واختصارا .

ويحدثنا التاريخ انه ما من عالم مصري ، او شامي ذهب الى العراق الا وكان كتاب سيبويه هو غايته الاولى ، يدرسه على كبار الشيوخ ثم يعود الى مصر والشام لينشر هذا الكتاب بين الطلاب ، اما بشرحه كما فعل ابو جعفر المعروف بابن النحاس (60)

واما بنقده والانتصار له كما فعل احمد بن محمد ابن ولاد (61) ولم يكن الامر مقصورا على هذه الرحلات الى العراق فحسب ، فقد كان هناك كثير من علماء العراق يفدون الى مصر او الشام ويطلب لهم فيها المقام ، ويتصدرون في النحو على اصول كتاب سيبويه فابن بري قرا العربية على مشايخ زمانه من المصريين والقادمين على مصر ، وحصل له من ذلك ما لم يحصل لغيره وانفرد بهذا الشأن ، وقصده الطلبة من الأماق وكان عالما بكتاب سيبويه وعلله واكثر الرؤساء بمصر استفادوا منه وأخذوا عنه (62) .

وعبد الله بن اسحاق الصيمري النحوي ابو محمد قدم مصر وحفظ عنه شيئا من اللغة وغيرها ، وصنف كتابا في النحو سماه (التبصرة) .

وهذا الكتاب احسن فيه التعليل على مذهب البصريين (63) .

وعبد الرحمن بن اسحاق ، ويعرف بالزجاجي صاحب الجمل نزل بغداد ولزم الزجاج حتى برع في النحو ، ثم سكن طبرية ، وأملى وحدث بدمشق عن الزجاج ونفطويه وابن دريد ، والاخفش الصفيسر وغيرهم (64) .

وكتاب الجمل « هو كتاب المصريين والشاميين الى ان اشتغل الناس باللمع لابن جنى ، والايضاح لابي علي الفارسي » (65) .

والجمل واللمع والايضاح منابع من معين كتاب سيبويه البصري . وعلي بن سليمان الاخفش الصغير الذي قد قرا على المبرد ، زعيم المدرسة البصرية فيما بعد . قدم مصر سنة سبع وثمانين ومائتين وخرج الى حلب سنة ثلاثمائة وله شرح لسيبويه (66) .

هؤلاء العلماء الوافدون الى مصر من العراق ، وعلماء مصر الذين وفدوا الى العراق احدثوا في مصر نهضة نحوية توامها كتاب سيبويه ، وما اشتق منه من كتب وظل الامر كذلك حتى تسلم ابن الحاجب هذا التراث البصري المثل في كتاب سيبويه فحافظ عليه ، وعمل على نشره لانه الف فيه شرحا (67) .

لهذا لم يكن عجبيا ان يكون ابن الحاجب بصريا في آرائه وميوله في اقيسته وتعليقاته ، واثر سيبويه في ابن الحاجب واضح وضوحا لا ينكر .

والامثلة التي تدل على تأثر ابن الحاجب بالبصريين كثيرة سجلتها مختلف الكتب النحوية واتي اکتفي هنا بمثال واحد تتبين فيه حرارة الدفاع عنهم ، وعمق التأثر بهم ، نراه في هذا المثال يعرض آراءهم ثم يترصد للنقد الذي وجه او من الممكن ان يوجه اليهم فيهدمه بأدلة منطقية ليدعم مذهب البصريين .

قال في « الأمالي » في خبر ما ، ولا المشبهتين بليس « .

« واختلف الناس في — لا — هذه ، فقال البصريون : هي المشبهة بليس لانها الحقت التاء المختصة بالافعال ، فلولا شبهها بالفعل لم تلحقها واذا كانت المشبهة بالفعل فهي التي بمعنى ليس .

وايضا ، فان المعنى على قولك ، ليس هذا الحين حين مناص ، وشبهه بما تقع فيه لات ، وانفوتروا

(60) سيبويه امام النحاة على النجدي ص 188 .

(61) نفس المصدر ص 188 .

(62) انباه الرواة ج 2 ص 111 .

(63) انباه الرواة ج 2 ص 123 .

(64) البغية ص 297 .

(65) الانباه ج 2 ص 161 .

(66) البغية ص 338 .

(67) دائرة المعارف الاسلامية م 1 ص 126 .

ما يلزمهم لقيام هذا الدليل ، والذي يلزمهم ان لا بمعنى ليس شاذ وجوابه انه شاذ ما لم تدخل التاء، فاذا دخلت فليس بشاذ ومنها ما يلزمهم من اضممار الاسم في الحرف ، لان المعنى عندهم ليس الحين حين مناص ، والحروف لا يضم فيها .

وجوابه انه قد توى شبهه بالفعل فأجرى مجراه في هذا المثال لكثرة الاستعمال مثله .

ومنها ما يلزمهم من الاضممار قبل الذكر ، لان المعنى ليس الحين حين مناص وجوابه : ان مثل هذا الاضممار جائز لقيام القرينة الحالية عليه ، واذا قامت القرينة على الاضممار كان بمثابة تقدم الذكر (68) .

3 - ابن الحاجب مع الكوفيين :

ومع هذا الدفاع الحار عن البصريين فانه لم يكن يسلم لهم في مسائل عديدة من مسائل هذا العلم ، لانه امام مجتهد يأخذ ما صح في منطقته ولا يكون معهم كالألة التي لا ارادة لها ولا عقل .

وقد عرفنا ان من مميزات هذا الرجل ، صحة الذهن ، وقوة الفهم ، وحدة التريفة ومن اجل ذلك نراه يوافق الكوفيين في طائفة من المسائل النحوية اكتفى بذكر بعضها كدليل يسند ما اقول :

1) اللغة عند الكوفيين رواية ونقل ، لا قياس وعقل كما يدعي البصريون حيث يعتمدون بالقياس والمنطق ، ولا يعتمدون على الرواية والنقل .

وابن الحاجب يؤمن بالاتجاه الكوفي في هذا المضمار لانه ذكر في اماليه في مسألة دخول الفاء في خبر ان ، واختلاف سيبويه والافنسي في هذا الدخول .

ذكر ان « الاحكام اللغوية لا تثبت بقياس ، وانما تثبت بالنقل ثم تعقل » (69) .

وعند ابن الحاجب « ان رفع الفاعل ونصب المفعول انما ثبتا بطريق الاستقراء (70) .

2) مذ ومنذ : مذ ومنذ يستعملان اسما في موضعين : احدهما ان يدخل على اسم مرفوع لكثرة ، وهما حينئذ مبتدآن ، وما بعدهما خبر عنهما واجب التأخير اجراء للرفع مجرى الجر ، وهو مذهب طائفة من الكوفيين واختاره ابن الحاجب (71) .

4 - المسائل التي انفرد بها ابن الحاجب :

عرفنا فيما سبق ان ابن الحاجب سار في ركب البصريين ، ثم خالفهم متبعا للكوفيين في بعض المسائل التي وضع فيها الحق بجانبهم .

فهل كان ابن الحاجب يدور حول هذين المذهبين فحسب ، يختار اقربها الى نفسه ، واصحها في عقله واتواها في نقله . او انه خرج عن هذه الدائرة يلتزم الدليل من غير نظر الى هذا المذهب او ذلك .

كل الادلة تؤيد هذا الاتجاه ، وتثبت ان ابن الحاجب كان اماما مجتهدا في النحو كما كان مجتهدا في الفقه .

ومعنى ذلك ان لابن الحاجب آراء انفرد بها ، وتوجيهات نحوية لم يسبقه احد فيها ، وقد اقر له بذلك كل من ترجعوا له ، وكتبوا عنه فقد قالوا ، « وخالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم اشكالات والزامات تتعذر الاجابة عنها » (72) . وتقول دائرة المعارف الاسلامية : « وقد اشتهر في النحو على وجه خاص وهو في هذا الميدان يختلف عن اسلافه » (73) .

فما هي اذن المسائل التي خالف فيها النحاة ، والتي انفرد بها وله توجيهات خاصة فيها ؟ ..

لا يستطيع ان احصر هذه المسائل في هذا المجال الضيق الذي لا يتسع لها ، وانما اذكر بعضها كأمثلة تؤيد ما ذكرت .

(68) امالي ابن الحاجب ص 106 .

(69) الامالي : مخطوط رقم 1034 .

(70) مدرسة الكوفة : المخزومي ط ثانية ص 412 .

(71) شرح التصريح ج ص 20 (الحلبي)

(72) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(73) دائرة المعارف الاسلامية م 3 ص 126 .

(1) الاسماء الستة :

انها اي اضافة الصفة لمفعولها تفيد تخصيصا ان اصل قولك : ضارب زيد ضارب زيدا ، فالاختصاص بالمفعول موجود قبل الاضافة فلم تحدث الاضافة تخصيصا .

قال ابن الحاجب لهم في اعراب هذه الاسماء اتسوال :

قال في التصريح : وفي ذلك رد على ابن مالك حيث رد على ابن الحاجب في قوله ولا تفيد الا تخفيضا ، فقال : بل تفيد ايضا التخصص فان ضارب زيد اخص من ضارب ، قال في المعنى : وهذا سهو فان ضارب زيد اصله ضارب زيدا بالنصب وليس اصله ضاربا فقط فالتخصص حاصل بالمفعول قبل ان تأتي الاضافة (77) .

نظائر مذهب سيوييه ان لها اعرابين تقديري بالحركات ، ولغظي بالحروف ، وهو مذهب ضعيف لحصول الكفاية بأحد الاعرابين .

وقال الكوفيون : انها معربة بالحركات على ما قبل الحروف وبالحروف ايضا وهو ضعيف لمثل ما ضعف له ما تأول المصنف من كلام سيوييه .

(5) كل ما دل على هيئة صح ان يقع حالا نحو هذا بسرا اطيب منه رطباً .

قال شارحه الرضى : هذا رد على النحاة فان جمهورهم شرطوا اشتقاق الحال وان كان جامدا تكلفوا رده بالتاويل الى المشتق قالوا : لانها في المعنى صفة والصفة مشتقة ، او ما في معنى المشتق فقالوا في نحو : هذا بسرا اطيب منه رطباً هذا مبسرا اطيب منه مرطباً ، اي كائنا بسرا ، وكائنا رطباً . وهذه ناقة الله لكم آية اي دالة (78) .

ويرى ابن الحاجب : ان اللام في أربعة منها وهي ابوك ، واخوك ، وحموك ، هونوك اعلام للمعاني المتناوبة كالحركات ، وكذا العين في الباقيين منها اعنى فوك ، وذو مال ، فهي في حال الرفع لام الكلية او عينها ، وعلم العمدة وفي النصب والجر علم الفضلة ، والمضاف اليه فهي مع كونها بدلا من لام الكلمة وعينها حرف اعراب .

قال قال المصنف (ابن الحاجب) وهو الحق لا حاجة الى هذا التكليف لأن الحال هو البين للهيئة كما ذكره في حده ، وكل ما قام بهذه الفائدة فقد حصل فيه المطلوب من الحال ، فلا يتكلف تأويله بالمشتق . (79) .

ويؤيد ابن الحاجب في هذا الرأي بقوله : ان دليل الاعراب لا يكون من نسخ الكلمة ، فهي بدل يفيد ما لم يفده البديل منه ، وهو الاعراب كالتاء في بنت تفيد التانيث بخلاف الواو التي هي اصلها ، ولا يبقى ذو ، وفوك على حرف لقيام البديل مقام المبدل منه (74) .

(2) الحال من المضاف اليه :

« لا يثبت ابن الحاجب واتباعه » (75) .

(6) لو صرف امتناع :

انها تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، واختلف في المراد بذلك .

(3) الاستنهام المسوغ للإبتداء عنده :

« هو الهمزة المعادلة بأم مثل أرجل في الدار أم امرأة » (76) .

فقال ابن الحاجب في أماليه :

« انها امتناع الاول اي الشرط للثاني اي لامتناع الجواب ، ووجهه بان انتقاء السبب لا يدل على انتقاء مسببه لجواز ان يكون ثم اسباب آخر .

(4) الاضافة لا تفيد الا تخفيضا ، وقد ايده في هذا الرأي ابن هشام فقال في التوضيح : « والدليل على

(74) الرضى على الكافية ج 1 ص 26 .

(75) حاشية ياسين ج 1 ص 366 (الحلبي)

(76) التصريح ج 1 ص 169 (الحلبي) .

(77) شرح التصريح ج 2 ص 28 (الحلبي)

(78) الاعراف : 73 .

(79) الرضى على الكافية ج 1 ص 190 .

جني ، وتقسّم يميل الى ترك النحو ممزوجا بالادب والشعر والرواية بعيدا عن حقائق المنطق والتعليقات والتقسيمات وعلى راس هؤلاء ابو سعيد ، وتلميذه ابن خالويه « (83) .

وعلى الرغم من ان ابا علي او بالاحرى مدرسة ابي علي كانت تتميز بالمنطق واقبيسته فانها لم تتعمق فيه الى حد المغالاة كما كان الحال عند الرماني الذي غالى في اقبسته المنطقية حتى قال فيه ابو علي : ان كان النحو ما يقوله الرماني هو النحو فليس معناه منه شيء ، وان كان ما نقوله نحن ، فليس معه منه شيء (84) . ولهذا السبب ظلت مدرسة ابي علي خالدة لتفوتها في النحو واقبيسته ، تلك الأقيسة التي كانت تبتعد عن التعمق والمغالاة .

وهذه المدرسة قامت على اصول مدرسة البصرة وقواعدها فطابع البصرية فيها واضح وضوحا لا ينكر ، والدليل على ذلك انه في كتابه الايضاح لا يرى التعجب من السواد والبياض مباشرة ، والكوفيون يرونه (85) .

ويجوز في باب كان عنده ان يتقدم الخبر على الاسم (86) .

واذا كان ابو علي الفارسي صاحب مدرسة في النحو لمع نجمها في القرن الرابع الهجري ، وظلت تبيسا مضيئا للنحاة المتأخرين فهل أخذ ابن الحاجب هذا القبس ؟ وهل تأثر بهذه المدرسة ؟

ذكر الرواة ان كتاب « الجمل » للزجاجي وهو كتاب المصريين واهل المغرب واهل الحجاز واليمن والشام الى ان اشتغل الناس باللمع لابن جنسي والايضاح لابي علي الفارسي (87) .

ومعنى هذا الكلام ان كتاب الجمل كان مدرسة قائمة بذاتها في النحو الى ان ظهر كتاب الايضاح للفارسي واللمع لابن جني فاشتغل الناس بهما وكانا

قال ويدل على هذا : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » فانها مسوقة لنفي التعدد في الالهة بامتناع الفساد ، لا ان امتناع الفساد لامتناع الالهة ، لانه خلاف المفهوم من مساق امثال هذه الآية ، ولانه لا يلزم من انتفاء الالهة انتفاء الفساد لجواز وقوع ذلك وان لم يكن تعدد في الالهة ، لان المراد به فساد نظام العالم عن حالته ، وذلك جائز ان لا يفعله الا الله الواحد سبحانه « وتابعه على ذلك ابن الخباز » .

واستفكر ابن هشام في المغني مقالة ابن الحاجب ومن تبعه (81) .

5 - ابن الحاجب وابو علي الفارسي :

تطورت الدراسة النحوية في القرن الرابع الهجري على يد ابي علي الفارسي تطورا كبيرا ، وقد عمل على هذا التطور تلك المناظرات التي كان يعقدها سيف الدولة الحمداني بين كبار النحويين فضلا عن المحاورات والمناقشات التي كانت تدور بين النحويين في مناسبات مختلفة .

فقد كانت هناك مناقشة بين ابي علي الفارسي وبين ابي سعيد السيرافي ، ولقد قارن التوحيدي بين هذين النحويين الكبيرين ، وكان تحيزه لشيخه الفارسي ظاهرا (82) . وكانت هناك ايضا خصومة عنيفة بين ابي علي ، وبين ابن خالويه تلميذ ابي سعيد السيرافي « .

وان الباحث في هذه المناقشات التي بين هؤلاء العلماء يرى انها قدمت للنحو ثروة كبيرة ، لانها اذكت نار البحث والنقد « وجعلت علماء العالم ينقسمون الى قسمين فقسم يميل الى القياس والتعليل والتعمق ، وتعقيد القواعد في النحو والصرف ، وعلى رأس هذا القسم ابو علي الفارسي ، وتلميذه ابن

(80) الانباه : 22

(81) اللمع ج 2 ص 64 .

(82) معجم الادباء ج 6 ص 253 .

(83) مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد 25 من مقال ابي الفتح ابن جني لاسعد اطلس .

(84) البغية ص 344 .

(85) ابو علي الفارسي د . شلبي ص 532 .

(86) ابو علي الفارسي د . شلبي ص 532 .

(87) الانباه ج 2 ترجمة الزجاجي ص 165 .

قام الزيدون والتانيث في الفعل في نحو قامت المدمرات ،
خلافا للكوفيين فيهما ، فانهم اجازوا في الفعل مع كل
من جمعي التصحيح والتذكير والتانيث .

وخلافا للفارسي من البصريين في جمع تصحيح
المؤنث ، فانه انفرد عن أصحابه بجواز الامرين ووافق
أصحابه في وجوب تذكير الفعل مع تصحيح المذكر قال
ياسين في حاشيته : ان ابن الحاجب مثنى على مذهب
الفارسي (92) .

3) وتختص الواو بجواز عطفها عاملا تد حذف ،
وبقي معموله مرفوعا كان نحو أسكن انت وزوجك
الجنة (93) أو منصوبا نحو : والذين تبؤوا الـسـدار
والايمان (94) . أو مجرور نحو : ما كل سوداء ثمرة ،
ولا بيضاء شحمة ، وانما لم يحصل العطف فيهن على
الموجود في الكلام بدون حذف لئلا يلزم في الاول رفع
فعل الامر للاسم الظاهر وفي الثاني كون الايمان متبوا
وانما يتبوا المنزل ، وفي الثالث العطف على معمولي
عاملين مختلفين ، وذلك لا يجوز عند سيبويه
والاكثرين .

وقيل يجوز مطلقا حكاه الفارسي وابن الحاجب
عن القراء (95) .

4) الضمير اذا اتصل برب مثل ربه فتى أو ربه
رجلا .

ذهب جماعة كابن عصفور والزمخشري ان
الضمير نكرة عائدة على واجب التفكير وقال جماعة
كالفارسي معرفة جار مجرى الفكرة (96)

وابن الحاجب يقر في اماليه في مطلب «ربه رجلا»
ان الضمير في قوله : ربه رجلا ليس بنكرة ، وانما كان
حكمه حكم النكرات باعتبار كونه مبهما اطلق عليه

كمدرسة خلفت مدرسة « الجمل » وقد دوى صوت
هذه المدرسة في العراق والشام ومصر .

ومن المصريين الذين عنوا بالايضاح ابن بري
المصري (88) .

ومن العلماء المصريين الذين اهتموا بالايضاح
ايضا في القرن السابع الهجري ابن الحاجب فقد درسه
وشرحه (89) .

من هذه النصوص التي ذكرتها نستطيع ان
ندرك مدى قيمة نحو الفارسي المثل في كتاب الايضاح
في الدراسات النحوية . ونستطيع ان نلمح أيضا اثر
الفارسي في ابن الحاجب ، فدراسته لكتاب الايضاح
وشرحه له يبين لنا اثر الفارسي في ابن الحاجب .

والدارس لكتاب الكافية يرى انها سارت على
نسق ترتيب أبي علي في الايضاح وذلك لان الزمخشري
في كتاب المفصل نظر الى ترتيب أبي علي في كتاب
الايضاح حيث جعل كتابه مقسوما على أربعة أقسام:
أسماء وافعال وحروف ومشتراك بين احوالها (90) .

وقد قال النحاة عن كانية ابن الحاجب : انها
تلخيص للمفصل وحقيقة الامر ان ابن الحاجب كان
متأثرا في كانيته بالايضاح وبالمفصل معا .

امثلة توضح اثر الفارسي في ابن الحاجب :

1) « اذا كان الخبر طرفا ، او جارا أو مجرورا
رجح ابن الحاجب تبعا للزمخشري والفارسي تقدير
الفعل ، لانه الاصل في العمل ولتعيينه في الصلة » (91)

2) اختلف النحاة في الحاق تاء التانيث بالفعل في
جمعي التصحيح المذكور والمؤنث — فسيبويه
وجمهور البصريين يوجبون التذكير في الفعل في نحو

88) سيبويه امام النحاة ص 187 .

89) كشف الظنون مجلد 1 نهر 212 .

90) شرح المفصل للزمخشري : ابن يعيش ج 1 ص 17 ط المنيرية .

91) الجمع ج 1 ص 98 — 99 .

92) التصريح والحاشية ج 1 ص 280 .

93) البقرة : 35 .

94) الحشر : 9 .

95) التصريح ج 2 ص 154 .

96) حاشية الصبان على الاشموني ج 2 ص 207 (الحلبي) .

النكرة ، ولذلك لم يوصف ، لانه ضمير بلا خلاف والضمائر لا توصف (97) واذا تارنا بين قول ابي علي وبين قول ابن الحاجب في هذا الضمير لرأينا الفكرة واحدة .

هذه امثلة تدل على ان ابن الحاجب كان يميل أحيانا الى آراء ابي علي في كثير من المسائل النحوية ، وليس في هذا الميل نقصان لشخصية ابن الحاجب فأبو علي امام مجتهد في النحو تطور النحو على يديه بما وضع من مقاييس وتعليلات وكانت له نزعة بصرية توجهه وجهتهم في كثير من المسائل النحوية ، فلا حرج اذن على ابن الحاجب المنطقي الذي يؤمن بالقياس والعلّة ، والبرهان والجدل — شأنه شأن البصريين .. لا حرج عليه ان يتأثر بأبي علي في بعض المسائل النحوية ، لانه يشبهه الى حد كبير في نزعته الى القياس وميله الى المنطق .

على ان تبعية ابن الحاجب للفارسي ليست تبعية عمياء ، وانما التبعية التي يتضح فيها الدليل ، ويستقيم المنطق ، وتتبين فيها الحجة ولا ادل على ذلك من ان ابن الحاجب خالف ابا علي في بعض المسائل ، خالفه لانه لم ير في رايه القوة التي تحمله على التبعية .

ومن غير شك ، ان هذه المخالفة ان دلت على شيء فانها تدل على شخصية ابن الحاجب النحوية تلك الشخصية التي لا تتقبل رأيا الا بعد تمحيص وتدقيق وبحث ومناقشة ، لا تتقبل رأيا الا بعد ان تسلط عليه أضواء عقلها ، وأشعة فكرها لتتبين وجه الحق فيه ، فاذا ما صح هذا الراي في نظره أخذه من غير مبالاة ايا كان مصدره وايا كان منبعه بصريا أو كوفيا أو بغداديا .

واذا لم يصح في رايه رفضه ، ومع الرفض الاسباب المنطقية التي دعت الى الرفض اذن فابن الحاجب لا يتقيد بمذهب معين ولا بتوجيه معين ، لا يتعصب للبصريين أو للكوفيين من غير نظر وروية ، لا يؤمن بقداسة كبار النحاة ولا بالآراء التي تصدر عنهم فكما قدمت رأينا كيف ناقش البصريين ، ورفض بعض مسائلهم ، كما انه ناقش الكوفيين ، وهدم بعض

نظرياتهم حتى سببويه امام النحو واستأذنه وضع آراءه على المشرحة فما صح أخذه وما لم يصح رفضه ، وقد تقدمت امثلة تؤيد هذا الذي قلت . ولا استطيع في هذا المجال الضيق ان اعدد المآخذ التي أخذها ابن الحاجب على ابي علي ، الا اني اكتفي بسرد بعضها كدليل على ان ابن الحاجب كان شخصية مستقلة ، تؤمن بالاستقلال الى حد كبير .

قال الاشموني شارحا قول ابن مالك في المنوع من الصرف .

وكن لجمع مشبه مفاعلا او المفاعيل بمنع كافلا

يعني انه مما يمنع من الصرف الجمع المشبه مفاعل او مفاعيل ، اي في كون اوله مفتوحا ، وثالثها الفا غير عوض ، يليها كسر غير عارض ملفوظ او مقدر على اول حرفيه بعدها ، او ثلاثة اوسطها ساكن غير مستوي به وبها بعده الانفصال ، فان الجمع متى كان بهذه الصفة كان فيه فرعية اللفظ بخروجه عن صيغ الاحاد العربية وفرعية المعنى بالدلالة على الجمعية فاستحق منع الصرف .

ثم قال في التشبيهات : اتفقوا على ان احدى العلتين هي الجمع واختلفوا في العلة الثانية .

فقال ابو علي : هي خروجه عن صيغ الاحاد ، وهذا الراي هو الراجح .

وقال قوم : العلة الثانية تكرار الجمع تحقيا او تقديرا فالتحقيق نحو : اكلت ، وارهط ، اذ هما جمع اكلت وارهط والتقديري نحو مساجد ومنابر فانه وان كان جمعا في اول وهلة لكنه بزنة ذلك المكرر اعني اكلت وارهط فكانه ايضا جمع جمع ، وهذا اختيار ابن الحاجب ، واستضعف تعليل ابي علي بأن افعالا وافعلا نحو افراس وافلس جمعان ، ولا نظير لهما في الاحاد ، وهما مصروفان (98) .

(1) الزمخشري وابن الحاجب :

كان ابن مالك يقول عن ابن الحاجب : انه اخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوي صغير (99) .

(97) الامالي ص 63 (مخطوط 1034) نحو دار الكتب .

(98) الاشموني ج 3 ص 243 .

(99) البغية ص 55 .

وقال الامام الزمخشري — انه مخفوض على الجوار ، وليس يحيد اذ لم يات الخفض على الجوار في القرآن الكريم ، ولا في الكلام الفصيح ، وانما هو شاذ في كلام من لا يؤبه له من العرب فلتحمل الآية على ما ذكر (101) .

وهذا الرد من ابن الحاجب يبينها الى امر آخر خالف فيه الزمخشري كل المخالفة وذلك لان الزمخشري كان يؤيد مذهب ابي علي في القياس ، فقد كان يرى الاحتجاج بأقوال المولدين ، والقياس عليها (102) .

اما ابن الحاجب فلم يتبع هذا ولا ذاك ، بل يقرر ان الاستشهاد النحوي يبحث عنه في القرآن الكريم ، ثم في الكلام الفصيح ، اما ما عدا ذلك فهو كلام من لا يؤبه له من العرب ممن لا يصح في مذهبه ان يستشهد بقوله او يؤخذ بكلامه .

(2) تعقيه على الزمخشري حينما قال : البني هو الذي سكون آخره وحركته لا يعامل ... تقدم ذكر ذلك ص 18 ، من البحث .

وليس معنى مخالفة ابن الحاجب للزمخشري انه كان متعصبا ضده ينتقده في كل رأي ويهدمه في كل فكرة ، لا .. لم يكن هذا من شيمة ابن الحاجب لانه كان رائده الحق ، والحق وحده ، اثنى وجده اخذه بغض النظر عن مصدره ومنبعه .

لهذا فقد وافق الزمخشري في بعض المسائل التي وضح فيها الدليل وليس معنى هذه الموافقة انه اخذ نحوه منه ، لان ابن الحاجب لا يوافق على رأي الا بعد مناقشة وبحث ، موافقة مصدرها الاجتهاد والعمق لا الاتباع والتقليد .

فمن المسائل التي وافق فيها ابن الحاجب الزمخشري :

(1) السموات : قوله تعالى : خلق الله السموات (103) مفعول مطلق لبيان النوع عند الزمخشري وابن الحاجب .

ومعنى هذه العبارة ان ابن الحاجب تلميذ للزمخشري تأثر به وسار على نهجه وردد آراءه ودافع عنها ، وليس له فكر مستقل يستعمله في العويص من المشكلات النحوية وبعبارة اخرى ، ليس ابن الحاجب اماما مجتهدا في النحو ، يأخذ ما يميله عليه غيره من غير نظر او بحث .

وحقيقة الامر انه ان صح ما قاله ابن مالك ، فان هذا تقليل من مكانة الرجل من غير دليل ، وتضعيف لشخصيته من غير حجة .

والحقيقة التي لا شك فيها ان ابن الحاجب كما قلت اكثر من مرة — له شخصيته المستقلة في توجيهاته وفي آرائه وهو وان تأثر بالبصريين أو بأبي علي في بعض المواطن فهو التأثر الذي لا يذيب شخصيته ولا يفني تفكيره ولا يبيت عقله .

والدليل الاوضح على ان ابن الحاجب لم يكن نسخة طبق الاصل من الزمخشري يردد آراءه ويتعبد بأقواله ، ويأخذ بوجهة نظره كما ادعى ابن مالك هو املاؤه على المفصل للزمخشري ، ونقده له في كثير من المسائل وفي كتاب : الامالي ؛ جعل تسما خاصا لاملائه على المفصل ناقدا وموجها ، شارحا ومحصا مما يدل على ان ابن الحاجب صاحب قريحة وقادة من الصعب عليها ان تسيّر في ركب اي اتجاه نحوي من غير ان تبصر الهدف وتتعرف على الطريق .

(1) قال رضى الله عنه مهليا على قوله تعالى وامسحوا برءوسكم وارجلكم (100) من قرا بالخفض عطفا على قوله برءوسكم ، والمراد اغسلوا ارجلكم وليس الخفض على المجاورة وانما على الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر .

والعرب اذا اجتمع فعلان متقاربان في المعنى ولكل واحد متعلق جوزت ذكر احد الفعلين وعطف متعلق المحذوف على المذكور على حسب ما يقتضيه لفظه حتى كأنه شريكه في أصل الفعل اجراء لاحد المتقاربين مجرى الآخر كتولهم تقلدت بالسيف والرمح ، وعلفتها بالتبن والماء .

(100) المائدة : 6

(101) الامالي : ص 55 .

(102) من اسرار اللغة . الدكتور ابراهيم أنيس ص 20 .

(103) المنكبوت : 29

فرحوا به ، وانا شديد التعجب منهم فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا على صحتها فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان اولى (109) .

وابن الحاجب لم يكن كما كان غيره من النحاة البصريين ينظرون الى القراءات نظرة الريبة والشك، بل كان يؤمن بتواتر القراءات السبع وان الاستشهاد بها اخرى من الاستشهاد بغيرها واقوى . وقد قلت سابقا : انه رد الخفض على الجوار وبين انه غير جيد اذ لم يات في القرآن الكريم بقراءاته المشهورة ، ثم الكلام الفصيح قال ابن الحاجب في مختصر المنتهى : ان القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبل الاداء، كالد والامالة وتخفيف الهزة ونحوها (111) .

ومع هذا لم يسلم ابن الحاجب من النقد في قوله: « ان المد والامالة وتخفيف الهزة ، ونحوه غير متواتر » .

فقد تعرض له ابن الجزري بقوله : ليت شعري من الذي تقدم ابن الحاجب بهذا القول فقص اثره ؟ فلو فكر الشيخ فيما قاله لما اقدم عليه ، وليت الامام ابن الحاجب اخلى كتابه من ذكر القراءات واثرها كما اخفى غيره كتبهم منها ، بل ليته سكت عسسن التمثيل (112) .

هذا واذا قارنا بين ما قاله ابن الحاجب عن القراءات وتواترها بما قاله الزمخشري عنها لوجدنا ان ابن الحاجب يختلف تمام الاختلاف عن الزمخشري فالقراءات عند الزمخشري غير متواترة وينبني على هذا ان الزمخشري يسقط القراءات من حسابه فيسقط اصلا من اصول الاستشهاد في اللغة كيبيرا .

وذلك كما يقول ابن هشام في المغنسي : ان المفعول به ما كان موجودا قبل الفعل الذي عمل فيه ، ثم اوقع الفاعل به فعلا .

والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعل ايجاده ، وان كان ذاتا لان الله سبحانه موجود للافعال وللذوات جميعا (104) .

(2) وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم (105) .

الزمخشري مثل بالآية لتقدم الخبر . قال ابن الحاجب : كون سواء خبرا مقدما هو الصحيح ، وقول الأكثر (106) .

(3) جميع الازان من غير الثلاثة اسم فاعل مطلقا عند ابن الحاجب والزمخشري لان الصفة المشبهة عندهم لا تكون مجارية للمضارع وان لم يقصد بها الحدوث (107) .

7 - ابن الحاجب والقراءات :

القرآن الكريم افضل ما يحتج به في تقرير اصول اللغة ، فانه نزل بلسان عربي مبين .

ولا يمتري احد في انه بلغ من الفصاحة وحسن البيان الذروة التي ليس بعدها مرتقى ، فيجيب ان تأخذ بالقياس على ما ورد عليه ، كلمة ، وآياته من احكام لفظية (108) .

وقال الرازي في تفسيره عند قوله تعالسى : «تساءلون به والارحام»، اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز اثباتها بالقرآن العظيم اولى وكثيرا ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الالفاظ الواردة في القرآن الكريم فاذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول

(104) التصريح ج 1 ص 80 .

(105) البقرة : 6 .

(106) حاشية ياسين ج 1 ص 155 .

(107) حاشية ياسين ج 2 ص 78 . طر الحلبي

(108) القراءات واللهجات عبد الوهاب حموده ص 129 .

(109) نفس المصدر ص 130 .

(110) الامالي ص 130 .

(111) مختصر المنتهى الاصولي ص 49 مطبعة كردستان العلمية .

(112) القراءات واللهجات ص 70 .

ثم قال أبو حيان موجها نقده اللاذع للزمخشري حيث رد قراءة ابن عامر : « واعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت ، واعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغربا ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفةهم وديانتهم (115) .

ومن هنا نعرف لابن الحاجب قدره فهو لسم يكن كالزمخشري يجري وراءه ويقتفى اثره في كل ما يقول ابن مالك : اخذ نحوه عن صاحب المفصل . وصاحب المفصل نحوي صغير .

هذه خطوط عريضة لاتجاهات ابن الحاجب النحوية ، فهو بصري ان صح له دليل البصريين ، وهو كوفي ان وضحت له حجة الكوفيين وهو متأثر بأبي علي اذا كان رأيه مؤيدا بالمنطق ويتبع الزمخشري اذا كان دليله مدعما بالبرهان .

ورجل شأنه هكذا لا بد ان يكون مستقلا في آرائه وتوجيهاته ، بعيدا عن التعصب ونزعات الهوى ، قريبا من الحق اثنى وجده ، تحيط بأرائه ادلته كما يحيط السوار بالمعصم يستشهد بالقرآن الكريم ، وبالقرارات المتواترة ، وبالكلام العربي الفصيح ، يستخدم القياس وقضايا المنطق في مسائل النحو ، وينظر الى العلة نظرة التقديس والاجلال .

قال الزمخشري في تفسيره « الكشاف » عند تعرضه لتفسير الآية القرآنية « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم » : واما قراءة ابن عامر : قتل اولادهم شركائهم ، برفع القتل ، ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا ، فكيف به في الكلام المنشور ، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته .

والذي حمله على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ، ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء ، لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب (113) .

قال أبو حيان معقبا على الزمخشري في تفسيره (البحر) :

« وقرا ابن عامر كذلك الا انه نصب اولادهم وجر شركائهم ، فصل بين المصدر المضاف الى الفاعل بالفعل وهي مسألة مختلف في جوازها فجمهور البصريين بمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ، ولا يجيزون ذلك الا في ضرورة الشعر .

وبعض النحويين اجازها ، وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة النسوبة الى العربي الصحيح المحض ابن عامر ، الاخذ بالقرآن على عثمان بن عفان قبل ان يظهر اللحن في لسان العرب (114) .

(113) الكشاف : الزمخشري ج 2 ص 70 ط ثانية (مطبعة دار الاستقامة)

(114) البحر المحيط : ج 4 ص 229

(115) البحر المحيط : ج 4 ص 230 .

مراجع البحث

- (1) الأشباه والنظائر في النحو : السيوطي : الطبعة الثانية : حيدرآباد .
- (2) الإقتراح : السيوطي : مطبعة دار المعارف النظامية : حيدر آباد .
- (3) الإمالي : ابن الحاجب مخطوط رقم 1007 نحو - دار الكتب المصرية .
- (4) انباه الرواة : جمال الدين علي بن يوسف القنطري : تحقيق الاستاذ أبي الفضل . مطبعة دار الكتب .
- (5) البحر المحيط : اثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان : مطبعة السعادة .
- (6) البداية والنهاية : أبو الفداء عماد الدين اسماعيل .
- (7) البغية : السيوطي : مطبعة السعادة (الطبعة الاولى) .
- (8) تاريخ سوريا : يوسف الياس مطران : مطبعة بيروت 1952 .
- (9) حاشية الصبان على الأشموني : محمد بن علي الصبان : مطبعة الحلبي .
- (10) حاشية ياسين على التصريح : ياسين بن زين الدين العليمي : مطبعة الحلبي .
- (11) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية : الدكتور أحمد أحمد بدوي : مطبعة نهضة مصر .
- (12) خطط الشام : محمد كرد علي : المطبعة الحديثة بدمشق 1925 .
- (13) دائرة المعارف الإسلامية .
- (14) روضات الجنات في احوال العلماء والسادات : محمد باقر بن زين العابدين .
- (15) سيبويه امام النحاة : الاستاذ علي النجدي : مطبعة لجنة البيان العربي .
- (16) شذرات الذهب : ابن العماد .
- (17) شرح التصريح : الشيخ خالد بن عبد الله الازهري - مطبعة الحلبي .
- (18) شرح الرضى على الكافية : محمد بن حسن الرضى : مطبعة مجمع الرضى 1275 هـ .
- (19) الطالع السعيد : الادفوي : كمال الدين أبو الفضل : مطبعة الجمالية بمصر .
- (20) الظاهر ببيرس وحضارة مصر في عهده . دكتور جمال الدين سرور - دار الفكر العربي .
- (21) أبو علي الفارسي : دكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي : مطبعة نهضة مصر .
- (22) غاية النهاية : ابن الجزري : مطبعة السعادة .
- (23) القراءات واللهجات : الأستاذ عبد الوهاب حموده : مطبعة السعادة .
- (24) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل - الزمخشري : مطبعة دار الاستقامة .
- (25) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : وكالة المعارف باستانبول .
- (26) مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق .
- (27) مختصر المنتهى الاصولي : ابن الحاجب : مطبعة كردستان .
- (28) مدرسة الكوفة : الدكتور مهدي المخزومي : مطبعة الحلبي .
- (29) معجم الادباء : ياقوت بن عبد الله الحموي : مطبعة الحلبي .
- (30) من أسرار اللغة : الدكتور ابراهيم أنيس : مطبعة لجنة البيان العربي .
- (31) النجوم الزاهرة : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغزي بردي - مطبعة دار الكتب المصرية .
- (32) النشر في القراءات العشر : ابن الجزري : مطبعة التوفيق بدمشق .
- (33) همع الهوامع جمع الجوامع : السيوطي : مطبعة السعادة .
- (34) وفيات الأعيان : ابن خلكان : تحقيق الاستاذ محمد محي الدين - مطبعة السعادة .

علم الحركة في الفلسفة العربية

مفاهيمه وألفاظه

الدكتور جلال شوقي - جامعة القاهرة -

العلوم سبع رسائل ، أولها هذه الرسالة التي ذكرنا فيها الهيولي والصورة والحركة والمكان والزمان ، اذ كانت هذه الأشياء الخمسة محتوية على كل جسم .

ويستطرد اخوان الصفا في رسالتهم فيعرفون كلا من هذه الاشياء على النحو التالي :

« اعلم وفقك الله أن معنى قول الحكماء « الهيولي » انما يعنون به كل جوهر قابل للصورة ، وقولهم « الصورة » يعنون به كل شكل ونقش يقبله الجوهر . واعلم أن اختلاف الموجودات انما هو بالصورة لا بالهيولي ... » .

« أما المكان عند الجمهور فهو الوعاء الذي يكون فيه الممكن » .

« وأما الحركة التي تسمى النقلة فهي عند جمهور الناس الخروج من مكان الى مكان آخر ... »

« ثم اعلم أنه لا تنفصل حركة عن حركة الا بسكون بينهما ، وهذا يعرفه ولا يشك فيه أهل صناعة الموسيقى ، وذلك ان صناعتهم معرفة تأليف النغم ، والنغم لا يكون الا بالأصوات والأصوات لا تحدث الا من تصادم الاجسام ، وتصادم الاجسام لا يكون الا بالحركات ، والحركات لا تنفصل بعضها عن بعض الا بسكونات تكون بينها » .

درس العرب حركة الأجسام ضمن نطاق « الطبيعيات » ، فحددوا مفاهيمها وعناصرها ، ووضعوا لها التقسيمات المختلفة ، واستعملوا في كتاباتهم لفاظا معينة منها الفاظ « المبدأ » و « الميل » و « الاعتماد » و « قوة الحركة » و « اعتماد المتحرك » وذلك للدلالة على معان شتى . ويهم الباحث في الفلسفة العربية أن يقف تماما على المعاني التي وردت فيها هذه الافات حتى يتسنى له الوقوف على ما توصل اليه العرب في مجال علم الحركة ، ويقدم هذا البحث عرضا شاملا وتحليلا دقيقا لمفهوم الحركة والفاظها كما جاءت في كتب الفلسفة والحكمة العربية.

1 - الطبيعيات وعلم الحركة

تعرض العرب بالدراسة لحركة الاجسام في كتب الفلسفة لا سيما في قسيمي « الطبيعيات » و « الالهيات » ونبين فيما يلي بعض كتابات العلماء والفلاسفة العرب التي تدل على نسبتهم لعلم الحركة لقسم « الطبيعيات » .

يقول اخوان الصفا (1) في رسالتهم الخامسة عشرة (2) :

« والامور الطبيعية هي الاجسام وما يعرض لها من الاغراض اللازمة والمزيلة ، وقد عملنا في هذه

(1) من علماء وفلاسفة القرن العاشر الميلادي .

(2) هي نفسها الرسالة الاولى في الجسمانيات الطبيعيات .

المنسوب الى الطبيعة ، وهو المشتل على العلم يسائر المحسوسات من الحركات والمتحركات والمتحركات وما مع الحركات وبالحواس والمتحركات وفي المتحركات من الآثار المحسوسة .

ويمضى ابن ملكا في الورقة الخامسة من نفس المخطوط يقول :

« ... وتقوم سموا بالطبيعة كل قوة جسمانية ، أعنى كل مبدأ عمل يصدر عن الاجسام مما وجوده فيها ، فتكون الامور الطبيعية هي الامور المنسوبة الى هذه القوة ، اما على أنها موضوعات لها ولما يصدر عنها كالأجسام ، فيقال أجسام طبيعية ، واما آثار وحركات وهيئات صادرة عنها كالألوان والأشكال .

والعلوم الطبيعية هي العلوم الناظرة في هذه الامور الطبيعية ، فهي الناظرة في كل متحرك وساكن وما عنه ، وما به ، وما منه ، وما اليه ، وما فيه الحركة والسكون .

والطبيعات هي الأشياء الواقعة تحت الحواس من الاجسام واحوالها ، وما يصدر عنها من حركاتها وانفعالها ، وما يفعل ذلك فيها من قوى وذوات غير محسوسة ، فالعلم يتعرض لآثارها فآثارها أولا ، ويترقى منه الى الأخرى فالأخرى ... » .

2 - عناصر الحركة وأقسامها :

تعرض العلماء والفلاسفة العرب بتفصيل عظيم لحركة الأجسام ، فأسهبوا في الكتابة عن مفهوم الحركة وعناصرها وارتباطها بالزمان ، كما قسموها الى انتقالية ودورانية ، كذا الى طبيعية وقسرية ، ونورد فيما يلي نماذج من كتاباتهم في هذا المجال .

أولا : عناصر الحركة :

يحدد الشيخ الرئيس ابن سينا (9) في كتابه

اما الزمان عند جمهور الناس فهو مرور السنين والأيام والساعات .

ويقول اخوان الصفا أيضا في رسالتهم السادسة عشرة (3) :

« والحركات ستة أنواع ، أحدها النقلة وهي نوعان دورية ومستقيمة ... واثم الحركات الدورية كما بينا في رسالة الحركات » .

ويعود اخوان الصفا مرة ثانية الى تأكيد مفاهيمهم للامور الطبيعية فيورث في رسالتهم الرابعة والعشرين (4) ما نصه :

« بيان ذلك ان الجسم بالسكون أولى من الحركة هو ان الجسم ذو جهات ست ، ولا يمكنه ان يتحرك الى جميع الجهات دفعة واحدة ، وليست حركته الى جهة أولى من جهة ، فاذا السكون أولى به من الحركة » .

ويقول اخوان الصفا في الرسالة الثامنة من القسم الرياضي في فصل ان الجسم لا يتحرك من ذاته :

« والجسم من حيث الجسمية ليس بمتحرك ، والانفعال لا تكون الا بالحركة ، فالحرك للجسام جوهر آخر ... » .

ويعرف الامام محمد أبو حامد الغزالي (5) الطبيعات في كتابه « معيار العلم » (6) فيقول :

« ولكل علم موضوع ... »

وموضوع العلم الملقب بالطبيعي : جسم العالم من جهة ما يتحرك ويسكن .

ويقول أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي (7) في كتابه « المعتبر في الحكمة » (8) :

« ... فعلى هذا يسهل طريق التعليم الحكمي الذي يكون بالنظر والاستدلال ، وهذا القانون بعينه يستعمل في هذا العلم المسمى بالعلم الطبيعي »

(3) هي الرسالة الثانية من الجسمانيات الطبيعات.

(4) هي الرسالة العاشرة من الجسمانيات الطبيعات .

(5) عاش في الفترة من سنة 1059 حتى 1111 م (451 - 505 هـ) .

(6) كتاب القياس - النظر الرابع في لواحق القياس - طبعة دار المعارف بالقاهرة صفحة 251 .

(7) توفي عام 1151 م (547 هـ) .

(8) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 3222 - المجلد الثاني - الفصل الاول - الورقة 3 .

(9) عاش في الفترة من عام 980 م حتى عام 1037 م (370 - 428 هـ) .

« الشفاء » (10) الأمور المتعلقة بالحركة بكونها ستة أمور ، فيقول :

« المتحرك ، والمحرك ، وما فيه ، وما منه .
وما إليه ، والزمان » .

بالمتحرك يقصد الشيخ الرئيس الجسم الذي به الحركة ، وبالمحرك القوة المسببة للحركة ، ويقول ما فيه يقصد المكان والوضع ، وما منه وما إليه مواضع الابتداء والانهاء ، أي طرفي مسافة الانتقال وتنضم اتجاه الحركة ، أما الزمان فالتقصد منه الفترة الزمنية التي تتم فيها الحركة بتقطع مسافة الانتقال ، وارتباط الزمان بالمسافة يحدد سرعة الحركة .

ويقول أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه « المعتمد في الحكمة » (11) .

« فاتصال الزمان لازم لاتصال الحركة ، ووحددة الحركة هو باتصالها في الزمان والمسافة » .

ثانيا : أقسام الحركة :

تسم فلاسفة العرب الحركة الى انتقالية ووضعية ، كذلك الى حركة طبيعية وحركة قسرية (غير طبيعية) ، وتتضح هذه المفاهيم بجلاء في كتاباتهم التي نورد نماذج منها فيما يلي :

أ) تقسيم الحركة الى انتقالية ووضعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في « الرسالة الاولى في الطبيعيات من عيون الحكمة » (12) :

« الحركة التي من اين الى اين تسمى نقلة الحركة التي من وضع الى وضع تسمى وضعية » (13) :

« فكل حركة في مسافة تنتهي الى حد ما ، تنتهي الى سكون فيه ، فتكون غير الحركة التي بها يستحفظ الزمان المتصل .

فالحركة الوضعية هي التي بها يستحفظ الزمان المتصل ، وهي الدورية » .

أما هبة الله بن ملكا البغدادي فيقول في كتابه : « المعتمد في الحكمة » (14) :

« ... وأعم اعراض الجسم الطبيعي واحسنها به من حيث هو جسم هي الحركة ، وهذا موضع الكلام فيها ، والحركة تقال على وجوه ، فمنها الحركة المكانية وهي التي بها ينتقل المتحرك من مكان الى مكان ، ومنها الحركة الوضعية ، وهي التي تتبدل بها وضاع المتحرك ، وتنتقل أجزاه في أجزاء مكانه ، ولا يخرج عن جملة مكانه ، كالدولاب والرحا ... »

ب) تقسيم الحركة الى طبيعية وقسرية :

1 - بالحركة الطبيعية يقصد العرب حركة الجسم الى موضعه الطبيعي بعد أن يخرج عنه قسرا ، وذلك عند زوال القاسر عنه ، وعلى ذلك فالحركة الطبيعية عندهم هي حركة الثقل الى السفل ، وحركة الخفيف الى العلو ، إذا ما أخرج الجسم قسرا مسن مكانه الطبيعي .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في « الرسالة الاولى في الطبيعيات من عيون الحكمة » .

« وكل جسم متحرك فحركته إما من سبب من خارج ، وتسمى حركة قسرية ، وإما من سبب في نفس الجسم ، إذ الجسم لا يتحرك بذاته ، وذلك السبب أن كان محركا على جهة واحدة على سبيل التسخير ، فيسمى طبيعة ، وأن كان محركا حركات شتى بارادة أو غير ارادة ، أو محركا حركة واحدة بارادة فيسمى نفسا » .

(10) طبيعيات الشفاء - المقالة الثانية - الفصل الأول .

(11) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 3222 - المجلد الثاني - الفصل الثالث والعشرون ، الورقة 87 .

(12) كتاب « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا ، طبعة القاهرة سنة 1326هـ (1908 م) ، مطبعة هندية بالموسكي بمصر .

(13) النهط السادس - الفصل السادس - الفصل السادس عشر .

(14) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم 3222 - المجلد الثاني - الفصل التاسع - الورقة 26 .

والقسر فمن شيء خارج عن المتحرك بحركة على مقتضى طباع المحرك أو رويته ، لا على مقتضى طباع المتحرك ورويته .

والسواء لا يجوز أن تكون حركتها قسرية ، لأن القسر إذا دام تبطل الطبيعة ، ويفسد المطبوع ويحلبه إلى مقتضاه ، وهو فعل الأضداد بأضدادها ، والسواء لا ضد لها ، ولا تضاد فيها ، ولا فساد لها ، وحركتها دائمة ، كذلك فليست بقسرية ومن القاسر ، فإن كل تاسر لجسم عن طبع آخر ، فأما أن القسر الدائم يبطل الطباع ، ويفسدها فمعلوم من جهة ما لدينا من المتضادات وفساد بعضها بعضاً ، فما السماوات مقسورة على حركتها الدائمة ، ولا حركتها بالطبيعة المسخرة ... » .

3 - الفاظ « المبدأ » و « الميل » و « الاعتماد »

استعمل العرب في كتاباتهم عن الحركة تعابير خاصة تشتمل على الفاظ « المبدأ » و « الميل » و « الاعتماد » ، كذا « مبدأ ميل » ، وتقدم فيما يلي المعاني التي تؤديها هذه الالفاظ من واقع النصوص التي ورد استعمالها فيها .

أولاً : « المبدأ » :

بكلمة « مبدأ » قصد العرب عموماً السبب والعللة . هذا إلى جانب استعمالها بمعنى موضع بداية الحركة .

يعرف الإمام محمد أبو حامد الغزالي لفظ « المبدأ » فيقول (18) :

« والمبدأ اسم لها يكون قد استتم وجوده في نفسه ، أما عن ذاته ، وأما عن غيره ، ثم يحصل منه وجود شيء آخر يتقوم به ، ويسمى هذا علة بالإضافة إلى ما هو مبدأ له » .

ويقول هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه «المعتبر في الحكمة» (15) :

« ... فإن الحركة إما طبيعية وإما قسرية ، والقسرية يتقدمها الطبيعية ، لأن المقسور إنما هو مقسور عن طبعه إلى طبع قاسره ، فإذا لم يكن حركه بالطبع لم يكن حركه بالقسر ، والطبيعية إنما تكون عن مبادئ بالطبع إلى مناسب بالطبع ، أو إلى مناسب أنسب من مناسب ... »

ويقول الإمام فخر الدين الرازي في كتابه: «المباحث الشرقية في علم الالهيات والطبيعات» (16) :

« ... وان كانت الحركة حاصلة فيه ، فأما أن يكون سببه شيئاً موجوداً في الجسم ، أو يكون سبب تلك الحركة خارجاً عن ذات المحرك ، والقسم الأول هو الحركة الطبيعية ، والقسم الثاني هو الحركة القسرية ، وأما القسم الأول وهو الذي يكون مبدأ الحركة قوة موجودة في ذلك الجسم ، فقد عرفت في باب القوى أن كل فعل ينشأ من الجسم لا بالعرض ولا بالقسر ، فلا بد وأن يكون لقوة موجودة فيه » .

2 - بالحركة غير الطبيعية يقصد الحركة التي تنشأ عن تعريض الجسم لمحرك من الخارج ، وقد سمي الفلاسفة العرب هذا القسم بالحركة القسرية ، وفيها يمكن للمحرك أن يلزم الجسم المتحرك أثناء تحركه ، أو أن يفارقه بعد أن يبدأ الحركة فيه .

يقول هبة الله بن ملكا البغدادي في الجزء الثاني من كتابه «المعتبر في الحكمة» (17) :

« فنقول أن المحرك بالذات لكل متحرك يكون إما طبيعية ، وإما قسراً ، وإما إرادة ، ويخصون باسم الطبيعة ما يحرك بالتسخير وعلى سنن واحد ، ويعني بالتسخير أنه تحرك بغير معرفة ولا روية منه ، كالحجر في هبوطه ، والإرادة فمعلومة ، وهي معرفة الفاعل بما يفعله وعزيمته عليه .

(15) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم 3222 - المجلد الثاني - الفصل الرابع عشر - الورقتان 47 ، 48 ،

(16) الكتاب الثاني - الفن الخامس - الفصل الخامس والأربعون (طبعة حيدرآباد الدكن بالهند ، الصفحة 621) .

(17) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم 3222 - الفصل السابع - الورقة 135 .

(18) كتاب « معيار العلم » : كتاب أقسام الوجود وأحكامه ، الفن الثاني ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، الصفحة 330 .

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا في معرض حديثه عن القوة الطبيعية في كتابه « النجاة » (19) :

« ... فمنها قوى سارية في الأجسام تحفظ عليها كمالاتها من أشكالها ومواضعها الطبيعية وأما عليا : وإذا زالت عن مواضعها الطبيعية وأشكالها وأحوالها، أعادتها إليها وثبتتها عليها ، مانعة من الحالة الغير الملائمة أياها ، بلا معرفة وروية وتصد اختياري بل بل بتسخير ، وهذه القوى تسمى طبيعية ، وهي مبدا بالذات لحركاتها بالذات ، وسيوناتها بالذات . ولسائر كمالاتها التي لها بذاتها ، وليس شيء من الأجسام الطبيعية بخال عن هذه القوة ... »

ويقول ابن سينا عن القوة الطبيعية أيضا في طبيعيات كتابه « الشفاء » (20) :

« كل جسم له مكان طبيعي أو حيز تقتضي طبيعته الكون فيه ، وهو يخالف سائر الأجسام لا لجسميته ، بل لأن فيه مبدا وقوة معدة نحو ذلك المكان . »

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (21) :

« انك لتعلم ان الجسم اذا خلي وطباعه ، ولم يعرض له من خارج تأثير غريب ، لم يكن له بد من موضع معين وشكل معين ، فاذن في طباعه مبدا استجاب ذلك . »

بهذه الكلمات يقصد ابن سينا ان الجسم يبقى بطبعه - ساكنا في موضع معين ، متخذا شكلا معيناً ، ومحافظا على هذه الحال بسبب طبعه ، ما لم يطرأ عليه مؤثر خارجي يخرج عن هذا الموضع أو الشكل أو عن كليهما ، أي ان من طبع الجسم المدافعة عن بقاءه على حالة سكونه الطبيعي ويمثل

هذا المفهوم المعنى الأول لما تعارفنا على تسميته بالقانون الأول للحركة .

ويقول ابو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه «المعتبر في الحكمة» (22) :

« نبيذا يعلم ان لكل جسم طبيعي حيزا طبيعيا . فيه يكون بالطبع ، واليه يتحرك اذا ازيل عنه ، وهذا الحيز ليس هو للجسم بجسميته التي لا يخالف بها غيره من الأجسام . بل بصفة خاصة به هي طبيعة نقوة أو صورة خاصة بذلك الجسم ، خصته بذلك الحيز وحركته اليه ، فتلك الطبيعة الخاصة في ذلك الجسم مبدا حركة بالطبع وسكون بالطبع ، والتحريك النقلى المكاني انما يكون عنها بعد سبب طارئ، يخرج الجسم عن حيزه الطبيعي ، فتحركه هي اليه . »

ثانيا : « الميل »

استعمل العرب لفظ «الميل» على أربعة وجوه، اولها المعنى الحرفي بمعنى الرغبة والاتجاه ، وثانيها معنى القوة سواء كانت قوة طبيعية ناشئة عن قوة تناقل الجسم ، فيطلق عليها تعبير « الميل الطبيعي » ، او قوة تسرية مسلطة على الجسم من خارج فتسمى « ميلا تسريا » ، أما المعنى الثالث الذي ترد فيه كلمة « الميل » فهو معنى مدافعة الجسم عن حاله التي هو عليها ، سواء كان ساكنا أو متحركا حركة منتظمة وعلى استقامة ، وهو المعنى الذي نشير اليه في كتاباتنا المعاصرة « بالقصور الذاتي » أو « العطالة » (23) ، وهو ذات المعنى الوارد فيما نعرفه اليوم بالقانون الأول للحركة المنسوب عرفا الى اسحق نيوتن (24) . وهناك أيضا معنى رابع ترد فيه كلمة « الميل » هو كمية الحركة (25) . ونسوق فيما يلي نماذج من النصوص الفيلسفية العربية للتدليل على قصد العرب لهذه المعاني .

(19) طبعة القاهرة عام 1331 هـ - الجزء الثاني - الصفحتان 161 ، 162 .

(20) المقالة الرابعة - الفصل الثاني عشر .

(21) النمط الثاني - الفصل السادس .

(22) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم 3222 - المجلد الثاني - الفصل السادس والعشرون ، الورقة 102 .

(23)

(24) عاش في الفترة من عام 1642 حتى عام 1727 م، واليه تنسب قوانين الحركة الثلاث التي نشرها في كتابه « الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية » .

(25) هي حاصل ضرب الكتلة \times السرعة وهي كمية موجبة قابلة للتحويل والتركيب .

1 - الميل بمعناه الحرفي :

عند الوصول الى الحيز الطبيعي والحركة المستقيمة .
ويعود الميل والحركة المستديرة ... »

2 - الميل بمعنى القوة

1 - الميل الطبيعي :

عبر العرب بالميل الطبيعي عن القوة التي تدفع
بالجسم الى الوصول الى مكانه الطبيعي - عندما
يكون خارجا عنه - وهي قوة الجاذبية الأرضية أو
قوة التناقل . أي ان الميل هنا بمعنى القوة التي تؤدي
الى الحركة الطبيعية للجسم حتى يستعيد موضعه
الطبيعي .

إذا فالميل الطبيعي تدعبر به عن القوة الطبيعية
، قوة التناقل أو قوة الجاذبية الأرضية) التي تؤثر على
الجسم لتعيده الى موضعه الطبيعي ، فالميل الطبيعي
هنا بمعنى السعي الى الوضع الطبيعي ، ووسيلته
الجاذبية الأرضية .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه
« الاشارات والتنبيهات » (29) :

« الجسم اذا وجد على حال غير واجبة من
طباعه ، فحصوله عليها من الأمور الإمكانية ، ولعلل
جاعلة ، ويقبل التبدل فيها من طباعه الالمانع ، واذا
كانت هذه الحال في الموضع والوضع أمكن الانتقال
عنهما بحسب اعتبار الطبع ، فكان فيه ميل » .

من الواضح ان المقصود بالميل في هذا النص
القوة الطبيعية الداعية الساعية الى استعادة الموضع
والوضع الطبيعيين للجسم ، وهي القوة التي نعرفها
اليوم بقوة الجاذبية الأرضية .

ويضفي الشيخ الرئيس فيقول في طبيعيات
كتابه « الشفاء » (30) :

وردت في كتابات علماء العرب وفلاسفتهم لفظة
« الميل » في مواضع أرادوا بها فيها معناها الحرفي ،
فقالوا بأن الجسم ان كان في حيزه الطبيعي ، فانه يميل
ويرغب في البقاء فيه ، ولا يميل أو يتجه الى العزوف
عنه ، وفيما يلي بعض الأمثلة للكتابات التي جاء فيها
هذا المعنى .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه
« الاشارات والتنبيهات » (26) :

« وانما يكون الميل الطبيعي - لا محالة نحو
جهة يتوخاها الطبع ، فاذا كان الجسم الطبيعي في
حيزه الطبيعي لم يكن له - وهو فيه - ميل ، لانه -
لا محالة - انما يميل بطبعه اليه لا عنه » .

ويشرح الامام فخر الدين الرازي هذه الاشارة
فيقول (27) :

« واما قوله واذا كان الجسم في حيزه الطبيعي ،
لم يكن له - وهو فيه - ميل ، لانه انما يميل بطبعه
اليه لا عنه ، فاعلم ان هذه الدلالة تدل على ان الجسم
حال كونه في حيزه الطبيعي ، لا يكون له ميل عنه ،
فاذا قلنا ولا يكون له أيضا ميل اليه ، لاستحالة طلب
الحاصل ، فحينئذ تتم الدلالة على انه لا ميل فيه في
تلك الحالة » .

ويقول ابو البركات هبة الله بن ملكا في كتابه
« المعبر في الحكمة » (28) في معرض مقارنته بين
الحركتين المستقيمة والمستديرة :

« ... فكما ان تلك القوة والطبيعة تحدث الميل ،
وتحرك من الأين الغريب على الاستقامة ، لانها اقرب
الى الأين الطبيعي ، كذلك هذه ، وكما يبطل الميل في
تلك عند الوصول الى الحيز الطبيعي ، وتبطل الحركة
ويعود الجسم الى سكونه ، كذلك في هذه يبطل الميل

(26) النمط الثاني - الفصل السابع .

(27) الكتاب الموسوم بشرح الاشارات لنصير الدين الطوسي وللإمام فخر الدين الرازي : النمط الثاني
- الفصل السابع .

(28) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 3222 - المجلد الثاني - الفصل السادس والعشرون ،
الورقة 104 .

(29) النمط الثاني - الفصل الحادي عشر .

(30) المقالة الرابعة - الفصل الرابع عشر .

« ان الاجسام الموجودة ذوات الميل كالثقلية والخفيفة ، اما الثقيلة فمما يميل الى اسفل ، واما الخفيفة فمما يميل الى فوق ، فانها كلما ازدادت ميلا كان قبولها للتحريك القسري ابطأ ، فان نقل الحجر العظيم الشديد الثقل او جره ليس كقتل الحجر الصغير القليل الثقل او جره . »

فالميل هنا بمعنى قوة الجاذبية ، ونحن نعلم ان الجسم كلما زاد وزنه كلما زادت قوة احتكاكه بالسطح الذي عليه يرتكز ، اذ ان قوة الاحتكاك تتناسب تناسباً طردياً مباشراً مع وزن الجسم ، وبالتالي فكلما زاد وزن الجسم كلما ازدادت مقاومته للتحريك . بمعنى ان القوة اللازمة للتغلب على قوة الاحتكاك تزيد بزيادة وزن الجسم ، هذا هو المعنى الذي ورد في كلام ابن سينا ، وقد ضرب له مثلاً تحريك الحجر شديد الثقل وتقليله .

ويقول ابن سينا أيضاً في معرض حديثه عن الميلين الطبيعي والقسري في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (31) .

« وكلما كان الميل الطبيعي اقوى ، كان اضعف لجسمه عن قبول الميل القسري ، وكانت الحركة بالميل القسري اقلر وابطأ » .

ويشير الامام فخر الدين الرازي (32) في كتابه «المباحث المشرقية في علم الالهيات والطبيعيات» (33) الى الميل المسبب للحركة الطبيعية فيقول :

« ... فان الثقل قوة محركة الى اسفل ، وهي اما الطبيعة وهي صورة جوهرية ، او الميل الذي هو السبب القريب (34) للحركة ، وهو من مقولة الكيف . »

ويعني الامام الرازي في موضع آخر من كتابه يقول (35) :

« كل ماله مكان فلا بد وان يكون له مكان طبيعي ومكان غريب ، ويكون له - لا محالة - ميل الى المكان الملائم ، ويميل عن المكان الغريب ، والميل هو الثقل والخفة » .

ويؤكد الفخر الرازي ازدياد القوة الطبيعية مع عظم الجسم ، فيقول (36) :

« الاجسام كلما كانت اعظم ، كان ميلها الى احيازها الطبيعية اقوى ، وكلما كان كذلك ، كان قبولها للميل القسري اضعف ، لما بينا ان الميل الطبيعي عائق عن القسري . »

والشيء كلما كان العائق عنه اقوى ، كان وجوده اضعف . »

ب - الميل القسري :

استعمل العرب لفظ الميل القسري بمعنى القوة الخارجة عن الجسم التي تدفع به للتحرك ، اي بمعنى القوة المؤدية الى الحركة القسرية .

يقول ابو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه «المعتبر في الحكمة» في معرض تأييده للرأي القائل بوجود سكون بين الحركتين المتضادتين (37) :

« ... ونصر الرأي القائل بالسكون بين الحركتين المتضادتين بحجته هذه ، وقال ان كل حركة بالحقيقة فهي تصدر عن ميل يحققه اندفاع الشيء القائم امام المتحرك او احتياجه الى قوة تمنعه بها ، وهذا الميل في نفسه معنى من الأمور به توصل الى حسدود الحركات ، وذلك بابعاد من شيء يلزمه مدافعة لما في وجه الحركة ، وتقريب من شيء ، ومحال ان يكون الواصل الى حد ما واصلاً بلا علة موجودة موصلة ، ومحال ان تكون هذه العلة غير التي زالت عسسن المستفسر الاول ، وهذه العلة يكون لها قياس الى ما يزيل ويدافع ، وبذلك القياس يسمى ميلاً ، فان هذا

(31) النمط الثاني - الفصل السابع .

(32) عاش في الفترة من عام 1150 م حتى عام 1210/9 م (544 هـ - 606 هـ) .

(33) الكتاب الثاني - الفن الاول - الفصل السادس (طبعة حيدر آباد الدكن بالهند ، صفحة 187) .

(34) يقصد السبب المباشر .

(35) الصفحة 219 من طبعة الهند .

(36) شرح الامام الرازي لكتاب ابن سينا « الاشارات والتنبيهات » : النمط الثاني - الفصل العشرون .

(37) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم 3222 المجلد الثاني - الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 89 ، 89 .

الشيء من حيث هو موصل لا يسمى ميلا وان كان الموضوع واحدا .

وهذا الشيء الذي يسمى ميلا قد يكون موجودا في آن واحد ، وانما الحركة هي التي عسى ان تحتاج في وجودها الى اتصال زمان ، والميل ما لم يفسر ولم يقع او لم يفسد ، فان الحركة التي تجب عنه تكون موجودة ، واذا غسد الميل لم يكن غساده هو نفس وجود ميل آخر ، بل ذلك معنى آخر ربما يقاربه .

فاذا حدثت حركتان فمع ميلين ، واذا وجد ميل آخر الى جهة اخرى ، فليس يكون هو هذا الموصل نفسه ، فيكون هو بعينه علة للتحصيل والمفارقة معا ، بل يحدث لا محالة ميل آخر له اول حدوث ، وهو في ذلك الاول موجود ، اذ ليس وجوده متعلقا بزمان : ليس كالحركة والسكون اللذين ليس لهما اول حدوث ، اذ لا يوجدان على وجه ما الا في زمان والا بعد زمان ... » .

ج - اجتماع الميلين الطبيعي والقسري :

يتناول هبة الله بن مالكا البغدادي دراسة حركة الحجر المرمي الى فوق ، فيعرض لها جاء فيها من اقوال شارحا ومفتدا للحجج المختلفة ، الى ان يصل الى حقيقة ان الجسم المقسور على التحرك الى اعلى سيواجه قوة مقاومة لحركته ، سماها ميلا مقاوما ، وما هذه القوة المقاومة سوى قوة الجاذبية الأرضية او « الميل الطبيعي » .

يقول ابن ملكا في هذا المعنى في كتابه « المعتبر في الحكمة » (38) :

« ... لو لم يكن فيه ميل مقاوم لما اختلف حال الحجرين المرمين من يد واحدة بقوة واحدة في السرعة والبطء اذا اختلفا في الصغر والعظم ، حتى كان اعظمهما ابدا صعودا واقرب مسافة ، واصغرهما اسرع وابعد مسافة اذا لم يفرط صغره ، وما ذاك الا لان الميل المقاوم في الكبير اكثر وان كان مغلوبا ، واثباته المعاوقية للقوة الطبيعية التي عنها يحدث الميل

لو جعله للميل ايضا ، فقال انه مغلوب الميل لزال الاشكال الابدي » .

ويضئ ابن ملكا في موضع ثان من نفس المصدر يقول :

« فكذاك الحجر المقذوف ، فيه ميل مقاوم للميل القاذف : الا لانه متهور بقوة القاذف ، ولان القوة القاسرة عرضية فيه ، فهي تضعف لمقاومة هذه القوة والميل الطبيعي ولمقاومة المخروق ، ولذلك كلما كان المخروق اكثف واعسر خرقا ، كان بطلان ذلك الميل القسري اسرع ...

فيكون الميل القاسر في اوله على غاية التهور للميل الطبيعي ، ولا يزال يضعف ويبطئ الحركة ضعفا بعد ضعف ، وبطا بعد بطء ، حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعي ، فيقلب الميل الطبيعي ، ولا يزال يضعف ويبطئ الحركة ضعفا بعد ضعف ، وبطا بعد بطء ، حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعي ، فيقلب الميل الطبيعي ، فيحرك الى جهته ، ويقوى عليه مستمرا حتى يبطله ، فيسرع بذلك حركته لبطلان المقاوم » .

ويشرح نصير الدين الطوسي (39) اجتماع الميلين الطبيعي والقسري (اي القوتين الطبيعية والقسرية) ، فيقول في معرض شرحه لكتاب ابن سينا « الاشارات والتشبيهات » (40) :

فاذا طرا على جسم ذي ميل بالفعل ، ميل تسري ، تقاوم السببان ، اعني القاسر والطبيعة ، فان غلب القاسر وصارت الطبيعة مقهورة ، حدث ميل تسري ، وبطل الطبيعي ، ثم تأخذ الموانع الخارجية والطبيعية معا في افنائها قليلا قليلا ، وتقوى الطبيعة بحسب ذلك ، ويأخذ الميل القسري في الانتفاض ، وقوة الطبيعة في الازدياد ، الى ان تقاوم الطبيعة الباتي من الميل القسري ، فيبقى الجسم عديم الميل ، ثم تجدد الطبيعة ميلها مشوبا باثار الضعف الباقية فيها ، ويشد الميل بزوال الضعف ، فيكون الامر بين قوة الطبيعة والميل القسري ، قريبا من الامتزاج الحادث بين الكيفيات المتضادة ... »

(38) مخطوط مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم 3222 ، المجلد الثاني ، الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 94 ، 95 .

(39) « عاش في الفترة من عام 1201 م حتى عام 1274 م (597 هـ - 672 هـ) .

(40) النمط الثاني - الفصل السابع .

ويمضي الطوسي في موضع آخر من شرحه يقول :

« ... لولا اجتماع الميلين ، لكان الحـجران المتساويان اللذان يرميهما قوي وضعيف متساويين في الصعود ... »

تبين هذه النصوص بوضوح تام أن كلمة الميل تد وردت فيها بمعنى القوة ، فالمقصود اذن بالميل الطبيعي فيها القوة الذاتية المعروفة بقوة التثاقل ، وبالميل القسري فيها القوة المسلطة على الجسم من خارجه ، وللتي ان اثرت في اتجاه معاكس لاتجاه قوة التثاقل لقاومتها هذه القوة الأخيرة فضلا عن معاومات الوسط الذي يتحرك الجسم خلاله .

3 - الميل بمعنى المدافعة :

أ - المدافعة عن حالة السكون :

هنا استعمل العرب لفظ « الميل » كذا « مبدأ ميل » للتعبير عن رغبة الجسم وتمسكه والحاحه على البقاء على حالته الطبيعية ، أي مدافعة الجسم عن استمراره على حالته من السكون في موضعه الطبيعي ، ويقتضي ذلك تواجد مقاومة ذاتية للجسم ضد أي تغيير خارجي عليه من حيث الموضع والشكل ليبقى ساكنا في مكانه الطبيعي . وهذا هو بعينه المعنى الأول الذي يقوم عليه القانون الأول للحركة .

يقول ابن سينا في طبيعات كتابه « الشفاء » (41)

« وكل جسم ينتقل بالقسر ففيه مبدأ ميل ما ، أما الانتقال المكاني فقد ببناء ، وأما الانتقال القسري الوضعي فلأن ذلك الجسم ان كان قابلا للنقل عن مكانه فقد ظهر ، وان كان غير قابل له ، فله - لا محالة - قوة بها يثبت في مكانه ويلزمه ، ويختص به ، وهو غير جسبيته » .

ويقول في موضع ثان من نفس المقالة :

« ان كل جسم فيه مبدأ ميل ما ، فان نقله عما هو عليه من أين وضع يقع لا في زمان ، وذلك محال ،

بل يجب ان يكون كل جسم يقبل تحريكا وامالة طارئة ، ففيه مبدأ ميل طبيعي في نفس ما يقبله كان اينسا او وضعا » .

ب) المدافعة عن حالة الحركة :

استخدم العرب لفظ الميل بمعنى ميل الجسم ورغبته والحاحه في ن تستمر حركته ، والميل هنا بمعنى الخاصية الذاتية المدافعة عن الاستمرار في الحركة المنتظمة ، وهذا هو لمعنى الثاني الذي يشتمل عليه القانون الأول للحركة .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتنبهات » (42) :

« الجسم له في حال تحركه ميل يتحرك به ، ويحس به الممانع ، ولن يتمكن من المنع الا فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طباعه ، وقد يحدث فيه من تأثير غيره ، فيبطل المنبعث من طباعه الى ان يزول فيعود انبعاثه » .

ويمضي ابن سينا في موضع آخر من كتابه (43) يقول :

« الجسم الذي لا ميل فيه ، لا بالقوة ولا بالفعل لا يقبل ميلا قسريا يتحرك به ، وبالجملة لا يتحرك قسرا ، والا فليتحرك قسرا في زمان ما ، مسافة ما ، وليتحرك مثلا في تلك المسافة جسم آخر فيه ميل ما وممانعة ، فبين أنه يتحركها في زمان اطول .

وليكن ميل اضعف من ذلك الميل يقتضي في مثل ذلك الزمان ، عن ذلك التحرك ، مسافة نسبتها الى المسافة الأولى نسبة زمان ذي الميل الأول ، وعديم الميل ، فيكون في مثل زمان عديم الميل يتحرك بالقسر مثل مسافته ، فتكون حركتها مقسورين ذي ممانع فيه ، وغير ذي ممانع فيه ، متساويتي الأحوال في السرعة والبطء ، وهو محال » .

ويذكر ابن سينا فيقول في موضع ثالث (44) :

(41) المقالة الرابعة .

(42) النمط الثاني - الفصل السابع .

(43) نفس المرجع السابق - الفصل الثامن .

(44) نفس المرجع السابق - الفصل التاسع .

4 - الميل والاعتماد بمعنى كمية الحركة :

ورد استعمال لفظي « الميل » و « الاعتماد » في كتابات العالم العربي الحسن بن الهيثم في كتابه « المناظر » بمعنى كمية الحركة ، وقد سماها ابن الهيثم « قوة الحركة » ، كما سيجيء الحديث عنه ، أما الفيلسوف العربي أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي فقد استعمل كلمة « الميل » و « قوة الميل » في معنى كمية الحركة ، من ذلك قوله في كتابه « المعبر في الحكمة » (49) .

« فالميل الطبيعي مبدأ له غير مفارق ، ولا يزال يوجبه حتى يبلغ به الحيز الطبيعي ، وكلما حركت القوة في المسافة الغريبة عن الطبع ، أحدثت ميلا بعد ميل ، فتنزايد بذلك قوة الميل مهما استمرت الحركة »

يبين من هذا النص أن الفيلسوف العربي ابن ملكا تد وقف على حقيقة أن الأجسام التي تتحرك حركة طبيعية ، كذلك التي تسقط سقوطا حرا تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية (أي تحت تأثير الميل الطبيعي) ، تزيد سرعتها وبالتالي كمية حركتها كلما أمعنّت في السقوط ، وقد عبر ابن ملكا عن كمية الحركة في هذا النص بالميل بعد الميل وبقوة الميل .

ويميضي ابن ملكا في موضع آخر من نفس المصدر يقول :

« ... فإن قيل أن اشتداد الميل الطبيعي في آخره ليس لانسلاخ القاسر بل لأمر يخصه في نفسه ، ويستدل على ذلك بالحجر الرمي من عال من غير أن يكون عايذا عن صعود بحركة قسرية ، ولا فيه ميل قسري ، فإنك ترى أن مبدأ الغاية كلما كان أبعد كان آخر حركته أسرع ، وقوة ميله أشد ، وبذلك يشع ويسحق ، ولا يكون ذلك له إذا لقي عن مسافة أقصر ، بل يبين التفاوت في ذلك بقدر طول المسافة التي يسلكها »

« يجب أن نتذكر ههنا أنه ليس زمان لا ينقسم ، حتى يجوز أن تقع فيه حركة ما لا ميل له ، ولا تكون له نسبة إلى زمان حركة ذي ميل » .

ويعرف الشيخ الرئيس الاعتماد والميل في « الرسالة الرابعة في الحدود » (45) فيقول :

« الاعتماد والميل هو كيفية يكون بها الجسم مدفعا لما يمانعه عن لحركة إلى جهة ما » .

هذا وقد أمرد الإمام الغزالي قسمها مستقلا من كتابه « معيار العلم » لبيان اللفاظ المستعملّة في الطبيعيات (46) ، نورد منها تعريفه للاعتماد والميل فيما يلي ، ويكاد يكون نفس النص الذي ساقه ابن سينا في رسالته الرابعة .

« الاعتماد والميل هو كيفية بها يكون الجسم مدافعا لما يمنعه عن الحركة إلى جهته »

ويزيد الشيخ الرئيس ابن سينا الأمر وضوحا ، فيشرح طبيعة مدافعة الجسم عن استمراره على حاله ، فيقول في معرض حديثه عن الآراء المطروحة في سبب حركة الجسم المقذوف (المتحرك) بعد أن يفارقه التاذف (أي المحرك) بعد استعراضه لجملة الآراء (47) :

« ولكننا إذا حققنا القول ، وجدنا أصح المذاهب مذهب من يرى أن المتحرك يستفيد ميلا من المحرك ، والميل هو ما يحس بالحس إذا ما حوول أن يسكن الطبيعي بالقسر ، أو القسري بالقسر » .

من الواضح هنا استعمال كلمة الميل في معنى المدافعة ، واختصاص الجسم بكيفية أو صفة ذاتية بها يدافع الجسم عن استمراره في الحركة ، وهي الصفة التي تطلق عليها اليوم تسمية « القصور الذاتي » أو « العطالة » (48) ، وهذه إحدى المعاني الواردة في القانون الأول للحركة .

(45) « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات » مطبعة هندية بالموسكى بمصر عام 1908 م (1326 هـ) .

(46) كتاب « معيار العلم » كتاب الحدود - الفن الثاني - القسم الثالث - طبعة دار المعارف بالقاهرة الصفحات 296 حتى 304 .

(47) طبيعيات كتاب « الشفاء » : المقالة الرابعة - الفصل الرابعة عشر .

(48)

(49) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 3222 - المجلد الثاني - الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 95 ، 96 .

وهو ما نعرفه اليوم بكمية الحركة ، وقد عبر عنها ابن الهيثم بـ « قوة الحركة » وبـ « اعتماد المتحرك » ، فكتب الفصل الثالث من المقالة الرابعة في كتابه « المناظر » (52) يقول :

« والمتحرك اذا لقي في حركته مانعا يمانعه ، وكانت القوة المحركة له باقية فيه عند لقائه المانع ، فانه يرجع من (حيث) كان في الجهة التي منها تحرك ، وتكون قوة حركته في الرجوع بحسب قوة الحركة التي كان تحرك بها في الأول ، وبحسب قوة الممانعة » .

ومضى في الورقة التالية يقول :

« ... لان الحركة المكتبة انما تكون بحسب مقدار المسافة (و) بحسب مقدار الثقل » .

يتضح من هذين النصين وقوف الحسن بن الهيثم على معنى كمية الحركة معبرا عنه بقوة الحركة ، وسبقه اليه ، وبالتالي فانه من المحتمل أن يكون علماء العرب وفلاسفتهم من أمثال أبي البركات هبة الله بن ملكا البغدادي والخواجه نصير الدين الطوسي قد وقفوا على هذا المعنى الكمي الذي ورد محسدا في كتابات الحسن بن الهيثم في أوائل القرن الحادي عشر للميلاد ، والذي حقق به سبقا واضحا على علماء الغرب بعدة مئات من السنين .

خلاصة

يخلص البحث الى أن العرب قد وقفوا على معان واصول فكرية عديدة في مجال علم الحركة ، استعملوا في التعبير عنها اللفاظ خاصة تناولناها في هذه الدراسة بما هي أهل له من الشرح والتفصيل ، وأوردنا نماذج من الكتابات العربية قصدنا بها التذليل على المعاني المتباينة التي عبرت عنها هذه الالفاظ ، ويعتبر هذا البحث دراسة اساسية لا غنى عنها للباحثين عن فضل العرب في علم الميكانيكا ، وهو فضل قد ثبت لنا أنه جد عظيم .

يؤكد أبو البركات هنا زيادة « قوة الميل » (اي كمية الحركة) بازدياد المسافة المقطوعة ، وبازدياد قوة ميل الحجر المرمي يشتد تأثيره حيث يشحج ويسحق على حد قوله ، ومن الواضح أن مفهوم أبي البركات سليم تماما ، إذ أن سرعة حركة الجسم الساقط حرا تزيد بحسب المسافة التي يتحركها ، وبالتالي فان كمية حركته — وقد عبر عنها الفيلسوف العربي هنا بقوة الميل — تشتد ويشتد معها تأثيرها كما جاء بجلاء في معنى كمية الحركة .

يقول نصير الدين الطوسي في معرض شرحه للفصل الأول من النمط الأول في طبيعيات كتاب « الاشارات والتنبيهات » لابن سينا :

« والاعتماد عندهم هو ما يسميه الحكيم ميلا »

اذن فاستعمال كلمة الاعتماد كان مرادفا لاستعمال كلمة الميل .

وفي استعمال كلمة الميل بمعنى كمية الحركة يقول الطوسي (50) :

« اتقول : الميل الطبيعي يزداد بازدياد الجسم الى مكانه الطبيعي تقريبا » .

اي ان الجسم الساقط حرا تزداد كمية حركته كلما اقترب من سطح الأرض او من جسم ثابت عليها ، وهذا يتول صحيح تماما لأن كمية الحركة — وهي حاصل ضرب الكتلة في السرعة — تزيد بازدياد السرعة ، وهذه الأخيرة تزيد بدورها كلما أمعن الجسم في حركته الطبيعية تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية .

4 — تعبيراً « قوة الحركة » و « اعتماد المتحرك »

نظن الحسن بن الهيثم (51) الى معنى كمي في الجسم المتحرك يتوقف على سرعته (معبرا عنها بمسافة السقوط) ، وعلى ثقله (ويتناسب مع كتلته)

(50) شرح نصير الدين الطوسي لكتاب ابن سينا « الاشارات والتنبيهات » : النمط الثاني ، الفصل التاسع عشر .

(51) عاش في الفترة من عام 966/65 م حتى عام 1039 م (354 هـ — 430 هـ) .

(52) مخطوط مكتبة الفتح باستانبول رقم 3215 ، الورقة 70 .

* مصادر البحث *

- (1) « رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا »
عني بتصحيحه خير الدين الزركلي
المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة - عام 1928 .
- (2) « معيار العلم » للامام محمد أبي حامد الغزالي
تحقيق الدكتور سليمان دنيا
دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية - عام 1969 ، 400 صفحة .
- (3) « المعتبر في الحكمة » لهبة الله بن ملكا البغدادي
مخطوط مكتبة احمد الثالث (طوب قابي سراي باستانبول) رقم 3222 -
225 ورقة .
- (4) « الشفاء - الطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا
تحقيق الدكتور محمود قاسم . مراجعة وتقديم الدكتور ابراهيم مذكور ، دار
الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة عام 1389 هـ = 1969 م
- (5) « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا
مطبعة هندية بالموسكي بمصر عام 1326 هـ = 1908 م ، 180 صفحة .
- (6) « الاشارات والتنبهات » للشيخ الرئيس ابن سينا مع شرح نصير الديسن
الطوسي
تحقيق الدكتور سليمان دنيا .
دار المعارف بمصر - القسم الثاني - الطبعة الثانية ، 468 صفحة .
- (8) « المباحث المشرقية في علم الالهيات والطبيعيات »
للإمام فخر الدين الرازي
الجزء الاول عام 1343 هـ = 1924 م ، 706 صفحة .
الجزء الثاني عام 1343 هـ = 1924 م ، 548 صفحة .
دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن بالهند .
- (8) « النجاة » للشيخ الرئيس ابن سينا .
طبع بمطبعة السعادة بمصر على نفقة محي الدين صبري الكردي ، عام 1331 هـ
ثم عام 1357 هـ = 1938 م .
- (9) « الكتاب الموسوم بشرح الاشارات » .
للخواجة نصير الدين الطوسي ، وللإمام فخر الدين الرازي .
المطبعة الخيرية بالقاهرة - الطبعة الاولى - عام 1325 هـ .
الجزء الاول 243 صفحة ، الجزء الثاني 146 صفحة .
- (10) « المناظر » للحسن بن الهيثم .
المقالتان الرابعة والخامسة - مخطوط مكتبة الفتاح باستانبول رقم 3215 ،
322 ورقة .

* مرتبة حسب ورودها في متن البحث .

البحث في النفس في دراسته العقاد النقدية

للدكتور أحمد محمد الجوفي
رئيس قسم الدراسات
الادبية بكلية المعلمين - جامعة القاهرة -

وقد لخص العقاد المذاهب النقدية في ثلاث :
مدرسة التحليل النفسي ، ومدرسة الدراسة
الاجتماعية ، ومدرسة الأذواق الفنية .

وقال ان مدرسة التحليل النفسي هي اقرب
المدارس الى الراي الذي ندين به في نقد الادب وتقد
التراجم وتقد الدعوات الفكرية جمعاء ، لان العلم بنفس
الاديب او البطل التاريخي يستلزم العلم بمقومات هذه
النفس من احوال عصره ، واطوار الثقافة والفن فيه ،
وليس من عرفنا بنفس الاديب في حاجة الى تعريفنا
بعصره وراء هذا الغرض المطلوب ، ولا هو في حاجة
الى تعريفنا بالبواعث الفنية التي تميل به من اسلوب
الى اسلوب .

وللنقد مدرسة اخرى محترمة كثيرة الانصار في
العصر الحديث على الخصوص ، بعد استفاضة البحوث
حول الدعوات الاجتماعية ، وعلاقة الاديب بمطالب
عصره . وموضع الملاحظة على هذه المدرسة ان الذي
يعرفنا باحوال المجتمع فحسب لا يستطيع ان يعرفنا
باسباب الفوارق الكثيرة التي تشاهد بين عشرات
الادباء من ابناء العصر الواحد ، ولا غنى له عن الرجوع
الى « النفسيات » مع التعويل على « الاجتماعيات » في
مسائل الادب والتاريخ .

اتجه العقاد في اعماله الادبية كلها الى استكناه
النفوس ، وتحليل نوازعها ، ورد ما يصدر عنها الى
بواعث قد تخفيها اُستار من الاحداث والملابسات
واحكام الناس ، فنراه في العبقريات يدرس الشخصية
ومعالمها ، ويتلمس مفتاحها . ونراه في شعره وفي
نقده محللا ومعللا ومتقبا عن الدخائل : كأنما يفحص
بالمجهر عن شيء في سائل .

يقول في دراسته لجميل بثينة : « وقد عانا في
هذا الكتاب ان نوفق بين البواعث النفسية والعوامل
الطبيعية في سيرة جميل وبثينة ، وان نفهم الادب على
مصباح من علم النفس ، ومن حقائق الطبيعة ، فلا
نرجع به الى لفظ تلوكة الافواه ، بل نرجع به الى
وشائج تمتزج بالابدان والاذهان (1) » .

ويقول صديقه الاستاذ محمد طاهر الجبلاوي :
« وقعت في ايدينا في تلك الايام قصة الاكاذيب للكاتب
الفرنسي بول بورجيه ، وهو من رواد القصة النفسية ،
فقرأها العقاد ، وقراها اكثر من مرة ، وكنا نعجب
لاحداثها التي تنطبق على ما نحن فيه ، وتحدث عنها
فيما بيننا » .

وللعقاد اعجاب كبير بهذا الكاتب ، فمذهبه
القائم على التحليل النفسي هو مذهب العقاد الذي
يتحراه في القصة وفي الشعر (2) .

(1) جميل بثينة 8 .

(2) في صحبة العقاد للجبلاوي 167 .

وهذا رأي قائل ، لان العشق حباله لبقاء النوع ،
قد يذهب العاشقان ضحية لها ، وقد يظفي فيه الجماح
والسورة والغضب على الرقة و لرضا واللين والانقياد .

— 2 —

اما العقاد فيرى (4) ان أجود الغزل ما عبر عن
عاطفة المتمنزل تعبيراً صادقا ، سواء اوصف المحبوبة
بالحسن العائق أم بالحسن المعتاد ، وسواء اكان رقيقا
أم غير رقيق . فمجنون ليلى يقول :

كان فؤادي في مخالب طائر
اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا
كان فجاج الارض حلقة خاتم
علي فما تزداد طولاً ولا عرضاً

ويعلق العقاد على البيتين بقوله : ان قلب السامع
ليتنقبض ، وان صدره ليحرج لهذا الوصف ، ومع هذا
فني شعر ابرع من هذا الشعر ؟ وأي شاعر أطبع
واعشق من المجنون ؟ .

فوالله ما في القرب لي منك راحة
ولا البعد يسليني ولا أنا صابر
ووالله ما أدري بأية حيلة
وأي مرام أو حظار أخاطر

وليس العشق الصادق حين يشب أواره بالمعاطفة
التي يود صاحبها دوامها ، ويستريح الي مناجاتها ،
وتما هو غمة يود المبتلي بها لو تنقضي لساعتها ،
ويقوم في نفسه عراك لا تهدأ ثائرتة ، ولا يهنأ بالقلبة
فيه ، لانه هو الغالب وهو المغلوب ، وكأنما ينزع نفسه
من نفسه ، فيضيق ذرعا ، كما قال المجنون
وهذا شبيهه بقول كاتبولس

الشاعر الروماني : أيتها الالهة ان كان لك رحمة
بالقلوب الصديقة المشقة فبحق براءتي عليك الا ما
نظرت الي عذابي ، ورثيت لما بي ، ومسحت عني هذا
الوباء الماحق والبلاء اللاحق ، وهذه النوعة التي
تسربت رعدتها في عروقي فشتت الهناء عن قلبي .

اما المدرسة الفنية فيبي مدرسة البلاغة والذوق ،
ومدرسة المعاني الرائعة والتعبير الجميل ، وهي
تلجئنا لا محالة الى ذوق الأذيب وذوق الناقد على
السواء ، ومتى وصلنا الى الذوق فقد وصلنا الى
النفسيات ، ووصلنا قبلها الى الاجتماعيات على
لاجمال (3) .

وليس من غرض المفاضلة بين هذه المدارس ،
او مناقشة العقاد فيما ذهب اليه ، بل ساكتفي بمرض
اربعة نماذج من دراسات العقاد النفسية في ميدان
الأدب وحده ، واعقب على كل منها بما أراه :

النموذج الأول أجود الغزل

— 1 —

للقدماء رأبان مختلفان في أحسن الغزل وأجوده ،
فمنهم من يؤثر الغزل الذي يضفي على المحبوب هالة
من الجمال ، فلا يلحق بها عيب ولا نقص ، حتى
ليصور محبوبه مثلاً أعلى في الملاحظة والحسن والأغراء .

وهؤلاء يخلطون بين العشق والاستحسان ، وهما
في حقيقتهما مختلفان ، لأن الاستحسان قد يكون من
عاشق وقد يكون من غير عاشق ، ولأن العشق ليس
معناه ان المرأة المعشوقة أجمل في نظر عاشقها من
كل امرأة ، فلا غرابة في ان يحبها وهو عارف بميوبها ،
وعالم بمحاسن غيرها ، ولكنه لا يحبها .

ثم ان الحب قائم على الاضطرار لأعلى الاختيار ،
فاذا رأى المحب سيئات من محبوبه ، وبقي على حبه ،
كان هذا ادل على قوة الحسب من استمراره مع
الاستحسان والاختيار .

ومعنى هذا ان المدرسة التي تجعل الاطراء
والاستحسان مقياس الجودة في الغزل تجهل بواعث
الغزل الجيد وتبعد عن حقيقته .

ومنهم من يتخذ رقة الغزل والمبالغة فيها مقياسا
لجودة الغزل ، فالمحب الذي يبكي أغزل ممن لا يبكي ،
والذي يبكي كثيراً أغزل ممن يبكي قليلاً ، والذي يتذلل
ويتضرع أغزل من الذي يثور ويتبرم ، والذي ييسط
خده موطئاً لقدم محبوبته أغزل ممن يترفع .

(3) مجلة قافلة الزيت مارس 1964 .

(4) شاعر الغزل العقاد .

ثم يوزن العقاد بين قول جنادة العذرى :

من حباها اتمنى ان يلاقيني
من نحو بلدتها ناع فينعاهها
كيما اقول فراق لا لقاء له
وتضمر النفس ياسا ثم تسلاها
ولو تموت لراعنتي وقلبت الا
يا بؤس للموت ليت الموت ابقاها
وقول المجنسون :

يا رب اذ صيرت ليلي هي المنى
فزنى بعينها كما رتها ليا
والا فبغضها السى واهلهها
فاني بليلى قد لقيت الدواهيها

وبين قول كاتوليس : اني لاكره واحب ، تسألني
كيف ذلك ؟ من يدري ؟ ولكني احس بحقيقة هذا الامر
وشدة برحائه .

ويخلص من الموازنة الى ان نعت الحب بانه داعية
ليس فيه شيء من الرقة والدمانة ، ولكنه وصف اتفق
عليه شاعران ليس بينهما جامعة من ذوق لغة ، او
وحدة زمن ، لأنهما اجتماعا على عاطفة انسانية صادقة ،
شاركهما فيها كل الشعراء الذين جربوا العشق .

وكذلك لا يشرط في الغزل الجيد استحسان
شمال المحبوب والمبالغة في اطرائها ، ولا التدللس
والشكوى والضراعة .

واذا فالغزل الجيد هو التعبير الصادق عن الحب
وعن نفسية المحب ، وهو بهذه المثابة كالبحر اللجي
الذي تتيه فيه العقول ، ويتسع للناقض ، ويعج
بضروب من المفاجآت ليس لها انتهاء .

ولهذا كان من الخطأ ان يحصره النقاد في قالب
واحد وهيئة واحدة او لون لا يتبدل .

— 3 —

وبهذا خالف العقاد اصحاب الاستحسان
 واصحاب الرقة في تقدّم قول جميل :
رمى الله في عيني بشينة بالقذى
وفى الفر من انايها بالقوادح

لانهم عابوه اذ سأل الله تشوبه عيني حبيبتيه
وتغرها ، وهما اجمل ما يتمنى له الجمال في وجهه
محبوبته ، فتجافى عن الرقة كلها بين دعا عليها ذلك
الدعاء الغليظ يلغو به العدو على الاعدائه .

وذهب العقاد الى ان هذا البيت ادل على عشق
جميل من عشر قصائد غزلية تفيض بالرقة والثناء
والاستحسان ، لانه دليل على حب يرح به ، وحرار في
الخلاص منه ، وغلب على مشيئته فيه ، وظن ان البلاء
كله من جمال تلك الشنايا وتينك العينين ، فلم تبقى له
من حيلة الا ان يسأل اتلاف هذا الجمال ، عسى ان
يطبق بعد ذهابه سلوه والراحة من بلواه .

فالبيت دليل على اعماق الحب واصدق الغزل ،
ولك ان تقول انه غزل صادق من رجل سييء ، او انه
غزل صادق من رجل طيب في سورة اليأس والحيرة ،
اما ان يكون مبطلا في عشقه وغزله لانه تمنى تلك
الامنية ، فذلك غفلة عن العاطفة التي امنته ، ولغو لا
صدق فيه .

ولك ان تقول انها امنية رجل تغلب عليه الانانية .
ويتلمس الراحة بما استطاع من وسيلة ، ولو كان فيها
بلاء لمن يهواه ، الا انك لا تنسى انه تمنى تلك الامنية ،
لانه احب وضاق ذرعا بحبه ، وبلغ اقصى ما يبلغه
العاشق من التعلق بالمعشوق والعجز عن الفكالك من
اوهاق ، فهي ان شئت انانية ذميمة لا ترضى عنها
الأخلاق الكريمة ، ولكنه حب قوي ، وتعبير صادق عنه .

— 4 —

ثم تعمق العقاد فيما لم يتعمق فيه سواه ، اذ
اورد قول كثير عزة .

الا ليتنا يا عز من غير رييسة
بعيران نرعى في الخلاء ونعزب
كلانا به عمر فمن يرنا يقل
على حسننا جرباء تعدى واجرب

اذا ما وردنا منهلا صاح اهله
علينا فما ننك نرعى ونضرب

وودت وبيت الله انك بكسرة
هجان واني مصعب ثم نهرب
نكون بعيري ذي غنى فيضيعنسا
فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

ولم يعلق النقاد على الايات باكثر من قولهم انها
امنية سخيفة ، اذ تمنى كثير لنفسه ولمحبوبته الرق
والجرب والرمى والطرد والمسخ ، فلم يبق مكروه لم
يتمنه لها ولنفسه ، فصار جدبرا بقول القائل : معداة
العائل خير من مودة الاحمق .

وعقب العقاد على هذا بأنهم صادقون ، لأنه ما من
أمنية أدعى الى الضحك والسخرية من هذه الأمنية .

ثم تغفل الى نفسية كثير ، ليكشف عن بواطن
هذه الأمنية الحمقاء ، فردها الى قماءته ودمامة منظره ،
وحماقته ، وضعف حيلته ، والى غيرته على عزة التي كان
يخشى أن يقلبه عليها كل المزاحمين ، لأنهم أجمل منه
منظرا . وأقدر على الإغراء والاستهواء ، وقد فكر كثير
في الوسيلة التي يأمن بها على صاحبته فلم يجد غير
ابتلائها بالبلاء الذي يزهّد الناس فيها ، فتصير له
وحده . لأنه لا يستطيع أن يتحرر من حبه ، ولأنه عاجز
عن حمايتها ، وهو لا يملك من الوسائل ما يملكه غيره من
المنافسين .

على أنه ليس يستبعد أن كثيرا رأى البعيريين
الموصوفين رؤية العيان ، لأن هذا منظر ينسدر أن
يشاعده ابن البادية مرات ، فخيّل اليه أنهما سعيدان
حيث يسرحان ولا يطلبهما راع ولا مالك ، فتمنى
السعادة على هذا المنوال .

وإذا كان سخيفا في أمنيته - ولا شك في ذلك -
فهو محب صادق في التعبير عن حبه ، فلا علاقة بين
سخره أمنيته واتهام عاطفته ، لأنه أحب فنغصه الحب ،
وحرمه الراحة من طريق غير هذا الطريق .

— 5 —

ومن هذا يتبين أن العقاد أرجع جودة الغزل الى
ينبوع الغزل نفسه وهو الحب ، والى صدق التعبير عن
الحب ، فإذا كان الشاعر محبا وعبر عن حبه في صدق
فغزله جيد ، وإذا كان غير محب أو كان محبا لم يستطع
التعبير عن حبه فغزله رديء .

لكن هذا المقياس - على أنه قيم - ليس دقيقا
الدقة كلها ، لأنه يعوزه شيء آخر هو جودة التعبير عن
العاطفة الصادقة ، وبراعة تصوير العاشق لما يجيش
بنفسه .

وذلك أن التعبير قد يتصف بالصدق ولكنه لا
يتصف بالبراعة ، إذ إن المحب قد تجيش نفسه
بعواطف صادقة ، ويحاول تصويرها بفنه القولي فلا
يستطيع ، فيتمهل حتى تهدأ نفسه ، ثم يسترجع ما
مضى ليعبر عنه تعبيرا ليس صادقا فحسب ، بل

(7) أبو نواس الحسن بن هانيء .

يجمع الصدق والروعة معا ، فيفلح مرة ويخفق مرة ،
ويجىء في شعره الجهد ويجىء فيه غير الجيد .

لهذا كان هسكلي محقا في قوله :
« يجب أن نتذكر أن قيسا وليلى وأنطوني وكيلو باترة
موجودون بيننا بكثرة لا تخطر على بالنا ، وذلك أنه
يصعب على عابر الطريق أن يقرأ على وجوه الناس مدى
عمق عواطفهم ، وكل وسائله في هذا أن يحس
ويستنتج من تصرفهم وكلامهم ، لأن الفاظهم في الأكثر
والأعم لا تسترعي الانتباه ، إذ أن التعبير الرائع هبة لم
يمنحها الخالق الا فئة نادرة من الناس ، فليس ضعف
التعبير دليلا على ضعف الشعور ، بل من المؤكد أن
عدد المعبرين في جمال فني أقل بكثير جدا من عدد
المحبيين » .

ولو أن الصدق الشعوري والصدق التعبيري
هما وحدهما المقياس الذي تقيس به الجودة لكانت
قوائد الشاعر المحب على درجة واحدة ، فلا نستطيع
ترجيح قصيدة على قصيدة ، ولكن الواقع غير ذلك ،
لأننا حينما نقرأ شعر عروة بن حزام أو قيس أو جميل
أو العباس بن الأحنف مثلا نفضل قصيدة على أخرى ،
ذلك أننا لم نكتف بصدق الشعور وصدق التعبير ، بل
أضفنا اليهما مقياسا آخر يتصل بالافتنان في تخيير
اللفظ ، وانتقاء العبارة ، وبراعة التصوير ، وحلاوة
الجرس . ومعنى هذا أننا أضفنا الى المذهب النفسي
المذهب الفني .

النموذج الثاني

أبو نواس والنرجسية

فصل العقاد البحث في النرجسية من حيث
دلالتها ونشأتها وبواعثها ومظاهرها ، معتمدا على آراء
الثقات من علماء النفس الفحدين .

ثم حاول تطبيقها على أبي نواس (7) ، فألبسه
نوبا فضفاضا لا ينسجم على قده ، وحكم عليه أحكاما
تخرج به عن سمته وحده .

— 1 —

فالنرجسية شذوذ دقيق يؤدي الى ضروب شتى
من الشذوذ في غرائب الجنس وبواعث الاخلاق ، لأنها

هيام الشخص بجسده أو بنفسه الى حد الاستفراق
والعبادة والتدليل والعشق .

ولهما شعاب عدة ، تخير العقاد منها ما يتصل
بدراسة أبي نواس وموضوعات عشقه وغزله ، وأهمها
شعبتان : أحدهما الاشتهاؤ الذاتي
والأخرى التوثيق الذاتي
ومن أبرز ما يلازمهما ظاهرة التلبس أو التشخيص ،
وظاهرة العرض ، وظاهرة الارتداد .

أما ظاهرة التلبس أو التشخيص فهي عشق
الإنسان ذاته عشقا شهوانيا ، فالشاذ في حب جنسه
أو حب الجنس الآخر يجد طلبته ، ويقضي مأربه ، أما
الذي يشتهي بدنه فليس في وسعه أن يقضي مأربه
منه بغير التحايل على ذلك بالتلبس أو التشخيص ،
ولهذا يلبس شخصيته شخصا آخر يتوهم أنه هو ذاته
أو يحله محل ذاته .

وأما ظاهرة العرض فتشمل الاظهار بجميع
درجاته ، فقد يشاهد المصاب بها وهو يكشف عورته ،
ويعرض أعضائه ، ويتعمى من ثيابه ، وإن كان الأكثر
الاعم أن هذا لا يكون الا في حالة انجنون وما يقاربه .

وأما الارتداد فانه يعترى النرجسيين من تلبس
ذواتهم بغيرهم ، أو خلع ذواتهم على شخص آخر
يتلمسون المشابهة بينهم وبينه ، فينتحل النرجسي
صفة القوة من قوى يشبهه في القوام والملامح ، ويخالفه
في القوة ، أو يخلع ذاته على امرأة مشتهاة يجد شبا
بينها وبينه .

— 2 —

وقد حاول العقاد أن يطبق هذه الظواهر على أبي
نواس ، وأن يفسر بها جميع أحواله .
I - فشذوذه الجنسي نرجسية مظهرها التلبس
والتشخيص .

وقد بدا هذا التشخيص في غزله حين اختار
لهواه غلاما اللغ مثله ، وإن كانت لثغة أبي نواس بالراء
ولثغة الغلام بالسين :

وأبأبي الشغ لا جتنه
فقال في غنج واخناث

لما رأى من خلقي له
كم لقي الناث من الناث

وبدا في اختياره غلاما لا يحسن النطق بالراء
تكسيرالها :

بكسر الراء وتكسيرها
يدعو مقم الى الحنّف
وبدا في اعجابه بالبحّة التي كانت من خواص
صوته ، فقال في وصف غلام :

وبه غنة الصبا تعتيها
بحة الاحتلام للتشريسف

وكذلك ذكر مثال الحسن في الذكور والاناث ،
في قوله :

ولو انها في الحسن كانت كيوسف
وبلقيس أو كانت كخط مشال
وقالت تزوجني على مهر درهم
لقلت اعزبي عني فمهرك غمال

ثم ذكر العقاد ان الجارية جنان كانت أحب
معشوقاته اليه ، وانها كانت تحب النساء وتميل
اليهن ، وظن أن كلف أبي نواس بها ربما كان من ظواهر
نرجسيته ، لأن لازمة التشخيص تتحقق بها على نحو
لا تتحقق بغيرها .

ورجع ان هيامه بالجارية (حسن) راجع الى تشابه
اسمها واسمه ، حتى أنه تشفع بهذه المشابهة في قوله :

ان لي حرمة فلو رعيت لسي
لا جوار ولا أقول قرابسة
غير اني سمى وجهك لـم
أحرمه في اللفظ والهجاء والكتابة

2 - وطبق عليه ظاهرة العرض ، ليبين أنه لم
ينظم شعرا في الخمريات أو الغزل أو المجون الا تبين
منه أن الجهر بالمحرمات أدنى الى هواه من الاستمتاع
بها .

وذلك أن بعض الناس قد يولع بالإباحية ويجاهر
باللذات ، ويطيب له الخروج على العرف وعلى المألوف ،
لمهانتهم على أنفسهم وعلى الناس ، فلا يبألون ، لأنهم
نسوا شخصيتهم ، وبعضهم قد يقترف هذا لتعاليمهم
على العرف وعلى الناس ، ولرغبتهم في تقرير
شخصيتهم .

ولم يكن أبو نواس من الفريق الاول ، لان اخباره
واشعاره تنفي ذلك عنه .

وانما كان من الفريق الثاني المبالغ في تهتكه ومجاهرته بما يقترب من آثام .

لهذا يقول :

إلا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر
ولا تسقني سرا اذا امكن الجهـ

ويقول :

أطيب اللذات ما كان -

جهـارا بافتضـاح

وله في هذا المجال شعر كثير .

3 - ثم حاول العقاد أن يطبق عليه ظاهرة الارتداد ، من وصف لنشاطه ، وكلف بالخليفة الامين ، وولعه بالجارية حسن .

- 3 -

ثم ان حبه للجارية جنان لا يتنبيء عن تلبس وتشخيص ، بدعوى انها كانت تحب النساء وتميل اليهن ، فان حبه لم يكن مقصورا على النساء دون الرجال ، وهي في الوقت نفسه جارية مغنية لا يتطلب منها ان تنافس الحرائر ، او تكشف النساء بالعداء .

على انه أحب الجارية دنائير وتفزل بها ، وتفزل بعشر من الجوارى الحسان ، منهن عنان التي غلبته في مساجلة بالأدب المكشوف على مسمع ومرأى من وجوه بغداد .

فلم يكن حب أبي نواس مقصورا على الجارية جنان ، ولم يكن حبه لها عميقا طويل الاجل ، فانه أحبها في مطلع شبابه ، ولم يلبث حبه ان خمدت جذوته ، وكان معاصروه يشكون في صدق هذا الحب وحرارته .

كذلك يبدو التكلف في الاستدلال على التشخيص بأن ابا نواس هام بالجارية (حسن) لأن اسميهما متشابهان ، فان هذا الهيام واقع لا محالة ، سواء اكان اسمها ذلك ام غير ذلك ، والا فلماذا هام بدنائير وعنان وجنان ونرجس ، وليس بين اسمه واسمائهن تشابه او انفاق ؟

ومن التضييق على ابي نواس ان نحجر عليه التلاعب بالاسمين المتشابهين عن طريق المصادفة لا عن طريق التعمد والاختيار ، كما تلاعب المتنبي فيما بعد باسم سيف الدولة ، فشقق منه الوانا من المعاني والأفكار والخيال .

2 - وعجيب ان يتخذ العقاد من مجاهرة ابي نواس بخلاعه دليلا على نرجسيته ، وعلى ظاهرة العرض .

فقد عرف العالم عشرات من الأدباء المولعين بمثل هذه المجاهرة ، لأنهم يجدون فيها انواعا من التعالي أو التظاهر أو التفرد بالخروج على المؤلف أو الاستهانة بالقيم التي يقدرها المجتمع الخ .

من هؤلاء في الأدب العربي الأعشى وسحيم وامرؤ القيس وعمر بن ابي ربيعة ونصيب وابن سكرة وكثير من شعراء اليتيمة .

ومنهم في الأدب الغربي بيرون وكازانوف ، ولم يوصف واحد من هؤلاء أو أولئك بالنرجسية أو بظاهرة من ظواهرها المعروفة .

وليس من شك في أن العقاد كان بارعا في هذه المحاولة ، إذ استطاع ان يلخص معالم النرجسية ، ثم حاول ان يطبقها على حياة ابي نواس وشعره . ولكن هذا لا ينفي ان في التطبيق الوانا من مظاهر التمثل والاعتساف .

1 - فلا يصح أن نتخذ من غزل ابي نواس بسلام التبع دليلا على ظاهرة التشخيص ، لأن لثغة ذلك الغلام تغاير لثغة ابي نواس ، ولأن الشعراء كانوا كثيرا ما يستمنحون امثال هذه اللثغة فيمن يحبون من اناث وذكور ، كما كانوا يستملحون اللحن من الفتيات ومن الحسان .

وليس من الصواب ان يكون اعجاب ابي نواس بالبحثة في صوت غلام آخر مظهرا للتشخيص ، فان مصدر هذا الاعجاب الاستملاح والاستطراف والارتياح الى هذا الصوت ، وهو اعجاب صالح لأن يصدر عن ابي نواس وعن غيره من الرجال .

وأما تمثيله للجمال الفائق بيوسف فانه تمثيل للنفوق والامتيار ، ولا دليل فيه على تشخيص وتلبس ، إذ انه أراد ان يصور اصراره على رفض الزواج من المرأة التي وصفها ، مهما تبلغ من الاغراء ، فقال انها لو بلغت من الجمال أعلى درجاته ، ومهما يهبط مهرها الى أدنى دركاته ، فانه لن يرضاها زوجة له . واذا كان قد ضرب المثال بيوسف وبلقيس ، فان الشعراء والقصاص قد نصبوها مثلا أعلى للجمال .

وقد كان بايرون (8) يجاهر بعلاقاته ، ويسجلها في شعره .

وعرض كازانوفنا (9) قصة حياته عريانة في غير احتشام ، على ما فيها من مثالب ومخاز تحمر منها وجوه أكثر المجان من رجال ونساء ، ولم يكن غرضه تبرير احدانه او التهوين من قيم المجتمع ، او المباهاة بما اترف ، وانما كان راوية دقيقة امينا لا يعنيه الا التسجيل للخير وللشر وللحرام وللحلال .

3 - واذا كان أبو نواس جميل الوجه . حسن السميت ، مقترا بغراهة بدنه ، فقد كان أبو القشير كذلك ، وكان يفاخر ابا نواس بجماله .

ذكر ابن منظور في اخبار أبي نواس : قال أبو القشير : نظمت الشعر وأنا غلام وأبو نواس غلام . وكنا جميعا نضرب بالعود ، وكنت احسن وجها من أبي نواس ، وأبو نواس اطيع ، فتفاخرنا بالشمع وغيره ، ثم قلت له : اني اجمل منك وجها ، فقال : بل أنا احسن منك وجها وأقره .

والذي يتبين من هذه المفاخرة ان ابا القشير فاخر ابا نواس بجماله ، ولم يكن شعوره بتفوقه في الجمال ناشئا عن نرجسية ، وان ابا نواس رد على الفخر بمثله وزاد عليه قوة جسمه ، فلا دليل في هذا على نرجسية ابي نواس .

على ان كثيرا من الفلمان كانوا وما يزالون في هذه السن يتباهون بجمالهم وفراة اجسامهم ، حتى ليعارضون عضلات بعضهم بعضات بعض ، وحتى ليتصارعون ويتسابقون ، وهم ابرياء من مرض النرجسية وأعراضها .

4 - اعتمد العقاد على وصف ابن منظور لأبى نواس بأنه كان حسن الوجه ، رقيق اللون ابيض ، حلو السمائل ، ناعم الجسم ، منسدل شعر الرأس ، الشغ بالراء يجعلها غينا ، وكان نحيفا ، وفي حلقه بحة لا تفارقه .

وذكر بعض أبيات لأبى نواس ، كقوله :

تتبه علينا ان رزقت ملاحه
فمهلا علينا بعض تيهك يا بـدر
فقد طالما كنا ملاحا وربما
صددنا وتنهأ ثم غيرنا الدهر

واستنبط العقاد من هذا ان ملامح النرجسية تكاد تتمثل من هذه الأوصاف ، فالبياض والرقرة والنعومة والملاحة والشعر المتهدل أشبه ما تكون ملامح الفتى نرجس ، الذي حنا على الجدول فاستحال نرجسة ، واتخذة الأسطوريون اليونان نموذجا للجمال . وقال ان اللثغة وبحة الصوت تشيران الى تكوين وسط بين كيان الصبي وكيان الشاب الناضج .

ولكن هذا الحكم فيه تجوز كبير ، فليس من الحتم اللازم ان يكون بياض البشرة وغضارتها وتهدل الشعر علامة من علامات النرجسية ، فطالما اشتهر رجال من الشرق والغرب بصفات الملاحة والجمال ، وهم بعداء عن النرجسية أيما بعد .

حسبنا ان نذكر منهم ابا القشير الذي فاخر ابا نواس بجماله ، ونصر ابن حجاج الذي افتتن به نساء المدينة ، فاضطر الخليفة عمر بن الخطاب الى نفيه منها ، وذلك انه كان يمسي في ليلة كعادته ، فسمع امرأة تشد شعرا وهي في بيتها ، منه :

هل من سبيل الى خمر فأشربها

أم من سبيل الى نصر بن حجاج ؟

فلما اصبح الصباح استدعى نصرا ، فاذا هو شاب جميل يفتتن بمثله النساء ، فأمر بحق شعره ، وهو يريد التقليل من جماله ، فازداد جمالا ، فأمر بنفيه الى البصرة منعا للفتنة .

ومنهم بايرون ، فقد كان آية من آيات الجمال ، وكان شعره الذهبي يتهدل على جبينه في خصلات متموجة ، وله عينان زرقاوان يخالطهما لون رمادي ، وتحيط بهما اهداب غزيرة طوال ، وشفاه قرمزتان ، وانفه رقيق لطيف ، وقدم رشيق ، وبشرته شفافة كأنها البلور ، وصوته رخيم كأنه نعمات والحان . واما اللثغة بالراء فانها اضطراب في النطق يصيب كثيرا من الناس ، وقد اشتهر بها واصل بن عطاء ، وكان يهرب منها باجتناح حرف الراء في دروسه وفي خطبه .

واما بحة الصوت فليست دليلا على تكوين وسط بين كيان الصبي وكيان الشاب الناضج ، لأنها ضعف في الحنجرة يعترى بعض الأسوياء الذين لا يوصفون بلون من ألوان الانحراف ، سواء اكانوا من الذكور ان أم من الاناث .

(8) بايرون : امينة السعيد .

(9) كازانوفنا : ستيفان زفايج - ترجمة دار الهلال

اهدين اليه ، فيهن صبية حولاء وعجوز في احدى
عينها نكتة ، فتطير من ذلك ، ولم يظهر لي امره ،
فلما مضت مدة سقطت لي ابنة من السطح ، وجفاه
القاسم ابن عبيد الله ، فعزا الحادثين الى الحولاء
والعجوز ، وكتب الي بفسيدة ، منها :

ايها المحتفى بحول وعسور
اين كانت منك الوجوه الحسان ؟
قد لعمري ركبت امرا مهيننا
ساعني منك ايها الخلفان
فتحك المهرجان بالحول والعسور
ر ارانا ما اعقب المهرجان
كان من ذلك فقدك ابنتك الحر
ة مصبوغة بها الأكفان
وتجافى مؤمل لي جليل
لج فيه الجفاء والهجران
خبر الله ان مشامة كا
نت لقوم وخبر الفسيران
انزور الحديث يقبل ام مسا
قاله ذو الجلال والفرقان ؟

واذا فلا غرابة فيما قصوا من احداث تشاؤمه
كقولهم ان ابا الحسن علي بن سليمان الاخفش غلام ابي
العباس المبرد ، كان شابا ظريفا ، وكان يعيشت باين
الرومي ، فيقرع بابه سحرا ، فيقال له : من ؟ فيقول :
قولوا لابي الحسن : مرة ابن حنضلة . فيطير ابن
الرومي ، ويقيم في بيته اياما لا يبرحه .

وقال علي بن ابراهيم كاتب مسروق البلخي : كنت
بداري جالسا ، فاذا حجارة سقطت بالقرب مني ،
فامرت الغلام بالصعود الى السطح والنظر الى كل
ناحية ، ليعرف من اين تاتي الحجارة ، فعاد الي يقول :
امرأة من دار ابن الرومي الشاعر قد تشوفت وقالت :
اتقوا الله فينا ، واسقونا جرة ماء ، والا هلكنا ، فقد
مات من عندنا عطشا . فارسلت اليها امرأة من عندنا
بالماء والطعام ، فلما عادت قالت : ان الباب مقفل
عليهم منذ ثلاث ليال بسبب طيرة ابن الرومي ، لانه
كان يلبس ثيابه كل يوم ويتعوذ ، ثم يمشي الى الباب
والمفتاح معه ، فيضع عينه على ثقب الباب ، فتقع على
جار له نازل بازائه وهو رجل احذب يقعد كل يوم على
الباب ، فاذا نظر اليه ابن الرومي رجع وخلع ثيابه ،
وقال لا يفتح الباب احد (10) .

لذلك ليست الضعيرة المرسته من شعر راسه
ديلا على ان اهله وجدوه شبيها بالبنات ، فارسوا
ضفيرته ، اذ ان بعض الناس كانوا وما زالوا يرسلون
ذوانب وضاغائر للذكور الصغار ، لتدليل والتلميح
فحسب . وان كان شكلهم ابعدا ما يكون عن الجمال وعن
الشبه بالاناث .

ولهذا فلا مندوحة من العناية بالاحوال الاجتماعية
والسياسية في دراسة شخصية ابي نواس ، لان
شخصيته ولبدة نفسيته من ناحية ، ووليدة بيئته من
ناحية .

ومعنى هذا ان نعتد على المدرسة النفسية
والاجتماعية معا في دراسة شخصيته .

اما دراسة فنه فلا بد ان نعتد فيها على المدرسة
الثالثة وهي المدرسة الفنية مع هاتين المدرستين .

النموذج الثالث

تطير ابن الرومي

— 1 —

لم يعرض احد من القدماء او المحدثين الى دراسة
ابن الرومي الا عرج على تطيره ، وضرب الامثلة من
حياته ومن شعره على تشاؤمه . واغلب الظن ان
الاحداث التي ذكروها عن تطيره حقائق واقعة ليس
فيها تزويد ولا مبالغة ، لانه هو نفسه سجل تشاؤمه في
شعره ، ودافع عنه ، اذ كان يعرف من نفسه انها
شديدة الحذر ، ويرى ان الحذر سلم الى الامان :

فأمن ما يكون المرء يوما
اذا لبس الحذار من الخطوب

وكان يحتج للطيرة ، ويقول ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يحب الفأل ، ويكره الطيرة ، انراه كان
يتفاعل بالشيء ولا يتطير من ضده ؟ وقال ان النبي مر
برجل وهو يرجل ناقته ويقول يا ملعونة ، فقيل : لا
يصحبنا ملعون . وذهب الى ان الطيرة اصيلة في
الطباع ، وان كانت اظهر في بعض الناس من بعض .

وذكر عنه عبد الله بن المسيب انه دخل علينا يوما
مهرجان ، وعند عبد الله عدة من القيان الحسان

(10) زهر الآداب 2 / 188 .

ان لي مشية اغربل فيها
 آما ان اساقط الاسفاط
 وهي مشية تشيع في المصايين باختلال في
 العصب او العضل .

وكان مسرفا في كل امر من اموره . لا تصده
 عزيزة ، ولا يرده ضابط ، كان مسرفا في طعامه وشرايه
 وشهوته ، ومسرفا في تهكمه وهجائه ونكاته .
 ومسرفا حتى في استقصاء المعاني ، ولا سبب لهذا
 الاسراف الا توفر الحسن ، والاستجابة للرغبات ،
 والعجز عن كبجها ، والانقياد لما تمليه اللحظة الحاضرة

وفي رأي العقاد ان خضوع ابن الرومي لكل
 احساس طارئ ، واستفراجه فيه ، لم يترك له منفذا
 الى التفكير في عقابه ، وجعله لا يعادل عما يزينه لسه
 الحس والخيال الى ما تمليه عليه الحكمة والحصانة .

واذا كان مزاجه قد اغراه بالاسراف فان اسرافه
 جنى على مزاجه ، لان اسرافه الموكل بالاستقصاء في
 كل مطلب ورغبة خليق ان يسقم جسمه ، وينهك
 اعصابه ، ويتحيف على صوابه ، وهو في الوقت نفسه
 لم يسرف هذا الاسراف الا وفي جسمه سقم ، وفي
 اعصابه خلل ، وفي صوابه شطط .

— 3 —

ويذهب العقاد الى ان المرء قد تختل اعصابه
 فينقلب جريئا جسورا عنيدا مقتحما لمخاطر والاهوال ،
 مستهينا بالعواقب وما يقترن بها من آثام ، وقد
 تضرب اعصابه فيصير وديعا مطيا شديد الخوف
 والحذر ، هيبا للصفائر ، مبالغا في حسان النتائج
 والعواقب الى حد التوهم . وقد كان ابن الرومي من
 الطراز الثاني .

كان مريض النفس مختل الاعصاب فتطير ،
 والرجل السليم لا يتطير ، لانه يتوقع من الدنيا خيرا ،
 ولا يحس نفرة بينها وبين نفسه ، ولا يتسلف الفزع من
 مكاره موهومة ، فاذا اصابه مكروه تلقاه بعزيمة ضابطة
 لمشاعرث فلا افراط في الجزع ، ولا استسلام
 للفزع .

وذكروا ان احد الامراء ارسل اليه خادما يستدعيه
 اسمه اقبال ، ليتفاهل باسمه ، فلما اخذ اعينته للركوب
 قال للخادم : انصرف الى مولاك ، فانت ناقص .
 ومعكوس اسمك (لا بقا) (11) .

وارسل اليه بعض اصحابه غلاما اسمه حسن .
 فطرق الباب عليه ، فقال : من ؟ قال : حسن ، فتفاهل
 به وخرج ، واذا امام الباب حانوت خياط صلب عليها
 دراعتين بالهيئة اللام الف ، ورأى تحتها نوى تمر .
 فتطير وقال : هذا بشير بان لا تمر ، ورجع وله
 يذهب معه (12) .

— 2 —

وقف الدارسون على اختلاف اعصارهم عند هذا
 الحد ، فلم يتجاوزوه الى استكناه تطير ابن الرومي ،
 واستشفاف ما وراءه من عوامل كانت السبب في
 نشأته وفي نمائه .

اما العقاد فانه لم يقنع بما قنعوا به ، فجعل يحلل
 تشاؤم ابن الرومي ويعلل له ، ويربطه بعوامل نفسية ،
 ويلام بينها في دقة وحصانة ومهارة وتوفيق .

ونستطيع ان نتبين من دراسته لتطير ابن الرومي
 ان مراجعته الى نوع من الاختلان العصبي والاضطراب
 النفسي (13) .

ذلك انه كان ضعيف الاحتمال لحرارة الصيف .
 يعاني منها ما جعله يقول :

قد مضى اكثر الشتاء وجاء الصيف
 فعدو فلا تردده البطء
 يا عليما بما اكابد فيه
 لا تعاونه ان فيه اكتفاء

قد مضى اكثر الشتاء وجاء الصيف يعدو فلا
 تزده البطء وكان متوفر الحس الى اقصى حد ، بهيج
 اعصابه اهون مس ، ويستفزه أسر حادث ، حتى ان
 الروائح القوية كانت تؤذيه وتصدعه ، وهذا هو السبب
 في ذمه الورد ومدحه الترجس .

وكانت مشيته - كما وصفها هو - مشية المختلج
 كانه يبين يديه غربا لا يديره :

(11) العمدة / 1 / 40 .

(12) معاهد التنصيص / 1 / 43 .

(13) ابن الرومي لمعاد 65 ، 116 ، 117 ، 127 ، 130 ، 200 ، 209 .

وكثيرا ما تبلغ الطمانينة بالرجل السليم الى
التفاؤل المتسلّم للأمن الصادق والكاذب ، كما
يستسلم المتطير للفرع والتوهم الصحيح والزائف .

— 4 —

وإذا فقد كان تطير ابن الرومي مظهرا لاختلال
اعصابه واضطراب نفسه ، وكان ضعف اعصابه وشدة
حذره ومزاجه المتشائم تزيين له أن يتوجس الشر في
كل شيء ، وأن يقلب الكلمة أو الفكرة على ما تحتمله
وما لا تحتمله من حالات ، ليستخرج منها ما يمكن أن
تؤديه وتدل عليه ، وسرعان ما ينتقل ذهنه بين المعاني
ونظائرها وأشباهاها ، وبين الكلمات وما يجانسها
ويشاكلل أحرفها وأوزانها ، فلا يعوزه أن يعثر بما
يوافق نفسيته الحذرة .

ومن هنا كانت كلمة (جعفر) مثلا تساوي عنه
جاء وفر) وكلمة (الخان) تذكره بكلمة الخيانة :
فكم خان سفر خان فانقض فوفيم
كما انقض صقر الدجن فوق الارانب

بل ان خياله المتشائم امتد الى تصحيف الكلمات
فقال في القينة :

لا تلح من تفتنه قينه

فان تصحيف اسمها فتنة

وقال في شخص ابوه اسمه هرثمة :

عائد دهره اذا سطع النقيـ

ع بمعنى مصحف اسم ابيه

وصحف اسم عمرو الى غير في قوله :

يا عمرو لو قلب ميم مسكنة

باء محرّكة لم تخطيء الفقـ

ولقد استبد به الوسوس في اواخر حياته ،
فصار آفة غلبة على اقواله وافعاله ، لا محيص له عنها ،
فأفرط في الطيرة ، واشتد خوفه من الماء ، حتى كان
لا يركب سفينة مهما تكن مأمونة ، ومهما يكن في
ركوبها من اغراء ، يدل على هذا قوله في وصف سفر
بدجله :

واما بلاء البحر عندي فانه

طواني على روع من الروح واقب

ولم لا ، ولو القيت فيه وصخرة

لواقبت منه القمر اول راسب

ولم لا اتعلم قط من ذي سباحة
سوى الغوص والمضغوف غير مغالب
فايسر اشفاقي من الماء انسي
امر به في الكوز مر المجانسب
واخشى الردى منه على كل شارب
فكيف بأمنية على نفس راكب ؟

اظل اذا هزته ربح ولاات
له الشمس ملوaja طوال الغواب
كأنى ارى فيهن فرسان بهمه
يلوحون نحوك بالسيف القواضب

— 5 —

ذلك تعليل العقاد لتطير ابن الرومي ، وهو تعليل
في رأي صواب كله ، لان مرده الى نفسية الشاعر لا
الى مؤثرات اخرى من السياسة والاجتماع .

اما اذا اردنا دراسة شعره المتطير فالأجدر بنا
ان نبني دراستنا على المذهب النفسي والمذهب الفني
والمذهب الاجتماعي جميعا .

النموذج الرابع

ولع المتنبي بالتصغير

— 1 —

كان ابو الطيب مولعا بالتصغير الى حد لم يعاثره
فيه شاعر ، ولم يخف هذا الولع على دارسيه ، ولكنهم
اذ تنبهوا للظاهرة لم يتمموا في التعليل لها .

وحسبنا ان ابا العلاء اجاب ابن القارح حينما
سأله عن هذه الظاهرة بقوله : « كان الرجل مولعا
بالتصغير ، لا يقنع منه بخلسة المغير ... ولا ملامة
عليه ، انما هي عادة صارت كالطبع تفتقر مع المحاسن » .

— 2 —

ويعلق العقاد على كلمة المعري بقوله : لا شك
انها عادة كما قال المعري ، ولكن أي عادة هي ؟ أمن
عادات اللفظ ؟ أم من ضرورات الوزن ؟ أم من عبثات
اللسان ؟

ويجيب بقوله : لا ، ولكنها فيما نظن عادة في
الطبع والخلق ، وما صارت كالطبع كما قال المعري الا
لانها من الطبع ، وفيها ترجمة عنه ، ومجاراة لنواذعه .

ثم يعمل لهذا الكلف تعليلا تفرد به ، وذلك ان المتنبى كان يتعالى بنفسه على التكسب بالمدايح والزلفى الى الملوك والامراء ، وكان يرى انه خلق لما هو اجل ، وارفع من ذلك ، وهو امالك والقيادة ، فلا يبالي ان يطول على ذوي السلطان بهذا الاعتقاد فى قصائده التي يمدحهم بها .

وكان يؤنب نفسه اذا ما آنس منها ركونا الى حياة الدعة ، واطمئنا الى منامه بين حاشية الامراء واتباعهم المتكئين على عطاياهم ، فيحفظها وينحيا عن هذا المقام ، ويذكرها ما اعدت له من المجد والعظمة .

لكن المتنبى كان شريكا فى العظمة الدنيوية والاخلاق العلمية فى كل ما هو من باب الشعور والملاحظة ، ولم يكن شريكا فى كل ما هو من باب الانجاز والتنفيذ . كان يشعر شعور عظماء الاعمال ،

ويقيس الامور بمقاييسهم ، ويلزم نفسه الجد الذي يلتزمون فى حركاتهم وسكناتهم ، وتساوره المطامع التي تساورهم ، ولكنه لا يتم الامور كما يتمونها ، ولا يسوس الحوادث كما يسوسونها . كان مطبوعات على غرار رجال المطامع ولكن فى داخل نفسه لا فى ظاهر عمله ، فله فى خلقه وتفكيره استعداد عظماء الاعمال ولكن بغير دابة العظمة .

واذا كان شعوره بالعظمة قد بدا فى المبالغة والتويل والتفخيم احيانا فان شعوره بالتأفف والاشمئزاز والتحقير قد بدا فى التصغير احيانا اخرى ، فاذا ازدرى شيئا ضئيلا او رجلا حقيرا فذلك ازدراء يشوبه الضغن ، ويضاعفه ظل العظمة الملقى عليه ، فاذا الشيء شوىء واذا الرجل رجيل .

واكثر ما يصغر المتنبى حين يهجع مفيظا محنقا ، او يستخف متعاليا محتقرا ، كما يقول فى كافور .

اوى اللئام كويغير بمعدرة
فى كل لؤم وبعض المدر تفنيد

وكما يقول فى الشعرا الذين يزاحمونه :

انى كل يوم تحت ضبني شويعر
ضعيف يقاوينى قصير يطاول

وكما يقول فى اهل زمانه .
اذم الى هذا الزمان اهيله
فأعلمهم قدم وحزمهم وغمد
ذلك تعليل العقاد لولوع المتنبى بالتصغير ، ولا شك انه تعليل صادق ، لانه أرجع التصغير عند المتنبى الى شعوره بالعظمة والى ازدرائه الناس .

ولكن العقاد تجاوز عن عامل آخر ربما كان ادعى الى ولوع المتنبى بالتصغير من هذه العظمة المصطنعة التي يمازجها احتقاره للناس .

وذلك ان المتنبى فيما ارى كان ينفس بهذا التصغير عن موجدته وحنفه وشعوره بالعجز عن تحقيق ما يتشاه ، فقد ذم الحياة ، وادعى انها لا تواتى الا الاغبياء والحمقى ، كقوله :

فما ترجى النفوس من زمن
احمد حاله غير محمود
وقوله :

ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت
على عينه حتى يرى صدقها كذبا
وقوله :

فترى الدار اخون من مومس
واخدع من كفة الحابيل
وقوله :

من خص بالدم الفراق فانني
من لا يرى فى الدهر شيئا يحمد
وقوله :

وشبه الشيء منجذب اليه
واشبهنا بدنيانا الطغام
ولو لم يعمل الا ذو محل
تعالى الجيش وانحط القتام
ولو لم يسرع الا مستحق
لربته اسامهم المسام (14)

وكذلك حنق على الناس ، لانهم نالوا ما لم ينل ، وبخاصة اصحاب الفنى والمجد والجاه ، وساء رايه فيهم وفى اخلاقهم .

(14) المسام : الرعية . الضمير فى اسامهم يعود الملوك المذكورين فى اول القصيدة : اي لو كانت الامارة بالجدارة لوجب أن يكون الملوك رعية ورعيتهم ملوكا لانهم احق منهم بالملك .

من ذلك قوله :

انما انفس الانيس سباع
يتفارسن جهرة واغتيالا
من اطاق التماس شيء غلابا
واغتصبا لم يلتمه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى
ان يكون الفضنفر الرنيالا
وقوله :

اذا ما الناس جريهم لييب
فاني قد اكلتهم وذافا
فلم ار ودهم الا خدعا
ولم . ار دينهم الا نفاقا

وقوله :

ولا تشك الى خلق فتشمتته
شكوى الجريح الى الغربان والرخم

وقوله :

وكن على حذر للناس تسترته
ولا يفرك منهم تغر مبتسم
غاض الوفاء فما تلقاه في عدة
واعوز الصدق في الاخبار والقسم

فليس اذن على المتنبي ان يكلف بالتصغير ، لانه
في تعبيره لون من الهجاء والتحقير ، وضرب من
الاستهانة وقلة المبالاة ، ومبعث ذلك كله التنفيس عما
يعتمل في نفسه من عوامل متعددة ، اهمها الفرور
والتعالي المصطنع ، والسخط على الحياة ، والموجدة
على الناس ، ولهذا يقول :

اذم الى هذا الزمان اهليبه
فاعلمهم قدم واحزمهم وغسد
واكرمهم كلب وابصرهم عسم
واسهدهم فهد واشجمعهم قسرد

على انني لا اوافق العقاد في قوله « ان المتنبي
اذا ازدري شيئا ضئيلا او رجلا حقيرا فذلك ازدرء
يشوبه الضغن » لان المتنبي المتعاطف لا يضطغن على
رجل حقير ، وكيف يحقد على الحقير وهو لا يتطلع

اليه او يباريه او يباليه ؟ بل يضطغن على العظيم لانه
قصر عن بلوغ غايته ، او لان الحظوظ التي نولت هذا
العظيم اسباب علاه ضنت على المتنبي بما كان يصبو
اليه ويتشبهاه .

واذا فان كلف المتنبي بالتصغير كان صدى لما
يعتمل في نفسه ، وكان صدى للحياة السياسية
والاجتماعية في عصره ، اذ كان عصر امارات وثورات
ورثبات الى الحكم هنا وهناك ، وكانت القوة والحيلة
والدهاء اهم الوسائل لظفر الطامحين الى الحكم ،
والطامعين في السلطان ، وكانت الاحقاد والفساد
والنفاق والملك والمنافسات واستكائة الشعوب
واستبداد الحكام فاشية في المجتمعات .

النتيجة

لعله قد تبين من هذه اللمحات ان الدراسة
النقدية لا يصح ان تنحصر في نطاق المدرسة النفسية
التي اثرها العقاد ، ولا يسوغ لنا ان يقصرها على
اصول المدرسة الاجتماعية وحدها ، او يحصرها في
مجال المدرسة الفنية معزولة عن غيرها ، فانه لا
مناص من اعتماد الناقد على هذه المدارس جميعا ،
لان بعضها يخدم بعضا ، ولان بعضها يجدي حيث لا
يجدي سواه .

واذا كان الاعتماد على المذاهب الثلاثة هو المنهج
السليم الكامل ، فان الدارس او لناقد ليس محتوما
عليه ان يطبقها جميعا في كل حالة من الحالات ، فقد
يكون الاستئناس بمصايحها كلها هو الهادي السوي
الطريق ، وقد يكون في مصباحين او مصباح واحد
غنساء .

وعلى الدارس والناقد ان يتخير في دراسته
الاجتماعية والسياسية ما يتصل اتصالا وثيقا بالشخصية
التي يمرضها ، او النص الذي يدرسه ، وان يتعد في
دراسته النفسية والفنية عن التكلف والاعتساف ، حتى
لا يلبس الشخص او يضيف على النصوص اريدية
واسعة العرض ، او مفرطة الطول ، او ضيقة عين
القدود .

النظامة الإلكترونية تحصي جذور مفردات اللّفة العربية

الدكتور إبراهيم سليم أنيس
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

وسطر في المصاحف ، وبذلك تحقق قوله سبحانه
« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولما ظهر لعلمائنا المتأخرين اختلاف عدد
الحروف في تلك الروايات حاولوا تفسير ذلك أو تعليقه
فيقول صاحب البصائر : « وأما الحروف فان بعض
القراء عد الحرف المشدد حرفين فيكون على هذا
القرآن عنده اكثر » !! غير ان مثل هذا التعليل في
رأيي ، لا يكفي في تسويغ التعدد في الروايات واختلاف
الارقام مع كل منها ، اذ يذكر الفيروزآبادي في كتابه
البصائر ثمانية ارقام مختلفة لمجمل عدد الحروف في
القرآن مؤكدا ذكرها وضبطها بالكتابة أي لا يكتفي
بالرقم الحسابي .

وتلك هي الروايات التي جاءت في كتاب البصائر
مع الاكتفاء هنا بذكر السند في الرواية ، الاولى وحدها
رغبة في الإيجاز :

(1) وأخبرنا الحسن ، أنا أبو الحسن ، أنا ابن
مسلم ، أنا وكيع ، أنا اسماعيل ابن مجمع ، أنا محمد بن
يحيى ، أنا عبد الملك بن عبد الرحمن ، حدثني أيوب ،
وأبو عكرمة ، عن مرجى ، عن جعفر بن سليمان ، عن
مالك بن دينار وراشد وغيرهما قالوا : قال لنا الحجاج :
عدوا لي حروف القرآن ، ومعنا الحسن ، وأبو العالية ،
ونصر بن عاصم ، فحسبنا بالشعير وأجمعنا على أنه
ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون حرفا ، وفي رواية

جاء في كتاب « بصائر ذوي التمييز في لطائف
الكتاب العزيز » تأليف الشيخ مجد الدين محمد بن
يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة 817 هـ ، روايات
متعددة ، ومتباينة في بعض تفاصيلها ، برغم أنها جميعا
تدور حول الاحصاءات القرآنية من حيث عدد السور
والآيات والكلمات والحروف الهجائية ... الخ .

وتنسب تلك الجهود الاحصائية الاستقرائية الى
بعض من مشهوري العلماء والقراء الاوائل ، بل يبدو من
بعض تلك الروايات ان العلماء والقراء قد تصدوا لتلك
العملية الاحصائية منذ عهد الحجاج بن يوسف ، أو
ربما منذ أيام عبد الله بن مسعود .

وظلت تلك الاحصاءات تتناقل بعد ذلك جيلا بعد
جيل ، ويتلقفها المفسرون والدارسون ، وربما يكون
منهم من جاول تحقيقها فأعاد الاحصاء والاستقراء حتى
انتهت لدى المتأخرين من العلماء على تلك الصور
المتعددة والروايات المختلفة التي نراها في كتاب
البصائر للفيروزآبادي ، وفي حاشية الجمل على
تفسير الجلالين منسوبة للإمام النسفي ، وأخيرا
نجدها في كتاب الكشكول للعالمي وقد أصابها كثير من
الخلط والاضطراب .

وأوضح ما ظهر فيه الخلاف بين تلك الروايات
عدد الحروف الهجائية في القرآن الكريم برغم أن
القرآن منذ نزل على نبينا صلى الله عليه وسلم هو هو
لم يزد حرفا ولم ينقص حرفا ، حفظته الصدور ،

في اسماعهم اضافوا شعيرة ، وفريق آخر كانوا يعدون عن طريق النظر ، اي كلما ابصروا في المصحف حرفا مكتوبا اضافوا شعيرة . وتظهر ثمرة الخلاف بين هؤلاء وهؤلاء حين نتذكر ان بعض الحروف تسمع ولا تكتب مثل كثير من الفات المد وبعض واوات المد وباءات المد والهمزات ... الخ . وان بعض الحروف تكتب ولا تسمع كهمزة الوصل والالف بعد واو الجماعة . الخ . ومن هنا يمكن ان نتصور وقوع الخلاف في العدد ، وان كان من المستبعد ان يصل ذلك الى عشرات الالاف .

غير ان الخلاف في جملة عدد الحروف لم يزعمنا بقدر ما ازعمنا وادهشنا ان يقع الخلاف بين الروايات في عدد كل حرف على حدة . فلم تنفق روايات كتاب البصائر الا في عدد الطاءات ، الظاءات . ولم تتفق مع روايات النسفي الا في عدد الظاءات فقط . واما ما جاء في الكشكول للعامري فلا يتفق في اي حرف مع روايات الفيروزابادي او النسفي . وقد اكتفى صاحب الكشكول بذكر الارقام ولم يضبطها بالكتابة ، ولذلك جاءت نموذجا عجيبا من الاضرابات والخلط .

وحيث نستعيد من الحروف تلك التي يحتمل في بعضها ان تكتب ولا تسمع ، او التي تسمع ولا تكتب كالالفات والهمزات والواوات والياءات ، وتكتفي بمقارنة العدد لكل حرف من الحروف الاخرى التي لا يصيبها شيء من ذلك ، لا نكاد نرى مسوغا لوقوع خلاف في عدد حروف كالرءات او الباءات مثلا !!

واذا استعرضنا مختلف الروايات حول اعداد الحروف لمسنا كيف ان القدماء من العلماء كانوا في شبه صراع مع عدد الحروف ، يبذلون الجهد ، ويحاولون التحقيق ما وسعهم ذلك ، لان الامر يتصل بالمعجزة الكبرى للاسلام ، ويكتب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم مع هذا لا يكادون يجمعون على رأي حاسم قاطع بصدد عدد اي حرف من القرآن الكريم الا الظاء .

وهناك صراع احصائي آخر نلاحظه بين المتقدمين من اصحاب المعاجم ، فقد تبين لهم منذ عهد الخليلين احد ان عدد الكلمات التي يمكن عقلا او نظريا ان يتالف من حروف الهجاء الثمانية والعشرين يكاد يبلغ ، بل يجاوز حدود اثني عشر مليونا ، على اساس ان الكلمة العربية قد تكون ثنائية الاصول ، وقد تكون ثلاثية الاصول ، وقد تكون رباعية الاصول او خماسية الاصول . كما

عطاء بن يسار ثلاثمائة الف حرف وستون الفا وثلاثة وعشرون حرفا . (بالارقام : 300 023 ، 360 023) .

2 عن ابن مسعود انه قال : وحروفها ثلاثمائة الف حرف وستائة حرف وسبعون حرفا . (300 670)

3 عن ابي معاذ النحوي : هو ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرف . (361 200)

4 عن عطار بن يسار : ثلاثمائة الف وثلاث وعشرون الفا وستائة واحد وسبعون حرفا . (323 671)

5 حسبوا حروف القرآن فمرصوه على على مجاهد وسعيد بن جبير فلم يخطوهم . فبلغ ما عدوه : ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون الف حرف واحدا وسبعين حرفا . (323 071) .

6 عن ابي حمزة الزيات وابي حفص الخراز قالا : حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وسبعون الف حرف ومائتان وخمسون حرفا . (373 250)

7 عن يحيى بن الحارث الذماري قال : عدد حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرف وخمسون حرفا (321 250)

8 عن راشد ابي محمد وكان شهد الحجاج حين ميز القرآن قال : وحروفه ثلاثمائة الف حرف وعشرون الف حرف ومائة وثمانية وثمانون حرفا . (320 188)

وهكذا نرى ان هذه الروايات الثماني لم تتفق الا في رقم ثلاثمائة الف ، اي لم يبلغ الخلاف بينها حدود مئات الالوف ، ولكن بلغ حدود الالاف ، بل بلغ في بعض الروايات حدود عشرات الالاف !!

ويذكر القرطبي في تفسيره ثلاث روايات لجملة عدد الحروف في القرآن الكريم لا تشترك مع اي من الروايات السابقة . والارقام التي جاءت في روايات القرطبي هي : (321 180 ، 323 015 ، 340 740) .

ومع ما ذكره الفيروزابادي في تحليل ذلك الخلاف نود ان نضيف الى قوله ان الذين قاموا بالاحصاء فيما مضى كانوا فيما يبدو، فريقين : فريق كانوا يعدون عن طريق السمع ، اي كلما سمعوا من قارئ حرفا واتضح

تبين لهم أن عدد المستعمل من تلك الصور المحتملة لا يكاد يجاوز مائة ألف ، والباقي مهمل لا يرد في اللسان العربي .

وظهر أثر ذلك في المعاجم الأولى للغة العربية ككتاب العين المنسوب للخليل ، والجمهرة لابن دريد ، والتهذيب للأزهري ، ففي كل من هذه المعاجم تقرا - ولا سيما مع انجذور الثنائية والثلاثية - كلمتي المستعمل والمهمل لبيان ما ورد في اللغة وما لم يرد .

وحاول ابن جنبي في كتابه الخصائص (1) تفسيراً لاهمال ما أهمل من صور الجذور ، وجاءنا بما سماه الاستئقال !! فكثيراً ما يردد هذه الكلمة ، وكأنما قد تصور أن مؤتمراً قد عقد بين القاطنين باللغة العربية ، وأنهم اهتموا خلال مناقشات هذا المؤتمر إلى الحكم على استئقال الكثرة الغالبة من الجذور ، فكأن الأمر في تصوره كان أرادياً متعمداً ، فهو يردد في أحيان كثيرة قوله : أن العربي ينفر من اجتماع كذا مع كذا من الحروف !! ولما وجد أن بعض الجذور المهمة لا يتسم بالاستئقال أو ما يشبه الاستئقال مثل المادة « لجع » قال عنها إنها أهملت حملاً على ما أهمل من تراكيب الرباعي والخماسي !!

فلنستمع إلى نص كلام ابن جنبي في الخصائص :
(أما اهما ل ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستئقال ، وبقية ملحقة به ومقفاة على اثره ، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه مثل : «صص» ، ظس ، ظك ، نط ، ضس ، ضك ، شص ، شك ، وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشتقة على النفس لتكلفه ، وكذلك نحو « قج ، جق ، قق ، فك ، كج ، جك » . وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف أعني الفم ، فان جمع بين اثنين منها قدم الأقوى على الأضعف نحو : « أهل ، أحد ، أخ ، عهد ، عهر » . وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما نحو : « أرل ، وند ، وطد » . ويدل على أن الرء أقوى من اللام أن القطع عليها أقوى من القطع على اللام ، وكان ضعف اللام إنما أتاهما لما تشرب به من الفنة عند الوقوف عليها !! وكذلك لا تكاد تعتاص اللام ، وقد ترى إلى كثرة اللثغة في الرء في الكلام . وكذلك الطاء والتاء هما أقوى من الدال ، وذلك لأن جرس الصوت بالتاء والطاء عند

الوقوف عليهما أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدال وأنا أرى أنهم إنما يقدمون الأقوى من المتقاربين من قبل أن جمع المتقاربين يشغل على النفس ، فلما اعتمزوا النطق بهما قدموا أقواها لأمرين : أحدهما أن رتبة الأقوى أبداً أسبق وأعلى ، والآخر أنهم إنما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفساً وأظهر نشاطاً فقدم أثقل الحرفين وهو على أجمل الحالين كما رفعوا المبتدأ لتقدمه فأعربوه بأثقل الحركات وهي الضمة ، وكما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخره ... الخ .)
إلى أن يقول ابن جنبي في آخر هذا الفصل : (وتخطوا بذلك إلى اهما ل بعض الثلاثي لا من أجل خفاء تركيبه بتقاربه نحو : « صص ، صس » لكن من قبل أنهم حذوه على الرباعي كما حذوا الرباعي على الخماسي ، إلا ترى أن « لجع » لم يترك استعماله لثقله من حيث كانت اللام أخت الرء والنون ، وقد قالوا : « نجع فيه ، رجع عنه » ، واللام أخت الحرفين ، وقد أهملت في باب « اللجع » فدل على أن ذلك ليس للاستئقال) انتهى كلام ابن جنبي !!

وكلما مررنا بتلك الإشارات السريعة التي نصادفها في ثنايا كتب القدماء من المستعمل والمهمل من جذور اللغة ، أو عن توالي الحروف وما يجتمع منها وما لا يجتمع ، أحسنا أنهم كانوا في شبه صراع رهيب ومحاولة يائسة لعلهم يصلون إلى نسبة صحيحة في الإحصاء أو الاستقراء . فإذا روي عن الخليل أنه قال : (ليس في كلام العرب شين بعد لام ولكن قبلها ، كلها قبل اللام) ، رد عليه الأزهري قائلاً : (وقد وجد في كلامهم الشين بعد اللام ، قال ابن الأعرابي وغيره : رجل « لشلاش إذا كان خفيفاً » ، ثم يروي لنا بعض المعاجم أيضاً كالقاموس المحيط للفيروزآبادي أن الفعل « لشا » معناه خس بعد رفعه !!

ومن الإشارات السريعة التي جاءت في كتب القدماء بصدد نسبة شيوخ الحروف في اللغة العربية قول ابن دريد في مقدمة معجمه الجمهرة (وأعلم أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب : الواو ، الياء ، الهمزة ، وأقل ما يستعملون لثقلها على سنتهم : الطاء ، ثم الدال ، ثم التاء ، ثم الشين ، ثم القاف ، ثم الخاء ، ثم الفين ، ثم النون ، ثم اللام ، ثم الرء ، ثم الباء ، ثم الميم) !!

تفصيلا ما جاء في عروس الافراح للسيبكي (2) ،
ونقتبس هنا بعض فقراته :

(تنبيه : رتب الفصاحة متقاربة ، وان الكلمة
تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف الى حرف لا
بلائمه قريبا او بعدا) .

ثم يذكر المؤلف الحالات الست للجدر الثلاثي
على اساس ان الحرف قد يكون مخرجه من الطلق
كالعين مثلا ، او مخرجه من الفم كالادل مثلا ، او
مخرجه من الشفتين كالباء مثلا . فالحروف الثلاثة
ع ، د ، ب ، يمكن ان يتألف منها ست صور هي :

ع د ب ، ب د ع ، د ب ع ، ع ب د ، د ع ب ،
ب ع د . ثم يتحدث المؤلف عن اكثر هذه الصور
شيوعا واقلها شيوعا فيقول ما نصه : (اذا تقرر هذا
فاعلم ان احسن هذه التراكيب واكثرها استعمالا ما
انحدر فيه من الاعلى « يريد حرفا مخرجه الحلق » الى
الاوسط « يريد حرفا مخرجه الفم » الى الادنى « يريد
حرفا مخرجه الشفتان » (3) ، ثم ما انتقل فيه من
الاوسط الى الادنى الى الاعلى ، ثم من الاعلى الى الادنى
الى الاوسط ، وما انتقل فيه من الاوسط الى الاعلى
الى الادنى فهما سيان في الاستعمال وان كان القياس
يقتضي ان يكون ارجحهما ما انتقل فيه من الاوسط الى
الاعلى الى الادنى . واقل الجميع استعمالا ما انتقل
فيه من الادنى الى الاعلى الى الاوسط) . انتهى كلام
عروس الافراح . والمؤلف في كل الحالات السابقة
يريد بقوله الاعلى حرفا مخرجه الحلق ، وبالادنى حرفا
مخرجه الشفتان ، وبالاوسط حرفا مخرجه الفم .

واخيرا وليس آخرا تلك الضوابط المشهورة
التي عني بها امثال « الجواليقي » في كتابه « المعرب
من الكلام الاعجمي » ، والشهاب الخفاجي في كتابه
« شفاء الفليل » حين يشار في هذين الكتابين الى ما
يمكن ان يعد علامات لتمييز الكلمة العربية من الكلمة
الاعجمية وهي :

(1) لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، الاصل ،
ولذلك تعد كلمة مثل « المنجنيق » من الالفاظ
الاعجمية .

واهم ما نلاحظه على اشارة ابن دريد المقضبة
انها لم تتضمن الا نصف حروف الهجاء ، وان النسخ
المخطوطة لهذا المعجم قد اختلفت في شأن حرفين
من الحروف المذكورة هنا ، فبعضها يذكر الدال بدلا
من الذال ، ويذكر العين بدلا من العين !!

واما الجاحظ فبرغم كثرة مؤلفاته وضخامتها لا
نرى له سوى سطر واحد في البيان والتبيين يقرر فيه
ان : الباء ، اللام ، الالف ، الراء ، اكثر الحروف ترددا
من غيرها ، وان الحاجة اليها اشد !! ثم يذكر لنا كيف
اهتدى الى ذلك في تعبير طريف يقول فيه : (واعتبر
ذلك بان تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب
الناس ورسائلهم ، فانك متى حصلت جميع حروفها
وعددت كل شكل على حدة علمت ان هذه الحروف
الحاجة اليها اشد) !!!

وجاء في مقدمة لسان العرب لابن منظور : (واما
تقارب بعض الحروف من بعض وتباعدها فان لها سرا
في التعلق يكشفه من تعناه كما انكشف لنا سره في
حل المترجمات لشدة احتياجنا الى معرفة ما يتقارب
بعضه من بعض . فان من الحروف ما يتكرر ويكثر
استعماله وهو : ا ، ل ، م ، ه ، و ، ي ، ن . ومنها ما
يكون تكراره دون ذلك وهو : ر ، ع ، ف ، ت ، ب ،
ك ، د ، س ، ق ، ح ، ج . ومنها ما يكون تكراره اقل
من ذلك وهو : ظ ، غ ، ط ، ز ، ث ، خ ، ض ، ش ،
ص ، ذ . ومن الحروف ما لا يخلو منه اكثر الكلمات
حتى قالوا ان كل كلمة ثلاثية فصاعدا لا يكون فيها حرف
او حرفان منها فليست بعربية وهي ستة احرف :
ر (1) ، ب ، م ، ن ، ل ، ف . ومنها ما لا يتركب
بعضه مع بعض اذا اجتمع في كلمة الا ان يقدم ، ولا
يجتمع اذا تأخر وهو : ع ، ه ، فان العين اذا تقدمت
تركبت واذا تأخرت لا تتركب ، ومنها ما لا يتركب اذا
تقدم ويتركب اذا تأخر وهو : ض ، ج ، فان الصاد اذا
تقدمت تركبت واذا تأخرت لا تتركب ، ومنها ما لا
يتركب بعضه مع بعض لا ان تقدم ولا ان تأخر وهو :
س ، ث ، ض ، ز ، ظ ، ص ، فاعلم ذلك) .

واما اشهر ما عرف عن علماء البلاغة بهذا الصدد
فنراه في اثناء حديثهم عن التعقيد اللفظي ، واكثره

(1) ذكرت في المعجم على انها « دال » ومن المؤكد انه تصحيف .

(2) شروح التلخيص ج 1 ص 94 ، 95 .

(3) لعل هنا نقصا في النص وتكلمته « او عكسه من الادنى الى الاوسط الى الاعلى » .
وهذه التكملة لكن تتمم الصور الست للثلاثي .

(2) لا تجتمع الصاد والجيم فى الكلمات العربية ،
فمثل « صولجان » مما اقترضه العرب ، وكذلك
كلمة « الجص » .

(3) لا تقع النون وبعدها راء فى اللفظ العربي ، فمثل
« نرجس » كلمة أعجمية .

(4) لا تكون الزاي بعد دال فى كلمة عربية ، فمثل
« مهندز » كلمة أعجمية ، وهى الكلمة التسي
تغيرت فيما بعد حتى صارت على الصورة المألوفة
الآن « مهندس » .

(5) لا تجتمع الزاي او الذال مع السين ، فكلمة
« ساذج » معربة عن الفارسية .

(6) لا تقع الطاء مع الجيم فى كلمة عربية ، ولذلك
عدت كلمة « الطاجن » أعجمية .

(7) لا تخلو الكلمة العربية حين تكون رباعية الاصل
او خماسية الاصل من حرف من حروف الذلاقة
وهى : اللام ، الراء ، النون ، الميم ، الفاء ، الباء ،
فيما عدا كلمة « عجد » بمعنى الذهب .

اما بعد : فإزاء كل ما تقدم هنا من نصوص وردت
فى كتب القدماء كنت الى عهد قريب أشعر بالدهشة
والحيرة ، وأتمنى لو أتاحت لنا فرصة لاعادة الاحصاء
والاستقراء عن طريق تلك الآلات الحاسبة الحديثة
التي اشتهرت باسم العقل الالكتروني او «الكومبيوتر»

ثم حانت الفرصة فى العام الماضي حين دعمتني
جامعة الكويت لزيارة كانت برغم قصر زمنها ، مباركة

فى نمارها . فقد اتصلت بأستاذ الفيزياء المصري
والمعار لجامعة الكويت الدكتور علي حلمي موسى
وكنت أعلم أنه من امهر المتخصصين فى استخدام
الكومبيوتر . وعقدنا معا عدة جلسات علمية شرحت
فيها فكرة الاحصاءات اللغوية وأهميتها فى البحث
اللغوي ، ثم كان أن اتفقنا على البدء بدراسة احصائية
لجذور اللغة كما جاءت فى معجم الصحاح للجوهري .

ورضع استاذ الفيزياء ما يسمى فى استخدام
الكومبيوتر بالبروجرام ، وشحن ذاكرة الكومبيوتر
بنصوص المعجم ، ثم استملى ذلك الجهاز العجيب
فأملى عليه نتائج احصائية رائعة نسقت فى عشرات
من الجداول ، وبذلك تحقق ذلك العمل العلمي الرائد
الذي سعدت بأن يكون لي فيه حظ التوجيه والارشاد .

وطبعت جامعة الكويت تلك النتائج الاحصائية
فى كتيبين تحت عنوان « دراسة احصائية لجذور
مفردات اللغة العربية » ، ووزعتها على كل أعضاء
المجامع اللغوية فى العالم العربي ، وعلى أقسام اللغات
والرياضيات فى الكليات الجامعية .

وهكذا نرى أن اصحاب العلم الحديث قد قالوا
كلمتهم بصدد الاحصاء اللغوي ، وبقي علينا نحن
اللغويين أن نفيد من تلك الاحصاءات فى بحوثنا ، ولا
أشك لحظة فى أن اللغوي الحديث سيهتدي عن طريق
تلك الاحصاءات الى تفسيرات جديدة وأصيلة لكثير
من ظواهر لغتنا العربية ، وأعمل الآن جاهدا رجاء
الاهتداء الى بعض آثار الكومبيوتر فى البحث اللغوي .
وبالله التوفيق .

وكان لذلك طبيعيا ان يموت بعضهم بالسل والاسقام،
وينتحر بعضهم كذلك : فقد قضى (تاركيتي)
بالسل وعمره ثمانية وعشرون عاما ، وقضى
(كامبرانا) منتحرا ، ومات أشهرهم (براغا) صغير
السن لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره .

عند ظهور هذه المدرسة المسلوقة - أو فلنقل
« المسطولة » ! - كان فيرغا في حدود الثلاثين من
عمره، وفي عز انتشارها كان قد وصل الى فلورنسا،
ثم انتقل قبل وفاتها الى ميلانو - مهد هذه الحركة
وقبرها - وفي هذه الفترة جاءت أعماله الأدبية
مزيجا مضطربا من اثر الواقعية الفرنسية ، والتمردية
الفوضوية الميلانية - مدرسة ذوي الشعور
الشمث - . وهذه الاعمال التي انتجها فيرغا هي :
(خاطئة - Una Peccatrice) و (حكاية بلبل -
Storia di una capinera) والنمر الملكي -
(Tigre Reale) و (ايسروس Eros)
(حواء Eva) .

وعلى الرغم من ان فيرغا قد وضع هذه
الروايات بعيدا عن الارض الصقلية ، وفي وسط
المدن الشمالية الكبيرة الملائم بالنشاط والحياة ، الا
انه كان يعيش بروحه في ارضه الصقلية ، ومنها ظل
يستمد الهامه وشخصه وصوره . وعلى الرغم من
النجاح الذي لقيه هذه الروايات ، فانها لم تبلغ
السمت الفني الذي كان فيرغا يتوق الى تحقيقه .
ولم يهتد الى حقيقته الفنية الا حين سلك سبيل
الواقعية الأدبية ، فهناك رسخت شهرة فيرغا بين
عمالقة الادب الإيطالي ، ولاسيما حين ظهرت رواياته
الشهيرتان (I Malavoglia) (Mastro Don Gesualdo)
المستمدتان من واقع الحياة الصقلية الكادحة ،
المذعنة للقدر الرهيب ، وحين أصبح شخصه ممن
يدعوهم باسم المغلوبين - Vinti) لان الاقدار هي
التي تسيروهم بارادتها دون ان يكون لهم فيها رأي ،
ولا في تبديلها يد .

ولا في تبديلها يد؛ بدأت الفترة الجديدة في حياة فيرغا
الأدبية بقصة عنوانها Nedda ظهرت عام 1874 ، ثم
تلاها بعدد من المجموعات القصصية الواقعية الأخرى
في كتبه التالية: (حياة الحقول - Vita dei campi)
1880 ، و (خبز أسود - Pane nero) 1882 ،
و (أقاصيص قروية - Novelle rusticane)
1883 و (في الطرقات - Per le vie) وغيرها .
الا ان فيرغا بلغ الذروة في روايته (أسرة -

بمزايهم الإيجابية ، واستسلامهم الى الالم والبؤس،
ودفاعهم عن الشرف ، وما الى ذلك . وهذه الزايا
كلها نجدها مصورة أدوع تصوير في آثار فيرغا
الأدبية المستمدة من الحياة الصقلية الشعبية
الكادحة ، المستلما الى المصير المحتوم .

فمن هو جوفاني فيرغا هذا ؟

ولد فيرغا في مدينة كاتانيا ، في صقلية ، عام
1840 ، وتوفي في عام 1922 ، بينما ولد زميله
كابوانا - وهو ايضا من كاتانيا - قبله بعام واحد ،
اي عام 1839 ، وتوفي قبله بسبعة اعوام ، اي عام
1915 .

ولقد احس فيرغا منذ حداثة بميل شديد الى
الاداب ، وبحاجته الى بيئة تساعد على تغذية ميله
هذا . وفي عام 1865 غادر صقلية الى فلورنسا
حيث وجد البيئة التي يريد . فاقام فيها مدة ،
ثم انتقل منها الى ميلانو ، وهناك بدأت حياته
الأدبية بدايتها الجديدة . فاقام في ميلانو الى ان عاد
منها عودته النهائية الى مسقط رأسه - كاتانيا -
حيث توفي عام 1922 .

في الفترة التي بدأ فيها فيرغا حياته الأدبية
كانت الحركة الأدبية الواقعية واسعة الانتشار في
فرنسا وأوروبا ، وكانت قد ظهرت كذلك حركة
أدبية جديدة في مدينة ميلانو نفسها ، اطلق على
اصحابها اسم (ذوي الشعور الشمث) وبالإيطالية
(Scapigliati) - وهي أشبه بحركة الخنافس،
او الهيبين في يومنا هذا - فهي مدرسة تمردية ،
قليلة الانصار ، قصيرة العمر جدا : اذ لم يزد عدد
كتابها وشعرائها البارزين على الستة ، وهم :
(Giuseppe Rovani) مؤسس هذه الحركة
وزعيمها ، و (Iginio Tarchetti) و
(Giovanni Camerana) و (Carlo Dossi) و
(Emilio Praga) وهذا أشهرهم ، وأخيرا
(Arrigo Boito) . اما عمر هذه الحركة فلم
يزد على عشر سنوات (من 1860 الى 1870) .

لقد اراد هؤلاء الروائيون والشعراء الشبان ان
يتمردوا على مثالية المدرسة الرومنسية وحساسيتها
المفرطة ، ولكنهم انغمسوا كل الانغماس في حياة
فوضوية بوهيمية ، وفي الكفر بالله والانسان
والوطن والفن ، وبكل المثل العليا في الحياة ،
ومضوا يشدون النسيان في تعاطي الخمر والافيون .

هذه الفقرة اخترتها من كتاب (تاريخ النقد الفيرغوي - (Storia della critica Verghiana) لصديقي الكاتب الإيطالي (Giorgio Santangelo) الاستاذ في كلية الآداب في جامعة باليرمو . وكنت قد قرأت هذا الكتاب النفيس قبل ان اشروع في دراسة آثار فيرغا ، لكي يساعدني على فهم هذه الآثار الادبية فهما صحيحا . والحقيقة انه افادني كثيرا بان اطلعني على آراء العديد من النقاد الإيطاليين في فيرغا وأدبه ، حتى لقد خيل الي انه لم يبق جانب من جوانب فيرغا الفنية الا اشيع درسا وتحليلا .

وحين عكفت على دراسة روايتي فيرغا الكبيرين (اسرة مالا فوليا - والمعلم السيد جيزوالدو) وجدت ان هناك نقطتين جديرتين بالنقاش والتحليل رغم كل ما قاله النقاد في اعمال فيرغا الادبية . وانا في هذه المعجاة اقتصرت على هاتين الروايتين وحدهما من بين انتاج فيرغا كله .

النقطة الاولى تتعلق بالحمية القدرية (Fatalismo) التي يراها النقاد في آثاره ، والتي اراها انا بطولة ورجولة ، لا خنوعا لقدر محتوم لا يمكن قهره .

ويبدو لي ان هذه الحمية التي يراها نقاد فيرغا قد اصبحت لديهم ماركة مسجلة بالنسبة الى اعماله الادبية ، ولاسيما الواقعية منها ، فهو عندهم لا يعرف الا بها .

وحين تذكر هذه الحمية ينصرف ذهننا الى قطمان بشرية مدعنة لمسيرها المحتوم : تسير بعيون مغمضة ، ورؤوس منحنية خنوعا ، ولا تدري - او لعلها لا تملك ان تدري ، او تسال - ان كانت تساق الى المسلخ ام الى المرعى ، لان ارادتها مشلولة ، ومسيرها مخطوط منذ الأزل في لوح القدر من نقطة انطلاقها حتى النهاية .

ولكن هل كان كذلك حقا ابطال فيرغا ؟ (اكرر هنا أنني اتحدث عن «اسرة مالا فوليا ، وجيزوالدو» بنوع خاص لثلا ازيد الموضوع اتساعا ، واطلق الجناحين اكثر مما يجب) .

فلنحاول ان نأتي نظرة سريعة على كل من هاتين الروايتين لكي نصل من ذلك الى حيث نضع اصابعنا في موضع الجراح من اولئك (الابطال) الذين يابى فيرغا الا ان يدعوهم باسم (المفلويين ، او الميزومين - (Vinti) :

مالا فوليا - والمعلم السيد جيزوالدو) ، وقد ظهرت الاولى عام 1881 ، والثانية 1889 . ويمكن ان تضاف اليهما روايتان اخريان ، هما : (زوج الينا - (Il marito di Elena) عام 1882 ، و (من حصتك على حصتي - Dal tuo al mio) عام 1906 .

في هذه الروايات انصرف فيرغا قبل كل شيء الى النظر الى الانسان في عفوية احساسه واعماله ، والى الدنيا في الاعيب الاقدار العجيبة وتحكمها بمصائر البشر . فهو شديد العطف على الضعفاء ، والمعتوهين ، والمفلويين على امرهم الذين يحنون رؤوسهم لمشيئة القدر المستبد ، يتفهمهم بعطف عميق حتى في اخطائهم .

وقد اهتدى فيرغا اذن الى نفسه ، اذ عاد بروحه وقلمه من دنيا القصور الباذخة والحياة المترفة في المدينة الصاخبة ليستروح عيبر ارضه انصقلية ، ويعيش مع شعبه ، ويتذوق طعم الخبز البيتي اللذيذ . لقد افلحت الواقعية في ان تجعله يعيش بسلام مع نفسه ، ويستمد فنه مما كان يعيش في اعماق نفسه من بيئته الصقلية الاولى .

صحيح ان معاصري فيرغا كانوا قد استقبلوا رواياته واعماله الادبية بشيء من البرود وقللة الاهتمام ، غير انه ما كادت تميل شمس الواقعية الى الغروب ، وتصبح شيئا من حصاة التاريخ الادبي ، حتى اصبحت تلك الروايات والاقاصيص مشار الاعجاب الواسع لدى القراء والنقاد ، واخذت مكانتها الرفيعة بين روائع الآثار الادبية الكلاسيكية .

— * —

« ان فيرغا اليوم واحد من اوسع الكتاب شهرة وذبوعا في الادب الإيطالي .. وعلى الرغم من تغير الظروف التاريخية لا يزال اكثر ما يكون حياة في ضمير الاجيال الجديدة التي تعتبره الكاتب الذي مجد اعظم الاخلاق الانسانية نقاء ، والمجد الاكبر لقداسة الحياة ، ولنضال الرجولة اليومي للبقاء .. واغانيه تظل ضمن نطاق الانسانية ، الا انها تسمو على انسانيتهما بتحمل الالم برجولة حقة . هذه هي رسالة فيرغا الاجتماعية : فالاب نتونسي هو رمز للعظمة الانسانية السامية التي تعرف كيف تؤلف بين شريعة الحياة المتألمة وشريعة الله » .

2 - المعلم السيد جيزوالدو -
MASTRO DON GESUALDO

كان جيزوالدو بناء ، وابن قروي يملك فرنا
لنجير (مشيدة) . ناضل نضالا عنيدا منذ طفولته
ضد يؤس الفقراء وفاقتهم : « حمل الكثير من
الحجارة على منكبيه .. وقضى العديد من الايام دون
خبز » (ص 76) . لقد عمل اجيرا ، وبناء ،
وعديدا من الحرف الاخرى ، ولكنه كان دائما مصمما
على الانتصار على ظروفه الاليمة ، والتغلب على
عناد الاقدار . وبفضل عمله المتواصل دون ملل او
تعب استطاع ان يتغلب على الظروف المسيرة ، وان
يقترن بفتاة تدعى (بيانكا تراو - Bianca Trau)
كانت الاخيرة من اسرة نبيلة خفض الزمان جناحها .
غير ان هذا الزواج ، الذي فرضته على الطرفين
المصالح المادية وليس الحب المتبادل ، يصبح بداية
لمصائب خطيرة ، ثم يفضي الى الدمار . والثمرة
الوحيدة لهذا الزواج ، وهي الابنة ايزابيلا ، تعيش
بعيدة عن ابيها الذي تخجل من اصله الوضيع ، ثم
تصبح زوجة لاحد دوقات باليرمو . وتموت الزوجة
(بيانكا) بالكوليرا ، ويصاب جيزوالدو نفسه
بالسرطان ، فيقضي ايامه الاخيرة في قصر زوج
ابنته في باليرمو ، ويموت بعد ذلك وحيدا يائسا بعد
ان يرى ضياع الثروة التي جمعها بكده وعرقه
المتواصلين جميعا ، والتي كانت اعز عليه من حياته .
وتقول الرواية انه « هناك ، امام الثروة التي يملكها ،
اقتنع بأنه انتهى حقا ، وان كل امل له قد ضاع ..
انه يود لو يستطيع ان يدمر بضربة واحدة كل الثروة
التي جمعها شيئا فشيئا . يود لو امكن ان تذهب
املاكه معه ، قانطة يائسة مثله ! » (ص 347)

في البداية تستولي اخت جيزوالدو وزوجها على
املاكه وثروته ، غير ان زوج ابنته لا يلبث ان يستولي
على كل شيء رغم احتجاج الشيخ جيزوالدو
المحتضر الذي « كان بطنه منتفخا كالقربة ..
والانياب الكلبية في داخله تنهش كبده نهشا »
(338)

— * —

في هاتين الروايتين نلاحظ كيف جعل فيرغا
الجمعية القدرية تسيطر من البداية الى النهاية ، او
هكذا ارادها ، لان فيرغا يرى « ان الناس - اختيارا
كانوا ام اشرارا - يجشم عليهم كابوس محتوم
صارم - كما يقول باسكواله لامانا في الجزء الثالث

1 - اسرة مالا فوليا : MALAVOGLIA

في هذه الرواية لدينا عدة ابطال ، غير ان
الرئيسيين منهم ثلاثة ، هم : السيد نتوني -
والدار ، وتدعى باسم « دار الزعرورة »
Casa del nespolo والمركب ، ويدعى باسم
« العناية » (Providence) . وتتألف اسرة
مالا فوليا من : الشيخ نتوني ، والابن باستياناسو .
والكنة ماروتسا (Maruzza) وتدعى ايضا
(La Longa) ، وكذلك من الاحفاد (نتوني -
لوكا - مينا Mena - اليسندر) ويدعى ايضا
مصفرا ، اليسى - ثم ليا) . انها اسرة من صيادي
الاسماك يحاول افرادها ان يتعاونوا فيما بينهم على
العيش من مهنة واحدة . وفي احدى السنين العجاف
يحاول السيد نتوني ان يتغلب على الفقر والجوع
بتجارة انترمس (Lupini) ولاجل ذلك يستدين
من احد المرابين (واسمه كروتشيفيسو) خمسمائة
ليرة . غير ان عاصفة نهب على المركب فتفرقه مع
حملة من الترمس ، ويفرق معهما كذلك الابن
باستياناسو . اما المركب فينتشل ويعاد اصلاحه
للعمل من جديد ، واما الدين فيظل دون تسديد
رغم كل المحاولات والجهود التي يبذلها الشيخ نتوني
وسائر الاسرة . واخيرا تضطر الاسرة الى التخلي
عن الدار العزيرة - دار الزعرورة - ثم عن المركب -
العناية - لتسديد الدين . وحين تتجرد الاسرة من
الدار والمركب تأخذ المصائب في التوارد عليها :
فتموت الكنة بالكوليرا ، ويقضي الحفيد لوكا في معركة
بحرية ، والحفيد الآخر نتوني ، بعد ان يخدم في
الجندية ، يعود الى البطالة ، وينغمس في اعمال
التهرب ، وبالتالي يدخل السجن ليقتضي فيه خمس
سنوات في القيود لظنه ضابط الحرس في اثناء
معركة ليلية بين حرس الجمارك والمهرين . وبعد
ذلك تغادر الحفيدة ليا المنزل ولا يعود احد يراها .
ويموت كذلك الشيخ في احد المستشفيات بعد ان
اثقلته السنون والمصائب معا . والحفيدة (مينا)
لا تجد زوجا بسبب المصائب المتلاحقة التي تنصب
على بيت مالا فوليا ، فتتصرف الى العناية باخيها
الاصغر (اليسى) واسرته . واليسى هذا هو
وحده الذي يتزوج جارة له تدعى (نونسيانا -
Nunziata) ويتمكن من استعادة الدار التي كان
استردادها آخر امنية للجد قبل احتضاره . وبعدئذ
يخرج الحفيد نتوني من السجن ويمضي بعيدا الى
حيث لا يستطيع احد ان يعرفه .

من كتابه (تاريخ الادب الايطالي) ص 112 - يجتث كل طموح لهم نحو الرخاء ونحو الطمانينة ، ويعاقب بقسوة ظالمة كل ارادة لهم للخروج من قسرتهم ، والارتقاء فوق ظروفهم الاجتماعية .

ومع ذلك فان هناك، الى جانب الاقدار والكابوس الصارم ، شيئاً آخر هو « البطونية » ، هو الصمود حتى النهاية في النضال الذي يرافق سائر احداث اسرة ملافوليا والمعلم جيزوالدو . ان البطولين التاعسين لا يرضخان للمصائب، ولا يتحنين امام المصائب والعواقب الرهيبة التي يضعها القدر في طريقهما ، بل يسيران رافعي الرأس دون ان يعرفا اليأس والهزيمة .

ان الحتمية القدرية ليست حقيقة مطلقة في الحياة ، بمعنى ان الانسان يجب ان يحني رأسه مستلماً لها دون نضال . وكذلك هي في روايتي فيرغا : في حياة اشخاصه وتصرفاتهم ومعتقداتهم . انها ليست حقيقة مطلقة لا يمكن التغلب عليها بقوة الارادة ورجولة النضال ، بمقدار ما هي عقيدة ميطرة على تفكير المؤلف نفسه . ان فيرغا يلج كل اللاحق في ابرازها في رواياته . وعلى الرغم من انها ليست حقيقة لا علاج لها ، الا ان المؤلف يبحث عنها عامداً ، ويريدنا دون علاج لابطاله الذين يدعوهم (المفلوبين) لكي يحدد لهم قسمتهم تحديداً قسرياً منذ الازل : اي ان « يعملوا ويتألموا » - كما يقول الناقد الايطالي ساينيو (Sapegno)

ان اشخاص فيرغا ليسوا من اختراع خياله . هذا صحيح ، ولكنهم مخلوقات آدمية ينتقيها هو من الواقع البائس انتقاء بلحمها ودمها ، ويعرضها على المسرح لكي تمثل ادوارها الحقيقية التي يلازمها اليأس والتحس . غير أننا في هذا الواقع الذي يعرضه لنا المؤلف نلمس لدى فيرغا ميلاً طبيعياً - أو هل نقول « حتمياً » ، حسب اعتقاده بالحتمية ؟ - الى المأساة اكثر منه الى الملهة، او الى بساطة الحياة وعاديتها . وقد يكون ذلك لان حياة جزيرة صقلية كانت حينئذ - كما صورها فيرغا ، وكما صورها من بعده جوزيبي تومازي دي لامبيدوزا في روايته (الفهد) او (Il Gattopardo) كما هو عنوانها بالايطالية ، بكثير من الاغراق في التشاؤم - منفسى مليئاً بالتعاسة والجهل والفقر والظلم .

يقول ماتزوني (Mazzoni) : « ان المؤلف يعطينا اشخاصه كما يريدهم هو ، ويجعلهم يتصرفون

كما نحب نحن ، حتى في اكثر حركات حياتهم سرية . انه يسمع اشد اصواتهم خفاء ، ويتجسس حتى على تنهداتهم في ليالي الارق » . . . وأنا احب ان اضيف هاهنا ان فيرغا يستحضر اشخاصه ومعهم بيئاتهم الحقيقية . وعلى الرغم من انه كان يصير دائماً على ان فنه لا صلة له بشخصه ، وينفي الذاتية عنه ، فان ما يضعه من كلام على افواه اشخاصه ينسجم كل الانسجام مع البيئة النفسية والروحية التي يحسها هو نفسه ويريد ابرازها ، اي مع عالمه الخاص . وطبيعي انه يقدم لنا الحقائق في لمسات من يدفنان بارع ، لا وقائع تاريخية مجردة من حياة الجزيرة فحسب . والمساكين الذين يناضلون لاجل الرغيف ولاجل السلام في جزيرتهم هم وحدهم الاشخاص الذين يعتمد فيرغا اختيارهم ليفصل على قياسهم فكرته الخاصة في القدرية وفي المصير المحتوم وجبروته . غير أننا نراهم ، رغم الهزائم المريرة ، على استعداد دائم لمتابعة النضال بكل جدارة ، ومن غير هدنة . صحيح انهم قد ينتهون الى الخيبة والقنوط ، ولكنهم يسقطون سقوط الابطال ، لا سقوط الضعفاء والجبناء ، وفي بعض الاحيان قد يبلغ نضالهم - ولو متأخراً جداً - الى النصر ، والى استرداد المتاع الذي فقدوه ، كما رأينا في (اسرة ملافوليا) وفي بعض جوانب في (المعلم السيد جيزوالدو) ايضاً ، كما سأشرح ذلك في ما يلي :

في (اسرة ملافوليا) يناضل الشيخ نتوني طويلاً ، وتناضل معه أسرته كلها كذلك ، لكي يتوصلوا الى استرداد (دار الزعرورة) . غير ان السيد نتوني نفسه لا ينتصر ، لسوء حظه ، الا بعد موته : ففي اللحظة الاخيرة يبشره حفيده اليسي بانه استطاع ان يسترد الدار . كان السيد نتوني حينئذ على عتبة العالم الآخر الذي لا عودة منه ، غير انه احس بأن الحياة لم تخدعه خداعاً تاماً ، وبأن العدالة ما تزال توجد على الارض .

واليكم ما تقوله الرواية :

« حين اخبروه بعد ذلك انهم استعادوا دار الزعرورة ، وارادوا ان يعيدوه معهم الى (تريسا - Trezza) من جديد - كان حينئذ في المستشفى طبعاً - اجاب بنعم ، ثم نعم ، بعينيه اللتين عادتتا الى الاشراق ، وكاد فمه ينفرج عن ضحكة عريضة : ضحكة اولئك الذين ما عادوا يعرفون الضحك ، او الذين يضحكون للمرة الاخيرة . ولكن الضحكة ظلت

ساعة واحدة مثل تلك الساعات التي كان يستمتع بها اخوه (سانتو) على حبايه في الحانة « (ص 78) .

وعلى الرغم من كل هذا اليأس والعناء فان دون جيزوالدو لم يكن قط رجلا متخاذلا : لم يستسلم الي مشيئة القدر ، بل كان يريد ، بأي ثمن ، ان « يخرج من قشرته ويرتقي فوق ظروفه الاجتماعية الاصلية » . وقد رأينا في ما تقدم كيف استطاع بفضل عمله الدائب وتصميمه الحازم ان يصل الي مكانة اجتماعية مرموقة يحترمها الآخرون ، وان يصبح مرهوبا حتى لدى الشخصيات البارزة الضخمة في بلده ، وان يقترب بفتاة من أسرة ارسقراطية . حتى ابنته الوحيدة اقترنت بأحد دوقات باليرمو .

صحيح انه في النهاية كان لابد ان يقضي بالسرطان ، الا انه مات بطلا لا خاملا وضيعا . وعدا ذلك - وهذا مهم جدا - مات جيزوالدو واثقا من ان ابنته - ثمره زواجه الوحيدة - لن تعرف اليأس والحرمان ، بل ستتمتع بثمره تضحيتها وكفاحه .

ومن هم الذين كافحهم المعلم جيزوالدو ؟

لقد كافح الجميع ، وكافح كل شيء : كافح اليأس ، وضعة الاصل ، وقسوة الحياة ، وكبار الشخصيات في البلد ، وتحكم والده المتعنت ، وحسد اخيه وجشعه ، وكافح كذلك حسد شقيقته وزوجها ، بل لقد كافح حتى (تاني - Tanni) الانتهازي ، وهو ليس سوى زوج لخادمتة (ديوداتا - Diadata) . . . وكذلك كافح حقد الاخوين (تراو) شقيقي زوجته ، كما كافح غرور صهره التدوق ، ومساوي الكاهن (دون لوبي) وخيشه . وكافح الملاريا ، وقوى الطبيعة التي تماكسه في صف خصومه الناقمين الحاسدين . وفي كل مرة كان جيزوالدو يخرج من هذا الكفاح منتصرا ، حتى اللحظة الاخيرة التي ادار فيها وجهه نحو الحائط - كما فعل والده من قبله - « وبردت اطرافه فجأة ، ثم سكتت حركته نهائيا » - كما يقول المؤلف (ص 367)

لقد مات السيد جيزوالدو والسيد نتوني مالا فوليا قانطين ، هذا صحيح ، ولكنهما ماتا بكرامة وانفة . كانا من الابطال الحقيقيين الذين يظلون متكبيين سلاحهم حتى النفس الاخير في كفاحهم ضد حتمية الاقدار . وهذه البطولة في الصراع

مفروسة في قلبه كالنصل . ذلك ما جرى لاسرة مالا فوليا حينما عادوا يوم الاثنين في عربة (العم الفيو) ليعيدوا جدهم معهم الي المنزل فلم يجدوه « (ص 245)

اذن فقد انتصر السيد نتوني على حياة الفقراء المريرة بنضاله الذي لم يكن لنفسه فحسب ، ولا اينال النصر وحده : بل لتظل ثمره لاحفاده من بعده . ان النصر يظل دائما نصرا ، ولا يقلل من أهميته موت المحاربين الشجعان : فالنصر الحقيقي لا يجيء من دون تضحية . في جميع الحروب هناك من يحارب ويسقط لاجل الآخرين ، وآخرون يفوزون بمكاسب تلك التضحية . فالحارب انما يحارب لكي ينتصر وهو يعلم حق العلم بان الموت ينتظره في الحرب ، غير ان تضحيته لا تذهب عبثا الا اذا لم يستفد احد منها من بعده . والتضحية هنا ، ونضال السيد نتوني الطويل الشاق ، استفاد منهما آخر احفاده (اليسى) .

حتى المركب (العناية) انتصر على هياج الامواج والعواصف : كان حينما يمتليء بالمساء حتى ليخشى عليه من الفرق ، وحينما يخرج من مصارعة العواصف محطما . غير انه في كل مرة كان يعاد اصلاحه ، فيعود سليما ومستعدا لصراع جديد مع عاصفة اخرى ، واخيرا تخلى عنه اصحابه الي المرابي كروتشيفيسو تسديدا للدين وهو في حالة جيدة ، وظل يعمل حتى وفاة صاحبه الاول .

اما في رواية المعلم جيزوالدو فان جيزوالدو نفسه هو الذي انتصر . لقد رأينا انه كان قد ولد في اسرة بائسة . واليكم ما تقوله الرواية في حياته النضالية :

« كان في حركة دائبة : يعمل دائما ولا تستريح قدماه ابدا ، من هنا الي هناك ، في البرد والحر والمطر ، وراسه مثقل بالافكار ، وقلبه متضخم بعدم الاستقرار ، وعظامه محطمة من التعب ، لا ينام اكثر من ساعتين اذا تيسر ذلك وكيفما تيسر : في قرنة اسطبل ، او خلف سياج ، في العراء او على الحجارة ، ياكل قطعة خبز اسود حيثما كان : على ظهر البغل ، او في ظل زيتونة ، او على طرف حفرة ، في الملاريا او في دوامة من البرغش لم يعرف الاعياد ولا عطلة الاحد ولا عسرف قط كيف يضحك ضحكة مفتبطة ... ولا وجد لديه

وسأضفي الآن في استعراض هذه الفئات واحدة
واحدة :

1 - المفردات والجمل :

في روايتي فيرغا الكبريين مفردات لا شك في
انها عربية الاصل لفظا ومعنى . ومنها الالفاظ
التالية (وهي كلها من رواية « ما لافوليا » ما عدا
الاخيرة منها فهي من « المعلم جيزوالدو ») :

- | | |
|-----------------|--|
| 1) CATRAME | قطران |
| 2) CARRUBBO | خروب |
| 3) BABAU | بمبع |
| 4) SOMMACCHI | سماق |
| 5) ZAFFERANO | زعفران |
| 6) SATANASSO | شيطان |
| 7) SALAMALECCHI | سلامات ، او مجاملات
(من «السلام عليكم») |

والى جانب هذه المفردات استعمل فيرغا جملا
مركبة ليست ذات لفظ عربي او طبيعة عربية في
كتابتها ، الا ان لها مثيلات في التعبير العربي ،
مما يبدو معه الامر غريبا اذا لم تكن هذ التعابير
تحمل آثار الطابع العربي . واليكم بعض هذه
العبارات ، مع ما يقابلها بالعربية ، واغلبها عامي ،
ولكنني مضطر الى تحويله الى تعبير فصيح ، مع
تقتي التامة من ان في البلدان العربية الاخرى ما
يقابله :

1 - يضع حجرا على الماضي
(جيزوالدو 238)

1) Mettere pietra 'sul passato

2 - من اخذ مالك خذ روحه
(جيزوالدو 321)

2) A chi ti vuol pigliar la roba levagli la vita

3 - يعيء هواء للصيف
(جيزوالدو 271)

3) Prendere il fresco per l'estate

4 - الفسيل القدر لا ينشر على السطوح
(جيزوالدو 275)

4) I panni sporchi si lavano in casa

5 - الامثال لم تكذب قط
(مالا فوليا 14)

5) Il motto degli antichi mai menti'

الانساني لا يجوز ، في اعتقادي ، ان نخضعها لفكرة
انحتمية وتحكم الاقدار ، كما يشاء النقاد الإيطاليون
ان يعتبروها في روايات فيرغا . انها بطولة ، وليست
خضوعا واستسلاما للاقدار .

ونجىء الآن الى النقطة الثانية في روايتي فيرغا
الكبريين ، وهي (السمات والمشابه العربية) التي
جملناها عنوانا لهذه المحاضرة برمتها .

اننا هاهنا نصل الى نقطة فيها شيء من الحرج
ومن اثاره الفضول معا . وما اظن احدا قد اثارها من
قبل ، او اهتدى اليها .

في روايتي فيرغا الكبريين وجدني ازاء بعض
العناصر التي يبدو انها متأثرة بالطابع العربي ،
مباشرة او غير مباشرة ، لان البيئات العربية
واللغة العربية ما يزال فيها الى اليوم ما يشبهها .

ومن المؤكد ان فيرغا لم يكن يعرف ان في
اعماله الادبية مثل هذه العناصر الاجنبية الواضحة .
ولعله لم يخطر بباله قط ان كاتبها عربيا سيجيء يوما
من بلد بعيد في الشرق ليكشف عن سمات عربية
في ادبه .

ولكن التأثير العربي في صقلية امر غير منكور ،
على كل حال ، ولا هو بالشيء الذي يمكن كتمانته ،
فلقد حكم العرب الجزيرة قرنين من الزمن ، وكان
طبيعيًا لذلك ان يتركوا آثارا ملموسة في اهلها ،
ولاسيما اذا عرفنا ان تأثيرهم الاجتماعي والثقافي قد
استمر اكثر من قرنين بعد خروجهم من الجزيرة .

لقد خطر لي في البداية ان اجعل عنوان هذه
المحاضرة ، وبشكل خاص هذا القسم منها : (اثر
العرب في ادب فيرغا) ، غير ان عدم يقيني التام
من هذا التأثير مباشرة جعلني اکتفي بعبارة (سمات
ومشابه عربية) ، وهي اقرب الى المنطق ، وربما
كانت اقرب الى الصحة . وسأحاول في ما يلي ان
ابين المشابه اللغوية والروحية والواقعية بين البيئة
الفيروغوية والبيئات العربية .

ان السمات التي اعنيها يمكن تصنيفها في ثلاث
فئات :

1 - المفردات والجمل

2 - العادات والبيئات الشعبية

3 - الامثال والحكم

المصاب . وهم يحملون الارز ، والشاي ، والخراف ، والدجاج ، والطحين . والقهوة ، وحتى الحطب لطهو الطعام والخبز وما الى ذلك من الحاجات البيئية . والقرويون يؤدون هذه المشاركة اللطيفة لمساعدة أسرة الميت وتعزيتها ، من جهة ، ثم لانه لا يجوز ان تتحمل أسرة الميت وحدها كل النفقات - وهي غير قليلة -

2 - (مالا فوليا - 80) في ما يتعلق ببواعث الشؤم تقول الكنة سانتوتسا : « ان تقود العم كروتشيفيسو تحمل معها الدواهي ! ففي هذه الثيلة ايضا سمعت الدجاجة السوداء تصيح » .

وعندنا ايضا اذا صاحت دجاجة مثل صياح الديك - وليس من الضروري ان تكون سوداء فقط - اعتبر ذلك نذير شؤم ، ولا بد عندئذ من ذبحها فدى عن البيت الذي تصيح فيه .

3 - (مالا فوليا - 93) - كان الحفيد نتوني يريد الاقتران ببيربارة رغم ارادة جده وأمه ، وكان الجد يؤنبه قائلا : « هل ستتزوجها ؟ وأنا من اكون ؟ وأمك ، اليس لها عندك شأن ؟ حين اراد ابوك ان يتخذ له زوجة استشارني في ذلك اولا » .

وفي رواية (المعلم جيزوالدو) كذلك حكاية مشابهة لهذه ، في الصفحة 105 ، حين يسأل خادم الكنيسة السيدة بيانكا تراو اذا كانت ستتزوج السيد جيزوالدو ، فتجيبه بقولها : « اذا كان أخواي قد رفضا ذلك فأني رأي لي ؟ » ثم اضافت : « ان أخواي هما صاحبا الامر ... وهما وحدهما اللذان يقرران » .

وعندنا ، في اكثر البلدان العربية ، ان لم يكن فيها جميعا - وعلى الاخص في القرى والبيئات البدوية ، يتم الزواج بمثل هذه الطريقة : ليس عن رغبة أو حب متبادل ، بل باختيار الوالدين ، أو الاخ الأكبر الذي تقضي التقاليد بان يقوم مقام الوالد في حالة وفاة الوالد .

4 - (مالا فوليا 111) - ونأتي الآن الى حادثة تبشر بفأل حسن ، وذلك عندما « تتظاهر ابنة العم حنة بسقوط قارورة الخمر من يدها ، وفيها نحو ربعها من النبيذ ، فتأخذ عندئذ في الهتاف : افرحوا ! افرحوا ! .. ان اندلاق الخمر فال حسن ! »

عندنا يقال مثل هذا عن القهوة ، لا عن الخمر ، والاختلاف هنا بحكم البيئة والتقاليد فقط ، وذلك لان القهوة هي دليل الضيافة الحميمية الاعم استعمالا

6 - رآه بعينيه اللتين سيأكلهما الدود
(مالا فوليا 16)

6) Li avevi visti con quegli occhi che dovevano mangiarseli i vermi

7 - فلان مثل الحيط المنخفض
(مالا فوليا 73)

7) lo sono come il muro basso

8 - واقع بين المطرقة والسندان
(مالا فوليا 85)

8) Stava fra l'incudine e il martello

9 - لا يسمح بان تقف الذبابة على انفه
(مالا فوليا 97)

9) Non si lasciava posare le mosche al naso

10 - المصائب تعلم الحكمة
(مالا فوليا 119)

10) Il giudizio viene colle disgrazie

— * —

وهناك كثير من مثل هذه العبارات الإيطالية التي تقابل عبارات عربية مثلها وتطابقها كل المطابقة . وليس قصدي استعراضها جميعا بل تقديم بعض النماذج فحسب لكي أنطلق بعد ذلك الى الفئة الثانية ، وهي :

2 - المشابه في العادات والبيئات الشعبية :

وهذه نقطة أخرى جديرة بالابراز والدرس ، وهي تتعلق بالعادات الشعبية التي رسمها فيرغا في روايته . ومن السهل ان نجد ما يماثلها تماما في الحياة الشعبية العربية . وأنا أكرر أنسي أورد ما أعرفه في بلدي ، يقينا مني بأن في البلدان العربية الأخرى ما يماثله . وهاكم بعض تلك العادات :

1 - (مالا فوليا - ص 44) - يدور الحديث على موت الابن باستياناتسو - وعند ذكر العادات الشعبية يعرفنا المؤلف كيف ان الاصدقاء يحملون الى بيت الفقيد هدايا من العجائن والبيض ، ومن خيرات الله .

ان مثل هذه العادة ما يزال متبعا الى اليوم في القرى الأردنية ، مثلا - وليس من شك في ان هناك مثله في اقطار عربية أخرى - ففي القرى عندنا ليس الاصدقاء وحدهم هم الذين يحملون الى بيت الفقيد مختلف الهدايا ، بل تشترك القرية كلها في ذلك كعنى من معاني المؤاساة والمشاركة القلبية في

والواقع ان فيرغا قد استطاع ان يعطينا كل ذلك
ببراعة الفنان الاصيل .

وهنا أيضا نجد المجال واسعا للتبصر
والملاحظة . ومن بين الامثال الصقلية التي أوردها
فيرغا في روايته (أسرة ملافوليا) اختار المجموعة
التالية ، مع ما يقابلها من الامثال العربية العامية
بشكل خاص ، (ولكنني مضطر الى ايراد هذه الامثال
بغير أصلها العامي) :

- 1 - ما كان اوله شرطا فأخره سلامة -
1) Quel che e' di patto non inganna
- 2 - عمر الشقي طويل -
2) Uomo povero ha i giorni lunghi
- 3 - نم بخير يا جاري لكي أنام معك -
3) Augura bene al tuo vicino che qualcosa
te ne viene
- 4 - بعيد عن العين بعيد عن الخاطر -
4) Lontano dagli occhi lontano dal cuore
- 5 - الصديق عند الضيق -
أو :
- عند الشدائد يعرف الاخوان
5) Carcere, malattie e necessita', si conosce
l'amista'
- 6 - كل واحد يهيل النار على قرصه -
6) Ognuno tira l'acqua al suo mulino
- 7 - البيت الذي ليس له كبير ليس له مشير -
7) Ascolta i vecchi e non ti sbagli
- 8 - الرجل يمسك من لسانه -
8) L'uomo per la parola e il buo per le corna
- 9 - الدم لا يصير سما -
أو :
- الدم لا يصير ماء -
9) Il sangue non e' acqua
- 10 - من يلعب بالماء تبطل ثيابه -
10) Chi cade nell'acqua e' forza che si bagni
- 11 - الحب والبغض ليسا باليد -
11) Amare e disamare non sta a chi le vuol
fare
- 12 - من كان لا خير فيه لقدومه لا خير فيه لجديده
12) Chi cambia la vecchia per la nuova peggio
trova

لدى العرب ، وهي في ذلك كالخمر عند الايطاليين
والفريين عامة .

5 - (جيزوالدو 273) غضب جيزوالدو
غضبا شديدا حين بلغه ان ابنته ايزابيلا قد هربت من
المدرسة الداخلية، واصابه ما يشبه الصدمة المفاجئة،
فاضطروا الى استدعاء الحلاق ليمسح منه دما .

كملاج بدائي في بعض حالات المرض يلجأ
الكثيرون في بعض البلاد العربية - ان لم يكن فسي
جميعها - الى من يسحب منهم دما - وفي هذا نجد
من يستخدم العلق لمص الدم - وهناك حلاتون -
رايت بعضهم بنفسي في القدس قبل عدة اعوام -
يعنون بتربية العلق في قوارير زجاجية كبيرة لهذا
الغرض ، وهم يستخدمونه بالصاقه على ظهر المريض
او عنقه لامتصاص شيء من دمه . وهناك من
يستخدمون الشفرة او موسى الحلاقة ، يشطبون
بهما ظهر المريض او اذنيه . كما ان العادة الاكثر
شيوعا هي استعمال كاسات الدم لراحة المريض ،
ولاسيما اذا كان يشكو من ضيق الصدر او النزلة
الصدرية ، او ما الى ذلك .

من هذه النماذج نرى اننا ازاء عادات متشابهة
كل التشابه في البيئة الصقلية الفيرغوية وفي البلدان
العربية . ولا يبدو لي شيء من الغرابة في ان تكون
هناك سمات عربية في هذه العادات الصقلية ما دامت
هي نفسها شائعة في الافطار العربية حتى اليوم .

— * —

3 - الامثال والحكم :

في الامثال والحكم نجد دائما خلاصة حميمة
لتجارب الشعوب عبر الاجيال ، كما نجد الصورة
الاصلية للعقلية والروح والاخلاق التي اكتسبها شعب
ما نتيجة تجارب وصلات طويلة مع الشعوب الاخرى،
سواء اكانت هذه الشعوب صديقة ام عدوة ، قريبة
ام بعيدة .

وفي (أسرة ملافوليا) بنوع خاص اهتم
فيرغا كثيرا ، وعامدا ، بالامثال الصقلية ، وراح
يردها بكثرة في كل فصل من فصول الرواية
بمقدرته الفنية الفائقة التي نعرفها . ومن المؤكد اننا
نستطيع ان نستخلص منها صورة المجتمع بكثير من
الدقة ، سواء من الوجهة الخلقية ام الاجتماعية .

من البيئات الشعبية الصقلية المناضلة لاجل العيش ،
والمكافحة ببطولة جسارة في سبيل التغلب على حتمية
الاقدار القاسية .

وقبل ان اختم هذه الدراسة العاجلة اود ان
اذكر ما قاله لويجي كابوانا ، رفيق فيرغا ومواطنه
وزميل مدرسته الادبية ، في هذه الواقعية
الفيروغوية الصميمة ، وهو : « ان فيرغا حينما تخطر
على باله وضع فكرة قروية في صورة فنية ، لا
يقتصر على جمع بعض المعلومات ، بل ينقل صورة
أرضهم . ليس كافيا لديه ان يكون اولئك الاشخاص
ايطاليين - الفلاح ايطالي كلمة تجريدية - انه
يذهب ابعد من ذلك كثيرا : يريد ان يكونوا صقليين
.. يريدهم ان يكونوا من مقاطعة محددة ، بل من
مدينة محددة ، بل من قطعة صغيرة من الارض
بحجم الكف ... عند ذاك فقط يقف » .

ان هذا التحديد ينطبق كل الانطباق على روايتي
فيرغا اللتين استعرضناهما في هذه العجالة : فلقد
كان ادب فيرغا منتزعا من صميم الارض البائسة
التي راي فيها المؤلف النور - وان لم يعش فيها
كثيرا ، بل قضى الشطر الاكبر والاھم من عمره
في الشمال ايطالي الذي ينعم بالشراء والرخاء
والحيوية العاملة في النهار والليل .

لقد كان فيرغا بحق ابن بيئته ، وكذلك كان
ادبه الخالد ، التابع من نفس تشعر ببؤس الآخرين ،
وينضالهم القاسي في سبيل العيش .

وطبيعي انه ، وهذا ادبه ، لا بد من ان يعكس
فيه الروح الصقلية العامة ، بكل ما فيها من رواسب
وتأثيرات انطبعت في حياتها على مدى الاجيال .
ومن هذه التأثيرات ما لمسناه الآن من المشابهة
والسمات العربية في البيئات التي وصفها فيرغا في
روايتيه الكبيرين : (اسرة مالا فوليا) و (المعلم
السيد جيزوالدو) .

13 - من اكل على ضرسه نفع نفسه -
13) Chi ha bocca mangia, e chi non mangia
muore

14 - شيء خير من لا شيء -
او بالعامية : (راحة الجوز ولا عدمه) -
14) Meglio poco che nulla

15 - كل طير يحن الى عشه -
15) Ad ogni uccello il suo nido e' bello

16 - القناعة غنى -
16) Piu' ricco e' in terra chi meno desidera

17 - من عاشر القوم اربعين يوما صار منهم -
او : من يدخل بلد العور يقلع عينه -
17) Chi va con zoppi all' anno zoppica

18 - مال الحرام لا يدوم -
18) Roba rubata non dura

19 - ليس للجائع آذان -
وبالعامية : (الجوعان مالوش آذان)
19) Ventre affamato non ragiona

20 - الملدوغ يخاف من جرة الحبل -
20) Le cose lunghe diventano serpi

— * —

والآن بعد ان فرغت من استعراض هذه الامثلة
والنماذج العديدة ، والمشابه بين عادات وامثال
وتعابير متعددة من بيئة روايتي فيرغا الكبيريين
والبيئات العربية ، لست اريد ان اجيء بحكم نهائي
جازم في تأثير العرب في اعمال فيرغا الادبية ، بل
اترك هذا لكم انتم . اما انا فقد اقتصرت مهمتي على
ان اقول ، بقدر الامكان ، نورا جديدا على بعض اعمال
فيرغا الادبية ، محاولا بذلك فتح طريق جديدة لمن
يشاء ان يتوسع في دراسة فيرغا وادبه الجميل المنتزع

لغة الموسيقى كأداة للتعبير الفني

زرياب المنوفي سنة 238 هـ.

للشيخ تافيس عبد الرؤوف عجي

عضو المجمع العلمي العراقي

يأخذ احسن ما يسمع ، ويختار خير ما ينفع ،
فحصل على ثقافة جامعة في الادب والعلم والفن ،
ولكنه كان يؤثر الفناء على غيره ، وله من صوته
الجميل خير مساعد .

لازم اسحاق الموصلي - استاذ المقيمين في
عصره - ليأخذ عنه ما لم يجده عند غيره . واسحاق
الموصلي : من علماء عصره ، ومكانته من العلم والادب
والشعر ما يقول عنها ياقوت الحموي : « لو اردنا
استيعابه لطلال الكتاب ، وخرجنا عن غرضنا من
الاختصار . ومن وقف على الاخبار ، وتبع الآثار
علم موقعه » .

كان يدخل على المأمون مع اهل العلم والادب
والرواية ، ثم كان يدخل مع الفقهاء ويده في يد القضاة ،
حتى يجلس بين يدي المأمون - وكان المأمون يقول
عنه : « لولا ما سبق لاسحاق على السنة الناس ،
وشهر به من الفناء عندهم لوليت القضاة بحضرتي ،
فانه اولي به واحق واعف ، واصدق تدينا من هؤلاء
القضاة » .

أخذ زرياب عن هذا العالم الاديب ، والفنان
البارع ، واقتبس من ادبه وفنه . وكان اسحاق يعني
بهذا الفتى لما رآه عليه من الذكاء والفطنة وسرعة
الاخذ كما انه من موالى أمير المؤمنين ، فكان يحضره
مجالسه التي يعقدها في داره ، والتي كانت مجمعا

أبو الحسن علي بن نافع مولى أمير المؤمنين الخليفة
المهدي بن المنصور العباسي ، كان اسود اللون ، حلو
الشمائل ، جميل الصوت ، فصيح اللسان ، فلقبوه
« بزرياب » تشبيها له بطائر غرد ، حسن الصوت ،
يقال له « زرياب » . نشأ زرياب في بغداد ، وهي اذ
ذاك : دار السلام ، وقيّة الاسلام ، مقر الخلافة ،
ودار العلم والادب والحكمة ، ومجمع اهل الفنون
والصناعات ، حاضرة الدنيا وما سواها بادية ، وهو
ما حمل الامام الشافعي (رض) ان يقول لمن لم ير
بغداد : « ما رأيت الدنيا ولا الناس » .

وزرياب يتقلب في قصور الخلافة ، وما فيها
من ترف ونعيم ، وخمائل باسقة ، وازهار عبقة ،
وجنات تجري من تحتها الانهار ، وملاعب تميز فيها
كواعب ، قد جمعن الظرف والادب ، والفن والجمال
والدلال .

كن فتنة الناظر ، وغرة العابر ، وخل المقيم ،
مما حمل الكتاب والشعراء ان يهيموا بوصفها ،
واتخذوا من حدائقها وملاعبها المسارح التي مثلت
فيها فصول « الف ليلة وليلة » .

في هذا المحيط الزاهي نشأ الفتى زرياب ،
الذكي الفؤاد ، الدقيق النظر ، الصافي البصيرة ،
فكان يتقلب في نعيمها ، ويتفياً ظلالتها ، ويستمتع
الى كواعبها ، ويتصل بمن يرتادها من اهل الادب
والفن ، فيقتبس من علمهم ، وينهل من ادبهم :

حضر اسحاق الموصلي مجلس الرشيد ،
وتشعب الحديث في الادب والفن ، فطلب الرشيد من
اسحاق مغنياً مجيداً للصنعة . لم يشتهر مكانه اليه .

واسحاق كان يتقرب الى الرشيد بكل ما
يؤنسه ، ويظهره بما عنده من اصوات وظرف وادب ،
واراد ان يتحف الرشيد بأحد تلاميذه - من موالي
دار الخلافة - لما كان يعرف فيه من الذكاء والفطنة
وسرعة التقي عنه . فقال اسحاق للرشيد يا مولاي:
عندي تلميذ - وهو مولى لكم - اسود اللون . عذب
الشمال ، حلو التفريد ، سمعت له نزعاً حسنة ،
ونغمات رائعة ، ماتاطة (1) بالنفس ، اذا أنا وقتته
على ما استغرب منها - وهو من اختراعي . واستنباط
فكري ، واحسن أن يكون له شأن - فان أذن لي
أمير المؤمنين قدمته اليه . ولم يعلم اسحاق ان هذا
الذي يتوسم فيه الذكاء والفطنة سيفني أمير المؤمنين
بما لم يحسنه اسحاق . وسيباغته بما وضع وأبدع .

أمره الرشيد باحضاره - لعل حاجته تكون
عنده ، وهكذا فان الساعة التي كان يترقبها زرياب
قد أتته عفواً ، فقد أمر الخليفة باحضاره اليه ليفني
امام استاذه الذي أخذ عنه .

أخذ زرياب يعد عوده ، وأحسن ربط أوتاره ،
وأختار الاصوات التي سيفني الخليفة بها ، وببز
استاذه ويفوقه .

حضر زرياب مع استاذه اسحاق يحمل العود
الذي قد أعدّه نفسه ، وهو يختلف عن عود استاذه ،
ومثل امام الرشيد ، واستاذه فخور بتلميذه الذي
سيفني أمير المؤمنين بما استنبطه هو ولقنه إياه .

كلم الرشيد زرياب ، فأجابه زرياب بأحسن
منطق وأوجز خطاب ، مع فصاحة لسان وظرف
وادب .

سأله الرشيد عن معرفته بالفناء ، فقال : نعم
أحسن ما لا يحسنه الناس ، وأكثر ما أحسنه لا
يحسنونه ، مما لا يحسن الا عندك ، ولا يدخر الا لك ،
فان أذنت غنيتك ما لم تسمعه أذن قبلك .

بهت استاذه اسحاق مما سمع ، ولم يكن
يتوقع هذا ، فهل يجزؤ احد امام اسحاق الموصلي أن

لاهل الفنون والاداب ، وزرياب ينهل من كل ما يروق
له ، وما يؤهله ان يخاف استاذه في مكانته .

ينهل اسحاق عناية خاصة في تدريبه وتعليمه
الاصوات التي يضعها ، والايقاعات التي يبدعها .
وكان الفتى النابه ينصرف الى ما يلقىه استاذه ،
ويتأمل في اصواته ويدقق مواضع القوة فيها ، فكان
في طليعة الذين يأخذون عنه ، وهذا ما حمل استاذه
على مضاعفة العناية به ، والانصراف الى تعليمه كل
نادر وغريب ، حتى كان من طلابه الذين يفاخر في
تعليمهم وتهذيبهم .

كان زرياب كلما تلقى صوتاً من استاذه اسحاق
- او من غيره - تلقف الصوت وردده مع نفسه حتى
يتقنه ، فاذا عاد الى داره واخلى بنفسه ، أجرى
على الصوت ما يبدو له اذا ما غير في ترديده ،
فلم يزل يبدل وينقح ويهذب في الصوت ، حتى
يبتكر صوتاً جديداً جميلاً قائماً بذاته لم يسبق اليه .

وهكذا كان دأبه في كل صوت يسمعه ، او
ضربات يتلقاها من شيخ المفيين اسحاق الموصلي ،
فانه يدخل عليهما من التعديل والابتكار ما يجعلهما من
اجمل ما أبدعته قريحة هذا الفتى الناشيء .

اشتغل زرياب بهدوء وسكينة وام يطلع احدا
على ما كان يقوم به ، حتى استاذه الذي تربى بين
يديه ، واخذ عنه ، فانه لم يكن يعلم ما عند زرياب من
روائع الاصوات - وزرياب مستمر التردد الى
استاذه ، يسترق من اصواته ، ويلتقط من ظرفه
وادبه ، وبواصل التهذيب والتحسين والابتكار ، حتى
صار يطمع ان يخلف استاذه في فن مبتكر ، بل كان
يطمع الى اكثر من هذا - وهو ان يبهز استاذه بما لم
يسمع مثله .

أخذ زرياب يترقب اليوم الذي يباغت فيه
المجتمع بفن دقيق مبتكر ، يعجز استاذه - استاذ
الفن والطرب في بغداد - عن الاتيان بمثله ، مما
حمّاه على حسده وتهديده بالقتل ان لم يرحل عن
بغداد ، ويحافظ على منزله التي كان عليها في بلاط
الرشيد .

(1) لاصقة

يقول ما قاله هذا التلميذ الناشيء ؟ وصار يترقب
سماع الصوت بدهش وعجب .

امر الرشيد باحضار عود استاذه اسحق ليفني
زرياب . فلما قدم اليه وقف عن تناوله وقال : يا
امير المؤمنين : لي عود نحتته بيدي ، وارہفته باحكامي
ولا ارتضي غيره - وهو بالباب - فلياذن لي امير
المؤمنين في استدعائه : فامر الرشيد بادخاله اليه .

تأمله الرشيد ، وكان شبيها بالعود الذي دفعه
له - عود استاذه - وقال له الرشيد : ما منعك ان
تستعمل عود استاذك ؟ فقال زرياب : ان كان مولاي
يرغب في غناء استاذي ، غنيته بعوده ، وان كان
يرغب في غنائي فلا بد من عودي . فقال له الرشيد :
ما اراهما الا واحدا .

فقال زرياب : صدقت يا مولاي ، ولا يؤدي
النظر غير ذلك ، ولكن عودي - وان كان في قدر
جسم عوده ومن جنس خشبه - فهو يقع من وزنه
في التثا أو نحوه . واوتاري من حريير لم يفزل
بماء ساخن يكسبها اناثة ورخاوة . وبمها ومثلها
اتخذتها من مصران شبل الاسد ، فلها في الترنم
والصفاء والجهارة والحدة اضعاف ما لغيرها من
مصران سائر الحيوان ، ولها من قوة الصبر على
تأثير وقع المضارب المتعاورة بها ما ليس لغيرها .
فاستبرع الرشيد وصفه واذهل اسحق ما سمع .
ثم اندفع زرياب وغنى :

يا ايها الملك الميمون طائره

هارون راح اليك الناس وابتكروا

- 3 -

سقط في يد اسحق فقد سمع من احد تلاميذه
ما فيه من الروعة والابتقان والابتكار ، مما جعل امير
المؤمنين يعجب به غاية الاعجاب ، ويؤكد على
اسحق : انه لولا ما يعلمه عنه من الصدق لانزل
المقوبة به ، اذ لم يطلع على ما قد ابتكره هذا الفنان
المبدع - وهل يترك اسحق الموصللي زرياب معه في
بغداد يتبوا مكاتته ؟ بل يسمو فوقه فيبعده عما هو
عليه ، وتكون له زعامة الفناء في دار السلام .

فلا بد من ان يصارحه بما يكنه له صدره من
الحسد ، وان بقاءه لا يمكن ان يكون في بغداد ، والا
يؤدي به الى موته .

خلا اسحاق بزرياب وقال له : يا علي ، ان
الحسد اقدم الادواء وادوؤها ، والدينيا فتانة ،
والشركة في الصناعة عداوة ، ولا حيلة في حسمها ،
وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك ، وعلو
طبقتك . وقصدت منفعتك ، فاذا قد اوتيت نفسي
من مأمنها بادنائك ، وعن قليل تسقط منزلتي ،
وترتقي انت فوقتي ، وهذا ما لا اصاحيك عليه - ولو
انك ولدي - ولولا رعيي لدمه تربيتك ، لما قدمت
شيئا على ان اذهب نفسك ، يكون في ذلك ما كان ،
فتخير في اثنتين لا بد لك منهما : اما ان تذهب عني
في الارض المريضة ، لا اسمع لك خبرا ، بعد ان
تعطيني على ذلك الايمان الموثقة ، وانهض بذلك لما
اردت من مال وغيره ، واما ان تقيم على كرهني ورغمي
مستهدفا لي ، فخذ الآن حذرک مني ، فليست والله
ابقي عليك ، ولا ادع اغتيالک باذلا بذلك بدني ومالي ،
فاقض قضاءك .

خرج زرياب وهو يفكر بالامر ، فهو يعلم ان
استاذه لا يحجم عن قتله اذا اقام في بغداد ، ولا بد له
من الرحيل عنها في بلاد الله الواسعة - وعلى هذا
عاد الى استاذه وابدى له رغبته في الرحيل عن
بغداد ، والتوجه الى بلاد المغرب بعيدا عن اسحاق
وبغداد - هذا روع اسحاق وزال عنه ما كان في
قلبه من هم ، وساعد زرياب بما يحتاجه من مال .

وبعد ايام فرغ الرشيد من شغل كان منغمسا
فيه ، واشتاق الى سماع اصوات زرياب ، فامر
اسحاق الموصللي باحضاره .

واسحاق من دهاة عصره ، قد ارضى الخليفة
ورجال دولته في تصرفه ورجاحة عقله ، فهل
يعجز عن اجابة الخليفة بما يضرفه عن زرياب ؟

قال اسحاق : ومن لي به يا امير المؤمنين ؟
ذاك غلام مجنون ، يزعم ان الجن تكلمه وتطارحه ما
يزهى به من غنايه ، فما يرى في الدنيا من يعدله ،
وما هو الا ان ابطات عليه جائزة امير المؤمنين ،
وترك استعادته ، فقدر التقصير به ، والتهويس
بصناعته ، فذهب مغاضبا ذاهبا على وجهه ،
مستخفيا عني ، وقد صنع الله تعالى في ذلك
لامير المؤمنين ، فان كان به لم يفشاه ويفرط خطبه،
فيفزع من رآه .

سكن الرشيد الى ما قاله اسحاق ، وقال :
على ما كان به ، فقد فاتنا منه سرور كثير .

وهكذا تمكن اسحاق من صرف زرياب عن بغداد ، وصرف الرشيد عن زرياب ، وصرف الهم عن قلبه .

- 4 -

نسي امر زرياب في المشرق ، ولم تقف على ذكر له بين الفنانين الذين نبغوا في العصر العباسي . ومع ان ابا الفرج الاصفهاني ترجم في كتابه (الاغاني) لاصحاب الاصوات الذين عانوا صناعة الغناء في المشرق ، فانه لم يتطرق الى ذكر زرياب والاصوات الجميلة التي وضعها - ذلك لانه اول نبوغه هدد بالقتل ان لم يرحل عن بغداد - فرحل الى بلاد واسعة ، ووجد اهلا غير اهله ، واقبالا لم يكن يتوقعه ، فكان زعيم الغناء في الاندلس والمغرب - كل هذا ولم يدون اهل بغداد ما ابدعه فتى اسحاق الموصلي الذي خرج من بغداد خائفا يترقب .

توجه زرياب الى الشام ، ومنها الى مصر ، ومنها ركب البحر قاصدا المغرب ، ولما وصل تونس اتصل بزيادة الله بن الاغلب (201 - 208 هـ) وحظي عنده ، فكان يحضر مجالسه ، ويشارك بما يدور فيها من ادب وفن ، ويغنيه ، فأعجب به ابن الاغلب وقربه اليه .

وفي احد الايام من سنة 206 هـ طلب ابن الاغلب من زرياب ان يغنيه ، فغناه بأبيات لعنترة الفوارس :

فان تك امي غرايية

من ابناء حمام بها عبتني

فاني لطيف ببيض الطبا

وسمر العوالي اذا جئتني

ولولا فرارك يوم الوغا

لقدتلك في الحرب او قدتني

ففضب ابن الاغلب من تعريضه هذا ، وامر بصنع قفاه ، واخرجه من عنده ، وقال له : ان وجدتك في شيء من بلدي بعد ثلاثة ايام ضربت عنقك .

ولا نعلم سببا لتعريضه بالامير الاغلب ، وزرياب من اذكيا عصره ، فظن دقيق الملاحظة ، فهل كان

هذا هفوة من زرياب ؟ او خاطر خطر له ؟ وربما كان الامر في نفسه - وعلى كل فقد بدر منه ما اغضب ابن الاغلب ، واوجب خروجه من تونس قاصدا بلاد الاندلس .

- 5 -

وكان اهل الاندلس يتطلعون الى ما في المشرق من حضارة زاهية ، وعلم وادب وفن ، وجدوا في الاستفادة مما عند القوم ، فرحل الكثير من اهل الاندلس الى بلاد المشرق ، واخذوا عن علمائه وادبائه ، وتعلموا فنونه وصناعاته ، ورجعوا الى بلادهم ينشرون ما حملوه معهم .

كما رغب الامراء الامويون بنوايح اهل المشرق ، وشوقوهم بالرحلة الى بلادهم ، وبذلوا لهم الاموال الوفيرة ، وقدموا لهم كل مساعدة ، ليستفيدوا من علمهم وفنهم . وكانوا يبذلون الاموال في الحصول على ما يستجد في المشرق من كتب قيمة . فقد بذل الامير الحكم لابي الفرج الاصفهاني الف دينار قيمة نسخة من كتابه الاغاني قبل ان ينتشر في المشرق .

هذا الاقبال من اهل الاندلس حمل العلماء وارباب الفنون ان يمموا شطرها ، ويرحلوا اليها ، وينشروا علومهم ومعارفهم فيها . فرحل عدد منهم الى الاندلس ، ونالوا من امرائها واهلها من الحفاوة والاحترام والاموال الوفيرة ، ما حملهم ان يستقروا في هذا البلد الطيب ، واثروا آثارا حسنة في التدريس والمحاضرة والتأليف .

كتب زرياب الى الامير الحكم بن هشام ، يعلمه بمكانته في الغناء ، ويمرض عليه التوجه اليه . فسر الحكم بهذا ، وكتب اليه مرحبا به ، وارسل لاستقباله وتدبير سفره فغنيه منصور اليهودي .

ولما كان في الجزيرة الخضراء ، بلغه وفاة الحكم ، فهم بالعودة الى بلاد العدو ، فثناه عن ذلك رسول الحكم ، وبين له شغف عبد الرحمن بن الحكم بالغناء والموسيقى . ورفع منصور اليهودي امر زرياب الى عبد الرحمن يعلمه بمكانته ، وعبد الرحمن هذا من اكثر الامراء الاندلسيين شغفا بالاداب والفنون والغناء . يحضر مجلسه العلماء والادباء وارباب الفن - وخاصة المغنون والموسيقيون - وهو يجزل لهم العطاء . سر عبد الرحمن بخبر زرياب ، وكتب اليه يعلمه بتطلعه اليه ، والسرور بقدمه عليه ،

ويمنيه ويرغبه . كما كتب الى عماله على البلاد التي
سيمر بها زرياب ، ان يحسنوا اليه ، ويقدموا اليه
كل ما يحتاجه ، ويوصلوه الى قرطبة .

وارسل الى احد اكابر مواليه ان يتلقاه ببغال
والآلات حسنة . دخل زرياب قرطبة ليلا - صيانة
لحرمه - وامر الامير ان ينزلوه في دار جميلة من
احسن الدور ، وان يحمل اليها جميع ما يحتاج
اليه ، وان يحملوا اليه الخلع .

وبعد ثلاثة ايام استدعاه ، ورحب به اجمل
ترحيب ، ودعاه الى تناول الطعام معه ، مع اولاده
الكبار ، وامر ان يفرض له ولاهله من الرواتب
والخلع ما يقدر بالآلاف الدنانير سنويا ، واقطعه من
الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ، ومن الضياع
ما يقوم بأربعين الف دينار سنويا .

وزرياب قد اعد نفسه لمثل هذا اليوم الذي كان
يترقبه ، فهو في كنف امير معجب به ، مشغوف
الى سماعه ، فابدى في الاصوات التي كان يغنيه
بها ، فما ان سمعه عبد الرحمان حتى استهواه ،
واجبه حبا شديدا ، وانطرح كل ما سواه من الفنين،
وادناه من مجلسه ، وامر بفتح باب خاص لزرياب
يستدعيه منه متى اراده . وزرياب قد جمع الى ما
امتاز به من الفناء ، عذبة مزاييا رقيقة : كان شاعرا
عارفا بفنون الأدب، ونطف المعاشرة والظرافة، وعنده
من آداب المجالسة ، وطيب المحادثة ، ومهارة الخدمة
الملوكية ، مالم نجده عند غيره من اهل صناعته .

كيف لا يجمع زرياب هذه الصفات الجميلة ، وهو
الذي تربى في بلاط العباسيين ، وتقلب في نعيمهم،
وتنقل في جنائهم وخمائلمهم ، وحضر مجالسهم ،
ولازم اعالي القوم في العلم والادب والفن - ربيب
المهدي العباسي ، وتلميذ اسحاق الموصلي ، وخريج
مدرسة بغداد دار العلم والحكمة والفن . هذه
الخصال اثرت في اهل الاندلس ، حتى اتخذها ملوكهم
وخواصهم قدوة حسنة فيما سنه لهم من قواعد
وآداب ، واستحسنه من اطعمة وثياب ، وما ابتكره
من عطور - وبقي اثر هذا فيهم الى آخر ايام اهل
الاندلس منسوبا اليه .

وهكذا انتقلت الدنيا لزرياب ، فقد كان مرجع
القوم في الفناء وفي التأثيرات الاجتماعية ، تسمع
كلمته في البلاط الاموي ، وينقاد اليه سراة القوم
ووجهائهم ، يبذلون له العطاء ويتوقعون رضاه ،

حتى قالوا : يؤثر على بلاط الامير عبد الرحمن اربعة
اشخاص : فقيه : يحيى بن يحيى الليثي ، وموسيقى:
ابو الحسن زرياب ، وامرأة : السلطانة طروب ،
وخصي : نصر .

ومع انه كان مسموع الكلمة في البلاط الاموي،
الا ان عقله منعه عن التدخل في شؤون سياسة
البلد ، وتركها لغيره .

صرف نفسه الى فنه الذي كان سبب ظهوره
ونبوغه ، لانه علم حق العلم ان خير طريق للنجاح في
الحياة هو تجنب ما لا نصيب له فيه ، والانصراف
الى فنه الرفيع الذي ينقاد اليه الامير ورجال
سياسته ، على اختلاف ميولهم ورغباتهم - وعلى هذا
فلا نرى له ذكرا في الحوادث السياسية ،
التي كانت على عهده ، فهو مغني البلاط وكفى .

انصرف زرياب الى الفناء والابتكار فيه ،
وشغل بهذا كل مواهبه وقابليته ، واطلع على ما في
الاندلس من الحان ، اخذ بعضها عن سكان البلاد
الاصليين، فكانت هذه عاملا جديدا في تطعيم الاصوات
التي يبتكرها ، كان الفناء قد شغل كل وقته حتى
اذا رقد في منامه ، فانه كان يواصل تفكيره في
الاصوات المختلفة ، والاشعار التي تناسب كل لحن
يغنيه ، فلم تنقطع سلسلة افكاره عن هذا الفن
الجميل . فاذا آوى الى فراشه واهتدى الى لحن
جديد ، او شعر جميل ، هب من نومه مسرعا ،
فيدعو جارتيه غزلان وهنيدة ، فتأخذان عوديهما ،
ويأخذ هو عوده، ويطارحهما ليلته ما اهتدى اليه من
لحن ، ويكتب الشعر الذي نظمه ، حتى اذا اتقنتاه
عاد الى فراشه .

وعلى هذا قال عنه معاصروه : ان الجن كانت
تطارحه الالحن ليلا فيتعلمها . وما الجن الا شغفه
بهذا الفن الرفيع الذي كان قد اخذ عليه كل وقته -
حتى عند النوم فانه كان يحلم في ترديد الاصوات
وترجييعها ، هذا هو الالهام الفني - جنون الفن -
وهو ما قيل عن كثير من الشعراء والفنانين الموهوبين
الذين يبدعون في شعرهم وفنهم . وكم ذكروا ان
للشعراء شياطين يوحون اليهم زخرف القول ،
فيأتون بما لم يات به غيرهم . وما شياطينهم الا

انصرفهم الى الشعر وكثرة تفكيرهم فى محاسنه واوازانه ، وروائعه ، فيأتون بما لم يتهيا لهم غيرهم .

- 6 -

كان لزرياب معهد يقصده اصحاب الحناجر الرخمة، والاصوات الجميلة ، يتلقون عنه الالحن ، وما ابدعه من الاصوات والايقاعات .

ولم يكن زرياب يقبل احدا فى معهده ، الا بعد ان يقف على نبرات صوته ، وصلاح حنجرتة ، وقابليته الى تلقي الالحن والاصوات ، وعلى هذا فقد كان يختبر من يقصده للأخذ عنه - وقد حدثنا المقرئ عن كيفية اختباره لمن يقصده فقال :

« وكان اذا اراد ان يختبر المطبوع الصوت - المراد تعليمه - من غير المطبوع ، امره ان يصيح بأعلى صوته : يا حجام . او يصيح : آه . ويمد صوته ، فاذا سمع صوته بهما صافيا نديا قويا مؤديا لا يعتربه غنة ولا حبسة ، ولا ضيق نفس ، عرف انه سوف ينجب ، وأشار بتعليمه ، وان وجده خلاف ذلك ابعده .

وهكذا بعد ان يختبر من يقصده ، ويتحقق صلاحه ، يسلمه الى الذين يأخذون عنه ، فيتعهدون تدريبه تدريبا اوليا ، حتى اذا وقف على مبادئ هذا الفتى الجميل ، تعهده بنفسه مع الذين يأخذون عنه . فاذا حضر التلميذ عنده للأخذ عنه ، كان يرشده الى كيفية الجلوس ، وطريقة اخراج الصوت من الفم ، والطرق التى يحسن بها نبرات صوته ، بحيث يجعله يناسب اللحن والايقاع اذا ما غنى .

قال المقرئ فى هذا :

« وكان اذا تناول الالتقاء على تلميذ يعلمه، امره بالعود على الوسائد المدورة المعروفة بالمسورة ، وان يشد صوته جدا - اذا كان قوي الصوت - فان كان لينه ، امره ان يشد على بطنه عمامة ، فان ذلك مما يقوى الصوت ، ولا يجد متسما فى الجوف عند الخروج عن الفم . فان كان الص الاضراس ، لا يقدر

ان يفتح فاه ، او كانت عادته زم اسنانه عند النطق، راضه بان يدخل فى فيه قطعة خشب عرضها ثلاث اصابع بيبتها فى فمه ليالي حتى ينفرج فكاه ، وهو رأى عالم بنبرات الاصوات ومخارجها ، وما يساعده على تهذيبها واطهارها بصورة جلية .

اخذ عن زرياب اولاده وكثير من اهل الاندلس رجالا ونساء، ونشروا فنه فى طول الاندلس وعرضها، فكانوا دعاة نهضة فنية ، طغت على الاندلس ، وتعدتها الى شمال افريقية ، وطبعتها بطابع الالحن التى ابدعها زرياب . بقيت هذه النهضة الى القرن الثامن للهجرة ، وهي تسير على القواعد التى وضعها زرياب والالحن التى ابتكرها وابدع فيها ، مما جعل ابن خلدون يقول عن تأثير غنائه :

فأورث بالاندلس من صناعة الغناء ، ما تناقلوه الى ازمان الطوائف ، وطما منها باشبيلية بحر زاخر، وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدوة بافريقية والمغرب ، وانقسم على انصارها ، وبها الآن صبابة على تراجع عمراتها وتناقض دولها .

ومن اخذ عنه وبرز فى الغناء اولاده العشرة (1):

1 - عبيد الله كان خليفة والده ، واعلا اخوته فى الغناء .

2 - عبد الرحمان : وهذا يابى عبيد الله فى الغناء ، وكان يشوب علمه تبه وزهو وكثرة العجب بغنائه ، وهذا مما سبب له مشاكل كثيرة فى مجالس الغناء التى كان يقيمها (2) ، ويذكر ابن خلدون ان عبد الرحمن هذا خلف والده فى هذه الصناعة ، ولربما عمر اكثر من عبيد الله ، فكان المرجع اليه فى الغناء .

3 - اما محمد بن زرياب فكان مؤنثا .

4 - واما القاسم بن زرياب : فكان احد قهم غناء مع تجويده .

5 - واما احمد بن زرياب : فكان قد غلب عليه الشعر .

(1) كان لزرياب اربعة اولاد يوم دخل الاندلس ، وهم : عبد الرحمن وجعفر ، وعبيد الله ويحيى . وولد له فى الاندلس اربعة بنين : محمد وقاسم واحمد وحسن ، وبنتان : علية وحمدونة .

(2) نفع الطيب : 4 : 125 .

6 - واما حمدونة بنت زرياب: فكانت متقدمة في
اهل بيتها ، محسنة لصناعتها ، تزوجها الوزير
هشام بن عبد العزيز .

7 - اما علية بنت زرياب : فطال عمرها بعد
اختها حمدونة ، ولم يبق من اهل بيتها غيرها ،
فافتقر الناس اليها ، وحملوا عنها ، فكانت مرجعا
للمعهد الزريابي ، يقصدها اهل الفن ، ويأخذون
عنها .

ومن جواربه :

1 - مصابيح : جارية الكاتب ابي حفص عمر
بن قلهيل ، وهي ممن اخذ عن زرياب ، وصارت غاية
في الاحسان والتبل وطيب الصوت .

مر ابن عبد ربه (3) فسمع غناءها ، واشتاق ان
يدخل اليها فأبى مولاها . فقال ابن عبد ربه الى
مسجد قريب من المكان ، واخذ لوحا من صبي وكتب
هذه الايات وارسلها الى مولاها :

يا من يضمن بصوت الطائر الفرد
ما كنت احسب هذا الضن من احد

لو ان اسماع اهل الارض قاطبة
اصفت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

فلا تضن على سمعي مقلده
صوتا يجول مجال الروح في الجسد

لو كان زرياب حيا ثم اسمعه
لذاب من حسد، او مات من كمد

اما النبيذ فاني لست اشربه
ولست آتيك الا كسرتي بيدي

فلما قراها مولاها ، خرج اليه حافيا ، وادخله
مجلسه ، وتمتع ابن عبد ربه من سماعها .

2 - متعة : جارية زرياب ، اعتنى في تاديبها
وتعليمها احسن اغانيه ، وشبت رائعة الجمال ،
وتصرفت بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم ،
تغنيه مرة، وتسقيه اخرى، وكان الامير معجبا بجمالها
وبصوتها ، فلما فطنت لاجاباه بها ، ابدت له دلائل
الرغبة ، ولكنه ابي الا التستر ، فنظمت هذه الايات
وغنته بها :

(3) صاحب « العقد الفريد » .

يا من يغطي هواه
من ذا يغطي النهارا ؟

قد كنت املك قلبي
حتى علقت فطارا

يا ويلتاه ائسراه
لي كان ، او مستعارا ؟

يا بابسي قرشي
خلعت فيه المدارا

فلما انكشف لزرياب امرها ، اهداها الى الامير
عبد الرحمن ، وحظيت عنده .

3 - اما هنيذة وغزلان فقد تقدم الكلام عنهما .

ومما اجراه على العود في الاندلس :

1) كانت اعواد القوم ذات اربعة اوتار ، فاضاف
هو اليها وترا خامسا ، واتخذ الاوتار من حرير لم
يفزل بماء ساخن يكسبها اناثة ورخاوة وقد تقدم
الكلام عنها .

2 - كانت الاعواد ثقيلة الوزن ، تجهد الضارب،
وربما عاقته عن تادية الضرب كما يسوي ، فجعل
زرياب عوده صغير الحجم ، خفيف الوزن ،
جميل الشكل ، دقيق الصنع ، يستهوي
النفس ، ويمثل جمال الالحن التي يضربها زرياب .

3) كانت مضارب العود من خشب ، ثقيلة على
الانامل ، تؤثر في الاوتار عند الضرب ، وربما
قطعتها او افسدتها في ايام معدودة . فعدل عنها
زرياب بأن اتخذ المضرب من قوادم النسر : خفيف على
الانامل ، رقيق بالاوتار ، لين في اليد ، مرن
الاستعمال ، يحدث اهتزازات في الاوتار ، ما لم
تحدثه المضارب الخشبية الصلبة .

ومما سنه في الغناء : ان كل من افتتح الغناء
يبدا بالنشيد اول شدوه باي تقرر كان، ويأتي اثره
بالبسيط، يختم بالمحركات والاهواج تبعا لمراسيم
زرياب .

ذكر المؤرخون ان اسلم بن احمد بن
سعيد الف كتابا في الاصوات التي وضعها

الاجتماعية فيها : الطعام والازياء وتصنيف الشعر
وابتكار عطور وادهان وغير ذلك .

ففى الطعام وما يتبعه من لوازم :

1 - كان زرياب اول من اجتنى بقلة الهليون
المسماة بلسانهم بالاسفراج ، ولم يكونوا يعرفونها
قبله .

2 - وعلمهم زرياب طبخ النقايا ، وهو مصطنع
بماء الكزبرة الرطبة ، محلى بالسنبوسق والكباب ،
ويلي هذا عندهم لون التقلية المنسوبة اليه «زريابية» .

3 - كان الاندلسيون يتخذون الآنية الرفيعة
الثلثي ، ويحلونها بالذهب والفضة ، ويتنافسون فى
هذا ، فاتخذ زرياب آتيته من الزجاج الجميل ،
فقلده الاندلسيون فى هذا .

4 - فضل زرياب استعمال سفر الاديم على
الموائد الخشبية لتقديم الطعام ، لان الوضر يزول عن
الاديم باقل مسحة ، فأخذ الاندلسيون بهذا .

5 - كان زرياب يفضل فرش الانطاع الاديمية
الناعمة اللينة على ملاحف الكتان ، فانتشر هذا فى
الاندلس .

واما تأثيره على الازياء فى الاندلس : فانه راي
ان يلبس كل صنف من الثياب فى زمانه الذى يليق
به . فيكون ابتداء الناس بلباس البياض . ثم يلبسون
اللون من يوم مهرجان اهل البلد المسمى عندهم
« بالعنصرة » الكائن فى ست بقين من شهر يونيو
(حزيران) ، الى اواخر شهر اكتوبر (تشرين الاول) .
وان يلبسوا بقية السنة الثياب الملونة .

ورأى ان يلبسوا فى الفصل الذى بين الحر
والبرد المسمى عندهم « الربيع » من مصبغهم جباب
الخز والملحم والمحرر والدراربع التى لا بطائن لها ،
لقربها من لطف ثياب البياض .

وكذا راي ان يلبسوا فى آخر الصيف وعند
اول الخريف المحاشي المروية والثياب المصمتة وما
شاكلها من خفائف الثياب الملونة ، ذوات الحشو
والبطائن الكثيفة ، وذلك عند قرص البرد فى
الغدوات ، الى ان يقوى البرد ، فينتقلون الى اثنى
منها من الملونات ، ويستظفرون من تحتها اذا احتاجوا
الى صنوف الفراء .

زرياب ، ومما يؤسف له ، اننا لم نعلم
على ذكر لهذا السفر النفيس ، الذى جمع
روائع الفن وما ابتكره زرياب من اصوات جميلة ، وما
نظمه من شعر يقنى به . فان هذا الكتاب كان يطلعنا
على الحان رائعة ، واصوات مبتكرة ، ابدعتها
قريحة زرياب - طمست مع افول شمس العرب فى
الاندلس ، ولم يبق منها ، الا صياحة تذكرنا بما كان
من التأثير القوي فى الفناء الاندلسي الذى قرر
قواعده ، معلم الناس الفن والمروءة (زرياب) .

زرياب من نوادر عصره ، جمع - الى تفوقه فى
الفناء - علوما وفنونا وادابا . ذكروا عنه انه كان
يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الاغاني بالحانها ،
وهذا ما ساعده على حل كتاب الموسيقى لبطليموس ،
لان هذا العدد هو غاية ما ذكره بطليموس - واضع
هذه العلوم ومؤلفها - فى كتابه .

كان زرياب شاعرا ، ويمتاز شعره بالركة
والعذوبة ، كيف لا يكون شعره رائقا ، وقد صدر
عن شيخ الفنانين صاحب الاصوات المبتكرة البديعة ،
والالحن التى لم يزل تأثيرها فى الشرق والغرب .
ومن شعره :

علقتها ربحانة هيفاء عاطرة نضيره
بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيره
لله ايام لنا سلفت على دير المطيره
لا عيب فيها للمتيسم غير ان كانت قصيره
وقوله ايضا :

ولو لم يشقني الظاعنون لشاقتني
حمام تداعت فى الديار وقوع

تداعين فاستبكين من كل ذا هوى
نوائح ما تجري لهن دموع

كان عالما بالنجوم واحكامها ، يعرف الاقاليم
السبعة وما فيها من عوارض طبيعية ، ومدن وعمران ،
وما فى هذه من سكان وخيرات ، ويعرف طبائع
ومبول سكانها ، وما تشتهر به كل مدينة ، فاذا تكلم
بهذا تكلم عن علم ومعرفة .

لم يقتصر تأثير زرياب على اهل الاندلس فى
الفناء فقط ، بل كان له تأثير كبير على الحياة

حدث علوية المغني قال: كنت مع المأمون لما خرج الى الشام ، فدخلنا الى دمشق ، وطفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أمية ويتبع آثارهم ، فدخل صحنًا من صحنها ، فاذا هو مفروش بالرخام الأخضر كله ، وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصب اليها و... وأقبل المأمون علي فقال : غني ونشطني ، فكان الله عز وجل أنساني جميع ما أحفظه الا هذا الصوت :

لو كان حولي بنو أمية لم ينطق رجال أراهم نطقوا

فنظر الي مقضبا وقال : عليك لعنة الله وعلى بني أمية ، وبلك قلت لك سرني ام سؤني ، ألم يكن لك وقت تمدح فيه بني أمية الا هذا الوقت ؟

فتجلدت عليه ، وعلمت اني قد اخطأت ، فقلت: اتلومني على أن اذكر بني أمية ، هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له ، ويملك ثلاثمائة الف دينار وهبها له ، سوى الضياع والخيل والرقيق وأنا عندكم اموت جوعا .

هذا هو زرياب الذي ترك بغداد مكرها ، وعاش في الاندلس مترفا مكرما ، وصار مضرب المثل في الشرق والغرب .

وأما تأثيره على تصفيف الشعر : دخل الاندلس وجميع من فيها - من رجل او امرأة - يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاما للصدفين والحاجبين ، فلما رأوا تحديفه هو وولده ونساءه لشعورهم ، وتقصيرها دون جباههم ، وتسويتها مع حواجبهم ، وتدويرها الى آذانهم ، واسدالها الى اصدافهم - هوت اليه انفسهم ، فاستحسنوه وقلدوه .

وابتكر ادھانا ومعاجين لطيفة وروائح عطرية تزيد من جمال البشرة وتكسبها رونقا وبهاء .

كان مارك الاندلس والمترفون يستعملون ذرور الورد وزهور الريحان وما شاكل ذلك من ذوات القبض والبرد لطرذ الصنان والروائح الكريهة ، فلا تسلم ثيابهم من وضر . فداهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها ، فجرّبوه وحمدوه على ذلك .

هذا تأثير زرياب على اهل الاندلس ، فقد كان ناملا قويا في تهذيب اغانيهم وتنسيق ثيابهم ، وتهذيب طعامهم وآدابهم الاجتماعية ، فهو قدوة القوم في كل ما يصدر عنه . وعلى هذا فان اهل الاندلس أحلوا زرياب بالمحل اللائق به ، وبخدماته الجبيلة التي سنها لهم . فقد حظي فتى اسحاق الذي ترك بغداد مكرها من الفنى والترف والعزة ، ما جعله مضرب المثل في الاندلس ، ويتعدها الى شمال افريقية ، ويتجاوزها الى بلاد الشرق . ومن ذلك ما رواه الصابي في كتابه الهفوات النادرة قال : (ص : 385 - 386)

دليل جديد على عروبة الأرقام المتعملة في المغرب العربي

أبوفارس

« تحفة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياصمين » ،
(مخطوط بخزانة مكتبة الهند بلندن والخزانة العامة
بالباط) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 هـ ويسمى
« اللعة الماردينية في شرح الياصمينية » (مخطوط
ببرلين والقاهرة واسطنبول) وله أرجوزة في اعمال
الجدور توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الاستاذ
محمد الفاسي مجلة « رسالة المغرب » سنة 1942
السنة الاولى عدد 1) وممن شرح الارجوزة سعيد
العقباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء (نيل الابتهاج
ص 106) .

وكتاب تلقيح الافكار هذا يعتبر اقدم وثيقة
تحدثت عن اعداد الفبار واكدت انها مغربية اي عربية
الاصسل .

وننشر صفتين مصورتين رقم 8 - 9 من هذا
الكتاب اولهما : « واعلم ان الرسوم ...

يوجد في المكتبة العامة بالرباط مخطوط تحت
عنوان : « تلقيح الافكار في العمل برسم
الفبار » (رقم ك 222) من تأليف ابي محمد
عبد الله (او عبد الرحمن بن حجاج (1) المعروف
بابن الياصمين والذي ولد بفاس اواسط القرن
السادس وهو بربري من بني حجاج بقلمه فندلاوة ،
اخذ العلوم الرياضية عن شيخه محمد بن قاسم وقد
قال ابن البار في التكملة : « وله أرجوزة في الجبر
قرئت عليه وسمعت منه باشيلية في سنة 587 »
(ص 531) وكان احد خدام المنصور وولده الناصر
كما في « الذخيرة السنية » وقد وجد ذبيحا بمراكش
سنة 600 او اوائل 601 هـ ، وتوجد نسخ من أرجوزته
في الجبر والمقابلة بخزائن باريز وبرلين واكسفورد
والاسكوريال والقاهرة ، ومن شراح الارجوزة حسب
بروكلمان ابن الهائم المتوفى سنة 815 هـ
(وهو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقلصادي وهو

(1) وقيل اسمه عبد الله بن محمد بن حجاج (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 91) مخطوط والتكملة
ص 531 والجدوة ص 237 .

التي وضعت للعدد تسعة اشكال بنزبت عليها جميع العدد
 وهي التي لسا اشكال الغبار وهي هذه 21 3 عم 6 6 8 8 وس
 وقد يكون ايضا هكذا 21 3 4 5 6 7 8 9 ولذا لما
 عندنا على الوضع الاول ولو اضطلت مع نفسك على تبدلها
 او عكسها لجاز ووجه العمل على حاله لا يتبدل وقد صنعت
 قوم من جنسوا اهل الارض مثل الحديد والخاشر من كل شئ منها
 اعداد ليه ويضرب بها ما شاء من غير نفس ولا نحو وامسا
 اهل الهند فانهم يتحدون لوحا سودا يمدون عليها العمام ويتقنون
 فيه ما شاءوا ولذلك سما حساب الغبار وعلى الحقيقة للبين
 الا المذاد والنحو واعلم ان هذه الحروف ليست بداله على
 الاحاد وخدها بل هي ذاله على العشرات والمئين والالاف
 وعلى سائر المراتب المذكورة فانها في بيت الاحاد
 فهو ذال على الاحاد وما كان منها في المرتبة الثانية التي هي منزلة
 العشرات فهو ذال ايضا على العشرات قليلا وليس لها ان بان
 واحد فهو عشرون وان كان اثنان فذلك عشرون ولذلك لا يتعين
 وكذلك ما كان في البيت الثالث التي هي منزلة المئين وبنيتها
 فهو ايضا ذال على المئين ولذلك الا الاثر وتسمى اتما وميسما
 وتكرارها وسائر المراتب فان مثل ذلك في صورة خمسة
 عشر بهذا الاشكال يقول احد فمحل خمسة ويقول عشر فمحل
 في المرتبة الثانية منزلة العشرات علامه واحدا هي عشر واحد
 على هذه الصورة عا ولو كانت عشرين لمجلت اثنين لان

لأن العشرات في بيئتها بمنزلة الإحاد والمئين لذلك وكذا
 جميع مراتب الأعداد إلى ما لا نهاية فان قيل لك كيف
 تترك العشرتين فقد ذكرنا ان العشرتين اثنين في بيت العشر
 لكن ان جعلت اثنين لم يعرف انهما عشرات اذ ليس معهما عدد
 في بيت الاحاد من غيرنا على ان ما بعد عشرات فيجعل اثنين
 وقبلها صغر فتكون الانسان في المراتب الثانية بتلك العشرات
 لان السبعين بعد واحد وانما ذلك على ما بعده اذ كانت المنزلة فارغة
 ولا يكون بعد مئة من ازل وصوره المسلمة في وان قيل لك
 كيف صور مائة وستين ومائتين وعشرين على ما تقدم بل هكذا
 في وان قال يئس ولامه الاف تلو هكذا في ه ه ه
 وصوره عشر هكذا ا وصوره احد عشر هكذا ا ا فقس
 هذا على جميع ما ارد عليك من العدد الى ما لا نهاية له فقد
 ذكرنا المئين لانه بين الاثنى عشر مثال ومن هنا ناتي على
 ما شرحناه ان شاء الله تعالى ه ه

الثاني في العدد الصحيح وما يتولد به وينقسم اليه

الفصل الاول في الضرب اعلم ان ضرب الاعداد بعضها
 وبعضها هو ان تضعف احد العددين بعدد الثاني بعدد
 الاخر من الاحاد واذا كان معناه هذا فما ضرب في الواحد
 او ضرب الواحد فيه لا يتغير اعلم انك اذا ضربت عددا

الاستيعاب في لينغراد

للكاتب الدكتور بيلاييف (لينغراد)

تلقينا من الاستاذ فيكتور بيلاييف مدرس العربية في جامعة لينغراد المقال التالي يشرح فيه بطريقة عفوية مبسطة عمل الجامعة والمختصين في حقل اللغة العربية فصيحها وعماميتها .

الوسطى معتمدا على مؤلفات آداب اللغة العربية وبعض فروع العلوم الفيلولوجية مثل علم البلاغة والبديع والبيان وتاريخها . وبعد وفاته تأصل هذا البحث والتدريس في الاتحاد السوفياتي وتطور كثيرا ، ونشرت كتب ومقالات لعلماء عندنا في بلادنا وفي الخارج .

والآن يدرس في جامعتنا ويدرس اللهجات العربية الحديثة الأستاذ فيكوف . وهو الذي بحث اللهجات العربية في آسيا الوسطى بالقرب من مدينة بخارا وفي منطقة وادي قاشقا دريا في اوزبكستان . وهو يدرس بعض اللهجات ، مثل اللهجة السورية واللهجة المصرية ، نظريا نحويا . ويدرس نظاما نحويا للهجات العربية كلها . وقد نشر عن قريب قاموس اللهجة العربية البخارية (القاموس العربي - الروسي) ونشر بعض النصوص المسجلة من تلك اللهجة .

الأستاذ بيلاييف يبحث الآن بعض المؤلفات الأدبية القديمة ليستخرج منها كلمات وعبارات ولفات ومواد نحوية من طبيعة اللهجات بفرض انشاء نبذة نحوية لتلك الكتب ، مثل الف ليلة وليلة أو رحلة

في لينغراد مركزان للبحث في ميدان الاستشراق وخاصة في ميدان الاستعراب ، هما معهد الاستشراق لاكاديميا العلوم ، والجامعة ، غرفة الاستعراب باسم المرحوم عضو الاكاديميا اغناطيوس كراتشكوفسكي يشتغل بالبحث عن مشكلات تاريخ الاداب العربية والتاريخ وتاريخ الثقافة العربية واللغة العربية اليمنية القديمة ولهجاتها المعاصرة . كل اعضاء هذه الغرفة من خريجي جامعتنا اعني القسم العربي للكلية الشرقية بهذه الجامعة . كان الاستاذ ا. كراتشكوفسكي رئيسا لتلك الغرفة وللقسم او الكرسي العربي بالجامعة كذلك وكان يدير الامور الاستعمارية في لينغراد ، بل في كل الاتحاد السوفياتي ، كما كان ذا نفوذ مسموع الكلمة وكان مشهورا لا في بلادنا وحدها بل في كل العالم بين العلماء والادباء في الشرق والغرب .

توفي الاستاذ عام 1951 رحمه الله . وكان أسس في بلادنا بعض فروع الاستعراب ، من البحث والتدريس ، التي لم تكن قبله في الاكاديميا ولا في الجامعة وهي البحث والدرس عن تاريخ الادب العربي الحديث (في القرون 18 - 19 - 20) وعن اللهجات العربية الحديثة المعاصرة والقديمة ، في القرون

الإطروحة التي موضوعها « النظام النحوي » من لفظة
تلك الكتابات مقارنة باللهجة العربية الجنوبية المعاصرة
مثل السقطري والمهري والحضرمي الخ .

ويبحث تلميذنا الكساندر بابووكين قواعد
الأفعال في اللهجات العربية الشرقية والمغربية . إنما
هو في ابتداء بحثه ونحن نتمنى له التوفيق وننتظر من
زرعه حصيلة طيبة .

مكاربوس بطريرك انطاكية لابنه بولص الحلبي الخ .
وتلك الكتب مشربة بالكلمات والمبازات العامية .

يبحث احد تلاميذنا في المعهد الشرقي يعقوب
غرونتفست عن الكتابات المنقوشة باللغة السبئية
المكتوبة بالخط المسند والمنقولة الى الاتحاد
السوفياتي في السنة الماضية وهو الذي دافع عن

الاستشراق في رومانيا

وحيثما يشير الكاتب الى النشاط الذي تضطلع به هيئة التدريس بهذه الجامعة يقول : « انها تقوم علاوة على النشاط التعليمي ، بنشاط واسع آخر في المجالين العلمي والثقافي يتجسم في اعداد الكتب اللازمة للتدريس ونشر ابحاث علمية في ميادين اللغة والادب العربي والعلاقات الثقافية الرومانية العربية ونشر تراجم اهم المؤلفات العربية الكلاسيكية والحديثة عن الادب العربي وغيرها كما يقوم اعضاء هيئة التدريس بنشر مقالات وتراجم عن الشعر العربي في الجلات الادبية الرومانية بصورة مستمرة حيث يعرفون بذلك القراء الرومانيين قيم الحضارة والادب العربي ، وحيث يشاركون في تعارف متبادل احسن وفي التقارب بين الامتين الصديقتين الرومانية والعربية »

ويضيف صاحب المقال قائلا : « كما ان هيئة التدريس تشترك كذلك في التعاون مع الاختصاصيين المستشرقين الاخرين برومانيا في نشاط جمعية المستشرقين التي أسست مؤخرا والتي تنظم دوريا ندوات علمية تقدم فيها بحوث قيمة في علم الاستشراق تنشر في مجلة الجمعية وفي مجلة الجامعة وفي مجلات علمية اخرى وفي مجلدات خاصة » .

ويذكر الكاتب انه « بينما كان يشغل في هذا القسم استاذ واحد فقط بعد افتتاحه في عام 1957 ، وصل عدد الاساتذة الذين يقومون بالتدريس في هذا القسم الى خمسة اساتذة ومن بينهم استاذة حصلت على درجة الدكتوراه في علم اللغة من جامعة بوخارست

نشرت مجلة « الاقلام » العراقية الزاهرة ، في عددها السادس من السنة الثامنة 1972 ، مقالا حول « دراسة اللغة العربية في رومانيا » وانها به الاستاذ نيقولا دوبريشان من بوخارست ، وقد اثار صاحب المقال الى انه قد مر حتى الآن خمس عشرة سنة منذ تأسيس قسم اللغة العربية والادب العربي ضمن مجموعة اللغات الشرقية التي تدرس بجامعة بوخارست ، وقد كون هذا المعهد خلال هذه الفترة عددا كبيرا من الاختصاصيين الذين يعلمون اللغة العربية والذين يعملون في رومانيا على دعم التعاون والتطور المستمر للعلاقات الرومانية العربية في مختلف الميادين « ومن المميزات التي تنفرد بها هذه الجامعة في تدريسها اللغة العربية كونها « الى جانب اعداد الطلبة اعدادا نظريا عميقا يكمُن في دراسة قواعد اللغة العربية والادب العربي وتاريخ وحضارة العرب وعلم الاسلام وعلم اللهجات وغيرها من العلوم النظرية يتلقى الطلبة كذلك اثناء سنوات الدراسة اعدادا عمليا بمعنى التعرف على احدى اللهجات الدارجة واستخدامها عمليا » .

كما ان الاعداد المحصول عليه من جامعة بوخارست يتم اكمالها عند الضرورة، بفترات للتخصص في البلدان العربية والاشتراك في دراسات دورية قصيرة الامد تنظمها بعض البلاد العربية من اجل المستعربين » .

عام 1971 ، بأطروحة تناولت بالبحث موضوعا في علم اللغة له علاقة باللغة العربية ، كما يعد - في الوقت الراهن ، أستاذان آخران للقسم أطروحتين للدكتوراه كذلك أحدهما عن موضوع : طرق تكوين المصطلحات السياسية والاجتماعية في اللغة العربية المعاصرة ، والثاني عن رحالة عربي في البلدان الرومانية في القرن السابع عشر .

وحيثما يشير الى تاريخ اهتمام الرومانيين بالاستشراق يقول : « وعلى الرغم من أن دراسة نظامية اللغة العربية بدأت في رومانية بعد تأسيس قسم اللغة العربية في نطاق جامعة بوخارست ، كانت توجد في رومانيا اهتمامات قديمة بعلم الاستعراب وبالماضي الغني للعلاقات الرومانية العربية ، ونكتفي بالاشارة هنا الى أسى اثنين من المستشرقين الرومانيين المشهورين : أحدهما واسمه ديميتري كانتيمير ، عاش في بداية القرن الثامن عشر وهو علامة عظيم تمت ترجمة مؤلف له في اللغة العربية في عام 1705 تحت عنوان « صلاح الحكيم وفسادة العالم الديميم » والآخر هو تيموتي تشيباريو وقد عاش في منتصف القرن التاسع عشر وامتلك مجموعة غنية من

الكتب والمخطوطات العربية أصبحت الآن رصيـدا ثمينا من الكتب العربية التي تمتلكها مكتبة مـسرح اكاديمية العلوم الرومانية في مدينة « طلوج » .

ويشير صاحب المقال كذلك الى أن الاقبال يزداد على تعلم اللغة العربية ببلاده نتيجة للتوسع المستمر للعلاقات الرومانية العربية وزيادة الرغبة في التعرف أحسن فأحسن على حضارة الامة العربية ، وتدرس اللغة العربية - عدا في الجامعة الشعبية ببوخارست ، تدرس كذلك في الجامعة الشعبية بمدينة « تيميشوارا » كما تدرس في قسم اللغة العربية بجامعة بوخارست المشار اليه آنفا ويحضر هذه الدروس هواة تتراوح اعمارهم بين 15 و 65 سنة ، وينوه الا انه ابتداء من سنة 1971 بدأ تدريس اللغة العربية بصورة تجريبية لتلاميذ الابتدائية في مدرسة لمدة عشر سنوات ذات التدريس بلغات اجنبية ويتنبأ الكاتب في ذيل مقاله الى انه سوف تحقق انجازات ضخمة في ميدان الاستعراب ببلاده في المستقبل القريب ، كما يشير الى انه كتب هذه العجالة بمناسبة مرور خمس عشرة سنة على تأسيس قسم اللغة العربية والادب العربي بجامعة بوخارست .

الوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى*

عبد العزيز بن عبد الله

الأستاذ في جامعة الرباط ودار الحديث الحسنية

كلام الفرس حاء حيث يقولون مهمد لمحمد ولذلك نرى أن كلمة الاهواز اسم عربي أطلق على هذا الاقليم في العصر الاسلامي وتسمى بهذا الاسم في المغرب الأقصى ناحية مراكش عاصمة المرابطين والموحدين والسعديين ولعل لهذه التسمية صلة بما يحكيه بعض المؤرخين حول اسباب اطلاق اسم سوس على أقصى جنوب المغرب في الاطلس الصغير فيروي المؤرخ الروماني سالوست (Salluste) المتوفى في عام 35 قبل الميلاد (في الكتاب الذي صنّفه حول « حرب يوغورتا » ملك نوميديا من أسر امراء البربر والبولود عام 154 قبل الميلاد) أن الفرس الذين حاولوا الاغارة على شبه الجزيرة الايبيرية (اي اسبانيا والبرتغال) في عهد هيراكلس (Héraclés) (وهو هيركول اللاتيني الذي سميت به اساطين هرقل اي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الأقصى) قد تحولت اشريعة مراكبهم بشدة الريح الى المحيط الاطلنطي فوصلوا

الخليج عريق في العروبة وقد استعمل الجغرافي اليوناني سترابون (Strabon) المتوفى بين 21 و 25 ميلادية كلمة الخليج العربي في وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب ويرجع اطلاق المؤرخين اسم الخليج (1) الفارسي الى القائد اليوناني نيركس بعدما عاد من الهند مبعوثا من سيده الاسكندر الاكبر حيث لم يمر الا من الساحل الشرقي فظن ان المنطقة كلها فارسية وتتجلى عروبة المنطقة أيضا منذ اعرق (2) العصور في الاسم الذي تحمله مقاطعة « خوزستان » الايرانية التي كانت تسمى من قبل الفرس الى السنوات الاخيرة « عربستان » اي « بلاد العرب » ولا تزال تقطنها الى الآن قبائل عربية مختلفة كبنو تميم الذين ينتسب اليهم الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه « وعربستان » هذه هي التي كانت تسمى « الاهواز » والاهواز كما جاء في معجم البلدان جمع هوز وأصله حوز لانه ليس في

(x) هذا نص محاضرة القاها الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله في ابي ظبي يوم رابع يناير 1973 .
(1) ودرج على ذلك المؤرخ الروماني بلين (Pline) المتوفى عام 79 م حيث سمي الخليج باسمه الصحيح وهو الخليج العربي .

(2) وقد ندد الرائد الدنماركي كارستن نيبور عام 1762 م (1176 هـ) بهذا الزعم الذي رده جغرافيون صوروا جزءا من بلاد العرب كانه خاضع - كما يقول نيبور - لحكم ملوك الفرس كما أبرز هذه الحقيقة الرحالة الانجليزي هورو دريك اوين في القرن العشرين رغم تواطؤ الكثير من الجغرافيين المعاصرين على الغض من عروبة الخليج .

تشابك الدوحة العربية بالدوحة الفينيقية في كتابه « ملوك العرب » .

وبذلك يكون الفينيقيون قد هاجروا من الخليج الى البحر المتوسط منذ خمسة آلاف سنة كما يقول المؤرخ رولنسون .

وقد وسع الفينيقيون شبكة مستعمراتهم على سواحل المتوسط وأسوا ليكس واوتيك ومالقة وقادس (بالاندلس) وهبو (عنابة وبنزرت) ثم تجاوزوا حسب سترابون أساطين هرقل وتأكد ذلك بعد قيام خبراء بحفريات على طول سواحل المحيط الاطلسي مما قد يؤكد النظرية القائلة بأن هانون قد وصل في رحلته في القرن الخامس قبل الميلاد الى درعة والساقية الحمراء وربما غينيا في قلب القارة الافريقية وقد اصبحت اللغة البونيقية (Langue punique)

المتمدة من الكنعانية العربية مع تطعيمات محلية لغة اشبه بعامية افريقيا الشمالية في العصر الحاضر نشرنا بحثا عنها في مجلة « اللسان العربي » (التي اشرف بادارتها ورياسة تحريرها وهي لسان « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ») .

وخلاصة ما في هذا البحث انه عثر في البرازيل على حجارة مكتوبة بالعربية اليونانية تحمل تاريخ 125 قبل الميلاد نتج عن مقارنتها باللهجة الدارجة اليوم في المغرب العربي ان هذه اللهجات ليست سوى امتداد اصيل للغة بني كنعان العربية التي استعملت قبل الاسلام في كل من الخليج العربي قبل البعثة المحمدية بأزيد من الف عام ، وقد اعتبر الرحالة المغربي الكبير الحسن بن محمد الوزاني المعروف عند الغربيين بليون الافريقي (Léon l'Africain) ان الفينيقيين عنصر هام في سكان افريقيا الاقدمين حيث انتقل فوج منهم صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام 1215 ق. م عندما اجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم تابعت الجاليات ايام نبي الله داود عليه السلام عام 1055 ق. م والواقع ان العرب كانوا يملأون - باضافة الى الشمال الافريقي - هضبات وبطاح جنوب افريقيا حيث كشف الدكتور استانلي تيبور على مقربة من نهر زمبيز في مقاطعة رودسيا آثارا منقوشة مع رسوم مكتوبة استدل بها على ان العرب استثمروا مناجم الذهب التي كان قد استثمرها قبلهم اسلافهم عرب اليمن وقد لاحظ صاحب قصة الحضارة (ج2 ص 43) ان الحضارة ظهرت في بلاد اليمن وبلاد المغرب القديمة وانتشرت في صورة مثلث الى شومر وبابل واشور ومصر وبعض هذه النظرية ما قيل من ابوة

الى جنوب المغرب حيث اتصلو بالجيتول (Gétules) (وهم اهل جزولة الحالية على ما يظهر) فتصاهروا معهم وسميت سوس (وكذلك كل من مدينتي سوسة التونسية والليبية وهما متشابهان ونهر سوس قرب قرطبة واشيلية بالاندلس وسوسة كورة بالاردن (معجم البلدان ج 5 ص 173) وسوسة مدينة بالصين (صبح الاعشي ج 4 ص 483) اقتبسنا من كلمة سوسانة (Susiane) (او ارض عيلام (Elam) الواقعة بمنطقة الاهواز على ان الفرس قد اشتهروا قديما بالتوميديين ومعناه الرمل بلقتهم وقد اطلق هذا الاسم على اهل نوميديا وهي اقليم افريقي يقع بين منطقة قرطاج التي اسماها الفينيقيون كعاصمة لمستعمرتهم عام 814 ق. م . وبلاد موريطانيا وقد خضعت هذه المنطقة بعد ثورة يوغورطا الى الحكم الروماني وسنرى كيف ان هذه العناصر تشكل حلقات في الشبكة الواسعة التي حبكها الفينيقيون منذ اعرق العصور بين الشمال الافريقي والخليج العربي ، نعم كان للعرب الكنعانيين اي الفينيقيين جولات في الخليج العربي فهم الذين أسسوا مدينة تير (Tyre)

(صور الحالية في لبنان) في الالف الثالثة قبل الميلاد ، وكانت عاصمة تشرف على القوافل التي تنقل الى الغرب ما ينتجه الشرق الآسيوي عبر بحر القلزم والفينيقيون هم الذين أسسوا مدينة قرطاج (واسمها محرف عن قرية حداش اي القرية الحديثة لأنها أسست بعد كل من مدينة اوتيك (Utique)

التونسية ومدينة ليكس (Lix) المغربية حوالي (110 ق. م) وقد سقطت مدينة تير تحت الحكم الروماني عام 64 ق. م . واشرف عليها وعلى قصر فرعون اي ويلي القديمة (Volubilis) بالمغرب الاقصى الامبراطور الروماني سبتيم سيفير (Septième sévère) بين سنتي 193 و 211 ق. م

ويرى بعض المؤرخين ان الفينيقيين كانوا قد استقروا فترة من الزمن في شواطئ الخليج قبل ان ينتقلوا الى الساحل السوري وانهم سموا مدينة « صور » على شاطئ البحر المتوسط تيمنا باسم مدينتهم الاولى على شاطئ الخليج ولعل الآثار التي تم الكشف عنها في المنطقتين تضيء على هذه الرواية سمة من الحقيقة لا سيما وان مؤرخين محدثين قد أكدوا ذلك ومن جملتهم الاستاذ جان جاك بيربي (J.J. Berreby) في كتابه « الخليج الفارسي » (Le Golfe Persique) والى الاستاذ امين الريحاني الذي ابرز بالاضافة الى ما ذكر

اليمن (بلد العرب البائدة) للشعب العربي في سائر اقطاره وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث كانت نسبة المواليد منخفضة والوفيات مرتفعة مما سهل استيعاب الهجرة .

وقد تحدث ابن خلدون في تاريخه (ج 1 ص 99 طبعة بيروت) عن عروبة جبال الاطلس المغربية فأشار الى ما اكده المؤرخون والنسابون العرب امثال الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من ان صنهاجة (سكان الاطلس الاوسط) ومصمودة (سكان الاطلس الكبير) وكتامة (بشمال وشرقي المغرب الاقصى) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة - حسب هذه الرواية - امرق في العروبة من ربيعة ومضر لانتسابهم الى افريقش بن قيس بن صيفي الحميري وقد تحدث عن هذه النظرية القلقشندي في صبح الاعشى (ج 1 ص 321) فلاحظ ان افريقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام - مركز الفينيقيين ومهاجري الخليج العربي - الى المغرب ملاحظا ان اكثر الاقوال جانحة الى عروبة البربر خلافا لابن حزم (في جمهرته) وتبعه ابن خلدون (التاريخ ج 6 ص 96) الذي زعم انه لم يكن لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر ان ابن خلدون اغفل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم (أي عيذاب وبور سودان الحالية) وصحراء السودان والتشاد بالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى النيجر الى مراکش تلك الطريق التي أكد الحسن الوزاني في وصف افريقيا (ج 1 ص 14 و 29) انه رافق عام 918 هـ تجارا انتقلوا من المغرب الى السودان ثم مصر حيث دشنوا طريقا جديدة من الجنوب تصل الصحراء بمصر عن طريق التشاد وكانت الطريق العادية بواسطة فزان وطرابلس قد هجرت منذ قرن نظرا لعبث عرب الساحل وكذلك البحر بسبب القرصان المسيحيين وقد لاحظ المؤرخ الالمانسي (هانز Hanz Helfritz) في كتاب له حول اليمن (تعريب خيرى حماد ص 134) التشابه الملحوظ بين الالمان في اغاني الجنوب العربي وبين الموسيقى البربرية التي تمكن كارل ولهام لخمسان (1793 م - 1851 م) من تسجيلها فأبرز وحدة الانشاد ، اضع الى ذلك وجود ابنية بالاطلس تشبه تلك التي تقوم في الجنوب العربي وتحمل نفس المظاهر المعمارية ، وقد شرح هورن بوستل النمساوي (1877 - 1935 م) انتماء البربر واليمنيين الى اصل واحد ينتسب الى آسيا الشرقية .

وسنرى كيف ان سجلماسة عاصمة الصحراء كانت منذ القرن الثالث الهجري مركزا للقوافل التجارية بين بصرة المغرب وبصرة الخليج وليس يدع ان يوغل في الصحراء اهل هذه الصحراء لا سيما وان هؤلاء كان دابهم في جميع الاعصار الفرار من رطوبة السواحل والتوغل في الرمال سواء كانت في النيجر ام في السودان ام في الثلث الخالي من جنوب غرب آسيا وقد اسس العرب مراكز تجارية في غمار الصحاري كمحطات للقوافل المحملة بالبضائع الجلوبة من اقاصي البلاد وكانت التجارة آنذاك تمر حتما في الطرق البرية لأن العرب لم يكونوا قد استأنسوا بعد بالطرق الملاحية وقد ساعدت وحدة نظام الحياة القبلية في الصحراء على هذا الترابط .

ويعتبر القرن الثالث الهجري قمة نشاط الحركة التجارية برا وبحرا وفترة ذهبية في تاريخها فالس القرن الثالث الهجري يرجع تاريخ الكثير من رحلات الجغرافيين العرب حول العالم كابن وهب القرشي الذي رحل الى الصين عام 256 هـ وسليمان الصرافي الذي كتب رحلته الى الخليج العربي والخليج الصيني عام 237 هـ وسلام الترجمان الذي رحل الى الصين الشمالي ايام الخليفة الواثق بالله واليعقوبي صاحب البلدان وابن خرداذبة صاحب المسالك والممالك المتوفى عام 300 هـ اما في اوائل القرن الرابع فهناك الحسن المهلب الذي رحل الى السودان عام 375 هـ ومحمد التاريخي الاندلسي المتوفى عام 363 هـ وهو صاحب « كتاب وصف افريقية والمغرب » وابو دلف الذي رحل الى الصين حوالي 331 هـ والاصطخري صاحب « الاقاليم » و « الممالك » الذي لقى ابن حوقل استفرق تجواله حول العالم ثلاثين سنة والمسعودي صاحب « مروج الذهب » و « معادن الجواهر » الذي فرغ منه عام 336 هـ وهو كما وصفه ابن خلكان امام المؤرخين ، والواقع ان طريق الوطن العربي الى الصين فتح منذ عام 31 هـ (651 م) بتتابع سفارات بلغت في ظرف 147 سنة ستا وثلاثين بعثة دبلوماسية عربية (مجلة بناء الصين عدد 3 - 1966) على ان الكلمة التي استعمالها التجار العرب والرحالون الاوربيون في العصور الوسطى لتسمية بيكين (Pékin) هي لفظة خان باليك (Khan Balik) (دائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص 1024) وكانت الخطوط التجارية كلها سواء انبثقت من غرب أوربسا او من الشمال الافريقي او من روسيا تؤدي الى ميناء الابلة وميناء البصرة وقد اكد الرحالة بانيكار في كتابه

في المدينة بصرف كل دفعاته بالشيكات على البنوك ومثل هذه الحوالات كانت أيضا بسجل ماسة حيث كانت التجارة مزدهرة مع السودان والبصرة حسب ابن حوقل الذي حدثنا (المسالك والممالك ص 70) عن العوائد التجارية بهذه المدينة (عاصمة الصحراء المؤسسة عام 140 هـ) فلاحظ انه « رأى صكا فيه ذكر حق على رجل من أهل سجلماسة لرجل آخر من أهلها بأربعين ألف دينار » كما رأى ذلك بخراسان والعراق (ولعله يعني البصرة) وكان التجار المسيحيون الواردون من الاندلس وتلمسان يمرون بسجل ماسة الذي أكد ياقوت الحموي في معجمه أن مصانع نسيجها بذت في جودة الانتاج مصانع مصر كما لاحظ ابن خردادبة الجغرافي العربي في القرن الثالث الهجري أن التجار الصقالبة كانوا يمرون في وجهتهم نحو لشرق عن طريق سوس الأدنى أي طنجة ومنها إلى أفريقيا ومصر وتشمل مقاطعة سوس الأدنى بالإضافة إلى فاس مدينة البصرة المغربية بحيث يمكن القسول بأن هذا المركز كان منطلقا للقوافل نحو البصرة الشرقية سواء عبر الصراء الجنوبية أم خلال بلاد الكنانة ولعله ليس من العبث أن تحمل مدن مغربية واندلسية على طول الطريق الغربي أسماء مدن أخرى تتلاحق في الشق الشرقي لنفس الطريق فبالإضافة إلى البصرة وسوس الاهواز وحمص (في كل من فاس الجديد والاندلس) توجد في قلب الأطلس مدينة القاهرة وفي قلب الريف إقليم فشتالة المعروف بالشام الصغيرة كما توجد في الاندلس مدينة تدمير (Todmir)

Encyclopédie de l'Islam, IV, p. 848

المتساوقة في اسمها مع تدمر السورية (Taomor Palmyre) التي كانت منذ العصر الروماني من أبرز المراكز التجارية في هذه الشبكة وكانت أشهر المدن والعوائىء في الخليج آنذاك أبولو جوس أي الأبله (Abolla) التي ينتمي إليها أبو عبد الله الأبله شيخ ابن خلدون وقد ظلت الأبله المخرج الرئيسي على الخليج من أجل التجارة الفارسية في النقطة التي تلتقي عندها الطرق العظيمة من فارس وجزيرة العرب على ضفتي دجلة وقد لفت ابن خردادبة الانتباه إلى المكانة الهامة التي احتلتها الأبله في التجارة بين الشرق والغرب حيث كان التجار اليهود يقفون من فرنسا في البحر العربي (أي المتوسط) ويتجهون نحو انطاكية ومنها إلى بغداد ثم الأبله فالسند والهند والصين وقد ظلت هذه المدينة بارزة على المسرح العالمي مرتبطة بالبصرة في النشاطات البحرية الخاصة بالخليج لعدة قرون وإذا كانت مدينة البصرة

حول « آسيا والسيطرة الغربية » أن العرب سواء في الشرق أم في الغرب أصبحوا يتنافسون مع الشعوب الأخرى على تجارة الأفاوية فكان للتجار مستودعات بالقاهرة والاسكندرية بل حتى بمدينة فاس في المغرب الأقصى (ص 37 ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد) أضف إلى ذلك أن تجارة الرقيق المجلوب من أفريقيا السمراء وحركة الحجيج كان لهما ضلع في تعزيز هذه الحركة التجارية وقد بلغ من اهتمام المسئولين العرب بتأمين طرق المواصلات أن عزم عمرو بن العاص وبعده هارون الرشيد على شق ترعة السويس حتى تمتد الخطوط التجارية دون انقطاع من الاندلس والمغرب إلى الصين وقد اشتهرت ثلاث مدن ملاحية في الخليج العربي بنشاط غامر في هذا الحقل التجاري فكانت سيراف تربط الخليج بالصين بينما كانت البصرة نقطة التقاء للسبل البحرية وطرق القوافل التجارية حيث بذت في شهرتها ميناء الأبله الذي ظل مع ذلك المركز التجاري الأوحده ما بين الخليج العربي والخط الملاحي لنهر دجلة الممتد إلى البصرة وقد تعزز التبادل آنذاك بين الشرق والغرب بوحدة العملة حيث كان التجار يعتمدون العملة الذهبية وهي الدينار والفضية وهي الدرهم وقد بلغت مكانة سجلماسة مبلغا جعل الاندلسيين أنفسهم يتعاملون بالدينار السجل ماسية (البيان لابن عذارى ج 2 ص 344) نظرا لضرورة توحيد العملة بين المراكز التجارية في طريق القوافل وقد وقع العثور عام 1951 في الانقراض الإسلامية بقصر فرعون (Volubilis) على 231 درهما فضيا من العصر الأموي مع دينار ذهبي دمشقي وكلها دراهم شرقية من واسط ومرو واضطخر وجند يسابور ودمشق وحمدان وأفريقيا .

وإذا علمنا أن البصرة تقع على الطرف المباشر للصحراء في جانب الأرض المزروعة وبساتين النخيل في منطقة شط العرب علمنا لماذا كانت محط أنظار الحضريين والصحراويين من المغاربة حيث أسست بصرة المغرب بالقرب من مدينة القصر الكبير شمالي المغرب وظلت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان ومرحلة في طريق القوافل إلى أن هدمها أبو الفتح عام 368 هـ (البيان لابن عذارى ج 1 ص 330) وقد حدثنا ناصر خسرو الذي زار مدينة البصرة الشرقية عام 1050 م عما وجده من عادات لدى التجار الذين كانوا يملكون كمبيالات أو سفنجات يحفظونها لدى تاجر عملة أو رجل بنك مقابل إيصال وكل المشتريات تدفع بالشيكات أو الحوالات ويقوم التاجر طوال إقامته

المتوسط ولم يقبض العرب على زمام البحر الاحمر المتوسط فحسب بل أصبحوا سادة المحيط الهندي لا سيما بعد ان اكتشفوا الرياح الموسمية وسخروها لخدمتهم وانشأوا الموانئ والمنازل التي تشتعل فيها النيران ليلا لتهدئ بها السفن وعززوا المرافئ بمراكز الحاميات حفاظا عليها من القرصنة وغارات البدو ، وقد اشار ابن مرزوق في « المسند الصحيح الحسن » (هسبريس (Hesperis) ج 5 عام 1925) الى وجود « مدارس ومناظر على طول الساحل بين أسفي (في المحيط الاطلنطيقي) وجزائر بني مزغانة (عاصمة الجزائر الحالية) تتخبر فيما بينها باشغال النيران في أعلاها وفي كل محرس رجال مرتبون ونظار وطلاع يكتشفون البحر فلا تظهر فيه قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين والتنبير يبدو في المحارس للتحذير » .

وقد اشار البكري (افريقيّة والمغرب في المسالك ص 35 و 48) الى محارس سوسة والمنستير وفي هذا العصر استعصى عن الموالي الصقالبة الذين نقت نخاستهم منذ القرن الهجري واقتن اسمهم بها حتى صار الاوربيون يطلقون اسم الصقالبة (Slaves) على العبيد (Esclaves) (1) نقول استعصى عنهم بالزواج الذين أصبح التجار المسلمون يأتون بأعداد ضخمة منهم وقد تجلت هذه الظاهرة بالقسم الشرقي من المغرب العربي أي في تونس خاصة منذ استوطنت جماعات من الباطنيين والزيديين افريقيّة فرارا من الاضطهاد العباسي ثم استفحل ذلك عندما زج الفاطميون - اقتصاصا من بني زيري - بمائتي ألف قرمطي من بني هلال وبني سليم الذين نشروا الدمار في هذه البلاد مما حدا ابن خلدون الى التنكر في القرن الثامن للعرب الذين لم يكن يقصد بهم سوى الاعراب وخاصة هؤلاء ولم تدخل الى المغرب من هؤلاء سوى فلول منتقاة كان الزمن قد عفى على عنجيتهم البدوية ونزعتهم القرمطية فكان لهم ضلع في تعريب المغرب وشنقيط والواقع ان الباطنيين من القرامطة او اليديين قد عاثوا فسادا في افريقيّة وجاس المغامرون منهم في مجاهل الصحراء الافريقيّة لاصطياد الزوج في الادغال الكثيفة وفي هذا العصر حادت طريق البر في شمال افريقيا عن خطها العادي لتتصل بالبصرة وبغداد وسوريا ومصر بواسطة الخط الساحلي على طول بحر

الحديثة قد امتصت الأبلّة فان ذلك لم يتم الا بعد القرن التاسع الهجري وهنا يمكن أن نتساءل عن الدور الذي قام به الخوارج لمعم الروابط السياسية بين الخليج والمغرب منذ صدر الاسلام ، فالأزارقة قد ثاروا في الاهواز والبصرة حيث استباحوا دماء وأعراض المسلمين الخارجين عن نطاق فكرتهم ولكنهم ما لبثوا ان انهزموا لتطرفهم فخلعهم الصفريون القائلون بضرورة التعايش مع غير الخوارج وقد نفذ هؤلاء الصفريّة في المغرب الى قلوب البربر الذين شقوا الطاعسة على الخليفة هشام وأججوا نار الثورة عام 121 هـ باقليم طنجة وتسربت فلولهم الى الصحراء فأسست (عام 140 هـ) مدينة سجلماسة التي أصبحت حاضرة بني مدرار الى منتصف القرن الرابع الهجري وهو التاريخ الذي تهدمت فيه مدينة البصرة المغربية وانهار الحكم الخارجي وكذلك الشيعي في المغرب بانهزام جوهر الصقلي الذي نقل عدته الى مصر حيث بنى القاهرة وليس من قبيل الصدفة ان يجعل الخوارج من البصرة مؤنلا لهم ومركزا ينافسون به الكوفة التي عدت قاعدة من قواعد الشيعة في نفس الوقت الذي جعلوا من سجلماسة في قلب الصحراء المغربية حاضرة لامارة خارجية وحلقة أساسية في سلسلة المراحل التي تاوى اليها القوافل التجارية كما انه ليس من قبيل الصدفة ان تتقلص الحركة التجارية بين الخليج والمغرب في القرن الرابع الهجري في نفس الوقت الذي تقلص فيه نفوذ الخوارج .

ومنذ ان استوثقت روابط المغرب بالصحراء في القرن الخامس بدأت أسواق النخاسة تتفق في خفاء وكذلك كان الامر عندما شكل عنصر الزنج في الدور العباسي الثاني (ما بين 233 هـ و 468 هـ أي 847 م 1075 م) طبقة متميزة في المجتمع العربي وخاصة في شمال الخليج فعززوا حركة الرق والنخاسة يساعدهم امتداد النفوذ الاسلامي الى افريقيا (أي تونس وجزء من الجزائر) وازدهار الملاحة العربية حيث ما فتىء الأبوليون ان سيطروا في القرن التالي على الشق الشرقي لبحر العرب أي البحر الابيض المتوسط يساندهم في الشق الغربي الموحدون الذين كان لهم اسطول من اربعمائة قطعة اعتبره المؤرخ الفرنسي أندري جوليان أعظم اسطول في البحر

(1) صقلاب هي أرض بالاندلس وصقلية حسب ياقوت (معجم البلدان ج 5 ص 372) ولعل قسما من الصقالبة ينسب اليها لا الى جنس السلاف

العرب على أن حركة القرامطة الإبادية قد بدأت منذ سنة 315 هـ / 927 م حيث استولوا على البصرة وظلوا يعرفون سير القوافل التجارية أو قوافل الحجيج لاعتقادهم أن الحج من شعائر الجاهلية بل من قبيل عبادة الأصنام ولذلك أجهز القرامطة على مسن سموه بالكفار وعبدة الأحجار بمكة فردموا بئر زمزم وكدسوا جثث القتلى في المسجد الحرام واندفعوا بخربون جوانبه بحرابهم وخيولهم فاحتملوا معهم الحجر الأسود إلى الأحساء حيث بقي ملقى إلى عام 339 هـ / 900 م .

وبنو هذيل هؤلاء الذين حاولوا في الخليج الوقوف في وجه القرامطة منتهكي حرمة البيت هم الذين أشرنا إلى اعتدالهم عندما هاجروا إلى المغرب الأقصى في القرن السادس الهجري بدعوة من المنصور الموحدى بطل معركة الأرك في الأندلس .

ومهما يكن فإن هذه الأحداث قامت حجر عثرة في طريق المبادلات التجارية حيث أن الحشاشين من الإسماعيلية الباطنية امتدت جذورهم في شرقي الخليج حتى خلال الحكم الأيوبي إلى الوقت الذي زحف المغول على فارس حوالي 659 هـ / 1260 م .

وإذا كانت التجارة قد تقلصت في هذه الفترة بين المغرب والخليج خاصة وبين الشرق والغرب عامة فإن ذلك لم يكن يرجع بالنسبة للمغرب إلى وجود هذه الطوائف الهدامة بل لأن هؤلاء كانوا منبئين على طول مراحل القوافل شرقاً ينهبون ويقتلون ويدمرون ومع ذلك فإن نفس العوامل كانت تدعم حركة النخاسة والمبادلات لا سيما بعد أن احتل ملوك المغرب السعديون السودان أوائل القرن العاشر الهجري ثم العلويون بعدهم عندما توغل زعيمهم السلطان المولى اسماعيل في قلب الصحاري إلى حدود غينيا وشكل جيشاً من العبيد (أي الزوج) ما لبث أن أعاد تاريخ ثورات الزنج بالشرق وخاصة بالخليج إلا أن عنصراً جديداً ظهر منذ أوائل القرن السادس عشر حيث حاول البرتغاليون الاستعماريون سد البحر الأحمر في وجه السفن العربية للاستيلاء على مداخله تمهيداً لغزو الخليج العربي وكانوا قد أنشأوا عام 1482 م في ساحل الذهب أول مستعمرة لهم في أفريقيا وهنا يبرز دور المغرب في انتافذ الخليج من ضغط الاستعمار البرتغالي ففي عام 1540 م دخل سليمان القانوني إلى الخليج العربي من الشمال ونازل البرتغاليين في معركة ميناء « مصوع » على الساحل الأفريقي من البحر الأحمر

حيث اندحر البرتغاليون أمام الاسطول العثماني غير أنهم لم يكفوا عن مهاجمة المراكز العربية في الخليج مضاعفين ضغوطهم على المغرب الذي انكفأوا إليه بعد أن قضوا على آخر من تبقى من العرب في الأندلس تقتيلاً وتهجيراً ولكن رد فعل المغرب الأقصى كان عنيفاً ، ففي عام 986 هـ (1578 م) هاجم البرتغال بقضه وقضيضه شمال المغرب بقيادة ملكه الشاب الدون سبستيان (Don Sébastien) وبلغ جنسده البرتغال آنذاك مائة وخمسة وعشرين ألفاً وقطع اسطولهم الرابضة في أصيلا والعرائش 847 وزحف الجيش البرتغالي إلى وادي المخازن في متم جمادى الأولى من نفس السنة أي ربيع غشت عام 1578 م وكانت هجمة صليبية عززت فيها البابوية الزحف المسيحي على العالم الإسلامي شرقاً وغرباً باستنفار الدول الكاثوليكية وتعبئة شباب الفاتكان وكانت الحملة لاحتلال المغرب منسقة بقيادة البابا اقتصاصاً من الوجود العربي بالأندلس وتعويضاً للمسيحية عن فقدان روديس وجزء من هنغاريا والبابا الاسكندر السادس هو الذي أصدر مرسوم تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ بين إسبانيا والبرتغال عام 1494 غداة الكشف عن أمريكا ولكن أبى الله إلا أن يهزم هؤلاء الأحزاب وينصر عباده المؤمنين فقتل ملك البرتغال وأسر جيشه وفر أسطوله فكانت هذه المعركة - كما يقول المؤرخ الفرنسي هنري طيراس - المعركة الفاصلة في تاريخ الصراع بين المسيحيين والإسلام أنزلت ضربة بالطموح البرتغالي وفككت أوصال مملكة البرتغال لأن الدون سبستيان مات بدون وارث فخلفه عمه فيليب الثاني ملك إسبانيا التي اندمجت فيها البرتغال أزيد من ستين سنة ظلت خلالها خاضعة هي نفسها للأسبان ولذلك تم خلال هذه الفترة اجلاء البرتغاليين عن منطقة البحرين التي احتلوها قرناً كاملاً عام 1622 م أي بعد معركة وادي المخازن بأربع وأربعين سنة ، كما طرد البرتغاليون عن مجموع مستعمراتهم على الشط العربي عام 1649 م الموافق 1059 هـ وبذلك تحرر العالم العربي من هيمنة البرتغال الذين لطمخوا تاريخ العروبة والإسلام طوال أربعة قرون .

وإذا كان الخليج العربي قد غدا منذ القرن الثالث البحري المرحلة الرئيسية في تاريخ الملاحة العربية تمر به المراكب في ذهابها وإيابها بين أوروبا والشرق الأقصى عبر البحر الأبيض المتوسط فإن كلا من الخليج والبحر المتوسط كانا عالة الواحد على الآخر واستمر هذا التساوق إلى القرن العاشر

بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربي في كتابه « الكليات » في الطب على أن مجلة « نيوزويك » الأمريكية أكدت في عددها الصادر في أبريل 1960 (راجع الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص 13) أن الوثائق التي عثر عليها تثبت أن أمريكا كانت معروفة للعرب « الذين قاموا - حسب تعبيرهم - قبل سنة 1100 م على الطرف الغربي للعالم الإسلامي ومن ميناء الدار البيضاء على التحديد ورسوا في عدة مواضع على الساحل الأمريكي » وقد أبد هذه النظرية (1) الدكتور لين شينج بانج أستاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد كما أيدها الدكتور ريتشارد رودولف رئيس المؤتمر الذي عقدته الجمعية الشرقية الأمريكية . وقد كان ابن عربي الحاتمي يرى أن وراء المحيط الاطلنطيقي امما وعمرانا وقد عاش قبل كولومبس بثلاثة قرون وتحدث محمود الاصفهاني (المتوفى عام 749 هـ) قبل كولومبس بمائة وخمسين سنة عن احتمال وجود ارض وراء المحيط كما ذكر ابن الوردي في جغرافيته أنه يوجد وراء الجزر الخالدات (اي كناريا) جزائر وصفها وصفا يكاد ينطبق على أمريكا وقد عاش ابن الوردي قبل كولومبس بأكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربي - محاضرات مجمع دمشق ج 2 ص 233) .

وهنا بدأت في المغرب والخليج فترة جديدة من الصراع تجلّى في ظهور الانجليز على مسرح التجارة الخارجية حيث تنفسوا الصعداء من اندحار البرتغال فأقاموا في الشرق الشركة الهندية ، وفي المغرب شركة بربريا (Barbary Company) وبينما أرادوا أن يركزوا في الخليج وجودهم بملء ما تركه البرتغاليون من فراغ اذا بهم يكتفون في المغرب بالعمل على حماية صفاتهم التجارية من القرصنة وتأمين البحر المتوسط من غازات المراكب والسفن المغربية مما أدى ببعض الدول الكبرى كاللندمارك (2) والسويد وبعض المرافء الحرة كهامبورغ وبريم بألمانيا الى دفع اناوة سنوية خاصة للمغرب اعتصاما بأسطوله من لصوصية البحر . وكان قراصنة المغرب قد مدوا شبكة غاراتهم الى المحيط الاطلنطيقي فواجهوا الانجليز في عقر ديارهم وقلصوا من جهة ثانية ضغط هؤلاء على الشرق العربي وخاصة الخليج لاضطرارهم الى الاحتفاظ بجزء من اسطولهم لحماية سواحل الجزر البريطانية الا أن الانجليز فوجئوا هنا وهناك في آن واحد على طول

الهجري عندما كان مضيق جبل طارق هو المر الفاصل بين المحيط الاطلنطيكي والمتوسط فكانت مدينة سبتة منطلق المراكب التجارية الى ديار الهند وظلت كذلك حتى بعد سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني محمد الثاني عام 857 هـ 1453 م وباستئصال شأفة الفزو البرتغالي في الخليج وتقليص ظلهم في سواحل المغرب شمالا وغربا تمكن العرب من الانتصار في الحرب الصليبية الثانية التي أاجت اوروبا نيرانها ضد العرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر لتنتقل في حلقات أخرى من هذه الحسرب بقيادة الهولنديين والانجليز والفرنسيين في كل من المغرب والخليج العربي ، غير أن حدثا جديدا كلل انبثاق العصر الحديث وانقضاء القرون الوسطى وهو اكتشاف أمريكا عام 898 هـ / 1492 م من طرف كريستوف كولمبس ذلك الاكتشاف الذي يرجع الفضل فيه الى رجل من ابناء رأس الخيمة على الشاطئ الغربي للخليج العربي ، وهذا الرجل هو ابن ماجد أحمد السعدي أسد البحر ابن ابي الركائب الذي ساهم على غير قصد منه في تحطيم سيادة العرب على المحيط حين استعان به فاسكو دوغاما قائد الاسطول البرتغالي عام 1498 م لقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط الهندي ورأس الخيمة هي احدى الامارات السبع التي ظلت الى منتصف القرن الثامن عشر عاصمة لجميع سواحل عمان وقد أقضت مضاجع اساطيل شركة الهند الشرقية في الخليجين والمحيط .

والغريب ان اكتشاف أمريكا الذي نسبة الكثير من المؤرخين الى العرب يرجع الفضل فيه بالذات اما الى رجال الخليج قبل الميلاد او الى عالم من علماء الاندلس والمغرب ، فقد تأكد ان الفنيقيين المنتسبين اصلا الى الخليج قاموا بدورة حول العالم طوال ثلاث سنوات طافوا خلالها حول افريقيا ووصلوا الى البرازيل واسسوا مملكة هناك ما زالت معالمها قائمة الى الآن ومن جملتها الحجارة المكتوبة باللغة البونيقية اي لهجة افريقيا الشمالية مما يدل - اذا صحت هذه الرواية - على أن القرطجنيين - وهم عرب فينيقيون تأقلموا في المغرب - هم الذين اسهموا مع المغاربة في اكتشاف أمريكا على أن كريستوف كولومبس نفسه يعترف كما أورد ذلك المؤرخ الفرنسي رونان في كتابه « ابن رشد ومذهبه (Averroès et l'Averroïsme) بان كولومبس ترك رسالة بعد وفاته يقر فيها بان الذي أوعز اليه

(1) راجع الخليج العربي - قدرى قلعجي ص 56 .

(2) كانت اللندمارك تدفع سنويا للمغرب 51 000 ويكسدال أي أزيد من ربع مليون فرنك ذهبي .

وقد احتفظ المغرب الاقصى باستقلاله فى هذه الفترات بل انه احتفظ باستقلاله خلال الف عام (الى عام 1912 م) فكان القطر العربي الاسلامي الوحيد الذي ظل فى منأى عن سيطرة الخلافة العثمانية والذي عرف كيف يستغل انتصاره فى معركة وادي المخازن حيث أصبحت دول أوروبا تخطب وده لأن هزيمة دولة استعمارية كالدولة البرتغالية لم يكن بالأمر الهين ولا بالشئ الذي يمر دون أن يثير إعجاب العالم مما حدا بالإنجليز الى مفاوحة المغرب فى القيام بعمل موحد لخلق كوندومنيوم مشترك فى الهند وفى عام 1600 م وجه المنصور الى ايليزابيث ملكة انجلترا سفارة للقيام بمأمورية سرية من أجل تحقيق التحالف الانجليزي ضد اسبانيا وقد اقترحت ملكة انجلترا على السلطان اكتساح الهند بدل اسبانيا نظرا لكون فيليب الثاني يستمد موارده من الهند ، وقد شاطرها السلطان هذا الراي مطالبا لتمويل المشروع بمائة الف جنيهه استرليني وانشغل المغرب فى لم شتاته وتطوير صناعته فزرع قصب السكر (1) وفتح مصانع لتكريره فتنافس البلاطان الانجليزي والفرنسي على اقتنائه وصدده المغرب الى الشرق فى جملة ما صدر من جلود وزيت و معادن (من نحاس و رصاص و حديد و قصدير بالاضافة الى ملح البارود والكبريت) وأصبح للدينار المغربي نفاق فى السوق العالمية رغم انخفاض وزنه الذهبي الى 3ر548 غرام وتهافت المضاربسون من الانجليز على هذه العملية القوية يستعوضون بها عما خسروه من صفقات فى الخليج (2) بل أصبح المغرب يدلي بدلوه فى توجيه السياسة الاوربية وفى فتح قروض (ناب منها دولة هولندا مليون ونصف مليون دينار) واكتساح اوريا حيث وجه عملاء للدعابة

طريق الهند المارة من جبل طارق بمزاحم جديد هو هولندا قامت هي الاخرى بتحدي القرار البابوي الهادف الى اقتسام العالم بين زعيمتي الكاثوليكية آنذاك اسبانيا والبرتغال وكان لقيام الحركة البروتستانية ضلع فى دعم هذا الاتجاه فأنشأ الهولنديون عام 1592 م شركة للتجارة مع الهند واتجه اسطول هولندي بين 1598 و 1601 م (موافق 1007 و 1010 هـ) الى المحيط الهندي عن طريق الممر الجديد براس الرجاء الصالح للاتجار والغزو معا بينما عقدوا المغرب الاقصى معاهدة عام 1610 م للحصول على رسوم الاسبقية فى التجارة الخارجية ، ولم يكدهل عام 1640 م (1050 هـ) حتى احتل الهولنديون مكان الصدارة فى الخليج العربي الا أن صراعهم ضد الانجليز ما فتىء ان يستفحل بسبب تدخل القراصنة المغاربة الذين كانوا يعملون بغير قصد منهم على التخفيف من ضغط الفريقين على الخليج العربي ، فقد كان كل من الانجليز والهولنديين يناصب العداء للاسبان عدوهم المشترك سياسيا ودينيا واقتصاديا الا أن الهولنديين ظلوا يمدون سفن القرصنة المغربية بالعتاد ومواد السفانة وقطع الفيار بينما طفق الانجليز يواصلون حربا شعواء ضد هؤلاء القراصنة حتى اندلعت الحرب بين الطرفين عام 1652 م (1063 هـ) طوال عامين واتسعت شبكتها الى ما وراء البحار فاشتبك الاسطولان الانجليزي والهولندي فى مياه الهند المؤدية الى الخليج ، والواقع ان القراصنة المغاربة قلعوا من نشاط الانجليز فتعطلت تجارتهم فى الشرق فى نفس الوقت الذي ادى حياذ القراصنة بهولندا الى نوع من الحصانة تمتع به اسطولها فى البحر المتوسط مما فسح لها مجال الضغط على الخليج ،

- (1) كان السكر يصنع فى شقي العروبة بافريقيا ومصر (الخطط للمقريزي ج 1 ص 203) وافريقية وخاصة فى قابس وحلولا (المسالك للبكري - جزء افريقية والمغرب ص 17 و 32) وكانت معاصر السكر فى المغرب تدر سنويا على المنصور السعدي ازيد من ستمائة الف اوقية ذهبية (وزن الأوقية 30 غرام تقريبا) وكان بالمغرب مناجم فضة وذهب (البكري) خاصة قرب سجلماسة (كتاب الاستبصار) والنحاس الخالص الذي لا يمدله غيره شرقا وغربا (الادريسي) بالاضافة الى القطن الذي كان يزرع بتادلا (وصف افريقيا للادريسي ص 50) وتطورت على يد الانجليز عام 1864 م فى منطقة مدينة الجديدة صناعة قطن حريري شبيه بالقطن الامريكي كان نافقا فى اوريا وذلك بالاضافة الى مصانع الطلس (Satin) ايام السعديين .
- (2) كانت تنبكتو تؤدى الى المغرب جزية سنوية قدرها ستون فنظارا من التبر اي الذهب غير المسبوك مما جعل من المنصور الذهبي اعظم امير فى العالم من حيث العملة وكان الانجليز يهربون الذهب فى صناديق السكر المغربي .

لمنتجاته وسوائمه ومعادنه عاملا على حماية الصناعة الوطنية من المتزاحمة الاجنبية .

غير ان منافسا جديدا ما لبث ان برز هو الاستعمار الفرنسي الذي اضطر عدوتي الامس (هولندا وانجلترا) الى التحالف لدرء خطره الداهم ولكن ذلك لم يمنع فرنسا من تهديد مصالح الانجليز في الخليج ، واستطاع نابليون ان يطأ تراب النيل فاتحا وان يهدد المولى سليمان ملك المغرب بالانقضاء عليه في مائة الف من جنده اذا هو لم ينضم الى كتلة الحصار البري (Bloc continental) المضروب على الانجليز وكان اسطول القرصنة المغاربة يقض مضاجع الاوربيين في المتوسط وفي عرض المحيط الاطلسي الذي نقلوا اليه عملياتهم بعد ان اصبح طريقا جديدا الى الخليج ولم تكن علائق فرنسا مع المغرب مستوسقة بسبب ذلك الصراع البحري الذي جعل المغرب ينهج سياسة التنازع بين الدول الاوربية يثير هذه ضد تلك ويحالف جانبا للتملص من ضغط جانب آخر .

والواقع ان انقسام المغرب الى اقاليم مستقلة خلال القرن السابع عشر (قبيل توحيد المغرب على يد الدولة العلوية) هو نفسه الذي ترك ثغرات تسرب منها المستعمرون مثل ما وقع في امارات الخليج بالنسبة للبولنديين والانجليز والفرنسيين .

ففي الوقت الذي اتسع نطاق التجارة الانجليزية في الشرق واوربا الشرقية أي القرن السادس عشر تزايد أيضا مع المغرب وحتى غينيا بافريقيا ، غير ان الفرنسيين كانوا قد بدؤوا حتى الهولنديين في مبادلاتهم مع المغرب حيث دخلت في عام واحد (1698 م) لمرسى سلا أربعون سفينة تجارية وتأسست بعد ذلك بستين شركة تجارية فرنسية اضطلعت باصدار المنتجات المغربية وقد بلغ عدد السفارات المغربية الى فرنسا نحو من سبع وعشرين سفارة ، اولها عام 1576 م والاخيرة عام 1909 أي قبيل الحماية بثلاث سنوات

كانت حجرة بادس تعتبر ميناء فاس في البحر الابيض المتوسط ، وكان الاسطول التجاري لبعض الدول يربط فيها الا ان القرصنة الجزائريين اتخذوها عام 1564 م (971 هـ) مقرا للهجوم على سواحل الاندلس واقتناص السفن المتوجهة للهند والخليج وكان قرصنة تطوان والعرائش يتعاونون معهم لأن القرصنة الجهادية كانت عبارة عن رد فعل المسلمين على ما لحق اخوانهم في الاندلس من نفسي وتكبير

وتقتيل وقد تحالف قرصنة سلا (وهم خليط من العرب والمسلمين والاعلاج من كافة سواحل المتوسط) مع الانجليز لمساعدتهم على احتلال جبل طارق وكانت معظم الدول الاسلامية المتوسطة تساند هذه القرصنة لا لكونها انطلاقة مشروعة ضد العدوان الايري فحسب بل ايضا لأنها اعادت الى العرب سيادة المتوسط والمحيط وواجهت القرصنة المسيحية ونشرت الأمن والطمأنينة في البحار بالنسبة للسفن العربية والحليفة ، وكان معظم البوارج الحربية في اوائل العهد العلوي (أي في نهاية القرن السابع عشر) قد اقتنصها القرصان من الاسطول الفرنسي أو الهولندي أو الانجليزي واهمها تسع عشرة سفينة انجليزية وأربع فرنسية مما يدل على هيمنة اسطول القرصان الجهادي ، وقد بلغ عدد القطع البحرية الخمسين في عهد المولى محمد بن عبد الله وسبعا وأربعين أيام المولى سليمان ولكن المغرب ظل مع ذلك ينغم في الحقل الدولي بمكانة ملحوظة مما حدا روسيا الى طلب انضمامه في حرب القرم (1854 م - 1856 م) الى كتلة المحايدين واستدراجه للدخول الى الحلف الروسي الامريكي ضد تركيا وفرنسا وانجلترا ، وكان المغرب يشعر بان انغماره في هذا الحلف يعزز مركزه ضد الفرنسيين والانجليز الذين بدأوا يتنافسون لبطس نفوذهم على المغرب لا سيما بعد ما احتلت فرنسا الجزائر واجبرت المغرب على امضاء معاهدة لالة مكنية عام 1845 ولكن المغرب راعى ذمام الاسلام فلم يجروا على الدخول في حلف موجه ضد تركيا المسلمة وغم كونها كانت حجرة عثرة في سبيل وصل علاقته مع الشرق العربي وخاصة الخليج منذ ان سيطر العثمانيون عليهما في منتصف القرن الخامس عشر ، وتمتاز هذه الصلات العريقة بين الخليج العربي والمغرب الاقصى وهما شقان متناهيان للوطن العربي الممتد الى المحيط - بظاهرة هي اصالة معظم مصطلحاتهما الدارجة بالنسبة للفصحى ! ولا شك ان هذه الوصلة التي استوتقت عبر العصور راجعة بالاضافة الى العوامل التي اشرنا اليها كوحدة الاصل الكنفاني والتأثير الحميري المشترك الى وحدة المنبع المالكي في مفرداته الفقهية ومصادر اقتباسه الحديثة والقرآنية ، ولا شك ان لرواج المصطلحات المالكية في جميع المناحي الاجتماعية خاصة في ابي ظبي اثرا قويا في تكييف هذا التراث الوحدوي ، كما ان احتكاك التجار المغاربة بزملاتهم الخليجيين قد خلف مجموعة من الالفاظ الدارجة اشرنا الى بعضها في معجم خاص حاولنا فيه ابراز مظاهر الوحدة في عاميتي المغرب والخليج ونشر في مجلة اللسان العربي (عدد 5 -

1387 هـ / 1967 م) . وهذه الكلمات موحدة المعنى في الخليج والشام والمغرب أي في المراكز التي ورثت لغة كنعان العربية وتأثرت بلغة القرطاجنيين أي اللغة البونيقية ، وهاكم جملة منها : البابت (للباقي مسن طعام الامس) والبحرة أو البحيرة (للمستنقع) والبراحة (للبراح) والبساسة (للبياس) وبغى (ببغى) (بمعنى أراد) والبلدة والبلع (لمنزلتي من منازل القمر) والبلدية (لاحدى دوائر الحكومة) وبلم فمه (أي أغلقه) والتحصونة أو الحسانة (للحلاقة) والجنطة أو الشنطة (للحنطية) والحارة (للمحلة والنحي) وحب (بمعنى قبل) وحويل أو حولى (أي ما دار عليه الحول والخطر) (بمعنى الضيف الطارق) والختمة (بمعنى اتمام القرآن) والخنفرة (أي الانف الكبير) والدرويش (بمعنى الفقير) والريعة (أو الريعة لصندوق ايداع أجزاء القرآن) والردحة (بمعنى الرقص) والشاهد (بمعنى السبابة من الاصابع) والصيني (أي اناء النحاس أو الخزف) والطنا (بمعنى الاغظة تقول اطنانسي أي اغاظنسي) والعرضة (أي حفلة الزواج) والعزيمة (أي الدعوة الى مآدبة) والاعشار (بمعنى الزكوات) والعمارية (أي الحفة) والعيال (بمعنى الاولاد الصغار) والغربي (أي الهواء يهب من جهة الغرب) والفكغ أو الفقاع (أي الكماء) والكحة (بمعنى السعال) وكخ (للنهي عن الاقتراب من الشيء القدر) والمرفاعة أو المرفع (للرف المعلق) والمشموم (للباقة من الرياحين)

والمطهر (للمرحاض) والمكبة أو المكب (لفظاء صحن الطعام) ، وهناك أسماء اعطيت لمدن ومناطق شتى تقع في امتداد طرق القوافل منها « الجبل الاخضر » في المغرب وهو ينبثق كجزيرة في قلب الصحراء وكذلك « الجبل الاخضر » الذي يقوم على محاذاة ساحل عمان وسط كتبان الرمال من الصحراء الحمراء الخليجية .

وتبرز امارة ابي ظبي في هذه المجموعة الخليجية كمرحلة من مراحل القوافل المغربية نظرا لواحاتها الشربة واتصالها بالبر بطريق ضيق تقع على حدود المملكة العربية السعودية ونظرا لما كان يسودها من امن وهدوء حتى استحق ساحلها وهو ساحل عمان أي يسمى ساحل الهدنة .

تلك مظاهر للوحدة الاصيلة المتغلغلة بين الخليج العربي والمغرب العربي تبرز امتداد الوطن العربي من المحيط الهندي الى المحيط لاطنطريقي ، وقد عادت هذه الوحدة اليوم الى عنفوان عزاها بعد انهيار الاستعمار وانكشاف الستر الكثيفة التي قامت اثلا اصطناعيا بين اخوان طوال عدة قرون ولكننا عند اللقاء من جديد بعد طول الفرقة نشعر وكأننا لم نفترق لأن خلجات قلوبنا متساوقة ولأن لنا في مقومات تراثنا العربي الاسلامي سندا قويا لم تفصمه نوائب الدهر ولم تحل عسراه الوثقى مكائئد المستعمرين .

صَوْر

لشاعر العروبة عزيزاً باطمة باشاً

فى قمة الأدب العربي المعاصر شعراء لا يزيدون على عدد أصابع الكف هم
بأية ذكر ممن لا وجود بهم الدهر الا نادرا ، ولعل احدا لا يخالف فى كون عزيز اباطمة
باشا واحدا من هؤلاء العباقرة ان لم يكن على راسهم .

وقصيدته التالية من آخر ما نظم وهو يصطاف فى سويسرة وكأنه يرمز الى
ما عانتة اللغة العربية فى مختلف اطوارها من ازدهار تبعه نضال فى سبيل الحياة
ابان القرون الوسطى ثم من محاولة لنهضة حديثة بعد ما خسينا عليها الغروب نهائيا
وفى نداءه الليل صرخة امل لا ياس فيها ولا قنسوط .

الشعر الرمزي يفهمه كل قارئ على مقدار وقد يتضارب تفسير مع تفسير
آخر ، ومثل هذه القصيدة قد تغنى وينطلق فيها صوت المنشد ينادي الليل فهل
يستجير به أم يقفه عن طيرانه ودورانه ليصفي الى شكواه كما قال شوقي فى
عبده الحمولي :

يسمع الليل منه فى الفجر يا ليل فيصفي مستملا فى فراره

ممدوح حقي

ظلال

وتطرح اسانا فى خمائله الخضر	تعالى الى الوادي الظليل نلذ به
فمال على الصنفاص فى ذهب العصر	تعالى فذا كافوره شاقه الهوى
باعطاف بعض واهتدى الثغر للثغر	اذا سرت الارواح امسك بعضه
وشف الضنى خصرا فذاب على خصر	ورفه صدر عند صدر همومه
تلذ بهذا الوصل فى غفزة الدهر	بربك غضي الطرف عنها لملها

عواصف

الاما لخفاق النسيم تبدلت
تعالى الى ابيك الرؤوم فنتقى
الا فانظري الأشجار كيف تأودت
وهذا الغدير الصفو قد كان آمنا
بكى شطه الحالى وعربد مساؤه
كان اصطخاب الموج بين ضفافه

غروب

تعالى فهذا موكب الشمس غاربا
بنت فى حواشي الصبح لماحة السنى
بنفسى أساها وهي تمضي حزينة
اصفرة وجد تنك ؟ لا بل هو الردى
هوت فاحتواها البحر نشوان ثائرا

سحر

تعالى فان الليل حن وهذه
ويا ليل ستر الله انت وسره
ويا ليل هذي منية النفس اسمحت
ويا ليل نادنا . ويا ليل غننا
وقصى علينا قصة الدهر وأروها
ويتنا نشاوى ينفع المسك بفرها
وقمنا نزيد الله حمدا وطاعة

مراشفه ظماني الى قبل البسدر
ومهد الهوى يا ليل انت فهل تدري
فهاات الحلال العذب من سحرك الطهر
ياكرم الحان الخنود من الشمس
وهل هي غير الحب والوصل والهجر
وتسكب عينها فتونا من الخمر
ونزجي له التسبيح فى سجدة الفجر

الْمَدَى يَعْتَبَرُ

إلى مجلّة «الليسان العربي»

يوسف الغريب

أستاذ اللغة العربيّة في جامعة كوردوبا
(أرختينا)

رب نذر بحل الخمر حرا
والحجر ، والحياة ، والعقل
كل شيء يدوم في الارض حتما
لا فناء ، فما العناصر الا
مادة اتر مادة ، فيفساه
جوهر الكون لم يكن غير سر
كنت يا صاح صورة من ضياء
ثم في الحقل لبنة من قصيل
(حيوان مستحدث من جماد)
ثم جئت ، وهكذا جئت ، كامل — الشكل بقدره المتعالي

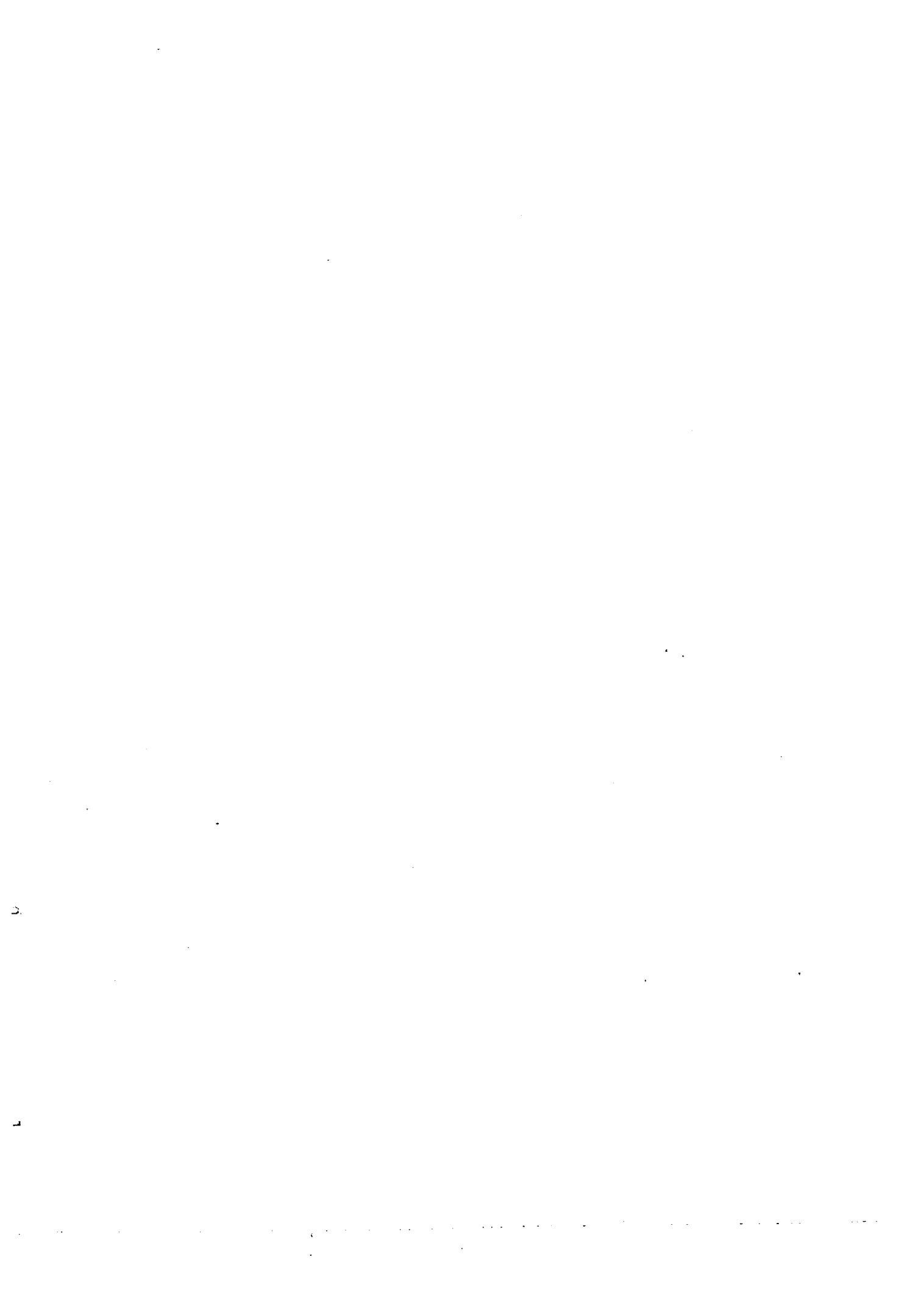
صورة من هيولى ، ونفحة من جلال الله ، وذرة من كمال
انت ، أنت هنا ، ودبعة الله ، فكن حريصا عليها ووال

كل ما في الحياة والكون جمعا
كل هذا ، يا صاح ، اعطاه الله — من جوده المفضال
بعد هذا وذلك ، قل لي لماذا
ابن منك البقاء والفناء والتجلى — وروعة الاحوال
والوديعه التي ائتمنت عليها
هي أنت ، فكن اميضا عليها
لم تزل عامها اسير الضلال
لم تزل فيك درة من غوالي
لا تبعها بيدرة من مال

نشاط

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمكتب الدائم لتنسيق التعريب

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
- رحلة وفد المكتب الدائم في البلاد العربية
- اللغة العربية في المؤتمر الاغريقي التاسع
- اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر في نشاطها الغامر
- نحو استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية
- بين المجلة وقرائها
- حول ثورية التعريب
- للاستاذ سعيد الديوه جي
- عن التعريب وقضاياها
- لقاء مع الدكتور احمد سعيدان مندوب الاردن في المكتب الدائم لتنسيق التعريب
- اللغة العربية الفصحى والعامية
- للاستاذ فولكهارد فيندور
- معجم الطحانة والخبازة والفرانة
- للدكتور سامي الدهان
- رأي .. نحو تفصيح العامية في الوطن العربي
- للاستاذ عمر الطاهر
- تعليق على موضوع : التطور اللغوي ونشوء اللفظة
- عينة للذين يؤمنون .. وبرهان للذين يشكون
- للاستاذ محمد قلبسي
- رجال مجهولون وراء مشروع عظيم
- تعقيب على نسبة ابيات
- للاستاذ حبيب علي الراوي
- تراجم الكتاب والباحثين في مجلة اللسان العربي



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

- ◆ وكالة متخصصة تعمل في نطاق الجامعة العربية وتهدف الى :
 - تمكين الوحدة الفكرية بين اجزاء الوطن العربي في التربية والثقافة والعلوم .
 - رفع المستوى الثقافي في الوطن العربي حتى يقوم بواجبه في متابعة الحضارة العالمية والمشاركة الايجابية فيها .
- ◆ ويتم تحقيق تلك الاهداف في البلاد العربية عن طريق :
 - تنسيق الجهود العربية في مجالات التربية والثقافة والعلوم .
 - النهوض بمستويات التعليم والثقافة والعلوم وتشجيع مجالات البحث فيها .
 - اقتراح المعاهدات وجمع المعلومات والحقائق والبيانات المتصلة بمجالات أنشطة المنظمة .
 - تبادل الخبرات والخبراء والمعلومات والتجارب
 - الحفاظ على المعرفة وتقديمها ونشرها وذلك بالمحافظة على التراث العربي وتشجيع التعاون بين الامة العربية والامم الاخرى بطريقة التعاون الدولي .
- ◆ بدأت المنظمة العربية نشاطها بانعقاد مؤتمرها الاول في 25 يونيو 1970 وتشارك في عضويتها:
 - دولة اتحاد الامارات العربية ، المملكة الاردنية الهاشمية . دولة البحرين ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية . جمهورية السودان الديمقراطية . الجمهورية العربية السورية . الجمهورية العراقية ، فلسطين ، دولة قطر ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، الجمهورية العربية اليمنية ، جمهورية اليمن الديمقراطية ، المملكة العربية السعودية .
- ◆ اجهزة المنظمة هي :
 - المؤتمر العام
 - المجلس التنفيذي
 - المدير العام
 - الادارة العامة وتضم : ادارة التربية ، ادارة الثقافة ، ادارة العلوم ، ادارة التوثيق والاعلام ، ادارة الشؤون المالية والادارية ، معهد اجيئاء المخطوطات العربية .
 - الاجهزة وتضم : الجهاز التعليمي العربي لحو الامية ، معهد الدراسات العربية العالمية ،

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي،
مكتب الوفد الدائم لدى اليونسكو .

— الشعب المحلية .

* عقدت اللجنة العربية للوسائل التعليمية ،
اجتماعها الثاني بمقر الأمانة العامة بجامعة
الدول العربية بالقاهرة في الفترة من 30/4/1972
واشترك فيه وفود : من اتحاد الامارات
العربية ، المملكة الأردنية الهاشمية ، الملكة
العربية السعودية ، الجمهورية العربية
السورية ، جمهورية العراق ، سلطنة عمان ،
فلسطين ، دولة قطر ، دولة الكويت ،
الجمهورية العربية الليبية . جمهورية مصر
العربية . الجمهورية العربية اليمنية ، كما
اشترك في هذا الاجتماع أيضا مندوبون عن الادارة
القانونية بجامعة الدول العربية ، المركز الدولي
للتعليم ، واكاديمية البحث العلمي لجمهورية
مصر العربية ، وكان من اهم التوصيات التي
خرجت بها اللجنة في هذا الاجتماع ، انشاء مركز
عربي للوسائل التعليمية في نطاق المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم ، تشكيل لجنة فرعية
فنية لوضع نظام اداري لهذا المركز وتقديم
مشروع متكامل لأنشائه .

* انعقد بالقاهرة في الفترة من 6 الى 11/5/1972
مؤتمر الوحدة والتنوع في الثقافة العربية
المعاصرة ، واشتركت فيه وفود من : جمهورية
السودان الديمقراطية ، الجمهورية العراقية ،
الجمهورية العربية اليمنية ، جمهورية اليمن
الديمقراطية الشعبية ، المملكة الأردنية الهاشمية ،
الجمهورية التونسية ، جمهورية الجزائر
الديمقراطية الشعبية ، المملكة الأردنية الهاشمية ،
السورية ، فلسطين ، دولة الكويت ، الجمهورية
العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، كما
اشترك في هذا المؤتمر مندوبون عن بعض
الجامعات والمجامع والمجالس العليا لرعاية
الفنون والآداب ، الجمعيات الأدبية ، بالإضافة
الى بعض المعنيين بموضوع المؤتمر بصفتهم
الشخصية ، وقد تأكد من خلال المناقشات التي دارت
ان الاهتمام موجه الى دراسة التنوع الطبيعي
الذي يجد سبيله الى الثقافة العربية ويعبر عن
حيويتها وتطلعاتها ، وليس الى التنوع المغفل

الذي يناقض الوحدة او يخالفها ، كما رأى
المؤتمر أن يفرق بين هذين الاتجاهين ، وقد اتخذ
المؤتمر توصيات للنهوض بمجالات القصة
والمسرح ، والسينما والشعر والاذاعة المرئية
والمسموعة ، كما تناولت أيضا مجالات الفصحى
والعامية ، والمنهج الاقليمي في تاريخ الأدب
العربي وتوثيق الروابط بين المثقفين وتداول
الانتاج الثقافي .

* التحق بمعهد البحوث والدراسات العربية هذا
العام 202 طالب من عدة بلاد عربية واسوية .
وقد منح المعهد هذا العام عدة درجات علمية
على مستوى الماجستير وذلك في مجال
الدراسات الاقتصادية ، والاجتماعية والتاريخية ،
والجغرافية ، والقانونية ، والشعرية ، والأدبية
والشعرية ، وايضا في مجال الدراسات
الفلسطينية .

* عقدت اللجنة العربية للوسائل التعليمية اجتماعها
الثاني بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية
بالقاهرة ، في الفترة من 30/4 الى 5/5/1972 ،
واشتركت فيه وفود من اتحاد الامارات العربية ،
المملكة الأردنية الهاشمية ، الملكة العربية
السعودية ، الجمهورية العربية السورية
جمهورية العراق ، سلطنة عمان ، فلسطين ،
دولة قطر ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية
الليبية ، جمهورية مصر العربية ، الجمهورية
العربية اليمنية ، كما اشترك في هذا الاجتماع
ايضا مندوبون عن الادارة القانونية بجامعة
الدول العربية ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي
بسرسل اللبان واكاديمية البحث العلمي بجمهورية
مصر العربية ، وكان من اهم التوصيات التي
خرجت بها اللجنة في هذا الاجتماع : انشاء مركز
عربي للوسائل التعليمية في نطاق المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم ، تشكيل لجنة فرعية
فنية لوضع نظام اداري لهذا المركز وتقديم
مشروع متكامل لأنشائه .

* عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
حلقة دراسية عن الظروف البيئية وخطط التنمية
في البلاد العربية وذلك بالخطوم
بجمهورية السودان الديمقراطية في الفترة من
15 الى 12 فبراير / شباط 1972 . وقد نسقت

لمسح واقع المناهج الموجودة على ان تعقد حلقة لدراسة الموضوع في يناير 1973 ولمدة شهر في كلية من كليات العلوم باحدى الدول العربية وذلك بهدف التوصل الى ما يؤدي الى تنفيذ المشروع في الصف الاول من المرحلة الثانوية ثم يخطط بعد ذلك لاعداد مجموعة من المعلمين والقادة حلقة تدريبية لمدة شهر قبل بدء العام الدراسي 1974/73 تمهيدا لتطبيق المشروع ، كما رؤى ان تعقد حلقة اخرى على مستوى الخبراء في يناير 1974 وثالثة في يناير 1975 لاستكمال المناهج المقررة في باقي صفوف المدرسة الثانوية .

* عتدت بمدينة الاسكندرية بجمهورية مصر العربية في الفترة من 8 - 13 يوليو / تموز 72 حلقة تطوير وتدریس الرياضيات الحديثة على مستوى المرحلة اعدادية في العالم العربي . اشتركت فيها : المملكة الأردنية الهاشمية . دولة البحرين ، الجمهورية التونسية ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ، الجمهورية العراقية : المملكة العربية السعودية ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية العربية اليمنية ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، وجمهورية مصر العربية ، وقد بحثت في هذه الحلقة اوضاع تدریس الرياضيات في العالم العربي وذلك من خلال تقارير المندوبين . كما درست عدة مشروعات لتطوير تدریس الرياضيات ، وشكلت لجان لدراسة وتطوير هذا النشاط بوضع خطة زمنية لهذا الغرض تنتهي في صيف عام 1976 ، وذلك لعقد حلقة دراسية لتقويم المنهج الذي تم تطبيقه ، وكتب الصفوف الثلاثة ومرشد المعلم ، وقد توصل المجتمعون في الحلقة الى عدد من التوصيات اهمها اعداد خطة شاملة لتدریس الرياضيات ، الشروع فورا في انشاء هيئة عربية لتطوير تدریس الرياضيات ، تطوير مناهج اعداد المعلمين بمستوياتها المختلفة وتطوير طرق تدریس هذه المناهج ، انشاء نواد للرياضيات وتوحيد المصطلحات المستعملة في الرياضيات في البلاد العربية .

هذه الحلقة اعمالها مع المؤتمر السوداني عن الانسان والبيئة الذي عقدته الجمعية السودانية لتقدم العلوم بالاشتراك مع المجلس القومي للبحوث ، اشترك في هذه الحلقة وفود من : المملكة العربية السعودية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية العراقية ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، دولة الكويت ، فلسطين ، كما اشترك فيها مندوبون عن الهيئات الدولية والمنظمات الاتلمية العربية . الامم المتحدة ، اليونسكو ، منظمة الاغذية والزراعة . المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي واتحاد المهندسين العرب . ونوقشت خلال هذه الحلقة موضوعات متعددة تتمثل بانتاج المحاصيل ، الانتاج الحيواني ، المياه الجوفية والثروة المعدنية ، تلوث الهواء ، تلوث البيئة الريفية وصحة البيئة . كما تم التوصل الى عدد من التوصيات تتصل بالنواحي التالية : الاهتمام باستغلال وتنمية مصادر الثروة الطبيعية : الاهتمام بالانسان وتنمية الموارد البشرية ، علاقة تدعيم الأنشطة التي تبذلها الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث ، مكافحة تلوث البيئة عن طريق انشاء مركز عربي لدراسة هذه الناحية والاهتمام بالاشتراك في المؤتمر الدولي للانسان والبيئة الذي تنظمة الامم المتحدة .

* عتدت بالامانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، في الفترة من 1 الى 7 مايو (ايار) 1972 ، حلقة تطوير تدریس العلوم البيولوجية على مستوى المرحلة الثانوية ، وحضرها مندوبون عن الدول العربية الآتية : المملكة الأردنية الهاشمية ، جمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، المملكة العربية السعودية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العراقية ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية .

وقد نوقشت خلالها عدد من الموضوعات الهامة التي تتعلق بأوضاع تدریس البيولوجيا ومناهجها الحالية والمقترحة ، ورؤى ان تشكل لجنة لاستكمال الدراسات والبحوث اللازمة

* تامت المنظمة بالتعاون مع مركز التوثيق التربوي بالقاهرة بتنظيم دورة تدريبية لمبعوثين عن الدول العربية في مجال التوثيق التربوي ، وقد بدأت هذه الدورة في شهر أبريل 1972 ، وكانت مدتها ثلاثة أشهر تم فيها تدريب افراد من العاملين في حقل التوثيق على عمليات الفهرسة والتصنيف واعداد المستخلصات والتعاريف والأخبار واعداد النشرات الاعلامية والاجابة على الاستفتاءات . وقد اشترك في هذه الدورة

على نفقة المنظمة افراد من الجمهورية العربية السورية ، والمملكة الأردنية الهاشمية ، والجمهورية العراقية .

* تامت بعثة من معهد المخطوطات العربية بالسفر الى المملكة المغربية في شهر مايو 1972 لفهرسة وتصوير المخطوطات بها ، كما قام المعهد بطبع العدد الاول من المجلد الثامن عشر من المجلة التي يصدرها .

التاريخ يمنية :

ورد في كتاب الاعلان بالتويخ لمن ذم التاريخ ان كلمة التاريخ يمنية عربية واكتاب لشمس الدين السنحاوي المتوفى عام 902 هـ وقد سبقه اليه المؤرخ الدمشقي ابن عساكر صاحب تاريخ الشام ووجد احمد كمال المصري تاريخ المصرية يمنية الاصل .

— التاريخ بالبيالي : الكتب عن السلطان تُوْرخ بالبيالي والتي من الأدنى للاعلى تُوْرخ بالايام (معالم الكتابة ص 51)

المكتب الدائم لتنسيق التعريب

رحلته وفر المكتب الدائم في الهند والعرب

ب - انتداب أعضاء علميين للمؤتمر ممن مارسوا تدريس العلوم في الجامعة لخبرتهم بالمصطلحات ودقتها .

ج - تأسيس شعب وطنية للتعريب تهتم بجمع حصيلة ما يعرب وأرساله الى المكتب الدائم لتنسيقه .

د - تعيين مراسلين علميين يكونون حلقة اتصال بين الشعب الوطنية للتعريب والمكتب الدائم .

هـ - وضع قوائم بأسماء الهيئات العلمية والأفراد العلميين ليُرسل المكتب اليهم مطبوعاته ومعالجه

و - انتداب خبير لمدة بضعة شهور يطلع فيها على أعمال المكتب وطريقته في التنسيق ، ليعمل بها في شعبته الوطنية .

ز - تبادل المطبوعات فيما بين المكتب الدائم والمكتبات التابعة للوزارات والجامعات في كل موطن .

وقد استقبل الوفد استقبالا حسنا جدا في جميع البلاد التي زارها ، وتقبل بالترحاب في الأوساط العلمية والصحفية والأذاعة والتلفاز ، وأقيمت له حفلات التكريم ، والمحاضرات ، والجلسات العلمية ، بحيث يمكن القول انه كان ناجحا في مهمته أتم نجاح .

بعد ما أتم المكتب الدائم سنته العاشرة ، وأنجز أعماله وفيرة : من معاجم فنية وتقنية ، ومعجمات معان ، ونشر مجلته « اللسان العربي » ، بجررها كبار رجال الفكر واللغة في داخل العالم العربي وخارجه ، والحق بأمانة الجامعة العربية ، ثم بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المتفرعة عن الجامعة ، تمام وفده برحلة في البلاد العربية لعرض نتائج أعماله ، والاتفاق مع المسؤولين الثقافيين فيها على تنظيم مؤتمر التعريب . ومثل المكتب مديره العام السيد عبد العزيز بنعبد الله ، وكبير خبرائه الدكتور ممدوح حقي ، في رحلة استمرت قرابة أربعين يوما ، جالا خلالها في تونس ، ومصر ، والسودان ، والسعودية ، والكويت ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان ، والأردن ، والجزائر ، وعرج في طريق العودة على باريس للاتصال باليونيسكو ، والاتفاق على تنسيق العمل بين المكتب وبين هذه المؤسسة الدولية . ولم يكن لديه من الوقت ما يكفي لزيارة البلاد العربية الأخرى ، فأرجأها الى حين آخر .

وكان هدف الوفد الاتصال بوزراء التعليم العالي والتربية والثقافة ، والجامع العلمية ، والجامعات ، والأساتذة المختصين بالعلوم للاتفاق معهم على ما يلي :

أ - تنسيق الجهود الرامية الى انجاح مؤتمر التعريب الذي سيعقد في الجزائر اواخر عام 1973 .

الوزارات المعنية . وانتهى النقاش والعرض السي
الاتفاق على ما يلي :

1 - أن يؤجل عقد المؤتمر الى اواخر عام 1973
ليستطاع اعداده اعدادا لانقا ولضمان نجاحه .

ب - تتكفل كل دولة بمصاريف انتقال مندوبيها ذهابا
وايابا ، وتعرض الدولة المضيقة ضيافتها خلال
ايام المؤتمر .

ج - تشكيل لجنة لتحضير المؤتمر في الجزائر ،
وتشترك مع المكتب في اقتراح ما ينبغي لتسيير
امور المؤتمر بنجاح ، ثم تقديم تقرير في الموضوع
للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

د - امكن دعوة خبراء للمؤتمر : من مستشرقين
ومعجميين عرب وغير عرب .

هـ - وتدرس في المؤتمر خاصة مشاريع المعاجم
السة المعروضة من قبل المكتب . وستعد
اللجنة التحضيرية بالجزائر دراسة حول امكن
تخصيص لجنة لتقييم اعمال مؤتمر التعريب
السابقة ونقدها .

و - وضع خطة عمل معجمية للمستقبل منسقة بين
جميع الدول العربية على ضوء تقرير يقدمه
المكتب الدائم بناء على تجربته في الموضوع .

ز - العمل بكل الطرق والاساليب الممكنة لنشر
المصطلحات بعد توحيدها في جميع
البلاد العربية ، وممارسة استعمالها .

ح - عرض بعض المشاكل التي يعانيها المختصون
بتدريس اللغة العربية ، للاستشارة بآراء الخبراء
والمختصين ، كالطباعة ، والحرف ، والخط ،
وتسهيل الكتابة ، وتسهيل اللغة ، والتعليم
بالعربية في جميع المراحل .

وعاد الوفد ليباشر تنظيمه الجديد على ضوء ما
اماده في رحلته الطويلة لخدمة اللغة ، وليضاعف
نشاطه وهمته لرفعها الى المستوى الحضاري
المرموق ، وتأييد الكسب السياسي الذي حصلت
عليه بمسمى الجامعة العربية في الاوساط الدولية
بكسب علمي يجعلها اداة طيبة في التعبير بدقمة
ووضوح في مختلف مجالات العمل الدولية .

ولما كان بين هذه الجولة ومؤتمر التعريب اكثر
من عام ، فقد اتفق المكتب الدائم مع المعنيين بالامر
على ما يلي :

1 - ان تدور ابحاث المؤتمر حول ستة معاجم اعددها
المكتب مطبوعة طباعة نقية قبل قيامه بالرحلة ،
وهي :

(الكيمياء - الفيزياء - الحيوان - النبات -
الرياضيات - الجيولوجيا)

ب - يرسل المكتب المعاجم للمختصين فور حصوله
على القوائم التي تعددها الوزارات المعنية
والجامعات في الوطن العربي من نسختين :
احدها على هيئة كتاب ، والثانية على هيئة
اوراق يترك فيها الفراغ الكافي لملاحظاتهم .

ج - تبقى المعاجم لدى المختصين ستة اشهر على
الاكثر يصلحون ما فيها من خطأ ، ويضيفون
اليها ما نقص ، ويقترحون ما يشاؤون لتعديلها
او تقويمها .

د - ترجع الاوراق المعجمية بالملاحظات الى المكتب
ليعود فينسخها تنسيقا جديدا يسهل به على
اعضاء المؤتمر دراستها ومناقشتها في وقت
تصير .

ج - تركيز المناقشات ايام المؤتمر في موضوع
المصطلحات غير المتفق عليها ، مع العمل على
تحقيق الاتفاق حول المصطلح المشهور او
المرجع درءا لاستمرار الخلاف .

ز - تفريع اعضاء المؤتمر الى لجان تختص كل
واحدة منها ببحث مشروع معجم معين حسب
الاختصاص .

و - ترك تنظيم اعمال المؤتمر الداخلية الى الدولة
المضيقة (الجزائر) على أن يكون المقرر العام
للمؤتمر كبير خبراء المكتب الدائم ، ليستطيع
الاشراف على التنسيق بمعونة خبرائه بعد
المؤتمر .

واتصل الوفد بالمسؤولين في الجزائر ، فرأى
منهم كل الترحيب والجدية التامة ، وعقد جلستي عمل
في وزارة التربية حضرها مندوبون رسميون عن كل

اللغة العربية في المؤتمر الإفريقي التاسع

وجه المكتب الدائم بمناسبة انعقاد الدورة التاسعة للمنظمة الإفريقية خطابا
الرئيس المؤتمر وأعضائه ملوك ورؤساء الدول الإفريقية بثلاث لغات هذا فحواه :

اصحاب الجلالة والفخامة والمعالي رؤساء الوفود الإفريقية المشاركة

انه لمن دواعي السرور ويمن الطالع أن ينعقد جمعكم السعيد على أرض
المملكة المغربية باب إفريقيا على دنيا العلم وعالم المدنية وأن يلتئم شملكم العظيم
في احضان اخوة لكم يستشعرون المسبؤوليات الجسام الملقاة على حشركم
الميمون في سبيل غد لقارتنا الام صبح وعزة لانسائها الإفريقي الطموح .

فاهلا بكم في هذا الجزء من وطنكم الكبير ومقاما طيبا سعيدا بين ظهرانينا
وشكرا لكم وتقديرا لكل مراميكم التي تستهفون ودعاء الى الله أن يعين على تحقيق
الامال التي تنفون

يتشرف المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي — بالرباط احد
اجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المنبثقة عن جامعة الدول العربية أن
يقدم اطيب تحياته وازكى متمنياته بالسداد والتوفيق في خدمة قارتنا الفتية كما يشرفه
بأن يبعث بعميق شكره وامتنانه ان قررتم اختيار اللغة العربية واحدة من اللغات
الرسمية التي تسيير بها اعمال مؤتمركم الموفق وتصدر بها مقرراتكم السديدة .

وانا كانت اللغة هي مفتاح العلوم واداتها الطيبة ، وكانت إفريقيا الفتية التي
نهضت لتواكب ركب العلم حتى تلحق بمقدمته وجهت لتزج ذلك الكابوس الرهيب
الذي ران على صدرها ربحا طويلا من الدهر حتى كاد يستنزف خيراتها ويمتص
رحيقها ، واذا كانت اللغة العربية هي لغة ما يقرب من نصف تعداد سكان إفريقيا
وانها اصبحت في اغلب المحافل والهيئات الدولية اللغة الرسمية الخامسة وان
لدراستها نصيبها في كثير من جامعات العالم فضلا عن الجامعات الإفريقية حتى اضحى
لها قسمها الخاص وكرسيتها المحدد بين قريناتها من لغات العالم الحية — فانه لحرى
بنا نحن ابناء القارة الفتية ان نقتحم ميدان العلم من اوسع ابوابه تصحبنا اللغة

الطبيعة الحية التي تتسع لتستوعب كل ما يتطلبه التقدم العلمي من مصطلحات ومسميات ومدلولات ، ولا تقصر فينحصر مدعا عن احتواء كل ذلك لتكون لنا خير مطية نزاحم بها من يسيرون في موكب العلم ونناقس من يشايعون ركب التكنولوجيا الحديثة نجتاز الحواجز ونطوي مسافات الزمن ونستعيض عما فاتنا — بالرغم منا — فلا تفصلنا عن أولئك الذين ركبوا اجواز الفضاء ومشوا على سطح القمر وغزوا الكواكب وعوالم السماء — مسافة فلكية — أو حتى لا تكون وقد تشبنا بأهداب العلم ومشينا في موكبه في مكان الذيل من الجسد ، وحتى تعود للقارة السمراء وليست المظلمة — كما يحلو لمن نهبها ويعن لمن سلبوها أن يسموها — عزها ومجدها وتصبح وهي مجد الأحفاد ، كما كانت مهد عظمة الأسلاف والأجداد الذين بنوا المعجزات وأقاموا من عجائب الدنيا ما عجز عنه علم اليوم وما يفخرون به أن يدنوا منه أو يستكشفوا سره ويزيحوا الستر عن كنهه وطبيعته .

ان المكتب الدائم المنوط به تنسيق التعريب بين الدول العربية والوقوف على آخر المصطلحات العلمية والتعبيرات الفنية لتوحيدها والعمل على اذاعتها وشيوعها وقرارها وتدريسها ليشرفه ايما تشريف ويسره السرور كله ان يضع بين ايديكم الكريمة بعضا من نتاجه المتواضع يتشكل من مجلته الدورية التي تصدر باسم ((اللسان العربي)) وهي تتضمن ابحاثا في اللغة ل كبار كتاب العربية من ابنائها أو ممن عكفوا على دراستها من المستشرقين من قدامى الاساتذة في مختلف جامعات العالم الكبرى ، وايضا من مجموعة من المعاجم باللغات الثلاث الانجليزية والفرنسية والعربية لبعض من العلوم الحديثة ، وكذا نبذة موجزة للتعريف بالمكتب واهدافه وتاريخه ومنجزاته ، ومشاريعه ، آملا ان يكون قد استطاع القيام ببعض مما انيط به ليسهم ولو بلبنة صغيرة تدعمها جهودكم الموقفة ونفعاتكم الحميدة ونشاطكم الذؤوب في سبيل خير افريقيا والافريقيين .

وقفكم الله وسدد خطاكم واعلاشاو قارتنا بفضلكم وهداكم ...

اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر في نشاطها العام

ترجم - في جلاء - الآمال البعيدة التي تراود
انفسنا جميعا من أجل تأدية الدور الكبير المنوط بنا،
والنهوض بالعربية والسير بها قدما نحو مدارج
التقدم والرفق ، واحلالها محل زميلاتها من اللغات
الحية المعاصرة ، كما هي رغبة تنم عن مدى التقارب
القوي الموجود بين اللجنة وبين مختلف الهيئات
والمؤسسات في الاقطار العربية الشقيقة ، فهي لا
تألو جهدا في هذا الصدد ، ولا تدخر وسعا في
تحقيقه ، وقد استجاب رئيسها المفصال وزير
التربية لرغبة المكتب الدائم في الحصول على خبير
للرياضيات وانتدبت احد اعضائها البارزين وهو
الاستاذ الدكتور احمد سليم سعيدان .

وإذا كان لا بد لنا من كلمة قبل تقديم هذا
التلخيص للكتاب المذكور ، لا يسعنا الا أن نحبي في
هذه اللجنة روحها الوثابة وإيمانها الخالص ، ورغبتها
الصادقة في مواصلة العمل البناء لدعم حركة التقدم
والازدهار في الوطن العربي .

وقد اصدرت هذه اللجنة بمناسبة مرور احدى
عشرة سنة على تأسيسها كتابا قيما تناولت فيه
تاريخها ومختلف نشاطاتها في مجالات الترجمة
والتعريب والنشر منذ تأسيسها سنة 1961 الى
اليوم .

يقع الكتاب في 79 صفحة من الحجم المتوسط،
اشرف على اعداده استاذ عيسى الناعوري سكرتير

منذ انعقد مؤتمر التعريب الاول في 21 ابريل
بالرباط بدعوة من المفطور له جلالة - محمد الخامس -
رحمه الله ومنذ انشاق المكتب الدائم لتنسيق
التعريب في الوطن العربي عن هذا المؤتمر ، واللجنة
الأردنية للتعريب والترجمة والنشر تعمل جاهدة في
نطاق اختصاصاتها على توسيع رقعة نشاطاتها من
لجنة تعنى بشؤون التعريب الى لجنة نشيطة لم
ينحصر عملها في التعريب فحسب بل تمداه الى
الترجمة والنشر كذلك ، فالمتبع لخطوات هذه
اللجنة يتبين بوضوح مقدار الجهد الذي تبذله في
مجالات التعريب والترجمة والنشر جميعا ، وذلك
بما انتجته من كتب قيمة ، واخرجته من مؤلفات
جليلة ، وترجمته من أعمال في مختلف الملوسم
والفنون .

ولقد ظلت علاقة اللجنة بالمكتب الدائم لتنسيق
التعريب في الرباط علاقة عمل مشترك وتعاون متين
في مختلف فروع المعرفة والعلم ، وفي الملخص الذي
سنورده للكتاب القيم الذي أصدرته هذه اللجنة يجد
القارئ الكريم كثيرا من هذه الحقائق ، كما يللمس
مقدار التعاون الوطيد الذي - كان وما زال - قائما
بينها وبين مكتب التعريب في الرباط ، والادارة
الثقافية لجامعة الدول العربية وغيرهما من الهيئات
العلمية الاخرى . وهذا يدل على الرغبة الاكيدة في
العمل ، تلك الرغبة التي تمتلئ بها نفوس اخواننا
في هذه اللجنة ، الساهرين على منجزاتها ، والتي

واللجنة ، ولقد قدم له معالي الاستاذ الدكتور اسحق الفرحان رئيس اللجنة ، ووزير التربية والتعليم ، بكلمة قيمة نوه فيها « بالجهود المتواصلة التي قامت بها اللجنة الاردنية للتعريب عن طريق المساهمة في التعريب ، وفي الترجمة والنشر » ، كما اشار معاليه الى صلة اللجنة الوثيقة بالادارة الثقافية في جامعة الدول العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط ، الذي قال عنه سيادته : « .. يقوم هذا المكتب بأعمال كبيرة مشكورة في حركة التعريب ذات الارتباط الوثيق بتراث الامة العربية وحضارتها الماجدة » كما انه تمنى ان تكون المرحلة القادمة لتطور هذه اللجنة هي « تحويلها الى مجمع علمي لغوي أردني يعمل الى جانب المجمع الاخرى القائمة في افطار العربية الشقيقة » وبناء على توصيات مؤتمر التعريب الاول الذي عقد في الرباط من 3 الى 7 أبريل 1961 والذي جاء من بين توصياته انشاء (شعبة وطنية للتعريب) في كل بلد عربي مهمتها تتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب في بلدها وتكون صلة بينها وبين المكتب الدائم وتقدم اليه الحصيلة العلمية التي تنتهي اليها الجهود في ذلك البلد .

ولما اجتمع اسبوع التعريب في الرباط من 3 الى 9 يناير عام 1963 قررت اللجنة ايفاد أحد اعضائها وهو الدكتور عبد الكريم خليفة ليمثلها في هذا الاجتماع، ولقد اشار الدكتور عبد الكريم خليفة في تقريره المقدم الى اللجنة « ان الاردن هو القطر العربي الوحيد الذي بعث بمندوب خاص الى هذا المهرجان في حين اكتفت البلدان العربية بتفويض سفرائها او ملحقها الثقافيين في الشمال الافريقي لتمثيلها » .

وهكذا يسترسل الكتاب في تسجيل تاريخ هذه اللجنة ويرصد ما قامت به من نشاطات شتى في مختلف المجالات . مع ذكر علاقاتها بسائر الهيئات العربية وعلى رأسها الادارة الثقافية والمجمع العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط .

وفي سنة 1963 كلفت لجنة خماسية من اعضاء اللجنة نفسها بوضع مشروع نظام شامل دعته (مشروع نظام اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر) ويشتمل هذا المشروع على اربعة وعشرين مادة موزعة على سبعة فصول ، هي :

- 1 - تعريفات عامة .
- 2 - تأليف اللجنة وشروط العضوية .
- 3 - أعمال اللجنة وأهدافها .
- 4 - خطة العمل .
- 5 - شروط العمل .
- 6 - الشؤون المالية .
- 7 - احكام عامة .

ثم أعيد النظر في هذا المشروع ، ووضع مشروع نظام جديد حيث رفع الى رئاسة الوزراء بتاريخ 7 - 1 - 1967 ، فووفق عليه ونشر في الجريدة الرسمية الاردنية بتاريخ 1 - 3 - 1967 ، ثم صدر فيما بعد تعديل برقم (35) لسنة 1968 . العدد رقم 1988 ، ثم صدر فيما بعد تعديل برقم (35) لسنة 1968 .

وبناء على القرار المقدم من طرف المرحوم قدرى طوقان (ممثل الاردن في المؤتمر) الى وزير التربية والتعليم آنذاك انشئت هذه اللجنة باسم « اللجنة الاردنية للتعريب » غايتها « تتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب ، وتكون حلقة اتصال بينها وبين المكتب الدائم في الرباط فتسجل كل ما يترجم في الاردن من الكتب وتوافي المكتب الدائم بذلك وتقوم بتنفيذ ما يمكن تنفيذه من مقررات مؤتمر التعريب » .

ولما تم تعيين الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله (رئيسا) للمكتب الدائم قامت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية بابلاغ اللجنة وجميع الدول العربية الاعضاء في الجامعة كما قام الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله نفسه بابلاغ اللجنة كذلك .

ومنذ اجتماع اللجنة الاولى في صباح يوم السبت 3 / 6 / 61 وهي تواصل مجهوداتها في شتى المجالات العلمية والتعريب . ووفقا لهذا الاجتماع قامت اللجنة بتزويد المكتب الدائم ، والادارة الثقافية بقائمة من الكتب المترجمة في ضفتي الاردن حتى ذلك العام .

3 - لجنة الكتب العلمية ، (هدفها ترجمة الكتب العلمية والتقنية)

4 - لجنة الفكر العالمي (هدفها ترجمة روائع الفكر العالمي الى العربية) .

وختم الكتاب برسالة بعث بها معالي وزير التربية والتعليم ورئيس اللجنة الاستاذ اسحق الفرحان الى دولة رئيس الوزراء حول انشاء مجمع علمي لغوي أردني ، وتفتطف من هذه الرسالة الكريمة الفقرة التالية : « ولعل من المناسب أن أذكر لدولتكم أن الأردن كان أول بلد استجاب لتوصيات المؤتمر المذكور ، وأسس شعبة وطنية ، هي « اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر » ولقد عقدت اللجنة خلال الاعوام الاحد عشر التي مرت منذ تأسيسها حتى الآن خمسة وخمسين اجتماعا ، ونشرت عددا من الكتب المترجمة والموضوعة ، وشاركت في دراسة مشاريع المعاجم التي وصلت اليها من المكتب الدائم للتعريب ، وظلت على اتصال مستمر بالادارة الثقافية لجامعة الدول العربية والمكتب الدائم للتعريب ، بحيث أصبحت لدى هاتين الجهتين هي المثال والقُدوة في نشاطها وجهودها الكبيرة في حقل التعريب والترجمة ، ونالت الثناء الواسع منهما في مراسلات عديدة وكذلك في مجلة «اللسان العربي» التي يصدرها المكتب الدائم للتعريب في الرباط » .

وهكذا يتجلى لنا من خلال هذه المعجالة مدى الجهد الكبير الذي تبذله هذه اللجنة التي نتمنى لها مزيدا من التقدم والنجاح في مراحلها القادمة وهي تتحول من صورتها الحالية الى نواة لمجمع علمي لغوي يساهم في خدمة اللغة العربية وتراثها الخالد بجانب مجامعنا اللغوية الأخرى في الدول العربية الشقيقة.

وبعد هذه اللمحة التاريخية عن هذه اللجنة النشيطة يعدد الكتاب « خلاصة أعمال اللجنة منذ تأسيسها التي كانت أهدافها الرئيسية التي قامت من أجلها تتلخص فيما يلي :

- (1) مساعدة اقطار الشمال الافريقي العربية على تعريب اللغة لتفي بجميع الاغراض التي تستخدم في مختلف مرافق الحياة .
- (2) العمل على ترجمة عدد من روائع الآثار الفكرية الحية .
- (3) التعاون مع الدول العربية على وضع الفاظ عربية للمصطلحات الاجنبية .

وفي حقل الترجمة والنشر اصدرت اللجنة العديد من الكتب العالمية والعربية قام بترجمتها ونشرها اساتذة اعضاء في اللجنة ، اما في ميدان التعريب فقد ساهمت مساهمة كبيرة في دراسة كثير من المعاجم التي وصلت اليها من المكتب الدائم في الرباط ومن لجنة التنسيق بين اللجان الوطنية لليونسكو ، والادارة الثقافية لجامعة الدول العربية وغيرها .

ويشير الكتاب الى ان اللجنة ما زالت سائرة بعون الله الى الامام ، وتطويرا لدائرة عملها وتوسيعا لرقعة نشاطاتها ارتأت تقسيم لجنة التعريب الى اللجان الفرعية التالية :

- 1 - لجنة احياء التراث العربي الاسلامي (يعنى بتحقيق المخطوطات القديمة ونشرها) .
- 2 - لجنة الفكر العربي (هدفها ترجمة الفكر العربي والتعريف به في اللغات الغربية)

نحو استراتيجية

جديدة للتربية في البلاد العربية

والاستعمار تحريراً للوطن وتمكيناً للانسان العربي من الانطلاق بنفسه وبمجتمعه على طريق التقدم .

ويمكن عرض الوثيقة في النقاط التالية :

1 - بدأت الوثيقة في تحليل ضاف للصراعات والتحديات التي تعيشها الامة العربية ، واولى ملامح هذه التحديات : **النمو السكاني** ، حيث بلغ المعدل المرتفع منه في الستينات من هذا القرن الى 3 ٪ سنوياً ، وينتظر أن يتجاوز في السبعينات هذه النسبة ويقفز مجموع سكان البلاد العربية من 124 مليون نسمة سنة 1970 الى 172 مليون نسمة سنة 1980 . وهذا النمو يؤثر سلباً في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويزيد من حدة مشكلاتها ، وغالباً ما يأتي على الجهود التربوية ويأكل جزءاً كبيراً من عائداتها .

وعلى هذا الاساس تنوه الوثيقة بضرورة الاخذ في الاعتبار بهذا الامر ، عند رسم سياسات التعليم واستراتيجيته وبنيته ومحتواه والتخطيط له .

وثاني هذه الملامح : **ظاهرة الهجرة من القرية الى المدينة** ، التي تنتج عنها مشكلات اجتماعية خطيرة .

ثالث هذه الملامح : **عدم اتزان توزيع السكان الجغرافي** ، بحيث يتكثرون في مساحات دون أخرى .

انعقد بصنعاء (اليمن) المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب من 23 - 30 ديسمبر سنة 1972 . وبهذه المناسبة اصدرت الامانة العامة لجامعة الدول العربية وثيقة هامة اعدتها كل من الدكتور يوسف صلاح الدين قطب ، والدكتور محمد الهادي عفيفي ، والدكتور محمد سيف الدين فهمي ، والدكتور محمد احمد الفحام .

وقد رسم معدو الوثيقة في دراساتهم المختلفة « استراتيجية جديدة للتربية والتعليم في البلاد العربية » على ضوء التحديات والصراعات التي يواجهها المجتمع العربي المعاصر حتى يتمكن من العبور بقوة وسرعة الى التقدم المنشود والى اوضاع تعليمية بناءة تسمي الى تنمية الثروة البشرية كلها . وليس الي فئة محدودة منها بحيث تصبح قادة على مواجهة هذه التحديات التي تقف في سبيل تقدم الامة العربية .

ومن التحديات التي سجلتها الوثيقة والتي تواجه امتنا العربية ، تحدي النمو السكاني بما يصحبه من خلل ديمغرافي مع عدم توازن في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في معظم الاحوال ، وهناك الصراع ضد التخلف طلباً لحياة عصرية متقدمة ، والصراع ضد التجزئة طلباً للوحدة ، والصراع ضد التناقض الثقافي والاجتماعي طلباً للوحدة الثقافية وتجديدها ، ولتكمال المجتمع وانسجامه ، والصراع ضد الصهيونية

الملاحم الى مجالات للتفاعل الصحي بين الافراد وعاملا من عوامل التماسك الاجتماعي والتكامل الثقافي .

— الصراع ضد التجزئة :

توضح الوثيقة كيف ان الاستعمار سعى دائما الى تثبيت شمل الوحدة العربية واثارة النعرات على اختلافها ، فيما بينها ، واستغل الاستعمار هذا الانقسام والتفكك لجعل فلسطين أرضا تقوم عليها دولة اسرائيل المغتصبة .

كما اشارت الوثيقة الى ان «العقود الثلاثة الاخيرة قد اكدت ان الوحدة ينبغي لها بجانب سعيها الى اتقان لغتها والاعتزاز بتاريخها والاحتفاظ بتراتها والتمسك بقيمتها الاصلية ، ان تأخذ بالعلم والتكنولوجيا في صورتها التقدمية على اوسع نطاق ، كما اكدت ان الصراع القائم حاليا بين الامة العربية والصهيونية والاستعمار ليس مجرد صراع عسكري او سياسي فحسب . وانما هو في الحقيقة صراع حضاري شامل ينبغي ان يلعب فيه التعليم دورا مركزيا .

وبعد دراسات وافية لواقع التعليم في البلاد العربية والاستراتيجيات الموجهة له ، انتقلت الوثيقة الى رسم استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية»

ويمكن تلخيص هذه الاستراتيجية في اربعة عناصر متكاملة - حسبما جاء في مقدمة الوثيقة نفسها - وهي :

1 - التغيير التقدمي الشامل في التربية الذي يقوم على تصحيح رؤية جديدة للتعليم كل التعليم ، لتلقي الجهود التربوية على تحقيقها من أكثر من موقع في النظام التربوي ، وذلك كبديل لاستراتيجية الإصلاح الجزئي الذي يقي التقدم مع بعض التعديلات او الاضافات في جانب من جوانب التعليم او مستوى من مستوياته .

ب - تعليم المجتمع كل المجتمع ، كباره مثل صفاره ، بمؤسساته المدرسية وغير المدرسية ، وذلك كبديل لاستراتيجية تعليم الصغار قبل الكبار بل على حساب الاخيرين في المدارس .

والملمح الرابع : تركيبهم العمري الذي ينحاز نحو الاطفال .

ولهذه النسبة المرتفعة من الاطفال داخل سكان البلاد العربية تأثيرات مهمة في العرض والطلب على التعليم ، مما يجعل المبدء اثقل على التعليم وقد نوهت الى هذه الظاهرة الخطيرة الاثم المتحدة غير مأمرة .

— الصراع ضد التخلف :

بينما يضاعف العالم المتقدم خطاه على الطريق نحو الامام ما زالت الامة العربية تخوض معركتها ضد التخلف بجميع اشكاله ، مما يجعل الهوة تتسع بين هذه البلاد وبينها من البلاد النامية .

وتشير الوثيقة الى : « انه في الوقت الذي تملك فيه البلاد العربية موارد اقتصادية وامكانات مادية مؤهلة وتراثا حضاريا عريضا ، فضلا عما يتوافر حولها من اسباب المدنية الحديثة ، فان جمهرة ابنائها لا يقومون بمستوياتهم الثقافية المنخفضة على استثمار هذه الموارد والامكانات والتراث بما يدفعهم الى طريق التقدم بالسرعة المرجوة » .

كما اشارت الوثيقة الى الوان اخرى من الصراعات كالتناقضات الثقافية والاجتماعية ، فعلى الرغم من مظاهر الوحدة وتوافر عناصر التجانس الثقافي المتماسك الاجتماعي - على الرغم من ذلك - فان الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية قد خلقت منها تفاوتات وتباينات ارتفع بعضها الى حد التناقض والصراع بالاضافة الى عوامل اخرى كالصراع بين القديم والجديد ، والتناقض القائم بين ثقافة الريف والحضر ، ومسألة توزيع الثروة الخ .

ومما يزيد من هذه الصراعات جميعا الهزيمة المريرة التي يعيشها العرب في الوقت الذي يتوفر لديهم كافة الامكانيات لمحوها وتخطيها .

وتلخص الوثيقة الى القول الى ان هذه التناقضات برمتها تفرض نفسها على التعليم بحكم كونه من صنع المجتمع وجزءا من ثقافته ، مؤكدة ضرورة حسم كل الخلافات ومواجهته كل الصعاب حتى تتحول كل تلك

- ج - الاهتمام بجودة التعليم اسوة بكمسة ، او دون فصل بين الكم والكيف ، وذلك كبديل لاستراتيجية الكم مع اهمال الكيف على حسابه .
- د - الاتجاه التربوي العربي الواحد الذي يبدأ بالالتقاء على ملامح رؤية تعليمية جديدة على المستوى القومي تتحول بها نظم التعليم في البلاد العربية قولا وفعلا ، الى نظم تربوية عربية حقيقية ، ويتحقق بتجسيدها في الواقع تعبئة التعليم في كل موقع عربي لتجديد الثقافة العربية وتحويل المجتمع العربي الى مجتمع عصري .
- كما انه بفضل هذا الاتجاه تجتمع للبلاد العربية على اعمال مشروعات تربوية مشتركة وتنسيق خططها التعليمية وجهودها العلمية ، واولا واخيرا تبذل جهود مشتركة لتمكين الفلسطينيين العرب من ان يكون لهم تعليمهم الذي يمكنهم من مواصلة النضال واسترداد حقوقهم وبناء فلسطين الجديدة .
- وتصر الوثيقة على انها ليست في الواقع سوى مجرد فتح باب حوار طويل وعميق امام السادة وزراء التربية والتعليم العرب ، ومن ورائهم من مختصين وفنيين وخبراء ومعلمين .
- وتشير في الاخير الى انه لا بد بعد الحوار ، والالتقاء على العناصر الاساسية للاستراتيجية الجديدة - بعد تنقيحها وربما تعديلها - لا بد لها من ضمانات لوضعها موضع التنفيذ وهذه هي الضمانات التي ساقتها الوثيقة تحقيقا لذلك :
- تبنى القيادات السياسية للاستراتيجية وتعبئتها الجهود لتنفيذها .
- البحث العلمي في عناصر الاستراتيجية المقترحة والقيام بتجارب تطبيقية قبل التوسع) تنفيذها .
- التخطيط الكفء لتنفيذ الاستراتيجية الجديدة مع مواصلة البحث والمراجعة في مشكلات التنفيذ والتطور .
- تطوير الادارة التربوية وتكثيفها وتعبئتها بما يتلاءم مع طبيعة الاستراتيجية الجديدة ويوفر لها الكفاءات القيادية في التوجيه والتنفيذ .
- اعادة النظر في برامج اعداد المعلمين وتدريبهم في ضوء مفاهيم الاستراتيجية الجديدة ومطالبها ليكونوا اداة فعالة في تنفيذها .
- توعية الجماهير بالاستراتيجية الجديدة وفتح باب الحوار في عناصرها وخصائصها واهدانها ووسائل تنفيذها .
- اعادة النظر في توزيع المواد المالية المخصصة للتعليم في ضوء مطالب الاستراتيجية الجديدة والاستخدام الامثل لهذه الموارد ، مع فتح المجال للمبادرات الشعبية والدعم المادي من جانب الافراد والجماهير .
- الاستعانة بالخبرة العالمية والمساعدات الدولية وبخاصة من جانب منظمة اليونسكو ، في التحرك على الطريقة الجديدة بنجاح وكفاية .

بين المجلة وقراءها

ما زلت أيتها القارئ العزيز - في مطلع كل عدد جديد - تتأكد من الحقيقة التي أمنت بها منذ صدور أول عدد من مجلتك « اللسان العربي » فقد اتخذت من هذا اللسان أداة للتخاطب والتفاهم والتعلم الأولى التي لا ترضى بها بديلاً بأي لسان أعجمي آخر ، بل اننا نلمس بوضوح أن أيمانك بحقيقتك هذه يزداد يوماً بعد يوم حيث جعلت من هذا « اللسان » المنبر الحر الذي تعرض فيه كل ما يعن لك في أمور اللغة من قضايا ومشكلات ، وفي الوقت ذاته تبرز القدرة الهائلة التي تنطوي عليها لغتك الخالدة ، وتسخرها في خدمة « العلم » بمختلف فروع وأنواعه ، حتى تسائر ركب التطور المعاصر الذي ما عرف التاريخ يوماً تقدماً يضاهيه ، وأنت بذلك إنما تبذل أو هام المفرضين المقللين من شأن هذه اللغة الجاهلين لها ، وتسهم في بناء صرحها التالذ الذي يزداد بك وبأيمانك متانة وصلابة وقوة . « واللسان » هي بدورها كانت حريصة كل الحرص على أن تعمل دائماً على مضاعفة أيمانك بهذه الحقيقة وما زالت تبذل قصارى جهودها في تأكيد هذا الإيمان وترسيخه في النفوس بإبراز جلال العربية وعظمتها والسير بها قدماً نحو لغة حية معاصرة قادرة على احتواء كل جديد حديث في كل علم وفن .

وما زالت الصلة الوثقى التي بين المجلة وقراءها الأجزاء تزداد تقارياً ومتانة يدعمها السيل العارم من رسائلهم المختلفة الحافلة بأجمل العواطف وأصدقها .

ونحن إذ نشكر للقراء نبيل مشاعرهم ونؤكد للجميع هذه الرغبة فينا ، نشد على أيديهم بحرارة ونعدهم على أن نعمل دون هوادة أو توان لبولوج الغاية التي ننشدها جميعاً بحول الله .

ولا ننسى أن نذكر مرة أخرى أن هذا الباب من القراء واليهام وهو ملتقى أفكارهم ومنتدى آرائهم وهو ينتظر منهم دائماً كل توجيه أو نقد أو تعليق أو أية وجهة نظر أخرى في كل ما يتعلق بنشاط المكتب عامة والمجلة خاصة .

« اهتكم على المجهودات الجبارة التي تبذلونها من أجل إحياء لغة الضاد ، وإحلالها مكانتها الرفيعة التي كانت تتبوأها في عصورها الذهبية السالفة » .

من المملكة المغربية :

* من مدينة طنجة بعث البنا الأستاذ عبد السلام العوام بادسي برسالة رقيقة نتقطف منها هذه السطور:

من الجمهورية الجزائرية :

* من الجزائر العاصمة جاءتنا كلمة رقيقة مسن معالي وزير الاعلام والثقافة الاستاذ احمد طالب الابراهيمي الى السيد مدير المجلة يقول فيها: «يسرني ان اكتب لكم هذه الرسالة مجددا عهد الاخوة والتعاون بيننا ومثنيا على الجهود المجدية المشكورة التي تقومون بها في مجال التعريب»

* ومن مدينة وهران وصلتنا كلمة رقيقة من رئيس قسم اللغة العربية وآدابها الدكتور عبد الملك مرتاضى جاء فيها: « اننا نبارك اعمالكم وجهودكم المتواصلة المثمرة في مجال التعريب ، واصدار المعاجم الحديثة التي تشمل مختلف مجالات الحياة .»

* ونعود الى مدينة الجزائر لنلتقي مع رسالسة اخرى من رئيس ركن التعريب بوزارة الدولة المكلفة بالنقل الاستاذ مصطفى كمال مغربي نقتطف منها ما يلي: « اشكركم الشكر الجزيل عن الجهود الجبارة التي تبذلونها من أجل تنسيق التعريب في الوطن العربي ، واطلب الله ان يمدكم بالنجاح الدائم ويوفقمكم في كافة نشاطاتكم .»

* ومن مدينة تلمسان تطالعنا رسالة الاخ عبد الجليل مرتاض قال فيها: « لقد أتبع لي أن أطلع على مجلدين من مجلدات « اللسان العربي » الغراء التي يصدرها مكتبكم الموقر ، وأعجبت بما جاء فيها من مقالات ومحاضرات وبحوث قيمة تعد بحق ثمرات جهود مضية طويلة .»

* ووصلنا من الجزائر خطاب رقيق من السيد ناجي يحيى ، يزجي فيه الشكر للمجلة وهو مفتبط جدا بالنهج الذي تتجه في دراستها اللغوية وتحقيقاتها المختلفة ويقدم لنا بعض الاقتراحات منها :

— يتعنى ان يبادر المكتب بالكتابة الى جميع المؤسسات العربية والهيئات والمجالس والمعاهد والحكومات حتى تفرض رقابة صارمة - وبصفة مستمرة - فيما يخص استعمال مختلف المصطلحات التي ينبغي ان تكون موحدة في جميع اقطار الوطن العربي .

— ان ينشر المصطلح العربي في صور الانتاج بحيث تمنع كتابة تعريفات المتونجات التي وجد لها اصطلاح ، بأحرف عربية ومعنى أعجمي مثل « كولونيا » للدلالة على المطر أو الطيب ، وكذا « كازينو ، وبسكوت»

* من مدينة وزان كتب لنا القارئ الكريم السيد المكي الريسوني الكلمة التالية : يشرفني أن انوه بالجهودات القيمة الجبارة المتجلية في انشطتكم المتنوعة وأخص منها مجلة « اللسان العربي » التي تشرف مكتبنا الدائم للتعريب وتدفع كل مواطن للاعتزاز به نظرا للخدمات الجليلة التي يعمل المكتب دائبا على تحقيقها لمسيرة ركب التقدم والحضارة»

* من القصر الكبير وجه لنا السيد الطاهري محمد الكلمة التالية : « لقد سعدت بالاطلاع على مجلتكم الهادفة الى تحقيق واعلاء اللغة العربية والخروج بها من مشكلاتها الى طريق التقدم حتى تكون لغة حية قادرة على مجابهة العصر السذي يطرنا يوميا بكل جديد .»

* ومن مدينة الدار البيضاء كتب الاستاذ عبدالرحمن التباغ كلمة رقيقة جاء فيه : « لقد اصبحت « اللسان العربي » بفضل مجهوداتكم ومساهماتكم مجلة واسعة الانتشار جديرة بالافتخار فطوبى لكم وهنيئا .»

* وهذه تحية السيد الحسين بن محمد السملالي من الدار البيضاء كذلك جاء فيها : « لقد كان سروري عظيما بمجلكم الغراء نظرا للجهود الجبارة والخدمات الجلى التي تبذلونها في اخراج هذه المجلة خدمة للتراث العربي العظيم وللفته .»

* وافانا الاستاذ السفير الدكتور عبد الهادي التازي برسالة جاء فيها : « لقد تلقيت رسالتكم حول اعترام المكتب التعريف بأصدقاء المجلة وكتابها ، وقد كان ذلك تفكيراً سديداً منكم لا يهدف فقط لربط الاواصر بين رجالات الفكر في المشرق والمغرب ، ولكنه كذلك يعرف الجمهور بهؤلاء الجنود المخلصين الذين يقفون وراء هذا العمل الضخم الذي يقوم به المكتب ، ولا اکتفم حقيقة لمستها من خلال عملي خارج المغرب سفيراً لبلادي ، كنت كثيراً ما أتلقى مثل هذا السؤال : من هم الذين يعدون « اللسان العربي » في مثل هذا الاخراج ومثل هذه المادة ؟ وكم كنت اقرأ على ملامح الاصدقاء معالم التقدير والاكبار لجهودكم الشريفة ، تلك التقديرات التي اغتنم هذه الفرصة لانقلها اليكم صادقة مؤملاً لكم المزيد من النجاح والمزيد من التوفيق .»

ولا يمنع ترجمة اسم المنتج الى لغة اخرى ، لكن في هذه الحالة ينبغي كتابة الاسم بكيفية يظل فيها الاسم العربي هو البارز .

* وهذه تحية من السيد ابن عبد الله الاخضر من وهران بالجزائر الشقيقة كذلك جاء فيها : « اطلمت على المقال الذي نشرته صحيفة « الصباح التونسية » ، والذي نقلته عنها صحيفة « العلم الاسبوعية » ، والذي اثنى فيه صاحبه على الجهود المبذولة لتطوير اللغة وجعلها تسير مسيرة الركب الحضاري ، وذلك بما تبذونه من مجهودات كبيرة في هذا المضمار سعيا وراء دحض ادعاءات المفرضين على اللغة فسمعت بذلك كثيرا » .

من الجمهورية الليبية :

* من ليبيا بعث الينا الاستاذ سامي عطا حسين التحية الرقيقة التالية : « ليتني استطعت تصوير مدى اعجابي وتقديري للابحاث والدراسات الجيدة ، وللجهود العظيمة التي تبذلونها في سبيل لغة القرآن »

* ومن طرابلس حمل الينا البريد الكلمة التالية من الدكتور علي عبد المنعم : « أرجو أن أكون على صلة بهذا الجهد العلمي المنظم الدقيق ، والذي يسهم في التعريب الفكري بين المثقفين العرب ، والذي يعمل على احياء الثقافة والمدنية العربية كحضارة ذات ابعاد متعددة الجوانب ، بعيدة الاعماق تكون أصلا ثابتا للنهضة العربية المعاصرة » .

* ومن ليبيا ايضا وافانا الاستاذ محمد العيسوي الشتوي بعرض مبسط عن « تهذيب المقدمة اللغوية » للعلائلي .

ولقد اشار الاستاذ الشتوي الى المكانة التي يحتلها الاستاذ العلائلي في ميدان اللغة والادب ، وعدد كثيرا من كتبه المتنوعة في شتى المجالات وهي كتب معروفة لدى الباحثين والمتابعين .

يقول : انقسم الناس امام كتاب العلائلي الى مشفق ومؤيد ومستغرب - على حد تعبير الدكتور اسعد علي - . فالاستاذ اسماعيل مظهر سكريير المجمع المصري للثقافة العلمية أبدى اشفاقه على نفسه ، وعلى الكتاب ، وعلى مؤلفه ، اذ اعتبره الصيحة الاولى لقيام التوسع في اللغة ، هذا الاشفاق من المسئول الرسمي عن الثقافة العلمية . . اما الذين ايدوا الكتاب ، ورحبوا به بدون خوف ولا احتراز فهم الاساتذة : الاب

انستاس الكرملي ، ابراهيم مصطفى ، طه حسين ، وعلي الجارم ، وعبد الفني حسني ، وسلامة موسى ، ومارون عبود ، وميخائيل نعيمة ، وقد حفلت مجلات ذلك الوقت بأبحاث مطولة حول الكتاب القيم كالمقتطف ، والثقافة ، والشراع ، والاهرام ، والمصري ، والدستور ، والتربية الحديثة . . «

اما المستغربون لكتاب العلائلي فهم المحافظون من اللغويين الذين لا يرضون بالتغيير والتجديد والاجتهاد في ميادين اللغة الرحبة » .

وبقى هذا الكتاب على حالته وطبعته سنة 1938م الى ان جاء الدكتور اسعد علي فالف سنة 1968 كتابه حول تهذيب المقدمة اللغوية ، ونشرته « دار النعمان » وجاء كتاب التهذيب هذا في أربعة ابواب وخاتمة .

الاول - التطور اللغوي ونشوء اللغة العربية .

الثاني - معقول العرب ومستقبل العربية .

الثالث داء العربية ودواؤها .

الرابع - المجمع والمعجم .

وقد نوه الاستاذ الشتوي في الاخير بالمجهود الكبير الذي بذله الدكتور اسعد علي في « تهذيبه » لمقدمة الاستاذ العلائلي وتمنى اعادة طبع هذا الأثر القيم ، حتى يتسنى لكافة الباحثين الاطلاع عليه والافادة منه .

من جمهورية مصر العربية :

* نفتتح هذه السلسلة برسالة من الاديب الاستاذ علي الجندي عضو المجمع العلمي بالقاهرة ، جاء فيها : « لقد اتحتم لنا فرصة ذهبية للاستمتاع بهذا الكتاب الجليل والموسوعة الفذة التي تدل على العلم الغزير والفكر الناقد والتنسيق الدقيق ، والغيرة على لغة الكتاب العزيز ، فبارك الله جهودكم وافاض عليكم القوة والقدرة ووفقكم لخدمة اللسان العربي واثابكم الثواب الوافر »

* من القاهرة كذلك وصلتنا رسالة رقيقة من الاديب الاستاذ وديع فلسطين يقول فيها : « ادعو لكم بمزيد من التوفيق في ماتبيكم العلمية ومياديتكم الفكرية فانتم تنهضون برسالة للضاد مقدسة وتخلصون في ادائها اخلاصا عرفته العابة والخاصة ، وتبذلون من ثمين الوقت والجهد ما نلمس آثاره في كل

بالمستوى العلمي الدقيق الذي يتمتع الدارس المتخصص ويرفع من مستوى لغتنا الفراء ويقرب بين جهود العلماء والدارسين في جميع انحاء العالم العربي وغير العربي .. وفقكم الله وأناد بجهودكم في رفعة شأن العربية أنتم وجميع من يسهرون بطريق مباشر أو غير مباشر في هذا العمل الجليل .

* وأما رسالة الأستاذ عبد اللطيف عبد الحلیم المعيد بكلية دار العلوم جامعة القاهرة فقد جاء فيها : « لا يسعني الا أن أشيد بجهودكم الكبيرة التي تسدونها الى اللغة العربية لتعزيز صرحها الشامخ ، إذ أنه جهد توفّر له الاخلاص الصادق والتفكير القويم ، فلا يملك اي منصف الا أن يذكر بالاجلال والتقدير هؤلاء الذين يقفون بعزم راسخ وراء هذا العمل الكبير الذي يحتل مكانا كبيرا في عقول الدارسين ووجدانهم » .

* وكتب لي الأستاذ وجدي رزق غالي من القاهرة أيضا رسالة رقيقة يزجي فيها الشكر للمجلة والعاملين بها ويخبرنا عن صدور معجم له بعنوان « المعجمات العربية » ، ببيوغرافية شاملة مشروحة تقديم الدكتور حسين نصار ويقول انه قام بحصر شامل الى درجة تصوى للمعاجم العربية المطبوعة في جميع أرجاء العالم منذ اول معجم طبع 1505 حتى آخر معجم صدر عام 1970 .

يقع في ثلاثة اقسام :

الاول : المعاجم العربية العامة الاحادية اللغة (عربي - عربي)

الثاني : المعاجم الثنائية والمتعددة اللغات (عربي - اجنبي ، اجنبي - عربي)

الثالث : المعاجم المتخصصة ورتب هذا الباب هجائيا على رؤوس الموضوعات الدالة على العلوم ومجالات المعرفة المتخصصة ،

ويخبرنا أن معجمه هذا سجل من أعمال المكتب الدائم « معجم الأصول العربية والاجنبية للعابسة المغربية ، والمعجم الصوملي ، والمعجم الفقهي المالكي ، وكلها من تأليف الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

من الجمهورية العربية السورية

* من دمشق وصلتنا رسالة رقيقة من السيد محافظ متحف الفن الحديث - المتحف الوطني - الأستاذ

مكان . « وفي رسالة أخرى منه كذلك يقول : « اعود الى الثناء على الجهد الذي يبذله مكتبكم الموقر في خدمة الضاد والترجمة والمصطلحات والمعاجم . وهي تبعات تنوء بها العصبية من أفذاذ الرجال ، وما دتم متفرغين للعلم والثقافة والفكر ، فخدمتكم هي الباتية في جماعتنا العربية ، وهي تجمع عليها مشارقنا ومغاربنا ولا تختلف ، فالزموا مكانكم في ميدان الثقافة والفكر ، وتابعوا نشاطكم بتجرد واخلاص ، واسهروا على خدمة الضاد الحصان في جامعتنا الكبرى وعروتنا الوثقى وشرقنا الأكبر » .

وهذه رسالة من الأستاذ قاسم الخطاط مدير معهد المخطوطات بالانابة يقول فيها : « ان معهد المخطوطات يتابع نشاطكم الكبير في خدمة اللغة العربية واثرائها » .

* وأما الأستاذ محمد ابراهيم عطية فيقول في رسالته « يسعدني أن أحييكم وأشكركم على هذه الموسوعة العربية الغنية التي تضور مدى ما تقومون به من خدمات جليلة وجهود مضمينة من أجل رفعة شأن الاسلام واللغة العربية ، حقا انها لموسوعة لما تتضمنه من دراسات وابحاث ومعاجم تهتم كل عربي وكل من يغار على العربية مهما كان تحصيله العلمي ، وانني لشديد الفخر والاعتزاز « باللسان العربي » وبأسرة تحريرها » .

* ومن القاهرة نفسها بعث لي الأستاذ توفيق علي وهبة مدير الشؤون القانونية يفتتحها بقوله : « لقد سعدت أيها سعادة ، بالاطلاع على المسدد الثامن من مجلتكم القيمة « اللسان العربي » التي تزخر بالموضوعات القيمة ذات المستوى الرفيع ، وفي الحقيقة لقد سدت هذه المجلة فراغا في المكتبة العربية فادعو الله سبحانه وتعالى أن يوفتكم لخدمة العربية لغة القرآن الكريم » .

* ومن مصر العربية كذلك حمل لي البريد الكلمة الرقيقة التالية وهي من الأستاذ المسرحي الكبير زكي طليمات : « ان مجلتكم تفيض بكل منيد وطريف مما يزيد في ثراء لغتنا العربية المستحدثة ويعمل على توحيد لسانها وتقارب لهجاتها الاقليمية في زمن نحن احوج ما نكون فيه الى الوحدة اللغوية » .

* وتلقينا من الأستاذ محمد صبحي عيسى من قسم الدراسات العربية - الجامعة الامريكية - رسالة يقول فيها : « لكم أسعدني أن تصدر مجلة كهذه

عن الجهود العظيمة التي يبذلها في سبيل نشر اللغة العربية وتوعية الجماهير العربية وتثقيفها باللغة الفصحى التي هي من أولى مقومات النهضة العربية ادعو الله ان يوفق خطاكم ويسددها لما فيه خير الأمة ووعيتها .

* وهذه رسالة اخرى من الاستاذ وليد حسن السعيد الى السيد مدير عام المكتب تقتطف منها هذه السطور : « من خلال ما رأينا وقرأنا ، فقد تجلّى لنا عظيم عملكم ، وكبير فضلكم في خدمة امتكم وأبناء وطنكم ، وفي سبيل الحفاظ على لغتكم العربية انتم ورفاقكم الذين يعملون معكم في المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، ولقد كانت محاضرتكم « ثورية التعريب » التي نشرت في الصفحة السابقة من الجزء الاول من المجلد التاسع ، تعبيراً صادقا عن عملكم الكبير ، وغايتكم النبيلة ، وجهدكم العظيم ، وفقكم الله وسدد خطاكم » .

* وهذه رسالة اخرى جاءتنا من حمص من الاستاذ يحيى عبارة يقول فيها : « لقد اطلعت على مجلّتكم الغراء « اللسان العربي » فراقنتي ابحاثها الشقيقة ومواضيعها القيمة ، وتحقيقاتها اللغوية الرصينة ، والتعليقات الرائعة على الكتب العربية المحققة ، خدمة للتراث العربي ، وصونا له من الضياع ، وكذلك متابعة مجلّتكم لمشكلات التعريب والتصدي لوضع المصطلحات الفنية الملائمة مما جعل مجلّتكم فريدة في أبوابها ، وفي طليعة المجلات العربية ذات الشأن » .

من الجمهورية اللبنانية

* ومن لبنان نبدا من صيدا لالتقي مع الاستاذ محمد العدناني في هذه التحية الرقيقة : « لقد تسلّمت الدفعة الاولى من مجلّتكم النفيسة ومطبوعاتكم ، فأذهلني ذلك الجهد الجبار الذي تبذلونه لخدمة الفصحى ، وأقالتها من عثرتها ، حفظكم الله ذخرا للضاد وبنيتها » .

* ومن مدينة طرابلس تطالعنا رسالة الاستاذ اكرم صوفي رئيس الدائرة الاقتصادية في لبنان المالي التي جاء فيها : « لقد تسنى لي أن أطلع على الجزئين الأولين لمجلة « اللسان العربي » فأكبرت الجهود المصنفة التي أسفرت عن هذا الإنتاج الضخم ، وتبدو اللغة العربية أحوج ما تكون اليه في عصرنا الحاضر ، لاسيما وأنتا في عز مسيرتنا الجبارة للانتظام في صفوف الصدارة من موكب الأمم الناهضة » .

حسن كمال جاء فيها : « يسعدني حقا ان اتلقى مطبوعاتكم القيمة التي كانت وما زالت كنزا ثميناً يغني المكتبة العربية التي كانت الى عهد قريب تفتقر الى مثل هذه المعاجم والمؤلفات الأخرى التي نفيد من أبحاثها كل الفائدة ، وننقل الكثير من معارفها الى طلابنا في الجامعة ، اذ فيها يجد القارئ العربي ضالته المنشودة وأمنيته التي ظل ينتظرها عهدا طويلا والتي بدأ يحققها بما أصدرتم من كتب هامة في السنوات التي خلت والتي ما زلتم عاقدين العزم على نشرها في المستقبل ، احبي أسرة هذا المكتب العاملة باخلاص وتفان وأتمنى لكم كل النجاح ما دام رائدكم الاعتزاز بلغة الضاد » .

* ومن دمشق كذلك جاءتنا الكلمة التالية الرقيقة من الدكتور عبد الرحمن الصابوني عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق يقول فيها : « جزاكم الله كل خير وان « اللسان العربي » لعمل نفخر به مع الأجيال الصاعدة بتحقيق صمود لغتنا وتحديدها للزمن » .

* وهذه رسالة ثالثة من دمشق أيضا بعث بها الينا الاستاذ احمد بهجة قنصه رئيس نقابة الترجمة المحلفين تقتطف منها ما يلي : « اطلعت على بعض منشوراتكم ، ولاسيما ما يتعلق بمعاجم المفردات ويطيب لي أن أعرب لكم عن سروري البالغ بهذا الانجاز العلمي القيم ، الذي يغني لغتنا بما تنمقر اليه من تعابير علمية وتقنية وفنية » .

* ومن العاصمة السورية كذلك تطالعنا رسالة الاستاذ محمد سعيد مولوي الخبير في المخطوطات العربية تقتطف منها هذه الفقرة : « اطلعت بسرور فسرني فيها أنها المجلة التي طال بحثنا عنها وتشوقنا عظيم ، وشغف كبير ، على مجلة « اللسان العربي » اليها ، لخدمة لغتنا العربية العظيمة . وتجديد حيويتها ونشاطها بما يؤهلها لحمل تبعات الحياة الجديدة ، والمخترعات الحديثة ، وتطلعات الفكر الجبار » .

* ومن مدينة حلب جاءتنا هذه الكلمة الرقيقة من الاستاذ المحامي فرنان باي يقول فيها : « ولا يسعني في هذه المناسبة الا أن أعرب لكم عن بالغ اعجابي وتقديري للجهود الضخمة التي تبذلونها في هذا الحقل ، راجيا الله أن يسدد خطاكم الى ما فيه رقي وازدهار امتنا العربية الماجدة » .

* ونعود الى مدينة دمشق لالتقي مع رسالة الاستاذ عبد الودود طليبات الذي « يحيى فيها المكتب

العامة التي لا يمكن لها أن تنمو وتتسع إلا بهذه الاعمال
المبنية على الفكر المبدع في مختلف ميادين الحياة
المعاصرة »

* ومن الخيام كتب الينا الأستاذ فايز عباس أبو
عباس يقول : « تحياتي وتقديري للمجهودات الضخمة
التي تبذلونها ، لأخراج أعداد « اللسان العربي » الذي
هو بحق من أروع ما أنتج من دراسات وموضوعات
لغوية وعلمية وأدبية وغيرها ، مما يجعل منه مصدرا
لا يستغنى عنه كل باحث ودارس ، ومرجعا يعود
اليه في كل حقل من حقول المعرفة الإنسانية »

* « سرور وغبطة وتقدير بالغ لمملككم الجليل ،
طالمت على مجلتكم الفراء « اللسان العربي » فوجدتها
بحق دواء ناجعا لسان العربي الخالد لذلك كاتبتكم
شاكرًا ومقدرا لكم هذه الجهود الكريمة في سبيل
خدمة اللغة العربية ، ولما تقدمون من زاد لغوي حي
تتغذى به المكتبة العربية » . هذا بعض ما جاء في
كتاب الأستاذ سليم نجيب البيطار من العنية بلبنان .

من المملكة الأردنية :

* من عمان حمل الينا البريد التحية الرقيقة التالية
من الدكتور عبد العزيز الدوري من الجامعة الأردنية:
« أود أن أعرب لكم عن بالغ تقديري لجهودكم القيمة
ولانتاجكم المثمر في خدمة العربية »

* من عمان جاءتنا رسالة من الأستاذ عيسى
الناعوري سكرتير اللجنة الأردنية للترجمة والتعريب
والنشر يقول فيها : « أرجو أن تأذنوا لي بإبداء ملاحظة
عرضت لي وأنا أعود الي مطالعة أعداد مجلة « اللسان
العربي » النفيسة التي لا شك في انها تؤدي رسالة
رفيعة جدا ، هي رسالة النهوض بلغة الضاد المزينة ،
وأبراز مزاياها وخصائصها المهمة ، ليكون ذلك وسيلة
الى اعادتها الى عزاها وزهوتها وغناها ، وبالتالي الى
اعادة العزة القومية الى أهل هذه اللغة المجيدة » .

ويشير الأستاذ عيسى الناعوري في رسالته
ملاحظة مهمة تتعلق بالترقيم فيقول : « ان العناية
بالترقيم في بعض الأبحاث التي تنشر في المجلة أما
أنها مفقودة تماما ، وأما أنها غير كافية ، وعلامات
الترقيم أصبحت من العوامل المهمة ، المساعدة على
صحة القراءة وجودتها » .

ويضيف قائلا : « أنا لا أجهل أن العرب القدماء
لم يعرفوا الترقيم ، وأن الكتب القديمة - إلا في بعض

* ومن بيروت وجه الينا الأستاذ قاسم منصور
مدير الثانوية العاملة التحية التالية : « ونحن إذ نبدي
اعجابنا بقيمة هذه الكتب وتقديرنا للمجهود الكبير
الذي بذلتموه في سبيل اعدادها ، نشكر لكم تطلبتكم
بارسال هذه المنشورات الينا » .

وهذه رسالة أخرى من طرابلس كذلك جاعتنا
من الدكتور عبد المجيد نعمي يقول فيها : « لقد جاءت
« اللسان العربي » لتسد فراغا كبيرا في مجال تنسيق
عمليات التعريب في عالمنا العربي وذلك ان المثقفين
والعاملين في مجالات الثقافة والفكر كانوا في حاجة
ماسة لما أخذتم على عاتقكم القيام به في مجال تسهيل
عمليات نقل الفكر الاوروبي الى اللغة العربية
وبصورة خاصة في مجال نقل التراث العربي الى
اللغات الاوروبية » .

* وهذه رسالة أخرى من بيروت بعث بها الينا
الأستاذ حسن شقير جاء فيها : « سنحت لي الفرصة
أن أطلع على « اللسان العربي » فأعجبت بها تضمنته
هذه المجلة من أبحاث واجتهادات قيمة في اللغة
العربية وارتباطاتها الفكرية والعلمية والثقافية بلغات
أخرى ، كاللغة الفرنسية واللغة الانكليزية ، فوجدت
أنه بإمكانني الاعتماد الى حد بعيد على مجلتكم الفراء»

* ومن مدينة زحلة وجه الينا الأستاذ جورج ليان
حميصه هذه التحية : « في هذه المرحلة الدقيقة من
تاريخ أمتنا ، وبينما تستيقظ معاني القومية في وجدان
شعبونا سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية
أو الثقافية ، تستوقف المثقف العربي بعض مظاهر
هذه اليقظة في منظمتكم الثقافية الكريمة ، لاننا نجد
انفسنا اليوم أحوج ما نكون الى جهودكم الخيرة في
سبيل ايجاد معجم لغوي وعلمي كاللسان العربي »
بفية أحياء وبعث لغتنا العربية بحيث تهضم معطيات
الحضارة الجديدة وتناضل فيها » .

* ونعود الى بيروت لتلقي مع رسالة الأستاذ
جوزف انرم البستاني رئيس دائرة المكتبة المركزية
التي جاء فيها : « انه لمن أسعد المناسبات هذه
التي تتيح لنا التعبير الوافي عن مدى اغتباطنا وفخرنا
بالبلغين بهداياكم الخطيرة في أهميتها والنفيسة في
قيمتها والناطقة عن مجهودات ذوي العلم والكنساء
المشحونة بالطاقات الأدبية والثقافية والفكرية
والعلمية ، والتي تعطى بالتالي ثمارها الطيبة لتتغذى
بها أجيال المستقبل من المثقفين من خلال مكتبائنا

طبعتها الحديثة - تخلو منه خلوا تاما . ولقد وجدت
عناء كثيرا في مطالعة تلك الكتب ، فكننت اضطر الى
قراءة الفقرة الواحدة مرارا ، لاعرف كيف اقراها قراءة
صحيحة سليمة المعاني .

ولست اجهل كذلك ان علامات الترقيم حديثة
المعهد ، ولعلنا أخذناها في ما أخذنا - عن الغرب
الحديث . ولكننا فعلنا حسنا جدا في ذلك . فقد
اصح الكاتب منا يعرف كيف يجزيء عبارته وقفا
للمعنى ، وكيف يعطي المعاني حقها في الجمل عن
القراءة .

ثم يشير صاحب الرسالة الى انه لاحظ بشكل
خاص ان جميع الابحاث التي يكتبها الاستاذ عبد العزيز
بنعبد الله ، رئيس تحرير المجلة ، خالية تماما من
علامات الترقيم ، كما ان هناك ابحاثا اخرى تخلو جزئيا
من هذه العلامات .

ويضرب امثلة على ذلك ، بمقال الدكتور محمد
المبارك ، من جامعة دمشق حول « التفاعل الحضاري
في تكوين اللغة وتطويرها » المنشور في العدد السابع
من المجلة ؛ وبمقال الدكتور شوكت الشطي ، كذلك ،
حول « تبلور الفكر العربي في علم الطب » المنشور في
العدد السادس .

ثم يضيف : « ان تقدم اللغة ، وتطويرها يتطلبان
تيسير قراءتها ، وتسهيل الوصول الى تناول ما تقدمه
من معان . وعلامات الترقيم تساعد على ذلك مساعدة
كبيرة ، وتوفر على القارئ جهد الركض واللاهث في
قراءة لا يعرف اين يقف منها ، واين يسير ، والى اين
ينتهي » .

« اللسان العربي » : تشاطر الاستاذ عيسى
الناعوري ما ذهب اليه من رأي ، لان مسألة الترقيم
اصبحت حقيقة من الضروريات في جميع الكتابات
والتأليف لكونها تخفف على القارئ عناء المراجعة ،
وتسهل عليه تفهم المعنى بسرعة ويسر .

ونحب ان نشير هنا الى انه اذا اهمل الترقيم في
بعض المقالات والبحوث فليس معنى ذلك ان الكاتب
توخى ذلك عن قصد ، وانما هو راجع في عديد من
الاحيان الى عوامل شتى ، منها طريقة الكاتب في
الكتابة او التصنيف ، او قد يكون احيانا سبب
سقوط اكثرها عند التصحيح - غير اننا سنولي هذا
الامر مزيدا من العناية .

ومع تقديرنا لملاحظة الاستاذ الناعوري ، نشكره
ونتمنى ان يوفينا دوما بملاحظاته القيمة واقتراحاته
السديدة .

من المملكة العربية السعودية :

* من الرياض وجه الينا الاستاذ عثمان الصالح
رسالة رقيقة تقتطف منها ما يلي : « لقد وفق الله
المغرب العربي المسلم الى تصحيح اللسان العربي
بكتفاح في تنقيح اللسان وتوشيته بالبلاغة والبيان
ليعود لساننا كما كان ابان ازدهار اللغة العربية
فيرجع الينا امثال الاصمعي والكسائي
وسيويوه وغيرهم من اركان العربية
الفصيحة وان المكتب الدائم لتنسيق التعريب
ليعد ثورة على الدخيل على اللغة يظهرها من كل مسا
شابها من لكنة او عجمة ، انني لشغوف بكل ما يصدر
عن هذا المكتب من جلائل الاعمال »

* ومن القصيم حمل الينا البريد التحية التالية من
النادي الاهلي الثقافي جاء فيها : « لقد اطلعنا على
مجلتكم « اللسان العربي » فوجدناها مليئة بالبحوث
العلمية ولقد اطلعنا على التراجم في مختلف الفنون
والعلوم وتمتد هذه المجلة الرباط الذي يجمع بسنين
الشرق والغرب ، تقبلوا صادق تقديرنا لما تبذلونه من
جهود في سبيل العلم واللغة »

* ومن مكة المكرمة جاءتنا هذه التحية من رابطة
العالم الاسلامي ، الامانة العامة من الاستاذ محمد
صالح القزار الامين العام تقتطف منها هذه البطور:
« ما زلنا نتابع نشاط المكتب ونثنى على اعماله
وجهود رجاله المشكورة ، راجين لهم التوفيق في
مهمتهم وتحقيق غايتهم »

* ومن جدة وجه الينا الاستاذ محمد ثاني هوساوي
الكلمة الرقيقة التالية : « اهنيء نفسي وكل الذين
يلتقون حول مائدة القرآن لينهلوا النبع الصافي للعمل
الكبير الذي ساهم به المكتب الدائم لتنسيق التعريب في
الوطن العربي في خدمة لغة القرآن ، انه لجهد عظيم
يثلج صدر كل مسلم غيور ، فما احوجنا الى كشف
كنوز لغتنا وما احوجنا للرد على كل المحاولات التي
تستهدف طمس معالم لغتنا المشرقة ومكتبكم في هذا
الصدد يضطلع بالدور الكبير الذي انيط به منذ
تأسيسه ولقد تمثل هذا الجهد في مجلدات « اللسان
العربي » وفي غيره من المطبوعات القيمة التي تصدر
عن داركم الموقرة » .

اسماء الاحياء والاعضاء باللغة اللاتينية ، واقسم انني وزملائي نحفظ اسماء الاعضاء والاصطلاحات دون ان نعرف معانيها فنعرف ان الاسم كذا يعود الى العضو كذا ، ولكن ما معنى هذا في لغتنا .. لا ندري .. وتخلو المعاجم الانجليزية من هذه الاسماء ، لذا فقد كان لمجلتكم ومعاجمكم فضل علينا لا يعادله فضل لها فيها من الفائدة ما يربو على شعر الرأس. ولشد ما أعجبتني في المجلة باب ((قل ولا تقل)) الذي يحارب الدخيل ويحل محله اللفظ العربي الاصيل «

* ونعود الى بغداد لنلتقي برسالة الأستاذ محمد عبد الرزاق التي افتتحها بقوله : « لقد اطلعت مؤخرا على العدد الأخير من مجلتكم الغراء وانشرحت لها نفسي ، وشغف القلب وهفا لها لما تضمنته من مواضيع في اللغة العربية على قدر بالغ من الاهمية والقيمة «

* ومن بغداد نفسها حمل الينا البريد هذه التحية الرقيقة من أمين مكتبة النفط الوطنية العراقية الأستاذ حسين محمد حسن تويج جاء فيها : « ان طسوق الجميل الذي طوقتموني به ما زال ولم يزل في موضع الاعزاز والاكبار مني ما بقيت منذ ان بدأت مجلتكم الزاهرة « اللسان العربي » يحملها البريد الي من المغرب الاتصى تباعا ، فأنكب — عليها ما وسعني الوقت — انهل منها واعب ، وما ان بدأت في تصفح المجلد الثامن من المجلة حتى وجدتها غنية بمحتواها منسقة في تبويبها وعرضها للمواد ، وقد راقتني الجزء المخصص منها لمادتي البترول والجيولوجيا فلم أتمالك نفسي دون قراءته من الفه الى يائه فوجدته عميم الفائدة لي ولاخواني العاملين معي في نفس المؤسسة مما حداني ان اطلب اليكم التفضل برسالة خمس نسخ من المجلد الثامن باجزائه الثلاثة لكثرة الطلب عليها وشددة الحاجة اليها وبهذا تضيفون منه الى ما سبق منكم من ايراد بيضاء ومآثر تذكر ، وفي الختام لا يسعني الا ان اكبر فيكم هذه الروح الوثابة في نشر اسباب الثقافة وتمييزها وفقكم الله لما فيه خير امتنا ورفعة مكانتها بين الامم «

* وننتقل الى الكاظمية لنلتقي مع تحية اخرى رقيقة من أمين مكتبة جمعية التوجيه الأستاذ الحاج حسين الشيباني حيث يزجي فيها الشكر للمكتب مقدرا الجهود المبذولة لتهيئة وطبع واخراج هذه المطبوعات بشكلها المفيد راجيا للمكتب التوفيق في كافة اعماله ومنجزاته .

* من جدة كذلك وصلتنا رسالة رقيقة من الاستاذ علي حافظ جاء فيها : « اشكركم واقدر مجهودكم العلمي اللغوي التعريبي « الذي تخدمون به لفسة القرآن والاسلام اجل الخدمات ، ولست أدري لو لم يكن هذا المكتب كيف كان حال لغتنا بالنسبة لاحداث العالم التي تتوالى وتتجدد كل ساعة . «

من الجمهورية العراقية :

* من بغداد وصلتنا هذه الكلمة الرقيقة من الدكتور توفيق ابراهيم غنيم — كلية الطب البيطري ، جاء فيها : « من الأشياء التي تلجج صدر المرء وتجعله سعيدا في غدوه ورواحه ان يرى لغته العربية وقد صارت في مصاف اللغات الحية ، لغات العلوم والفنون — لغة القرآن الكريم والحياة ، انني اتابع باهتمام كل ما تنشره مجلتكم الموقرة « اللسان العربي » واعاهدكم ان اعمل جهدي في نقل هذه الجهود الجبارة لابنائنا الطلبة وزملائي في العمل «

* من بغداد كذلك بعث الينا الاستاذ صبيح الغانقي برسالة مطولة تقتطف منها ما يلي : « لست في حاجة الى ان اعيد ما ذكرته لكم شخصيا في الرباط من ان مجلة « اللسان العربي » وملاحقتها المعجبية لا تمثل اتجاهها خاصا في خدمة لغة القرآن ، ووحدة الفكر العربي ، والعمل من اجل نشر الثقافة الاسلامية الصائبة ، وانما يمثل هذا المجهود في رأيي جامعة عربية لوحدتها ، وما احوجنا في هذه المرحلة الى مثل هذا المجهود الضخم الذي ينشر وحده لواء المعرفة الصادقة للجماهير العربية «

ويقترح حضرة الاستاذ على المجلة ان تكرر جانبا من كل عدد من « اللسان العربي » لاهياء الفكر الاندلسي ومتابعة الجديد من ابحاثه وتسجيل الاكتشافات التي يصل اليها الأثاريون الاسبان «

* ومن مدينة البصرة وجه الينا الأستاذ عادل يعقوب يوسف من كلية العلوم جامعة البصرة — رسالة مطولة تقتطف منها ما يلي : « لن أزيد مقدار ذرة على المجلة فلو أنثيت وأطنبت في ثنائي فهي بلا مدافع مجلة العرب الاولى ، وليتني املك مكتبة لا تضم الا اعداد هذا السفر القيم ، ولاغنيت نفسي عن مشقة البحث والتنقيب في بطون الكتب ، نحن ندرس في الجامعة العلوم بلغة اجنبية هي لغة الدراسة الرسمية وفي الفرع الذي انتهي اليه — علوم الحياة — تدرس

* وهذه رسالة أخرى من بغداد بعثتها إلينا صاحبة مكتبة الصياد السيدة سلمى مجيد حميد العبيدي تقول فيها : « فقد تصفحنا مجلة « اللسان العربي » فوجدناها زاخرة بالبحوث والمواضيع التي لا يستغنى عنها أي مثقف عربي وقد زادها فخرا أن تصدر في المغرب الأقصى لتكون جسرا يعرف ويربط بين أبناء الوطن العربي شرقه وغربه » .

* ومن بغداد كذلك وجه إلينا الأستاذ مسلم حمزة مهدي الكلمة الرقيقة التالية : « لقد ملئت فرحا عندما سمعت بصدور مجلة « اللسان العربي » حيث عثرت على هذا الكنز العظيم في كلية الآداب بجامعة بغداد ، ان لهذه المجلة الفضل الكبير في انتشار اللغة العربية خاصة في مناطق شمال افريقية وجنوب جزيرة العرب وغيرها من اصقاع عالمنا العربي »

* ومن سليمانىة بعث إلينا الأستاذ عبد الأمير الورد برسالة رقيقة يقول فيها: « احببنا مجلتكم المباركة « اللسان العربي » هذه المجلة الرائدة في لغة العرب في عصر أصبحت فيه أحوج ما تكون الى من يشد أزرها وهي تواجه هذا التيار الجارف من الكلمات التي تأتيها بها الحضارة المتطورة في العالم المحيط بها » .

* من الأستاذ الشيخ يونس السامرائي صاحب مجلة « صوت الإسلام » جاءتنا هذه التحية : « فقد تصفحت اعدادا من مجلة (اللسان العربي) فوجدتها خير لسان يترجم لنا لغة الضاد ولغة القرآن الكريم ولا شك ان استمرار اصدارها ووصولها الى القراء سوف يعمل على توحيد اللغة الفصحى بين أبناء الوطن العربي الواحد ويعدها سوف تكون خير بشير للعربية والاسلام » .

* وهذه رسالة من الأستاذ غالب عباس جاء فيها : « لقد شدني الشوق ولأنتي الفرحة وراودتني البشرى لهذه الأمة المجيدة التي كتبت اعظم فخر للانسانية ولا زالت تبني جديدا مشيدا على ماضي تليد وذلك بفضل رعايتها ابنائها الذين لا يألون جهدا في سبيل تقدمها ورفقيها ومسائرتها لركب الحضارة الجديدة بأساليب شتى منها الاعتناء باللغة لسان الأمة وسلاحها على يد مكتب التعريب التابع لجامعة الدول العربية الذي يبذل مساعي جبارة في هذا المضمار » .

* ومن بغداد حمل إلينا البريد الخطاب التالي من الأستاذ خضير مروك الجنابي : « لقد كان اعجابي كبيرا

بمجلتكم « اللسان العربي » وذلك لما تحتوي عليه من موضوعات علمية وأدبية ممتعة وما تتسم به من جدية نبيلة القصد ، عظيمة الفائدة ، ولقد قدرت حق التقدير الجهود الجبارة الفريدة التي يبذلها السادة اعضاء المكتب بمثل هذه الحركة والحيوية التي بها يحملون » .

* ونختتم جولتنا في العراق برسالة من السيد علوان كريم منى : « اطلعت على الموسوعة الكبيرة (اللسان العربي) وتفصحتها عن كتب فنالت اعجابي واكباري لما تحتويه من بحوث قيمة بأقلام كتاب اجلاء رصدوا انفسهم لخدمة اللغة العربية وتخليصها المكتب بمثل هذه الحركة والحيوية التي بها يعملون » .

من دولة الكويت

* ومن الكويت الشقيقة جاءتنا هذه التحية من الاستاذ احمد عبد الغني باغي ، يقول فيها : « أشكر كل من شارك في تحرير « اللسان العربي » ، الفراء ، مقدرا مجهودهم الكبير ، ومساعهم المحمود ، نفعلنا الله به ، وننح امتنا ووقاها شر الدخيل من الكلمات ، والأفكار والأحكام التي أخذت تنفثى ، وتستشري وتفتك في جسم امتنا وتراثها الاصيل ، وشريعتهما النقية البيضاء » .

* ومن الكويت كذلك وصلتنا الرسالة التالية من الاستاذ محمد حمد ابراهيم الفوزان جاء فيها : « كنت في زيارة الرباط في صيف 1970 وسمعت من صديق الطرفين السيد قاسم السداح التناء الجم على جهودكم المباركة في مجال التعريب وكنت حريصا على النشر بلقائكم لولا ان اقامتي القصيرة في الرباط لم تمكني من ذلك ، وعلى كل فاننا في المشرق العربي نتابع جهودكم الخيرة بكل اعجاب وتقدير جزاكم الله احسن الجزاء »

* ومن الكويت الشقيقة كذلك حمل إلينا البريد هذه التحية من السيد المدير العام لغرفة تجارة وصناعة الكويت الأستاذ هيثم الملوحى جاء فيها : « أتاحت لنا احدى الزيارات لمكتبة الجامعة الامريكية في بيروت فرصة الاطلاع على بعض المعاجم الصادرة عن مكتبكم الموقر ، وتأكد لنا ان هذه المعاجم تعتبر لبنة أساسية وقوية في مكتبتنا العربية ومرجعا هاما لكل باحث »

من جمهورية السودان :

* من الخرطوم وجه إلينا الأستاذ يحيى محمد ابراهيم عن مدير دار الوثائق المركزية رسالة نفتطف

منها هذه السطور : « ننتهز هذه الفرصة لعرب لكم عن عظيم سرورنا بهذا المجهود الكبير الذي تقومون به لخدمة الثقافة ودعم الروابط الثقافية في الوطن العربي »

من البحرين :

* من النامة وجه النا السيد جاسم محمد جاسم الدرازي رسالة مطولة تقتطف منها ما يلي : « انني اشكركم من الأعماق على هذه الجهود العظيمة التي تبذلونها سعيا وراء نشر الثقافة وطلبا لرفع مستوى الفرد العربي العلمي وتغذيته بثقافة من العلم والأدب وإطلاعه على كل ما استجد واستحدث في عالم المصطلحات واللغة »

* وهذه تحية أخرى من البحرين كذلك وصلتنا من السيد عبد الاله حميد الصباح جاء فيها : « انني من المعجبين بمجلتكم الثمينة والمشوقة وان هي الا مرجع كبير يفيد كل متعاش للعلم وطالب له أرجو لكم التوفيق في كافة مشاريعكم لخدمة الأمة العربية بما تضطلعون به من أعباء . »

* من السيد سالم عبد الله سالم جاءتنا التحية التالية : « انني لا أستطيع التعبير من عظيم امتناني لما تسدونه لأبناء العروبة من إباد بيضاء ناصعة مساهمة منكم في خدمة اللغة العربية ، لغة القرآن العظيم . ولست بمفال اذا قلت انني تعلمت الكثير من اسرار لغتنا الحبيبة من مجلتنا الغراء (اللسان العربي) أكثر مما تعلمته في دراستي الجامعية المختصة في هذا المجال ، وهذا راجع لما تحتويه مجلتكم من موضوعات حية معاصرة تجلني مدينا لكم ومعددا لأفضالكم . »

من الجمهورية الإسلامية الموريتانية :

* من نواكشوط جاءتنا رسالة من وزارة التربية والثقافة من مفتشية التعليم الابتدائي بالوسط الشرقي تقول : « لقد تصفحنا الجلدين السابع والثامن من المجلة الدورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي ، ولا يسعنا الا أن نعبر لكم عن سرورنا وارتياحنا لهذا العمل الجليل الذي نعتبره — نحن هنا — فاتحة عهد جديد في حياتنا . »

* ومن نواكشوط كذلك بعث النا السيد حمود بنعبد الودود برسالة جاء فيها : « اسبحوا لي أن أعرب لكم عن اعجابي وتقديري لما تقومون به من رعاية وتوجيه وتنسيق في سبيل رقي ونهضة اللغة العربية لتتسع مدارك الناطقين بالضاد عن طريق ما تصدرونه من قيم المنشورات الممثلة في مجلتكم الغراء « اللسان العربي » . »

من باكستان :

* ومن السيد سفير المملكة المغربية بباكستان وماليزيا ... اسلام آباد جاءتنا التحية التالية : « لا أستطيع أن اعبر لكم عن تقديري ، واعجابي للجهود المثرة التي تبذلونها ويبدلها مكتب التعريب : وهي جهود تقدر هنا عند علماء هذه البلاد وتقوم السفارة بتوزيع منشوراتكم على ذوي الاختصاص والمعرفة . »

من تركيا :

* من اسطنبول حمل النا البريد خطابا رقيقا من السيد بكر قارليف من دار الحكمة والدعوة تقتطف منه هذه السطور : « نرجو الله عز وجل أن يوفتكم ويوفق العالم الاسلامي في نهضاته العلمية والثقافية والدينية ، نتمنى دائما أن نتوصل بأسفار مجلداتكم القيمة « اللسان العربي » . »

من هولاندة :

* من هولاندة وجه النا السيد محمد سليمان خطابا جاء فيه : « اتنا نحاول ونعمل من أجل ادخال الكلمات المعربة الجديدة قصد تحسين لغتنا ونحن ننوه دائما في هذا الصدد بمكتبكم الجليل الذي يعمل باستمرار من أجل رفع اللغة العربية الى المكانة اللائقة بها وجعلها لغة كل الميادين العلمية المعاصرة، ونزداد فخرا بمكتبكم عندما يطلع الأجانب على أعمالكم الجبارة فيدهشهم المستوى الذي وصلتكم اليه . »

من السويد :

* من قسم الدراسات العربية بجامعة غوثنبورغ كتب النا الاستاذ فاروق أبو شقرا يقول : « اثناء وجودي بمعهد الدراسات العربية في جامعة غوثنبورغ الملكية راجعت مكتبة هناك حيث لا تحتوي على كتب

بعد ان اطلعت على المعجم المذكور في مجلتكم
« اللسان العربي » كان سروري عظيما .

من يوغوسلافيا :

* من يوغوسلافيا وصلتنا من السيد نياز محمد
سكريج التحية التالية : « لا شك أنكم تعلمون
بوجود عدد غير قليل من المسلمين في بلادنا لهم رغبة
في التثقيف بالثقافة العربية الاسلامية ونحن نعتبر
مجلتكم الغراء « اللسان العربي » احدى وسائل هذا
التثقيف نظرا للدور الذي تقوم به في صالح الأمة
العربية والاسلامية . »

من بريطانيا :

* من قسم المعاجم الانجليزية — العربية باكسفورد
بعث الينا السيد ن. س دونيك بالكلمة التالية :
« سرتني ان اتسلم الأجزاء التي ارسلتموها من
مجلتكم الغراء « اللسان العربي » وبعضها خاص
بالتواميس وقد احسست بالمجهود الكبير الذي تبذلونه
في سبيل التعريب ، تقبلوا تحية تقدير واعجاب . »

* وفي رسالة اخرى للسيد دونيك يقول : اثارت
مجلتكم اهتمامنا منذ زمن بعيد ذلك لصلتها الوثيقة
بعملنا في وضع المصطلح العربي — الانكليزي ولما بهامن
مقالات وابحاث لغوية قيمة ، لكم شكرنا وتقديرنا لما
تقومون به من مجهود في خدمة اللغة العربية
وتطويرها . »

* ومن نفس القسم كتب الينا الأستاذ محمد
محمد حلمي هليل خطابا جاء فيه : « بمزيد من الفبطة
تسلمت اجزاء من مجلتكم الدورية « اللسان العربي »
التي يصح لنا ان نفتخر بها وسرتني ان اطلع عليها
الزملاء المستشرقين هنا ، شكرا جزيلا لكل يد
ساهمت في هذا العمل الكبير ولجهودكم في خدمة لغتنا
الحبيبة هذا وقد سارعت بدراسة الجزء الثالث من
المجلد الثامن فازدت ايمانا بهذا الجهد الذي بذل ..
وقد اعجبت جدا بباب « قل ولا تقل » ويا حبذا لو
ظهر ما جمعتموه في شكل كتيب ان امكن .

والاجزاء التي ارسلتموها ستبقى لنا هنا مادة
غنية للقاموس الذي نعمل حاليا فيه وسأوافيكم
بملاحظاتنا بعد دراسة الاجزاء باذن الله .

— نشكر السيد محمد محمد حلمي هليل على
عواطفه النبيلة واما بخصوص ملحوظته حول باب « قل

كثيرة تتعلق بالدراسات العربية والاسلامية لذلسك
يدفني الامل بكم والتطلع الى مساعدتكم بتزويد
مكتبة المهد بما يصدره مكتبكم بما يعطي انعكاسا
ايجابيا لثروة لغتنا الواسعة من آداب وقيم علمية
يستفيد منها الطالب والباحث والمستشرق وكل من
يهمه الاطلاع على حضارتنا .

من اسبانيا :

* من كلية الفلسفة والآداب في بلنسية جاءتنا
رسالة من السيد المدير العام المكلف بقسم اللغة
العربية يقول فيها : « لقد اطلعت على مجلتكم
« اللسان العربي » فوجدتها على جانب كبير من
الاهمية في خدمتها للغة العربية المعاصرة »

من ايطاليا :

* من روما بعث الينا السيد عزرا هنري جورجي
عن مدير مكتب الاعلام والتوثيق بمعهد الامم المتحدة
لابحاث الدفاع الاجتماعي ، كلية رقيقة جاء فيها :
« اتشرف بالكتابة اليكم شاكرا على ما زودتم به
مكتبتنا من مطبوعاتكم القيمة التي هي ثمرة الجهود
المتواصلة في سبيل تنسيق التعريب في العالم العربي.
واود ان اقل لكم اهتمام مركزنا في روما بما تصدرونه
من مطبوعات خاصة مجلة « اللسان العربي » .

من فرنسا :

* من السيد مدير المكتبة العربية بجامعة ليون
(قسم الدراسات العربية) جاءتنا التحية التالية :
« لقد وصلتنا اعداد « اللسان العربي » الغراء واننا
لنشكركم لكون هذه المجلة سوف تعمل حتما على
تطوير معرفة الطلاب للغة العربية . »

من بولاندا :

* من مدينة كراكوف بعث الينا السيد طاهر شامي
الطالب « بمعهد التعدين » فرع البترول قسم الحفر
رسالة يقول فيها : « كان لي شرف عظيم بان اطلعت
على ما تنشرونه في « اللسان العربي » وبالتحديد على
معجم البترول ، ان محتوياته كانت دائما بالنسبة لي
شيئا مجهولا ، قبل اطلاعي على هذا المعجم كنت
اجهل المقابلات العربية لعديد من المصطلحات ، ولكني

ولا تقل « الذي يطلب منا جمعه ، ننهي اليه أننا كنا قد نشرنا كتبنا مستقلا يحمل نفس العنوان في سلسلة حملاتنا على الدخيل الاجنبي .

من الأرجنتين :

* من بينوس أيرس كتب الينا الرحالة الشاعر الاستاذ يوسف العيد رسالة مطولة جاء فيها : « ان مجلة (اللسان العربي) اليوم هي اللواء الذي يقنتي اثره الابداء العرب وسوف يبقى خالدا لتكلم عنه الاجيال الآتية بالاكبار والتعظيم ، ما اجمل هذا الاسم الذي يبخر الفم ، ويرتص الأعصاب عزة بلفتنا : لغة القرآن الشريف ، وأؤكد أن المجلة ترى بعيني كل اديب عظيمة بغايتها وكبيرة ببحوثها اللغوية وتجديدها كلاما خلقه التطور البشري ، وتعريبها لأسماء المخترعات الجديدة المستنبطة بأسماء أعجمية فهي الضالة المتهوددة التي ينشدها كل اديب عربي ، هذه جهود جبارة وخدمات جليلة للغة الضاد .

وبعد هذه التحية يسوق صاحب الرسالة رأيا في الشعر الحديث ، ويعتبر على المجلة عدم نشرها للشعر الكلاسيكي ، ويحسن أن نورد كلمته في هذا الصدد ليطلع عليه القراء : « أرى ان المجلة تهتم بنشر النشر ولا غرو فهي أنشئت لهذه الغاية ولكنها لم تهتم بنشر الشعر الكلاسيكي ولو قليلا ولا أقول الشعر الرمزي الذي اراه كرقعة قاتمة على ثوب ابيض ناصع خالص من الشوائب السمجة وانتم ترون ان هذا الشعر الرمزي يبرز الى ميدان الخليل بن أحمد الفراهيدي على فرس ليكسب قصب السبق فيه ولكن هيهات هيهات ان ينتصر وأؤكد ان اتباع الشعر الحديث ينظمون اشعارهم وهم انفسهم لا يفهمونها فكيف لنا ان نفهمه نحن اصحاب الأوزان الشعرية والقوافي الرنانة ، هم يقولون : ان الشعر الحديث يؤثر في تكثيف التعاطف بين الجماهير والشعراء لان الشعر الكلاسيكي متحجر ، وأي عاطفة يشعر بها قارئ قصائدهم ما دام لا يفهمها وما هي الا كالصور الرمزية التي أخذ بعض الرسامين يرسمونها وأين منها صور رفائيل ودافنشي وجورجوني وتنتوريو الخالدة المتكلمة بدون لسان .

لا يحسن هؤلاء الشعراء الرمزيون اننا نحن الشعراء بالكلاسيكية من المحافظين المتحجرين هذا وان نعتونا بهذه النعوت فكلهم يحصل عندنا ثري اشعارنا صورا خلابة جميلة رنانة كعود موزة .

ان مجلة « اللسان العربي » هي اليوم بمقدمة الصحف والمجلات العربية في العالم كله فاذا لم تتدارك تيار الشعر الرمزي بمقالات واضحة حرة صادقة غاية مجلة غيرها تقف لتقول الكلمة الحق ، وكم أكبر في المجلة قولها : يسرنا ان نجعل من المجلة ميدانا للنقاش العلمي الحر ، فهذا القول يشجعني لارسال مقالي هذا لها . كما اطلب ان يكون في المجلة نصيب للشعر الكلاسيكي .

— وبما اننا جعلنا هذا الباب من القراء واليه ، لذا فقد نشرنا رأي الشاعر يوسف العيد في الشعر الحديث ويظل باب النقاش مفتوحا امام القراء ، وأما بخصوص نشرنا للشعر الكلاسيكي فنحن لا نرى مانعا من ذلك غير ان معظم اهتمامنا ينصرف الى نشر البحوث والموضوعات اللغوية التي هي محور المجلة .

من الهند :

* من دلهي الجديدة جاءتنا رسالة مطولة من الاستاذ عبد الحلیم الندوي رئيس القسم العربي بالجامعة الملية الاسلامية جامعة نجر تقتطف منها ما يلي : « اسمحوا لي ان اشكركم الشكر الجزيل كما أرجو ابلاغ امتناني بواسطتكم الى جامعة السدول العربية الموقرة ، لهذا الكرم والمنة التي تختصون بها طلاب العلم واللغة العربية وخاصة في بلد بعيد عن مهد العروبة — الديار الهندية — والتي ظلت تعمل جديا بكل نشاط واخلاص ، للنهوض بهذه اللغة الشريفة ونشر لوائها في هذه الديار ، ورغم تقلبات الزمن لا تزال توجد عندنا جامعات ومعاهد عربية كبرى تتحمل مسؤولية تثقيف الجيل الناشئ الاسلامي بالثقافة الدينية الاسلامية العربية من ناحية، ومن ناحية أخرى تقوم بتعليم الطلبة اللغة العربية وآدابها ، بحيث يتمكنون من اتقانها قراءة وكتابة وكلاما . والى جانب هذه المعاهد والجامعات الدينية التي تضاهي بعضها جامعة القرويين ، والجامع الأزهر ، مثل دار العلوم ديوبند ودار العلوم لندوة العلماء ، توجد عندنا جامعات عصرية اسلامية أيضا، مثل الجامعة الملية الاسلامية بدلهي الجديدة والجامعة الاسلامية بمدينة عليجرا ، والجامعة العثمانية بمدينة حيدرآباد بجنوب الهند ، التي تتولى مهمة تدريس اللغة العربية الى جانب تدريس العلوم والمواد العصرية الأخرى »

الهند - والتي ننشرها تعميما للفائدة - تتمنى أن
يمدها دائما بكل جديد في الموضوع .

✳ ومن دلهي الجديدة كذلك وجه الينا الاستاذ سيد
نثار علي الأمين العام لاتحاد عمال دار الأدوية
همرد . الخطاب التالي : « يسرني أن أعرفكم بدار
المطالعة التي تجري تحت اشراف - اتحاد عمال دار
الأدوية - همرد - الشهيرة الذي يبلغ عدد
اعضائها الى حوالي الف عضو وأكثرهم ينتمون الى
الاسلام وهم ميالون الى قراءة الجرائد والمجلات
الخاصة بالآداب واللغة والعلوم ولما وفقنا لرؤية
مجلتكم « اللسان العربي » الموقرة وجدناها مفيدة
للغاية ومزودة بمعلومات وافية عن اللغة العربية
الحديثة ومختلف العلوم » .

✳ ومن ولاية كيرالا جاءتنا رسالة رقيقة من الاستاذ
محمد بن علي محمد يقول فيها : « لقد وجدت فرصة طيبة
لرؤية المجلد السابع من مجلتكم الغراء « اللسان
العربي » حينما قضيت مدة شهر في الجامعة العثمانية
بحيدر آباد ، ولم أضع هذه الفرصة الذهبية فطالعتها
صفحة صفحة بلذة واعتزاز ، وانني موقن أن هذه
المجلة الجليلة تعمل على انهاء ما لدينا من العلم في
اللغة العربية والقرآن المجيد هنا في الهند » .

ويضيف الاستاذ الندوي قائلا : « وقد اثمرت
الجهود التي بذلتها الأمة الاسلامية في الهند بواسطة
هذه المعاهد والجامعات ، أن الهند لم تزل توجد بها
نخبة مختارة من المتعلمين باللغة العربية والملمين
بها ، فأنجبت علماء وأدباء وشعراء ، كان لهم القدح
المعلى في دنيا الأدب والفن ، تفيض بذكرهم أقلام كبار
الأدباء العرب والعلماء ، ولست مغاليا إذا قلت أن
التعاون الذي نحظى به من جانبكم في هذا الحقل
يحفزنا الى المزيد من العمل الجدي المثمر ويشجعنا
للمضي قدما نحو الأمام في هذا المضمار .

وانني اذ اشكركم على حسن صنيعكم بنا هذا ،
أعبر عن تقديري للجهود الجبارة التي تبذلونها نحو
انماء ثروة اللغة العربية بتعريب المصطلحات الأجنبية
الحديثة ، والقيام بدراسات قيمة ثمينة حول مختلف
الموضوعات والمواد المتعلقة بتطور اللغة العربية
وازدهارها عبر تاريخها المديد الزاخر نجراكم الله عن
اللغة والعروبة خير الجزاء » .

« واللسان العربي » اذ تشكر الاستاذ الندوي
عن هذه المعلومات القيمة التي واثقنا بها عن النشاطات
العلمية والجامعية التي يضطلع بها علماء الاسلام في

كاليغورنيا :

لفظ محرف عن لفظتين اسبائيتين معناهما القرن الحامي ولا يبعد
أن يكون ذلك عربيا : كالي = قالي فورنيا = القرن (الواسطة في أخبار
مالطة ص 94)

حول ثورة التعريب

للدكتور أفندي الدرواهي
(الموصل)

توصل مدير المجلة بالرسالة الآتية :

أستاذنا الجليل عبد العزيز بن عبد الله المحترم

بعد تقديم الاحترام : قرأت بحكم القيم « ثورة التعريب » وهو من اجمل ما قرأته في هذا الباب ، لما فيه من حجج دامغة ، صفعتم بها دعاة التفرقة ، وأذئاب الاستعمار ، الذين تناسوا أنفسهم ، وباعوا ضمائرهم ، وصاروا يواكبون كل داع الى التفرقة والانقسام ، لقاء دربهات تلقى اليهم ، وخانوا امتهم - ان كانوا عربا - ولا أخال انهم يمتون الى العروبة بسبب . وبدا لي بعض الملاحظات خلال قرائتي هذا البحث الطريف ، أرجو ان تسمحوا لي بتقديمها اليكم ولكم مني مزيد الاحترام .

من غير ان يعلم سبب كتابته ، ومن يقرأ هذا يستفيد عكس ما أراد ان يبينه الكاتب ، ولا يخفى ما يحصل بهذا من ارتباك وفهم سقيم وضياح حقوق فيصبيح الطالب مطلوبا . وعلى هذا فمن لم يعرف قواعد اللغة العربية فانه لا يتمكن ان يكتب - بالحرف اللاتيني - لغيره ما يريد ان يقرره ، فيوقع القارئ في خطأ وارتابك .

كما ان الكتابة بالحرف اللاتيني تكون اطول مما هي في الحرف العربي ، لان كل حركة يعبر عنها بحرف فيتضاعف عدد الحروف في الكلمة الواحدة - كما تبين لنا من الجملة السابقة - والامم تسمى في هذه الايام الى اختزال الكتابة ، حفظا للوقت ، ودفعاً لسامة القارئ . والمأجورون يدعون الى تشويه ما في لغتنا من جمال الحروف ودقة واختصار .

اللغة العربية لغة اعراب ، فاللفظ الواحد تتغير حركته بالنسبة لموقعه من الكلام ، بخلاف اللغة التركية ، فهي لغة تكون الفاظها ساكنة الاخر مهما تبدل موقعها من الكلام ، فالتركي يكتب كما يلفظ ، ولا يلتبس ما يكتبه على من يقرأه .

واما اللغة العربية فانها ليست كذلك ، فاذا كتب بالحرف اللاتيني من كان جاهلا بقواعد اللغة العربية ، فانه يكتب كما يلفظ ، وقد يكون ما كتبه خطأ ، فيقرأ من كتب له خطاه من غير ان يشعر ، وعلى هذا فان الامر يلتبس على القارئ ، ولربما فهم عكس ما اراد ان يعبر عنه الكاتب .

فاذا اردنا - مثلا - ان نبين « ضرب احمد محمدا » وكتب من لم يحسن قواعد اللغة العربية ضرب احمد محمد Daraba Ahmada Mohammado

وقد لاحظت بنفسى فى عدة اجتماعات مع علماء من الاتراك ، ان الاتراك الذين كانوا يكتبون فى الحرف العربى ، ثم حملوا على الكتابة بالحرف اللاتينى ، كانوا فى كتابة الملاحظات وجمع المعلومات يكتبون بالحرف العربى ، وسألت بعضهم عن سبب كتابتهم بالحرف العربى فى مثل هذه المناسبات ، فكان جوابهم : الاختصار ، وسألت بعض علمائهم عن سبب ترك الحرف العربى والعدول عنه بالحرف اللاتينى ، فكانوا يظهرون الاسف ويحجمون عن ذكر السبب .

ونحن نعلم ان الذى حمل مصطفى كمال على هذا التبديل : انه اراد ان يقطع الصلة بينهم وبين الماضى يوم كانوا يتولون الخلافة ، ولهم زعامة العالم الاسلامى ، وحماة الحرمين الشريفين فأبعدهم عن حظيرة الاسلام وقطمهم عن ماضيهم ، وصبغهم بصبغة أوربية ، وكان له ما اراد ، انما فعل هذا لامر سياسى ، بان ينشئ جيلا لا يعرف عن ماضيه شيئا الا ما يسطره لسه الموجهون بالحرف اللاتينى ، بعيدا عما فى تراثه من علم وادب وفن ، لانها صارت بعيدة عن متناولهم . فاذا ما حدثت احدهم عما فى خزائن كتبهم - التى هى مكتوبة بالحرف العربى - من علم وفن ومعرفة ، فانهم يظهرون استغرابا ودهشة واسفا ، لعدم معرفتهم مآثر اجدادهم ، كانوا حدثتهم عن امر كان مطمورا واستظهر بعد بحث عنه ، وهو كذلك عندهم .

على ان التراث التركى اكثره من العرب والفرس ، ولا يقاس بالتراث العربى الزاخر ، فى شتى العلوم والفنون والمعارف ، فهو تراث الانسانية جمعاء .

ودعاة هذه الحركة هم ماجورون ، يدسون السم فى الدسم ، وهم - كما تفضلتم - يدرسون ويخطون ويصممون ، ويحسبون انهم يحسنون صنعا ، وانما هم يخبطون ويخلطون ، ويعلمون حق العلم ان عملهم باطل لا يجدي نفعا ، تجاه لغة لها حمايتها ، ولها ركنها القويم الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم .

وقد مر على اللغة العربية ادوار عصبية ، كانت اشد سوءا مما يدعو اليه هؤلاء الماجورون ، ولكنها صمدت امام موجات التتر والمغول وغيرهم من الامم الاعجمية ، ثم ما لبثت ان طفت على لفتهم ، وحملت القوم على تعلمها وتدوتها ، واخذوا يتفاخرون بما ينتجونه فى لغة القرآن ، وهكذا خرجت ظافرة منتصرة على كل الغزاة ، وصهرت لغاتهم ومعتقداتهم ، وجعلتهم عربا فى اللغة مسلمين فى الدين يتلون كتاب الله فى

عباداتهم ، ويتحدثون فى لغته ويؤلفون بها مختلف الكتب ، ينظمون الشعر ويعانون الادب ، فكانوا حمايتها وعلماءها وشعراءها .

هذه اللغة التى يفخر بالحفاظ عليها كل عالم يؤمن بوحدة الدين واللغة ، لا ان تكون شعوبا وقبائل ، تفرق بيننا رطانة العامية ، وتجعلنا لقما سائفة لكل طامع .

الم يعلم هؤلاء الدجالون المضللون : ان من اسباب نهضة العرب - قبيل الاسلام - هو القضاء على اللهجات العربية التى كانت فى قبائل العرب ، وان لغة قريش كان لها الفضل فى ذلك ، بأسواق الادب التى كانت تقام وتنشد الاشعار فيها بلغة قريش ، وفى الاجتماعات التى تكون فى مواسم الحج والتجارة ، فان لغة قريش كانت اجمل اللغات العربية ، سادت وانتشرت بين القبائل فكانت لغة الجزيرة العربية : لغة الشعر والخطابة والمفاخرة والمنافرة ... الخ .

ثم نزل القرآن الكريم بها فكانت لغة الدين والعلم والادب ، وكانت وحدة شاملة جمعت العرب ووجهتهم الى ما فيه سعادة الدارين ، وانتشرت فى اقطار الشرق والغرب .

وعلى هذا فان توحيد اللهجات العربية وذوبانها فى لغة قريش كان من اقوى اسباب النهضة العربية الاسلامية . بها انزل القرآن الكريم ، وبها فصلت احكامه ، وبها دونت العلوم والفنون والمعارف ، فكانت لغة الدين والعلم .

وان عملاء الاستعمار ومن لف لفهم ، ينفخون فى ابواق قد اعدوا لهم غيرهم ، من اعداء العرب والاسلام ويأتون بأصوات منكرة بعيدة عن الحقيقة والواقع ، وهم يوهمون انفسهم بانهم يوقمون انما شجيرة تهز العرب ، وتفرقهم شذر مذر ، وهذا ما لا يكون ، فالحق يعلو ولا يعلى عليه ، واللغة العربية اهل يعتزون بها ويحمونها ، ويركنون الى كتاب الله العزيز الذى كان ولم يزل السند القوي لها فى كل العصور .

فاللغة العامية لا تصمد امام اللغة الفصحى ، خاصة كاللغة العربية الاصيلية التى قد تعهدا أهلها ، وحرصوا على تبسيطها ونشرها فى اختلاف المجالات ، وجعلوها لغة العلم والادب فى المعاهد العلمية ، ولغة الصحافة والاذاعة ، فانها على مر الايام تقضى على الكثير من الاصطلاحات والكلمات الدخيلة التى تغفلت فيها . وليس ببعيد ان نرى يوما ما اللهجات العامية

في اختلاف البلاد العربية قد قربت من اللغة الفصحى،
وتقاربت مع بعضها .

إذا رجعنا الى ما كانت عليه لهجاتنا العامية
- قبل نصف قرن - وما كان فيها من رطانة والفاظ
دخيلة من اختلاف اللغات الاعجمية ، مما يمجه الذوق ،
فكنا نتكلم بها ولا نعلم معناها ، ثم ما هي عليه اليوم
لهجاتنا العامية من نبد تلك الالفاظ الدخيلة والتعابير
الاعجمية . ولو كلمنا احد اولادنا بما كنا نتكلم به قبل
نصف قرن لاشكل عليه فهم كثير من التعابير والالفاظ
التي كانت في لغتنا العامية . وكان هذا التقارب بينها
وبين الفصحى بنشر اللغة وتعليمها في المعاهد
المختلفة ، وتأثير الصحافة والاذاعة والتلفزيون وغير
ذلك مما يذاع باللغة الفصحى .

فاللغة العربية كانت ولم تزال من اجمل اللغات
وأوسعها ، الم تكن لغة العلم والفلسفة والفن والادب
في الشرق والغرب ؟؟ الم يدرس بها علوم الفلسفة
والطب والرياضيات في جامعات أوروبا ؟؟

ككيف تضيق اليوم عن التعبير بما عبرت عنه يوم
كانت لغة العلم والدين والسياسة في اكثر اقطار
العالم .

فهل عجزت اللغة او قصرت في ترجمة كتب
الامم التي تقدمتها من مختلف العلوم والفنون ؟ الم تكن
ادق تعبيراً عما في غيرها من اللغات ؟ ولم يزل ما وضع
فيها من الفاظ واصطلاحات لمختلف العلوم والفنون
باقياً في لغات الشرق والغرب ، يشهد بدقتها وسعتها
ومطاوعتها للتعبير في اختلاف العلوم وشؤون الحياة .

هذا قليل من كثير عما كانت - ولم تزال - عليه
لغتنا « ام اللغات » من سعة وجمال ودقة وكمال
ومطاوعة في مفرداتها وتعابيرها ، وجمال في كتابتها ،
وهي صامدة أمام كل عميل وداع الى الضلال .

قد احتضنت ابناءها العرب تحت راية القرآن ،
وهم فخر معتزون بهذه الامم الحنون التي كانت ولم تزال
من اهم اسباب جمع كلمة العرب وتوحيدهم والسير
بهم في سبل الحق والعلم والهداية .

البحث (العلمي)

روي ابن الانباري (طبقات الادباء ص 127) ان المأمون امر الفراء ان يؤلف
ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العرب وافرد له حجرة وصير
له الوراقين والمنفقين لامداده ووكّل به الجوّاري والخدم فصف
كتاب المعاني ثم خرج فأملأه على الناس .

عَنْ التَّعْرِيبِ وَقَضَايَاهُ

لِفَاوِجِ الدُّكْتُورِ أَحْمَدِ سَعِيدَانَ مَدْرُوبِ الأُرْدُنِ
فِي الْمَكْتَبِ الدَّائِمِ لِلتَّنْصِيقِ التَّعْرِيبِ .

أَجْرَى الْحَدِيثَ : مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ الْخَطَّابِيُّ

الدكتور أحمد سعيدان عضو اللجنة الأردنية للترجمة والنشر والتعريب ،
وأستاذ الرياضيات بكلية العلوم بالجامعة الأردنية ، ومدرب المكتب الدائم للتعريب
في الأردن ، من الشخصيات المعروفة العاملة في الميدان العلمي العربي والتسي
أعطت نتاجا طيبا منذ تخرجه من إنجلترا (قسم الرياضيات) له عدة تأليف ، كما
حقق غير قليل من المخطوطات التي لها علاقة بميدان تخصصه الرياضيات ، ولقد
قضى نحو عشرين عاما في السودان يدرس الرياضيات العليا ، وبمناسبة انتهاء مدة
إعارته للمكتب الدائم لتنسيق التعريب حيث كان يقوم بمراجعة عامة لمعجم
الرياضيات الذي كان قد أعده المكتب أجريت مع سيادته الحديث التالي :

3 - ترجمة مختارات من الكتب العلمية والتقنية
الى العربية .

4 - ترجمة روائع الفكر العالمي الى العربية .
وتبذل اللجنة محاولة جادة في سبيل التطور
بغية ان تصبح عن قريب مجمعا لغويا علميا يساهم مع
المجامع العربية الأخرى في خدمة اللغة والفكر .
— هل لي ان أسالكم عن رأيكم في نشاط المكتب
الدائم للتعريب ودوره في خدمة قضايا التعريب على
ضوء ما قمتم به طوال المدة التي قضيتها فيها ؟
« ان ضخامة الانتاج القيم الذي صدر عن هذا
المكتب رغم امكانياته المحدودة دليل على ان المكتب
يؤمن برسائله محددة وقد عقد العزم على تأديتها ، اما
عن قيمة المهمة التي يضطلع بها المكتب وهي تنسيق
التعريب في الوطن العربي فيكفي ان أستشهد بما حدث
في السنتين الاخيرتين في الرياضيات .

— السيد الدكتور سعيدان بصفتكم عضوا في
اللجنة الأردنية للترجمة والنشر والتعريب ، هل لكم
ان تحدثونا عن هذه اللجنة وعن النشاطات المختلفة
التي تضطلع بها ؟

« تضم هذه اللجنة في الوقت الحاضر اربعة
عشر عضوا من الأردنيين ذوي الانتاج الفكري المتصل
في حقول الآداب والعلوم والتقنيات وأهم ما تضطلع
به اللجنة في الوقت الحاضر .

1 - الحصول على نسخ من المخطوطات العربية
القيمة التي لم تنشر بعد محققة تحقيقا علميا ، والعمل
على نشرها .

2 - ترجمة ما كتب عن الفكر العربي في اللغات
الغربية وترجمة الجيد من الفكر العربي الى بعض
اللغات الغربية .

الفعالة ذات الشأن في خدمة اللغة العربية والفكر العربي .

— علمت من خلال الكتاب الذي أصدرته لجنبتكم العاملة بمناسبة مرور احد عشر عاما على انشائها ، ان علاقتها بالمكتب علاقة جد وثيقة هل لكم ان تعطونا فكرة عامة عن هذا الترابط المتين ؟

« انبثقت فكرة انشاء اللجنة الاردنية للترجمة والنشر والتعريب في الرباط ، فمؤتمر التعريب الذي انعقد في الرباط سنة 1961 كان من توصياته انشاء شعبة وطنية للتعريب في كل بلد عربي تكون صلة بين هذا البلد وبين المكتب الدائم للتعريب ، على اثر ذلك اصدرت وزارة التربية والتعليم في الاردن قرارا بتأسيس اللجنة الاردنية ، وقد حافظت هذه اللجنة على اتصالها بالمكتب الدائم للتعريب منذ انشائها ، كما اوصى بذلك مؤتمر الرباط ، وان انتدابين من قبل لجنة التعريب الاردنية للعمل في المكتب ومراجعة معجم الرياضيات لشرة من ثمار هذا الاتصال المبارك بين مكتبكم في الرباط ولجنتنا في عمان . »

— تعلمون انه في نهاية العام القادم سينعقد بالجزائر الشقيقة المؤتمر الثاني للتعريب ، هل لكم ان تحدثونا عن أهمية هذا المؤتمر وعن قضية التعريب عامة ؟

« في تقديري ان هذا المؤتمر سيكون هو موسم القطف بالنسبة الى جهودكم طوال هذه السنين ، فانتهم تجمعون ، تجمعون المصطلحات العلمية بالفرنسية والانجليزية ثم تنقبون عن المقابلات العربية التي تستعملها الاوساط المختلفة في الوطن العربي المترامي الاطراف ، فان لم تجدوا مقابلا اقترحتم من عندكم وحسب اجتهادكم وهذا كله ستضعونه امام مؤتمر الجزائر سنة 1973 املا في احد امرين كل منهما خير : فاما ان توحد المصطلحات كلها او بعضها . وهذه خطوة في سبيل الوحدة الثقافية ذات شأن ، واما ان تتمسك اقطار بمصطلحاتها وهذا ايضا خير اذ انه ينطوي على وحدة الفهم . اذا كنا - انا وانت - نسمي هذه سيجارة فاننا نستطيع ان نتفاهم عند الحديث عنها ، وكذلك نستطيع ان نتفاهم اذا علمنا انك انت تسميها لفافة واسميها انا دخينة ! ان لم ييخل مؤتمر الجزائر الا عن تحديد المصطلحات في الاقطار العربية المختلفة حتى دون توحيدها ، كان في ذلك خير كبير . »

لقد عمدت اليونيسكو الى تطوير الرياضيات في مرحلة الدراسة الثانوية في البلاد العربية ، فعملت على تكوين لجان محلية تتدارس الرياضيات الحديثة ووسائل احلالها محل الرياضيات التقليدية ، ثم اعدت كتابا في الرياضيات الحديثة بثلاثة اجزاء ليكون كتاب الرياضيات المدرس في المرحلة الثانوية في العالم العربي . وضع الكتاب بالانجليزية وعهد الى لجنة الرياضيات العراقية بترجمته الى العربية ، والرياضيات الحديثة في المرحلة الثانوية تضم زهاء ثلاثمائة مصطلح حديث وضعت لها اللجنة العراقية مقابلات عربية لم ترتع لها اللجان الاخرى فكان ان قامت كل لجنة بعرض مادة الكتاب بالطريقة التي وجدتها اكثر ملاءمة لظروفها ، وهكذا صار لكتاب اليونيسكو ترجمة عراقية واخرى كويتية وثالثة اردنية ورابعة مصرية ، هذا بالاضافة الى ان سوريا رأت ان تبدأ الرياضيات الحديثة قبل صدور كتاب اليونيسكو فوضعت كتبها الخاصة بها . وربما كانت هنالك ترجمات اخرى لكتاب اليونيسكو لا اعرفها ، وهذه الترجمات تتفق في كثير من المقابلات العربية للمصطلحات الحديثة ولكنها تختلف في كثير منها ايضا ، فما سمينا نحن « المجموعة » سمي في مصر « فئة » وما سمته مصر والاردن « بالمجال » سمي في سوريا « المنطلق » ، بل ان الرموز الرياضية نفسها قد تباينت في هذه التراجم فمن ذا الذي يتصدى لعرض هذا كله عرضا منسقا منظما كي تبقى البلاد العربية قادرة على التفاهم ذات بينها في نطاق الرياضيات ؟

— هل لي ان اعرف من سيادتكم مدى صدق المكتب في المشرق العربي ؟

« لا شك ان الذي يتاح له ان يطلع على اي عدد من اعداد مجلتكم (اللسان العربي) الفذة ، يكبر هذا الجهد الذي تبذله في سبيل خدمة اللغة العربية ودراسة قضاياها المختلفة دراسة موضوعية هادئة بعيدة عن الانفعالات وعن تنميق العبارات ، ولكن لا اكنتمك انني طوال عملي في السودان لم اسمع عن مكتبكم ، وقد بدأت اسمع عنه واقرا عنه عندما عدت الى الاردن والحققت باللجنة الاردنية للتعريب . وفي رأيي انه لا يبيحكم من قريب ولا من بعيد ان القائل هم الذين يعرفون عنكم ، فانتهم تعملون في صمت ولكنه صمت فعال ابلغ من الكلام ، واذا كانت القلة هي التي تعرفكم الان فان هذه القلة ستكثر ، ثم انها هي القلة

اما الحديث عن قضية التعريب عامة فحديث طويل ذلك ان الناس اختلفوا حول هذه القضية بين مؤيد ومعارض ومستهتر بها مقلل لشأنها ، وفي تقديري ان الذي يحلل الموضوع الى عناصره الاولية لا يمكن ان يقف من التعريب موقف المعارض له او المستهتر به .

ان العلم ماضى فى سبيله سواء عربنا ام لم نعرب، وطلاب العلم فى مستوى الباحثين ماضون ايضا فى التعلم والبحث ، ولان العلم الآن يصنع فى البلاد المتقدمة فلا مناص لهؤلاء الطلاب من معرفة لغة هذه البلاد كي يتسنى لهم ما يتفنون من تعلم وبحث ، اننى - شخصيا - من الداعين الى فتح كل النوافذ للفكر العالمى واتمنى لو علمنا ابناءنا اكثر من لغة اجنبية واحدة حتى يعمل الباحثون منهم فى المستقبل على ادخال جميع ضروب الفكر الجيد الى العالم العربى .

ولما كان الفكر الحاضر يصنع فى البلاد المتقدمة - كما اسلفنا - فان مصطلحات هذا الفكر ما وضع منه وما لم يوضع هي بالبداية بلغة غير العربية ، هذه المصطلحات لا مناص للجامعيين من ابناءنا من معرفتها . وحتى هذا الحد لا يرد فكر التعريب ، ولكن المرء يبدأ يستشعر الحاجة الى التعريب فى مستويين دون مستوى التخصص والبحث هما مستوى الحياة اليومية ومستوى الدراسة التى تسبق التخصص . ان بعض نتاج العلم ينزل الى الشارع ويفدو من لوازم الحياة اليومية كالاسبرو مثلا والتلفزة ، ما دام الاسبرو قد عرف كدواء الصداع وما دام الناس يصابون بالصداع

فلا بد لهم من استعمال الاسبرو ومن ثم لا بد لهم من ذكره والتحدث عنه والاسبرو اسم لدواء وهو اسم لا يتغير بتغير اللغات فلا بد من ان يستعمل بالعربية كما يستعمل بغير العربية ، ولقطة اسبرو لقطة حقيقة لا يمجهها ذوق العربى العادى . وليست بخفتها لفظة تلفزيون ومن ثم لا بد من تحوير طفيف فى هذه اللفظة يجعلها اقرب الى جرس العربية ما دامت فرضت نفسها على حياتنا اليومية ، وهذا ما جاء بكلمة تلفزة التى فيها من عربية الجرس ما يمكننا ان نشقق منها يتلفز ومتلفز وربما غير ذلك من الاشتقاقات .

ان المصطلحات المستحدثة التى تفرضها الحضارة اليومية على رجل الشارع لا بد من النظر فى اخضاعها للقياس العربى فان لم تتكفل هيئة بهذا الاخضاع قام بذلك رجل الشارع نفسه ، غير ان اى هيئة تصدى لتعريب المصطلحات ينبغي ان تعلم ان القول الفصل للشارع فهو قد يستسيغ ما تقول وقد لا يستسيغ فيرفضه .

والمجال الثانى والا هم الذى يلزم فيه التعريب هو حقل التعليم الذى يسبق مرحلة التخصص ، هذا هو التعليم الذى يميز المجموعة المتعلمة عن الاميين وانصاف المتعلمين ، وحتى يؤتى هذا التعليم ثماره ينبغي ان يكون بلغة البيت والا صار المتعلم ذا ازدواجية غريبة يبدو متعلما فى المدرسة واميا فى الشارع ، وليس فى هذا مبالغة ولكنه امر لمستىه شخصا من خلال ممارستى الطويلة للتعليم ، ولكن الوقت لا يتسع للافاضة فيه .

اللغة العربية الفصحى والعامية

(1)

للأستاذ فولكهارد فيندور

نشرت مجلة « رسالة المعلم » (العدد الثالث 1972 م) مقالا للاستاذ فولكهارد فيندفور نشره فيما يلي :

تعتبر لغة الكتابة التي لا يتكلمون بها الا في ظروف معينة ، كالخطب الملقاة في المناسبات المختلفة والبرامج الاذاعية والتلفزيونية والمسرحيات المختلفة ذلك ، ويمكن القول ، ان اللغة الفصحى لم تدخل بعد جميع مجالات الحياة بشك الصورة التي توغلت بها اللغة العامية الى كل أوجه حياة الانسان ، ومما ادى الى توسيع الشقة بين الفصحى والعامية ، ان احدا لم يبذل جهدا يذكر من اجل التقريب بينهما ، والدليل على ذلك التطور ، قيام دور السينما بعرض الافلام الناطقة باللغة العامية ، وتفضيل عدد من مؤلفي المسرحيات الكتابة باللغة العامية ، بدلا من اللغة الفصحى .. والامثلة كثيرة ومعروفة لدى الجميع .

وقد عظم شأن اللغة العامية ، الى درجة تدعو الى القلق ، اذ ان الكثيرين يحرون رسائلهم بالعامية وزحف العامية لم يتوقف في المدارس والجامعات ، بدليل ان معظم المعلمين والاساتذة يحدثون تلاميذهم وطلابهم باللغة الدارجة وليس بالفصحى كما هو المفروض .

ومن المعروف ان اللغة الالمانية الفصحى ، حديثة العهد .. فهي قد نشأت في القرن السادس عشر ، عندما قام مارتين لوتر ، بترجمة الانجيل الى احدى اللهجات الالمانية المنتشرة انذاك .

اما اللغة العربية الفصحى ، فكانت موجودة منذ زمن اطول بكثير ، صحيح ان عرب الجاهلية لم تكن لهم

اللغة العربية كائن حي ، وهي تخضع لتغييرات شبيهة بالمراحل التي يمر بها الكائن الحي ، ومن هنا يتضح لنا ، ان الازدواجية بين لغة فصحى وبين لغة محلية ، ظاهرة تتصف بها كل لغات العالم .

وقد يبلغ البون ، بين اللغة الفصحى واللغة الدارجة مبلغا عظيما ، كما هو الحال في اليابان واليونان مثلا ، وقد يكون الفرق بين الصورتين للغة الواحدة بسيطا ، مثل الفرق بين اللغة الروسية الفصحى واللغة الروسية العامية .. وقبل الدخول في تحليل موقف العربية من هذه المشكلة ، يجب الاخذ بعين الاعتبار ان الفارق بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية ، اي اللهجات العربية المحلية اقل منه بين اللغة الالمانية الفصحى واللهجات الالمانية المتعددة على سبيل المثال ... وهناك من يرى المشكلة في الشكليات ويدعو الى التفريق بين « اللغة » و « اللهجة » ، باعتبار اللهجة اقرب الى اللغة الفصحى من « اللغة » العامية ، غير انني اعتقد ان البت في الامر لا يجدي كثيرا ولا يساعد على توضيح جوهر الموضوع ، فان اللغة الهولندية مثلا مجرد لهجة الالمانية في نظر بعض اللغويين ، في حين يصر اهل هولندا على وجود لغة هولندية مستقلة .

وأول ما نلاحظ على الوضع اللغوي في العالم العربي ، هو وجود لهجات عربية عديدة ، يستعملها الناس في التحدث دون اللغة الفصحى . فالاخيرة

(1) نشر هذا البحث القيم ضمن نشاط المكتب الدائم لانه يعبر عن نفس الفكرة التي اوضحناها في كتاب الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله « حول تفصيح العامية » .

لغة موحدة تماما ، وصحيح ايضا ان لغة قريش لسم تتغلب على بقية اللهجات المتداولة في شبه جزيرة العرب الا بعد نزول القرآن الكريم واهتداء الناس الى الاسلام ولكن مما لا شك فيه ان القدامى كانوا يستعملون اللغة العربية الفصحى في نظم الاشعار والقاء الخطب . ويؤمن بعض العلماء بأن اللهجات العربية نشأت عن لغة عربية موحدة . كانت بمثابة اللغة الام ، وقد انقرضت هذه اللغة الاصلية وتفرعت الى لهجات . غير ان البعض الآخر يؤكد ان القبائل العربية لم تتكلم قط اللغة الفصحى طوال تاريخها العريق بل كانت تلجأ اليها لاغراض محدودة . أي ان اللغة الفصحى كانت مصطنعة وليست وليدة حياة المجتمع العربي القديم . وما زال العلماء يختلفون حول هذه المسألة ، ولكنهم يجتمعون على وجود اللهجات العربية ، الى جانب اللغة الفصحى منذ فجر التاريخ .

وقد نتجت الفتوحات العربية عن انضمام دول كثيرة الى الامبراطورية الاسلامية العربية ، كان سكانها يتكلمون اللغات الاجنبية المعروفة في المنطقة وهي الفارسية واليونانية والقبطية . ولم يلبث ان اصطبغت اللغة العربية التي ادخلها العرب الى الاقطار المفتوحة ، باللغات المذكورة (حسب المنطقة) وبذلك تبلورت اللهجات العربية المحلية كما نعرفها اليوم ، وان طرأت عليها بعض التغييرات بمرور الزمن . ولكن اللغة العربية الفصحى لم تمت ، بل صمدت في وجه التيار الجارف للهجات العربية المختلفة . واظن ان السبب الرئيسي في بقائها ، انها لغة القرآن الكريم . وهذه الظاهرة الفريدة في نوعها ، لم تتكرر في التاريخ . وحتى اللغة اللاتينية التي كانت اللغة الرسمية لاعظم دولة عرفها التاريخ القديم ، لم تتمكن من مقاومة اللهجات الرومانية التي حلت محلها شيئا فشيئا .

ان اللغة العربية الفصحى لم تمت - ولكن الضعف السياسي الذي كانت تعانيه الامة العربية لمدة قرون طويلة ، اسفر ايضا عن ضعف فكري ، الامر الذي انعكس في ركود تام في حياة اللغة العربية ، لا سيما اثناء الاحتلال العثماني . وفي حين نشطت الحركة العلمية في اوربا وتركت آثارها في اللغات الاوربية الحديثة التي تطورت وتمشت مع التقدم العلمي ، بات العالم العربي معزولا عن كل حركة فكرية او علمية ، ونزل مستوى اللغة بصفة عامة . وبعد انهيار الدولة

العثمانية توالى على العالم العربي فترات مختلفة من الاحتلال الاجنبي . ومن الطبيعي ان الاستعمار الانجليزي والفرنسي والاطالقي لم يشجع قيام نهضة ثقافية ولغوية بالتالي ، بل بالعكس . . لقد حاول الاجانب صرف العرب عن ثقافتهم ولغتهم وأسسوا المدارس والمعاهد المكلفة بنشر لغتهم وثقافتهم . . اضعف الى ذلك ان العلوم الحديثة ومتطلبات الحياة العصرية ، هي التي سهلت سياسة الاستعمار واحلال اللغات الاجنبية محل اللغة العربية الفصحى في التعليم العالي والثانوي على الاقل . وقد وصل الامر الى ان بعض العائلات العربية ، ارسلت أبناءها الى المدارس الاجنبية ، حيث تعلموا اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة اجنبية !! . ولكن لا يمكن انكار حاجة اللغة العربية الى الاستحداث من حيث المصطلحات العلمية وسهولة التعبير ومرورته حتى تستطيع ان تؤدي وظيفتها كاملة بمراعاة ظروف العصر الذي نعيش فيه . . غير ان الامر بسيط والنقص المشار اليه ليس تقصا في طبيعة اللغة ، بل هو راجع الى القرون الماضية .

وقد يدعو الى الدهشة ان بعض الكتاب العرب يذهبون الى ان اللغة العربية الفصحى ، قد فرغت من مهمتها ولا يمكن الاعتماد عليها في مواجهة العصر الحديث . ومن جملة هؤلاء الاستاذ سعيد عقل ، مفكر لبنان المعاصر ، والشاعر اللبناني يوسف الخال ، وبعض الكتاب المسرحيين المصريين . فهم يقولون ان اللغة العامية اقرب الى الحياة من اللغة الفصحى . ومنهم من يكتب خليطا بين العامية والفصحى . . ومن الطريف ان محمود تيمور ، هو الآخر شعر بحيرة امام هذه الازدواجية في اللغة ، وكتب مسرحية « المزيقين » مرة باللغة الفصحى ومرة اخرى باللغة العامية في انتظار رأي الجمهور .

ويطالب بعض الكتاب بضرورة « التحرر » من سيطرة اللغة الفصحى الميتة والتمسك بالعامية ، وبذل المجهود لتطويرها حتى تصبح قادرة على التعبير عن كل شيء . وهناك من ينادي بتصحيح اللغة الدارجة ورفعها الى مستوى الفصحى في حين يدعو بعض اللغويين مثل الدكتور انيس فريجة الى تبسيط اللغة العربية الفصحى ، كحذف علامات الاعراب وترك بعض الاساليب النحوية المعقدة . . ولن يكون مثل هذا التحريك المحاولة الاولى ، فان اللغة العربية استفادت فائدة جمة من جراء الترجمات وادخال المفردات والتركيبات اللغوية الجديدة ايام العباسيين ، وقد اصبحت اللغة العربية بعد ذلك ، لغة غنية جدا ،

كانت تستوعب جميع المعاني والافكار ، بل وقد أصبحت لغة العلم الاولى بفضل ما اضفي عليها من الوان التجديد والاثراء .

ويقول الاديب المصري الكبير طه حسين ، انه من انصار اللغة الفصحى ، لانها قادرة على التعبير عن كل المعاني لو احسن استعمالها . هذا بصرف النظر عن كون اللغة الفصحى ، من اهم الروابط التي تشد العرب بعضهم الى بعض . ويقول المفكر الالماني المشهور « فيشته » : « ان اللغة اهم الروابط التي تجمع بين افراد الامة » . .

ولو عملنا على تعظيم شأن العامية فى كل بلد عربي ، لاصبح التفاهم بين ابناء الامة العربية اصعب فأصعب ، ولاتجهت الثقافة العربية اتجاهات مختلفة ، ولتهدد الكيان الثقافي والحضاري العربي كله بأخطار جسيمة على أية حال ، بيد ان المسؤولين اتسبوا الى هذه الاخطار ، واذا استمر التطور التعليمي والثقافي الحالي فى البلدان العربية او نشط الى طفرات أبعد ، أمكن علاج ما اطلقوا عليه عدم مسايرة اللغة العربية الفصحى للعصر الحديث . . ان التطور السريع حقا ، ورفع المستوى اللغوي وهن برفع مستوى التعليم ، الامر الذي يسهل التأكد منه بالمقارنة بين لغة المثقفين وبين لغة الفئات الاخرى من الشعوب التي لم تنل قسما كافيا من التعليم ، مع العلم ان النهوض باللغة لا يقتصر على استعمال مصطلحات جديدة فحسب ، بل يصل الى العمق اى الاحساس اللغوي كليا .

وموضوع آخر لا بد من التعرض له فى هذا الصدد : يعتبر اقتصار معرفة اللغة الفصحى على قلة من الناس من العوامل الاليمة التي تفصل بين طبقات الشعب ، ولذلك ارى ان تعميم اللغة الفصحى ، يجب ان يشمل جميع ابناء الشعب ، فان الطبقة فى التعليم

عامة وتعليم اللغة خاصة ، اجنبية كانت ام اللغة الفصحى البعيدة عن الجماهير ، تؤدي الى تعقيد المشكلة وربطها بموضوعات سياسية واجتماعية .

وللوصول الى وضع لغوي طبيعي متمثل فى سيطرة اللغة العربية الفصحى على اللغة العامية فى شتى المجالات ، يجب رسم الخطط والالتزام بها .

واعتقد ان الخطوة الاولى ، هي رفع المستوى اللغوي فى المدارس بمعنى ان المعلم يجبر على استعمال اللغة الفصحى فقط فى حديثه مع التلاميذ . ثم لا بد من الاكثار من انتاج الافلام الناطقة باللغة الفصحى وتشجيع المؤلفين على كتابة المسرحيات بالفصحى ، وتأليف الاغاني بها ايضا .

ومما لا شك فيه ، ان مثل هذا التوجيه فى تعليم اللغة ، قد يترتب عليه ان يعود الناس على الفصحى ويستعملوها فى حديثهم اليومي ، لكي لا يعتبروها لغة غريبة ، وسيفقد المتكلمون بها الشعور بكونها بعيدة عنهم . وهذا طور منطقي حدث فى معظم دول العالم ولا سيما فى الدول الاوربية كالمانيا وايطاليا .

ومن البديهي ان مصير اللهجات العربية ، لن يختلف عن مصير اللهجات الالمانية مثلا . . والتي فقدت اهميتها وتركت الميدان للغة الفصحى التي ينشأ عليها كل مواطن منذ اول يوم يدخل فيه المدرسة .

اما اللغة الفصحى ، فستكيف تدريجيا مع حياة المجتمع وتصبح مرآة صادقة لتطوره واتجاهاته وكلما انتشر استعمالها ودخلت مجالات جديدة ، اكتسبت تلك المرونة وذلك القرب من الحياة ، التي تتمتع بها جميع اللغات المتطورة . فاللغة العربية الفصحى كنز لاهلها وليس عليهم سوى استغلال هذا الكنز خير استغلال .

(عن صحيفة « بريد الشرق » التي تصدر فى كولونبا بألمانيا الغربية - العدد 27 فى تموز 1972)

معجم الطحانة والخبازة والفرانة

الدكتور سامي الدهان

نشرت مجلة « معجم اللغة العربية » بدمشق (ج 2 م 47 / 1392 / 1972 م) كلمة حول هذا المعجم ونحن نرحب بهذه الملاحظات التي نعتبرها استدراكا نتنتظره حول كل مشروع معجم صادر عن المكتب الدائم:

وفى هذا القاموس « الصناعات الشامية » ما يخص معجم الطحانة والخبازة والفرانة ، ومفرداتها ، كما عرفها أهل الشام ، يحسن أن تذكر هنا وتضاف الى ما عرفه أهل المغرب بالدار البيضاء مثلا ، الطحان ، والمعجان ، والمقرص ص 303 ، وخاصة الكلمة الأخيرة فقد ذكرها المعجم المغربي ص 362 وتقل تفسيرها عن المخصص لابن سيده فحسب ، ونسي تعريفات القدماء لعمل أقراص الخبز مدورة مثل الكرة ثم قوراء كالقمر ، كما قال ابن الرومي .

3- أن ينظر في بعض كتب الأدب والتاريخ ، فقد طبعت (1) ديوان صريع الفواني مسلم بن الوليد ، وحققت شرحه ، وجاء فيه كلمة « الملة » شرحها « الطبيخي » المغربي قال : « هو الموضع الذي يطبخ فيه الخبز » وأخذ منه الخبز المملول أو المليل ، ولم يرد شيء من ذلك في - معجم مكتب التعريب - ، وكان أخرى بأن ينقل هذا اليه وأن يذكر .

ولقد جاء في هذا الشرح نفسه كلمة « الفرن » وسماها : « القوش » وفسرها بقوله : « القوش ، جمع قوشة ، وهي الفرن أو التنور عند المغاربة ، وقد تلفظ بالكاف ، فيقال كوشه » .

اعد المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي مشروع هذا المعجم بالتعاون مع أرباب الاختصاص في فنه وهو « مكتب التسويق والتصدير بالدار البيضاء » فأحسن صنعا ، وسد ثغرة واضحة .

ولنا ملاحظة ورجاء نرجو أن يأخذ بهما المكتب ، وهو الا يكتفي بما فعل من خير وفير ، وإنما يرجع النظر حين صنع قاموسه نهائيا فيضيف اليه النقاط التالية :

1- أن يذكر كل المراجع التي اعتمد عليها في كلماته والفاظه ، وخاصة المعاجم الفرنسية العربية ، والعربية والفرنسية ، فقد رأينا أنه رجع كثيرا الى قاموس Belot ، والى « الفرائد الدرية » لأحد الآباء اليسوعيين ، من غير أن نرى أثرا لغيرهما من المعاجم .

2- أن ينظر في « قاموس الصناعات » لمؤلفيه محمد سعيد القاسمي وابنه جمال الدين القاسمي مع خليل العظم ، وقد صدر في جزأين عدد صفحاتهما 500 تقريبا ، على نفقة المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس سنة 1960 م وقدم له وحققه الاستاذ ظافر القاسمي .

(1) انظر شرح ديوان صريع الفواني مسلم بن الوليد ، ط. سامي الدهان ، وشرح الطبيخي ، دار المعارف بمصر 1957 ، ص 59 وحاشيتها .

وغيرها (2) ، فقد ذكر هذا القاموس ص 390 :
« الطحان : من يستأجر الطواحين لأجل طحن الحنطة
وخلافها من الحيوانات » ، وذكر كلمة « بوايكي » فقال:
« اسم لبائع المقتاتات من قمح وذرة وشعير في مخزن
كبير يسمى في اصطلاح أهل الشام « بانكة » ،
والبانكة في اللغة اسم للناقاة السمينة وكان هذا المحل
سمي بذلك لبروك البوائك فيه ، فان هذه الحبوب لا
تجلب الا عليها » .

ولعل هذا كله يجمع اصطلاحات أهل المشرق
الى أهل المغرب ، وننتقل من الألفاظ العربية الموجودة
عندنا ، على ترجمة ما عند الغرب في هذه الصناعات ،
والله الموفق للسداد والكمال .

ومثل هذا الديوان وشروحه في اللغة العربية
مما يخص الطحانة والخبازة والفراة ، عدد غير قليل ،
يحسن الرجوع اليه ، وان ينقل الى معجم مكتب
التعريب .

4 - ان يرجع السادة صانعو المعجم الى قاموس
دوزي ، وقد ترجمت أكثره ، وجعلت عنوانه : « فوات
معاجم العرب » ، وطبع سنة 1937 في جزاين .
ووزعت على جزايات : ففيه ما ذكر من صناعات
الطحانة والخبازة والفراة ، الفاظ وكلمات نقلها عن
كتب التاريخ والأدب ، وزاد على شروحها ، فرد اصول
بعضها الى لغات قديمة افرنجية ، وازاد فوائد
يحسن الأخذ بها لاكمال معجم مكتب التعريب .

5 - ان يهتم صانعو المعجم بقاموس الصناعات
الشامية وغيره فيما يخص تعريف الطحان بالشام

(2) في قاموس الصناعات الشامية ص : 121 : « خباز مشترك في عرف أهل الشام ، بينه وبين الفران »
وتعريف المعجم عنده يضيف الى قاموس صورة لحياة أهل الشام .

التخصص :

كان التوجيه المهني معروفا عند السلف : ذكر الاصفهاني ان يونس
ابن حبيب كان يختلف الى الخليل بن احمد لتعلم العروض فصعب
عليه فنصحه بتعاطي النحو حتى أصبح اماما في النحو واللغة
محاضرات الادباء ص 25) وبدأ النجاري بتعلم الفقه على محمد
ابن الحسن فنصحه بتعلم الحديث لانه اليق بطبعه (الزرنوجي :
تعليم المتعلم ص 13) .

رأيي ...

نحو تفصيح العامية في الوطن العربي

الأستاذ عمر الطاهر
(دمشق)

صراع بين العامية والفصحى بالمغرب :

تحت هذا العنوان يورد الكاتب بحثا يقول فيه ان اغلب الاصول والقواعد الاساسية مشتركة بين الفصحى والعامية المغربية حتى ما يتصل بالقلب والابدال والتسهيل والترخيم .. وتمتاز بمظاهر البساطة تجعلها في بعض الاحايين اكثر ايقالا في القلب والتسهيل وهذه الظواهر لا تنفرد بها عامية اي قطر عن اخرى .

وبعد ان يعرض الباحث بعض الامثلة لانبات ما ذهب اليه ينتقل الى القول بأنه يجب ان يعيد التاريخ نفسه في تفصيح العامية العربية وتوحيدها ويذكر بما كان عليه الحال قبل الاسلام من طغيان لهجة قريش على بقية اللهجات العربية وصياغتها في اطار واحد هو الفصحى التي نعرفها اليوم .

وفي اطار الاصول المشتركة للعامية المغربية يذكر الباحث ان التأثير بين العاميات العربية كان متبادلا ، فالفنيقيون العرب نقلوا الكثير من كلماتهم الى شمال افريقيا الذي يتكلم اهله قديما لغة البربر ، واذا عرفنا ان هذه اللغة هي الاخرى عربية اي ان البربر شعب هاجر من الجزيرة في احقاب موغلة في القدم ادركنا ان اصول العاميات تعود الى اقدم العصور فالفنيقيون الذين اثروا في العاميات العربية وشعوب الشرق القديم كان لهم ابلغ الاثر في لهجات الجناح

نشرت جريدة « التورة » (دمشق) في عددها الصادر بتاريخ 8 / 9 / 1972 ، تعليقا للاستاذ عمر الطاهر على كتاب : « نحو تفصيح العامية في الوطن العربي » جاء فيه :

اصدر المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الكراس رقم 16 من السلسلة التي اخذ في اصدارها منذ سنوات وقد خصص هذا الكراس لبحث قام به الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله حول العاميات العربية وجذورها المشتركة ، وللأستاذ عبد العزيز بنعبد الله اعمال جيدة في هذا المجال لا زال يواصلها منذ سنوات طويلة فقد الف كتابا بعنوان (الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية) ودراسات مفارئة حول عاميات اقطار عربية عديدة وخاصة سورية ولبنان ومصر والكويت والخليج العربي والمغرب .

يقول الاستاذ بنعبد الله في مقدمة بحثه المشار اليه سالفا انها محاولة اولى نرجو ان تكون قد اسهمت بها في اقامة هيكل واضح لبيان مدى تقارب العاميات في الوطن العربي اعتبارا لاصولها الفصحى وما تراه من امكانيات تفصيح هذه العاميات حتى تصبح لغة الحديث في الوطن العربي موحدة اقرب الى الفصحى منها الى اللهجات الاقليمية الكثيرة التحريف .

للوصول الى اللغة العربية الواحدة على مستوى المخاطبة ولا يسع القارئ رغم تسليمه بالكثير مما ذهب اليه الباحث لا يسعه الا ان يسأل لما ذا يذهب الكاتب بعد هذه الرؤية الجديدة للموضوع الى مناقشة القضايا من خلال انعكاس الواقع السياسي عليها فتراه يضع عامية مغربية واخرى سورية وثالثة لبنانية .. والواقع انه ليس هناك شيء يمكن ان يسمى بذلك هناك لهجات مختلفة في انحاء شتى من الوطن العربي يزداد التشابه بينها ويقل تبعاً للموقع الجغرافي رغم الاصول المشتركة وهي لا تتبع في توزيعها بحال من الاحوال التقسيم السياسي او الحالي منه على الاقل واذا كانت ضرورة تقسيم البحث هي التي اجأت الباحث الى هذا الاسلوب فهو امر مقبول ، اما اذا كان الاقرار بالاقليمية وراء ذلك فان المنطلق الجيد عنده يفتدو منظوماً على ضده انها دعوة جديدة في سبيل مراجعة تراثنا اللغوي لا يسعنا رغم كل شيء الا التحمس لها ، فمن خلال البحث وحده نستطيع ان نتبين الفث من السمين وهي خطوة متقدمة في سبيل صقل اهم مقومات شخصيتنا وان كانت بعض المفاهيم المغلوطة تخالطها ولكن للكاتب عذره رغم ذلك .

الفربي من الوطن العربي ، ان الاصول المشتركة للعاميات العربية لا تعود فقط الى هذه الاصول ، انها استمرت عبر التاريخ تتغذى من مصادر متشابهة او تنقل الاثر الى بعضها ، ويشهد على ذلك وجود كلمات فارسية في العامية المغربية تسربت اليها عبر الاحتكاك بعامية الاندلس التي نقلتها من عاميات الشام والخليج ان هذه الاصول المشتركة وهذا التلاقح الدائم ييسر العاميات العربية الذي تجلى مرة اخرى في الكلمات التي ادخلت الى لغتنا من الفرنسية والاسبانية والتركية والانكليزية يحتم ضرورة السعي الى تنقية هذه العاميات بغية الوصول الى عامية صافية تكون اقرب شيء الى الفصحى وفي نفس الحين لغة المخاطبة اليومية وهذا العمل هو السبيل الوحيد للرد على دعاوي الاقليمية اللغوية بعد ان ثبت لدينا ان الاصول المشتركة لهذه العاميات اقوى من كل مظاهر الاختلال .

ويسند الباحث رؤيته للامور بمجموعة كبيرة من الكلمات التي تثبت هذه الاصول المشتركة ويقوم بتحليل تاريخي لظهور العامية في الوطن العربي ويخلص الى دعوته السالفة بضرورة تنقية هذه العاميات سعياً

تعليق على موضوع : التطور اللغوي ونشوء اللغة

« ان تاريخ النشوء » وينتهي بـ « متصرفة
وغير متصرفة »

تارن العنوان الذي يلي ما سبق : « دور المقطع
البيسط » عند نور الدين مع عنوان : « دور
المقطع البيسط » ص 46 — 48 عند العلايلي ،
وستجد أن كلا منهما يبدأ بـ : « ان لبحث
الانسان الفطري » وينتهي بـ « ثمانية وعشرون
حرفا »

تارن ما جاء في الفقرة التي تلي « دور المقطع
البيسط » عند نور الدين مع « دور المقطعين »
ص 49 — 51 عند العلايلي .

تارن ما جاء في الفقرة الاولى ص 30 عند نور
الدين بما جاء ص 52 بعنوان « دور المقاطع عند
العلاييلي » .

تارن ما جاء في الفقرة : « معاني الحروف
العربية » عند نور الدين بما جاء ص 71 في كتاب
العلاييلي بعنوان : « المعاني التركيبية »

تارن العنوان : « التطور في اللهجة » عند نور
الدين ص 132 بما جاء ص 76 في كتاب العلايلي
تارن العنوان « الدورة اللغوية الطويلة » عند
نور الدين ص 133 بنفس العنوان ص 83 من
كتاب العلايلي

توصلنا من الأستاذ زهير علاف من الجزائر
برسالة تتعلق بأحد البحوث المنشورة في المجلد الثامن
من « اللسان العربي » الجزء الأول تحت عنوان :
« التطور اللغوي ونشوء العربية » للأستاذ محمد
يوسف نور الدين ص 127 ، ويقول : ان الدهشة قد
امسبته وهو يطالع هذا البحث اذ انه كان قد سبق له
ان اطلع على كتاب تهذيب المقدمة اللغوية لعبد الله
العلاييلي بتقديم الدكتور أسعد علي ، فاذا به يكتشف ان
البحث الذي نشر في « اللسان » منقول بعناوينه وعباراته
ومفرداته من كتاب الأستاذ العلايلي ، اللهم الا بعض
المبارات التي حاول الكاتب ان يحورها مثل قوله
خلاصة القول بدلا من الخلاصة عند العلايلي ، ويشير
على القراء بان يضعوا الكتاب المذكور بجانب بحث
الأستاذ نور الدين ويعقدوا مقارنات بين الباحثين
مشيرا الى عدد غير قليل من أرقام الصفحات التي
يؤكد فيها صدق دعواه ، وهذه بعض الأرقام التي
سأتها في الرسالة :

تارن ما بين عنوان « العربية واللغات الأخرى »
ص 128 عند نور الدين ، مع عنوان « العربية
واللغات » ص 41 — 43 عند العلايلي .

تارن عنوان « ادوار اللغات ونشوء العربية »
ص 128 في (اللسان) عند نور الدين مع عنوان
« ادوار اللغات ونشوء العربية » عند العلايلي
ص 44 — 45 ، ستجد ان كلا منهما يبدأ بـ

- تارن العنوان : « الأسباب التي حفظت الأثریات عند نور الدين ص 134 بما جاء عند العلايلي ص 87 بعنوان : « مع الأسباب التي حفظت الأثریات » .
- تارن « التطور في اللغة » عند نور الدين ص 136 بنفس العنوان ص 106 عند العلايلي .
- تارن « التطور الاعلال » عند نور الدين ص 136 بنفس العنوان ص 106
- تارن « التنقيح في اللغة العربية وأهداف التنقيح » عند نور الدين ص 138 — 139 بـ « التنقيح الجديد » ص 119 — 123 عند العلايلي .
- تارن « دواء العربية وأدواؤها » عند نور الدين ص 139 — 142 بنفس العنوان عند العلايلي بين ص 193 — 241 .
- تارن : « اللغة العربية غاية لا وسيلة » عند نور الدين ص 142 بنفس العنوان عند العلايلي ص 242 وما بعدها .

الجمهوري (المجلس) :

ذكر المناوي في طبقاته نقلا عن الشيخ محمد بن عبد الكريم بن الكماد انه قال تكلم علينا يوما الشيخ الصالح الولي أبو عثمان سعيد الصفروي رضي الله عنه في مجلسه الجمهوري فقال الخ ..

— وأشار ابن عبد الملك في الذيل والتكملة (س 5 ق 2 ص 632) في ترجمة ابن خليل الشاعر الخطيب انه كان « يرتجل الخطب البليغة بين يدي الملوك وفي المحافل (الجمهورية) تنبئها على المصالح وحضا على ما فيه سداد الاحوال » .

الجمهوري نبئ العنب (التهانوي) وذلك لان جمهور الناس يستعملونه وفي الجامع الجمهوري ما بقي نصفه من عصير العنب بعد طبخه .

عينة للذين يؤمنون .. وبرهان للذين يشكون

للأستاذ محمد قلببي

نشرت صحيفة « الصباح » بتونس المقال الآتي حول نشاط المكتب الدائم وهو مقال غمر مكتبنا بما لا يستحقه من تنويه :

من لا يلين الا بالنار الحامية .. كالحديد ! وقضية التعريب ، مثل كل القضايا الروحانية السامية ، تجف كالهيكال الجامد ، ان لم ينفخ فيها العربي من روحه .

كنت او من كفيري من انصار هذه القضية بان التعريب ضرورة ممكنة .. لكنني كنت اشك في وجود اناس قادرين على القيام بالعمل الشاق الطويل النفس الذي يشترطه انجاز مثل هذا المشروع الضخم ، اذ لا يكفي ان نريد .. ولا بد من ان نستطيع وكان وما يزال انصار « اللاتعريب » يتكثرون على هذا الخلل الظاهري بين ارادتنا وقدرتنا ليطلقوا قهقهاهم عالية .. قبيحة ! وكان ينقصنا البرهان لنطمس ضحكاتهم ونبطل تصوراتهم .

قلت كان ينقصنا « البرهان » لكن ليست تلك الحقيقة وانما اقتصر الحظ على اعطائه لاقلية قليلة منتشرة في انحاء العالم العربي كلسه .

الدراسات والابحاث والمعاجم التي اصدرها الى حد الان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي - والتي اطلعت على عينة واحدة منها - تشكل برهانا قاطعا لا فقط على قدرة اللغسة العربية على مسابقة العصر وانما أيضا على قدرة محبيها الاوفياء لها على الحاقها بركب اللغات المتقدمة الاخرى لا شيء يقف دون التعريب ان وقفت له الكفاءات وتضافرت في كل البلدان العربية لا العبارات التقنية المعقدة ولا المعاني الجديدة المجردة .

يحتوي الجزء الثاني وحده - لان المجلد التاسع للمجلة صدر في جزئين - على قرابة 700 صفحة فهو يشمل معجما ضافيا حول أسماء الملابس عند العرب

لم اتخلص الى حد الآن من التأثير البالغ الذي تركه في نفسي الاطلاع على المجلد التاسع لمجلة « اللسان العربي » التي يعدها ويصدرها « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي » لم اتخلص من ذلك التأثير ولا اظن انني سأتخلص منه في يوم من الايام ... شد ما تأثرت !

اعرف كفيري من الناس ان الدول العربية احدثت مكتبا للاشراف على حركة التعريب بالعالم العربي ، وسمعت كفيري عن اخبار هذا المكتب وعن منشوراته ومعاجمه ودراساته ومشاريعه ، بل انني منذ بضعة اشهر اجريت « للصباح » حديثا مع السيد عبد العزيز بنعبد الله مدير المكتب اثناء زيارة قام بها الى تونس ، فقال لي الخير الكثير - بكل تواضع - عن أعمال مكتبه ، فصدقت ولكنني لم اتأثر .. حتى اطلعت ! لانني فقدت الثقة بصفة عامة بالتنويه الذاتي .. خاصة في بلداننا « العاطفية » .

ومنذ ايام حمل لي البريد طردا ثقيلًا يزن حوالي كيلو غرامين أو أكثر .. فوجئت به لانني لأول مرة أرى شكل عمل مكتب تنسيق التعريب ولونه وأتفحص مضمونه ، وبعد لقاء النظرة الأولى لم أتمالك من القيام بجولة عبر مكاتب زملاء بالجريدة لأظلمهم على « التحفة » التي نزلت علي من السماء وشاطروني تأثري وأعجابي .

معدرة لدى الذين يؤمنون بضرورة « الموضوعية الباردة » في كل الامور والظروف ، ان انا ابدت حماسا قد يبدو لهم عاطفيا أكثر منه عقلانيا ، لكنني بعد الاعتذار لن اطفئ نار تحمسي وعاطفتي فمن الامور

ويوزعه من مطبوعات ولا سيما مجلة « اللسان العربي »
فيلفت هذه الطلبات حدا جعل المسؤولين عن المكتب
لا يستطيعون التلبية ولا رد الجواب نظرا للامكانيات
المادية المحدودة .

فمعدرة لمراسلنا وقرائنا الافاضل « .
وفي الجانب الداخلي من غلاف المجلة قرأت :
« طبع من هذا العدد سبعة الاف نسخة وزعت مجانا
وتحت ذلك « البيع ممنوع » .

واتساءل ما هو وزن 7 الاف عربي - كلهم بدون
شك مؤمنون بقضية التعريب - ليس من الاكيد ان
يطلع جميع الناس على المراحل الشاسعة التي قطعها
قضية التعريب على يد نخبة من العلماء العرب ... في
طريق التقدم .. العربي !

ليس الشر في الشر فقط .. وانما هو ايضا في
الامسك عن عمل الخير ، ومن الجرم ان نشجع بصمتنا
الضالين على مواصلة السير في طريق الضلال .
انا لم افهم ولن افهم عبارة « الامكانيات المحدودة »
الواردة في مذكرة المجلة ، الامكانيات تصبح غير
محدودة في نظري لما يتعلق الامر بقضية مصير امة
كاملة تطمح للحضارة .

وان كانت امكانيات الدول العربية كلها لا تساعد
الا على طبع 7 الاف نسخة من مجلة « اللسان العربي »
فاني متيقن من ان امكانيات الافراد « المحدودة » -
امكانيات محبي العربية - ستصبح غير محدودة ان
سمح لهم المكتب الدائم بالمساهمة في عمله الجليل
بدفع ثمن يغطي تكاليفه عن كل مجلة يصدرها ، ربما
هذه الامكانيات متوقفة ايضا على قرار الدول الاعضاء
في الجامعة العربية ..

لكن ، ان رفضت هذا وذاك ، ان رفضت وضع
لا امكانيات الكافية تحت طلب المكتب ، ورفضت في
نفس الوقت السماح له ببيع منشوراته لتغطية
التكاليف لا للمتاجرة .. فهذا ربما يعني الشيء الكثير
.. الذي نمتنع عن فهمه .

كل هذه افتراضات وتساؤلات ونأمل ان نتصل
قريبا بتوضيح حول سبب هذا « التواضع » المدهش
من المكتب الدائم .

اختم هذا المقال بالتنويه بمجهودات المكتب
ومسؤوليه وكافة الخبراء المساهمين في اعماله ..
لكن يبدو لي ان اصدق شكر في هذا العصر السدي
كثرت فيه عبارات الشكر ونفذت هو الامسك عن
الشكر ... وترك العاملين يعملون !

واخرى حول الغابات والتفنية الحراجية واستخدام
منتجاتها وعلم الاحراج والقطل والحرائسة والنقل
والهندسة الحراجية والاضرار لملحقة بالغابات
ووقايتها الخ ..

ويحتوي معجما ثانيا خاصا بالطيران المدني
(50 صفحة) ومعجم مصطلحات المؤتمرات ومعجم
المصطلحات السلوكية واللاسلكية ، ومعجم المصطلحات
الكهربائية الالكترونية والمصطلحات الاعلامية ومعجم
المعاني للعظام والدم ومعجم الحشرات .

كما يحتوي هذا الجزء الثاني على دراسات حول
المصطلحات العلمية وتطور اللغة ، ونظام التصنيف
العشري لأكسفورد ومقال حول تفصيح العامية في
الوطن العربي .

واما الجزء الاول من المجلد التاسع لمجلة
« اللسان العربي » فقد خصص لنشر دراسات
مختلفة عديدة حول اللغة العربية والتعريب ، واذكر
من بينها دراسات لغوية حول معركة العربية في
الجزائر ، والعوامل الطارئة على اللغة والاضداد في
اللغة ، والكاف التمثيلية ومعاجم الابنية في اللغة
العربية وتاريخ المعجم العسكري وتشمل الابحاث
المختلفة مقالات تتعلق بالاصالة والتجديد في اللغة
العربية ، واسماء الاعلام العربية واللغة العربية والبحوث
الاقتصادية ، وحروف عربية جديدة ، وخصص القسم
الثاني لنشر « المقولات العشر » للعلامة الشيخ محمد
الحسني البلدي وهو مخطوط نادر بخط المؤلف
نفسه ، ثم لالفاظ الحضارة لعام 1971 وعدة دراسات
اخرى .

هذه عينة واحدة من الاعمال الجبارة التي قام بها
المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي
واعتقد ، بل اجزم اطلاقا ، ان كل من يشك الى الآن
في امكانية التعريب في هذا العصر سيلقي عنه الشك
بعيدا - ان لم يكن متعصبا حتى للخطا - بعد مجرد
تصفح مجلة « اللسان العربي » واعتقد بل اجزم ان
مصلحة الغابات مثلا او مصالح الطيران المدني او بعض
اصناف الاطباء يمكنهم بعد دراسة المجلد التاسع فقط
دراسة جديدة ان ينطقوا بكل ما في ادفتهم من علم
ومعرفة بلغة امهم وايهم قبل اية لغة اجنبية .

لكن ! .. نعم هناك لكن ! وجدت داخل المجلة
ورقة صغيرة كتب عليها ما يلي :

« لقد تكاثرت الطلبات الواردة يوميا على المكتب
من الوطن العربي وغيره ، من اجل الحصول على ما يصدره

رجال مجهولون، وراء مشروع عظيم

1970 - 1971 . ثم انتقل الكاتب الى الحديث عن المسابقات العلمية التي يجريها المكتب بين الباحثين العرب منذ اواخر عام 1969 حتى شرع المكتب في تنظيم مسابقات سنوية يوزع فيها جوائز باسم كل دولة عربية وذلك في موضوع يتصل باختصاصات المكتب وهو تقديم مخطوط قديم او بحث حول اللغة العربية وتخصص لذلك جائزة مالية قدرها خمسة الاف درهم او ما يقابلها في العملات الاجنبية .

ثم قال الكاتب الفاضل : « هذا بعض نشاط المكتب الرائع والذي يقدم للعربية خدمات جلى لا تنسى ، كل ذلك بمهمة مديره العلامة الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الذي داب منذ حوالي ثماني سنوات على العمل والصبر والاستمرار حتى وصل بالمكتب الى ما وصل اليه من دقة في العمل وروعة في التنظيم لخدمة اللغة العربية وجعلها لغة المغرب الاولى بعد ان كاد ابناء المغرب ينسون لغة الآباء والجدود . ولم تقتصر الاستفادة من منجزات هذا المكتب على ابناء المغرب العربي الشقيق فحسب بل تعدته الى ابناء المشرق حتى ان المكتب أصبح حجة للمعنيين باللغة العربية مشرقا ومغربا »

وقال : « وهذه الكلمة العجلى ، تحية فخر واعتزاز لهؤلاء الرجال الذين يقفون وراء هذا العمل الجليل من أجل مجد لغتنا العربية الاصيلة . »

نشرت جريدة « المدينة المنورة » في عددها 2531 مقالا تحدثت فيه عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب وعن مختلف نشاطاته فقالت : « يشرف على هذا المكتب العلامة عبد العزيز بنعبد الله . وهو في نفس الوقت المدير المسؤل ورئيس تحرير مجلة « اللسان العربي » التي تصدر دورية وتعنى بالابحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب ، والنشاط الذي يقوم به هذا المكتب يكاد يساوي نشاط الجامع اللغوية في البلاد العربية بل ان الفائدة منه اميز وأبرز بسبب التبسيط الذي يتبعه من أجل نشر البحوث اللغوية وجعلها في متناول كل يد . »

اما عن مجلة « اللسان العربي » قال كاتب المقال : « لقد اطلعت على مجلدها الثامن في اجزائه الثلاثة وهي اهم ما يصدر عن هذا المكتب . ففيها يلتقي علماء اللغة العرب من كل حذب وصوب وفيها يقرأ الانسان كل ما يتعلق باللغة العربية حتى لكانها تكفيه مؤونة البحث عن مصادر اخرى . »

وبعد ان اشار الكاتب الى مؤتمر التعريب الاول الذي انعقد في الرباط في ابريل 1961 والذي انبثق عنه المكتب الدائم وبعد ما اشار الى الاهداف التي قام من اجلها المكتب انتقل الى تلخيص اهم منجزات السنوات المتراوحة بين 1962 - 1965 و 1966 و 1970 ، ثم اشار بعد ذلك الى برامج المكتب لسنة

تعقيبٌ على نسبة أبيات

الأستاذ حبيب علي الراوي

قال : فأرسلها الذي اشتراها وأرسل معها أربعين مثقالاً »

ومن الكتاب المعاصرين الذين أوردوا هذه الحكاية الأستاذ أحمد أمين في كتابه « ظهر الإسلام » (ج 1 ص 117 - 118) وقد أوردتها على الوجه التالي :

« وهذا أبو علي القالي البغدادي ضاقت به الحال قبل أن يرحل إلى الأندلس حتى اضطر إلى بيع كتبه وهي أعز شيء عنده فباع نسخة من كتاب « الجهرة » وكان كلنا بها فاشتراها الشريف المرتضى فوجد عليها بخط أبي علي :

أنست بها عشرين عاماً وبعتها الأبيات

ولم يشر الأستاذ أحمد أمين إلى المصدر الذي اعتمد عليه

وقد علق الدكتور مصطفى جواد على ذلك في المقدمة التي وضعها لكتاب « تكلمة أكمل الأكمال في الأنساب والأسماء والألقاب » لابن الصابوني ، الذي حققه الدكتور مصطفى ونشره المجمع العلمي العراقي عام 1377 هـ - 1957 م فقال :

« وهذا الأستاذ العالم أحمد أمين المصري يقول : وهذا أبو علي ... الخ ... ويذكر نص ما ورد في كتاب ظهر الإسلام للأستاذ أحمد أمين ويعقب على ذلك بقوله : « وقد تصحف على هذا العالم الفاضل « القالي » بالفاء فصار « القالي » ولما وتر في ذهنه أنه

اطلعت مؤخرًا على الجزء الأول من المجلد الثامن لمجلة « اللسان العربي » وكان ضمن موضوعاته « ابن خالوية اللغوي ونسبة كتاب « الحجة إليه » (ص 502) بقلم عبد العال سالم مكرم الأستاذ بجامعة الكويت ، وفي معرض الحديث عن مكانة ابن خالوية اللغوية ، أشار الكاتب الفاضل ، إلى أن ابن دريد مؤلف كتاب « الجهرة » كان من بين تلاميذه ، وللتدليل على أهمية كتاب « الجهرة » أورد الحكاية التالية اعتماداً على المزهرة للسيوطي 1 - 95 :

« فأبو علي القالي كان يملك نسخة من الجهرة بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى : فاشتدت به الحاجة ، فباعها بأربعين مثقالاً وكتب عليها :

أنست بها عشرين عاماً وبعتها

وقد طال ثبوتي بعدها وحنيني

وما كان ظني أنسي بأبيهما

ولو خلدتني في السجون ديونني

ولكن بعجز وانتقار وصبيبة

صغار عليهم تستهل شؤونني

فقلت ولم أملك سوابق عيسرة

مقالة شكوى الفؤاد حزين :

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك

كرائم من رب بهن سنين

أنتت بها عشرين عاماً ويعتبا ... الأبيات

فقيل ان المرتضى رد الجمهرة الى صاحبها
والله اعلم »

ويلاحظ ان السيوطي (— 911 هـ) قد استند
في روايته التي اوردها في الزهر على الفيروزبادي
— 817 هـ) حيث يقول « وجدت هذه الحكاية
مكتوبة بخط مجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس
على ظهر نسخة من كتاب العباب للصفالي ونقله عنه
تلميذه أبو حامد محمد بن الضياء الحنفي ونقلتها من
خطه » (انظر الزهر ج 1 ص 95)

ولعل ياتوت الحموي هو اقدم المؤرخين الذين
ذكروا هذه القصة والأبيات (— 626 هـ) ومن بعده
كان ابن خلكان (— 681 هـ) ، واذا علمنا ان ابا
الحسن الفالي توفي سنة 488 بينها كانت وفاة أبي
علي الفالي سنة 356 هـ وان الشريف المرتضى كانت
وفاته سنة 436 هـ نلاحظ ان هذا الأخير كان معاصراً
لابي الحسن الفالي ، كما ان احداً من المؤرخين لسم
ينسب هذه الأبيات أو بعضها الى أبي علي الفالي
الذي ارتحل الى الاندلس وهو في الخامسة والعشرين
من عمره وقبل ان تمسه الحاجة أو العوز ، وهناك
لقي كل اكرام وحفاوة ، وقيل انه استدعي من قبل
الخليفة الاندلسي آنذاك (انظر مقدمة عبد الجواد
الاسمعي لكتاب الامالي » .

ومن هنا نرجح ان تكون نسبة هذه الأبيات الى
أبي الحسن الفالي ، كما ذهب اليه الدكتور مصطفى
جواد ، ولكننا لا نوافق على ان الاستاذ أحمد امين
مسؤول عما في هذه القصة والأبيات من التصحيف ،
بل ان الذين حققوا كتاب « الزهر » للسيوطي وكذلك
الناسخون لهذا الكتاب هم الذين وقع لهم التصحيف في
المسألة ، ولا يشاركونهم السيوطي في هذا السهو لأن في
احد كتبه « بغية الوعاة » ج 1 ص 78 المطبوع سنة
1384 هـ) قد وردت هذه القصة بما فيها من أبيات
منسوية الى أبي الحسن الفالي لا الى أبي علي الفالي ،
هذا وسبحان من لا يسهو ولا يجوز عليه الخطأ .

الفالي . اضاف اليه البغدادي ، وزخرف الحكاية
بقوله « قيل ان يرحل الى الاندلس ، ولم يحل في ذلك
على كتاب من كتب الادب والتاريخ ، ولو علم ان
صاحب القصة والأبيات هو « الفالي » ما وهم ذلك
الوهم المستعظم على مثله ، المستغرب وجوده في
كتابه ، ولو درى انه أبو الحسن لا أبو علي لتريث
في الاقدام عليه » .

وقبل مناقشة صحة هذه القصة والأبيات الواردة
فيها لابد لنا من الرجوع الى المصادر القديمة التي
اعتمد عليها اولئك الكتاب الاغاضل الذين تطرقوا الى
هذا الموضوع فالدكتور مصطفى جواد يستند في قوله
ان ما اورده ياتوت في « معجم الادباء » وابن خلكان
في « وفيات الاعيان » ففي الجزء الخامس ص 82 —
83 من « معجم الادباء » ورد في ترجمة علي بن أحمد
ابن سلك الفالي « بالفاء » نسبة الى بلدة « فاله »
توله « وحدث أبو زكريا التبريزي قال : رأيت نسخة
بكتاب الجمهرة لابن دريد باعها أبو الحسن الفالي
بخمسة دنانير من القاضي أبي بكر بن بديل التبريزي
وحملها الى تبريز ، فنسخت انا منها نسخة فوجدت
في بعض المجلدات رقعة بخط الفالي فيها :

أنتت بها عشرين حولاً ويعتبا ... الأبيات

نأريت القاضي ابا بكر الرقعة والأبيات فتوجع
وتال لو رأيتها لرددتها اليه وكان الفالي قد مات ،
ويشير المؤلف الى ان البيت الأخير « وقد تخرج
الحاجات يا أم مالك ... » منسوب لاحد الاعراب قاله
في بعض المناسبات ثم يورد الدكتور مصطفى الحكاية
بصورة تختلف بعض الاختلاف نقلاً عن ابن خلكان
« وفيات الاعيان ج 1 ص 366 — طبعة بلاد المعجم »
فيقول :

« وحكى الخطيب ابو زكريا يحيى بن علسي
التبريزي اللغوي ان ابا الحسن علي بن سلك (الفالي)
الاديب كان له نسخة من كتاب « الجمهرة » لابن دريد
في غاية الجودة فدعته الحاجة الى بيعها فباعها
فاشترها الشريف المرتضى أبو القاسم المذكور بستين
ديناراً فتصفحها فوجدت أبياتاً بخط بائعها أبي الحسن
المذكور ، والأبيات قوله :

تراجم الكتاب والباحثين

فكي بحث في اللسان العربي

نقدم لقرائنا الأعزاء بعض تراجم كتابنا الكرام (1)، الذين واصلوا مع المجلة ، رحلة البحث والعمل الموصولين ، منذ صدور أول عدد منها عام 1964 ، فمنذ ذلك («اللسان العربي») تسخر صفحاتها لقلم كل كاتب جاد ، وباحث مجتهد ، ومعجمي مثابر ، تواقه — على الدوام — الى الأحسن والأفضل بغية اطراد التطور ، ايماننا منها بالرسالة الخالدة التي أنيطت بها الا وهي رفعة اللسان العربي واحلاله المكانة اللائقة به كلسان حي طبع عريق ، وهي — في الواقع — رسالة جد خطيرة ما دامت تتعلق باللغة، واللغة هي روح كل أمة وقوام كيانها ومحور تاريخها وتراثها — واصالتها . لهذا السبب ولغيره التفت حول المجلة صفوة ممتازة من الكتاب ينتمون الى بلاد مختلفة ، آمنوا جميعا برسالتها السامية هذه ، التي ما فتىء اهتمامهم بها يتضاعف ، وايمانهم بها يزيد .

وحيثما جمعت المجلة بين هؤلاء الكتاب في مجلد واحد فانما كانت تهدف الى :

- رسم صورة موجزة وواضحة لحياتهم العلمية والفكرية ..
- التعريف بهم وبإنتاجاتهم ، ومدى اسهام كل منهم في ميدان تخصصه .
- التقريب فيما بينهم ، وتوثيق عرى الاخاء والتعاون بينهم ، كاسرة واحدة يجمعها الاسم الخالد الا وهو : «اللسان العربي» .
- تيسير أمر معرفة كل ما يتعلق بهم ، وبإنتاجهم على القراء والطلاب والباحثين ... الخ
- جمعهم على صعيد واحد ، كجيل اضطلع بمهمة شاقة الا وهي دراسة اللغة وكل ما يتعلق بها ، تعريفيا ، وتنقيا ، وبحثا وتطويرا .
- اسهاما منا في ايجاد بيليوغرافية عربية ، للكتاب العرب المعاصرين على اختلاف مجالاتهم واهتماماتهم العلمية .

(1) مرتبة حسب الحروف الهجائية .

الدكتور عبدالعزيز السيد "ابراهيم"



الدراسات العليا ومشاركته في كثير من المؤتمرات العلمية في الوطن العربي وخارجه .

يعمل حاليا مديرا للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقد وفق التوفيق الكبير - بفضل ما أوتيته من مقدرة عملية وإرادة وعزم وطيبين - وفق في إدارة هذا المرفق الحيوي الهام من مرافق الإشعاع العربي بجامعة الدول العربية .

ويعد الدكتور عبد العزيز السيد من أبرز الشخصيات العربية المعاصرة الذين كان لهم نصيب وافر في نشر أسباب الثقافة والعلم وتكوين جيل بأكمله ممن تتلمذوا عليه أو تأثروا به الشيء الذي جعله يحتل المكانة اللائقة المرموقة في قلوب عارفيه ومعاصريه داخل بلاده وخارجها .

للدكتور عبد العزيز السيد كثير من المؤلفات في مختلف مجالات الفكر والثقافة والعلوم منها :

— اعداد المعلم في الوطن العربي

— في أصول التربية

— دور الجامعة في المستقبل ... الخ

وغيرها من البحوث والدراسات القيمة الأخرى المنشورة في مختلف المجالات العلمية أو ضمن كتب مستقلة .

— ولد الاستاذ الدكتور عبد العزيز السيد عام 1907 وفي عام 1927 حصل على باكالوريوس كلية المعلمين بمصر ، وكذا على دبلوم معهد التربية العالي .

وفي عام 1942 حصل على درجة الماجستير في التربية ، وبعد عامين من هذا التاريخ نال درجة الدكتوراه في التربية كذلك .

— وتاريخ الدكتور عبد العزيز السيد تاريخ كفاح متواصل من أجل رفع مستوى الثقافة والفكر والعلوم في بلاده وخارجها ، وبنظرة خاطفة على المناصب التي تقلدها منذ تخرجه عام 1927 الى الآن نستطيع أن نستجلي هذه الحقيقة بوضوح ، فقد عمل أول الأمر أستاذا للرياضيات بالكلية الحربية ، ثم أستاذا كذلك لنفس المادة بكلية المعلمين جامعة عين شمس وفي سنة 1954 أصبح وكيلا لكلية التربية ، ثم مديرا للتعليم الابتدائي بالقاهرة .

ومن سنة 1955 الى 1958 كان مديرا لجامعة القاهرة - فرع الخرطوم

ومن هذه الجامعة ، انتقل الى جامعة الاسكندرية ليصبح مديرا لها حتى عام 1961 .

وهكذا ظل يتقلب في المناصب الهامة الى ان عين وزيرا للتعليم العالي عام 1961 حتى 1965 ثم أصبح بعد ذلك وزيرا للتربية والتعليم من 1967 الى 1968 .

— والاستاذ عبد العزيز السيد عضو بارز في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهو يضطلع بمعدة نشاطات علمية أخرى كإشرافه على رسائل



الأستاذ إبراهيم حكيم صركات

- ولد بالدار البيضاء عام 1929
- تلقى تعليمه الأول بالدار البيضاء نفسها .
- أحرز على اجازة الآداب والتاريخ من الرباط وعلى دبلوم العربية من معهد الدراسات العليا بالرباط كذلك .
- دكتوراه في الآداب من ايكس آن بروفانس بفرنسا
- تقلب في عدة مناصب تعليمية حتى أصبح استاذاً بكلية الآداب بفاس .
- يجيد الفرنسية والإسبانية
- النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين
- المغرب عبر التاريخ (ثلاثة مجلدات)
- مدخل الى علم المترادفات العربية
- الحياة الاجتماعية بالمغرب في العصر المريني
- من مؤلفاته :
- اربعون مؤلفاً مدرسياً — ابتدائي وثانوي
- المستشرقين الذين تأثر بهم دو نوردان
- ولاوست ، وأدم ، وغيرهم ، كما تأثر بالأعلام من العرب — كابن خلدون وابن جنبي وابن تيمية .



الدكتور إبراهيم حكيم دسوقي أباطمة

- من مواليد القاهرة ، في 23 يناير 1935
- تلقى الدكتور إبراهيم دسوقي أباطمة تعليمه الأول بالمدارس المصرية حتى أحرز « البكالوريا » عام 1954 ، والليسانس في الحقوق من جامعة القاهرة 1958 ، ودبلوم الدولة في العلوم الاقتصادية من جامعة «كان» بفرنسا عام 1961
- ودكتوراه الدولة في العلوم الاقتصادية من جامعة باريس تحت إشراف العلامة « أندريه مارشال » عام 1969 .
- وهو يجيد الفرنسية والإنجليزية
- ويعمل استاذاً للعلوم الاقتصادية بكلية الحقوق بجامعة محمد الخامس والدرسة الادارية بالرباط .
- كما انه متأثر بالدكتور محمد حسين هيكل باشا في ميدان الأدب والفلسفة ، وبالدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري باشا في القانون والسياسة ، وبالدكتور سعيد النجار في ميدان الاقتصاد .
- من مؤلفاته باللغة العربية :
- 1 — « القانون العام الاقتصادي » 1970
- 2 — النقود — العلاقات الدولية ، الدخل القومي «

من مؤلفاته باللغة الفرنسية :

- 1 - الصناعة الثقيلة في مصر - 1961
 - 2 - العلاقة المتبادلة بين القطاع العام والقطاع الخاص في الدول النامية - 1969
- كما أن له العديد من المقالات والبحوث العلمية الأخرى المنشورة في مختلف المجلات العربية .

3 - تاريخ الفكر السياسي (الجزء الأول) 1971

4 - التنمية الاقتصادية بين الأصالة والتقليد 1972

5 - معجم المصطلحات الاقتصادية (تحت الطبع) وهو معجم يتناول ترجمة جميع المصطلحات الاقتصادية والمصطلحات ذات الصلة بالعلوم الاقتصادية من الفرنسية والانجليزية الى العربية ، بتكليف من المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي .



الدكتور إبراهيم السعيد السعيد

من مواليد مدينة العمارة (العراق) سنة 1923
اتم دراسته الابتدائية والثانوية والجامعية في
بلاده العراق ، ثم أحرز على دكتوراه الدولة من
كلية السوربون بباريس في اللغات السامية
1956 .

- التطور اللغوي التاريخي
- انثناس ماري الكرملّي وآراؤه اللغوية
- من تحقيقاته :
- نزهة الالباء في طبقات الالباء لابن الانباري
- رسائل في اللغة
- المتشابه للتعاليبي
- الامكنة والمياه والجبال للزمخشري
- الى جانب العديد من الدراسات القيمة المنشورة
في مختلف المجلات العلمية العربية .

- يجيد اللغات السامية القديمة كالارامية والعبرية
والحبشية كما يجيد من اللغات الحديثة الفرنسية
والانجليزية .

- عين مدرسا في كلية الآداب ببغداد سنة 1956 ثم
استاذا مساعدا عام 1960 ثم استاذا سنة 1965

من مؤلفاته :

- دراسات في اللغة
- الاعلام
- لغة الشعر بين جبلين



الأستاذ إبراهيم السعيد السعيد

- هو نجل الموسيقار السوري المعروف علي
مصري الدرويش
- درس الموسيقى باشراف والده .
- لحن حوالي خمسين أغنية مدرسية ونشيد جمعت
فيما بعد في كتاب بعنوان (اغاني الطفولة)
- تابع دراسته الموسيقية العليا بالقاهرة
- عمل مدرسا للموسيقى العربية في حلب

- ثم اختير ليكون منتشاً اختصاصياً للتربية الموسيقية في المنطقة الشمالية والشرقية من سورية وهو يشغلها حتى الآن .
- عضو في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم بدمشق .
- كتب العديد من المقالات الفنية في مختلف الصحف والمجلات والتي الكثير من المحاضرات المتعلقة بأمور الموسيقى والمسرح منها :
- التربية الموسيقية كوسيلة في التعليم العام .
- حلب ومكانتها في الموسيقى — من تاريخ الموسيقى
- الموسيقى والمسرح المدرسي في سورية — وثائقياً وتاريخياً ... الخ .
- تأثر بموسيقى وأعمال مؤلفي التراث العربي القديم ، كالموشحات والنويات الأندلسية الأصلية والمأخوذ معظمها من تونس والمغرب والجزائر، كما تأثر بأعمال مؤلفي الموسيقى الغربية الحديثة من الكلاسيكيين والرومانسيين ...



أبو الفاسم محمد كرو

- ولد بمدينة قنصة (تونس) 1 - 7 - 1924
- تلقى تعليمه الابتدائي بها ، والثانوي في الزيتونة بتونس ، ثم في معهد حر بالقاهرة .
- وأحرز على الليسانس في الآداب العربية من «دار المعلمين العالية ببغداد بعد ذلك» .
- كتب للاذاعة والصحف والمجلات العربية مئات المقالات والأحاديث عن كفاح المغرب العربي
- انتخب عضوا مراسلا لجمع اللغة العربية بالقاهرة (يناير 1970)
- أسس سلسلة كتب شهرية ، صدر منها 31 كتابا ومجلة « الثقافة » « وأعلام المغرب العربي » « ومكتبة الشباب » و « وثائق قومية »
- من مؤلفاته :
- « ماي شهر الدماء والدموع في المغرب العربي »
- الشبابي حياته وشعره (أول كتاب مستقل صدر عن الشبابي)
- كفاح الشبابي أو الشعب والوطنية في شعره
- « حصاد القلم »
- « كفاح وحب »
- « نداء للعمل »
- « العرب وابن خلدون »
- « صوت الجزائر »
- « الطاهر الحداد »
- « حديث رمضان »
- « شخصيات أدبية من المشرق والمغرب »
- التي نشرت في مجلات عربية مختلفة



الدكتور إبراهيم الحجاج

— ولد بعين غزال (منطقة حيفا) فلسطين ، في
— 2 — 12 — 1920 .

— انهى تعليمه الثانوي في القدس

— حاصل على الليسانس والماجستير والدكتوراه من
— جامعة القاهرة في الآداب

— عمل مدرسا في جامعة الخرطوم ، ثم في الجامعة
— الامريكية ببيروت وما يزال بها حتى اليوم .

— اشرف على اصدار سلسلة من الكتب تتصل بالحياة
— العلمية والادبية في الاندلس باسم (المكتبة
— الاندلسية)

— يجيد اللغة الانجليزية

— تاربت كتبه الخمسين كتابا ما بين مؤلف ومحقق
— ومترجم منها :

— « الحسن البصري »

— « عبد الوهاب البياتي »

— « فن الشعر »

— « فن السيرة »

— « العرب في صقلية »

— تاريخ الادب الاندلسي جزءان

— بدر شاکر السياب

— تاريخ النقد الادبي عند العرب

ومن كتبه المحققة :

— خريدة القصد للعماد الاصفهاني جزءان بالاشتراك
— مع الاستاذين شوقي ضيف والرحوم احمد امين

— رسائل ابن حزم الاندلسي

— فصل المقال في شرح كتاب الأمثال بالاشتراك مع
— الدكتور عبد المجيد عابدين .

— ديوان ابن حمديس الصقلي .. الخ

ومن كتبه المترجمة :

— كتاب الشعر لارسطو

— النقد الادبي ومدارسه الحديثة

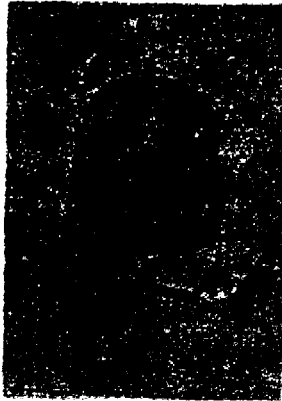
— ارنست همنغواي

— فلسفة الحضارة او مقال في الانسان

— بقطة العرب

— ت.س. اليوت .. الخ

— كما ان له عدیدا من البحوث والمقالات المنشورة
— في مصادر مختلفة كلها تبحث في مختلف جوانب الفكر
— والحضارة والادب .



الدكتور الساهر الحاج المديني

— من مواليد مدينة فاس عام 1913

— حصل على شهادة العالمية سنة 1942 من جامعة
— القرويين

— اشتغل بالتدريس في المدارس الحرة

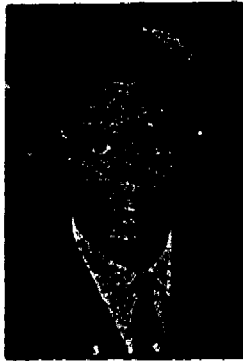
— وبعد اجتياز مباراة علمية أجرتها ادارة جامع
— القرويين ، عين مدرسا بها .

- شارك في الحركة الوطنية ابان ظهورها ، حيث سجن من طرف السلطات الاستعمارية عدة مرات .
- وعين — بعد ذلك — مراتبا علما ، ونائب مدير جامعة القرويين في شؤون البرامج العامة والاختبارات .
- ثم تولى اثر عودة المغفور له — محمد الخامس طيب الله ثراه — من منفاه ، رئاسة قسم التعليم العالي الاسلامي التابع لوزارة التربية الوطنية حيث قام فيه بأعمال جليلة رفعت من مستواه ووسعت من اختصاصاته .
- يشغل — حاليا — منصب نائب عميد كلية الشريعة بجامع القرويين
- استدعي من طرف المجلس الأعلى بالقاهرة . في اول مؤتمر عقده مجلس البحوث الاسلامية عام 1964 ممثلا لبلاده بجانب الأمين العام لرابطة علماء المغرب الاستاذ العلامة عبد الله كنون .
- له عدة مقالات ضافية في مختلف مجالات المعرفة، كما أن له تصانيد ثمتى في مختلف المواضيع الدينية والاجتماعية وغيرها .



الأستاذ أحمد الأخضر غزال

- ولد بمدينة فاس في 17 أكتوبر عام 1917
- اتم دراسته الابتدائية والثانوية بالمغرب ، والجامعية بالسوربون بباريس وبها أحرز على درجة الدكتوراه في التبريز في اللغة العربية وآدابها
- يجيد البربرية والفرنسية واللاتينية واليونانية
- متأثر بعلماء العربية القدامى وعلماء اللسانيات المعاصرين .
- يعمل حاليا مديرا لمعهد الدراسات والأبحاث المغربي للتعريب بالرباط .
- له عدة مقالات حول مشاكل الطباعة العربية ، والتعريب والمصطلحات ، ومناقشات لغوية وترجمات لدروس جامعية علمية مختلفة في العديد من المجالات العربية والفرنسية
- وعمله في تطوير الحرف الطباعي العربي أصبح معترفا به في المغرب العربي وبعض البلاد العربية الأخرى .



الأستاذ محمد عبد الرحيم السعيد

- ولد عام 1937 م بصعيد مصر .
- التحق بالأزهر وحصل فيه على الاجازة العالية ، من كلية أصول الدين ، قسم عقيدة وفلسفة .
- ثم حصل بعد ذلك على دبلوم معهد التربية العالي من كلية التربية ، ودبلوم الدراسات العليا من جامعة الأزهر .

- يجيد الانجليزية والأوردية
- متأثر بدراسته الأزهرية . أما تأثيره في غيره فقد كان كبيرا على أسرته وتبيلته خصوصا في تخفيف حدة الأخذ بالنار .
- **من مؤلفاته :**
- العربية لغة وضوح وفكر
- فلسفة البرجماتزم
- دراسات حول اللغة العربية
- من وحي الإسلام
- كما يواظب على نشر العديد من البحوث والمقالات في كثير من مجلات العالم الإسلامي في مختلف الميادين الفكرية واللغوية والحضارية وغيرها .



الدكتور أحمد محمد الخوفي

- حاصل على دكتوراه في الأدب العربي من جامعة القاهرة
- يشغل استاذ كرسي الأدب العربي ورئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .
- كما يشغل رئيس لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة .
- عضو لجنة الخبراء
- عضو المجمع اللغوي بالقاهرة .
- **من مؤلفاته :**
- 1 — وطنية شوقي
- 2 — الإسلام في شعر شوقي
- 3 — النسب في شعر شوقي
- 4 — ادب السياسة في العصر الأموي
- 5 — أبو حيان التوحيدي
- 6 — المرأة في الشعر الجاهلي
- 7 — اغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي
- 8 — الحياة العربية في الشعر الجاهلي
- 9 — كما أن له كتابا عن الطبري ، الجاحظ ، الزمخشري اتسمت جميعها بعمق الدراسة وسعة النظر .



الأستاذ إدريس الخطابي

- هو نجل الزعيم المرحوم محمد عبد الكريم الخطابي
- من مواليد جزيرة الريونيون (حيث كان والده منفيا مع أسرته) في 1926 .
- اتم تعليمه الأول في الريونيون نفسها ، غير أنه تعلم مبادئ القراءة والكتابة على يدي والده ، كما هو الشأن مع بقية أخوانه ، إذ كانت المدرسة الوحيدة بالجزيرة فرنسية .
- وفي القاهرة واصل دراسته العليا على أيدي شيوخ جامعة الأزهر الشريف .

العرب ، أما من الاجانب فمقد تأثر بليسنج الألماني .

— ترجم عدة كتب عن تاريخ المغرب .

— كما انه مترجم كتاب : « مستقبل العالم بالارقام » لمؤلفه فلهم فوكس ، وهو كتاب علمي يبحث في الناحية الاقتصادية والاجتماعية والديمقراطية في العالم .

— من مترجماته كذلك ، كتاب عن « آثار الاحتلال الفرنسي للمغرب » وكتاب آخر عن الفرنسية تحت عنوان : « في علم الاجتماع الحديث » .

بالاضافة الى العديد من المقالات المترجمة الأخرى والمنشورة في مجلات مختلفة .

— ثم سافر الى المانيا لمتابع تعليمه هناك حيث التحق بقسم تاريخ الأدب الألماني ، بجامعة ميونيخ

— يجيد الفرنسية والالمانية والانجليزية

— عمل مدرسا للغة الفرنسية في القاهرة

— كما كان بمثابة المترجم الصحفي الخاص لوالده حيث كان يترجم له كل ما يرد عليه من مقالات ومراسلات او يحررها له للصحفيين الاجانب الذين يقدون عليه .

— لقد تأثر الأستاذ ادريس بوالده تأثرا شديدا ، كشخصية فذة بصفة عامة ، كما انه كان لعبد الادب العربي الدكتور طه حسين اثر فيه من



الأستاذ إدريس الكناني

— ولد بدمشق أواخر سنة 1922 .

— تلقى تعليمه الأول بدمشق نفسها ، والثانوي بالقرويين بفاس .

— وفي سنة 1942 نال منها شهادة الدراسات العليا « العالمية »

— سافر بعد استقلال المغرب الى باريس ليلتحق بمدرسة العلوم الاجتماعية والسياسية بجامعة لوزان ، ثم بجامعة لانال بكندا حيث حصل من هذه الأخيرة على بكالوريوس في العلوم الاجتماعية .

— يقوم بتدريس مادة تخصصه بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة محمد الخامس بالرباط

— عمل مديرا للتعليم الاسلامي والحر .

— كما حصل بعد ذلك على شهادتي الدراسات العليا لعلم الاجتماع ، في علم الاجرام ، والدراسات الاسلامية والانثربولوجيا الثقافية .

من مؤلفاته :

1 — المغرب المسلم ضد اللادينية

2 — انحراف الأحداث في المغرب

3 — الامثال المغربية — دراسة اجتماعية لغوية

4 — دراسات عن المجتمع المغربي

5 — تطور الفكر الاجتماعي عند المرأة المغربية المتعلمة الخ ...



الدكتور نور بكير

- ولد في 13 نيسان (أبريل) سنة 1914 في مدينة يبرود (سورية)
- تلقى مبادئ العلم في مدرستها الابتدائية
- هاجر الى البرازيل برفقة والده سنة 1925 ، ثم انتقل الى الأرجنتين جاعلا منها مغتربه الدائم
- يجيد اللغات العربية والاسبانية والفرنسية والبرتغالية
- تولى رئاسة تحرير « الجريدة السورية اللبنانية » في بوينس آيرس عشرة أعوام
- أصدر مجلة « المناهل » الشهرية في بوينس آيرس كذلك
- أصدر في دمشق مجلة « الفنون »
- هو أول اديب اهدته اول حكومة وطنية سورية وسام الاستحقاق السوري سنة 1937 .

ومن قصصه :

- على ضفاف بردى
- لصوص الشرف
- في سبيل الحرية
- من مناهل الحياة
- في مهب الريح
- دولة المجانين .. الخ .

من مؤلفاته :

الى جانب العديد من البحوث والدراسات والمقالات القيمة في مختلف الجوانب الفكرية والانسانية التي تحفل بها عشرات المجلات والصحف العربية كما انه كتب باللغة الاسبانية بحثا مماثلة عرف فيها بالفكر العربي .

- الايلاك الشائكة — شعر
- العبرات الملتهبة — شعر
- على مذبح الوطنية — شعر
- ادب المغتربين — دراسات ادبية



الدكتور أنور بكير

- ولد بدمشق 1914/11/24
- حاصل على ليسانس في الحقوق من باريس ، وعلى معادلة في القوانين المصرية ، ثم الدكتوراه في الحقوق من جامعة القاهرة
- يجيد : الفرنسية والانجليزية
- عضو في جمعية الاقتصاد السياسي
- عضو في جمعية القانون الدولي
- رئيس لجنة صياغة وثائق الاتحاد البريدي العالمي منذ 1952
- امين عام المعهد العالي العربي للبريد
- امين عام الاتحاد البريدي العربي .

من مؤلفاته :

- مراقبة الصرف
- تنسيق طرق المواصلات
- انظمة بريدية مقارنة
- الاتحاد البريدي العربي



الأستاذ أنور الجبيري

- من مواليد ديروط بالوجه القبلي بمصر عام 1335هـ
- نشأ في احضان المخطوطات والتراث وحلقات الذكر ومجالس القرآن الكريم
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
- مؤلف الموسوعة الإسلامية العربية التي بلغت مجلداتها حتى الآن (21 مجلدا)
- وبالرغم من اتجاهه الى التعليم المدني فقد ظل متصلاً بالأدب والفكر الإسلامي حتى بعد حصوله على دبلوم الدراسات التجارية العالية .
- له عدد آخر من الاجازات في الصحافة واللغة الانجليزية وأعمال المصارف .
- عمل (بينك مصر) ولكنه لم يلبث ان تركه متجها الى الصحافة والأدب .
- من مؤلفاته :
- « تاريخ الأدب العربي كوحدة متكاملة » (من المغرب الى العراق)
- « تراجم وافية لاعلام العرب والمسلمين في العصر الحديث » شملت هذه الدراسات اعلاما من كل أنحاء العالم العربي .
- « صورة العصر وملامح المجتمع » ومن أعماله الفكرية :
- موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر (19 مجلدا)
- الموسوعة الإسلامية العربية (21 مجلدا)
- تراجم الاعلام المعاصرين .



المهندس أنيس شباط

- من مواليد دمشق 1912
- تلقى تعليمه الأول في دمشق والعالي ببيروت
- حاصل على دبلوم مهندس مدني من كلية الهندسة العليا في بيروت
- يجيد العربية والفرنسية والانكليزية
- كان لغوستافلوبون الأثر الكبير عليه في دراساته عن مدينة العرب
- شغل منصب رئيس اللجنة الدائمة للمواصلات لدى جامعة الدول العربية ، وهو يعمل الآن أستاذا في كلية الهندسة العليا في بيروت ، كما تقلب في عدة وظائف حكومية في وزارتي الأشغال والمواصلات
- وهو عضو المجلس الأعلى للعلوم في سورية منذ تأسيسه عام 1959 حتى عام 1963 .
- كما أنه عضو الجمعية اللبنانية لتقدم العلوم منذ عام 1969
- حامل ثمانية أوسمة من رتبة كومانيدوز من مختلف البلاد العربية .
- من مؤلفاته :
- « من رسالة الطرق الى القاموس التقني للطرق » نشره المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط عام 1971 .



الدكتور جعفر الخليلي

— ولد في النجف عام 1322 هـ (1904 م) في بيت علم وأدب ودين وطلب .

— انتمى الى المدرسة العلوية

— ساهم بفكره وروحه في الحركات الوطنية ضد الاحتلال الانجليزي .

— امتحن التعليم عشرة اعوام

— أصدر عدة صحف منها :

— جريدة : « الفجر الصادق »

— جريدة : « الراعي »

— جريدة « الهاتف »

— من مؤلفاته القصصية :

— « الضائع »

— « في قرى الجن »

— « من فوق الرابية »

— « اعترافات »

— ومن مؤلفاته الأخرى :

— يوميات (جزآن)

— كنت معهم في السجن

— القصة العراقية قديما وحديثا

— هكذا عرفتهم (جزآن)

— أسهم في تأليف « موسوعة العتبات المقدسة » مع عدد من أساتذة جامعة بغداد ، وصدر منها حتى الآن 12 دراسة

— وقد نال الأب توماس هامل درجة الدكتوراه من جامعة مشيغن عن الخليي وأعماله .



الدكتور جعفر الكتشياني

— ولد بفاس 29 — 12 — 1931

— تعلم في مدارسها الابتدائية ، ثم التحق بالقرابين ثم بغداد فالقاهرة

— يعمل استاذا للأدب العربي بجامعة محمد الخامس بالرباط

— حاصل على دكتوراه في الدراسات العربية والاسلامية من السوربون

— من مؤلفاته :

— « طفو ورسوب »

— « الم وأمل »

— « الأشواط »

— « ايليا أبو ماضي »

— مواقف (الادب العربي — جزآن)

— تحقيق كتاب حلية المحاضرة في صناعة الشعر لأبي علي الحاتمي

— شخصية الحاتمي ونظريته النقدية

— الى جانب العديد من المقالات والبحوث الأخرى المنشورة في مختلف المجلات العربية



من مؤلفاته — الشعر :

— ديوان ثورة العاطفة 4 اجزاء

— عبق

— الاصيل

من قصصه :

— امرأة مأكرة

— في سبيل الرغبة

— أمام بعلبك ..

من مسرحياته :

— الخنساء

— الهوى السحيق (مسرحية شعرية) .. الخ .

الى جانب العديد من البحوث الادبية والتاريخية
والنقدية الأخرى .



— عمل في الاذاعة العربية بالقاهرة ثم انخرط في
سلك التدريس حيث يشغل الآن منصب استاذ
كرسي الأدب المصري في المعهد الاسلامي .

للأستاذ نواف حنا حسي

— من مواليد محافظة طرطوس بسوريا عام 1921م

— يحمل اهلية التعليم ، والآداب .

— يتقن العربية والانجليزية ولم بالاسبانية .

— متأثر بشعراء العصر العباسي ، وبالبحثري
خاصة ، وبأفكار المعري ، وفلسفة ابن سينا
والفارابي .

— ان المذهب الابداعي الذي تجلى في شعره ترك
أثرا ظاهرا في الكثيرين من تلامذته وزملائه
الشعراء الشباب ، أشار الى خصائص هذا
التأثير بشكل موسع الناقد حبيب بهلول في كتابه:
« حامد حسن والاتجاهات الأدبية الجديدة في شعره »

— اصدر مع زميله المرحوم وجيه محي الدين مجلة
« النهضة »

— عمل مدرسا للغة العربية وآدابها

— في عام 1958 عين عضوا في لجنة الشعر في
المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب
واعيد انتخابه مرارا ولم يزل بها حتى الآن .

الدكتور حسين محمد نصار

— ولد بمدينة اسيوط بصعيد مصر في 25
اكتوبر 1925

— اتم تعليمه الاول في اسيوط

— ثم من جامعة القاهرة حصل على الليسانس في
الآداب العربية ثم الماجستير فالدكتوراه .

— يجيد الانجليزية والفرنسية والالمانية ، واللاتينية
والفارسية والتركية

- من مؤلفاته :
- معجم آيات القرآن
- المختار من كتاب الكامل للمبرد
- الشعر الشعبي العربي
- الطبيعة والشاعر العربي
- الثورات المصرية في العهد الاسلامي
- من تحقيقاته :
- ديوان سراقفة البارقي
- رحلة ابن جبير
- ديوان عبيد بن ابرص
- ديوان جميل بثينة
- المحكم لابن سيده
- المغازي الاولى ومؤلفوها لهوروفتس
- من مترجماته :
- المغازي الاولى ومؤلفوها لهورفانس
- الموسيقى والغناء في الف ليلة وليلة لفارمر
- تاريخ الموسيقى العربية لفارمر
- مصادر الموسيقى العربية لفارمر
- ابن الرومي لجست .
- بالاضافة الى العديد من المقالات التي تبحث في مختلف جوانب الفكر واللغة والادب والمنشورة في كثير من المجلات العربية .



الأستاذ خليل الهنداوي

- من مواليد صيدا لبنان عام 1906 م
- ونها تلقى تعليمه الاول
- عضو اتحاد الكتاب العرب — فرع حلب
- يجيد الفرنسية
- متأثر بكتاب « نهج البلاغة » الذي استظهره، ويشعر فحول العرب ، وبمدرسة العقاد وميخائيل نعيمة في النقد ، ومن ادباء الغرب وفلاسفته نيتشه ، وشكسبير ، وغوركسي ، ودوستويفسكي وغي دي موباسان ..
- درس الادب العربي في المدارس الثانوية (بسوريا) كل حياته العلمية تقريبا
- من مؤلفاته :
- حقل القصة :
- صفحة من حياة باريس
- ارم ذات العماد
- الحب الاول
- دمة صلاح الدين
- تجديد رسالة الغفران لابي العلاء
- في المسرحية :
- سارق النار
- هاروت وماروت
- زهرة البركان ... الخ
- الى جانب كثير من الدراسات المختلفة التي تبحث في مختلف جوانب الفكر العربي والانساني

الدكتور شاد رزغوث



- من مواليد صيدا (لبنان) عام 1917
- درس التربية في دار المعلمين العليا في بيروت ونال إجازتها ، ثم إجازة الحقوق ، وتخصص في الآداب والعلوم الانسانية ، وحصل على الدكتوراه بهذا الفرع
- مارس التدريس والعمل الدبلوماسي
- يجيد الفرنسية والانجليزية
- كان للقرآن الكريم ، وللانجيل اثر كبير في تكوين ذوقه الأدبي ، وكذلك شعر المتنبي واحمد شوقي « ونفي دي موبلسان »
- نال عدة أوسمة من جهات مختلفة
- من مؤلفاته :
- الى جانب عدد ضخم من الكتب المدرسية له :
- خطيئة الشيخ (رواية)
- الحاج بحبح (مجموعة قصص)
- حمامة الوادي (مجموعة قصص)
- على درب الحياة (مجموعة قصص)
- صراع (مسرحية)
- البيروني (مسرحية)
- « شعري » (مجموعة قصائد)
- تيسير اللغة العربية — بحث لغوي .. الخ .



الدكتور ساف رزق بن زاهد العيززي

- ولد بمدينة (مادبا) من أعمال الأردن
- تلقى تعليمه الاول في مسقط رأسه ثم حصل على دبلوم الصحافة من القاهرة
- يجيد الانجليزية والفرنسية والتركية
- متأثر بابن خلدون وبالامام علي بن ابي طالب ، والمتنبي وابي العلاء والاب أنستاس ماري الكرملسي
- من المناصب التي شغلها :
- المدير العام لشركات العيززي
- ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان في الأردن
- عضو مراسل لمركز الأبحاث التكنولوجية في باريس
- عضو رابطة الأدب الحديث — بالقاهرة
- كما أنه عضو في عدة لجان او مجالس أخرى
- المهمل في تاريخ الادب العربي (3 اجزاء)
- الزنابق « مختارات من الشعر والنثر » (7 اجزاء)
- الخلاصة التاريخية ، تاريخ العرب والمسلمين (جزآن)
- ازاهير الصحراء (مجموعة قصص)
- شاعر الانسانية (دراسة للشاعر الدكتور احمد زكي أبو شادي)
- تطور حقوق الانسان ... الخ
- الى جانب العديد من المؤلفات المخطوطة الأخرى والبحوث المختلفة المنشورة في المجلات العربية .



الدكتور سامي عياد همتا

— ولد في 3 أكتوبر 1929 .

— حاصل على الماجستير في الانسانيات من جامعة كولومبيا — نيويورك

— وعلى الدكتوراه في فلسفة دراسات الشرق الاوسط — جامعة يوتا

— يجيد الانجليزية والفرنسية والاطالية

— عمل مدرسا للغة العربية في جامعة يوتا

— وهو اول من اضاف الى برامج اللغة العربية عدة دراسات خاصة بالمغرب العربي

من مؤلفاته :

- 1 - Issues University Education.
 - 2 - Al Afghani.
 - 3 - Arab Socialism.
 - 4 - European influence on modern Egyptian Literature.
 - 5 - The Mawoval in Egyptian Folklore.
- وغيرها من الكتب والبحوث القيمة التي تناول مختلف ميادين الفكر واللغة والأدب .

الأستاذ سامي الكيالي

— « الفكر العربي بين ماضيه وحاضره »

— « الراحلون »

— « أنواء وأضواء »

— « المرأة هذا اللغز الأبدى »

— « مع طه حسين » (الجزء الاول والثاني)

— « ولي الدين يكن »

— « الادب المعاصر في سورية »

— « النفس الإنسانية في أدب الجاحظ »

— « من خيوط الحياة »

وغيرها من الكتب الأخرى التي قاربت الثلاثين كتابا ، الى جانب مئات من المقالات والأحاديث نشرت في المجلات والصحف العربية

توفي — رحمه الله — مساء الخميس 17/2/1972

— ولد الأستاذ سامي الكيالي في مدينة حلب عام 1898 م .

— تقلد عدة مناصب فكان مديرا لدار الكتب الوطنية، ومديرا للمركز الثقافي العربي بحلب ، كما كان

— عضوا في اللجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية ، وعضوا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاجتماعية في مصر وسورية ، وعضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة .

— أصدر مجلة « الحديث » عام 1927 وبقيت حتى عام 1960 ، ولقد كانت هذه المجلة « مرآة للحياة الفكرية المتجددة خلال هذه الفترة »

من مؤلفاته :

— «نظرات في التاريخ والنقد والأدب» ، وهو باكورة إنتاجه

— « شهر في أوروبا » انطباعات ذاتية عن رحلة الى الغرب



الأستاذ سعيد الديوهجي

— ولد بالموصل سنة 1912 ، وبها اكمل دراسته الابتدائية والثانوية ثم التحق بدار المعلمين العليا ببغداد

— عمل مدرسا ثم مفتشا لمعارف الموصل ثم نقل الى متحف الموصل حيث عين مديرا وبقي به حتى احيل على التقاعد عام 1968

— وفي سنة 1965 انتخب عضوا للمجمع العلمي العراقي

من مؤلفاته :

— الفتوى في الاسلام

— الامير خالد بن يزيد

— بيت الحكمة

— اشعار الترتيمس عند العرب

— ملحمة الموصل للشيخ فتح الله القادري

— دور العلاج والرعاية في الاسلام .. الخ

— بالاضافة الى عشرات البحوث والمقالات المنشورة في كبريات المجلات العربية او التي اذيعت من اذاعات مختلفة .



الأستاذة سعاد الحفار الكزبري

— ولدت في دمشق في 1 مايو 1923 ، والدها السيد لطفي الحفار كان من اوائل الوطنيين المناضلين في سورية ورأس الحكومة مرارا

— زوجها السفير الدكتور نادر الكزبري

— تلقت تعليمها الثانوي في معهد راهبسات الفرنسيسكان .

— تجيد : الفرنسية والاسبانية والانجليزية

— متأثرة بالكتاب والشعراء امثال : الجاحظ ، المنفلوطي ، طه حسين ، فرلين ، بودلير ، ستيفان سفاج ، اندريه موروا ، غارسيا لوركا

من مؤلفاتها :

— يوميات هالة

— حرمان (قصص قصيرة)

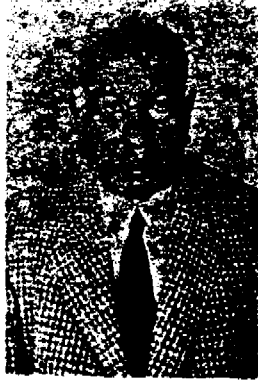
— زوايا (قصص قصيرة)

— الوردة المنفردة (شعر بالفرنسية)

— عينان من اشبيلية (رواية)

— عبير الامس (شعر بالفرنسية)

— بالاضافة الى كثير من المقالات والقصص والاحاديث المنشورة في مختلف المجلات العربية او المذاعة من اذاعات عربية مختلفة .



من مؤلفاته :

- المتنبّي
- الجاحظ
- العناصر النفسية في سياسة العرب
- بين البحر والمحراء
- أبو الفرج الأصبهاني
- أنا والشعر
- أنا والنثر ... الخ
- الى جانب العديد من المقالات المنشورة في مختلف المجلات والصحف العربية . وهو من شعراء سوريا الكبار .

الدكتور توفيق شكري

- من مواليد دمشق في 14 شعبان سنة 1314 هجرية
- تلقى تعليمه الأول في مدرسة فرنسية بدمشق
- وفي عام 1913 حصل على الشهادة الثانوية ولم يحصل بعدها على غيرها من الشهادات لكن عبقريته رفعتة فوق أصحاب الشهادات
- تأثر بابن المتفح والجاحظ من الكتاب وبالمتنبّي من الشعراء
- عين رئيساً لديوان المعارف ثم عميداً لكلية الآداب في الجامعة السورية ، وقد أحيل على التقاعد فاختر العزلة في مدينة بلودان من مصطافات دمشق
- وقد انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1926 ، وعضواً مراسلاً في كل من مجمع القاهرة ومجمع بغداد



الدكتور طه حسين

- من مواليد عزبة الكيلو في 14 نوفمبر 1889 ، ونشأ بمدينة مغاغة من أعمال محافظة المنيا بصعيد مصر
- في سنة 1902 التحق بالأزهر ثم انتقل الى الجامعة الأهلية سنة 1908 ومنها حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي وكانت أول درجة دكتوراه تمنحها هذه الجامعة سنة 1914
- سافر بعد ذلك الى فرنسا في بعثة على نفقة الجامعة المصرية ، ومن السوريين حصل على درجة الليسانس في الآداب سنة 1917 ، ثم الدكتوراه في يناير سنة 1918 وكانت عن فلسفة ابن خلدون .
- فضلا عما حصل عليه من دكتوراه فخرية من جامعات ليون ، مونبليه ، روما ، باليرمو ، أثينا ، مدريد ، غرناطة ، أكسفورد .
- يجيد الفرنسية واللاتينية واليونانية
- متأثر بقدماء العرب من الأدباء والعلماء وخاصة الجاحظ وأبي العلاء .

- اما تأثيره في غيره فهو موضوع يحتاج الى دراسات طويلة وابحاث واسعة لان اثر طه حسين لم يكن محصورا في فرد او افراد بل شمل عصرا بأكمله وهناك المئات من تلاميذ تلامذته يشهدون له بهذا الفضل والتأثير ، ومنذ كتب بحثه المشهور عن « الأدب الجاهلي » اتخذت الدراسات العربية النقدية المعاصرة مجرى جديدا سرى فيها نهج طه حسين الذي يقوم على الشك والتحيز وعدم قبول كل ما رواه الرواة القدامى .
- يعد طه حسين مدرسة قائمة بنفسها في هذا الصدد وقد كان له كثير من الفضل في خلق جيل جديد تتلمذ على يديه لا في مصر وحدها بل في اطراف العالم العربي كله .
- لذا فقد عد طه حسين ظاهرة فريدة من نوعها في الادب العربي المعاصر في دراساته النقدية والتاريخية على وجه الخصوص .
- له عشرات المؤلفات في مجالات الفكر والحضارة والتاريخ والادب واللغة والرواية .. الخ ، وقد ترجمت معظمها الى عشرات اللغات الأجنبية .
- ولسنا بحاجة في هذا التعريف السريع أن نعدد مؤلفات طه حسين لأن ذلك سيكون ضربا من اللغو والعبث فهي أشهر من أن تعرف على اختلاف موضوعاتها واتجاهاتها .



الشيخ طه حسين

- ولد بطرابلس الشام عام 1921 م
- تلقى تعليمه الأول في بيروت في المدارس العربية ثم في مدرسة « اللايك » الفرنسية .
- وبعد حصوله على « الثانوية الشرعية » انتقل الى مصر حيث التحق بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف وتخرج منها كما أحرز على ليسانس في الحقوق من جامعة القاهرة كذلك .
- كان له اسهام في مقاومة المحتلين فسجن وعذب وجرح مرارا .
- وكما ساهم في الحقل السياسي والوطني كانت له خدمات جلى في خدمة الاسلام والمسلمين عن طريق الكتابة والتأليف .
- شارك في عدة احزاب سياسية للمناضلة ضد المستعمرين سرا وجهرا ، كما أسس كثيرا من الجمعيات
- تدرج في عدة وظائف حكومية وهو الآن المستشار لسفارة تشاد ببيروت
- نال عدة اوسمة من مختلف الجهات
- من مؤلفاته :
 - المجاهد العربي الكبير محمد علي الطاهر
 - الاسلام والمسلمون في تشاد
 - عبد الرحمن الأوزاعي
 - جمهورية تشاد
 - بيروت بقلم الرحالين الاجانب ... الخ
- الى جانب العديد من المقالات والبحوث المنشورة في كثير من الصحف والمجلات العربية في مختلف المجالات الفكرية والاسلامية والحضارية

الدكتور عبا سس الجبراري



من مؤلفاته :

- الرجل المغربي (القصيدة)
- من وحي التراث
- الحرية والأدب
- الثقافة في معركة التغيير

— ولد بالرباط في 15 فبراير 1937

— تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في المغرب

— ثم رحل الى مصر فأنتم دراسته الجامعية بكلية آداب القاهرة حيث أحرز على الدكتوراه في الأدب العربي عام 1969

— يجيد الفرنسية

— عمل في المسلك الدبلوماسي ثم اختير أستاذا للتعليم العالي

— متخصص في الأدب العربي والمغربي منه خاصة.

— له اهتمام خاص بالدراسات المغربية الشعبية منها .

الأستاذ عبد الحق فاضل

— من مواليد بغداد من أسرة موصلية عام 1915 تلقى تعليمه الأول في الموصل ، ثم الثانوي والحقوق في بغداد .

— عمل محاميا بالموصل ، حيث كان يصدر مجلة « المجلة » وهي أدبية ثقافية عامة .

— وفي عام 1940 دخل الخدمة الخارجية ، ثم أصبح عام 1959 وكيلا لوزارة الخارجية ، ثم في عام 1960 سفيرا لبلاده في الصين ، ثم تفرغ للدرس والكتابة منذ عام 1963 .

— يجيد : الانكليزية ، والفارسية ، ولغات أخرى .

— وضعه الأستاذ الفاتد عبد الإلاه أحمد في كتابه عن القصة العراقية — في قمة اكتمال نضج القصة العراقية قبل الستينات .

من مؤلفاته :

- ♦ مجندنان — طبعتان 1958/1939 .



- ♦ مزاح وما اشبه (مجموعة قصصية) (1940)
- ♦ حائرون (مجموعة قصصية) (1958)
- ♦ (ترجم المستشرق الاسباني كوميذ بعض قصص المجموعة الى اللغة الاسبانية)
- ♦ طواغيت (مجموعة قصصية) (1958)
- ♦ ثورة الخيام (طبعتان 1952 و 1968) (وهو دراسة عن الخيام ورباعياته ، ثم ترجمة شعرية أمينة للرباعيات ولقد ترجمت الرباعيات عن هذا الكتاب مباشرة طبقا لتصنيفها فيه. الى الاسبانية وطبعتم في

وثانيها : وضع ما اسماه بعلم «الترسييس» اللغوي الذي يرجع بالكلمة الى رسها الاول منذ نطق بها اول انسان ، وبذلك أهكن اثبات علم « نشوء اللغة » وارسائه على قواعد علمية .

ثالثها : اكتشاف حقائق تاريخية مجهولة سبقت عهود التدوين ، وقد نشر نماذج من هذه الدراسات في أعداد من مجلة « اللسان العربي » تحت العنوان العام : (تاريخهم من لغتهم)

هو الذي رأى — (ملحم تلتقيش) (1972) وهي ملحة بابلية كتبت منذ 4000 عام

يوليوس قيصر

في كتاب مع خلاصة من الدراسة من قبل جامعة قرطبة بالارجنتين)

4 نساء و 3 ضفادع (مسرحية) (1969) نقل المؤلف في هذه المسرحية انسان اليوم الى القرن الثلاثين ، وجعله يلتفت خلفه ليرى نفسه من مسافة الف سنة بعد تجريده من المؤثرات التي تززع صحة حكمه على الاشياء المحيطة به والمشتبكة بمصالحه وعقده ، وهي مسرحية رائدة في فنها .

مغامرات لغوية ، وهو كتاب فريد من بابته انتهى فيه الى ثلاث نظريات أساسية أولها: أن العربية هي أم اللغات الأريسة ، لا الحامية والسامية فقط .

الدكتور عبد الحكيم منتصر

— من مواليد مركز فاريكور بمصر

— تخرج في الجامعات المصرية ودرس في جامعة لندن بإنجلترا وجامعة جنيف بسويسرا حيث أحرز بالتوالي على البكالوريوس الماجستير والدكتوراه في العلوم

— يجيد الانجليزية

— وهو عضو الأكاديمية المصرية للعلوم

— عضو مجمع اللغة العربية

— رئيس تحرير مجلة رسالة العلم

— وهو الأمين العام للاتحاد العلمي العربي

— والأمين العام للاتحاد العلمي المصري .

— كما هو عضو في كثير من الهيئات والجمعيات العربية والدولية ورئيس لجنة الثقافة العلمية بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا

— له عشرات البحوث العلمية المتكثرة في علم البيئة النباتية

— له عشرات من الكتب العلمية تأليفا وترجمة او مراجعة

— شارك في مراجعة الكثير من المعاجم العلمية كالمعجم العسكري والمعجم العلمي العربي الموحد وغيرها .

— حاصل على جائزة التأليف العلمي من وزارة المعارف المصرية .

— من مؤلفاته :

— حياة النبات

— تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه

— اسس علم النبات

— الدراسة والجنس

— موجز نباتات مصر .. الخ

— الى جانب العديد من البحوث العلمية القيمة المنشورة في المجلات المتخصصة .



الدكتور محمد الرّمّان مرّجشا

— من مواليد طرابلس لبنان 1927

— تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بطرابلس

— ثم انتقل الى القاهرة والتحق بجامعة (فؤاد الأول) وتخرج من قسم الفلسفة ثم حصل على دبلوم معهد التربية العالي ، اما الدكتوراه فقد احرز عليها من جامعة باريس في الفلسفة

— يجيد الفرنسية ، والانجليزية ، واللاتينية .

— متأثر بأنتستين وبرتراند رسل بين المؤلفين ، وبالذكتور زكي نجيب محمود والدكتور عبد الواحد وافي ولوي ماسنيون وجاستون بشلار من اساتذته في القاهرة وباريس

من مؤلفاته :

- نظرية النسبية
- قبل أن يتفلسف الانسان .
- المسألة الفلسفية
- من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية
- وهو مترجم كتاب (الانسان) لجان روستان.. الخ
- بالاضافة الى كثير من البحوث والمقالات القيمة المنشورة في مختلف المجلات العربية .



الدكتور محمد السّلام العجّلي

— من مواليد الرقة في شمالي سورية ، عام 1918 والرقة كانت مصطفى هارون الرشيد

— تلقى تعليمه الابتدائي بالرقة ، والثانوي بحلب ، وتخرج طبيا من جامعة دمشق عام 1945 .

— يجيد الفرنسية والانجليزية

— عمله الرسمي طبيب وهوايته الادب وقد غلبت

— هوايته على عمله حتى ظنوه منصرفا الى الادب

— انصرفا كلياً — كان عضواً في المجلس النيابي

— السوري ووزيرا للثقافة والخارجية والاعلام

— متأثر بالادب العربي القديم والتراث الشعبي

— وتأثر بالعقلية العلمية أثناء مراحل دراسته . وهو

— من اوائل القصاصين الممتازين في سورية

— اربت مؤلفاته على الخمسة عشر كتابا منها :

— الليالي والنجوم (شعر)

- بنت الساحرة
- قناديل اشبيلية
- الخيل والنساء
- الحب والنفس .. الخ

مجموعات قصصية

- باسمه بين الدموع
- رصيف العذراء السوداء

الى جانب العديد من البحوث والمقالات الأخرى المنشورة في الصحف والمجلات العربية أو ضمن كتب مستقلة .

للؤف نأف عفء الفرفف بنعبء الله



- من مواليد مدينة الرباط 1923
- والده العلامة الجليل السيد عبد الواحد بنعبء الله، من علماء الرباط المعروفين ، ونشأ الأستاذ عبد العزيز بنعبء الله في ظل أسرة كريمة المنبت ، علمية ، دينية ، محافظة ، عرف كل أفرادها بالاستقامة والخلق الكريم .
- أحرز البكالوريا عام 1943 ، وشهادتسي الليسانس في الآداب والحقوق عام 1946 ، ودرس العلوم الإسلامية على ثلة من كبار العلماء بالعاصمة (الرباط)
- تولى الإدارة العامة للمحافظة العقارية ومصالح الهندسة عام 1957 ، ثم إدارة التعليم العالي والبحث العلمي من 1958 الى 1961 ثم مديرا للمعهد الوطني للتعريب
- يعمل حاليا مديرا عاما للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهو يشغل هذا المنصب منذ 1962 . وهو أستاذ الحضارة والفن بكلية الآداب (جامعة محمد الخامس) وأستاذ العلوم الإسلامية في دار الحديث الحسنية بالرباط (التابعة لجامعة القرويين)
- يعد الأستاذ عبد العزيز بنعبء الله من أبرز رجالات المغرب العلمية ، ويعد نشاطه الفكري في شتى مجالات المعرفة والعلم - اسهاما كبيرا في النهضة الثقافية المعاصرة .
- وهو يتمتع بسمعة علمية مرموقة في المشرق العربي ، والعالم الإسلامي ، عن طريق تأليفه العديدة أو عمله كمدير عام لمكتب التعريب ورئيس تحرير لمجلة : « اللسان العربي » المعروفة .
- ولقد زار كثيرا من الدول العربية والأجنبية بدعوة منها لالقاء العديد من المحاضرات بجامعاتها ومؤسساتها العلمية في مختلف الميادين الفكرية واللغوية والحضارية الخ .. كما مثل بلاده في عدة مناسبات دولية .
- يجيد اللغة الفرنسية وله بها بعض التأليف .
- يميل للأدب العلمي ، وهو مغرم بالتاريخ والحضارات واللسنيات .
- له مصنفات عديدة باللغتين العربية والفرنسية أهمها :
 - ♦ الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب
 - ♦ مظاهر الحضارة المغربية (جزآن)
 - ♦ معطيات الحضارة المغربية (جزآن)
 - ♦ الفن المغربي في مختلف العصور (باللغتين العربية والفرنسية)
 - ♦ التيارات الكبرى لحضارة المغرب (بالفرنسية)
 - ♦ الطب والأطباء في المغرب
 - ♦ أضواء على الإسلام (بالفرنسية)
 - ♦ تاريخ المغرب (دراسة مقارنة للنصوص العربية والأجنبية)
 - ♦ جغرافية المغرب (ثلاث طبعات)
 - ♦ الإسلام في تطور (بالفرنسية)
 - ♦ نحو تصحيح العامية
 - ♦ تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث (أصدره معهد الدراسات العربية بالقاهرة وهو مجموعة محاضرات أقيمت بهذا المعهد
 - ♦ كما أن له مجموعة قصص تاريخية على نسق جرجي زيدان ، تعالج تاريخ المغرب ستصدر قريبا عن إحدى دور النشر ببيروت ... الخ
 - ♦ بالإضافة الى العديد من المعاجم في مختلف الحقول العلمية التي يصدرها عن طريق المكتب وخاصة منها معاجم المعاني وغيرها التي كانت دائما محط عناية واهتمام من طرف العلماء والمختصين في البلاد العربية وخارجها .



الأستاذ عبد القادر زمامة

- ولد بفاس سنة 1924
- يعمل استاذا بكلية الآداب (جامعة محمد الخامس)
- له اهتمام بالبحوث العلمية في اللغة والأدب والحضارة
- أبحاثه منشورة في كثير من المجلات العربية منها:
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .
- مجلة اللسان العربي — الرباط
- مجلة معهد المخطوطات العربية — القاهرة
- مجلة البحث العلمي — الرباط
- مجلة الثقافة المغربية وغيرها من المجلات العربية الأخرى



الدكتور عبد الكريم كريمة

- ولد بالرباط عام 1934 وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي
- كما درس في دمشق ومن جامعتها نال الليسانس في التاريخ
- وفي نفس الاختصاص حصل على دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس بالرباط
- ومن جامعة عين شمس أحرز على درجة الدكتوراه في الآداب
- عمل مدرسا غداة افتتاح جامعة محمد الخامس بالرباط ولا زال فيها حتى اليوم
- من مؤلفاته :
- نشأة الدولة السعودية بالمغرب
- عهد المولى أحمد المنصور الذهبي
- تحقيق ودراسة مخطوط (مناهل الصفا) لعبد العزيز الفشتالي ، الى جانب عدة بحوث ودراسات أخرى تتناول تاريخ المغرب .



الدكتور عبد الحادي التاجري

— ولد بمدينة فاس 25 — 6 — 1921

— عضو بالمجمع العلمي ببغداد

— كاتب عام لمركز التنسيق بين اللجان الوطنية والاقليمية العربية لليونسكو

— كان سفيرا للمملكة المغربية في العراق وليبيا

— بعد ان حصل على الشهادة العليا من جامعة القرويين بفاس ، احرز على دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس ثم على الدكتوراه من جامعة الاسكندرية .

— اسهم منذ صغره في الحركة الوطنية من اجل الاستقلال

— من مؤلفاته :

— آداب لامية العرب

— الضرب على الآلة الكاتبة بالاشتراك مع أندري بونو

— جامعة القرويين (المختصر) باللغات الثلاث

— تاريخ العلاقات الامريكية المغربية (بالانجليزية) .. الخ

— من مترجماته :

— حقائق عن الشمال الافريقي للجنرال دولاتور

— ساعات من القرن الرابع عشر في فاس للدكتور برايس

له تحت الطبع كثير من الكتب ، وتزخر مختلف المجلات والصحف العربية بالعديد من بحوثه ومقالاته في شتى مجالات الفكر والادب والتاريخ



الدكتور سافان حفيف بن سيني

— من مواليد دمشق عام 1928

— درس الحقوق في دمشق والفنون في باريس ، وحصل على درجة الدكتوراه من السوربون في تاريخ الفن والآثار

— يعمل مديرا للفنون وأستاذا جامعيًا

— يجيد الفرنسية والانجليزية

— من اوائل من كتب في النقد الفني وفي التاريخ الفني في سورية

— من مؤلفاته :

— الفنون التشكيلية في سورية

— الفن عبر التاريخ

— اتجاهات الفنون الحديثة

— تاريخ الفن في العالم

— اثر العرب في الفن الحديث

— معجم مصطلحات الفنون .. الخ

بالاضافة الى العديد من البحوث والمقالات المنشورة في مختلف الصحف والمجلات العربية منذ عام 1950 .



الدكتور عسمة الجارم

- ولد برشيد (مصر) في 18 - 9 - 1919
- تخرج من جامعة الاسكندرية حيث نال بكالوريوس الطب والجراحة سنة 1944 .
- ثم حصل على دبلوم الطب النفسي من جامعة لندن سنة 1950 .
- حاز على دكتوراه الطب في الامراض العصبية من جامعة الاسكندرية سنة 1951 .
- يجيد اللغة العربية والانجليزية
- يعمل رئيسا لقسم الامراض العصبية والنفسية كلية الطب جامعة الاسكندرية
- تآثر في ابيه وشعره بعمه شاعر العربية الاستاذ علي الجارم (بك)
- من منشئي قسم الامراض العصبية والنفسية بكل من كليتي الطب بالاسكندرية وطنطا والتدريس والعلاج وعمل الابحاث بهما .
- وهو رئيس الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية
- من مؤلفاته العلمية :
- الامراض العصبية الواضحة (باللغة الانجليزية) (طبع مرتين) .
- من مؤلفاته الأدبية :
- ديوان شعر يزيد على الألفي بيت (تحت الطبع)



الدكتور مأمون الكزبري

- من مواليد دمشق (سورية) 1914
- تلقى تعليمه الاول بمدرسة الاخوة المريميين في دمشق ثم التحق بمعهد الحقوق الفرنسي ببيروت وبعد حصوله على الاجازة في الحقوق احرز على دبلوم الدراسات العليا ثم الدكتوراه .
- يجيد الفرنسية وشتينا من الانكليزية
- متآثر بالاستاذ السنهوري في مصر وجوسران بفرنسا
- رأس الوزارة السورية مرارا وكان وزيراً للعدل والتربية كذلك ونائبا عن رئيس الجمهورية مرتين
- كان نقيبا للمحامين بدمشق عام 1960
- شارك في عدة مؤتمرات حقوقية دولية
- وتعاطى المجاماة الى جانب التدريس
- يعمل اليوم استاذا بكلية الحقوق (جامعة محمد الخامس الرباط)
- من مؤلفاته :
- الصورية في التشريع السوري واللبناني
- المدخل العام للدراسات الحقوقية
- التشريع العقاري السوري
- التشريع العقاري في المغرب .. الخ .

- التحق بعد ذلك بالتعليم الحر ، حيث كان له اسهام كبير فى نشر اللغة العربية والمبادئ الوطنية ، على الرغم مما عاناه هو وزملاؤه من مصاعب وعراقيل من طرف السلطات الاستعمارية
- شارك فى حركة الكفاح الوطني حيث سجن واضطهد مرارا ، لذا عد من الوطنيين الاوائل الذين كان لهم دور كبير فى مقاومة المستعمر وبث روح المقاومة والكفاح فى نفوس المواطنين .
- قام بدور هام فى العمل على انشاء « بكالوريا عربية » بالملكة المغربية .
- شارك فى تأسيس عصبة مكافحة الامية وتراسها فى سنواتها الاولى .
- كما اسهم فى انشاء جريدة « منار المغرب » التي اصبح رئيسا لتحريرها .
- تقلد عدة مناصب ادارية فكان مفتشاً عاماً لوزارة التربية الوطنية ، ومشرفا اداريا على جامعة القرويين ، ونائبا عن وزير التربية الوطنية فى الاشراف على عدة اقاليم بالمغرب .
- مارس كثيرا من النشاطات الفكرية والاجتماعية والتربوية بالقاء سلسلة من المحاضرات بجامعة محمد الخامس ، أو القيسام بتمثيل وزارة التربية فى كثير من المؤتمرات والندوات الدولية .
- يعمل حاليا مديرا مساعدا للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للثقافة والعلوم .
- من مؤلفاته :
- المشاركة فى وضع عدة كتب مدرسية مختلفة .
- رواية باللغة العربية - اجتماعية وطنية تحت عنوان « كنسرة » .
- وهو الآن عاكف على العمل فى المجال اللغوي وفى الترجمة .



للأستاذ محمد بن زركان

- من مواليد مدينة وجدة - شرق المملكة المغربية عام 1914 .
- تخرج من ثانوية مولاي يوسف بالرباط - قسم المعلمين .
- حاصل على ليسانس فى الادب العربي ، ودبلوم معهد الدراسات العليا بالرباط .
- يجيد الفرنسية مع المام بالاسبانية واللاتينية ولهجة « تمازغت » البربرية .
- مارس التعليم الابتدائي والثانوي منذ تخرجه الى نهاية سنة 1944 .
- أقصى من عمله فى التعليم بعد حوادث سنة 1944 التي تمخضت عن المطالبة باستقلال المغرب .



الأستاذ محمد جميل سعيّد

- ولد في بيروت سنة 1887
- تلقى علومه الأولى بالمدرسة العثمانية ، ومدرسة أوليفيا الإفريقية
- أحرز على درجة الدكتوراه من جامعة باريس .
- عرف بجولاته وأسفاره المتعددة
- دعا الى انشاء كلية اسلامية وهو من دعاة تحرير المرأة
- عرف بمواقفه الحرة من الانتداب الفرنسي
- رأس المجمع العلمي اللبناني، كما هو رئيس جمعية اخوان الثقافة ، وعضو المجمع العلمي العراقي، وعضو الاكاديمية للتاريخ العالمي في باريس ، وعضو المجمع الامريكى للعلوم السياسية والاجتماعية ، وهو عضو في جمعيات أخرى عربية واجنبية .
- المرأة في التاريخ والشرائع
- فلسطين أندلس الشرق
- الحلقة المفقودة في تاريخ العرب
- العروبة والشعوبيات الحديثة
- فلسفة تاريخ محمد
- كما ألف باللغتين الفرنسية والانجليزية
- وقد ترجمت كثير من كتبه الى لغات اجنبية
- وهو ذو نشاط حافل في مختلف الحقول العلمية والسياسية والادبية وغيرها .



الأستاذ محمد خلف الله أحمد

- ولد الاستاذ محمد خلف الله احمد في 15 يونيه 1904 في سوهاج من اعمال مصر وفيها قضى المراحل الأولى من تعليمه .
- أتم دراسته العالية في الآداب والعلوم العربية والاسلامية في « دار العلوم » 1928 .
- ثم ابتعث الى جامعة لندن لدراسة العلوم الفلسفية وفيها أحرز على درجة : B.A. Hons ودرجة الماجستير في الآداب M.A. بامتياز
- درس بعد عودته في دار العلوم ثم نقل مدرسا للادب والنقد في كلية الآداب بجامعة عين شمس. وفيها وضع اصول المنهج النفسي في دراسة الأدب ونقده
- تدرج في مناصب التدريس حتى أصبح وكيسلا لجامعة عين شمس ، وفي يناير 1965 انتخبه زملاؤه مديرا لمعهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية

بعض النقاد اول معالجة علمية في اللغة العربية لموضوع الاتجاه النفسي في النقد .

في تاريخ الأدب : كتاب « معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها » يتضمن هذا الكتاب دراسة تقوم على خطة جديدة في التاريخ الأدبي.

في الدراسات الادبية : كتاب « دراسات في الأدب الاسلامي » عنى فيه المؤلف بدراسة بعض الشخصيات الاسلامية الادبية دراسة تحليلية ومقارنة على منهج فني نفسي .
كتاب « حفي ناصف كاتبنا وباحثنا »

في التحقيق والنشر : كتاب « ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، للرماني والخطابي والجرجاني » .

في الترجمة : « كيف يعمل العقل »

في التصنيف : كتاب « الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة » .

وغيرها من البحوث والدراسات التي تبحث في مختلف جوانب الفكر العربي والانساني .

— له اكثر من عشرة كتب مطبوعة ، واكثر من اربعين بحثا منشورا في مختلف المجالات العلمية .

— اشرف على عشرات الرسائل العلمية او شارك في مناقشتها في الجامعات العربية وفي بعض البلاد الاسلامية .

— تقلب في عدة مناصب مهمة استاذا وعميدا ووكيلا للجامعة ، وعضوا في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

— وهو عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وعضو مؤازر بالمجمع العلمي العراقي ببغداد ، وعضو مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، وهو عضو كذلك في عدة هيئات أخرى ولا يزال مديرا لمعهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ويقوم الى جانب ادارة المعهد برياسة قسم اللغة والآداب فيه .

من مؤلفاته :

في النقد : كتاب : « من الوجهة النفسية في دراسة الادب والنقد » وهو كتاب رائد في ميدانه يعده



الدكتور محمد طه الخمر

— من مواليد 23 ابريل 1913

— اتم دراساته الاقتصادية والمالية بجامعة القاهرة (البكالوريوس سنة 1935 ودراسات الماجستير سنة 1945) .

— عمل لمدة عشرين عاما في الوظائف الحكومية بوزارات العدل والتجارة والصناعة والحربية ، كما أوكلت اليه ادارة بعض المؤسسات العامة الثقافية والاقتصادية العامة .

— تطوع للخدمة بالقوات المسلحة حتى وصل فيها الى رتبة الرائد واشترك في الحرب العالمية الثانية وفي حرب فلسطين سنة 1948 وفي حرب الاعتداء الثلاثي سنة 1956 وحصل على كثير من الاوسمة وناواط الجدارة .

— اختير سنة 1954 وكيلا مساعدا لوزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية ثم رقي وكيلا

دائما لنفس الوزارة سنة 1958 وحتى سنة 1965 .

— كان عضوا مؤسسا للمعاهد القومية للتربية والتعليم منذ سنة 1956 وهي اكبر مؤسسة تعليمية خاصة في جمهورية مصر في مجال تعليم اللغات الأجنبية (الانجليزية والفرنسية) واصبح سنة 1961 رئيسا لمجلس ادارة هذه المؤسسة حتى سنة 1965 .

— شارك رئيسا وعضوا في كثير من الانشطة العلمية والثقافية لمجلس جامعة القاهرة والمجلس الاعلى للتعبة والاحصاء ومؤسسة الابنية

- هذه الإدارة إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
- في يوليو سنة 1972 عين رئيسا للجهاز العربي لمحو الأمية .
- له إنتاجه العلمي في مجالات الإدارة التعليمية والتخطيط والاحصاءات التربوية .



- ترجم وشارك في ترجمة عدة كتب إلى اللغة العربية عن حياة النبات
- وله مقدمة في علم تشريح النبات
- وقاموس كومبتون للمصطلحات العلمية والتجليات
- علم الشكل النباتي
- غزت مؤلفاته في مجال تخصصه غزارة جعلته موضع احترام العلماء ومنها نحو ثلاثين موضوعا باللغة الانجليزية .



- نال عدة جوائز تقديرية — على المستوى الجامعي
- منها : جائزة القصة القصيرة في قصة عن فلسطين تحت عنوان « نداء الضمير » وأخرى في

- الدرسية والجمعية الدولية للتعليم التجاري .. الخ
- شارك رئيسا وعضوا في كثير من المؤتمرات العربية والدولية التربوية والثقافية .
- وافق مجلس جامعة الدول العربية في مارس 1966 — بناء على ترشيح جمهورية مصر — على تعيينه مديرا للإدارة الثقافية حتى ضمت

الدكتور محمد عبد الفتاح القصاص

- من مواليد « برج البرلس بتاريخ 6-7-1921 بمصر
- تقلب في سلك التعليم من معيد إلى مدرس إلى أستاذ فرئيس قسم
- كان السكرتير العام المساعد للمجلس الأعلى والمشراف على وحدة بحوث البيئة بالمركز القومي للبحث ثم أصبح مسؤولا عن برنامج العلوم التطبيقية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اعتبارا من يناير 1970 .
- شارك في عدة مؤتمرات دولية في مختلف بلاد العالم .
- نشر بحوثا علمية عن حياة النبات في الصحاري المصرية والسودانية
- وضع بالاشتراك مع الدكتور عبد الحلیم منتصر كتابا باللغة العربية عن « صحاري مصر »

الأستاذ محمد محمد الخطاطبي

- من مواليد مدينة تطوان (1947)
- تلقى تعليمه الجامعي بالقاهرة .
- أحرز البكالوريا عام 1964 ، ثم الليسانس في الآداب من جامعة عين شمس بالقاهرة 1969 .
- كان ذا نشاط اجتماعي ملحوظ بين طلاب جامعته
- وأسهم في إصدار جريدة « الطلاب » حيث كان مشرفا على القسم الأدبي بها . ومحررا في مجلة « عين شمس » كذلك .

- البحث الموجز : بحث عن فلسطين كذلك ، وثلاثة — في القراءة الحرة — عن بحث عن أخطار الصهيونية .
- عضو في اتحاد كتاب المغرب
- شارك في مؤتمر « ندوة فلسطين العالمية » بالقاهرة عام 1965 كمترجم عن اللغة الإسبانية.
- يجيد الإسبانية ويلم بالفرنسية ، ثم الإيطالية .
- صاحب البرامج الإذاعية : في رحاب اللغة ، اللغة والحضارة ، اشعار متقاطعة ، حكايات من حياتهم ، عطاء من افريقيا .
- يعمل حاليا رئيس شعبة بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي منذ تخرجه عام 1969
- ♦ له : « كلمات واشارات ... » مجموعة مقالات ودراسات عامة ، نشر معظمها في جريدة « العلم » المغربية — تحت الطبع —
- ♦ « رسالة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسه ، 1962 — 1972 »
- ♦ بلاضافة الى كثير من المقالات والترجمات المنشورة في بعض الصحف والمجلات .



الأستاذ محمود تيمور

- ولد بالقاهرة سنة 1894 م في بيت علم وادب ودين
- تعلم بالمدارس المصرية ثم التحق بمدرسة الزراعة العليا
- ثم تفرغ بعد ذلك للادب
- حصل على كثير من الجوائز منها تتويج المجمع اللغوي لانتاجه عام 1947 .
- حاصل على جائزة الدولة للآداب
- وجائزة واصف غالي بباريس
- كما منح جائزة الدولة التقديرية في الآداب ، ووسام الاستحقاق من الطبقة الاولى ووسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى كذلك
- عضو في مجمع اللغة العربية، وفي المجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، والمجمع اللغوي العراقي والمجمع اللغوي المجري .
- قال عنه المستشرق المجري جرمانوس : « يسمو محمود تيمور عن الكاتب الروائي المجرى الى مصاف الفلاسفة الأدباء ومعلمي الثقافات ، بما يقدم من أمثلة انسانية ترمي الى أهداف رفيعة »
- وقال عنه طه حسين :
- « وانك لتوفى حثك اذا قبل انك ادب عالمي بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها »
- وقد غزر انتاجه حتى زاد على الخمسين مؤلفا ما بين اقصيص ومسرحيات وروايات قصصية، ومقالات أدبية ، وابحاث لغوية ، وصور وخواطر ورحلات ترجم الكثير منها الى العديد من اللغات الاجنبية الحية : كالفرنسية والالمانية، والانجليزية ، والروسية والايطالية ، واليوغسلافية ... الخ .
- كما كتبت عنه كثير من الدراسات النقدية والأدبية في مختلف البلاد العربية
- وقد لقب بشيخ القصة العربية او عميدها لانه أول من طرق هذا الفن في مصر كما يشهد له طه حسين بذلك في الكلمة التي استقبله فيها بالمجمع قال : « .. وسبقت أنت الى شيء لا اعرف أن احدا شاركك فيه في الشرق العربي كله الى الآن » .
- وكما كان لطه حسين آثاره الواسعة على جيله كان لمحمود تيمور آثاره هو الآخر على كتاب القصة في مصر وباتي البلاد العربية .



اللواء الركن محمود شيت خطاب

من مؤلفاته :

- من مواليد الموصل في شمال العراق عام 1919
- تلقى تعليمه الابتدائي والاعدادي في نفس المدينة
- ثم تخرج من الكلية العسكرية في بغداد ، ومنها
- سافر الى انجلترا وتخرج من كلية الضباط العظام
- وكان ترتيبه الأول على مائة ضابط من مختلف
- الأمم والجنسيات
- يجيد الانجليزية وقليلاً من الفرنسية
- عضو في المجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة
- العربية في القاهرة ومجمع اللغة العربية بدمشق
- ومجمع البحوث الاسلامية في الأزهر وعضو
- المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي
- متأثر بسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم)
- القضايا الادارية في الميدان
- التدريب الفردي ليلاً
- القضايا الادارية في الحروب الجبلية
- قادة فتح العراق والجزيرة
- الرسول القائد
- قادة فتح بلاد فارس
- قادة فتح الشام ومصر
- قادة فتح المغرب العربي (جزءان) .. الخ
- ولقد تاربت كتبه السبعين كتاباً معظمها في التاريخ
- الاسلامي ويعرف بقادته او يتناول الامور العسكرية
- وكلها ذات قيمة وشأن .



الدكتور ممدوح حقي

— من مواليد دمشق 1915

— تلقى تعليمه لاول في سوريا

— واصل دراساته العليا في دمشق ثم في مصر
ثم في باريس .

— أحرز البكالوريا والليسانس في دمشق ثم
الدكتوراه في مصر وباريس .

— يجيد الفرنسية والانجليزية ، وبعض اللغات
الشرقية .

— تدرج في مناصب سامية دبلوماسية وعلمية
وإدارية .

— متأثر بالأدب القديم أسلوبيا ، وبالفكر الحديث
علميا أما آثاره في غيره فيظهر في الأقبال
الكبير على مؤلفاته على اختلاف موضوعاتها ،
حتى تكررت بطبعات بعضها ست عشرة مرة .

— يعمل حاليا كبيرا للخبراء بالملتب الدائم لتنسيق
التعمير في الوطن العربي .

— جمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، فكان
خير نموذج للمثقف الحقيقي الذي يمثل عصره
أحسن تمثيل .

— وهو بالإضافة الى ادبه وعلمه الغزيرين شاعر
مبدع وناقد اوجز المرحوم احمد امين وصفه
فقال : « علم الدكتور حقي ادب ، وادبه شعر ،
وشعره موسيقى » .

— اربت مصنفاته على الستين بين مؤلف و مترجم
ومحقق منها :

— العروض الواضح (14 طبعة)

— الكشاف (قرظه بادل باول ومكتب الكشاف
الدولي طبع ست مرات)

— الفرزدق (طبع ثلاث مرات)

— الأبيوردي - شاعر الحزب العربي في القرن
الخامس (3 طبعات)

— حجة الوداع - تحقيق مخطوط نادر لابن

حزم الإندلسي ، جزآن (3 طبعات)

— الأغانى للأصفهاني - تحقيق وتعليق وتقديم .

— المثل المقارن في الادب العربي والانجليزي
(تحت الطبع)

— عشر قسم في الادب العربي

— الفريزة الجنسية .

— الصيد والطرده عند العرب ، تحقيق مخطوط
نادر .

— المقولات العشر ، تحقيق مخطوط نادر مع
التقديم .

ومن مترجماته :

— ريكله : ديوان امير شعراء المانيا المعاصرين .

— العنصرية والاعراق - مترجم عن الفرنسية .

— الزنج في امريكا - مترجم عن الانجليزية .

— مرتفعات وذرغ - مترجم عن الانجليزية .

— الأفق المفقود - مترجم عن الانجليزية .

— الواحة السحرية - مترجم عن الانجليزية .

واقف توج الدكتور حقي مؤلفاته بمعجم القانون
والتجارة الذي قضى في جمعه وتأليفه زهاء عشرين
عاما فجاء من انفس ما ألف في هذا الفن .

بعد الدكتور حقي امتدادا للرئيس الاول من
ادبائنا الكبار الذين ساهموا في ارساء دعائم النهضة
الادبية المعاصرة ، بثقافته الواسعة وقدرته على
الترجمة بين شتى اللغات .

ويمتاز - الى جانب علمه الغزير - بتواضعه
الجم الذي يسمو به فوق كل وصف .



الدكتور ناصر الدين الأسيّد

- يشغل حاليا منصب مدير عام مساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
- عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعضو مراسل لمجمع اللغة العربية بدمشق
- رأس الجامعة الأردنية مدة وبعد من مؤسسها الاوائل كما كان عميدا لكلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية
- اشترك في لجان فحص نتائج بعض أعضاء هيئة التدريس بجامعة بغداد ، وفي لجان فحص رسائل الماجستير والدكتوراه ومناقشتها في كل من جامعتي بغداد والقاهرة .
- له اثنا عشر كتابا مطبوعا بين تأليف وتحقيق وتحرير وترجمة بعضها طبع سبع مرات .
- **من مؤلفاته :**
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية
- القيان والغناء في الشعر الجاهلي
- الشعر الحديث في فلسطين والأردن
- خليل بيدس ، رائد القصة الحديثة في فلسطين
- الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن
- محمد روجي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين
- **من تحقيقاته :**
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى (بالاشتراك مع د. احسان عباس)
- تاريخ نجد — تأليف حسين بن غنام
- ديوان قيس بن الخليم
- ديوان شعر الحادرة
- وهو مترجم كتاب : « يتظلة العرب لجورج انطونيوس بالاشتراك مع د. احسان عباس
- **من بحوثه المطبوعة كذلك :**
- قصص الكيلاني للأطفال
- تفسير الطبري
- العثمانية للجاحظ
- البطولة كما يصورها الادب الجاهلي
- فلسفة الاستعمار
- معاجم ومعجمات
- التراث والمجتمع الجديد
- نواد واندية ..
- الثورة العربية الكبرى
- في وداع الشهيد .. الخ
- وغيرها من البحوث اللغوية والنقدية القيمية الاخرى نشرت في مجلات متخصصة او ضمن كتب .

قَصَصٌ فِي اللِّغَةِ

عبد الحق فاضل

جيم

نعم ، هذا الانسان التاريخي الغريب ، أبو الأريين والهاميين والساميين - كما تبدى لنا في احاديث سابقة - من اين جاء باسمه « العربي » هذا ؟

الذي المستشرقون على انفسهم هذا السؤال ، وبحثوا عن الجواب ، كما بحثوا عن اجوبة الكثير من الاسئلة الاخرى عن الشرق وتاريخه . ولا بد انهم هرعوا الى المعجم اول شيء بحثا عن التسمية ، فلما لم يجدوا بغيثهم فيه عادوا الى البحث في ظلمات التاريخ فكان لهم الفضل في اكتشاف حقيقتين :

الاولى انهم استعرضوا اللغات السامية فوجدوا ان مادة (ع ر ب) تعني فيها جميعا : الجذب او ما يشبهه . لكنهم استنتجوا ان هذا الانسان الانف ذكره قد سمي بذلك لانه يمشي في الارض الرملية المجذبة المعروفة . ولما كانت كلمة عربو arabo السريانية تعني الصحراء فقد لاح للنظر عند بعض اللغويين ان اسم العربي انما جاء من السريانية نفسها ، وان هذا اخصر طريق لحل المشكلة .. ووضح واوكد .

والحقيقة الثانية التي توصل اليها الباحثون هي ان اقدم وثيقة مكتوبة ورد فيها اسم (العربي) هي مسلة شلمنصر الثالث ضمن اخبار حربه في موقعة القرقر ، في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد -

سين : اكثر المستشرقون ومعهم الباحثون العرب من الادلاء بآراء لهم في تعريف الانسان العربي ، فما هو اصوب تلك التعريفات او اقربها الى الصواب يا ترى ؟

جيم : هذا خارج عن موضوع حديثنا ، يا ترى ؟ .

سين : هل موضوع حديثنا اذن منشؤ الانسان العربي الاقدم ، اي الارض التي نبت فيها اول مرة ثم جاء منها الى هذه الارض الفيحة المسماة « الجزيرة العربية » ؟

جيم : من باب الاختصار ندعوها لفرضنا اللغوي « المعربة » . اما منشؤ الآدمي العربي فلا نريد الخوض فيه لانه امر مجهول يصعب الوصول فيه الى نتيجة مقنعة ثانيا ، ولان موضوعنا لغوي لا بشرائي - زنة رمضاني - (- انثروبولوجي) اولا .

سين : ما دام موضوعنا لغويا فهل المقصود اين نشأت لغة هذا البشر العربي ، في « المعربة » ام في غيرها ؟

جيم : ولا هذا . وقد اوضحنا في حديث آخر سابق ان هذه المعربة هي منشؤ هذه اللغة .

سين : اذن ؟

جيم : تسمية العربي .

سين : آه . ما اصل هذه التسمية حقا ؟

فهل هذه اقدم من صيغ (العربي) التي لا يرجع اقدمها الى ابعد من منتصف القرن التاسع ق م ؟

جيم : لا .

وسنعود الى جلاء هذه النقطة الغامضة المميزة ، ولنصرف الآن الى منشأ تسمية العربي أولا .

ان المعجم على قصوره ، ما يزال مقتدرا على افادتنا في البحث عن هذه المادة اللغوية الخطيرة الشأن (عرب) .

فماذا نجد ؟

هاهنا العجب العجيب حقا . ان معاني الكلمة ليست كثيرة فقط لكنها غريبة كذلك ومتباينة وبعضها متضاد . واول ما نذكر منها :

هذا (العربي) ، ثم :

الافصاح ، و :

رد القبيح

الافحاش في الكلام

الأكل

فساد المعدة

التبدي ، اي ضد التحضر

كثرة الماء

صفاء الماء

الاستهجان

الشراء

ركض الفرس

النشاط

القسوة

النهر الشديد الجري

السفن الرواكد

هذا عدا اسمي (عربة) و (عرب) .

وسوف نفسر للقارئ الكريم كيف نشأت هذه المعاني كلها مع معان أخرى غيرها كثيرة . لكننا نؤثر قبل ذلك أن نعرض كيف نشأت مادة (عرب) نفسها، وما معناها الاول .

وبالضبط عام 853 ق م . ومنذئذ ورد اسم العربي في المصادر المسمارية المختلفة في صيغ كثيرة متاربة ، منها :

عربي arabi

عربي arubi

عربي aribi

عربي ârbi

عربي urbi

ووردت الصفة منها : عربيا arabaia

وعربايسو (1) arabaiau

وهذا كشف مهم حقا ، ومشكور للنباشرين في آثار الاقدمين . لكنه لا يجيبنا على سؤالنا : من أين جاء هذا الاسم «العربي» على اختلاف صيغه قديما وحديثا .

اما اللغويون العرب فقديما قالوا ان (عربة) - زنة قصبه - وهي مكة - «أقامت قريش فيها فنسب اليها العرب ، وهي باحة العرب» . ويبدو ان هذا من كلام العدنانية . كذلك قالوا ان «يعرب بن قحطان أبو اليمن ، قيل انه اول من تكلم بالعربية» . ويبدو ان هذا من كلام القحطانية ، ولملهم انما قالوه يفاخرون العدنانية بعريبتهم التي كانت منذ القدم مقدسة .

لكن احدا من الطرفين لم يتساءل من أين جاء اسم عربة او يعرب ، لان مثل هذا السؤال كان يومئذ يشبه القول لماذا تسقط تفاحة نيوتن . انها تسقط والسلام . حتى المتأخرون من شرقيين ومشرقيين لم يتساءلوا من أين جاءت تسمية (عربو) السريانية بمعنى الصحراء ، دعك من الصيغ الاخرى التي وردت في المصادر الآثارية .

اخبرني الدكتور احمد سوسة حين كنت في بغداد آخر مرة انه ذكر في كتابه «العرب واليهود في التاريخ» ان (العبري) كان يسمى في التاريخ القديم : الابري ايضا ، والعبيرو ، والخبيرو ، والهبيري ، وأن بعض هذه الصيغ قد ظهر في وثائق مسمارية او هيروغليفية ترجع الى أكثر من خمسة آلاف سنة !

(1) طه باقر - «علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب» - مجلة «سومر» - الجزء : 2 - المجلد : 5 - 1949 . وقد أورد هذه الصيغ بالحروف اللاتينية ، أما نطقها العربي فإضافة من عندنا . ويلاحظ أنها وردت في المصادر المسمارية بالهمزة ولو أنهم كانوا ينطقونها بالعين على الاغلب ، لعدم وجود حرف العين في كتابتهم المسمارية ، فكانوا يعتاضون منها بالهمزة كما نفعل نحن عند كتابة أسمائنا بالحروف اللاتينية .

« رفعت لي نار من بعيد » أي لاحت ، وكانما المقصود عرفت نارا من بعيد . ذلك بأن أجويد العرب كانوا يوقدون النار على (المرتفعات) ليهتدي بها سراً الليل المحتاجون الى المأوى والقرى . وهنا يمتزج معنى المعرفة بمعنى الارتفاع . ومن ثم قيل : أشهر من نار على علم ، أي على جبل . ونظن ان جبل (عرفات) انما جاءت تسميته من هنا .

وللمعرفة عند العربي - ولا سيما الاعرابي البدوي - خطرها الكبير ، لانه في بيئاته يتوجس الشر من كل مكان ، من عدو مباغت يدهمه ليقتله طمعا في ناقته وزاده وثوبه ، أو سبع يبرز له من وراء تلة أو كتيب أو جني يتخطفه . حتى الجماعات ، أي العشائر ، المقيمة في مكان كانت في حذر دائم من غارة مباغتة .

ان قولك (نكرت) الشيء ، انما يعني جهلته ، و (نكرت) الرجل : لم تعرفه . . . ومثل ذلك (انكرته) . لكن حشدهم وتوقعهم الشر من كل ما لا يعرفون جعلهم يرشقون بالمعاني المكروهة كل ما ينكرونه ، ومن ذلك ما زلنا نستعمل (الاستنكار) بمعنى الاستهجان والاستكراه . وصار قولهم (انكر) الشيء يعني بالاضافة الى جهله : جحده وعابه ونهى عنه ، وصار (النكر) - زنة الكفر - يعني الامر الشديد القبيح ، و (النكير) : الشديد الصعب ، و (المنكر) نعني به اليوم المستقيح المستهجن ، وعلى التعبير المعجمي : ما ليس فيه رضي الله من قول أو فعل ، وجمعه (المنكرات) بل بلغ بهم الامر ان قالوا (ناكره) مناكره : قاتله وحاربته !

هذا نوره عن (الانكار) أي عدم المعرفة ، غير خارجين عن صلب موضوعنا كالذي يبدو للنظر غير المستاني ، كما نتمتع في مفهومه المخالف - حسب التعبير الحقوقي - أي في الكلمة المناقضة للنكر وهي (العرف) . فمن شدة ارتياح العربي في المفاوز الى من وما كان يعرف أفرغ على المعرفة الكثير من معاني الخير والاستيثار . فالعرف بالاضافة الى ما تقدم من معانيه صار ضد النكر أي الجود والاحسان ، و (المعروف) : ضد المنكر ، أي : المشهور ، والاحسان ، والخير ، بل الرزق ايضا . ثم جاءهم الاسلام « يامر بالمعروف وينهى عن المنكر » . وربما كانت لهذه المادة اللغوية معان خيرية أخرى لا يعيها المعجم . وصار (العرف) - كالتصرف - يعني الرائحة لانها كانت عندهم من أهم وسائل التعرف على الامور

تكرر لدينا القول في احاديث سابقة - وفي هذا العدد ايضا من اللسان العربي ، في مقال آخر - ان صوت (فرورر) الذي يعبر عن رفرقة جناحي الطائر الهارب قد صوره العربي الأقدم بقوله (فر) ومنه يفر فرارا . وقد نشأت منه صيغ ذات معان ، منها معنى الخوف في (فرق يفرق) - من باب فرح - لان فرار الطائر باعثه الخوف . ومنها معنى الابتعاد في (فارق فراقا ومفارقة) لان هذا هو الغرض من الفرار ، ومنها معنى (التفريق) في (فرقت بين الشياطين) : فصلت .

وبالاضافة الى (فرق) نذكر من بنات (فر) : فرج ، فرخ ، فرد ، فرز - فرس ، فرع . . .

والذي يهنا هنا هو (فرع) . فقد قالوا (فرعت) بينهم : فرقت . ومنها (الفرع) من كل شيء : اعلاه (المتفرع) من اصله كفرع الشجرة . ولما كانت الاغصان تعلق الجذع صار للفرع معنى العلو ايضا . ثم صار للكلمة معنى الكثرة منذ قالوا (تفرعت) الاغصان : كشرت . ومن معنى العلو قالوا (الفارع) : المرتفع ، و (فارعة) الجبل : اعلاه . اما (الفرع) من المرأة فشرها ، ومن القوم : شريفهم . . .

فلا عجب اذن ان نجد مقلوب الرفع أي (ر ع ف) يعني العلو ايضا في (الراعف) : انف الجبل ، وعلى المجاز : طرف ارنبة الأنف من الانسان . ثم صار (الراعاف) - بالضم - يعني الدم المسائل من الانف . والمغاربة هم فيما اعلم العرب الوحيدون الذين يقولون في لغتهم الدارجة (يرعف) بمعناها الفصيح أي : يسيل الدم من أنفه .

وانقلبت الكلمة قلبه اخرى فنشأت (ع ر ف) بمعنى العلو والارتفاع مثل الراعاف ، وبمعنى الشعر مثل فرع المرأة ، ثم بمعنى العلم ضد الجهل . . .

اما العلو وهو اصل معاني الكلمة فيظهر في قولهم (اعرووف) البحر : ارتفعت امواجه ، وربما كان القصد انها صارت تشبه عرف الديك . و (العرف) بالضم : ما ارتفع من رمل أو مكان أو نحو ذلك . و (أعراف) السحاب والرياح : اعاليها واولئها .

ومن معنى العلو صار (العرف) - بالضم - يعني كذلك اللحمة في أعلى رأس الديك ، ثم الشعر في محذب رقبة الفرس .

ومن معنى العلو صارت (المعرفة) تعني العلم بالشيء . وما أكثر ما تقرا في اخبار العرب قول قائلهم

انت يا اخا العرب ؟ . . و « يا اخا العرب » هذه بقية
 فيما يظهر من عهد المرحلة الاولى من التعارف وهي أن
 مخاطبه عربي يفهم عنه ، لا اعجمي .

ان كلمة (ع ر ب) من الالفاظ اللغوية الخصيبة
 الولود قد نشأ منها ومن تفرعاتها الكثير من المعانسي
 المتشعبة الآخذ بعضها برقاب بعض ، والبميدة عن
 المعنى الاصلي احيانا ، ما يفرض علينا أن نؤنل كل
 واحدة منها ليعرف القارئ الكريم تحدرها التطوري
 وعلاقتها بالكلمة الام . لكننا لو فعلنا ذلك في كل لفظه
 ستصادفنا في حديثنا هذا لاطنا كثيرا واملنا ربما
 كثيرا ايضا ، فلهدا ندرج هنا مسردا تقريبا ، شبه
 بالخريطة التائيلية ، يوضح شيئا من تسلسلها اللفظي
 ووجه عام ، قبل الخوض في تفرعاتها المعنوية .

- (افرع) « 1 » : عرف (ا - عرفج - عرفط) - عرب .
 (افرع) « 2 » : عرف - رفع - عفر (ا - عفرت -
 عفرس - عفرين - عفور .
 (عرب) « 1 » : عبر - ابر - هبر - خبر .
 (عرب) « 2 » : عرم - علم (ا - عيلم) - علا ، علو
 - علب (ا - علن - عرن - عرنس .
 (عرم) : مرد (مرندس - مر - عاد - عاب ، عيب)
 - عد - عدو - عذب .
 (عبر) « 1 » : ارب (ا - ذرب) - ارم . . ابر -
 بسار .
 (عبر) « 2 » : غير - عفر (ا - قفر) - عمر - معر .
 (ربيع) « 1 » : ربا - رب - ربا ، ربو - ربل .
 (ربيع) « 2 » : ريع - ريع (ا - بفر - رغب) - ريم .
 (ريع) « 3 » : برا - برع (ا - برعم) - بر - برج -
 برج (ا - رجب) - برز - برس - برش (ا - ريش) -
 برص - برض - برق (ا - برقش) - برك (ا - بركة)
 - ركب (ا - ركة) .
 (ربيع) « 4 » : ربث (ا - لبث) - ربيج - ربد - ربد
 - ربص - ربض - ربط - ربق - ربك - كرب - كربس
 (ا - كرفس) - كريل - غريل .
 (ربق) : بقر - رقية ، رقب ، - قرب ، قربان ،
 قرابة .
 (ربك) : لك ، التبك - كيل - كلاب ، زنة رمان
 (ا - كلب) .

والإماكن قبل التورط فيها . ومن شدة تفاؤلهم بالمعرفة
 وحبهم لها صار هذا (العرف) اكثر ما يطنق على
 الروائح الطيبة ، فقالوا : ما اطيب عرفه . والارض
 المعروفة (ليست ضد المجهولة فقط ، بل هي
 الطيبة العرف .

من كل هذا يمكننا ان نتصور ما اجمل عند
 المسافرين في البادية ان يرى شخصا يعرفه او موما
 يعرفهم . وما اوقع في نفوسهم القول (تعارفوا) :
 عرف بعضهم بعضا . وما اخرج عند العربي وابمنت
 للريبة في نفسه ان يجابه من لا يعرف . لكن من لا
 تعرف يمكنك التعرف اليه اذا عرفت لغته فافهمته
 وافهمك ان لا بأس على ايكما من صاحبه .

فمن لفظه (عرف) بابدال فانها باء نشات ثلثة
 : عرب يعرف عربا) فخاطبك الغريب في الغلاة : « تكلم
 بالعربية » اي « كان عربيا فصيحاً » على تعبير المعجم
 في كليهما . . فعندها تتنفس الصدء . لا يعادل
 سرورك هنا الا امتعاضك وتوجسك اذا كان صاحبك
 اعجميا لا تفهم عنه ولا يفهم عنك .

ومن ذلك قيل (اعرب) عن حاجته : ابان ،
 و (اعرب) عن حاجته : افصح . .
 والرجل (العربيان) - كاليقظان : الفصيح .
 ومثله (العربياني) اللسان .

اليوم قد تلاقي شخصا لا تعرفه في مقهى او
 قطار او حتى في دار صديق لك ، فتحدثه ويحدثك
 وتخوضان في شتى شؤون الدنيا . . في الكارثة التي
 يسمونها ازمة الشرق الاوسط او في اهوان فيتنام او
 في شؤون الحب او الميني او العاكسي الذي يكسف
 لك من بين شقوقه ما يحمر له حتى الميكرو - حسدا .
 ثم تغترقان ثم تلتقيان كرة أخرى بعد ذلك . . دون ان
 يعرف بال احدكما ان يسأل عن حرفة الآخر او حتى عن
 اسمه . هذا كان في حكم المستحيلات عند العربي
 القديم . فاول شيء يخطر له عند مجابتهك هو اخطر
 شيء لديه : ان (يعرفك) ! من انت ؟ ومن انت ؟ اما
 « ومن انت » فأخطر كثيرا من « من انت » . فالويل
 لكل منكما من صاحبه اذا تبين انكما من قبيلتين
 متعاديتين ، بينهما نار او ثارات . . لأن كل فرد من
 القبيلة مسؤول عن اخذ الثار ، وكل فرد من القبيلة
 الاخرى مادة تصلح للاخذ بالثار منها ، اي قتله . وكل
 ما تقرا من قديم اخبار لقاء العربي بالعربي ينبئك أن
 اول كلمة تقفز الى لسانه هي : ممن الرجل ؟ او : ممن

(التبكي) : التبس - ليس - سلب) - التمس
- لمس - مس - مسح - مسخ .

(التمس) : استلم - تسلم - سلم - تسليم - سلم
سلامة - سلام ، سلم .

هذه ليست كل الالفاظ التي انجبتها كلمة (عرب)
وانما هي الالفاظ التي اقتصرنا عليها فيما سيأتي من
بقية هذا الحديث .

وانه من الصعب بل من المتعذر ترتيب معاني
هذه الالفاظ حسب تسلسل نشوئها النطقي او الذهني
لاختلاطها وتخرج اتجاهاتها على غير نظام او قياس ثم
لتعود المعاني في اللفظة الواحدة وتعود الالفاظ للمعنى
الواحد او المعاني المتقاربة . فلنوردها اذن على هذا
الترتيب الشبيه بعدم الترتيب . ولناخذ أولا :

الافصحاح :

الذي هو اصل معنى مادة (عرب) والذي كان
السبب في تسمية جدنا البدوي (العربي) او (العربي) !
فقد قالوا (أعربت) الشيء : أبنته وأظهرته . و (أعربت)
عن حاجتك ، او بحجتك : أفصحت . (العربان) - زنة
الرحمان - و (العرباني) - زنة البحراني - يعنيان
الفصحح اللسان ، كما تقدم .

ومن (عرب) نشأت صيغة (عبر) عبرا ، بالتخفيف .
و (عبر) تعبيراً : بمعنى (عرب) تعريياً و (عرب) اعراباً .

ولنتبع هذا التسلسل اللفظي : عرب - عرم -
علم - علن . معنى الافصحاح يختفي في (عرم) ثم يعود
فيظهر بدلا من معنى المعرفة في (علم) . اما كيف حصل
هذا فيمكن ملاحظته في مادة (خبر) التي نشأت من
(عبر) ، فقد حصلت المعرفة في قولهم (أخبر) اخبارا
و (خبر) تخبيراً - نتيجة لتلقي (الخبر) ، ومن ذلك
صار (الخبير) يعني العليم العارف . وقولك (أعلمته)
يعني أخبرته وأعربت له الامر ، او عن الامر . ثم
يختفي معنى المعرفة في (علن) ويظهر بدلا منه معنى
الاعراب والتعبير حيث قالوا (عالمته) الامر : جاهرته
به وأظهرته له . واكتسب (العلن) معنى تطوراً جديداً
وهو (العلائية) : ضد الخفاء .

وهاؤم تسلسلا لفظياً آخر : عرب - ريع (خصب)
- برع - برا (خلق) - بر (صحراء - براح . تقولها -
باختصار ان معنى الاعراب يختفي من حلقات هذه
السلسلة حتى يظهر أخيراً معنى العلائية في (البراح) :
البين الصراح .

وليعدنا القارئ ، او بالاحرى اننا سنغنى القارئ
من بيان تسلسل تطورات المعاني في كل من المباني
دعماً للسامة التي نجهد في دفعها عنه مع المحافظة
جهد الطاقة على ما يجمع الطرافة والتمتع الى جوهر
الموضوع - ولنتكف الآن بالجدول التالي الذي مر
بنا . ثم نأتي الى :

المعرفة :

التي هي ائل مادة (عرب) لفظاً ومعنى . فقولك
(عرفت) الشيء : يعني علمته . و (المعارف) : العلوم ،
و (المعروف) : المعلوم او المشهور ، و (العراف) : النجم
الذي يتنبأ بطوابع الناس . ومن مقلوبها (عفر) صيغ
(العفريت) و (العفرين) : النافذ في الامر مع دهاء من
الانس والجن ! و (عفر) نطقوها (عور) فنشأت صيغة
(اعور) الشيء : ظهر .

ومن (عرب) قيل (برع براعة وبروعاً) : فاق علماً
او فضيلة او جمالاً ؛ والعلم مقصودنا هنا ، فهو (بارع)
و (بريع) .

ومن العبر والتعبير قالوا (اعتبر) المرء بالشيء :
اعتظ ، اي اكتسب (العبرة) : العظة ، والنظر في
الاحوال ، والعجب .

وعندما نطق بعضهم (عبر) بالخاء صار قولهم
(خبرت) الشيء علمته بحقيفته وكنهه ، او علمته عن
تجربة . و (الخبير) : العالم بالخبر ، او بالامر كما
تقدم .

ومن (عرم) او غيرها ظهرت صيغة (علم) التي
اشهر معانيها المعرفة كما هو معلوم .

ومن هذا وما سبق ذكره تحت عنوان
« الافصحاح » تتضح علاقة الاعراب والتعبير والاخبار
والعلم والعلن بعضها ببعض .

الامتحان والتجربة :

وعندما انقلبت (عرب) فصارت (ريع) زالت
بعض معانيها كالعادة ، لكن الغريب ان معنى (الرفع) -
وهو ائل (عرف) التي هي ائل (عرب) - ما زال باقياً
فيها حيث قيل (رابعوا) الحمل : ادخلوا (المربعة)
- كالمثدنة - اي المرفعة ، تحته ليرفعوه على الدابة .
ومن ثم صيغ بلفتنا الحديثة (الرباع) - كالجبار :

الصيب) وهما من هذه الطائفة اللغوية .

ومن معنى التلطيخ صار (العر) يعني الجرب أو الأجر ب لانهم يلطخونه بالقطران ، ومنه ظهرت صيغة (العار) و (التعمير) تقييح الفعل ونسبة صاحبه الى العار . و (العورة) : كل مكن للستر وكل ما يستحيا منه . ومن هنا أتت صيغة (العري) التجرد من الكساء - وأما :

المثيبة :

نشأت من معنى الأبرة، وهذه من حفر (البئر) . قالوا (أبر) فلانا : اغتابه ، استعاره من (أبرته) لعقرب : لسعته ، أي ضربته بأبرتها .

و (الأبرة) التي يقول المعجم انها محددة الذنب مثقوبة الرأس - ولعل الأصح انها محددة الذنب مثقوبة الرأس وهي تسمى في الخياطة باتجاه ذنبها - تعني النميعة أيضا ، ومثلها (المثيرة) .

الشر :

(عالنه) العداوة : جاهره بها .

و (علاه) : غلبه وقهره . و (علاه) بالسيف : ضربه .

و (يرق) الرجل يرقا و (أبرق) أبرقا : توعده .

و (العفارة) - كالعصارة : الخبث والنكر .

و (عفرسه) : صرعه وغلبه .

و (العفريت) : الخبث المنكر .. بالإضافة الى معناه السابق .

و (وابل) الرجل مرابلة : خبث وترصد للشر ،

و (توابل) : اغار على الناس وفعل فعل الاسد أي

(الرئبال) . أما (الرئيل) فاللص يغزو القوم وحده .

و (التبريح) و (البرح) - كالصرخ - و (البرحاء)

- كالبرداء : الشر والشدة والأذى . و (برح) به

تبريحا : آذاه أذى شديدا وأتبعه وأجدهه .

و (عريسد) : ساء خلقه .

و (العرعر) - كالهدد : السوء الخلق .

و من ذلك (عرمت) فلانا : أصبته بأذى ،

و (العرام) - كالهمام : الشراسة .

رافع الاقال في عالم الرياضة أي الرفاع . ثم صار فعل (ريع يربع) يعني : رفع الحجر بيده امتحانا لقوته .

ثم يظهر معنى الامتحان مرة أخرى في (الاختبار) فمن قولهم (استخبرته) و (تخبرته) : سألته الخبر . و (خبرت) الأمر : علمته بحقيقته وكنهه ، أو علمته عن تجربة - صار قولك (اختبرت) الشيء : عني خبرته وامتحنته .

و (اعتبرته) : اختبرته أو أحصيته .

و (عبر) الدراهم تعبيرا : وزنها ليعرف لم وما هي ، وكذلك (تعبیر) المتاع .

و (العابر) : الناظر في الشيء .

رد القبيح :

من قولهم (عرب) الرجل تعريبا عن صاحبه : احتج له وتكلم عنه - ظهر قولهم (عرب) تعريبا على الرجل قوله : رده عليه وقبحه ، ومثلها (عرب) عليه فعله ، وصار من معاني (التعريب) : تقييح قول القائل والرد عليه .

فحش الكلام :

ثم صار قولهم (اعرب) الرجل يعني كذلك : تكلم بالفحش وبالقبيح ، أي ضد معناه الاول . ولعل ذلك متأت من أن رد القبيح يكون بمثله عادة . وصارت (العرابية) - كالعمامة - تعني الفحش وقبح الكلام ، و (العرب) - زنة الشرس : الرجل (النرب) - من نفس الوزن - وهو الفاحش أو الفصيح ، و (النرب) - زنة الطرب : بداءة اللسان .

ومن التفرعات لفظا ومعنى نصل الى قولهم (البك) المرء الباك : أفحش في كلامه .

التعمير :

وهنا ظهر معنى التعمير والعار من قولهم (عربت) عليه فعله تعريبا : قبحته . والظاهر ان هذه الصيغة قد رخت فصارت (عر) القوم : لطمهم بشمر ، و (العارور) و (العارورة) : الذي يعر القوم . وصار (العر) - زنة الشر - يعني الشر و (العاب) أي

الخمسة تنطق بالسريانية (خمس) . وهكذا صارت « ذوات الأربع » : كل ما يمشي على أربع أرجل . ومن هنا سمي (الربوع) لأنه (ربوع) . والحقيقة انه لا يربوع بل يشي لانه يقفز على رجليه الخلفيتين ويجلس عليهما . وشذوذه هذا عن بني جلداته من ذوات الأربع جعلهم يسمونه (الربوع) ربما من باب التهكم .

النبات :

من المعاني الربيعية في دنيا النبات نذكر قولهم (ربغ) القوم : اخصبوا ، (ربغ) القوم - بالفين المنقوطة : اخصبوا ، وربيع (رابع) : مخصب . بل انهم اطلقوا (الربيع) نفسه على ما ينبت فيه من الكلا ثم على ما تعلفه الدواب من الخضسر . والمغاربة يسمون الحشيش والاعشاب الخضراء (الربيع) بنفس المعنى العربي القديم . و (المرابع) - زنة المسار : المكان الذي ينبت نباته في اول الربيع .

ومنها (المراب) و (المرية) - زنة المحبة : الارض الكثيرة النبات .

و (ربل) المكان تريلا : انبت (الربل) - كاطبل : شجر يتفطر آخر الصيف من طراوة الليل دون مطر ، و (الربل) - كالامل : نبات شديد الخضرة .

ثم (الرسم) - بفتحين ايضا : الكلا المتصل . ثم (الممر) - كالمذهب : المنزل الكثير الماء والكلا .

ثم (عرد) النبات تعريدا : خرج كله واشتد . و (اريش) الشجر : اوراق وتفطر ، او خرج ثمره ومنها (تبرضت) الارض : خرج نبتها ، ومن باب التضاد (البرضة) : الارض لا نبت فيها .

ثم نذكر (العروة) - كالغرفة : الشجر الملتف . وضده من نفس المادة (العريان) - كالثعبان : رمل نقي ، او عقد لا شجر عليه .

اما (برع) فقد فقدت معناها النباتي الذي يظهر في وليدتها (برعم) وذريتها : (البرعم) و (البرعوم) و (البرعمة) و (البرعومة) : زهر النبات قبل ان تتفتح ، وكم ثمر الشجر .

ونذكر (العبيراء) - كالسويداء : نبات . و (العبير) - كالغزير : الزعفران .

واشد من كل ذلك : عبره) تعبيراً : اهلكه . هذا بالاضافة الى ما تقدم ذكره من الشور من فحش كلام وعار وتعمير وغيبة ونميمة .

الربيع :

انه مفتاح الكثير من المعاني التي سنتقي بها ، وغيرها من التفرعات التي سنصرف النظر عنها .

فمن العربي صيغ (العريب) - زنة القريب : نمرء . قالوا : ما بالدار عريب ، أي احد . ومثله المعرب : - زنة المحسن .

ومن امثال هذا المعنى صار (الربيع) - زنة الطبع - منذ القدم يعني الناس أو الجماعة منهم . وانتقل المعنى الى مكان اقامتهم فاطلق (الربيع) على الدار ، ثم حولها ، وعلى المحلة اي المكان الذي يحلون فيه الرحال والاحمال عن ابلهم ودوابهم للنزول ، وعلى المنزلة اي المكان الذي ينزلون فيه . وجمع الربيع : ارباع (كالرجال) والاربع (كالارؤس) والارباع والربوع . وقد صرفنا نستعمل (الربوع) بمعنى الأجزاء والاصقاع .

ولما كانوا انما ينزلون ويضربون بيوتهم في مواطن الكلا ، وهذا يكون ايام الربيع على الاغلب ، صار (الربيع) - وهو في الاصل موضع نزول (الربيع) الجماعة - يعني فضل الخصب اي المطر والماء والنبات . . فقالوا (اربيع) في المكان : اقام فيه زمن الربيع . ثم (ربيع) بالمكان : اقام فيه (في زمن الربيع او غيره من فصول السنة) .

ويقول المعجم (تربيع) الجمل و (اربيع) : اكل الربيع اي الكلا ، وسمي . وبقي من ذلك في الدارجة العراقية قولهم عن الحيوان والانسان انه قد (ربيع) - بالتشديد - بمعنى هذه التعابير كذلك ما يداخل الماشية من نشاط في الربيع فتتقافز مرحا وفوران دم - ولا سيما الجداء . ويلوح لنا انهم قصدوا الجري ايضا كما لا يزال يقال بالدارجة الموصلية عن الحيوان انه (يربيع) - زنة يركع - بمعنى يجري . فالظاهر انها صيغة اصيلة المعنى بقدر ما هي أثيلة البنسى ، وعلى هذا تكون (الاربع) قد اطلقت أولا على القوائم التي تجري بها البهيمة ثم على العدد الذي يلي الثلاثة . مثل (الخمس) التي نحسب اثلها (الخمس) من الاظافر الخمسة التي يخمش بها الانسان ، وربما الصبي ، وجه صاحبه عند المراك ، هذا علما بان

و (العرفج) - كالثعلب : نبات سهلي (على قول المعجم) . ومن الاضداد (العرافج) - بضم العين : رمال لا طريق فيها .

و (العرفط) - كالتفند : شجر من العضاء .

و (العرعر) - كالبربر : شجر يشبه السرو .

و (العرين) - كالقرين : جماعة الشجر أو الشوك .

و (الهوير) : السوسن وزنا ومعنى ، أو الأحمر منه . والكلمة كالكثير غيرها مشتركة المعنى فهي تعني الفهد والقرد ايضا .

و (والاريجان) - بكسر الهمزة والياء : نبات لا يقول القاموس ما هو . نبات ما .

ثم (الرباس) - كالميزان : نبات يشبه السلق لكن طعمه مز ، أي حامض الى حلاوة .

واخيرا نذكر (العربي) - الصيغة التي تطلق على ابن العربية - فهي تعني كذلك الشعير الابيض سنبله . وناهيك به نموذجاً من اعتباطيات التطور اللغوي وتداخله ومفارقاته .

الماء :

جاء معنى الماء من الربيع أيضا منذ قالوا (ربيع) القوم - بصيغة الجهول : اصابهم مطر الربيع ، وكذلك الارض فهي (مريوعة) .

وقد مر بنا ان من معاني مادة (عرب) : الماء الصافي ، فذلك حيث قالوا (العرب) - كالشجر - و (العرب) كالحرص : الماء الصافي . و (عربت) البئر - بكسر راء عربت كثر ماؤها .

و (اثبرت) البئر : حفرتها . و (بار) : حفر . و (بقرت) الارض : سقيتها ، و (ابقرت) السماء : امطرت .

و (ارعفت) القرية : ملاتها حتى فاض الماء منها .

و (العرندس) - كالشمقمق : السيل الكثير .

واتسع معنى الماء فقالوا (عرب) النهر - كفرح غمر فهو (عارب) و (عاربة) . و صار (عبر) الوادي يفتح العين أو كسرهما : شاطئه ، ومن هنا جاء معنى (العبور) حيث قالوا (عبرت) النهر أو الوادي :

نقطته ، و (المعبر) - كالمنظر : الشط المهيأ للعبور ، ومنه مجازاً : (عابر) السبيل .

ومن معنى الماء قالوا (عبرت) العين : دمعت ، أي سال ماؤها ، و (العبيرة) : الدمعة ، بوزنها .

و (العد) - كالضد : الماء الجاري لا ينقطع .

اما (اعتلم) الماء فتمني : سال ، ومنها (الصيلم) الذي اصل معناه : البئر الكثيرة الماء - يعني كذلك : البحر على جلالة قدره .

ومن (عرب) النهر (العارب) أي الفامر الآنف الذكر صار فعل (عروم) على اختلاف طرائق نطقه ، يعني : اشند وخرج عن الحد ، وكان شرساً ، و (العرمسة) - كالنبقة : سد يعترض الوادي . ومن ذلك سمي « سيل العرم » الذي اكتسح سد مأرب . واسم (مأرب) الذي يقول المعجم انه موضع باليمن ، يبدو انه من معنى الماء طابيضاً منذ سمو السد على اسمه .

وقد تسرب الماء الى مادة (خير) ، فمن ذلك : (الخبراء) - زنة الخضراء - بلغة الموصل تطلق على ما يشبه البحيرة الصغيرة من الغدران المتخلفة من مياه الامطار تبقى في البرية ايام الربيع وتجف في الصيف . وهو اصل معناها فيما يظهر ولو ان الذي بقي في المعجم عنها هو انها : القاع ينبت شجر (الخير) - زنة الصيد ، والمزادة العظيمة . ونحن نرى كيف تجتمع في هذه الكلمة معاني الماء والنبات والطعام . وأوضح من الخبراء دلالة على ذلك هو هذا (الخير) الذي يعني شجر السدر والاراك وما حولهما من العشب ، والناقة الغزيرة اللبن ، والزرع ، ومنقوع الماء في الجبل ، والمزادة العظيمة مرة ثانية .

ومن الماء : (الخابور) . فبالاضافة الى انه نبت او شجر هو اسم نهر « شرقي دجلة الموصل » و « بين رأس العين والفرات » ، ويظهر من هذا انهما (خابوران) اثنان .

ويبدو ان اسم (خيبور) الحصن التاريخي المعروف بالحجاز انما سمي بهذا من معنى الماء أو نبع البئر الذي لا بد ان يكون الحصن قد بني عليه ، فلا حصن ولا قرية ولا مدينة من غير ماء . وما اكثر الاماكن المسماة بأسماء المياه في الحجاز وغيره من انحاء العربية . منها من نفس المادة (الخيرة) كالنبقة : ماء لبني ثعلبة .

ثالثا كثرة النفوس ، وهذه منشؤها الربيع بمائه
ونباته ، حيث صار (المعمر) - كالمعمل : المنزل
الكثير الماء والكلأ ، ومن ثم قيل (أبر) القوم :
بتشديد الراء : كثروا . وقوم (عبيسر) : كثير .
(العبر) - كالشكر : الكثير من كل شيء ، وقد
غلب على الجماعة من الناس .

ورابعها : كثرة عجيبة اثلها اللفظي (العبور)
والمعنوي (تعبير) الكباش ، أي ترك صوفه عليه سنة ،
أي انه يعبر سنة عن جز صوفه فيكثر . ومن ثم قيل
(أعبرت) الشاة : وفرت صوفها . ثم صاروا يطلقون
(العبور) - كالصبور - على الجذعة من الغنم ولو لم
يعبروا صوفها . وصار (المعبر) - كالمنظر - يعني
الموفور الريش أو الشعر . والجمل (المعبر) -
كالمنظر : الكثير الوبر .

ثم (ربغ) الشيء - بضم الباء وبالعين المنطوقة :
كثر ، و (الأربغ) : الكثير المتسع .

ثم (استربح) الرمل - بالعين المهملة : تراكم .
(العرمم) : الجيش الكثير ، ولعل هذا من سيل
العرم .

وما الى ذلك ...

فساد المعنى :

حين جاء معنى كثرة الاكل من معاني الربيع التي
نجد منها قولهم (ارتبغ) الجمل و (تربغ) : اكل
الربيع وسمن - جاء بعده قولهم (عرّب) - كفرح -
الطعام : اكله . مما يدل على أن صيغة (عرب)
استعملت بمعنى الربيع قبل (ربغ) ، أي أنهم قبل أن
يقولوا (ربغ) بالمكان : أقام ، قالوا أولا (عرب)
بالمكان ، لكن هذا المعنى زال من هذه اللفظة .

ولا ندري كم من الالفاظ اختفى منها معنى الاكل
قبل أن يعود الى الظهور في فعل (رفا) - بالتشديد :
اكل كثيرا ، و (بوج) - كفرح : اتسع أمره في الاكل
والشرب ونحوهما .

وقالوا (اعرن) : دام على اكل (العرن) - زنة
البلد - وهو اللحم المطبوخ . و (عرمت) - بثلاث
فتحات - الابل الشجر : نالت منه . وحين اكتسبت
الكلمة معنى الاكل قيل على المجاز (عرم) الصبي امه :
رضعها .

ومن الاسماء المائية : (الربانية) - بكسر الراء
وشد الباء والياء : ماء لبني كلب بن يربوع .

و (عرفجاء) - بفتح العين والفاء : موضع أو ماء
لبني عقيل ، وربما كان الأصح : موضع (و) ماء لبني
عقيل وعندها يكون الموضع قد سمي باسم الماء .
وواضح ان (عرفجاء) من الفاظ هذه الطائفة فاثلتها
(عرف) و (عرب) .

و (عربان) - كالحقن : بلدة بالخابور ، ولعلها
بذا سميت لوقوعها على نهر الخابور ، ومادة اسمها
(عرب) غنية بالماء كما رأينا أكثر من مرتين .

و (العربية) - بثلاث فتحات : ناحية قرب المدينة،
واكبر ظننا ان اسمها مائي أيضا .

كذلك (عربة) - مكة - يبدو لنا ان اسمها مائي
هو الآخر . وهذا يتساق مع حكاية اقامة اسماعيل
وايه هاجر في ذلك الوادي النقطع غير ذي الزرع ،
الذي بنيت فيه مكة على بئر زمزم القليلة الماء
الإجاجة . وصارت (العربية) - بالتعريف - تطلق
على النهر الشديد الجريان أيضا ، اما بلغة جبل آخر
وأما بعد ذلك الحين من الدهر .

ومن معاني الماء قولهم (عذب) الرجل - كضرب :
ترك الأكل من شدة العطش ، ومن هذا فيما يظهر نشأ
(العذاب) ، اما (عذب) الماء - بكسر الذال - فيعني
علاه الطحلب . واما الماء (العذب) أي الطيب السائغ
فمن قولهم (عذب) الشراب - بالضم هذه المرة :
كان طيبا مستساغا . ومن هذا نشأ قولهم (عذا) المكان
عذوا : طاب ، أو كان بعيدا عن الماء والوخم .

الكثرة :

جاءت من عدة أشياء ربعية .
منها أولا كثرة الماء . ومن ذلك (عربست) البئر
- كفرحت : كثر ماؤها ، و (عرب) الرجل : أكثر من
شرب الماء الصافي ، و (عرب) النهر : غمر .

و (العد) الذي قلنا انه يعني الماء الجاري لا
ينقطع ، يعني كذلك الكثرة من كل شيء .

ثانيا كثرة النبات . منها (المراب) - كالمحراب -
و (المرية) - كالمحبة : الأرض الكثيرة النبات .
والأصل هو (المرباع) : المكان الذي ينبت نباته أول
الربيع . ثم (ربا) المال : زاد ونما ، ثم (الربح) ومنه
قالوا (ربحه) على سلته : أعطاه ربحا .

ومن قولهم (أوم) - بالفتح - ما على المائدة :
أكله ولم يدع منه شيئا - صارت (الأوم) - بضم
ففتح مشدد : الاضراس ، أي أدوات الأكل .
و (البرقشة) : الإقبال على الأكل ، و (برقش) في
الأكل : إقبال عليه أو خلطه ، والأصل الخلط لأن
البرقشة تعني أصلا : التزيين .

و (الرغيب) : الواسع الجوف من الإنسان
وغيره ، أي الكثير الأكل .

ومن معاني الأكل قالوا (خبرت) الطعام تخبيرا :
دسمته تدسيما . و (الخبسر) - كالصبر : المزادة
العظيمة ، وهي ما يوضع فيه الزاد ، و (الخبرة) -
كالحمرة : طعام المسافر ، والثريدة الضخمة ،
وقسمته فيها لحم وخبز ، والنصيب من لحم أو سمك،
وما تشتريه لاهلك من طعام ولحم .. الخ ..

ومن كثرة هذا الأكل من لحم وسمك وغيرهما
تجمعت التخمة طبعاً أي فساد المعدة ، فقبل
(عرب) - كفروح - الرجل : فسدت معدنته .
و (أربست) و (ذربت) كلاهما كفروحت - المعدة :
فسدت أيضاً ، أو صلحت من باب التضاد . والقسي
عربونه - بفتحتين : ذا بطنه .

الأمراض :

فساد المعدة اتسعت أبعاده فنشأت منه ومن
مصادر أخرى أنواع مختلفة من العلل ، منها قولهم
(ذرب) الجرح : فسد واتسع ، قياساً على « ذربت
المعدة » . وقياساً على « عربت المعدة » قيل (عرب)
الجرح : تورم وتقيح . و (عرم) شيء فهو (عارم)
و (غرم) : فسد .

و (الروبعة) - زنة الزوبعة : داء يأخذ الفصيل
و (الربو) : انتفاخ الجوف ، أصلاً ، ثم صار
يعني كذلك مرض عسر التنفس .

و (العر) - زنة الشر : الجرب

و (العند) - كالمر - و (العدة) - كالمدة :
بشر يخرج في الوجه .

و (العرن) - كالدرن - و (العران) - كالمران -
و (العرنلة) - كالفرقة : داء يأخذ في رجل الدابة
يذهب بالشعر ، أو هو تشقق أيديها وأرجلها .

و (تربل) تربلا : كثر لحمه ، و (الريبل) :
السمين . وما كان هذا يعد مرضاً عندهم لكنه أصبح
في عصرنا مرضاً ووسواساً عند الجنس الذي بعضه
لطيف حقاً . على أن القدامى قالوا (تربل) جسمه
بمعنى انتفخ ، أيضاً .

التبدي :

(البر) : خلاف البحر ، أي الأرض اليابسة ،
وأثله (برا) : خلق . و (البرية) - بشدتين : الصحراء ،
ومن هنا قالوا خرج الرجل (برا) : إلى البر والصحراء .
وجلس (برا) : خارج الدار . وما زالت دارجات
عربية تستعمل (برا) - بدون تنوين - بنفس المعنى .

و (ابتسر) الرجل - بتشديد الراء : انفرد عن
أصحابه . ثم صار (البرانسي) : الخارجي ، خلاف
الجواني : الداخلي .

كذلك (أقفر) الرجل : تفرد عن أهله ، أو صار
إلى (القفر) أي الخلاء المقفر .

ثم صار (العراء) - كالرجاء - ومثله (البراز)
و (البراج) : الأرض الفضاء ، ومن هذا الأخير :
(الرحب) - بالضم : بمعناه ، أما بالفتح فيعني الفسيح .

وشمل هذا المعنى : (العربي) : ساكن البر .
وقد تخصصت صيغة (الأعرابي) بسكان البادية خاصة ،
وجمعتها (الأعراب) . ولهذا قال العرب أنفسهم
(تعرب) الرجل : بمعنى أقام في البادية وصار
(أعرابياً) .

الجذب :

صحيح أنهم قالوا (أوم) ما على المائدة : أكله ولم
يترك منه شيئاً ، لكن هذا المعنى خلق قبل أن تعرف
الموائد ، منذ قالوا (أوم) الأرض : لم يترك فيها أصلاً
ولا فرعاً ، و (أومت) الشيء : ذهب (بأرومته) أي
استأصلته . ومثل هذه الأرض نصيبها الأقفار والجذب
بطبيعة الحال .

وأصل المعنى من كثرة الأكل في الربيع ، الذي
تقدم ذكره .

و (أقفر) المكان : خلا من الناس والماء والكلأ ،
أي من الماء والكلأ . ومن ثم الناس . ومنه (أقفر) الرجل :

اخواننا السوريين ما زالوا يقولون لك اذا طرقت الباب وسالت عن صاحب الدار مثلا انه قد (ظهر) بمعنى غادر البيت .

الخلق :

(برا) الشيء : خلقه من العدم . وهذا من (البر) الذي يعج وخاصة في الربيع بأنواع المخلوقات من حيوان ونبات ، فلهذا كانت (البرية) وهي (البرية) - زنة السجية : الخلق ، أي المخلوقات . ومن أخواتها (البرية) - بتشديد الراء والياء : البر والصحراء . و (الباري) : الخالق .

و (برا) أثلها (برع) التي يظهر أنها كانت تعني برز النبات وارتفع ، بدليل أنهم منها اشتقوا (برعم) و (تبرعم) ، و (البرعم) . ثم صار فعل (برع) يعني : فاق علما أو فضيلة أو جمالا . ومثلها (أبر) عليه - بتشديد الراء : غلبه وفاقه .

ومن هذا أيضا (برض) النبات : خرج (بارضه) أي أول ما يطلع منه .

الماء :

اصل معنى المعرفة كما سلف هو (الارتفاع) قد تسلسل هكذا : فرع - رفع (- رعى) - عرف .

ولنبدا بالفرع . قالوا (فرعت) القوم فرعا : علوتهم بالشرف ، و (فرعت) في الجبل تفريعا : صعدت . ومن باب التضاد صار (التفرسع) يعني الانحدار أيضا .

ثم ظهرت صيغة رفع ومنها (الرفيع) : العالي ، و (الارتفاع) و (الرفعة) ...

ثم (الراعسف) : انف الجبل ، أو طرف ارنبة الأنف .. إلى آخر ما تقدم ذكره .

هذا في الفرع والرفع والرفع . أما مشتقات (عرب) فقد جاءها معنى العلو من الربيع فيما يبدو ، ومن نمو النبات وارتفاعه خاصة . ومن ذلك صار (الربا) يعني الزيادة والنماء ، بدليل صياغة (الربوة) منه . والأثل (ويا) - بالهمزة : علا وارتفع ، و (المرياء) : المراقبة ، ومن ثم : المراقبة - لأن مكان المراقبة ينبغي أن يكون (ويا) أي مرتفعا .

صار إلى القفر أي الخلاء الذي لا ماء فيه ولا كلاً ولا ناس ، وهي أيضا صفة (البراح) و (البراز) اللذين تقدم ذكرهما . وعلى المجاز والاستعارة قيل (أقفر) الرجل : لم يبق عنده دم ، وصار (القفار) يعني الخبز الذي لا آدم معه .

ومن معنى الجذب أيضا قولهم (امعرت) الأرض: قتل نباتها ، و (امعر) القوم : أجذبوا .

و (البرضة) - كالغرفة : أرض لا نبات فيها . و (البرقة) - كالغرفة أيضا أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين . ومنها على ما يظهر (برقة) في ليبيا ، التي بوردها صاحب القاموس بالتعريف (البرقة) .

و (البلوق) و (البلوقة) - زنة البلوط والبلوطة: المفازة ، والبقعة لا تنبت البتة .

ومنها (البلقع) و (البلقعة) : الأرض المقفرة .

ثم (العلب) - كالدرب - و (العلب) - كالبر - و (العلب) - كالشرس : المكان القليظ لا ينبت .

وطبيعي أن هذه ليست كل اللفاظ التي اطلقوها بمعنى الجذب ، فالأثل هو (الربيع) وهو من (الربيع) وهذا من (العرب) كما هو معلوم . ووجود معنى الجذب في مادة (عرب) في اللغات السامية جميعها دليل آخر على أن هذه الكلمة نفسها - أي العرب - قد اطلقت أولا على معنى الربيع فالأكل فالاستئصال . وأقرب الصيغ الأنفة إلى (العرب) هي الأخيرة - أي العلب - مما قد يؤيد ذلك . بل أن (عرب) نفسها - من باب ضرب - تعني الأكل .

وقد اطلقت (عربو) في السريانية - الأرمية - على الصحراء لأنها موطن العربي ، ولم تطلق على العربي لأن موطنه الصحراء كما ظنوا . والظاهر أن العرب الأوائل ، من أهل الحضرة ، هم الذين اطلقوا (عربو) على الصحراء والجذب ثم ظهرت في السريانية وغيرها . ومن ذلك قولهم (تعرب) الرجل - العربي : أقام في البادية وصار أعرابيا . واطلاق (العربي) في الكثير من الدارجات العربية على البدوي قد يؤيد ذلك . ولا سيما أن ابن خلدون أيضا قد استعمل الكلمة بهذا المعنى . شبيهة بذلك تسمية (البيداء) و (البادية) من (البدوي) الذي جاء اسمه من فعل (بدأ يبدو) أي ظهر ، بمعنى خرج إلى البادية . ولنا نمحله إذ ندعي أن معنى الخروج قد تأتي من معنى الظهور ، فإن

و (الراية) و (الريوة) : ما ارتفع من الارض .
 و (المرتبن) : المرتفع وزنا ومعنى .
 ومثل رباً : (علا) يعلو علوا واعتلاء : ارتفع .
 و (علوت) المكان : صعدته .

كذلك (عرد) الشيء - بالفتح : طلع وارتفع .
 ثم (عروى) - زنة نجوى : هضبة .
 و (الفردة) - زنة العروة : هضبة في اصنها ماء .
 وبعد الريوة والهضبة يصل الارتفاع الى الجبال .
 برعت (الجبل) : علوته . و (العلم) - زنة القلم :
 الجبل الطويل ، ومجازاً : سيد القوم .

و (العرناس) - كالعرفان : انف الجبلين .
 وللكنمة علاقة بـ (العرنين) : الأنف ، أو ما صلب منه ،
 ومجازاً : السيد الشريف .

و (معبس) - زنة مظفر : جبل بالدهناء .
 و (برع) - زنة مضر : جبل بتهامة .

و كنت قرأت عن جبل اسمه (العسرو) - ربعا
 زنة الفرو - قام من أجل امتلاكه نزاع مسلح بين
 السعودية واليمن في العشرينيات من هذا القرن
 المشؤوم ، ثم تنازلت عنه السعودية لليمن صلحا . ولم
 نجد الاسم في الفاموس . ويبدو كأن (الوعسر)
 و (الوعورة) قد نبعثا منه فتلك المنطقة مشهورة
 بوعورتها فعلا ، وما عبثا اطلقوا على الارض الجبلية
 الواقعة بين الحجاز واليمن اسم (العسير) .

ثم يعنى العلو في التحليق حتى يبلغ السماء :
 حيث يقولون (عرد) النجم - بالتشديد : طلع وارتفع .
 ثم بالغ المعنى في الصعود حتى ادرك اقصاه فتناول
 السماء السابعة نفسها منذ سموها (عروباء) !

العلامة :

جاء معناها من العلم بالشيء ، حيث صار
 (العلم) - كالقلم - يعنى الجبل والراية ، و (علمت)
 على الشيء تعليماً : جعلت عليه (علامة) أو (أعلومة)
 فهو (معلم) - زنة مهذب . ومن ثم سمي الضبع الذكر
 (عيلما) و (عيلاما) لانه مخطط ، استعارة من تخطيط
 الثوب ، فقولك (أعلمست) الثوب ، يعنى جعلت له
 (علما) من طراز أو غيره . كذلك (علمته) - كضربته :
 وسمنه ، والرسم في الاصل علامة تكوى على جلد

الماشية لتعرف بها . وتعني (علمته) كذلك : شفتت
 شفته العليا فهو (أعلم) ، لان هذا أيضا علامة .

و (أعلمست) الفرس : علقت عليها صوفا ملونا في
 الحرب .

ومن هذا المعنى صارت (العبيبة) : الصوفة
 الحمراء .

و (الطلب) - كالقلب : أثر السوط وغيره .
 و (الأعرم) و (العرماء) : الحية الرقشاء .
 ومنها (الأرملة) فيما يظهر : العلم أي الراية .
 و (الأزم) - بفتح الهمزة أو كسرهما : حجارة تنصب
 في المفازة يهتدي بها .

ومن العلو صارت (العلوة) على الراس والعنق،
 تعنى : العرف .

وكما نشأت صيغة (علا) من (علم) بمعنى العلو،
 صارت تعنى السلامة كذلك فى (على يعلى) - بتشديد
 اللام ، فأصبح قولك (عليست) الكتاب تعليمة ،
 و (علونته) يعنى (عنوانته) ! .. بمعنى جعلت له
 (علوانا) أي (عنوانا) . وكنا قد ارتأينا فى كتابنا
 «مغامرات لغوية» - فصل «أربطة البهائم فى لغتنا
 الثقافية» - ان (العنوان) من (العنان) لكننا نرى
 الآن عكس ذلك أي ان العنان من العنوان .. فى قولك
 (عنتت) اللجام : جعلت له عنانا ، و (عنتت) الكتاب :
 جعلت له عنوانا . هذا التصحيح وأمثاله نوردده اخلاصا
 للحقيقة وتوكيدا لما طفقنا نردده من كثرة ما فى مثل هذه
 الابحاث اللغوية من متشابهات ومزاقات .

اللبون :

من مادة برع قالوا : البرق (البرع) : اللامع .
 و (برقت) الشيء تبريقاً : زينته . و (برقت) المرأة
 برقا و (برقت) تبريقاً و (أبرقت) : تزينت .

ومن هنا جاء (التبرج) : اظهار المرأة زينتها
 ومحاسنها للأجانب ، وصارت الكلمة تعنى حديثاً :
 المبالغة فى الزينة .

و (برق) الشيء برقا : لمع وتلألا . ومنه
 (برق البرق) : لمع . ومن البرق فى ظلام الليل على
 ما يبدو صار (الأبرق) : ما اجتمع فيه سواد وبياض ،
 ومنه نشأ (الأبلق) الذي نشيح عنه الآن لكيلا يضيع
 من يدنا خيط السياق لنعود اليه بعد حين .

الإصالة والجودة :

الخيال (العرب) - زنة الشهاب : هي السالمة الهجنة ، وما زالت الخيل العربية مشهورة بأصالتها وجودتها . وقياسا عليها قيل (الإبل العرب) . والخيال (العرب) تنطق أيضا : الأعراب (كالأرؤس) ، و (المعربة) كالمطربة) . ومن ذلك قالوا (أعرب) الفرس : سهل فعرقت عتقه وسلامته من الهجنة . و (أعربت) أنت الفرس العربي : ميزته من الهجين اذا سهل ، ومن ثم (أعربت) الفرس أيا كان : أجريته ؛ ويظهر ان معنى الجري هنا انما نشأ من اختبار عروبة الفرس في جرية .

ولعل معنى الإصالة والجودة قد تأتي من خيلهم ، ثم تسرب الى الصيغ الأخرى .

وقالوا فلان (عبر) لكل عمل - زنة بشر : صالح له وخبير به . وهذا المعنى قد جاء على الأغلب من (العبور) ، فان (العبر) - كالكفر : السحاب التي تسير شديدا ، ثم (العبار) - كالجبار : القوي على السير ، ثم (العبر) - بفتح العين أو كسرهما أو ضمهما : الصالح لكل عمل .

ولعلمهم قد قصدوا الحمية والنخوة والحفاظ . . يوم قالوا (تصرب) الرجل : تخلق بأخلاق العرب وتشبه بهم .

النشاط :

(العلامي) - بالضم : الخفيف الذكي .

و (بوز) الفرس تبريزا : سيق الخيل ، ومجازا (بوز) الرجل فاق أصحابه .

و (عرب) الرجل - كفرح : نشط ، و (العرب) - كالطرب - و (العرب) كالفرب : النشاط .

القوة :

(استريع) البعير للسير : قوي عليه ، ولعل هذا من (الربيع) أي الحمل لأن قوة البعير في السير انما تعرف حين يكون عليه حمله ، وخصوصا أن (الربيع) - كالمثدنة - هي المرفعة ، أداة الرفع . وبعد هذا قيل (استريع) الرجل الشيء : اطاقه .

و (الأبرص) : المصاب ب (البرص) - كالفص : المرض الذي يحدث في الجسم كله قشرا أبيض . .

و (الأبرش) : الذي في جلده نقط من غير لونه .

و (الأربش) : المختلف اللون . وارض : برشاء) : كثيرة العشب مختلف الوانه .

و (الربل) - بفتحيتين : نبات شديد الخضرة ، كما تقدم .

و (اوبسد) اللون - بتشديد الدال : تغير .

و (ربدت) الشاة تربيدا : بدا في ضرعها لمع سود وبياض ، كأنما الأتل (برق) .

ومن (برق) جاء قولهم (برقشيت) الشيء : زينته . ومنه (أبو برقش) و (البرقش) - زنة الحصرم : طائران ملوان .

وقد مر بنا ان (عر) يعني : لطح . وربما منه نجم (الأعرم) : المتلون والأبرش ، و (العرماء) : الحية الرقشاء ، و (العرم) - كالقلم - و (العرمة) - كالتهمة : سواد مختلط ببياض ، أو هو تنقيط بينهما . أي كذلك مثل الأبرق الذي نشأ منه (الأبلق) الذي جاء دوره في الحديث ، ومعناه نفس معنى الأبرق .

فهذا الأبلق فضلته اللغات الأوربية الى لونييه المختلطين فجعلتهما مستقلين ، مثلما تفصل الماء بقطب كهربائي الى عنصره الأوكسجين والهيدروجين . فبعض هذه اللغات اطلقت على الأسود كالانكليزية : (Black) ، وبعضها اطلقت على الأبيض كالاسبانية : (Blanco) والايطالية (Bianco) والفرنسية (Blanc)

وان كانت الكلمة تعطي معنيين متعاكسين في اللغات الأوربية فقد كانت كذلك منذ القدم في العربية . وما زالت تعني الأبيض البشرة أي الأشقر بالدرجة المغربية وهم ينطقونها كالانكليزية (Black) بتسكين أولها : (بلق) ، أو بالأحرى ان الانكليزية تنطقها كالمغربية التي تمثل إحدى اللهجات العربية القوي . . على حين أن الكلمة تعني الأسود بالفصحى في صيغة أخرى هي (الأربك) وهي متطوورة من (الأبرق) بقلب وابدال . وشبهه بذلك الى حد ما أن (الأبرش) الذي قلنا أنه يعني من كان في جلده نقط من غير لونه ، يطلقونه في شمالي العراق على من كان أشقر شعرا وبشرة ، لأن النقط ، أي النمش ، انما تكون في البشرة الشقراء على الأعم .

وربما من هذا الاصل تفرع (العبر) - بالفتح او الكسر او الضم : القوي الشديد ، وجمال (عيسر) اسفار : قوية على السير ، والجمال (العيار) - كالمطار : القوي على السير ، وكانهم قالوا : رباع .

و (العريد) - بكسرتين : الشديد من كل شيء .

اما (العلب) - بفتح او ضم او كسر - اي الصلب الشديد كذلك ، فيعني ايضا : المكان الغليظ الذي لا يثبت كما تقدم ، وهو اصل المعنى فيما يبدو . وحينئذ صار نعت الرجل بـ (العلب) يعني الغليظ الجافى .

و (العرد) - كالفرد : الصلب الشديد كذلك . ومنه (العرداد) - كالزئبال : الشجاع الصلب . و (العردمان) - بضم العين والذال : الشديد الجافى .

وشبيه بذلك (العرنند) - بضم العين والسراء والذال ، او فتحها جميعا : الصلب .

و (العرمرم) : الشديد .

الربيط

بعد قولهم (ربع يربع) بمعنى اقام ، ثم بمعنى تروق وتوقف وانتظر ، قالوا (رب) بالمكان و (ربد) و (لبد) : اقام .

ومن الاقامة والانتظار نشأت معاني الربط وغيرها من معان جانبية كثيرة سنكتفي منها بالقليل المهم .

(تربث يتربث تربثا) تمكث وتبطأ ، ومن ثم قيل (ربثه) عن كذا : منعه وجبسه . ومنها نشأت (لبث) و (تلبث) .

و (تربص) : انتظر وتوقف .

ومن (ربد) بمعنى اقام صيغ (المربد) - كالمبر : محبس الابل وما شاكلها ، ثم اطلق على سوق للدواب بالبصرة صارت منتدى يلتقي فيه الادباء والشعراء ، وهي غنية عن التعريف .

و (ربضت) الدواب : بركت ، و (اربض) الدواب : آواها في (المريض) اي الزريبة . وعندها ظهرت صيغة (بروك) ثم (الركبة) التي يبرك عليها ، ثم (الركوب) ، ثم (البركة) - بفتحيتين ، على نسق النعمة من النعم - بفتحيتين - الى الابل ، وتطلق على البقر والنفم كذلك .

وشبيه بالمريض (المرابط) موضع (رباط) الدواب . وقالوا (ربطت) الامر : واظبت عليه ، و (رابط) الجيش : لازم تخوم العدو ، و (ربطه) : اوقفه وشده .

ثم قيل (ربقته) : ربطته في (الرقيق) - زنة الريح : حبل فيه عرى ، و (الربقة) - بفتح او كسر : العروة في الحبل .

ثم يختلف معنى الربط في (ربك) وتبقى نتيجته فقولا (ربكته) يعني القيته في وحل ، اي صار يتخبط في سيره كالمربوط ، وهذا يذكرنا بالوصف البسارع الذي انجبه قريحة صريع الغواني يوم شبه مشية السكران بمشي « المقيد في الوحل » . وكما ولدوا معنى المشكلة في (الورطة) التي اصل معناها الوحل - ولدوا معنى التخبط في (الارتباك) الذي اصل معناه : السقوط في الوحل . ومنه (ارتبك) الصيد في الحبال : اضطرب ، ثم (ارتبك) الامر : اختلط .

ويظهر معنى الوحل والتخبط فيه في صيغ اخرى مع الربط او بدونه ، مثل (كربسته) : اخذته وربطته ، و (كويس) الرجل : « مشى مشية المقيد » . وكانا بصريع الغواني يود تكلمة هذا التعبير المعجمي باضافة « في الوحل » اليه .

ثم (كرفس) : مشى مشية المقيد ايضا ، و (كرفست) البعير : قيده .

و (كربل = يكربل) : مشى في الطين او خاض في الماء . و (كربلت) الشيء بالشيء : خلطته ، و (كربلت) الحنطة : غربلتها ، ولا حاجة بنا الى لفت النظر هنا الى ان (القريلة) اثلها هذه (الكربة) .

ومن (ربك) نشأت صيغة (كبل كبلا) التي يظهر فيها معنى القيد والحبس . و (الكبل) - بفتح او كسر : القيد ، او اعظم ما يكون من القيود ! ومما يدل على تولد (كبل) من (ربك) هو ان (الكابول) يعني حباله الصيد التي لمحناها لمحا في (الارتباك) .

ويظهر (الكبل) بنفس لفظه اي (Cable) في الفرنسية والانكليزية وغيرهما من بعض اللغات الاوربية ، بمعنى الحبل اولا ثم السلك المعدني ، ثم صار يعني البرقية منذ كانت البرقيات ترسل عبر الاسلاك . وفي العراق يسمونه (القابل) تعريبا وجمعه (القابلوات) . ولو سموه (الكبل) وجمعه (الكبول) لجمعوا بين العروبة والتعريب .

ثم نشأ (البك) فقالوا (لبك) - بالكسر - و (تلك) و (التك) الامر: اختلط وتلبس. أي أن معنى الحبل والربط قد اختفى هنا أيضا وبقيت نتيجته، عودا على (ربك)، ما يدل على أن (البك) من (الربك) لا من (الكبل). ولعل (الكرب) أيضا من هذا (الربك).

ولا بد أن القارئ الكريم قد لاحظ أن فعل (تلبس) هذا أي اختلط، قد نشأ من (تلك)، ومثله (التبس) من (التك) .. ثم: لبس، وسلب. ومن لبس نشأت: لمس، التمس، تلمس .. مس، مسح، وربما مسح أيضا. ثم من اللمس نشأت: استلم (بمعنى لمس، مثل استلام ركن الكعبة) .. ومن استلم نشأت: تسلم، وسلم (بالتشديد) - ثم سلم (بكسر اللام) - ثم السلام والسلم .. وكلها باستثناء السلام والسلم - واقعية موجودة في العالم.

الحيوانات :

ما أكثر الحيوانات التي انبثقت أسماؤها من تفرعات هذه الطائفة من الصيغ، منها السائم والزاحف والسبع، ومنها حيوان الماء والهواء، والحشرات. فاما الماشية فنذكر منها :

(الأرب) - زنة الشكر: صغار البهم ساعة تولد. (الربي) : بضم الراء وفتح الباء مشددة : الشاة الحديثة التناج.

و (اليعمور) : الجدي الصغير.

و (الرياح) - كالسعال - و (الرياح) - كالنفاج: الجدي، والفصيل، أي ولد الناقة أو البقرة فصل عن أمه.

و (الرؤوم) وكذلك (الرئم) و (الرائمة) : الناقة العاطفة على ولدها.

و (القفز) - بالفتح : الثور اذا فطم وعزل عن أمه ليحدرث.

ثم نذكر (البعير) وهو الجمل اطال الله بقاءه.

و (الريض) - بالكسر - من البقر : جماعتها حيث تربض. بذلك سميت من الربوض أي البروك.

ثم (البقرة) وقد جاءت تسميتها فيما يخيل لنا من (الريق) وهو القيد الذي صار في المعجم يعني

الحبل ذا العرى من قولهم (ربقتها) : ربطتها في الربق. وتسميته الحيوان من قيده قد جرى على ولدها العجل أيضا، فالذي نظنه أن أئله (العقل) أي العقال الذي كان يعقل به ربما لمنعه من الرضاع أو توطنه لعملية ذبحه، وما زال العجل وأمه وأبوه يعقلون حين يعقرون. ومن البقرة ظهر معنى (البقر) - زنة السطر: بمعنى الشق والبجع، و (القربان) لأنها كانت تنحر للآلهة. ومن هنا أتانا معنى (القريب) و (التقرب) إلى الآلهة: ثم معنى (القرب) ضد البعد، ومنه الشيء (القريب) : ضد البعيد، ثم الشخص (القريب) : ضد الغريب، ومن ثم صلة (القريب) و (الآرابة).

يظهر اسم البقرة مرخما في اللاتينية أي بالحرفين الأولين فقط (بقة - Vacca) التي نراها في الفرنسية بصورة (Vache)

وتجيء مقلوبة في الفارسية بصورة (كاب - Gab) وقد كانت قديما وما زالت تنطق (كساو - Gav) أيضا. وهي الصيغة الشائعة في الفارسية الحديثة، وهي شبيهة جدا بالانكليزية (كساو - Caw) ومنها الصيغة التي فاقتها شهرة تعني الـ كايوبوي - Cowboy راعي البقر. وإذا لم نشأ التشبث بها ففي وسعنا بدلا من وضعها بين قوسين في كتاباتنا أن نعربها تعريبا دقيقا بصيغة (البقار) - على غرار الغنم والجمال والحمار - وكلها بالتشديد.

وقبل الانتقال إلى السوائم البرية نذكر (الكلب) الذي يرافق الماشية بصفة راع مساعد، واسمه من (الكلاب) - زنة الرمان - أي الخطاف وهذا من (الكبل) السابق ذكره في موضوع الربط.

وأما من سائمة البرية فنذكر :

(الرئم) : الظبي الأبيض.

و (الربوب) : القطيع من بقر الوحش.

و (الأعقر) : نوع من الظباء ضعيف الجري، اختلفوا في صفة لونه، أي أنه أطلق على أنواع مختلفة الألوان منه. وأصل المعنى على كل حال من نون (العقر) أي التراب، بدليل أن :

(اليعفر) : ظبي بلون التراب.

ثم نذكر سيد الحيوانات - بعدنا - وهو قريينا المجنون، القرد، ولنقل أنه من حيوان الشجر. وهو:

(الهار) - بالتشديد : القرد الكثير الشعر ، ويسمى كذلك (الهوير) - زنة الكوكب ، وهذا من أسماء الفهد أيضا .

و (الرياح) - كالحمال - و (الرياح) - كالتفاح : القرد الذكر . وهما نفس الصيغتين اللتين تقدم انهما تعنيان الجدي والفصيل . وهذا من أمثلة اختلاط تسميات الحيوان بسبب اختلاف القبائل ، وأحيانا بسبب اللجوء الى المجاز والاستعارة في التعبير ، اقتناسا .

و (اليربوع) الذي سلف ذكره لا سائس ولا زاحف : نوع من الفار قفاز طويل الرجلين ينتصب عليهما حين يجلس كأنه يحسب نفسه الكنغر . وفي درجات الشرق الاوسط يسومونه (الجربوع) .

ومن الحشرات نذكر :

(الهبور) - زنة السفود : الذر الصغير ، اي سفار النمل .

و (العميرة) - كالخميرة : خلايا النمل مجموعة . و (البرقان) - كالبركان : الجراد المتلون ، واحده (البرقانة) .

ثم (العرارة) : الجرادة ، وتسمى (العرادة) أيضا .

ولا نعلم هل الصيغة الاخيرة ائلها (الجرادة) من معنى (جرد) الارض من نباتها أم ائلها (العرارة) من (العر) أي جرب البعير الذي يذهب بوبره . والارض (الجرباء) هي : المحلة ، مثل الجرداء .

و (الربية) - بالضم : « شيء من الحشرات » لا ندرى ولا صاحب القاموس يدري ما عسى أن يكون .

ومن الزواحف نذكر :

(سام أبرص) الدوبية المعروفة ب (ابي برص) وهو اسمها بالدارجة العراقية أيضا . ثم الحية ، وقد استأثرت بغير قليل من صيغ هذه الطائفة ، فهي :

(الرقشاء) : الحية المبرقشة ، من برقش وبرق ، بمعنى زين .

و (العرماء) : الحية الرقشاء ولعل اصل المعنى من (العرامة) : الشراسة والأذى . ثم بعد ان اطلقت الكلمة على الحية الرقشاء صارت (العرمة) تعني السواد مختلطا ببياض ، أو التنقيط بينهما .

و (ام الريين) : الافعى .

و (العريذ) - بكسر العين والفاء ، وبخفيف الذال او تشديدها : الذكر من الافاعي .

واخيرا (العامرة) و (العامر) : الحية . وجمعها (العوامر) ، وتسمى (عوامر البيوت) . وواضح ان التسمية قد اطلقت اولاً على الحيات البيئية .

وننتقل الى السباع . وليكن اولها الضبع فهي :

(ام عامر) ولعلها بدا سميت لانها مخططة كبعض الحيات (العوامر) .

وهي (العرفاء) - زنة البلقاء : بدا سميت لكثرة شعر رقيتها .

اما (العيلم) و (العيلام) فهو الضبع الذكر . وربما جاء الاسم من العلامات أي الخطوط في جسمه . اما (العيلم) الضفدع فمن معنى الماء .

ثم نذكر (العوير) : جرو الفهد .

ثم (الهوير) : الفهد ، وهو الاسم الذي قدم انه مشترك بينه وبين القرد الذكر .

ثم يأتي الاسد ، وحصته من أسماء هذه الزمرة اللغوية كبيرة جدا بالقياس الى سواه ، فهنا ايضا له حصة الاسد .

فهو (الربال) و (الرئبال) لكن هذا الاسم الاخير يشاركه فيه الذئب .

وهو (المتريسد) من معنى اللابث المتربص . فلذلك سمي أيضا :

(الرابض) و (الرباض) : لانه يربض لفريسته متخفيا حتى تقترب فينقض عليها .

وهو (ابو ليد) - زنة مضر - وهذه التسمية جاءت من (لبدته) كما هو واضح .

و (الملبسد) - زنة المحسن . وهذه التسمية وان كانت من نفس مادة اسمه السابق ، قد أتته من (اللبود) أي المكوث واللبث ، أي الربوض الذي سبق الالماع اليه .

و (العرنيس) - كالسفرجل : الاسد العظيم . وتطلق الكلمة كذلك على السيل الكثير ، وهو أصل المعنى ، ما يدل على أن الاسد سمي بهذا لانه يتحدر على فريسته كالسيل العارم . (وشبيه بذلك اسمه الآخر « الحيدرة » من معنى الحذر) .

ومن معاني الربيع قيل (رب) الدهن ربا : طيبه واجاده .

ومن التعبير صار (العبير) : اخلاطا من الطيب ، وقد تطلق على الزعفران خاصة .

و (الفمارة) - كالشرارة : ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك قائلا « عمرك الله » ، ومن هنا جاء معنى الرائحة فصار (العمار) - كالنهار : الذي يعني التحية وهي اصل معناه - يعني كذلك الريحان الذي يزيتون به مجلس الشراب .. و (العمار) - كالطيبار : الطيب الرائحة ، ومجازا : الطيب الشئ .

ومن هذا القبيل من مادة (عر) ، صار (العرار) - بالفتح : يطلق على نوع من البهار طيب الرائحة ، وعلى الترجس البري .

حسن الحال :

انبجس المعنى من الربيع كذلك نباتا وحيوانا وماء .

فمن ذلك قولهم (ريع يريغ) يعيشه - من باب فتح يفتح : رضي . و (الرباغ) - كالرجاء - و (الرباعة) - كالمناعة - و (الرباعة) - كالرياضة : حسن الحال، ومجازا : الرياضة .

و (ريع) - بفتحين - العيش : اتسع وطاب ، و (ريعوا) في النعيم : اقاموا فيه .

و (رفع) العيش : كان واسعا هنيئا ، و (ترفع) : عاش في (الرفافة) والرغد .

ثم ظهرت صيغة (رفه) - بفتحين - الرجل : لان عيشه وطاب ، فكان ذا (رفاه) و (رفاهية) و (رفاهية) ، فعيشه (رافه) و (رفاه) و (مره) .

و (رفاه) ترفئة وترفيئا : هناة بقوله « بالرفاء والبنين » ، ومنها بنفس المعنى (رفاه) - بألف لينتة .

اما قولهم (ريع) - من باب فرح - الرجل : كان فاجرا ماجنا ، فهو (ريع) - بفتح فكسر - فهذا من نتائج الرفاهة والرفاعة والبطر .

الاصحاح :

يبدو وكأنه قد نشأ من معنى العطف والرافة منذ قالوا (رامت) الناقة ولدها : عطفت عليه فهي (رؤوم) ،

وهو كذلك (العفريس) - بكسر العين والراء - و (العفريس) و (المفروس) و (العفرنسي) - كالسفرجل . وهذه الاسماء من لون العفر أي التراب . وشتان بين هذا السبع وفريسته (اليعفور) المسكين السمي من لون العفر كذلك .

ومن الطير نذكر :

(الرال) - بالفتح : ولد الشعامة ، وجمعه رئال ورئلان .. الخ . وهذا طائر ارضي لا هوائي .

و (العرناس) - كالرئبال : طائر كالحمامة لا تشمر به حتى يطير كأنما من تحت قدميك .

و (العلام) - كالغلام - و (العلام) - كالربان : الصقر والباشق .. وربما سميا بدين الاسمين لما في ريشهما من علامات .

و (الابلق) طائر ابلق اللون ، ويسمى في ديار الشام (ابو بليق) .

و (البرقش) - بكسر الباء والقاف : طائر صغير لطيف الصوت ملون الريش . ومن نفس المادة يأتي :

(ابو براقش) طائر صغير أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود! .. فلهذا السبب الوجه يشبهون به الانسان المتلون .

من المائيات نذكر :

(العيلم) الضفدع ، الحيوان اليرماني الشهير ، ربح اسمه هذا من معنى الماء كما قلنا قبل ، منذ كان العيلم يعني البئر الكثيرة الماء والبحر أيضا .

ثم (الاربيان) - بكسر الهمزة والباء ، يقول بعضهم انه سمك ويقول بعضهم انه سرطان البحر . وفي جنوب العراق يطلقون (الروبيان) على ما يسمى برغوث البحر . ومن الطرريف ان السمك يدعى

بالروسية (ريبا - Riba)

الرائحة :

(العرف) - زنة الصرف : الرائحة مطلقا وكثر استعماله في الطيبة ، والارض (المعروفة) : الطيبة الرائحة . واصل المعنى فيما يبدو من (المعرفة) لان الشيء قد تعرفه من رائحته قبل ان تراه .. كالذي تقدم بيانه .

ومن معنى الفساد : (استعلب) اللحم و (علب) : تغيرت رائحته .

ثم نشأت صيغ (الرؤوف) و (الرافة) .. من معنى (راف) به : رحمه أشد الرحمة .

و (أرامت) الجرح : عالجه حتى برأ ،
(أرامت) القدح : أصلحته ، و (رزم) الجرح : انضم
للبرء . وهنا نشأت (لأم) لآما ، و (لأم) ملائمة ..
ثم (التام) التثام ، ثم (التحم) و (لحم) .
وقالوا كذلك (لأم) الشيء : أحبه والفه ،
و (راب) الشيء : جمعه وشده برفق ، و (راب)
الصدع : أصلحه .

أما (أبرأت) الزرع أبرأ ، بمعنى أصلحته وألقته
فليست من هذا الباب ، لأن المعنى هنا من (الأبار) -
كالعطار : الذي يأبر النخل ، والمقصود الشخص الذي
يشق طلعها بأداة كالمنجل وهي (المئبر) لتلقيحها ،
ثم انتقل المعنى الى تلقيح الزرع عامة وأصلحه .

ثم (رف) الثوب : رفاه بآخر ليتوسع من أسفله ،
ومن ثم قالوا (رفأت) الثوب : لامت خرقة وخاطه :
و (رفأت) بينهم : أصلحت .
وبمراجعة موضوع « حسن الحال » يتضح كيف
اجتمع المعنيان في مادة (رفا) .

المبايعة :

(الرياح) - زنة الصلاح : الأبل تجلب للبيع .
وربما من هذا تولد (الريح) وهو الكسب في التجارة
بيعا وشراء ، كالذي سبق أن معنا إليه . ومن هذا
أو من (رب) بمعنى النماء والارتفاع نشأ (الربا) بمعنى
الزيادة ، وهو الربح يأخذه الدائن من المدين عن الدين .

ومن مستلزمات البيع دفع (العريون) وهو جزء من
الشن أو الأجرة يدفع سلفا ضمانا لاتمام الصفقة .
وينطق (العريون) بفتحين ، و (والعريون) بالضم ،
و (العريان) بالضم كذلك . وقد نطقوا العين همزة في
جميعها كذلك ، أي (الأريون) بشكليه و (الأريون) ..
(وهذا يدل على أن العرب كانوا يبدلون العين همزة
أحيانا ولو قليلة كما كانوا يبدلون الهمزة عينا أحيانا
كثيرة) . وقالوا (أعريه) أعرابا ، و (عريه) تعريبا ،
و (عرينه) : أعطاه العريون .

وقالوا (أريت) العقد : أحكمته ، وهذا المعنى من
دفع (الأريون) الذي إنما يراد به أحكام البيع ، ومن
ثم صارت (الأرية) : العقدة وزنا ومعنى ، لأن المبايعين
كانا يعقدان طرفي توبيههما ببعضهما البعض علامة تعهد

كل منهما بانفاذ (التعاقد) . فصار (التاريب) يعني
الإحكام والتحديد والتوفير والتكميل من ثم .

ومن مظاهر التجارة قيل (توبص) بسلعته :
استبقاها لوقت الغلاء . و (عري) بصيغة المجهول -
الى الشيء : باعه ثم استوحش إليه !

العريبة :

صارت تطلق على المركبة التي تجرها الدواب .
وأصل التسمية فيما يظهر اطلاقهم (العريبة) - زنة
الشجرة - على النهر الشديد الجريان . ومن نهر
دجلة المشهور بشدة جريه ولا سيما زمن الفيضان
أطلقت (العريبات) على سفن كانت في العهد العباسي
رواكد في بغداد ، من باب المفارقات والمتناقضات .
ولعل اسم العريبة قد أطلق أخيرا على المركبة المذكورة
تشبيها بتلك السفن .

والمصريون يسمون السيارة في دارجتهم
(عريبة) .

العمــــران :

(الربيع) - كالطبع - يعني بالدارجة العراقية :
الإصحاب والأصدقاء . وفي الموصل يستعملون المفرد
أيضا بصيغة (الربيع) حيث تقول ، نعني حيث يقول
قائلهم « فلان ربيعي » : صديقي ، و « نحنا رباع » .
ونحسب هذا المعنى عريقا في العريبة قد تخلف في
الدارجة العراقية ، وربما في دارجات أخرى .

وكالذي تقدم بنا عند الكلام على (الربيع) كان
(العريب) - زنة الربيع - و (المعرب) - زنة المحسن -
يعنيان : المرء .. كما أن (الربيع) يعني الناس ، أو
الجماعة منهم .

و (العرو) - زنة النضو : الجماعة من الناس
أيضا ، وظاهر أن أثلها (العرب) من (العرف) أي
المعارف من الناس بالمعنى العراقي ، الذي سنعود
إليه بشيء من التفصيل قليل .

ولما كان من داب الجماعات العريبة أن تنزل في
الإماكن المخصصة حيث يجدون بغيثهم هذه في فصل
الربيع على الأغلب ، صار قولهم أن القوم (ارتبعوا)
بالمكان : أقاموا فيه زمن الربيع ، ثم صار قولهم
(ربيعوا) - بفتحين - بالمكان : أقاموا اطلاقا ، في
أي فصل من فصول الحول .

(**الربيع**) : المكان الذي ينبت نباته في أول الربيع . (**المراب**) و (**المرية**) - كالمحبة : الأرض الكثيرة النبات . ولا بد أنهم قد قالوا (**ربيت**) النبات بمعنى أتميته وتمهده قبل أن يسماوا الشاة تربي في البيت للنبها (**ربية**) وقبل أن يقولوا (**رب**) الرجل الصبي ربا ، و (**ربيه**) تربيها ، بمعنى تعهده حتى أدرك . ثم قيل (**رباه**) تربية ، بمعنى غداه وجعلته يربو - أول الأمر - ثم يعني : هذبه أيضا ، وعلى عهدنا صارت : غداه بالعلم كذلك .

العربي الانسان

أنا حتى الانسان ندور في فلك (العربي) الكلمة . وما أوردنا في هذا المضمار الا قليلا من كثير . . فان اللفاظ والمعاني التي لا تكاد تحصى ، المتفرعة من (العربي) من التعدد والتشابه والتعقيد بحيث يملؤنا تتبعها متعة وغبطة ، على حين اننا نخشى ان تكون قد أخذت تملأ القاريء سامة وضجرا على فرض انه لم يسأم ويضجر منذ زمن لعله غير قريب .

فلنعد الى (العربي) الانسان نختم به هذا الحديث .

ويبدو للنظر ان (العربي) ليست الكلمة الأتلة في تسمية ابن المعربة بل سبقها الصيغة الفالصة (**العربي**) من معنى (**التعارف**) . وما زال العراقيون يعنون بكلمة (**العريف**) - بكسر العين : (**المعارف**) أي الأشخاص المتعارفين فيما بينهم ، أو الشخص أو الأشخاص المعروفين لدى المتكلم . . على غرار (**الربيع**) بلفظهم : الاصدقاء كالذي ذكرنا قبل . ولعل مما يؤيد ان (العربي) قد أظقت عليه الصيغة الفالصة قبل الصيغة العينية ، ان الأولى تظهر بعض تفرعاتها في مولدات الربيع الذي أتله العربي . . مثل النبات في (**العريف**) بالضم : شجر من العضاء ، والماء في (**العرفاء**) بالفتح : ماء لبني عقيل . .

— * —

وقد آن لنا الآن أن نكر بالتذكر الى ما تقدم بيانه من أن (**العبري**) قد ورد بصيغ (**الابري**) و (**الخبيرو**) و (**المبيرو**) و (**الهبيري**) - التي يرجع بعضها الى أكثر من خمسة آلاف سنة - كما حكى لنا الدكتور أحمد سوسة . وكتابه القيم ليس في متناول يدي

ومن هذا الباب (**استعديت**) المكان : استطيبته ، من أتله (**استعديته**) .

ثم نذكر فعل (**رب**) بالمكان و (**أرب**) - زنة صر وأصر : أقام كذلك ، أي مثل (**ربيع**) بالمكان .

و (**الرباب**) : الصحاب وزنا ومعنى ، مثل (**الرباع**) بالموصلية وهي أتله كما هو جلي بين . و (**الربابة**) بالفتح : الجماعة ، و (**الربابة**) بالكسر : الملكة ، ومثلها (**المرية**) - زنة المحبة .

و (**المرب**) - زنة المصب : مكان الإقامة أو الاجتماع ، وأتله (**المربس**) .

و (**الريان**) - كالرمان : الجماعة كذلك وصار يطلق على رئيس ملاحى السفينة ، أي جماعة النوتية .

ومن (**الرب**) بالمكان نذكر (**التربيع**) فهو الإقامة أيضا .

ومن (**الربض**) بالمكان واللبث ظهر فعل (**لبد**) لبردا بالمكان : أقام ، ومثله مقلوبة (**لبد**) بلودا بالمكان : أقام فيه أو أخذه (**يلبدا**) أي مقاما ، ومن هنا نشأت (**البلدة**) : المدينة ، و (**البلد**) الذي صار يعني المدينة أو القطر .

من كل هذا وأمثاله الكثيرة المتفاعلة نبتت معاني الجماعة والإقامة والمدينة ثم المدنية . . والمملكة والقطر .

بالإضافة الى ما تقدم من دواعي الإقامة الربيعية نجد للماء أهميته في كثير من الأحوال . من ذلك (**عربة**) - بثلاث فتحات - وهي مكة التي سبق القول عن تسميتها وتسمية الكثير غيرها من المواقع والمدن والقرى ، ضمن كلامنا على موضوع الماء .

ومن (**عربة**) أو نحوها ظهرت صيغة (**عمرت**) بالمكان : أقم ، وزنا ومعنى . و (**الممر**) - زنة العمل : المنزل الكثير الماء والكلأ ، ومن ثم قالوا (**عمرت**) الدار : بنيتها ، و (**عمرت**) المنزل : سكنته ، فهو (**معمور**) .

و (**العمران**) بالضم : البنيان ، ثم صار يعنى تشييد الدور والمدن ، وقد استعمل ابن خلدون الكلمة بمعنى المجتمع وعلم الاجتماع .

و (**التربية**) من أهم ظواهر (**العمران**) بالمعنى الخلدوني ومستلزماته .

الآن لا عرف ما الذي استنتجه هو من هذه الحقيقة المثيرة . لكنها تبعت في خاطري شيان :

اولهما ان ورود هذه الصيغ في وثائق بهذا القدم لا يدل على أنها أقدم وجودا من صيغ « العربي » التي ورد أقدم المعروف منها في وثيقة لا ترجع الى أقدم من منتصف القرن التاسع ق م ، لأنه من المحتمل ان يكون اسم العربي قد ورد في صيغ أقدم من هذه وتلك لم يعثر عليها المنقبون .

وثانيهما أن العبرانيين اذا كانوا هم أبناء يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم كما يقولون فان تاريخ ظهور ابراهيم لا يرجع الى أكثر من عام 1700 او 1800 ق م . ولم يبلغ أحد من المؤرخين فيما نعلم في الرجوع بهذا التاريخ الى ابعد من 2000 ق م ، أي أربعة آلاف سنة من يومنا . فهذا يعني قطعا ان الهبري والعبري ... ليسوا هم العبرانيين الذين يطلق عليهم هذا الاسم اليوم ، وانما كانوا قوما آخرين أقدم منهم بألف سنة على الأقل . فمن هم يا ترى ؟ ولا بد ان يكون للدكتور أحمد سوسة قد ذكر ذلك أو ما يشبهه ، ولعله قد تساءل عن عسى ان يكون أولئك المجهولون الذين تعددت أسماؤهم قبل ان يخلق العبرانيون وأبو العبرانيين .

وشيء ثالث نذكره ولا نحسب ان الدكتور سوسة قد تطرق اليه لأنه لغوي بحت ، وهو أن التائيل اللغوي هو الحكم الفيصل بين صيغة « العربي » والصيغ المنافسة لها . فهذا التائيل ، خلال المشاكل اللغوية ، سيذهلنا أن يبرهن لنا على ان هذه الصيغ كلها ترجع الى ائيل واحد هو « العربي » نفسه أولا ، أي ان الخيرو ، والعبيرو ، والهبيري ، والإبري .. لم يكونوا الا العرب أنفسهم ثانيا ، وأن اسم « العربي » يرجع من ثم الى تاريخ أقدم من هذه الصيغ التي تولدت منه بقرون كثيرة لعلها عشرات ... ثالثا .

فاذا كانوا قد اطلقوا « العربي » من معنى المعرفة والاعراب على أنفسهم فلا غرابة ان يكونوا اطلقوا كذلك « العبري » و « الخبري » بعد ان اشتق العبر والخبر من « العرب » .

ومن العبري شات العبري صيغة (الإبري) منذ ابدلوا عينها همزة كما فعلوا بالعربون يوم نطقوه (أربون) وبفعل ربع فجعلوه ربا يربا ...

ومن الإبري ثبتت صيغة (الهبري) بإبدال همزتها هاء كما فعلوا في الفاظ كثيرة مثل (إبا) صارت على لسانهم (هيا) و (أراق) غدت (هراق) ..

لكن صيغتي (الإبري) و (الهبري) قد ضيعتا معناهما التعبيري في المعجم وان كانت قادتاها اللغويتان ما تزالان موجودتين في معان أخرى .

وربما كانت هناك صيغ أخرى قد اندثرت ومعها (العربي) قبل ان تحظى بالتدوين في الوثائق الهيروغليفية والسماوية وغيرها ، أو تناولها التدوين لكنها لما تكتشف ، وقد تكتشف في المستقبل وقد لا تكتشف أبدا ، والمنطقي أن تكون كل تلك الصيغ قد اطلقت على العرب عامة أول الامر فشاعت لدى الأمم المجاورة ، ثم اخذت بالتخصص ، فربما صار يطلق بعضها لدى أحد الإقطار المجاورة على بعض القبائل دون بعض .

الأرميون :

وقد ساعد الاعاجم على توليد بعض الصيغ بتحريفها عن أصلها ، فمن الجائز أن (الأرمي) قد صاغها الاعاجم من (العربي) لعجزهم عن نطق صوت العين . كما يجوز وهو ما نرجحه ان العرب أنفسهم نطقوا العربي (أربي) كما نطقوا العبري (إبري) ... والعربون (أربون) .

وأما صيغة (الأرامي) الشائعة الآن فلم ترد في أي من المصادر السماوية التي سجلت اثنتي عشرة صيغة مختلفة ليس فيها واحدة بفتحة ممدودة ، على الهمزة . (وقد تطرقنا الى ذلك بتفصيل أوفى في كتابنا « مغامرات لغوية ») . فعلى هذا تكون صيغة (الأرامي) هذه حديثة فيما يبدو ، ونحسبها من صيغ مدونتي التوراة التي تطورت فيها بعض الالفاظ مثل استير (من عشتار) ، ومردخاي (من مردوخ) وحاخام (من حكيم) ، وشالوم (من سلام) ...

وأقدم ذكرى للأرميين ورد في نحو القرن الخامس عشر (ق م) بوصفهم عشائر بدوية تجوب القلاة على تخوم الهلال الخصيب وتغير على المدن والقرى للنهب، كما كانت تفعل القبائل البدوية أبدا ، وكما صارت تفعل من بعدهم بكر وتغلب ، وكما ظلت تفعل الى عهد قريب عشائر شمر وعنزة .

ولعل الأرميين لم يكونوا عندئذ قد انسلخوا نهائيا عن عربيتهم فلم يصبحوا بعدامة قائمة برأسها .

واختلاف لغة الأرميين عن اللسان العربي المعروف لدينا لا يزيد عن اختلاف الكنعانية عنه . بل ان اللغات الشمودية واللحيانية والصفوية التي تمثل أقدم صور

وهكذا اختصت (العبري) - ومثلها (العبراني) -
باولئك القوم ولم تعد تطلق على غيرهم من العرب .

ولعل قدامى المصريين كانوا يطلقون (ابري)
و (اهرى) .. على « العرب » الذين كانوا منذ اقدم
يقيمون شرقي مصر ، على سواحل البحر الاحمر وعلى
ارض سيناء ولعلمهم اطلقوا من ثم نفس الاسم على
العبرانيين المقيمين في مصر في ارض « جاسان »
لان لغتهم اجنبية عن اللغة المصرية ، كلفة العرب .
واليوم يسمى بالدارجة المصرية كل عربي ، غير
مصري (شامي) سواء اكان من بر الشام او من جبال
الأطلس . فلعل هذا كان شأنهم يوم سمووا اليهود
عبريين ، على اعتبار انهم عرب .

العبري :

وبعد ان اختص (الأرمي) بالبداة المذكورين
و (العبري) باليهود ، و (العبري) بساكن المبرية ..
بقيت الصيغ الأخرى ولم تجد اقواما يختص كل واحد
منها بأحدهم فاندثرت مع الزمان .

حتى مادة (عرب) التي بقيت وحدها تطلق على
هذا المبري تجيئنا في صور شتى مع انها مادة لغوية
واحدة . وهذه الصيغ هي : **العرب** (كالآداب) ،
و **العرب** (كالعذر) و **انعرب** (بضمين) ،
و **العربان** (كالقربان) ، و **الأعراب** (كالأصحاب) ،
و **الأعاريب** .. والمفرد القياسي منها : **العربي** (كالآدي) ،
و **العربي** (بضم فسكون) ، و **انعرباني** (كالسلطاني) ،
و **الأعرابي** ، ثم **اليعربي** .. والمصدر المعجمي :
العروبة و العروبية .



كان غرضنا ان نكتب قصة تسمية العربي تحت
عنوان « قصص من اللغة » فاذا بنا نساق الى التاريخ
فصار حديثنا أجدر بان يضاف الى عنوانه « وتاريخهم
من لغتهم » !

لا بأس ، فليكن شيئاً بين القصة اللغة واللغة
التاريخ ..

العربية التي وصلتنا وثائق مكتوبة منها ، لا يفهمها من
العرب اليوم الا المتخصصون ، شأن الآشورية والبابلية .
فلا يكون عدم فهمنا اياها - اي اختلافها عن لغتنا -
باعثاً للظن انها غير العربية .. فان ابن بغداد اليوم
مثلا لا يفهم الكثير من لغات بعض المدن والقرى العربية
في العراق نفسه على صغر رقعته .

ان الأرميين قبل مبارحتهم المبرية قد كانت لهم
لهجتهم الخاصة ، كما هو شأن القبائل في العادة ، فلما
اتسلخوا عن بقية العرب انزلت لغتهم وأخذت سبيلها
الخاص في التطور تحت سيطرة البيئة والتأثر باللغات
المتخالطة الجديدة ، فتكونت اللغة الأرمية (السريانية)
المعروفة كما تكونت من قبلها الكنعانية والاكديية
وغيرهما من اللغات السامية .

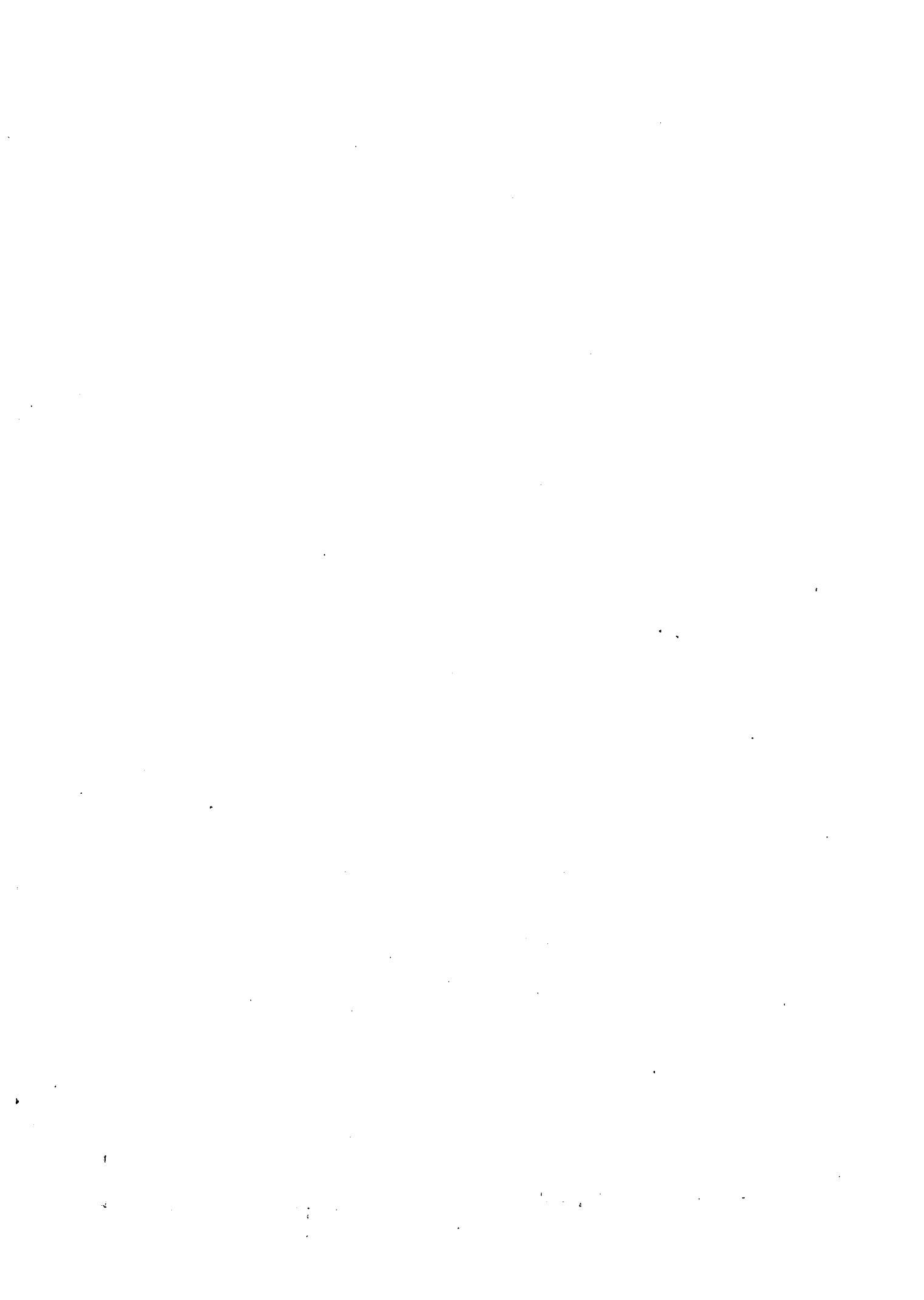
والذي نخاله ان اسم (الأرمي) كان يطلقه بعض
سكان المنطقة على العربي من أي قبيل كان ثم اختص
بهذا البدوي النهاب السلاب الذي طفق يستقر
ويتمدين جيلا بعد جيل ويقوى تأثيره في المجتمعات
التي نزل بين ظهرانيها حتى غلبت لغته جميع لغات
الليلال الخصب من بابلية وآشورية وكنعانية وعبرية .
ومعلوم ان المسيح ، كابناء جيله من العبرانيين ، كان
يتكلم الأرمية التي هي من ثم لغة الاصل للأناجيل .

العبري :

ولا ندرى متى اطلق اسم (العبري) على اليهودي
او اسلافه خاصة من دون سائر العرب . لكن الثابت
المعترف به حتى من اليهود ان من يسمون بالعبرانيين
ليسوا اخلاف يعقوب وحدهم ، وليسوا القوم الذين
خرج بهم موسى من مصر وحدهم ايا كان أصلهم ، بل
اختلط بهم الكثير من القبائل البدوية في ارض سيناء
وفلسطين . وان الشبه العظيم بين اللغتين الكنعانية
والعبرية لينبىء عن كثرة الكنعانيين الذين خالطهم
اليهود فآثروا في اللغة العبرية بحيث انها يمكننا تسميتها
« كنعانية حديثة » كالغنيقية ، فهذا يقول الباحثون
اللغويون ان الفنيقية والعبرية اختان امهما الكنعانية .
والسبب منطقي وواضح هو ان قوم موسى طرؤوا على
ارض عربية كنعانية (فلسطين) وكانوا قلة فيها ، لكن
تشاحن أهلها اصارهم الى ما اصار اليه « ملوك
الطوائف » في الاندلس ، وما صار اليه نفس البلد
- فلسطين - امس .

أبحاث ودراسات باللغات الأجنبية

- اللغة العربية في مرآة تواعدها القومية
للاستاذ أنطون شال
- المظهر الاندلسي والمغربي للحضارة العربية (النص الفرنسي)
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- المظهر الاندلسي والمغربي للحضارة العربية (النص الانجليزي)
- اللغة العربية من أهم منابع الثقافة الفرنسية
- رسالة مكتب تنسيق التعريب (النص الفرنسي)
- رسالة مكتب تنسيق التعريب (النص الانجليزي)
- اللغة العربية والقارة الافريقية
- اعداد المؤتمر الثاني للتعريب



deuxième Congrès — prévu pour la fin de l'année 1973 à Alger —, une série de six lexiques trilingues (anglais - français - arabe) concernant les disciplines scientifiques enseignées au niveau du second degré : Mathématiques, Physique, Chimie, Botanique, Zoologie, Géologie.

«Le rôle essentiel de notre Bureau Permanent étant un travail de coordination, les projets initiaux de cette série de lexiques nous avaient été soumis à cette fin par la République Arabe Egyptienne, après avoir été élaborés en deux langues : anglais et arabe. Pour cette raison, nous y avons ajouté une troisième langue, en l'occurrence le français et, nous avons fait suivre chacun de ces lexiques d'un additif très important — en trois langues aussi — grâce à un dépouillement minutieux de manuels scolaires occidentaux du second degré effectué par nos experts. Ces derniers ont, en outre, eu soin de compléter ces ouvrages par des index alphabétiques français afin de permettre aux bilingues francophones une recherche rapide des termes correspondants arabes.

« C'est donc l'ensemble de ces projets trilingues, qui sera soumis au Congrès d'Alger pour être étudié par des experts qualifiés représentant tous les pays membres de la Ligue Arabe dans le double but de choix et d'unification des termes scientifiques adéquats.

« D'autre part, les experts et les responsables du B. P. A. ayant constaté la multiplicité des

synonymes arabes correspondant à certains termes uniques en langue étrangère et diversement employés selon les pays, ont décidé de présenter, en temps opportun, aux congressistes spécialisés les projets de lexiques, chacun selon sa compétence, afin de permettre une étude préalable, à tête reposée, dans le but de faciliter leur tâche au Congrès. D'autres dispositions ont enfin été soigneusement étudiées et prévues aussi bien pour rendre les travaux du Congrès plus rapides que pour permettre aux représentants qualifiés de chaque pays d'émettre leurs avis ou leurs propositions, le cas échéant, quant au choix des termes.

« L'unification du terme arabe n'est qu'une première étape dans le processus d'évolution de notre langue ; l'unification de cet instrument d'expression sera suivie par celle des programmes et des moyens de recherches scolaires et universitaires du Monde Arabe. L'universalité de la science, la nécessité d'échanges internationaux de plus en plus serrés dans le domaine de la technique, sont autant de critères devant être pris en considération dans l'élaboration de la terminologie scientifique et technique arabe. Assurer à partir d'un niveau universel unifié l'alignement du terme et de l'ouvrage scientifique arabe, sur la pensée scientifique moderne, tel est le but auquel aspire le monde arabe dont la langue, par ses virtualités inhérentes, fut, au Moyen-Age, une langue universelle de science et de civilisation, un moyen de communication et de compréhension internationales ».

PREPARATION DU 2^e CONGRES D'ARABISATION

(ALGER, 1973)

MM. Abdellaziz Benabdellah et le Docteur Mamdouh Hakki, respectivement Directeur Général et Expert en chef du Bureau Permanent de Coordination de l'Arabisation dans le monde arabe (B.P.A.), ont effectué une tournée durant plus d'un mois à travers les capitales arabes.

Cette tournée avait pour but la préparation du deuxième Congrès d'Arabisation qui tiendra ses assises à Alger dans le courant du 4^e trimestre de l'année 1973 et se proposera d'étudier, outre la mise au point de six lexiques scientifiques concernant les matières d'enseignement au niveau du second degré, une série de problèmes relatifs au développement de la terminologie technique et scientifique.

On se rappelle que le premier Congrès d'Arabisation, réuni à Rabat en 1961 sur invitation de feu S.M. Mohammed V et sous les auspices de la Ligue des Etats Arabes, avait décidé la création du B.P.A. afin de répondre au besoin, de plus en plus impérieux, du développement et de l'unification de la terminologie technique et scientifique dans le Monde Moderne.

« Animés par cette préoccupation majeure, a déclaré M. Benabdellah, nous avons, au cours de notre voyage d'études, pris contact avec MM. les Ministres de l'Education Nationale de l'Enseignement supérieur, les recteurs d'Universités, les doyens de Facultés et de nombreuses personnalités des Académies du Caire, de Damas et de Bagdad, en vue de traiter des problèmes pour lesquels nous nous sommes déplacés.

« Grâce à de multiples séances de travail, souvent très longues, l'échange de nos points de vue, mené avec autant de franchise que d'objectivité, a eu pour aboutissement la mise sur pied d'un système rationnel qui pourra assurer à notre langue un développement rapide et efficace dans le domaine de la terminologie moderne.

« Or, on sait qu'à l'U.N.E.S.C.O. l'arabe a déjà conquis sa place à côté des quatre autres langues internationales, mais nous voulons aussi qu'elle devienne dans quelques années, un instrument de travail dans tout l'organisme des Nations Unies et, afin qu'elle soit digne de cette mission, elle doit être claire et exhaustive. La science elle-même, n'est-elle pas, avant tout, l'expression d'une langue bien faite ?

« C'est pourquoi nous avons entrepris, dès 1962, l'élaboration de lexiques comportant des termes arabes qui répondent, dans toute la mesure du possible, aux conditions de clarté, de précision et d'élégance, pour exprimer les notions modernes. Notre idéal est qu'à chaque notion doit correspondre un terme unique, simple précis et évocateur.

« Or, une expérience longue de dix années de labeur ininterrompu, nous autorise à dire avec certitude que la langue arabe dispose, contrairement à ce qu'avancent ses détracteurs qui l'ignorent, d'un fond riche, d'un potentiel très exhaustif et d'un mécanisme créateur à toute épreuve.

« C'est dans cet ordre d'idées, précisément, que nous avons entrepris de préparer pour notre

Le Bureau Permanent, dont la mission consiste en un travail de coordination de l'arabisation entre les pays arabes, de constante information sur les néologismes et termes scientifiques les plus récents, d'enregistrement, d'unification et de large diffusion se fait un plaisir de vous présenter quelques-unes de ses modestes publications, à savoir :

1° Un exemplaire de sa revue « Al-Lisâne al-Arabî » qui comporte d'une part : un ensemble d'études sur la langue élaborées par d'éminentes personnalités arabes, orientalistes ou professeurs dans les grandes Universités du monde, et, d'autre part : une série de lexiques scientifiques et techniques trilingues (anglais, français, arabe).

2° Un exposé sommaire sur le Bureau Permanent, ses buts, son historique, ses réalisations et ses projets.

Le B.P.A., heureux d'apporter sa modeste contribution à l'œuvre éminemment constructive

d'une expansion plus large de la langue arabe, devenue l'un des instruments de travail dans les organismes de l'O.N.U., à la grande satisfaction des nombreux pays afro-asiatiques qui y sont représentés, a la joie de saisir l'occasion du neuvième Congrès de l'O.U.A. pour adresser à ses honorables membres un appel pathétique en vue de renforcer cette expansion.

L'O.U.A., cette jeune mais si grande Organisation, dont nous sommes fiers et à laquelle nous rendons un vibrant hommage, a déjà donné au Monde les preuves d'une sagesse profonde, d'un réalisme patriotique indéniable et d'un dynamisme magnifique. C'est pourquoi, nous sommes sûrs de l'efficacité des encouragements et de l'appui que nous nous permettons d'attendre d'elle pour faire fructifier davantage notre action entreprise dans l'intérêt des pays du Tiers-Monde.

Dieu vous assiste et vous guide dans la voie du triomphe de notre continent !

La Langue Arabe et l'Afrique

Traduction du Message adressé par le B. P. A. à l'O. U. A. à l'occasion de son 9^e Congrès

C'est un événement heureux et de bon augure que votre réunion ait lieu sur la terre du Royaume du Maroc, cette porte d'Afrique ouverte sur un monde où prospèrent la Science et la Civilisation, et que vous ayez ainsi considérablement renforcé votre union pour un plus bel avenir de notre Continent et pour une plus grande dignité de l'homme africain.

Soyez donc les bienvenus sur le sol de cette seconde Patrie où nous vous souhaitons un séjour aussi agréable que fructueux.

Nous vous exprimons, en même temps que nos remerciements, la haute considération pour les buts que vous vous êtes proposé d'atteindre, en priant Allah de vous assister dans la réalisation de vos desseins.

Le Bureau Permanent pour la Coordination de l'Arabisation dans le Monde Arabe, siégeant à Rabat et relevant de « l'Organisation arabe de l'Education, de la Culture et des Sciences », organisme de la Ligue des Etats arabes, est particulièrement honoré de vous présenter ses salutations et ses vœux de pleine réussite dans la noble tâche que vous avez entreprise pour servir notre jeune continent.

Il vous remercie vivement et vous exprime son profond sentiment de gratitude pour avoir adopté l'Arabe comme langue officielle de travail et de rédaction des résolutions de votre honorable Congrès.

Le B.P.A. étant pleinement conscient :

De ce que la langue est considérée comme une clef et un instrument indispensable pour le progrès des sciences ;

De ce que la jeune Afrique renaissante s'efforce de s'intégrer dans le monde moderne où elle veut occuper une place digne d'elle dans l'avant-garde, et ce, après avoir chassé le redoutable cauchemar du colonialisme dont la longue et accablante oppression constituait une terrible menace pour ses richesses et sa vitalité ;

De ce que la langue arabe est employée par près de la moitié des populations africaines, et qu'elle est à présent la cinquième langue officielle dans la plupart des Organisations internationales ;

De ce que cette même langue est parvenue à occuper dans de nombreuses Universités du Monde et l'Afrique, à plus forte raison, la place dont elle est digne aux côtés des autres grandes langues vivantes ;

Il convient — en raison de toutes ces considérations — que nous nous engagions résolument dans le domaine des activités scientifiques, en utilisant l'arabe, cette langue si vivante et si souple dont les possibilités de développement sont immenses, car elle possède toutes les qualités requises pour avoir une terminologie propre qui lui permette une efficace participation au progrès de la Science et de la technique modernes. La gloire de son passé et les innombrables et miraculeuses réalisations dont elle fut l'instrument durant de longs siècles, en sont les garanties.

A seventh lexicon which is that of Petroleum has been prepared to be studied apart by a seminar with the concerned inter-Arab organization. This collection of projects have been compiled in three languages: English, French and Arabic with the view of adding to them Russian and German at a later stage.

E) On the other hand the P.B.A. has organized literary competitions in the area of philological scientific studies and publication of manuscripts and original works yet unpublished. The prizes offered to the winners of the first competition were granted by the Moroccan government while those for the next two will be submitted by Kuwait and Saudi Arabia.

F) Other works of diverse studies have been published, or are underway by the P.B.A. One may mention a few specially:

I) "The Ten Categories" of Aristotle which is an Arabic commentary by a hegira tenth century author. This unpublished work was verified by Dr. Mamdouh Hakki,

II) A major work which is under print entitled "Laalie-Al-Arab"; a voluminous dictionary of analogical terms edited by a great Syrian philologist the late Khalil Rizk.

III) A series of studies aiming at the return to classical Arabic usage phrases in the different dialects of the Arab peoples has been made by Mr. Abdellaziz Benabdellah to be published soon. It is rather a solid campaign against the current faults and barbarisms which menace the purity of the language of Islam. These studies will be edited and published as a work on their own.

Within the frame of his professional activities the Director of the P.B.A. Mr. Benabdallah has made many trips of studies, particularly to China, the U.S.S.R. and Eastern Germany. He was informed there of the reforms effected on the phonetics and lexicography of the modern Chinese language and has agreed with the principals of the U.S.S.R. Academy of Sciences in Moscow and the University of Halle in Eastern Germany on collaboration to introduce a fourth and fifth languages in the P.B.A. lexicons.

Very recently another tour was made by the Director accompanied by Doctor Hakki visiting the Arab capitals in preparation for the next Conference to be held in Algiers. Accordingly many discussions and meetings were organized with the Ministers of Education and the responsables in the universities and Arab academies.

Another task of the P.B.A. is to methodically dissect the great ancient lexicographic works such as "Lisan-Al-Arab", "Al Mukhassas", etc., in order to obtain more terms to enrich the vocabulary card-index of the Bureau.

Also the P.B.A. extracts terms by the thousands from historical and literary works and classifies them into the general card-index which includes a number of thousands of words.

6 - The P.B.A. is headed by Mr. Abdellaziz Benabdallah a notable and well-known Moroccan personality in the Arab world. His second is Mr. Mohamed Benzian the Assistant Director in charge of administration. Dr. Mamdouh Hakki who is the Dean of Experts in the Bureau has functions of technical nature.

There are in the Bureau two classes of Experts:

- 1) Experts with higher university degrees.
- 2) Experts with standard university degrees.

The third category consists of a large number of experts and correspondents of the P.B.A. Most of them are Arab nationals stationed in their countries of origin, while the others live abroad in Europe and the two Americas. Among those correspondents one could count a number of western Orientalists who contribute according to their specializations and mother tongues.

7 - After the creation of the P.B.A. by the happy initiative of H.M. the late Mohammed V promoter of the first Arabisation Conference, H.M. King Hassan II since his accession to the throne has not ceased to extend his care to this Bureau which has become today an international organization of world renown.

As well all the successive Moroccan governments have always insured their support of the Bureau.

Such encouragements, care and support are due to the kind consideration of H.M. King Hassan II.

At the present time the Arabic language has already acquired a serious role by its admission as a fifth international language in certain organizations such as the U.N.E.S.C.O., F.A.O. and W.H.O. This feat is considered insufficient and the P.B.A. should by its close links with the academies and the different qualified bodies unflinchingly continue its efforts aiming at the usage of Arabic in the U.N. assemblies and making it a work instrument by constant updating of Arabic terminology on technical and scientific plans.

PERMANENT BUREAU OF COORDINATION OF ARABISATION IN THE ARAB WORLD

(P. B. A.)

1 - By the gracious initiative of His Majesty the late King Mohammed V (God bless his soul) the first Arabisation Conference was invited to convene in Rabat in 1961 with the participation of representatives from the Arab League and the Arab States. The purpose of this important convention was to study the proper means of reviving the use of the language of the Holy Koran and adapting it to contribute efficiently to the development of modern civilisation same as the other international languages.

2 - The issue of this conference has been the creation of the P.B.A. with the objective of compiling in its first stage the results of the work carried out in the field of linguistics and scientific and technical terminology by the various academies and universities, famous writers and translators in the Arab world.

This centralisation was followed by the coordination and publication of these terms into lexicons to be submitted to conferences organized periodically by the Arab League and the P.B.A. for reviewing and discussion, to choose and unify the scientific terms to be used in the entire Arab word.

3 - His Majesty the late King Mohammed V proposed Rabat as the seat of the P.B.A. and nominated a Director to head it.

4 - It was only since 1968 that the Bureau has been adopted and attached to the Arab League which provided the necessary funds for its budget distributed as follows:

A) Salaries of employees and experts.

B) Printing of lexicons.

C) Publication of the periodical "Al-Lisan-Al-Arabi" which is the organ or mouthpiece of the P.B.A.

It is proper to note here that the government of the Kingdom of Morocco has undertaken to assist the P.B.A. with important contributions to consolidate its finance.

5 - After its creation and from the beginning the P.B.A. knew an unceasing activity and during the decade of its existence produced the following.

A) Ten issues of its large periodical some of which contained 2,000 pages and even surpassed that number as for example the eighth issue which consisted of 3 volumes 700 pages each containing entries from highly authoritative scientists, philologists, lexicographers and Arabists.

B) More than a dozen analogical lexicons such as lexicons of Games & Sports, Colours, Ichthyology, Instruments, Tools, Sciences & Arts, Doctrines & Systems, Gastronomy, Trades, Mineralogy, Building & Household, Osteology, and Hematology.

C) A number of lexicons of scientific and technical terms, six of which will be reviewed by the next Conference in Algiers. They are lexicons of Chemistry, Physics, Botany, Zoology, Mathematics, and Geology.

Une troisième catégorie est constituée par un grand nombre d'experts et collabore par correspondance avec le B.P.A. La plupart d'entre eux sont des ressortissants arabes fixés dans leurs pays d'origine, tandis que les autres vivent à l'étranger, en Europe ou dans les deux Amériques. Parmi ces correspondants, on compte même un certain nombre d'orientalistes occidentaux qui apportent leur contribution selon leur spécialisation et en leur propre langue.

7 - Après la création du B.P.A., due à l'heureuse initiative de feu S.M. Mohammed V, promoteur du premier Congrès d'Arabisation, S.M. Hassan II n'a cessé, depuis son accession au Trône, d'entourer de toute sa sollicitude ce Bureau devenu aujourd'hui un organisme international de réputation mondiale.

De leur côté, tous les gouvernements marocains qui se sont succédé ont constamment assuré de leur soutien le B.P.A.

De tels encouragements, une telle sollicitude et un tel soutien sont autant de motifs de reconnaissance à l'égard de S.M. Hassan II.

8 - A l'heure actuelle, la langue arabe a déjà franchi, grâce, notamment, aux efforts de la Ligue des Etats Arabes, une sérieuse étape du fait de son admission comme une cinquième langue internationale dans certaines organisations telles que l'U.N.E.S.C.O., la F.A.O. et l'O.M.S. Cette promotion étant encore insuffisante, le B.P.A., en étroite liaison avec les Académies et les divers organismes qualifiés, doit poursuivre inlassablement ses efforts afin de contribuer à en étendre davantage l'usage dans le concert des Nations Unies et à en faire un instrument de travail, grâce à un renforcement et à une mise à jour constants de la terminologie arabe sur le double plan scientifique et technique.

Lexique Gastronomique.

Lexique des Arts et Métiers.

Lexique du Bâtiment.

Lexique Ménager.

Lexique d'Ostéologie.

Lexique d'Hématologie.

3° De nombreux lexiques de termes scientifiques et techniques dont six figureront à l'ordre du jour du prochain Congrès d'Alger : Chimie, Physique, Botanique, Zoologie, Mathématiques, Géologie (1).

Un 7° lexique, celui du Pétrole, est préparé pour être étudié dans un séminaire à part, en liaison avec l'organisme interarabe spécialisé. Tous ces projets ont été élaborés en trois langues, anglais, français et arabe, auxquelles il sera éventuellement ajouté plus tard le russe et l'allemand.

3° Le B. P. A. a, en outre, organisé des concours dans le domaine philologique, comportant des études scientifiques originales et la publication de manuscrits et d'ouvrages inédits. Les prix décernés aux lauréats du premier concours ont été offerts par le gouvernement marocain, tandis que ceux des deux prochaines réussites seront respectivement octroyés par le Koweït et l'Arabie Séoudite.

4° D'autres ouvrages, qui ont fait l'objet d'études diverses, ont été publiés — ou sont en voie de publication — par les soins du B. P. A. On peut en citer notamment :

a) « **Les dix Catégories** », d'Aristote, commentaire arabe, dont l'auteur est Mohamed Al Hasani al-Boulaïdi, savant du X° siècle de l'Hégire. Cet ouvrage inédit a été vérifié par le Docteur Mamdouh Hakki.

b) Une œuvre de grande envergure est actuellement sous presse : « **Laâli - al - Arab** », volumineux dictionnaire de termes analogiques dû à l'élaboration d'un grand philologue syrien, le regretté Khalil Rizk.

d) Une série d'études tendant au rapprochement vers la langue classique des divers dialectes en usage dans le monde arabe a été faite par M. Abdellaziz Benabdellah et publiée par le B. P. A. On y trouvera, par ailleurs, une véritable campagne contre les fautes courantes (barbarismes et solécismes) qui menacent la pureté de la langue du Coran.

4 - Dans le cadre de ses activités professionnelles, le Directeur Général du B. P. A., M. Benabdellah, a effectué plusieurs voyages d'études, particulièrement en Chine, en U.R.S.S. et en Allemagne Orientale. Il put ainsi s'informer sur les réformes ayant trait à la phonétisation et à la lexicographie de la langue chinoise moderne et parvint à obtenir un accord de principe auprès des responsables de l'Académie scientifique de Moscou et de ceux de l'Université allemande de Halle, pour une collaboration visant à l'adjonction d'une troisième et d'une quatrième langues vivantes étrangères dans les lexiques du B.P.A.

Tout récemment une autre tournée fut entreprise par le Directeur Général en compagnie du Docteur Hakki, à travers les capitales arabes dans le but de préparer le prochain Congrès d'Alger. A cet effet, de nombreuses conférences et séances de travail ont été organisées en commun avec les Ministres de l'Enseignement, les responsables des Universités et ceux des Académies arabes.

5 - Une autre tâche du B.P.A. est celle qui consiste à faire dépouiller méthodiquement les grandes œuvres lexicographiques anciennes, entre autres « **Lisane-Al-Arab** », « **Al Mokhassas** », etc, en vue d'alimenter et d'enrichir le Fichier de vocabulaire du Bureau.

Le B.P.A. s'est, en outre, employé à dépouiller des ouvrages d'histoire et de littérature dont il a tiré des dizaines de milliers de termes classés dans le Fichier Général dans lequel le nombre de fiches se compte par centaines de mille.

6 - Le Bureau Permanent de coordination de l'Arabisation est dirigé par M. Abdellaziz Benabdellah, personnalité marocaine notoire dans le monde arabe. Il est secondé par M. Mohammed Benziane, Directeur Général adjoint chargé notamment de l'organisation administrative, et par le Docteur Mamdouh Hakki, doyen des experts, dont la mission a un caractère technique.

Il y a, au Bureau, deux catégories d'experts :

a) Experts d'un niveau universitaire supérieur.

b) Experts licenciés.

(1) Voir détails à ce sujet sous le titre « Préparation du 2° Congrès d'Arabisation » dans ce même numéro.

Mission du Bureau Permanent de Coordination de l'Arabisation dans le Monde Arabe

(B. P. A.)

(Nous donnons ci-après un aperçu succinct sur le B.P.A. et ses activités à la demande de nombreux lecteurs qui nous ont écrit à ce sujet).

1 - C'est sur l'initiative de feu S.M. Mohammed V, Roi du Maroc, que le premier Congrès d'arabisation tint ses assises à Rabat, en 1961, avec la participation de représentants de la Ligue et des Etats arabes.

Cette importante réunion avait pour objet l'étude approfondie des moyens propres à faire activer l'évolution de la langue du Coran et à la rendre apte à remplir sa mission en contribuant au développement de la civilisation moderne aussi efficacement que les autres langues internationales.

2 - Issu de ce Congrès, le B.P.A. fut créé dans le but de centraliser dans une première étape, les résultats des travaux entrepris dans le domaine de la linguistique et de la terminologie scientifique et technique, par les Académies, les Universités, les grands écrivains ou traducteurs du monde arabe.

La centralisation est suivie d'un travail de coordination des termes groupés dans des lexiques à soumettre à des congrès organisés périodiquement par la Ligue Arabe et le B.P.A. en vue d'une étude aboutissant au choix et à l'unification des termes scientifiques à mettre en usage dans l'ensemble du monde arabe.

3 - Sur proposition de feu S.M. Mohammed V, Rabat devint le siège du B.P.A. à la tête duquel fut nommé un Directeur.

4 - C'est seulement depuis 1968 que le B.P.A. relève de la Ligue Arabe qui lui attribue sur son propre budget les crédits qui lui sont nécessaires (1).

Ces derniers sont répartis comme suit :

- a) Rétributions des fonctionnaires et des experts ;
- b) Impression des lexiques ;
- c) Publication de la revue « Al-Lisane-Al' Arabi », organe du B.P.A.

Il y a lieu de noter que le gouvernement du Royaume du Maroc a consenti en faveur de ce Bureau d'importantes contributions pour étoffer son financement.

5 - Après sa création, et dès le départ, le B.P.A. a fait preuve d'une activité ne connaissant aucun répit, et c'est ainsi qu'il a produit durant la décade de son existence :

1° Dix numéros de sa volumineuse revue, dont certains ont atteint et même dépassé, 2.000 pages — tel par exemple, le huitième paru en 3 tomes d'environ 700 pages chacun — et auxquels ont collaboré de hautes autorités parmi les hommes de science, les philologues et les lexicographes, tant arabes qu'arabisants.

2° Plus d'une dizaine de lexiques analogiques :

Lexique de Sports et de Jeux.

Lexique des Couleurs.

Lexique Ichtyologique.

Lexique des Appareils, Instruments et Outils.

Nomenclature des Sciences, Arts, Doctrines et Systèmes.

(1) Le B.P.A. dépend actuellement de l'Organisation Arabe pour l'Education, la Culture et les Sciences (A.L.E.C. S.O.) créée récemment dans le sein de la Ligue des Etats Arabes.

Ainsi l'épinard, venu d'Espagne d'abord sous la forme latine *spinachium*, est à l'origine une plante médicinale. Il en est de même du nénuphar qui est tout d'abord importé non pour sa fleur, mais pour ses rhizomes.

C'est par le latin médiéval que les Arabes ont transmis : le safran, le cubère (sorte de poivre), le nénuphar, le séné, le sumac, le turbith (liseron purgatif), le cétérac (fougère), le tamarin, le benjoun, la caroube, l'estragon, la cuscute. Très réduit, en revanche, est le nombre des animaux amenés par les Arabes : gazelle, girafe, papegai, gerboise...

Les Arabes ont été aussi des mathématiciens et des astronomes, l'astronomie leur doit : Nadir, Azimut, Zénith, Alidade. Les mathématiques : Algèbre, Logarithme du nom de l'inventeur de l'Algèbre Al-Korismi qui, au IX^e siècle, introduisit en Europe les chiffres arabes et la numération décimale.

« Chiffre » remonte, par l'italien et le latin médiéval, à l'arabe « Sifr » qui, étymologiquement, signifie « vide ». Le sens premier est celui de « zéro ». Zéro, qui remonte lui aussi à « Sifr », est donc un doublet de chiffre qu'il remplace au IV^e siècle.

Les Arabes ont été les courtiers de la Méditerranée. Leur commerce s'est fait principalement

par l'Italie, en particulier par l'intermédiaire de Venise. Les Mozarabes d'Espagne ont été plus sédentaires. La darse ou l'arsenal : il s'agit d'un même nom, le premier gènois, le second vénitien, viennent de l'arabe « Dar-Sina » (1) (Arsenal maritime). C'est l'activité commerciale des Arabes qui a donné aussi un certain nombre de termes qui désignent des poids. A côté de « Carat » qui est un mot d'alchimiste, on a « arobé » (par l'Espagne), « quintal » (mot arabobyzantin) et « romaine » qui, par l'intermédiaire du provençal, désigne une « balance » d'origine arabe (rommana).

L'Arabe fournit aussi à l'époque archaïque un certain nombre de termes militaires : barbacane, jaseran, timbale. Mais son influence est surtout marquée dans la terminologie de l'équitation et de l'hippologie. L'italien a transmis « Carrousel » et l'espagnol « Genet » ainsi que la vieille expression monter « à la genette », tous deux d'après l'arabe « Zenata », nom d'une tribu berbère marocaine renommée par la valeur de sa cavalerie.

A partir du XIV^e siècle, l'influence culturelle des Arabes cesse de se faire sentir. Ce n'est qu'à travers les fonds arabo-espagnols et italiens qu'ils continuent à alimenter le lexique français tout le long du XV^e et du XVIII^e siècle.

(1) L'origine arabe en est plus exactement « Dar-as-Sanaâ ».

La Langue Arabe, *une des Grandes Sources de la Culture Française*

Selon M. Pierre Guiraud, professeur à la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Nice, 300 mots arabes constituent une des grandes sources de la culture française. Les Arabes sont à l'origine de la science moderne et principalement de la médecine, de l'alchimie, des mathématiques, de l'astronomie. Ils ont été d'autre part, le relais avec l'Orient — par la Perse et Byzance — d'où ils ont ramené des plantes, des animaux, des cultures. Ils ont été les courtiers du monde méditerranéen, à la fois navigateurs et commerçants. Enfin, leur propre culture a fourni des objets, des institutions dans le domaine de l'art militaire, de l'archéologie, des vêtements, etc.

Pour M. Pierre Guiraud, auteur de plusieurs ouvrages dont celui traitant « des mots étrangers dans la langue française » (Presses Universitaires de France), les Arabes ont été des médecins et des alchimistes, les deux sciences d'ailleurs se confondent, un des objets de l'alchimie étant la pharmacopée. Par ce biais, ils se sont intéressés à des minéraux et à des plantes cosmétiques ou médicinales. Le mot « alchimie » vient (probablement) du grec « Khy-meia » (mélange de sucs). Alambic, de même est arabo-grec, son étymologie étant le grec « Ambix » (vase à distiller).

Parmi les appareils de distillation, on a aussi le matras et la cuine, deux mots arabes, de même que coher, « distiller plusieurs fois pour concentrer ».

Le produit de la cohobation est l'alcool qui représente l'arabe « Al Kohl » ou « antimoine pulvérisée ». Un autre mot arabo-grec est élixir, nom de la pierre philosophale qui désigne aussi un remède d'après le grec « Kseron » (poudre sèche). Rien ne montre mieux la tradition arabo-grecque de l'alchimie.

Chimistes et pharmaciens, ajoute M. Pierre Guiraud, les Arabes ont donné à l'humanité, le camphre, le goudron, la laque, l'alcali, l'aniline, le talc, le borax, le natron, le réalgar ou « bisulfure d'arsenic », l'élemi ou « résine à vernis », le colcotar ou sesquioxyde de fer utilisé en peinture. Ils utilisent l'ambre, la marcassite, la nacre, le carabe.

Parmi ces préparations se trouvent de nombreux cosmétiques. Par l'Italie, les Arabes ont transmis le coton, le sucre, le jasmin, sans doute le lilas, par l'Espagne, ou le Portugal, ils ont transmis l'azérole, l'abricot, la pastèque, la salse-pareille. Par la Provence, l'orange, le limon, le fustent (pistache).

Mais ce que les Arabes ont transmis au monde, poursuit M. Pierre Guiraud, ce sont surtout des plantes médicinales comme le séné, ou tinctoriales comme le sumac et le kermès.

Nombre de ces végétaux, considérés aujourd'hui comme de simples plantes potagères ou ornementales, sont à l'origine importées par les médecins,

assurance and tactfulness" (1). Meridine art will flourish in the Berber region and in the East, by its great prestige and its incomparable wealth. This was a Spanish-Magrabian work where the same features marked the monuments on both banks of the Mediterranean. This artistic harmony is due to the presence of Andalusian architecture, the influence of which was being felt everywhere (2).

Though owing so much to Oriental art, Meridine art "exported its models to the East and its works were appreciated there." But, due to its very maturity, this art bears within itself the germs of its death, the causes of its decline. As from the end of the XIVth century, it had however exhausted its strength. The troubles which marked the next century no longer enabled the creation of great works.

Analyzing the aspects of the Magrab civilisation under the Merinides, H. Terrasse (2) shows the Spanish and urban character of this civilisation where, after the end of the XIIIth century, the classical patterns become fixed and end up by being petrified.

Notwithstanding the patronage of the best Saadian rules, the latter—according to H. Terrasse—did not preside over the Renaissance of Moslem art in Morocco. Civilisation and art were already turned towards the past, and the few foreign influences they received were not able to really change the old basis, nor carry the germ of a fruitful novelty."

According to Terrasse, this would therefore be "an art without vigour, haunted by the models of the past." But thanks to the Turks, "an indirect and transitory contact was newly esta-

blished with the arts of Eastern Islam." The traces of this influence may be seen in the monumental decoration, where certain Egypto-Syrian and Persians elements are to be found, especially in some industrial arts, particularly in binding, carpets and male clothes."

But in any case, Magrab art, exhausted by the previous generations, became, over-burdened with ornaments, lost its sober nature and gained in splendour.

H. Terrasse has tried to present the synthesis of Spanish-Moorish art, under the Alaouites, four centuries after the fall of Granada. According to him, the patterns of architecture solidified.

But if, under the Alaouites, this art continues to sink into traditionalism where the classical themes are petrified, on the other hand, a certain movement, since Morocco's independence in 1956, appears to move in the direction of choices where the Arab character is strongly marked by a Western-Mediterranean hue. A strong vitality reveals in our artists a creative genius, a true talent for eclectic reproduction, a sort of artistic synthesis, which represents the surest catalysing element for the birth of a New Art, where the pragmatic features merge with modern static ones.

This appropriate restoration, shall give birth to the originality which must mark modern Magrabian art, fully Mediterranean in its nature.

Welfare which must spread in a fairly homogeneous setting, will thus draw inspiration from aesthetics, in view of a better life. The meaning of beauty and the need for comfort must preside over the renewal of the Moroccan society of tomorrow.

(1) *Histoire de l'Afrique du Nord*, p. 456.

(2) *Histoire du Maroc*, vol. 2, p. 76 and following.

undertook the drafting of his famous "Nozhat", which he must have completed before 1154, the year of the death of the patron king. This work of art, according to Amari, holds "the first place among the geographical works of the Middle Ages" (*Histoire des Musulmans de Sicile*). An abridged Latin version was published by Jaubert, in Paris, in 1619 but a translation of the complete work will be published two centuries later (1836-1840) under the auspices of the Geographical Society of Paris.

Idrisi built, under the form of dices, together with this work, a celestial sphere and a representation of the world known during his times. The higher precision of Idrisi over Ptolemy is obvious; just to give one example, the tables drafted by the Greek geographer presented, for the distance separating Tangiers from Alexandria only an error of 18' longitude whereas between Tanger and Tripoli of Syria, the Arab tables contain an error of less than 1". The Moroccan geographer has pointed out a whole series of errors and wrong interpretations made by his predecessor, on the geography of the Mediterranean. It is he, and not directly Ptolemy, who was "the European professor of geography", as E.F. Gautier will have no map of the World other than Idrisi's" (*Mœurs et Coutumes des Musulmans*, p. 239). During modern times, the Magrab explorer "enjoyed as a geographer according to Dozy and Goeje, a considerable reputation in Asia, Africa and Spain." Reinaud which had severely judged Idrisi's work of art, was forced however to acknowledge that "taken as a whole, it is like Strabon's, a true monument erected to geography."

Idrisi's work is original: in Moroccan cartography, the outline of the harbours stand out for the first time, in our geographer's work, and "a whole precise nomenclature appears—says Massignon—the straight banks of the rivers and on the curved edges of the mountain chains."

As for Ibn Battouta, he was born in 1304 A.D., in the nearby city of Tangiers. Soon after the age of 20, he undertook a series of adventurous voyages, through the least explored countries. At Fez, the last stage of his journey, the traveller from Tangiers had the long account of his travels, which had lasted 28 years for a total of 75,000 miles, drafted (like Marco Polo) by a secretary of the Merinide sultan, Ibn Jozey, especially entrusted with this task. This famous account was published, towards the middle of the last century, thanks to Defremery and Sanguinetti; in 1929, Gibb published an abridged version in English, in his *Broadway Travellers*

collection, to which he added a remarkable study on the author.

Hassan Ibn Mohammed Al Ouzzan known as Leo the African, was born probably in Granada towards 1495, but was brought up in Fez, where he spent the best years of his youth. At the age of 21, he undertook a journey towards the East, but was made a prisoner in Naples, in 1519, by Sicilian corsairs. It was Ramisio who, in 1550, published the "Description dell' Africa" which Leo seems to have drafted, directly, in Italian, and which is divided into IX books, the first of which contains remarks of general geography, ethnology, and clinical indications. This treatise represented, according to Massignon, a true "practical textbook of the geography of North Africa" (*Le Maroc dans les premières années du XV^e au XVI^e siècle*, p. 43). All matters not related to precise indications and practical applications "found him indifferent and sceptical." The description is "the only methodical and original treatise which was published in the XVIth century, in Europe, on Morocco's geography and which, for three centuries, will be practically the only source."

From this brief illustration it appears that the Arab, Oriental and Magrab work had played a decisive role in the development of the geographical science and of the cartography of the World, during the Middle Ages.

In our work in French entitled "L'art maghré-bien", we have spoken at length of the essential and most representative aspects of art, especially under the Merinides, during the XVth century, an art which at that time was syncretized in a strictly Mediterranean, Spanish-Moorish art?

Notwithstanding the Andalusian influence, this art was enhanced by a particular hue; the concern for static and balanced forces which characterizes Christian architecture, is replaced, in Moslem architecture, not only by the solid nature of the structure, but also by the ornamental sense and the decorative flourishing. The Arabs draw the admiration of the West for their cantilevers, their stalactites, their colour scheme, the often majestic aspect of their forms, their incomparable style. In architecture, during full maturity, notwithstanding the excessive use of arabesques, the excess of decorations, the disorderly nature of details and the poor quality of materials, "the whole remains clear, the proportions are balanced, the decorations perfectly match the spaces which they cover; and especially, the polychrome effect is perfectly in its

authority, enabled the so-called Moroccan corsairs to enjoy "for two centuries, a legal and nearly official existence" (De Castries).

The Africans, in general, had no calling for piracy. It is possible "to say—writes De Castries—that the pirates of Tripoli, Tunis, Algiers and Salé, just to mention their main cities, were not generally recruited from among the local Magrab population, and we add: and neither from among the Turks, because those to whom this name was given were mostly renegades or descendants of renegades." The number of Christians having betrayed their faith and settled either in Turkey or in the Magrab "exceeds all possible guesses."

These "diplomatic irregularities"—as De Castries likes to call them—which prolonged, in opposition to the Fez authorities, the lively existence of these outlaw renegades, the impunity of whom was knowingly sought for by some overseas governments, were to be the cause and the justification of foreign intervention.

The influence of Arabic was becoming, during the Middle Ages, all the more pronounced that a greater part of Southern Europe considered it "as the only medium of the sciences and letters." The progress was such that the Church authorities had been obliged to have the collection of canons translated into Arabic for the benefit of the churches of Spain. John of Seville was even obliged to draft an illustration of the Holy Scriptures into Arabic. At the same time, books on Moslem religion and law were translated into the Roman language" (G. Rivoire). In Andalusia, all contracts were drafted in Arabic; two thousand texts of these contracts have been discovered." The Andalusian aesthetes were the first to declare that they would willingly give up all the poverty of Latin literature, in exchange for a few Arab verse" (Max Vintejoux). Similarly in Sicily, where the Norman king was clothed in the Eastern manner, his state cloak was embroidered with Arabic letters; the seal and coins carried bilingual inscriptions. In short, "Arabic had become—said he who had the merit of studying this "Arab Miracle"—an international language of trade and sciences».

As early as 1207 A.D., mention is made of an Institute for the teaching of Arabic in Genoa. Later, the Ecumenical Council of Vienna organized this teaching in Europe, by setting up chairs in each of the main universities of the Western world. But it is especially during the

XVIIth Century that Northern and Eastern Europe finally undertook the study and propagation of the Arabic language; it is only in 1936 that the Swedish government decrees the teaching of Arabic; since then, in Sweden, the publishing of works on Islam was actively prompted. The study of oriental languages, and among them of Arabic, began in Russia under Peter the Great, who sent out five Russian students from Moscow to the East. In 1769, Queen Katherine made this teaching compulsory; in 1816, a department of Semitic languages was set up at the University of St. Petersburg.

Professor Massignons declared, for the benefit of those who attempt to minimize the significance of the medium of Arab thought, that "it is in Arabic, and through the Arabic language, that the scientific method began in Western civilisation."

"Arabic, he further states, is a pure and unbiased linguistic instrument of international transmission of discoveries of the human mind... The international survival of the Arabic language is an essential element of future peace among nations."

Arabic "presents the advantage, says Montagne, of being the medium of a universal civilisation, and of lending itself to the expression of a religious and political thought (Les Berbères et le Makhzen, R. Montagne, p. 52).

As for the Magrab's contribution to the development of science, our work on the history of medicine and pharmacopoeia in Morocco depicts in a realistic presentation, the process of scientific research. Just to mention studies in the field of geography, it may be mentioned that Western explorers of modern times have found valuable documents available for them, not only on Asia, Africa and Eastern and Central Europe, but also on the West, to which Kazouini devoted, in the XIIth century, a whole work. But the Arab works on the unknown regions of Africa and of the Indian Ocean were those that especially inspired Western geography.

Idrisi, who was born in Ceuta in 1100 A.D., belonged to that Arab dynasty which had Islamized the Magrab and molded, very early, its national unity. His daring expeditions across Andalusia, North Africa, Asia Minor, and probably France, Italy, Germany and England, were not long in drawing on him the attention of Roger II, who had turned his small kingdom of Sicily into one of the islands of Eastern civilisation. At the request of the Norman king, Idrisi

she had numerous vessels, always occupied at practicing piracy along the Spanish coasts. Her dealings with Don Alfonso, governor of Ceuta, have remained famous (*Hespéris* XLIII, p. 222).

The same exuberant activity is to be found for the Saadian women, both in the intellectual field and in the political and social ones.

Under the Alaouites, the feminist movement was inaugurated by Khnatha, wife of Moulay Ismail, who had become "a scholarly woman" (p. 105); a counsellor very much listened to by her husband and later by her son, the prince Moulay Abdallah, she promulgated herself some *cahirs* and administrative regulations.

Quoting a woman from Fez, El Aliya, daughter of Taïb Ben Kirane, gave lessons in logic at the Andalusian mosque, Moulieras writes: "An Arab woman professor of logics! What do our geographers and sociologists, think of that, they who have repeated, in the most dismal tones of voice, that Morocco is buried deep in the darkness of an undiscrivable barbarism, in the Ocean of an incurable ignorance? An intelligent Moroccan woman soars in the high regions of science." (*Le Maroc Inconnu*, vol. 2, p. 742).

Unfortunately, the reactionary social movement was progressively taking the upper hand as the Muslim empire became politically disintegrated. It is curious to observe that this new paralysis coincides with the birth of Western colonialism. Without going to the point of giving imperialism the responsibility of this state of affairs, we are at least able to state that the underhand intrigues, if not the actions of open hostility of Europe, finished by causing a political emancipation of the Arab world, the emancipation of women speeds up in a vast movement of social rebirth. A virile feminism develops, as a reminiscence of a glorious past, the evolution of which was distorted by the aberrant interpretations of the Islamic spirit. The Muslim women will be able to profit from the benefits of Western modernism, in harmony with the imperative rules of its own civilisation.

As for the mission of the Magrab fleet in the Mediterranean, the Almohade squadrons were masters of the seas—because their fleet was the first in the Mediterranean, according to André Julien—and the danger of European corsairs was only a relative one. The Almohade Sultans even supported an army, with the special task of repressing the privateering of both the Christians and the Arabs. But later, the

superiority of the Western navy gave "a certain advantage to the Christian sailors and corsairs, the roles and actions of which were often mixed up together."

The foreign policy of Abdel-Moumen imposed, as an imperative rule, the obligation to punish, everywhere, the corsairs who attacked the Christian navies. The Almohades who well understood the necessity of international traffic (of which the Moslems had inculcated upon the Christians some of the principles, according to the evidence of M. André Julien), made it an absolute point of guaranteeing everywhere and always, the freedom and security of the seas, in the very interest of their foreign trade.

The inhabitants of the Moroccan coast sheltered the wretched Andalusian pirates, but this fact, of little importance in itself, was justified at the time by the Iberian ventures against the Magrab; the least one might have expected from the Moroccans, under these circumstances, was to remain passive—a fact that was later to be considered as a tacit encouragement with regard to the Moriscos in their legitimate reaction against the Christian navy. It might be answered that, if at a stretch, the privateering against the Iberian squadrons was justified, relatively at least, for particular reason, it was unacceptable with regard to all Christians, as such. But in order to better judge the matter, the general state of mind reigning at that time should be remembered, especially in the Christian field. This mentality was eloquently described by Father Dan, who stated that the privateering expeditions made by the Christians should not be considered as blameworthy when made against the enemies of the faith." Christian piracy thus took on the aspect of a true crusade against Islam. However, the Magrab people were not able to affectively participate in these retaliation struggles, concerned as they were, in their direct action, by the enclaves created by the Portuguese and the Spaniards on the coast of the Empire.

At that time, piracy fitted into the maritime war of those times as an essential phase; the corsairs kept on alert the Spanish conquerors who occupied a greater part of the Berber coast.

Nevertheless, the misdeeds of these pirates, somewhat legitimized in the past by a rather complex retaliation pattern became, with time, a source of trouble for Morocco. Our rulers could do nothing about it, the fault being on the European side, and Europe, defying Moroccan

has done so... All the ancient legislators have shown the same hardness for women" (ibid, p. 430).

"The chivalrous spirit of the Arabs, their respect for women are very well known; the Wali of Cordova having, in 1139—writes Gustave Le Bon—besieged Toledo, at that time belonging to the Christians, the queen Berengaria, who was shut in the city, sent him a herald to point out to him that it was not worthy of a brave, gallant and generous knight to attack a woman. The Arab general immediately withdrew, asking as an only favour that of saluting the queen" (La Civilisation des Arabes, p. 286).

The doctrine of Mohammed was not long in falling into a serious stagnation, under the effect of the fallacious interpretations of some dogmatic minds, which were stupidly formalistic. Islam gradually slipped into a dangerous paralysis. Enlightened minds had not then hesitated, to react strongly as early as the XVth century; a women's movement started growing in the Moslem world, which reacted against the backward puritan party, the action of which aimed at the most severe cloistering of the Arab women.

Appeals for reform, coming from all corners of the Empire, called for the return to the social liberalism promoted by Islam, the true principles of which were beginning to blur. This energetic feminist movement bore its fruits.

Granada appears to have been the feminist literary city, in the highest sense of the expression. The flourishing of feminine genius, in the Arts and Letters was due to the great social freedom which the Granada women enjoyed, according to Prescott (Ferdinant et Isabelle, p. 192).

As for the Moroccan woman, she played, for her part, one of the most important roles in the social, literary, economic, military and political life of Morocco, after the manner of her Eastern and Andalusian sisters.

Speaking of the Moroccan woman, Moulieras writes in 1895: "The Moslem woman is still the queen of her home, as at the time of the Abbasides and of the pre-Islamic Arabs" (Le Maroc Inconnu, p. 736).

Princess Hosnâ was the political counsellor of her husband Moulay Idriss, king of Morocco. The names of other women counsellors of the Idrisside princes are mentioned. Similarly Zaineb, wife of the first Almoravide Youssef Ben Tachfine, famous for her beauty and the depth of her political and administrative views, as well as Tamine, daughter of Tachfine and Kamar,

wife of the prince Ali Ben Youseff, were the basis of the feminine liberalism which will be one of the justifications of the puritan campaign carried out by the first Almohade against the Almoravide regime. One of the aspects of this early emancipation of the city women was the putting out of use of the veil, a reminiscence of the Saharan customs of the ruling dynasty. At that same time, Hawwa El Mammoufia gave political lectures, and her sister Zaineb recited by heart collections of poems. Other women attempted timidly to promote a feminism inspired by the stimulating impulse of the Andalusian woman. Vanouh, daughter of Bountian, is one of the most brilliant figures of the Almoravide period. Still a virgin she defended alone, with the sword, the royal palace of Marrakesh for half a day, and finally fell under the blows of the Almohades, who seized the capital by over lectures at Ceuta, and Khairouana, the "scholar" of Fez.

Under the Almohades, Oum Hani, daughter of the Cadi Ibn Atia, gave courses, drafted works in various branches of the religious sciences. She is the mother of Abou Jafar, physician of Al Mansour. Zaineb, daughter of Youssef the Almohade, gave the good example by attending lectures, organized by Mohammed Ibn Brahim on the sources of the Law. Hafsa Errakounia, one of the famous poets of her time, was the preceptress of the al Mansour's Harem; Oum Mar, daughter of Avenzoer, was his physician as well as her daughter Bint Abi Al Alâ. There were other figures who were no less brilliant, such as Warqâ, the poetess of Fez, Amat Al Aziz, poetess of Ceuta, Oum al Alâ, who came from Fez and who directed a school in Granada, the famous traditionalist Mariem, daughter of Al Chafiqi, who presided over lectures at Ceuta, and Khairouana, the "scholar" of Fez.

Under the Merinides, there were three brilliant women of law: Fatima and her sister, daughters of Mohammed El Abdousi, as well as Oum el Banine, grand mother of Zarrouk; Sârra El Habibia of Fez is a poetess of great literary culture.

Under the Watasside, Lalla Aïcha, known as Al Horra, received in her childhood a very careful education, and must have spoken Castilian fluently; she married her father's ally against the Portuguese, Ali Al Mandri, the restorer of Tetouan, where she found the learned and refined literary milieu of Andalusia to which she was used. She was initiated to the intrigues of politics, governed the city, exerting a sovereign authority there; the struggle against the invader was her main concern; to this effect,

creating detached university buildings for receiving the students flocking in from the nearby tribes and even from abroad.

Up country, there was no lack of education centres. Even in the South, 200 medersas were flourishing.

Speaking of the up country people, Moise Nahon states in his "Propos d'un vieux Marocain": "Many among them read and write, all honour the learned. They use their language with a correction, a fluency, unknown elsewhere among peasants; they possess a true grammatical genius. They grasp on the spot all legal subtleties and abstractions do not discourage them... They are—within their environment—better equipped to face real life than many people with diplomas where we live" (p. 11).

"It is comforting, he writes elsewhere, to see such rough peasants distinguishing a strictly moral superiority, bowing before an honest man, without ever stopping to look at the colour of the skin or the humbleness of origins. I must admit that, on this occasion, I cannot fail to think of the lynching of Yellow and Black people, beyond the Atlantic" (p. 47).

Under the first Almohade, there was a sort of school "of Moroccan Administration" the student body of which already reached the figure of 3,000, which gave the State its top cadres.

Alongside the traditional sciences, courses of riding, shooting, swimming and rowing were offered.

For a long time, Fez remained the most active intellectual centre of the Magrab. It was this city that inherited the radiance of Kairouan and the great Andalusian cities. Its famous university, one of the oldest in the World, made it one of the capitals of the mind, where North-African, Soudanese, Lybian and even European students gathered. We will only mention the case of the future pope Sylvester II, who after having learnt—it is said—the Arab numbers at Kairouan, introduced them, for the first time, in Europe. Al-Olamaa trained at the University of Fez enjoyed a great reputation in the Moslem world. In Merinide Morocco, the learned of the law were numberless. Abou Hassan, in his expedition to Ifriqya, took 400 Olamaa with him, the enormous erudition of which dazzled Ibn Khaldoun and attracted him to Fez.

As a matter of fact, the Magrab has always been a nursery for men of law. Pline indicated this already in ancient times. The Jewish Academy of Fez played a considerable role in the crystallization of the Thalmudic law.

Everywhere in the Islamic world the Magrab men of letters and of law left their mark: the Berber Ibn Kazzaz, an expert in Arabic philology, excelled over the famous oriental philologists such as Said of Bagdad; Roudani of Marrakesh was able to see his works of physics and Law reach India, after having given rise to the admiration of the Middle East, for the wealth of their documentation; El Harrali dazzled the intellectual milieu of Tunis by his encyclopaedic erudition; El Maqqari held breathless thousands of listeners who gathered around his chair in the Mosque of Damascus.

Thus the influence of the Magrab civilisation went beyond Andalusia and the North African countries, reaching the Eastern sector of the Mediterranean area up to Damascus, passing by Cairo. The Magrab was thus a point of contact between two worlds. "It was through it, writes André Julien, that the theory of music, of intervals and modes penetrated from the East where it was formed, into Spain where it remained practically intact". A Fassi, Mohammed Ben Abdelkrim, in the XVIIIth century, caused a happy revolution in sculptural Egyptian art, whose works of art are still kept in Cairo Museum. Magrab architecture also represents, according to Gsell, "a work of art of harmonious discipline."

The Arab woman was able to make good use of the liberal spirit of the Moslem legislator. As from the first decades of the Hegira period, she was able to assert herself, by her broad and effective participation beside men, in the cultural and social life of the Moslem community. Aicha, daughter of the 1st Caliph and wife of the prophet, must have been brought up according to the new principles and embody the ideal of women: at less than 20 years her profound learning made her one of the most brilliant figures of her times: the great companions of the Prophet came to consult her on legal, historical, literary and even medical matters. From then on, the cultural field of action, of women broadened in an increasing manner.

"The legal situation of the married women, says Le Bon, as it is regulated by the Koran and its commentators, is much more favourable than that of the European women" (G. Le Bon, p. 436).

It is from the Arabs "...that the inhabitants of Europe borrowed, together with the laws of chivalry, the gallant respect of women which these laws imposed" (G. Le Bon, p. 428). "Islamism has raised the condition of women, and we can add that it is the first religion which

The activity undertaken in the old Magrab in order to protect hygiene and public health, far from being ideal, was nevertheless not negligible for that period. A Maristan (hospital) was founded for the first time at Marrakesh, under the Almohades.

Speaking of this hospital, Abdelwahid El Merrakchi says that Youssef "began by choosing a vast area in the flat part of the city... He had all sorts of trees planted, for beauty and for fruit. Water was brought there in abundance and around all the rooms, without detriment to the four basins situated in the centre of the building, the most important of which was in marble... A daily income of thirty dinars was allotted for food in the strictest sense of the term, quite aside from remedies, drugs, ointments and eye-washes. Day and night, summer and winter clothing was provided for the patients. After recovery, the poor received, when leaving the hospital, a sum of money for living expenses until the time they were able to support themselves... Any foreigner falling ill in Marrakesh was taken there and cared for until his recovery. Every Friday the prince, after the prayer, went on horseback to visit the sick and inquire after everyone's health..." (Les Almohades, p. 130).

"Not only did this Hospital (writes Millet in 1925) leave far behind it the leper-houses and the principal hospitals of our Christian Europe, but it would still put to shame today the sad hospitals of the city of Paris" (Ibid., pp. 129-130).

At Fez, a hospital treated neurasthenic patients, trying to act on the patients nerves with Andalusian music.

Since the XIth century, the Magrab has known generations of physicians, some of which had a universal reputation. Ibn Tofeil and Ibn Roshd were to successively play the role of official physicians of the Almohade Court. Averroes was the first, long before William Harvey, to analyze, in his "Kolliat", the mechanism of blood circulation in man. The Beni Zohr family had several practitioners, both among the women and among the men.

It is true that medicine was still in its empirical stage. "It should however be noted—as J. Bensimhon points out (Maroc Médical, September 1951)—that in numerous cases, this elementary and fully empirical medicine applied treatments the effectiveness of which has since been unquestionably recognized.

At all times, the Magrab physicians have tried to record the results of their experiences, in works which have remained famous. Some specimens are still kept in private libraries in Morocco and elsewhere.

But during the past centuries, the medical art degenerated to such a point that the maristans were only to play the role of mere shelters where patients were left to their sad fate. Occult sciences and cabalism have generally ended by distorting the laws of medicine, which recedes several centuries into the past. It was rare to find doctors filled with a true scientific spirit.

In the cultural field, the joint efforts of Nation and State, since the time of the Idrissides, aimed at multiplying everywhere schools offering elementary education. For secondary and higher education, the Mosques served as classroom and conference halls. Chapels, of which there were hundreds in the large towns (785 in Fez, 3,000 in Cordova, according to Dozy) were as many university institutes, which lent themselves extremely well to traditional education. Courses were then held at all time of the day by voluntary professors, the mission of teaching being considered as a religious obligation which each doctor of the law had to fulfill personally. At that time, the student only had the embarrassment of the choice. The Karaouyne as just one mosque-school was among hundreds spread out up to the most isolated centres of the country.

"The first school in the World" (Delphin, Fez, son Université, 1889).

These mosques were generally endowed with a library which was more or less important. A decade ago, in a chapel in Fez (under the vault of tombs), a large piece of furniture with shelves has been discovered in very good conditions, under a sculptured lintel, which contained two boxes of books and bundles of ancient documents.

"The Emir's library (Abou Yacoub, the Almohade) enriched itself with the spoils of the previous period, to the point of equaling, it is said, that of the Omayad Sultan Hakem II" (Millet, les Almohades, p. 101).

With time, the flow of students to the great cities raised a new problem for them; that of housing.

It was then that the Merinides actively undertook the task, as from the XIVth century, of

an efficient and permanent manner, the varied needs of the various social strata.

The distribution of daily soup to the people, of weekly foodstuffs, of special monthly rations in exceptional circumstances, there were the normal modes of assistance.

Hospitality centres, disseminated throughout the country, gave shelter to tramps and travellers passing through; from the times of the Merinides, the Sultans had never ceased to increase the number of public shelters and inns, reaching the furthest corners of the countryside. Also thanks to private hospitality, of which the Moroccans made, and still make, a point of honour, no one not even foreigners, could ever feel in any difficulty.

The chapels and mosques (of the Rif) says Moulieras in 1895 "serve as hostels for foreigners and students who receive hospitality there which is both free of charge and pleasant" (Moulieras, T. I, p. 56). Hospitality, given in each mosque, is considered as a sacred duty by all the inhabitants of Morocco (p. 62).

"It should be seen with concern, with what scrupulous loyalty, the Moroccans capitalist acquits himself of legal alms, that is to say the tithe on his income which he distributes himself to the poor, without State intervention, his conscience and God being his only Judges. With his continuous generosity, with this compulsory charity, towards all paupers, with this hospitality granted to all foreigners, the charity institutions, the health clinics of our Modern World have no other reason of existing than that of the relentless class struggles which seriously threaten our old Europe (Moulieras, T. II, p. 195).

Besides its role as an executive and regulating agent, the State undertook an important welfare role, granting the poor regular pensions, the students and professors, stipends which were often periodical, at times monthly. But State intervention was mainly represented by collective subsidies during periods of drought, famine and epidemics, or in other exceptional circumstances.

This feeling of solidarity in the Magrab people strengthened by the absence of characterized social casts, goes together with a rare humanitarian sense.

The Moroccan slaves are in no way interested by freedom which they have no use for. Well lodged, well fed, well treated by their masters, they end up by considering themselves as part of the family they serve. Their eman-

ipation thus becomes a source of trouble for them, of real danger (Moulieras, T. II, p. 63-64).

The charity institutions were even concerned with animals and birds; efforts were made to accumulate sizeable funds for their support. Disabled animals were the object of special care. There still exists, among the "habous" possessions at Marrakesh, a shop the rent of which was regularly devoted to this form of charity. One still remembers, in Fez, the famous hill called "Kodiat El Baratil" where compact swarms of birds of all kinds had taken the habit of coming to pick up grains, scattered to the four winds for that purpose.

"...Never does one see an Arab, says Gustave Le Bon, illtreating an animal, as is generally the rule with our European carters and coachmen. A society for the protection of animals would be perfectly useless among them. The East is the true paradise of animals." (Ibid, p. 376).

The Moroccan dynasties were not content to found or give their patronage to welfare institutions in the Magrab. Their social action was felt in other countries, where they have never ceased to create new "habous" in order to satisfy the requirements of the needy.

Together with this social security system, the State tried to offer a citizen jurisdictional warranties, by the rigorous choice of honest judges and the firm control exerted on the magistrature. The Sultan Moulay Ismail ordered a massive dismissal of all the cadis of the countryside, who were considered unsuitable.

Speaking of the Almohade Yacoub El Mansour, Millet, states that this ruler "addresses a circular letter to the cadis to remind them of the rules which must preside over the observance of justice, and he announces the intention of punishing the dishonest caid." (Les Almohades, p. 112). Moslem law is ideal.

The Moslems are convinced of the universal influence of Moslem law, adaptable to all circumstances and to all periods, as attested by the resolution unanimously adopted during the final session of the International congress of comparative law, on 7th July 1951: "...It has clearly appeared that the principles of Moslem law have an unquestionable value, and that the truth of the schools within this great juridical system implies a wealth of remarkable legal ideas and techniques enabling this Law to satisfy all the adjustment requirements made necessary by modern life."

Before the wave of xenophobia caused by the Christian invasions on the Moroccan coasts, invasions of which a sizeable number bear the character of true crusades, most of the Magrab authors respectfully speak of "the people of the Book." Quoting Idrisi, the famous Moroccan geographer, Quatremere notes that "in the whole course of his work, he shows with respect to Christianity and the Christians the rarest impartiality, and this at a time when the conquest of the Crusades in Palestine and those of the Castilians in Spain, has exasperated the Moslems to the highest degree."

The Jews expelled from Andalusia by the Christian kings became the object of kindly hospitality everywhere in the Magrab up to Deb-dou, which received a good number of them with open arms.

The greater part of the Moroccan Jews descend from the Jews exiled from Europe in the Middle Ages: England (in 1290), France (in 1395), Spain (in 1492). Godard—*Histoire du Maroc*, p. 15 (see also: *l'Etude sur l'hygiène et la Médecine au Maroc* by (Raynaud)—adds Italy (1242), the Netherlands (1350) and Portugal (1476), p.

Moulay Ismail, presented by some as a brutal and blood-thirsty man, is defined by some Christian Chronicles as "the greatest protector of the Franciscans, because he gave them privileges which no Christian nation would have dared to demand for them." The Alaouite Sultan promulgated two "dahirs" (dated 20th December, 1711 and July 1714) in which the death penalty was formally decreed against all those who "undertook to molest the Christians or to insult them."

The Jews were the Sultan's subjects and, as such, were subject to the general regime; however, on 5th February, 1884, the Sultan Sidi Mohammed Ben Abderrahman promulgated a "dahir" officially consecrating the assimilation of the Israelites to the Moslems, the ones and the others being placed on an absolutely equal footing.

Thus, throughout one thousand years, Christians and Jews were able to enjoy, side by side with the Moslems, a peaceful and quiet life which rare upheavals upset superficially at times. But these periodical crises fitted into the general framework of social life, and were in no way tinted with racial or confessional rancour.

SOCIAL ASPECTS OF OUR CIVILIZATION

The old Moroccan authors of Annals and Chronicles were rarely interested in the cultural branch of Magrab history, and even less in its purely social part. Only the political or economic aspects were to retain their attention. History is thus fatally limited, in their writings, to a battle-history encrusted at times by digressions of a literary or social nature. It is therefore not easy, due to lack of precise documents and solid information, to draw a general and clear picture of the general lines which must have characterized the social and cultural fields of the Magrab civilization. We will nevertheless attempt a more or less complete synthesis, moving from the few elements which are to be gleaned here and there in the thick mass compiled by our authors.

It is especially, by a living illustration that we believe it useful to proceed, because this is a method where we have the most chance of remaining objective, while giving the audience the opportunity of appreciating and judging the mode and level of life in the Old Magrab, the mechanism of social insurance, the means of security which the Moroccan citizen enjoyed with regard to the subversive and unhealthy elements which generally caused the uprising of the lowest strata of Medieval society. This society suffered a thousand ills, which worsened its classical calamities: hunger, sickness, ignorance and arbitrariness. Morocco at times represented one of the rare islands in the civilized world enjoying a comparative healthiness and a more or less stable social balance. The State rarely had to intervene: the wheels of society meshed curiously well under the effect of spiritual factors, the reflections of which, now tarnished, still mark Moroccan social life.

The description which Idrisi offers of the Magrab in the 7th century gives an impression of general prosperity. The geographers of the Medieval period have not failed to praise this rich country where people lived in peace and dignity. H. Terrasse was forced to recognize this.

It was mainly independent institutions, operating under the form of "habou" foundations, which actually took care of assisting the non-favored inhabitants of the nation. A whole range of needy people benefited from this aid, going from paupers, widows and orphans, to the blind and the sick. Private initiative was ingenious in undertaking all possible ways of meeting, in

and solidarity between nations found its expression in the sincere impulse which brought them to the rescue of a State in distress. Morocco knew how to pass the sponge over past rancours, when its enemy was going through a crisis and already, right in the XIth century, there was a development of "confidential political relations between princes who were opposed to each other with regard to their religious beliefs".

Thus, the Magrab could not imagine international solidarity of a purely confessional nature. Religious considerations do not appear to have dictated to the Moroccan rulers their international policy in the major Mediterranean conflicts. The fact is that the geographical nearness of the Magrab to the West, their historical mixing, without undermining our strong affinity with the East, represent a vital aspect of our vocation. The essential feature of this integral part of the free world which Morocco represents, is that of forming a point of contact with the most neuralgic area of Mediterranean and Atlantic Europe, a bridge between the Arab and Western worlds.

Our Mediterranean vocation has on the other hand been emphasized by these exchanges between the Magreb and the West; exchanges which we would never have ceased to carry on for our mutual benefit if there had not been "the colonial accident" which, with its expansionist movement, has to disrupt the transcendental course of our history. Both sovereign, independent from each other, treating on an equal footing, the West and the Magrab could not fail, with the strengthening of the notion of interdependence to enhance their reconciliation and achieve, through free ties, a harmonious and long-lasting equation. Interdependence cannot have an adequate basis if not within the framework of a peaceful and sovereign cooperation; because cooperation is only fruitful to the extent that the parties, enjoying their full and whole liberty, and feeling all freedom of action, are open to compromise. Mutual respect and the acknowledgement of the legitimate rights and aspirations of the people certainly represent the best basis on which to establish and develop interdependence.

By recovering the fullness of its sovereignty, Morocco reappears in its true light; it once again becomes what it has always been, before having suffered the intrigues of the colonial period, that is to say the sincere ally of the West, to which it is linked by those imponderable elements which are the outcome and the reflection of a long life in common.

THE SPIRIT OF TOLERANCE IN THE MOSLEM MAGRAB

Islam, with its simple dogma, accessible to all, without a hierarchy, without formalism, was able to conquer a greater part of Humanity, in the record period of a few decades. History has rarely given the impression of such a clear spontaneity in the peaceful conquest of hearts. "Never has the Arab, acknowledges E.F. Gautier, in all the fervour of his new faith, dreamt of eradicating by bloodshed a competing faith"; this is because "tolerance is related, he specifies further, to the deepest concepts and instincts of the Old East" (*Mœurs et Coutumes des Musulmans*, pp. 207-214).

If the Moslem preached Islam, he has always abstained from exerting pressures on the hearts of the unbelievers. When the Islamic World was at the peak of its power and expansion, Christian and Jewish communities enjoyed within it a happy and peaceful life.

The Islamic conquests aimed neither at exploiting the conquered lands nor at implanting the Arabic element, through massive immigration. For the whole of North Africa, the number of Arabs never exceeded 110,000 up to the IXth century, most of them residing in Tunisia.

The learned scholars of Moslem Law have always been impermeable to the idea of "Islam, the only State religion." When, in the Middle Ages, the Ottoman Sultan Sellim wished to apply the principle of a Moslem empire, the "Cheik El Islam" of the time was categorically opposed to the idea, underlining the respect recognized by Islam for freedom of conscience.

In the Magrab, the Jews have lived side by side with the Moslems since the VIIth century. They were admitted very early within the walls of Fez, which was nevertheless a holy city. Already around the year one thousand, the Jewish colony of the Idrisside capital numbered 5,000 members who freely celebrated their creed, in synagogues built right in the medina. On the other hand, one of the quarters of Fez, called the "quarter of the Church", seems to have grouped the Christian inhabitants of the City.

In 1492, when the Castilian persecutors were venting their wrath against the Jews and Moslems in Andalusia, the preacher Al Maghili one of the cadis of the Empire, was exiled from Fez, for having undertaken an antisemitic campaign.

dated regimes, solemnly condemned by universal conscience.

Morocco has often given proof of an acute international sense. From the Xth century, it gave free access to foreign tradesmen who did not delay in setting up trade establishments. It is then that, for the first time, the problem arises of how to protect the legitimately acquired interests of foreign nationals. Our sovereigns made no difficulty for the acknowledgement of these interests; better still, they treated these foreigners with extreme solicitude: the royal decrees characterized by a fatherly benevolence granted them a broad freedom of action and gave them solid guarantees. The foreigners were placed, as well as their possessions, "under this high royal expressed—as Latrie said—by the word protection for the Christians and aman for the Arabs". The same author specifies that "the evil actions of the Moslems with respect to them were subject to the severeness of law".

The Magrab law acknowledged "individual responsibility and freed the compatriots of the delinquent from all collective responsibility". This was a principle of great practical significance and all the more precious since it was rarely respected and applied outside Morocco.

The Moroccan people, jealous of their freedom and sovereignty, knew how to respect the rights, the freedom and the dignity of others. Latrie points out that so long as the Europeans "avoided provoking the susceptibility of the Moslems, so long as they respected the spirit and the letter of the treaties accepted by their rulers, they found in the population and in the Magrab governments the most equitable respect and protection".

Ignoring any religious prejudice, Morocco, a Moslem country, has never ceased having constant and friendly relations with all countries, including the Vatican. Its rulers, in their diplomatic relations with the Christian world, drew their inspiration only from the principle of international justice, being only concerned with maintaining their sovereignty. Racial or confessional considerations were never taken into account, in the Magrab concept of foreign diplomacy and politics. It is sufficient to consult some archives kept in the European chancelleries, in order to be convinced of the high esteem which Morocco enjoyed within the Christian community. The letter of Gregory VII to Ennacer in 1776 is "the most precious monument of this time and the most curious sample of the easy and friendly correspondence

which existed between the popes and a few African sultans". Addressing himself to the Sultan, the Pope tells him in particular: "The nobles of the city of Rome having heard, through us, of the act which God inspired you, admire the loftiness of your heart and express their praise to you".

This sympathy "which perhaps no Roman pope had ever expressed so affectionately to a Moslem prince" emphasizes the intimate cordiality of the links between Christianity and Islam, of which the Almohades were then the renowned representatives.

On the other hand, Morocco was a land of refuge for the Christians oppressed by the great lords of feudal Europe. "European knights or princes, displeased with their suzerains, were able to abandon their fiefs and go to Africa to serve the Moslem kings" (Latrie) European armies, including knights and high lords, were in the pay of the Almohades and the Merinides, the Church itself, as well as the Christian governments, having permitted their recruitment in Europe. After the Crusades, Europe, while treating with the Sultans of Egypt and Syria, opens a new era with the Magrab emirs, of peaceful and commercial relations.

After the XIIth century, many were the European ships to call at Moroccan harbours and to leave them freely. Western chronicles noted already that, during this period one was far from the times when the Christian ships thought they were acting dangerously by risking a journey along the African coasts. Even in cases of aggression on the part of European ships, the Moroccan defenders showed no hatred at all in their reaction: they were content to settle matters equitably.

The protection for people and for the goods of merchants, whatever their nationality was, in the eyes of the Magrab people, so natural and so necessary for trade that it was granted to all foreigners "even when the treaties authorized the Arab government to refuse it."

These are a few isolated examples which illustrate the legal system regulating, for nearly one thousand years, the relations between the Europeans and the Arabs of North Africa; The whole set of principles and customs, to the definition of which the preponderant role of the Magrab is obvious, has contributed to the formulation of some rules of contemporary international law.

These illustrations emphasize the international sense which had often inspired the Magrab rulers, whose high concept of mutual aid

tians of Sicily, at the summit of Norman civilization (Ibn Jobeir). Everything in Brazil was the image of our Medieval society, from the social behaviour of the ladies of society who adopted the habit of sitting cross-legged on carpets of Moroccan style, to the outside aspect of the countryside. Notwithstanding the climatic differences, the countryside borrowed, with Spain and Portugal, once again Christians as go-betweens, the agricultural mechanisms and techniques of the Magrab.

"Moorishness" enjoys, in America, a strong reputation. The verb "maurijar" is, in Portuguese, synonymous with acting; throughout America, the expression "working like a Moroccan" has become proverbial. In Portugal, it has not been overlooked that the inhabitant of the South, among which the descendants of the Moroccan conquerors are to be found, are imbued, more so than their fellow countrymen of the North, with an exceptional spirit of initiative and enterprise, together with a shrewdness, an endurance to work, a persistence in exerting efforts and a longevity comparable to that observed in the Moroccan Atlas.

We are even in a position to pretend, together with Western Authors, that if the Portuguese navy was able to cross the Atlantic and reach America, this was thanks to Arab methods of navigation which had become a science. Ibn Majdd, who has left famous works on the "navigation art" was the navigator of Vasco Da Gama (1469-1524), who discovered the route to India in 1498, through the Cape of Good Hope.

These are some features of this Atlantic vocation of the Magrab, which appears more real than ever in the present international situation.

CONTINUITY OF RELATIONS BETWEEN MAGRAB AND THE WEST

Interdependence, in its present scope and effects, may be considered as a modern concept. But seen from the standpoint of peoples' rights, it already appeared, though vaguely, as a form of altruism; the very essence of this concept, which is as old as the world in its principle and its ideal, resided in the common good will, vital source of the eternal and peaceful nature of relations between nations.

An agreement may always be reached so as to create a certain form of association between States, but this association will thrive only as a function of a certain state of mind to be created and developed among the part-

ners. This is why interdependence, in the first place, has a psychological basis which conditions the harmonization of the interests in play. Good faith and mutual respect of sovereignties are as many warranties for the formulation of a policy of reconciliation between people.

For us Moroccan, this sincere impulse towards the full international blossoming of our Being, was only lead astray by that series of foreign intrigues against our sovereignty, intrigues which ended up by numbing us into our isolation, at the end of the last century, anachronistically closed within ourselves.

Some think it possible to perceive in the Magrab soul, desirous of freedom, an inborn inclination towards fanaticism and xenophobia. Moving from a few isolated facts taken from the historical mass, or from a present situation poorly interpreted, they conclude that these feelings are inbred in the Arab mind; by objectively analyzing Magrab's history, it is necessary to observe that the accidental flourishing of these inclinations strangely coincide with the birth of colonialism. The feelings which since then were provoked in the minds of the Moroccans as a result of the aggressiveness of certain Powers, the underhand manoeuvres against their independence and integrity, must have gone through "ups and downs", according to the attitude which, later on, was to be assumed by a Europe more or less inclined not to recognize the rights of the Magrab, as a sovereign entity. The pseudo-fanatism which was presented as the natural expression of an intolerant and narrow mind was nothing but the reaction against the aggressor, and not against the foreigner.

Speaking of Morocco, De Foucauld said: "The conqueror is feared more than the Christian is hated" (Reconnaissance, p. XVI).

When the causes of mistrust disappear, the Magreban becomes once again what he has always been, a man who is highly sociable, imbued with spontaneous amability and with essentially kindly feelings. But since the end of last century, some circles had the offensive mania of stigmatizing any patriotic impulse shown by the Africans or the Asians, strongly accusing them of fanaticism each time they expressed the noble aspiration towards a free and sovereign life. Any national movement which had not the fortune of having roots in Europe, was systematically given the label of extremism, in the eyes of those who, defying the principles of international morals, as well as those of logics, insisted on preserving out-

BY ITS WESTERN VOCATION, MAGRAB IS THE POINT OF CONTACT BETWEEN TWO WORLDS

Morocco is the only Arab country, and one of the rare countries in the world, to have a double maritime opening. Dominating the Atlantic for close of five-hundred kilometers, it represents a strategic platform. The privilege of this position, at the crossroads of two international seas, which are the most active in the world, was enhanced when the Straits became a vital corridor between the Mediterranean countries and the New World.

This fortunate position, on one of the great passages of the universe has not failed to influence deeply the historic destinies of the Magrab which was soon to take on the role of mediator and syncretizing element between two worlds. The fourfold vocation of Morocco (African, Oriental, Mediterranean and Atlantic) has made it the meeting point of two civilizations which have never ceased to operate the one with respect to the other, since several centuries, in order to give Humanity an eclectic synthesis of universal significance.

The Atlantic calling of Morocco explains, in part, the irradiation abroad of our Civilization, the echoes of which were to propagate across the oceanic darkness, strongly affecting with their vigorous impact, as early as the XVth century, the social and economic life of people newly conquered by the deeply orientalized Iberian latinity.

Some even believe that, by the intermediary of the Magrab, Arab orientalism has conquered the New World, since nearly a thousand years now. Direct Arab ventures, which as early as the Xth century, started from the Atlantic coasts of Morocco (Safi) are supposed to have preceded the European adventure in America.

Renan, author of the work "Averroes and averroism", quotes a letter of Christopher Columbus where he recognizes having drawn his knowledge of the possible existence of solid land across the Atlantic from the treatise "El-Kouliat" by Ibn Rochd.

One fact remains however certain, which is that on the one hand the Arabs had at least envisaged exploring the Atlantic and on the other, had established arsenals on the Ocean coasts and created squadrons for the defence of the Moslem West. Morocco rarely used its Atlantic harbours during the three centuries during which it dominated Andalusia: contact through the Mediterranean was more practical.

But later, the relations of the Magrab with some Atlantic countries, like Denmark, Sweden, England and Holland, encouraged it to make increasing use of the harbours which stretched along our Atlantic coastline. The United Provinces (Holland) was among the first Atlantic countries to establish close relations with Morocco represented by regular traffic, through the Channel, a traffic to which the Treaty of 1610 gave a truly preponderant role. The most important harbours were opening onto the Atlantic Ocean: Safi, Agadir and Massat. Later Salé will become and will remain for nearly a century, the most active harbour of the Magrab. Tangiers, Larache and Arzila (respectively freed from the Iberian yoke in 1684, 1689 and 1691) mark, by their own activity, this Atlantic vocation of the Magrab, which will take over all Moroccan trade. In 1845, the Atlantic harbours received, the visit of 223 European ships. Mogador will remain active up to 1911, when 462 ships entered its port. The exports of Morocco represented at the time three times the imports. This is a concrete argument against those who present the Magrab as a country walled into isolation. It is time that the Magrab, harassed by European intrigues, had been forced at one time, to retire within itself. There was even a time when, obsessed by the demands of some Latin countries, the Magrab turned exclusively to the Protestant countries looking into the Atlantic, such as England, Sweden and Denmark, with which it signed trade and friendship treaties. A few years before his death (in 1786), the Sultant Mohammed Ben Abdallah signed a trade and navigation treaty with the United States for fifty years, which was renewed in 1836.

Far from having lived isolated from the Modern world, or even of having remained indifferent to the evolution of European and American politics, Morocco was following, with lively interest and true sympathy, the movement of emancipation of the people across the Atlantic. It was the first to recognize the independence of the young United States Republic.

But from the XVth century, the Magrab civilization, so far restricted to the Mediterranean, was able to penetrate up to Latin America brought there by the Iberic conquerors of the New World. For over three centuries (after the XVth century), Brazil, for instance, was systematically subject to the Andalusian influence. All aspects of American society became impregnated with a Moorish flavour which was more or less emphasized. The Brazilian women veiled like those of the Magrab, shaped the way of life in the Moroccan style, similarly to the Chris-

Set deeply in the African mass, Morocco enjoys a key position which overlooks two of the most active and civilized sectors of the world: the Mediterranean and the Atlantic.

Morocco, which for over a thousand years has carried the banner of Moslem civilization, remains today a point of contact between two worlds and an essential "geometrical locus" for international relations.

Through Tangiers, its diplomatic capital, Morocco holds one of the keys of the Mediterranean. Suez is no more for the Eastern basin (which in the Middle Ages was a true Arab sea) than what Tangiers and Gibraltar are today for the Western basin. The two "extremities" of the Arab world which dominate such a neuralgic area, are called upon, in the present circumstance, to play a role of paramount importance in Mediterranean dealings, which might become inadequate, if not completely insignificant, without the equal and sovereign participation of all the Arab countries which from Tangiers to Damascus, mark out in a continuous stretch close on three fifths of the Mediterranean coast. This is a living reality which should have dominated all the Western minds. Today, the Arab world undertakes the excellent initiative of bringing the Mediterranean countries together in a world conference, with a view to defining the real danger which threatens this region which has become, with the frictions of the cold war, one of the most neuralgic in the world.

The African mission in the Magrab took the form of an irradiation reaching the Niger river Southward and the Nile Eastward. Under the Almoravides, already, the Magrab empire encompassed Algiers and the Sahara up to the Soudan, that of the Almohades extended from Castile to Tripoli, "uniting the Moslem West, for the first time, under the same power". The Merinide influence will exert itself, later, both in the Soudan and in Egypt. A major part of black Africa will be subject to Shereefs and dominated by a pashalik regime up to 1893. In brief, Morocco has always been "the nucleus and the live force" of the greatest empires which ever extended their domination over the African lands of the Setting Sun. This eminent role which the "Fortunate Empire" has never ceased to play, until recently, was all the more real since, as from the year 1250 after Christ, when Egypt itself fell under Turkish domination, "there were no longer any politically independent Arab states if not in the Magrab" (Max Vintejoux). The Magrab is the only African state which, overcoming the ups and downs of an

eventful evolution, was able to maintain, since the time of the Arab conquest, its territorial integrity and its full independence. One fact remains as a reason of astonishment in the annals of all nations, which is that the Magrab has always managed "to seal its political unity, even to the point of anarchy" (L. Provençal).

However, there is no need to go back to the pre-islamic period in order to stress the oriental destiny of the Magrab.

Out of the Berber soul shaped by the new faith, emerged a feeling of spontaneous nostalgic quietude. Morocco, which at the time was identified with the Imazigh world, finds in the simplicity of Islam, with its flexibility and tolerance, the inexpressible ferments for the unity of which the tribal individualism hampered the implementation. A new current, at that time, restored the natural contacts between the two worlds. By receiving the first elements of the Eastern Civilization renewed by the Arab genius, the Magrab reaches the destinies which, since thirteen centuries, have never ceased to be its own. From then on, Morocco reinstalled in its true being an indelible constant aim, in all the impulses of its behaviour: that of aligning itself with the East.

Already a good thousand years ago, Fez, the living image of the great Islam capitals, represented "a miracle of adaptation to the Oriental state" (Gautier). By introducing in the life and in the art of the Mediterranean the last oriental elements, the Berber Almohades achieved "the syncretism of the Moslem civilization of the West".

As a matter of fact, nearly all the great Moroccan cities bore the mark and the sign of the East; it is not wrong that some geographers were to compare Fez to Damascus, Rabat to Alexandria and Marrakesh to Baghdad.

This constant tendency of Morocco towards the Eastern traditions became increasingly vigorous throughout the centuries, up to the Merinide era, when the Moslem civilization finally crystallized into strongly orientalized national institutions.

The irradiation of this orientalization process which started with the Berber dynasties themselves, had repercussions in all branches of activity. Saturated by the vitalizing effect of the oriental influence, the Magrab enabled the East to benefit from its syncretizing initiatives. The Magrebans have been, for over three centuries, the African continuators of the Arab mission in the Mediterranean, thus giving the proof of an essential aspect of their calling.

IPALMO

Istituto per le relazioni tra l'Italia e i Paesi d'Africa
America Latina e Medio Oriente

COLLOQUIO INTERNAZIONALE

"L'incontro tra cultura araba e cultura dell'Europa mediterranea
nell'epoca contemporanea"

(Firenze 14, 15, 16, dicembre 1972)

"The Magrab civilization, its African Mediterranean vocation
and its contribution to the civilization of the modern world"

ABDEL - AZIZ BENABDALLAH

(Le Maroc dans les premières années du XVI^e siècle, p. 43). Tout ce qui est en dehors d'indications précises et d'applications pratiques, « le laissa indifférent et sceptique ». La Description est « le seul traité méthodique et original qui fut publié au XVI^e siècle, en Europe, sur la géographie du Maroc, et qui sera, durant trois siècles, la source presque unique ».

Il ressort donc de ce bref exposé, que l'œuvre arabe, orientale et maghrébine, a joué un rôle décisif, dans l'élaboration de la science géographique et de la cartographie du Monde, au Moyen-Age.

Dans notre ouvrage en français intitulé « L'Art Maghrébin », nous avons longuement parlé des aspects essentiels les plus évocateurs de l'art, surtout sous les Mérinides, au XIV^e siècle, art syncrétisé alors en art hispano-mauresque strictement méditerranéen.

Malgré l'influence andalouse, cet art se rehaussait d'une teinte particulière ; au souci de la statique et de l'équilibre des forces qui anime l'architecte chrétien, se substitue, chez l'architecte musulman, outre la solidité de la charpente, le sens ornemental et le foisonnement décoratif. Les Arabes font l'admiration de l'Occident par leurs encorbellements, leurs stalactites, leurs coloris, l'allure parfois majestueuse de leurs formes, leur style incomparable. Dans l'art architectural, en pleine maturité, malgré l'abus dans les arabesques, l'excès dans le décor, le dérèglement dans les détails et la qualité médiocre des matériaux, « l'ensemble demeure clair, les proportions équilibrées, le décor parfaitement adapté aux espaces qu'il remplit ; par-dessus tout, l'effet de polychromie est d'une sûreté et d'un tact parfait » (2). L'art mérinide rayonna en Berbérie et en Orient, par son grand prestige et sa richesse inimitable. Ce fut une œuvre hispano-maghrébine où les mêmes empreintes marquaient les monuments dans les deux rives méditerranéennes. Cette harmonie artistique est due à la présence de l'architecte andalou dont l'influence se faisait, partout sentir (3).

Quoique devant tant à l'art oriental, l'art mérinide « exportait en Orient ses modèles et y faisait apprécier ses œuvres ». Mais, de par même sa maturité, cet art porte en soi ses germes de mort, les mobiles de sa décadence. Dès la fin du XIV^e siècle, il avait, pourtant, épuisé ses forces. Les troubles qui marquèrent le siècle suivant ne permirent plus la création de grandes œuvres.

Analysant les aspects de la civilisation maghrébine sous les Mérinides, H. Terrasse (3)

montre le caractère hispanique et citadin de cette civilisation où, dès la fin du XIII^e siècle, les formules classiques se fixent et finissent par s'ankyloser.

« Malgré le mécénat des meilleurs souverains saâdiens, ceux-ci n'ont pas présidé — pense H. Terrasse — à la renaissance de la Civilisation musulmane du Maroc. La Civilisation et l'art étaient déjà tournés vers le passé et les quelques influences étrangères qu'ils reçurent ne purent ni changer vraiment le fond ancien, ni porter le germe d'une fécondité nouvelle ». Ce serait donc, — d'après Terrasse — « un art sans sève, hanté par les modèles du passé ». Mais, grâce aux Turcs, « un contact indirect et passager fut rétabli avec les arts de l'Islam oriental ». Les traces de cette influence se voient dans le décor monumental où passent quelques thèmes égypto-syriens ou persans, surtout dans certains arts industriels, en particulier la reliure, les tapis et dans le costume masculin ».

Mais de toute façon, l'art maghrébin, épuisé par les dynasties précédentes, se chargea alors d'ornements, perdit de sa sobriété et gagna en splendeur.

H. Terrasse a essayé de présenter la synthèse de l'art hispano-mauresque, sous les Alaouites, quatre siècles après la chute de Grenade. D'après lui, les formules architecturales se figent.

Mais si, sous les Alaouites, cet art continue à s'enliser dans un traditionnalisme où les thèmes classiques se figent, d'un autre côté, un certain mouvement semble, depuis l'indépendance du Maroc, en 1956, s'orienter vers des options où l'empreinte arabe est profondément marquée par une teinte orientalo-méditerranéenne. **Une forte vitalité décèle chez nos artistes, un génie créateur, un réel talent de reproduction éclectique, une sorte de synthèse artistique, qui constituera le catalyseur le plus sûr pour l'éclosion d'un art nouveau où les données de tous les siècles s'harmoniseraient dans un alliage pragmatique avec la statique moderne.**

De cette restauration appropriée, naîtra cette originalité qui doit marquer l'art maghrébin moderne, pleinement méditerranéen.

Le bien-être qui doit se généraliser dans un cadre assez homogène, s'inspirera alors de l'esthétique, pour une vie meilleure. Le sens du beau et le besoin de confort, doivent présider à la rénovation de la société marocaine de demain.

(2) Histoire de l'Afrique du Nord, p. 456.

(3) Histoire du Maroc, T. 2, p. 76 et suivantes.

« L'arabe, dit-il encore, est un pur et désintéressé instrument linguistique de transmission internationale des découvertes de la pensée... La survie internationale de la langue arabe est un élément essentiel de la paix future entre les nations ».

L'arabe « présente l'avantage, dit Montagne, d'être le véhicule d'une civilisation universelle et de se prêter à l'expression d'une pensée religieuse ou politique » (Les Berbères et le Makhzen, R. Montagne, p. 52).

Quant à la contribution du Maghreb dans l'élaboration de la science, notre ouvrage sur l'histoire de la médecine et de la pharmacopée au Maroc, dépeint, dans une esquisse vivante, le processus de la recherche scientifique. Pour ne citer que les études dans le domaine de la géographie, on peut souligner que les explorateurs occidentaux des temps modernes ont trouvé à leur disposition une documentation précieuse, non seulement sur l'Asie, l'Afrique et l'Europe orientale et centrale, mais également sur l'Occident auquel Kazouini a consacré au XII^e siècle, tout un ouvrage. Mais, ce furent surtout les travaux arabes, sur les régions inconnues d'Afrique et de l'Océan Indien, qui inspirèrent le géographe occidental.

Idrissi, qui naquit à Ceuta, en 1100 après J.-C., appartenait à cette dynastie arabe qui avait islamisé le Maghreb et forgé, très tôt, son unité nationale. Ses audacieuses pérégrinations à travers l'Andalousie, l'Afrique du Nord, l'Asie mineure, et, probablement, la France, l'Italie, l'Allemagne et l'Angleterre, ne tardèrent pas à attirer sur lui l'attention de Roger II qui avait fait de son petit royaume de Sicile, un des îlots de la Civilisation orientale. Sur la demande du roi normand, Idrissi entreprit l'élaboration de sa célèbre « Nozhat » qu'il dut terminer avant 1154, date de la mort du souverain mécène. Ce chef-d'œuvre tient, d'après Amari, « le premier rang parmi les travaux géographiques du Moyen-Age » (Histoire des Musulmans de Sicile). Un abrégé latin en fut publié par Jaubert, à Paris en 1619, mais une traduction de l'ouvrage complet sera publiée, deux siècles plus tard (1836-1840) par les soins de la Société Géographique de Paris.

Idrissi construisit, sous forme de disques, parallèlement à cet ouvrage, une sphère céleste et une représentation du monde connu de son temps. La supériorité de précision d'Idrissi sur Ptolémée est évidente ; pour ne citer qu'un exemple, les tables dressées par le géographe grec, présentaient, pour la seule distance séparant Tanger d'Alexandrie, une erreur de 18° de

longitude, alors qu'entre Tanger et Tripoli de Syrie, les tables arabes contiennent une erreur inférieure à 1°. Le géographe marocain a relevé toute une série d'erreurs et de fausses interprétations commises par son prédécesseur, sur la géographie de la Méditerranée. C'est lui, et non pas directement Ptolémée, qui a été « le professeur de géographie de l'Europe », dira E.F. Gautier qui affirme encore que « pendant trois siècles, l'Europe n'aura de carte du Monde que celle d'Idrissi » (Mœurs et Coutumes des Musulmans, p. 239). Durant les temps modernes, l'explorateur maghrébin « jouissait comme géographe, d'après Dozy et Goeje, d'une grande réputation en Asie, en Afrique et en Espagne ». Reinaud qui avait jugé sévèrement le chef-d'œuvre d'Idrissi, dut cependant reconnaître : « Pris dans son ensemble, il est comme celui de Strabon, un véritable monument élevé à la géographie ».

L'œuvre d'Idrissi est originale : dans la cartographie marocaine, les contours des ports s'accusent pour la première fois, chez notre géographe, et « toute une nomenclature précise apparaît — dit Massignon — sur les bords rectilignes des fleuves et incurvés des chaînes de montagnes ».

Quant à Ibn Battouta, il naquit en 1304 après J.-C., dans la ville voisine : Tanger. A peine eut-il dépassé l'âge de 20 ans qu'il se lança dans une série de pérégrinations aventureuses, à travers les contrées les moins explorées. A Fès, sa dernière étape, le voyageur tangérois se fit rédiger (comme Marco Polo) le récit de son long périple qui a duré plus de 28 ans et totalisé 75.000 milles, par un secrétaire du Sultan mérinide, Ibn Jozey, affecté spécialement à ce travail. Cette célèbre relation fut publiée, vers le milieu du siècle dernier, par les soins de Defremery et Sanguinetti ; Gibb publiera en 1929, un abrégé en anglais, dans sa collection Broadway Travellers auquel il joignit une remarquable étude sur l'auteur.

Hassan Ibn Mohamed Al Ouazzan, dit Léon l'Africain, est né à Grenade probablement, vers 1495, mais fut élevé à Fès où il passa la fleur de sa jeunesse. A l'âge de 21 ans, il entreprit un voyage vers l'Est, mais fut fait prisonnier à Naples, en 1519, par des corsaires siciliens. C'est Ramision qui, dès 1550, publia la « Description dell Africa » que Léon semble avoir rédigée, directement, en langue italienne et qui se divise en IX livres dont le premier est occupé par des considérations de géographie générale, ethnologique, climatique. Ce traité constituait, d'après Massignon, un véritable « manuel pratique de la géographie de l'Afrique du Nord »

fait déjà anodin en soi, se justifiait alors par les entreprises ibériques contre le Maghreb ; le moins qu'on puisse attendre des Marocains, en l'occurrence, était de demeurer passifs — fait qu'on a considéré plus tard comme un encouragement tacite à l'égard des Moriscos, dans leur réaction légitime contre la marine chrétienne. On pourrait rétorquer que, si, à la rigueur, la course contre les escadres ibériques se justifiait, relativement du moins, pour des raisons particulières, elle serait inadmissible, à l'encontre de tous les chrétiens, en tant que tels. Mais pour mieux juger de la question, il faut se rappeler l'état d'esprit général qui régnait à l'époque, surtout dans le camp chrétien. Cette mentalité a été éloquentement décrite par le Père Dan qui affirmait qu' « on ne doit point imputer à blâme, les courses faites par les chrétiens contre les ennemis de la foi ». La piraterie chrétienne prenait donc l'aspect d'une véritable croisade contre l'Islam. Cependant les Maghrébins n'avaient pu participer, effectivement, à cette lutte de représailles, préoccupés qu'ils étaient, dans leur action directe, contre les enclaves créées par les Portugais et les Espagnols sur le littoral de l'Empire.

La piraterie s'inscrivait alors, comme phase essentielle, dans les manœuvres de guerre maritime de l'époque ; les corsaires tenaient en haleine les conquérants espagnols qui occupaient une bonne partie du littoral de la Berbérie.

Toujours est-il que les méfaits de ces pirates, relativement légitimés jadis par un jeu de représailles assez complexe, devenaient, avec le temps, une source d'ennuis pour le Maroc. Nos souverains n'y pouvaient rien, car la faute incombait à l'Europe qui, bravant l'autorité marocaine, reconnut aux corsaires dits marocains « pendant deux siècles, une existence légale et quasi officielle » (De Castries).

Les Africains, en général, n'avaient pas une vocation pour la piraterie. On est autorisé « à avancer — dit De Castries — que les pirates de Tripoli, de Tunis, d'Alger et de Salé, pour ne citer que leurs principales villes, ne se recrutaient généralement pas parmi les indigènes du Maghreb, et nous ajoutons : pas davantage parmi les Turcs, car ceux auxquels on donne ce nom étaient, pour la plupart, des renégats ou des descendants de renégats ». Le nombre des chrétiens ayant renié leur foi et fixés soit en Turquie, soit au Maghreb, « dépasse toutes les suppositions ».

Ce sont les « incorrections diplomatiques » — comme De Castries se plaît à les appeler —

qui prolongèrent à l'encontre des autorités de Fès l'existence mouvementée de ces renégats hors-la-loi dont l'impunité sciemment recherchée, par certains gouvernements d'outre-mer, était destinée à provoquer et à justifier l'intervention étrangère.

L'influence de l'arabe devenait au Moyen-Age d'autant plus marquée qu'une bonne partie de l'Europe méridionale le considérait « comme le seul véhicule des sciences et des lettres ». Ses progrès furent tels que les autorités ecclésiastiques avaient dû faire traduire en arabe la collection des canons à l'usage des églises d'Espagne. Jean Séville se vit dans l'obligation de rédiger en arabe une exposition des Saintes Ecritures. En même temps, des livres de religion et de droit musulman étaient traduits en langue romaine ». (G. Rivoire). En Andalousie, tous les contrats étaient rédigés en arabe ; on en a découvert près de deux mille textes. « Les esthètes andalous avaient, les premiers, déclaré abandonner volontiers toutes les pauvretés de la littérature latine, pour quelques vers arabes » (Max Vintejoux). De même en Sicile, où le roi normand était vêtu à l'orientale, son manteau d'apparat était brodé de lettres arabes ; le sceau et les monnaies portaient des inscriptions bilingues. Bref, « l'arabe était devenu — affirme celui qui a eu le mérite d'approfondir, ce « Miracle Arabe » — une langue internationale du commerce et de la science ».

Déjà en 1207 après J.-C., on signalait à Gênes, un Institut pour l'enseignement de l'arabe. Plus tard, le Concile œcuménique de Vienne organisa cet enseignement en Europe, par la création de chaires dans chacune des principales universités d'Occident. Mais ce sera surtout au XVII^e siècle que l'Europe du Nord et de l'Est s'engagera résolument dans l'étude et la propagation de la langue arabe ; ce n'est qu'en 1636 que le gouvernement suédois décréta l'enseignement de l'arabe ; on s'élança, dès lors, en Suède, dans l'édition des ouvrages de l'Islam. L'étude des langues orientales, dont l'arabe, fit son apparition en Russie, sous Pierre le Grand qui de Moscou, dépêcha en Orient cinq étudiants russes. En 1769, la reine Catherine en rendit l'enseignement obligatoire ; en 1816, une section des langues sémitiques s'érigea dans l'Université de Pétrograde.

Le professeur Massignon a déclaré à l'intention de ceux qui s'ingénient à minimiser la portée du véhicule de la pensée arabe, que « c'est en arabe et à travers l'arabe, dans la civilisation occidentale, que la méthode scientifique a démarré ».

core vierge, elle défendit seule par le sabre, le palais royal de Marrakech, pendant une demi-journée et tomba finalement sous les coups des Almohades qui prirent d'assaut la capitale en l'an 545 de l'hégire (11^e siècle).

Sous les Almohades, Oum Hani, fille du cadi Ibn Atia donnait des cours, rédigea des ouvrages dans les diverses branches des sciences religieuses. C'est la mère d'Abou Jafar, médecin d'Al Mansour. Zaïneb, fille de Youssef l'Almohade, donna l'exemple en assistant aux conférences, organisées par Mohamed Ibn Brahim sur les sources de la Loi. Hafsa Errakounia, une des célèbres poétesses à l'époque, fut la préceptrice du Harem d'Al Mansour ; Oum Amr, fille d'Avenzoer en était le médecin ainsi que sa fille Bint Abi Al Alâ. Il y eut d'autres figures non moins brillantes, telles Warqâ, la poétesse de Fès, Amat Al Aziz, poétesse de Ceuta, Oum Al Alâ, originaire de Fès qui dirigea une école à Grenade, la fameuse traditionaliste Mariem, fille d'Al Ghâfiqi qui présidait des conférences à Ceuta, et Khaïrouna la « savante » de Fès.

Sous les Mérinides trois femmes juristes brillaient : Fatima et sa sœur, filles de Mohamed El Abdousi ainsi qu'Oum El Banine, grand-mère de Zarrouk. Sârra El Halabia de Fès est une poétesse d'une grande culture littéraire.

Sous les Wattasides, Lalla Aïcha, dite Al Horra reçut, dès l'enfance, une éducation très soignée et dut parler couramment le castellan ; elle épousa l'allié de son père contre les Portugais, Ali Al Mandri, le restaurateur de Tétouan, où elle trouva le milieu andalou lettré et raffiné auquel elle est habituée. Elle s'initia aux intrigues de la politique, gouverna la ville en y exerçant une autorité souveraine ; la lutte contre l'envahisseur fut son principal souci ; à cet effet, elle avait de nombreux vaisseaux toujours occupés à pirater sur les côtes espagnoles. Ses démêlés avec Don Alfonso, gouverneur de Ceuta, sont restés célèbres (Hespéris XLIII, p. 222).

Même activité débordante de la femme saadienne tant dans le domaine intellectuel que dans les domaines social et politique.

Sous les Alaouites, le mouvement féministe fut inauguré par Khnatha, épouse de Moulay Smaïl, devenue « savante » (p. 105) ; conseillère très écoutée de son époux et plus tard de son fils, le prince Moulay Abdallah, elle promulgait elle-même des dahirs et des règlements administratifs.

Citant une femme de Fès, El Aliya, fille de Taïb ben Kirane, qui donnait des cours de logique à la mosquée andalouse, Moulïeras dit :

« Une femme arabe professeur de logique ! Qu'en pensent nos géographes et nos sociologues qui ont répété sur les tons les plus lugubres que le Maroc est plongé dans les ténèbres d'une barbarie sans nom, dans l'océan d'une ignorance incurable ? Une intelligente Marocaine plane dans les régions élevées de la science ». (Le Maroc Inconnu, t. 2, p. 742).

Malheureusement, le mouvement réactionnaire social reprenait le dessus au fur et à mesure que l'empire musulman se désintégraît politiquement. Il est curieux de constater que cette nouvelle ankylose coïncidait avec la naissance du colonialisme occidental. Sans aller jusqu'à imputer à l'impérialisme la responsabilité de cet état de chose, nous sommes, du moins, en mesure d'affirmer que les intrigues sournoises, sinon les actes d'hostilité déclarés de l'Europe, ont fini par provoquer un chaos politique qui allait bientôt exaspérer la régression sociale dont la femme fut l'une des victimes. Avec l'émancipation politique du Monde arabe, l'émancipation de la femme s'accéléra dans un vaste mouvement de résurrection sociale. Un féminisme viril s'instaure en réminiscence d'un passé glorieux dont l'évolution a été faussée par les interprétations aberrantes de l'esprit de l'Islam. La femme musulmane saura profiter des bienfaits du modernisme occidental, en harmonie avec les impératifs de sa propre civilisation.

« Quant à la mission de la flotte maghrébine en Méditerranée, les escadres des Almohades avaient la maîtrise des mers — parce que leur flotte était la première de la Méditerranée, d'après André Julien — ; le danger des corsaires européens n'était que relatif. Les Sultans almohades entretenaient même une milice, spécialement affectée à réprimer les courses des Chrétiens et des Arabes à la fois. Mais plus tard, la supériorité de la marine occidentale donna « un certain avantage aux navigateurs et aux corsaires chrétiens, dont les rôles et les actes se confondaient trop souvent ».

La politique étrangère d'Abdel-Moumen imposait comme impératif, l'obligation de châtier, partout, les corsaires qui s'attaquaient aux marines chrétiennes. Les Almohades qui étaient bien pénétrés des exigences du trafic international (dont les musulmans avaient inculqué aux chrétiens certains de ses principes, d'après le témoignage de M. André Julien), se faisaient un strict devoir d'assurer, partout et toujours, la liberté et la sécurité des mers, dans l'intérêt même de leur commerce extérieur.

Les habitants de la côte marocaine abritaient les misérables pirates andalous, mais le

Ainsi l'influence de la civilisation maghrébine dépassa l'Andalousie et les pays nord-africains, pour atteindre le secteur oriental de la zone méditerranéenne jusqu'à Damas, en passant par le Caire. Le Maghreb a été donc le point de contact entre deux Mondes. « Ce fut par lui, dit André Julien, que la théorie de la musique, des intervalles et des modes pénétra d'Orient où elle s'était formée, en Espagne où elle demeure à peu près intacte ». Un Fassi, Mohamed Ben Abdelkrim, sut provoquer au 18^e siècle, une heureuse révolution dans l'art sculptural égyptien dont les chefs-d'œuvre sont encore conservés au Musée du Caire. L'architecture maghrébine constituait, elle aussi, d'après Gsell, « un chef-d'œuvre de discipline harmonieuse ».

La femme arabe sut profiter de l'esprit libéral du législateur musulman. Dès les premières décades de l'ère hégirienne, elle put s'imposer par sa large et efficace participation, à côté de l'homme, dans la vie culturelle et sociale de la communauté musulmane. Aïcha, fille du 1^{er} Kalife et épouse du Prophète, dut être élevée selon les nouveaux principes et réaliser l'idéal de la femme : à moins de 20 ans, sa profonde érudition fit d'elle une des plus brillantes figures de l'époque : les grands compagnons du Prophète venaient la consulter sur les questions juridiques, historiques, littéraires et même médicales. Désormais le champ d'action culturel de la femme s'élargit de plus en plus.

« La situation légale de la femme mariée, dit Le Bon, telle qu'elle est réglée par le Coran et ses commentateurs, est bien plus avantageuse que celle de la femme européenne » (G. Le Bon, p. 436).

C'est aux Arabes... « que les habitants de l'Europe empruntèrent, avec les lois de la chevalerie, le respect galant des femmes qui imposaient ces lois » (G. Le Bon, p. 428). « L'Islamisme a relevé la condition de la femme et nous pouvons ajouter que c'est la première religion qui l'ait relevée... Tous les législateurs antiques ont montré la même dureté pour les femmes » (Ibid, p. 430).

« L'esprit chevaleresque des Arabes, leur respect pour la femme sont très connus. Le Wali de Cordoue ayant, en 1139 — dit Gustave Le Bon — assiégé Tolède, appartenant alors aux chrétiens, la reine Bérengère, qui y était enfermée, lui envoya un héraut pour lui représenter qu'il n'était pas digne d'un chevalier brave, galant et généreux, d'attaquer une femme. Le général arabe se retira aussitôt, demandant pour toute faveur l'honneur de saluer la reine » (Civilisation des Arabes, p. 286).

La doctrine de Mohamed ne tarda pas à sombrer dans une grave stagnation sous l'effet des interprétations fallacieuses de quelques esprits dogmatiques, ridiculement formalistes. L'Islam s'enlisait peu à peu dans une ankylose dangereuse. Des esprits éclairés n'avaient pas hésité, alors à réagir vigoureusement dès le XV^e siècle ; un mouvement féministe s'esquissait dans le Monde musulman, réagissant contre le parti puritaniste rétrograde dont l'action tendait à une claustration de plus en plus vigoureuse de la femme arabe. Des appels à la réforme, émanant de tous les coins de l'empire, préchaient le retour au libéralisme social instauré par l'Islam dont les vrais principes commençaient alors à s'estomper. Cet énergique élan féministe porta ses fruits.

Grenade semble avoir été la cité littéraire féminine par excellence, L'épanouissement du génie féminin, dans les arts et les lettres, était dû aux larges libertés sociales dont jouissaient les Grenadines, d'après Prescott (Ferdinand et Isabelle, p. 192).

Quant à la femme marocaine, elle a, de son côté, joué un rôle des plus importants dans la vie sociale, littéraire, économique, militaire et politique du Maroc, à l'instar de sa sœur orientale et andalouse.

Parlant de la femme marocaine, Moulieras dit en 1895 : « La Musulmane est encore la reine de son foyer comme au temps des Abbassides et des Arabes antéislamiques » (Le Maroc Inconnu, p. 736).

La princesse Hosnâ, fut la conseillère politique de son époux, Moulay Idriss, roi du Maroc. On cite les noms d'autres conseillères des princes idrissides. De même Zaineb, épouse du premier Almoravide, Youssef Ben Tachfine, célèbre par sa beauté et la profondeur de ses vues politiques et administratives, ainsi que Tamime, fille de Tachfine et Kamar, épouse du prince Ali Ben Youssef qui ont été à la base du libéralisme féminin qui sera une des justifications de la campagne puritaniste menée par le premier Almohade contre le régime almoravide. Un des aspects de cette émancipation précoce de la femme citadine fut la condamnation du voile, réminiscence des mœurs sahariennes de la dynastie régnante. A la même époque, Hawwa El Massoufia donnait des conférences littéraires et sa sœur Zaïneb récitait par cœur des recueils de poésie. D'autres femmes s'ingéniaient à mettre timidement en branle un féminisme inspiré par l'apport générateur de la femme andalouse. Vanouh, fille de Bountian est une des figures les plus brillantes de l'époque almoravide. En-

Dans le domaine culturel, les efforts conjugués de la Nation et de l'Etat tendaient, depuis les Idrissides, à multiplier, partout, des écoles qui dispensaient un enseignement élémentaire. Pour les cycles secondaire et supérieur, les mosquées servaient de classes et de salles de conférence. Les oratoires qui se comptaient par centaines dans les grands centres (785, à Fès, 3.000, d'après Dozy, à Cordoue) étaient autant d'institutions universitaires, qui se prêtaient à merveille, à l'enseignement traditionnel. Des cours étaient alors donnés à toute heure de la journée par des professeurs bénévoles, la mission didactique étant considérée comme une obligation religieuse dont chaque docteur de la loi devait personnellement s'acquitter. L'étudiant n'avait alors que l'embarras du choix. La Karaouyne ne constituait qu'une mosquée-école parmi les centaines éparpillées, jusque dans les centres isolés du bled. La Karaouyne était « la première école du monde » (Delphin, Fès, Son Université - 1889).

Ces mosquées étaient dotées, pour la plupart d'une bibliothèque plus ou moins importante. On vient de découvrir, depuis une décade, dans un oratoire de Fès (sous le caveau des tombes), un grand meuble à rayonnage très bien conservé, sous un linteau sculpté, où se trouvaient deux caisses de livres et de liasses de documents anciens.

« La bibliothèque de l'Emir Abou Yacoub l'Almohade s'enrichissait des dépouilles de l'âge précédent, au point d'égalier, dit-on, celle du Sultan oméiade Hakem II » (Millet, Les Almohades, p. 101).

Avec le temps, l'afflux des étudiants dans les grandes villes souleva un problème nouveau : celui du logement.

C'est alors que les Mérinides s'attelèrent activement à la tâche, dès le XIV^e siècle, pour créer des pavillons universitaires destinés à accueillir les étudiants qui affluaient des tribus voisines et même de l'extérieur.

Le bled ne manquait pas de centres scolaires propres. Au Sud même, 200 médersas florissaient.

Parlant des gens du bled, Moïse Nahon précise dans ses « Propos d'un vieux marocain » : « Beaucoup d'entre eux lisent et écrivent, tous honorent les lettrés. Ils manient leur langue avec une correction, une abondance, inconnues ailleurs chez les paysans ; ils sont doués d'un véritable génie grammatical. Ils saisissent au vol les subtilités juridiques et l'abstraction ne

les rebute pas... Ils sont — dans leur milieu — mieux armés pour la vie réelle que, chez nous, bien des porteurs de parchemins » (p. 11).

« Il est réconfortant, précise-t-il ailleurs, de voir des paysans si frustes, distinguer une supériorité strictement morale, s'incliner devant un honnête homme, sans jamais s'arrêter à la couleur de la peau ni à l'humilité des origines. J'avoue qu'à cette occasion, je ne puis m'empêcher de songer aux lynchages de jaunes et de noirs, outre-Atlantique » (p. 47).

Il y eut, sous le 1^{er} Almohade, une sorte « d'école d'administration marocaine », dont l'effectif qui atteignait déjà 3.000 étudiants, fournissait à l'Etat ses cadres supérieurs. Parallèlement aux sciences traditionnelles, on y donnait des cours d'équitation, de tir, de natation et de rame.

Fès demeura longtemps le centre intellectuel le plus actif du Maghreb. C'est elle qui hérita du rayonnement de Kairouan et des grandes cités andalouses. Sa fameuse université, une des plus vieilles du Monde, en fit une capitale de l'esprit où venaient se rallier les étudiants nord-africains, soudanais, libyens et même européens. Nous ne citerons que le cas du futur Pape Sylvestre II, qui après avoir appris — dit-on — à la Karaouyne les chiffres arabes, les introduisit, pour la première fois en Europe. Les Ulémas formés à l'Université de Fès jouissaient d'une grande réputation dans le Monde musulman. Dans le Maroc mérinide, les doctes de la loi ne se comptaient pas. Abou Hassan se fit accompagner, dans son expédition en Ifriqya, par 400 Ulémas dont l'immense érudition éblouit Ibn Khaldoun et l'attira vers Fès.

D'ailleurs le Maghreb a toujours été une pépinière de juristes. Plaine le signalait déjà pour les temps antiques. L'Académie hébraïque de Fès a joué un rôle considérable dans la cristallisation de la loi talmudique.

Partout dans le Monde islamique, les hommes de lettres et les juristes maghrébins ont laissé des traces : le Berbère Ibn Kazzaz, expert en philologie arabe, eut le dessus sur de célèbres philologues orientaux comme le Bagdadien Saïd. Roudani de Marrakech vit ses ouvrages de physique et de Droit parvenir jusqu'aux Indes, après avoir forcé l'admiration du Moyen-Orient, par l'ampleur de leur documentation ; El Harrali éblouit les milieux intellectuels de Tunisie par son érudition encyclopédique ; El Maqqari tenait en haleine les milliers d'auditeurs qui se pressèrent autour de sa chaire, dans la mosquée de Damas.

généralement la règle chez nos charretiers et cochers européens. Une société protectrice des animaux serait tout à fait inutile chez eux. L'Orient est le véritable paradis des bêtes » (Ibid, p. 376).

Les dynasties marocaines ne se contentaient pas de fonder ou de patronner des œuvres d'assistance au Maghreb ; leur action sociale se faisait sentir dans d'autres pays où elles n'ont cessé de multiplier les habous pour subvenir aux besoins des nécessiteux.

Parallèlement à ce système de sécurité sociale, l'Etat s'efforçait d'assurer au citoyen des garanties juridictionnelles, par le choix rigoureux de juges intègres et le ferme contrôle exercé sur la magistrature. Le Sultan Moulay Ismaïl ordonna une révocation massive de tous les cadis de la campagne, jugés inaptes.

Parlant de l'Almohade Yacoub El Mansour, Millet affirme que ce souverain « adresse une circulaire aux cadis pour rappeler les règles qui doivent présider à l'observation de la justice et il annonce l'intention de faire rendre gorge aux caïds prévaricateurs » (Les Almohades, p. 112). La loi musulmane est idéale :

Les Musulmans sont convaincus de la portée universelle du Droit musulman, adaptable à toutes les conjonctures et à toutes les époques, comme en fait foi le vœu adopté à l'unanimité au cours de la séance finale du 7 juillet 1951, lors du Congrès International de Droit comparé : « ...Il est résulté clairement que les principes du Droit musulman ont une valeur indiscutable et que la variété des écoles à l'intérieur de ce grand système juridique implique une richesse de notions juridiques et de techniques remarquables, qui permet à ce Droit de répondre à tous les besoins d'adaptation exigés par la vie moderne ».

L'œuvre entreprise dans le vieux Maghreb en vue de protéger l'hygiène et la santé publique, loin d'être idéale, n'était cependant pas négligeable pour l'époque. Un maristân (hôpital) était fondé pour la première fois à Marrakech, sous les Almohades.

Parlant de cet hôpital, Abdelwahid El Marakchi dit que Youssef « commença par choisir un vaste emplacement dans la partie plane de la ville... Il y fit planter toutes sortes d'arbres d'agrément et d'arbres fruitiers. L'eau y fut amenée en abondance et autour de toutes les chambres, sans préjudice de quatre bassins situés au centre de l'établissement et dont le principal était en marbre... Une rente quotidienne de trente dinars fut assignée pour la

nourriture proprement dite, indépendamment des remèdes, drogues, onguents et collyres. Provision de vêtements de jour et de nuit, d'été et d'hiver pour les malades. Après sa guérison, le pauvre recevait en sortant une somme d'argent pour vivre jusqu'au moment où il pourrait se suffire... Tout étranger tombé malade à Marrakech y était porté et soigné jusqu'à son rétablissement. Tous les vendredis, le prince, après la prière, s'y rendait à cheval pour visiter les malades et prendre des nouvelles de chacun... » (Les Almohades, p. 130).

Cet hôpital « non seulement, dit Millet, en 1925, laissait bien loin derrière lui les maladeries et les Hôtels-Dieu de notre Europe chrétienne, mais ferait encore honte aujourd'hui aux tristes hôpitaux de la ville de Paris » (Ibid, pp. 129-130).

A Fès, un hôpital traitait les neurasthéniques en essayant d'agir sur les nerfs du patient par la musique andalouse.

Depuis le 11^e siècle, le Maghreb a connu toute une lignée de médecins dont quelques-uns avaient une réputation universelle. Ibn Tofeil et Ibn Rochd, devaient jouer, successivement le rôle de médecins officiels, de la Cour Almohade, Averroès fut, le premier, bien avant William Harvey, à analyser, dans ses « Kolliat », le mécanisme de la circulation du sang chez l'homme. La famille des Beni Zohr comptait plusieurs praticiens, tant parmi les femmes que parmi les hommes.

Il est vrai que la médecine était encore à son stade empirique. « Il faut cependant noter — remarque J. Bensimhon (Maroc Médical, septembre 1951) — qu'en de nombreux cas, cette médecine élémentaire et tout empirique, appliquait des traitements dont l'efficacité est, depuis, incontestablement reconnue ».

Les médecins du Maghreb ont, de tout temps, essayé d'enregistrer les résultats de leurs propres expériences, dans des ouvrages demeurés célèbres. Quelques spécimens sont toujours conservés dans les bibliothèques privées au Maroc et ailleurs.

Mais dans les siècles derniers, l'art médical dégénéra à tel point que les maristâns ne devaient plus jouer que le rôle de simples asiles où les patients étaient abandonnés à leur triste sort. Les sciences occultes et le cabalisme ont généralement fini par fausser les lois de la médecine, qui revient, de plusieurs siècles, en arrière. Rares devenaient les médecins animés d'un esprit réellement scientifique.

C'est, surtout, par une illustration vivante que nous croyons devoir procéder, car c'est là une méthode où nous aurons le plus de chance de rester objectif, en donnant à l'auditeur l'occasion d'apprécier et de juger, du mode et du niveau de vie dans le Vieux Maghreb, du mécanisme d'assurance sociale, des moyens de sécurité dont le citoyen marocain jouissait à l'encontre des éléments subversifs et malsains qui soulevaient généralement les bas-fonds de la société médiévale. Cette société souffrait de mille maux, que venaient aggraver ces fléaux classiques : la faim, la maladie, l'ignorance et l'arbitraire. Le Maroc constituait parfois un des rares îlots jouissant dans le Monde civilisé d'une relative salubrité et d'un équilibre social plus ou moins stable. L'Etat avait rarement à intervenir : les rouages de la société se coordonnaient curieusement sous l'effet de facteurs spirituels, dont les reflets devenus ternes marquent encore la vie sociale marocaine.

La description qu'Idrissi a faite du Maghreb du 7^e siècle donne une impression de prospérité générale. Les géographes de l'époque médiévale n'ont pas manqué de vanter ce pays riche où les gens vivaient dans la paix et la dignité. H. Terrasse ne put s'empêcher de le reconnaître.

C'étaient surtout des institutions autonomes, fonctionnant sous forme de fondations habous, qui se chargeaient effectivement de l'assistance des éléments non favorisés de la nation. Toute une gamme de nécessiteux en bénéficiaient, allant des pauvres veuves et orphelins jusqu'aux aveugles et malades. L'initiative privée s'ingéniait à emprunter toutes les modalités possibles pour subvenir, de façon efficace et permanente, aux besoins variés des diverses couches sociales.

La distribution de soupes populaires quotidiennes, de vivres hebdomadaires, de dotations spéciales mensuelles dans les occasions exceptionnelles, tels étaient les modes ordinaires d'assistance.

Des centres d'accueil, éparpillés à travers le pays, donnaient l'hospitalité aux vagabonds et aux voyageurs de passage ; depuis le temps des Mérinides, les Sultans n'ont cessé de multiplier les asiles et les auberges publiques, jusqu'aux coins les plus reculés de la campagne. Grâce aussi à l'hospitalité privée, dont les Marocains se faisaient et se font toujours un point d'honneur jamais personne, même les étrangers, ne pouvait se sentir une gêne quelconque.

« Les chapelles et mosquées (du Rif), dit Moulieras en 1895, servent d'hôtelleries aux

étrangers et aux étudiants qui y reçoivent une hospitalité aussi gratuite qu'agréable (Moulieras, T. I, p. 56). L'hospitalité, donnée dans chaque mosquée, est considérée comme un devoir sacré par tous les habitants du Maroc » (p. 62).

« Il faut voir avec quel empressement, avec quelle loyauté scrupuleuse, le capitaliste marocain s'acquitte de l'aumône légale, c'est-à-dire de la dîme de ses revenus qu'il distribue lui-même aux pauvres, sans l'intervention de l'Etat, sa conscience et son Dieu étant seuls juges. Avec cette libéralité continuelle, avec cette charité obligatoire envers tous les misérables, avec cette hospitalité accordée à tous étrangers, les bureaux de bienfaisance, les maisons de santé de notre Monde moderne n'ont plus de raison d'être que la lutte implacable des classes qui menace gravement notre vieille Europe » (Moulieras, T. II, p. 195).

L'Etat assumait, outre son rôle d'agent exécutif et régulateur, une part considérable dans l'assistance, en dotant les pauvres de pensions régulières, les étudiants et les professeurs de bourses souvent périodiques, parfois annuelles. Mais l'intervention de l'Etat se concrétisait surtout en subventions collectives à l'occasion des sécheresses, des disettes et des épidémies ou dans d'autres circonstances exceptionnelles.

Ce sentiment de solidarité chez le Maghrébin, renforcé par l'absence de castes sociales caractérisées, se double d'un sens humanitaire rare.

Les esclaves marocains ne tiennent nullement à une liberté dont ils ne sauraient que faire. Bien logés, bien nourris, bien traités chez leurs maîtres, ils finissent par se considérer comme faisant partie de la famille qu'ils servent. Leur affranchissement devient aussitôt pour eux source d'ennuis, de dangers réels (Moulieras, T. II, p. 63-64).

Les œuvres de bienfaisance se souciaient même des animaux et des oiseaux ; on s'ingéniait à constituer des fonds appréciables pour leur entretien. Les animaux infirmes faisaient l'objet d'un soin particulier. Il existe toujours, parmi les biens habous à Marrakech, un magasin dont les loyers étaient régulièrement affectés à ce genre de charité. On se rappelle encore, à Fès, la fameuse colline dite « Kodiat El Baratil » où des essaims compacts d'oiseaux de toutes sortes avaient pris l'habitude de venir s'approvisionner en grains, éparpillés à cet effet au temps de sécheresse.

« ...Jamais on ne voit un Arabe, dit Gustave le Bon, maltraiter un animal, ainsi que cela est

fonds du Vieil Orient » (Mœurs et coutumes des Musulmans, pp. 207-214).

Si le Musulman a prêché l'islam, il s'est toujours abstenu de faire pression sur le cœur des infidèles. Quand le Monde de l'islam était à l'apogée de sa puissance et de son épanouissement, des communautés chrétiennes et juives menaient, dans son sein, une vie heureuse et paisible.

Les conquêtes de l'islam ne tendaient ni à exploiter les terres conquises ni à implanter l'élément arabe, par une immigration massive. Pour toute l'Afrique du Nord, le chiffre des Arabes n'a guère dépassé 110.000 jusqu'au IX^e siècle, la plupart résidant en Tunisie.

Les doctes de la loi musulmane ont toujours été réfractaires à l'idée de l'« islam, religion unique d'Etat ». Quand, au Moyen-Age, le Sultan ottoman Selim voulut en appliquer le principe dans l'Empire musulman, le « Cheikh El Islam » de l'époque s'y opposa catégoriquement, invoquant le respect reconnu par l'islam à la liberté de conscience.

Au Maghreb, les Juifs ont vécu côte à côte avec les Musulmans depuis le VII^e siècle. Ils étaient admis, très tôt, dans les murailles de Fès, ville sainte pourtant. Déjà, vers l'an mil, la colonie juive de la capitale idrisside comptait 5.000 âmes qui célébraient librement leur culte, dans des synagogues élevées en pleine médina. D'autre part, un des quartiers de Fès, dit « quartier de l'Eglise », semble avoir groupé, dès cette époque, les éléments Chrétiens de la ville.

En 1492, alors que les persécuteurs castillans s'acharnaient en Andalousie contre les Juifs et les Musulmans, le prédicateur Al Maghilli, un des cadis de l'Empire fut exilé de Fès, pour avoir entrepris une campagne antisémite.

Avant la vague de xénophobie provoquée par les invasions chrétiennes sur les côtes du Maroc, invasions dont un bon nombre revêtait le caractère de véritables croisades, la plupart des auteurs maghrébins parlaient respectueusement des « gens du Livre ». En citant Idrissi, célèbre géographe marocain, Quatremère note que « dans tout le cours de son ouvrage, il montre à l'égard du Christianisme et des Chrétiens, la plus rare impartialité, et cela à une époque où les conquêtes des Croisés dans la Palestine et celles des Castillans dans l'Espagne, avaient exaspéré les Musulmans au plus haut degré ».

Les Juifs expulsés d'Andalousie par les rois chrétiens furent l'objet d'une bienveillante hospitalité, partout dans le Maghreb, jusqu'à Deb-

dou qui accueillit, à bras ouverts, bon nombre d'entre eux.

La majeure partie des Juifs du Maroc descend des Juifs exilés d'Europe au Moyen-Age : Angleterre (en 1290), France (en 1385), Espagne (en 1492). Godard - Histoire du Maroc, p. 15 (se réf. aussi à l'Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc par Raynaud) qui ajoute l'Italie (1242), les Pays-Bas (1350) et le Portugal (1476), p. 6).

Moulay Ismaïl, que d'aucuns présentaient comme un homme brutal et avide de sang, est qualifié par des chroniqueurs chrétiens, comme « le plus grand protecteur des Franciscains, car il leur donna des privilèges qu'aucune nation chrétienne n'aurait osé demander pour eux ». Le Sultan alaouite promulga deux dahirs (en date du 20 décembre 1711 et juillet 1714) dans lesquels la peine de mort était formellement décrétée contre tous ceux qui « s'aviseraient de molester les Chrétiens ou de les insulter ».

Les Juifs étaient les sujets du Sultan et, comme tels, furent soumis au régime général ; cependant, le 5 février 1884, le Sultan Sidi Mohamed ben Abderrahmane promulga un dahir qui consacra officiellement l'assimilation des Israélites aux Musulmans, mis les uns et les autres sur un pied d'égalité absolue.

Ainsi, pendant tout un millénaire, Chrétiens et Juifs ont pu mener, côte à côte avec les Musulmans, une vie paisible et tranquille, que de rares remous venaient parfois altérer superficiellement. Mais ces crises périodiques s'inscrivaient dans le cadre général de la vie sociale, et n'étaient nullement empreintes d'une rancune raciale ou confessionnelle.

ASPECT SOCIAL DE NOTRE CIVILISATION

Les anciens annalistes et chroniqueurs marocains se sont rarement intéressés à la branche culturelle de l'histoire maghrébine, encore moins à la partie purement sociale. Seuls les aspects politiques ou économiques devaient retenir leur attention. L'histoire se trouve ainsi fatalement circonscrite, chez eux, dans une histoire-bataille, incrustée parfois de digressions d'ordre littéraire ou social. Il ne nous est donc pas aisé, faute de documents précis et de renseignements solides, d'esquisser un tableau général et net sur les grands traits qui devaient marquer les domaines social et culturel de la civilisation du Maghreb. Nous tenterons, néanmoins, une synthèse plus ou moins complète, à partir des quelques éléments qui se trouvent éparpillés dans la masse touffue compilée par nos auteurs.

de leurs suzerains, purent abandonner leurs fiefs et venir en Afrique servir les rois musulmans » (Latrie). Des milices européennes, comprenant des chevaliers et de hauts seigneurs, étaient à la solde des Almohades et des Mérinides. L'Eglise elle-même, ainsi que les gouvernements chrétiens, en ont permis le recrutement en Europe même. Après les Croisades, l'Europe, en même temps qu'elle traite avec les Sultans d'Egypte et de Syrie, inaugure avec les émirs du Maghreb, une nouvelle ère de relations pacifiques et de rapports commerciaux.

A partir du XII^e siècle, nombreux devenaient les bâtiments européens qui se rendaient aux ports marocains et en partaient librement. Des chroniqueurs occidentaux constataient déjà, à cette époque, que l'on était bien loin du temps où les navires chrétiens croyaient faire un acte périlleux, en risquant un voyage sur les côtes d'Afrique. Même en cas d'agression commise par les navires européens, les défenseurs marocains ne se montraient nullement haineux dans la riposte : ils se contentaient de redresser équitablement les torts.

La protection pour les personnes et les biens des marchands, quelle que fut leur nationalité, était, aux yeux des Maghrébins, si naturelle et si nécessaire au commerce, qu'on l'accordait à tous les étrangers, « alors même que les traités autorisaient le gouvernement arabe à le dénier ».

Ce sont là quelques exemples épars, illustrant le système juridique qui régit, pendant près d'un millénaire, les rapports entre les Européens et les Arabes de l'Afrique du Nord. L'ensemble de ces principes et usages, dans l'élaboration desquels la participation prépondérante du Maghreb est évidente, a participé à l'élaboration de certaines règles du droit international contemporain.

Ces illustrations mettent en relief le sens international qui avait souvent animé les souverains du Maghreb dont la haute conception de l'entraide et de la solidarité entre nations, trouvait son expression dans l'élan sincère qui les portait au secours d'un Etat en détresse ; le Maroc savait passer l'éponge sur les vieilles rancunes, quand son ennemi traversait une crise et, déjà, en plein XII^e siècle, se nouaient « des relations politiques confidentielles entre princes opposés dans leurs croyances religieuses ».

Aussi, le Maghreb ne pouvait concevoir une solidarité internationale, de caractère purement confessionnel. Les considérations religieuses ne semblent pas avoir dicté aux souverains du

Maroc leur politique internationale, dans les grands conflits méditerranéens. C'est que la contiguïté géographique du Maghreb à l'Occident, leur brassage historique, sans entamer notre forte affinité orientale, constituent un aspect vital de notre vocation. Le propre de cette partie intégrante du Monde libre qu'est le Maroc est de former un point de contact avec le secteur le plus névralgique de l'Europe méditerranéenne et atlantique, un pont entre les Mondes arabe et occidental.

Notre vocation méditerranéenne a été illustrée, d'autre part, par ces échanges entre le Maghreb et l'Occident, échanges que nous n'aurions guère cessé d'entretenir dans un mutuel apport, sans cet « accident colonial » qui devait, par son élan expansionniste, fausser le cours transcendant de notre histoire. Respectivement souverains, indépendants l'un de l'autre, traitant sur un pied d'égalité, l'Occident et le Maghreb ne peuvent, avec l'affermissement de la notion d'interdépendance, que renforcer leur rapprochement et réaliser, à travers des liens libres, une harmonieuse et durable équation. L'interdépendance ne saurait trouver un fond adéquat que dans une coopération sereine et souveraine ; car une collaboration n'est fructueuse qu'autant que les partenaires, jouissant de leur pleine et entière liberté, et se sentant toute latitude d'agir, consentent au compromis. Le respect mutuel et la reconnaissance des droits et des aspirations légitimes des peuples est, indubitablement, la meilleure base sur laquelle on pourrait asseoir et affermir les interdépendances.

En recouvrant la plénitude de sa souveraineté, le Maroc reparait sous son vrai visage ; il redevient ce qu'il a toujours été, avant d'avoir souffert des intrigues de l'ère colonialiste, l'allié sincère de l'Occident auquel le lient des impératifs qui sont l'aboutissement et le reflet d'une longue vie commune.

L'ESPRIT DE TOLERANCE DANS LE MAGHREB MUSULMAN

L'Islam, au dogme simple, accessible à tous, sans hiérarchie, sans formalisme, a pu conquérir une grande partie de l'Humanité, dans l'espace record de quelques décades. L'Histoire a rarement donné l'impression, d'une spontanéité aussi nette dans la conquête pacifique des cœurs. « Jamais l'Arabe, reconnaît E.E. Gautier, dans toute l'ardeur de sa foi nouvelle, n'a songé à éteindre dans le sang une foi concurrente », c'est que « la tolérance est liée, précise-t-il encore, aux concepts et aux instincts les plus pro-

concluent à l'inhérence de tels sentiments à l'esprit arabe ; en analysant objectivement l'histoire du Maghreb, force nous sera de constater que l'éclosion accidentelle de tels penchants coïncidait curieusement avec la naissance du colonialisme. Les sentiments provoqués, depuis, chez les Marocains par l'agressivité de certaines puissances, les menées sournoises contre leur indépendance et leur intégrité, ont dû connaître des « hauts et des bas », suivant l'attitude qu'aura prise, plus tard, une Europe plus ou moins portée à la méconnaissance des droits du Maghreb, en tant qu'entité souveraine. Le pseudo-fanatisme qu'on présentait comme l'émanation naturelle d'un esprit intolérant et étroit n'était qu'une réaction contre l'agresseur et non contre l'étranger.

Parlant du Maroc, De Foucauld dit : « On craint le conquérant plus qu'on ne hait le chrétien » (Reconnaissance, p. XVI).

Quand les causes de méfiance disparaissent, le Maghrébin redevient ce qu'il a toujours été, un homme imbu de haute sociabilité, d'amabilité spontanée et de dispositions éminemment bienveillantes. Mais, depuis la fin du siècle dernier, certains milieux avaient l'outrageante manie de stigmatiser tout élan patriotique chez l'Africain ou l'Asiatique, qu'ils taxaient résolument de fanatisme chaque fois qu'il exprimait la noble aspiration à une vie libre et souveraine. Tout mouvement national qui n'avait pas l'heur d'avoir des racines en Europe, se trouvait systématiquement entaché d'extrémisme, aux yeux de ceux qui, défiant les principes de la morale internationale, aussi bien que ceux de la logique, tenaient à perpétuer des régimes périmés, solennellement condamnés par la conscience universelle.

Le Maroc a fait, souvent, preuve d'un sens international aigu :

Dès le XI^e siècle, il donna libre accès aux commerçants étrangers qui n'ont pas tardé à y établir des comptoirs. Ce fut alors que se pose, pour la première fois, la question de savoir comment devaient être sauvegardés les intérêts légitimement acquis par les ressortissants étrangers. Nos souverains ne firent aucune difficulté pour la reconnaissance de ces intérêts ; bien mieux, ils traitèrent ces étrangers, avec une extrême sollicitude : les édits royaux, empreints d'une paternelle bienveillance, leur accordaient une large liberté d'action et leur assuraient de solides garanties. Les étrangers étaient placés, ainsi que leurs biens, « sous cette haute main royale qu'exprimait — comme dit Latrie — le mot sauvegarde chez les Chré-

tiens et le mot d'aman chez les Arabes ». Le même auteur précise que « les méfaits des Musulmans vis-à-vis d'eux étaient passibles des sévérités de la loi ».

La loi maghrébine reconnaissait « la responsabilité individuelle et dégageait les compatriotes du délinquant de toute responsabilité collective ». C'était là un principe de haute portée pratique et d'autant plus précieux qu'il fut rarement respecté et appliqué hors du Maroc.

Le peuple marocain, jaloux de sa liberté et de sa souveraineté, savait respecter les droits, la liberté et la dignité d'autrui. Latrie constate que tant que les Européens « évitèrent de provoquer la susceptibilité des Musulmans, tant qu'ils respectèrent l'esprit et la lettre des traités acceptés par leurs souverains, ils trouvèrent dans la population, et dans les gouvernements du Maghreb, les égards et la protection la plus équitable ».

Faisant abstraction de tout préjugé religieux, le Maroc, pays musulman, n'a cessé d'entretenir des relations constantes et amicales avec tous les pays, y compris le Vatican. Ses souverains s'inspiraient, dans leurs rapports diplomatiques avec le Monde chrétien, du seul principe de l'équité internationale, ne se souciant que de la sauvegarde de leur souveraineté. Les considérations racistes ou confessionnelles n'entraient jamais en ligne de compte, dans la conception maghrébine de la diplomatie et de la politique étrangères. Il n'est que de compulsier certaines archives tenues dans les chancelleries d'Europe, pour se convaincre de la haute estime dont jouissait le Maroc, au sein de la communauté chrétienne. La lettre de Grégoire VII à Ennacer en 1076 est « le plus précieux monument de ce temps et le plus curieux échantillon de la correspondance facile et amicale qui a existé entre les Papes et quelques Sultans d'Afrique ». S'adressant au Sultan, le Pape lui dit notamment : « Les nobles de la ville de Rome ayant appris, par nous, l'acte que Dieu vous a inspiré, admirent l'élévation de votre cœur et publient vos louanges ».

Cette sympathie « que jamais peut-être pontife romain n'a plus affectueusement marquée à un prince musulman », met en relief l'intime cordialité des liens entre la Chrétienté et l'Islam dont les Almohades étaient alors les représentants illustres.

Le Maroc était, d'autre part, une terre de refuge pour les Chrétiens opprimés par les grands seigneurs de l'Europe féodale. « Des chevaliers ou des princes européens, mécontents

sentaient, alors, le triple de ses importations. Voilà un argument concret à l'encontre de ceux qui présentent le Maghreb comme un pays muré, dans son isolement. Il est vrai que le Maghreb, pressé par des intrigues européennes, s'était vu contraint, un certain temps, à se replier sur lui-même. Il fut même un temps où, obsédé par les exigences de certains pays latins, le Maghreb s'adressa exclusivement aux nations protestantes riveraines de l'Atlantique, telles l'Angleterre, la Suède et le Danemark, avec lesquelles il signa des traités de commerce et d'amitié. Quelques années avant sa mort (en 1786), le Sultan Mohamed Ben Abdellah conclut, avec les Etats-Unis, un traité de commerce et de navigation pour 50 ans qui fut renouvelé en 1836.

Loin d'avoir vécu isolé du Monde moderne, ou même d'être resté indifférent à l'évolution de la politique européenne et américaine, le Maroc suivait, avec un vif intérêt et une réelle sympathie, le mouvement d'émancipation des peuples d'outre-Atlantique. Il fut le premier à reconnaître l'indépendance de la jeune République des Etats-Unis.

Mais dès le XV^e siècle, la civilisation maghrébine, cantonnée jusqu'ici en Méditerranée, put pénétrer jusqu'en Amérique latine, apportée par les conquérants ibériques du Nouveau Monde. Pendant plus de trois siècles (depuis le XVI^e), le Brésil, par exemple, a subi, systématiquement, l'influence andalouse. Tous les aspects de la société américaine s'imprégnèrent d'une teinte mauresque, plus ou moins accentuée. Les femmes brésiliennes, voilées à l'instar des Maghrébines, modelaient à la marocaine leur façon de vivre, comme faisaient les Chrétiennes de Sicile, à l'apogée de la civilisation normande (Ibn Jobeir). Tout au Brésil était à l'image de notre société médiévale, depuis le comportement social des dames mondaines qui prirent l'habitude de s'asseoir, les jambes croisées, sur des tapis de style marocain, jusqu'aux allures extérieures de la campagne. Malgré les différences climatiques, celle-ci empruntait sous couvert de l'Espagne et du Portugal, redevenus chrétiens, les mécanismes et la technique agricole maghrébines.

Le « Mauresquisme » jouit, en Amérique, d'une virile réputation. Le verbe « maurijar » est, en portugais, synonyme d'agir ; dans toute l'Amérique, l'expression « travailler comme un Marocain » est devenue proverbiale. Au Portugal, on n'a pas manqué de constater que les habitants du Sud, parmi lesquels se retrouvent les descendants des conquérants marocains, sont animés, mieux que leurs concitoyens du

Nord, d'un esprit exceptionnel d'initiative et d'entreprise, doublé d'une perspicacité, d'une endurance dans le travail, d'une persistance dans l'effort et d'une longévité comparable à celle relevée dans l'Atlas marocain.

Nous sommes même en mesure de prétendre, avec des auteurs occidentaux que si la marine portugaise avait pu parcourir l'Atlantique et contacter l'Amérique, c'était grâce aux méthodes arabes de navigation érigées en sciences. Ibn Majid, qui a laissé des œuvres célèbres sur « l'art de naviguer », était le navigateur de Vasco de Gama (1469-1524), qui découvrit en 1498 la route des Indes par le Cap de Bonne-Espérance.

Tels sont quelques traits de cette vocation atlantique du Maghreb, qui semble plus réelle que jamais, dans la conjoncture internationale actuelle.

CONSTANCE DES RAPPORTS ENTRE LE MAGHREB ET L'OCCIDENT

L'interdépendance, dans l'actualité de sa portée et de ses effets, peut être considérée comme une notion moderne. Mais, envisagée sous l'angle du droit des gens, elle se présentait déjà, quoique vaguement, comme une sorte d'altruisme ; la quintessence de cette notion, vieille comme le Monde dans son principe et son idéal, résidait dans cette bonne volonté commune, source vitale de la pérennité et de la sérénité de tout rapport entre nations.

On pourrait toujours s'entendre pour créer une certaine forme d'association entre Etats, mais la viabilité d'une telle association demeure fonction d'un certain état d'esprit à créer ou à développer chez les partenaires. C'est pourquoi l'interdépendance a, avant tout, un fond psychologique qui conditionne l'harmonisation des intérêts en présence. La bonne foi et le respect mutuel des souverainetés sont autant de garanties pour l'élaboration d'une politique de rapprochement entre les peuples.

Pour nous, Marocains, cet élan sincère vers le plein épanouissement international de notre Etre, n'a été dérouté que par cette série d'intrigues étrangères contre notre souveraineté, intrigues qui ont fini par ankyloser notre isolement, à la fin du dernier siècle, en un repli anachronique sur nous-mêmes.

D'aucuns croient déceler dans l'âme maghrébine, avide de liberté, une propension innée au fanatisme et au xénophobisme. Partant de quelques faits épars dans la masse historique ou tirés d'une actualité mal interprétée, ils

Il y a déjà tout un millénaire, Fès, image vivante des grandes capitales de l'Islam, constituait un « miracle d'adaptation à l'Etat oriental » (Gautier). Introduisant dans la vie et dans l'art en Méditerranée les derniers éléments orientaux, les Almohades berbères réalisèrent « le syncrétisme de la civilisation musulmane d'Occident ».

D'ailleurs, les grandes cités marocaines portaient presque toutes la marque et l'empreinte orientales ; ce n'est pas à tort que certains géographes devaient comparer Fès à Damas, Rabat à Alexandrie et Marrakech à Bagdad.

Cette orientation constante du Maroc vers les traditions orientales se concrétisait de plus en plus, à travers les siècles, jusqu'à l'ère méridionale, époque à laquelle la civilisation musulmane se cristallisait définitivement sous forme d'institutions nationales fortement orientalisées.

Le rayonnement d'une telle œuvre d'orientalisation mise en train par les dynasties berbères elles-mêmes, se répercutait dans toutes les branches de l'activité. Saturé par l'apport oriental vivifiant, le Maghreb faisait bénéficier l'Orient de ses initiatives syncrétisatrices. Les Maghrébins ont été, pendant plus de trois siècles, les continuateurs africains de la mission arabe en Méditerranée, donnant ainsi la preuve d'un aspect essentiel de leur vocation.

PAR SA VOCATION OCCIDENTALE, LE MAGHREB EST LE POINT DE CONTACT ENTRE DEUX MONDES

Le Maroc est le seul pays arabe et un des rares pays du monde possédant une double fenêtre maritime. Dominant l'Atlantique sur près de cinq cents kilomètres, il constitue un tremplin stratégique. Le privilège de cette position, au carrefour de deux mers internationales, qui sont les plus actives du monde, se renforça le jour où le Déroit devint un couloir vital entre les pays méditerranéens et le Nouveau Monde.

Cette heureuse situation sur un des grands passages de l'Univers n'a pas manqué d'influer, profondément, sur les destinées historiques du Maghreb qui assumait, très tôt, le rôle de médiateur et de syncrétisateur entre deux mondes. La quadruple vocation du Maroc (africaine, orientale, méditerranéenne et atlantique) a fait de lui le point de contact de deux civilisations qui n'ont cessé d'agir, l'une sur l'autre, depuis plusieurs siècles, pour livrer à l'Humanité une synthèse éclectique d'une portée universelle.

La vocation atlantique du Maroc explique, entre autres, l'irradiation outre-mer de notre civilisation dont les échos se répercutèrent, à travers les ténèbres océaniques, pour aller marquer, de leur forte empreinte, dès le XVI^e siècle, la vie sociale et économique de peuples nouvellement conquis par le latinisme ibérique profondément orientalisé.

D'aucuns prétendent même, que par l'intermédiaire du Maghreb, l'orientalisme arabe a conquis le Nouveau Monde, depuis déjà près d'un millénaire. Des entreprises arabes directes, déclenchées, dès le X^e siècle, à partir des côtes atlantiques du Maroc (Safi), auraient devancé l'aventure européenne en Amérique.

L'auteur de l'ouvrage « Averroès et l'averroïsme » cite une lettre de Christophe Colomb où il reconnaissait avoir puisé ses connaissances sur l'existence éventuelle d'une terre ferme outre-atlantique, dans le traité « El-Koulliat » d'Ibn Rochd.

Un fait demeure cependant certain, à savoir que d'une part, les Arabes avaient, au moins, envisagé l'exploration de l'Atlantique et, d'autre part, établi des arsenaux sur les côtes de l'Océan et créé des escadres destinées à défendre l'Occident musulman. Le Maroc utilisait, rarement, ses rades atlantiques, durant les trois siècles pendant lesquels il a dominé l'Andalousie : le contact par la Méditerranée était plus pratique.

Mais plus tard, les relations du Maghreb avec certains pays de l'Atlantique comme le Danemark, la Suède, l'Angleterre et la Hollande l'incitèrent à profiter, de plus en plus, des rades qui jalonnent notre côte atlantique. Les Provinces-Unies (Hollande) étaient parmi les premiers pays atlantiques qui établirent avec le Maroc des rapports étroits concrétisés par un trafic régulier, à travers la Manche, trafic auquel le Traité de 1610 donna une véritable prépondérance. Les ports les plus importants étaient ceux qui s'ouvrent sur l'Océan Atlantique : Safi, Agadir et Massat. Plus tard, Salé deviendra et restera, pendant plus d'un siècle, le port le plus actif du Maghreb. Tanger, Larache et Arzila (respectivement libérés du joug ibérique en 1684, 1689 et 1691) marquèrent, par leur activité propre, cette vocation atlantique du Maghreb, devenue de plus en plus manifeste, par suite de la création de Mogador qui accapara tout le commerce marocain. En 1845, les ports atlantiques reçurent la visite de 223 navires européens. Mogador demeura active jusqu'en 1911, année à laquelle 462 navires entrèrent dans son port. Les exportations du Maroc repré-

Aspect andalou - maghrébin de la Civilisation Arabe (1)

par le professeur Abdelaziz Benabdellah

Profondément engagé dans la masse africaine, le Maroc occupe une position-clé qui surplombe deux des secteurs les plus actifs et les plus civilisés du monde : la Méditerranée et l'Atlantique.

Le Maroc qui, pendant plus d'un millénaire, a porté l'étendard de la civilisation musulmane, demeure toujours un point de contact entre deux mondes et un « lieu géométrique » essentiel pour les rapports internationaux.

Par Tanger, sa capitale diplomatique, le Maroc détient une des clés de la Méditerranée. Suez n'est pour le bassin oriental (qui fut, au Moyen-Age, une véritable mer arabe) que ce qu'est aujourd'hui Tanger et Gibraltar pour le bassin occidental. Ces deux « bouts » du Monde arabe qui dominent un centre aussi névralgique, dans la conjoncture actuelle, sont appelés à jouer un rôle des plus importants dans les tractations méditerranéennes qui risqueraient d'être inadéquates, sinon vides de substance, sans la participation égale et souveraine de tous les riverains arabes qui, de Tanger à Damas, jalonnent, sans discontinuité, près des trois cinquièmes de la côte méditerranéenne. C'est là une réalité vivante qui aurait dû s'imposer à tous les esprits occidentaux. Le Monde Arabe prend aujourd'hui l'heureuse initiative de réunir les pays méditerranéens, dans une conférence mondiale, en vue de définir le danger réel qui menace cette région devenue, avec les tiraillements de la guerre froide, une des plus névralgiques du monde.

La mission africaine du Maghreb s'est concrétisée dans une irradiation atteignant jusqu'au Niger, au Sud, jusqu'au Nil, à l'Est. Déjà, sous les Almoravides, l'Empire maghrébin englobait Alger et le Sahara jusqu'au Soudan, celui des Almohades s'étendait de la Castille à Tripoli, « unissant l'Occident musulman pour la première fois sous le même pouvoir ». Le pres-

tige mérinide s'affirmera, plus tard, à la fois au Soudan et en Egypte. Une grande partie de l'Afrique noire vivra sous l'égide chérifienne et à travers un régime pachalik jusqu'en 1893. Bref, le Maroc a toujours été « le noyau et la force vive » des plus grands empires qui s'étendirent jamais sur les terres africaines du Couchant. Ce rôle éminent que l'« Empire fortuné » n'a cessé d'assumer, jusqu'à une époque récente, a été d'autant plus réel qu'à partir de l'année 1250 après J.C., date à laquelle l'Egypte elle-même tomba sous la domination turque, « il n'y eut plus d'Etats arabes politiquement indépendants qu'au Maghreb » (Max Vintejoux). Le Maghreb est le seul Etat africain qui, surmontant les cahots d'une évolution mouvementée, a su conserver intactes, depuis la conquête arabe, son intégrité territoriale et sa pleine indépendance. Un fait reste inouï dans les annales des nations, à savoir que le Maghreb est toujours parvenu à « sceller jusque dans l'anarchie, son unité politique » (L. Provençal).

Point n'est cependant besoin de remonter à l'époque anté-islamique pour mettre en relief les destinées orientales du Maghreb.

De l'âme berbère façonnée par la foi nouvelle, émanait un sentiment de quiétude nostalgique spontané. Le Maroc, qui s'identifiait alors avec le monde d'Imazigh, trouve, dans l'Islam simpliste, souple et tolérant, les ferments indicibles, pour cette unité dont le particularisme tribal entravait l'élaboration. Un courant nouveau rétablit alors les contacts naturels entre deux mondes. En recevant les premiers éléments de la civilisation orientale rénovée par le génie arabe, le Maghreb rejoint les destinées qui, depuis treize siècles, n'ont cessé d'être les siennes. Dès lors, le Maroc, réinstallé dans son véritable Etre, aura, pour tous les ressorts de son comportement, une constante indélébile : s'aligner sur l'Orient.

(1) Texte de la communication faite par le Professeur Abdelaziz Benabdellah au Colloque Culturel de Florence (14, 15 et 16 décembre 1972) organisé par l'I.P.A.L.M.O., sur le thème suivant : La Civilisation maghrébine, sa vocation africano-méditerranéenne et sa contribution dans la Civilisation du Monde Moderne.

jedes Wort, wo es im Satze steht, dort vernunftgemäss begründet ist.

Ausgehend von bestimmten ausnahmelosen Erscheinungen stellt der späte arabische Grammatiker in strenger Beweisführung eine unbedingte Sprachnorm auf. Während in der ältesten Periode der arabischen Grammatik diese dem Sprachleben so wenig gerecht werdende rationalistische Auffassung noch keine grosse Rolle spielte, wuchs sie sich später in geradezu hypertropher Weise aus. Die Grammatik ist nicht mehr erklärende Wissenschaft, sondern begründet und normiert.

Ein Beispiel ihrer Methode: Das arabische Fragewort **kam** „wieviel?“ hat den Akkusativ des Gezählten nach sich. Warum? **Kam**, sagt sich der arabische Grammatiker, steht statt einer Zahl. Der Fragende weiss nicht, ob es sich um eine kleine oder grosse Zahl handelt. Die Konstruktion der Zahlen ist bei den Zahlengruppen 3-10, 11-99, 100 ff. verschieden. Also ist es bei der Unbestimmtheit der Antwort das einzig Vernunftgemässe, die Konstruktion der mittleren Zahlengruppe zu wählen, 11-99. Diese Zahlengruppe regiert den Akkusativ, und deshalb hat ihn auch **kam**.

Dies ist ein typisches Beispiel für die Beweisführung der arabischen Grammatiker. Abweichungen von der ausnahmelosen Grundform werden mit Hilfe der Analogie als regulär bewiesen, indem eines oder mehrere Aehnlichkeitsmomente aufgezeigt werden. Aus der Aehnlichkeit zweier Grössen werden für die zweite dieselben Funktionen gefordert wie die erste sie hat. Dabei ist es unwichtig, ob sich die beiden Grössen überhaupt vergleichen lassen. Da alle Wörter aus vokalisiertem Buchstaben bestehen und diese in den verschiedensten Wortklassen vorkommen, kann man auch Nomen und Imperfekt zueinander in Beziehung setzen. Aeusserer und innere Aehnlichkeiten, je mehr sie beigebracht werden können, lassen auf gleiche Funktionen der verglichenen Glieder schliessen. Mit fünf Aehnlichkeitsmomenten wird dargetan, warum das Imperfekt beispielsweise dasselbe Vorrecht besitzt wie das Nomen, nämlich seine auslautenden Vokale zu ändern.

Die Begründungen werden aus allen möglichen Bereichen herangeholt. Im physikalischen Bereich geht die Ursache stets der Wirkung voran. Deshalb ist es in der Sprache nicht erlaubt, in einer Bedingungsperiode den Wenn-Satz erst an zweiter Stelle folgen zu lassen. Er bezeichnet

eine Ursache, muss also voraufgehen. Aus dem Bereiche des guten Tons, der feinen Sitte, wird erklärt, wieso der Genitiv dem regierenden Wort folgen muss. Der Sklave muss warten, bis sein Herr sich gesetzt hat. Genauso hat sich das regierte Wort hinter das regierende zu stellen, der Genitiv hinter das regierende Substantiv, das abhängige Wort hinter die Präposition.

So ist die arabische Sprache Inbild der Vernunft und Folgerichtigkeit des Denkens, der göttlichen Gerechtigkeit und Harmonie. Ausnahmen von den Regeln gab es in dieser Grammatik so wenig wie Ausnahmen von der Vernunft im Leben. Spätere Grammatiker haben sogar die Abweichungen von der Regel wieder durch die Vernunft begründet. Wo aber auch der grösste Scharfsinn nicht ausreicht, gewisse Ausnahmen vernunftgemäss zu begründen, werden sie einfach aus dem Quellenmaterial gestrichen. Die Vernunft des Grammatikers steht über dem Material. Er wacht über die Vernunftgemässheit der Sprache und gleicht in diesem normierenden Tun dem Richter, der berufen ist, die Einhaltung der göttlichen Rechtsnormen sicherzustellen.

Welten trennen uns von dieser Methode und dieser Auffassung der Wissenschaft. Es ist für uns oft sehr schwer, diesen Gedankengängen zu folgen. Aus fremden Einflüssen ist diese Denkart, wie ich zusammenfassend feststelle, zumindest in der arabischen Nationalgrammatik nicht zu erklären. Griechische und arabisch-islamische Wissenschaft sind auf völlig verschiedenen Prinzipien aufgebaut. Ungerecht aber wäre es von uns, über diese Art wissenschaftlichen Arbeitens überlegen zu lächeln. Es entspringt einem hohen Motiv, der Zentralaufgabe des Menschen im mittelalterlichen Islam, der *ʿibada*, dem Dienst an Gott. Aus ihr folgt für den einzelnen die Pflicht zum korrekten Leben, für die Wissenschaft die Aufgabe, systematisch zu interpretieren, was Offenbarung und Tradition für die Einrichtung des korrekten Lebens ergeben. Im Erkunden und Bewahren der Offenbarung kommt der Grammatik als philologischer Wissenschaft eine hervorragende Rolle zu. Von hier aus erklärt sich vielleicht ihre spätere Erstarrung, hier lag aber auch der gewaltige Impuls zum Werk.

Der Spiegel, in welchem wir das Abbild der arabischen Sprache suchten, ist mehr als ein Spiegel im gewöhnlichen Sinn. Es ist ein Brennspiegel. Seine Leuchtquelle ist die Religion, von deren Strahlen die arabische Sprache im Brennpunkte eingeschmolzen ward zum Dienste an Gott.

Definitionen zeigen, freilich in merkwürdigem Zusammenhang und sich seltsam genug von ihrem Hintergrunde abhebend. So konnte schliesslich das Dogma von der Abhängigkeit der nationalarabischen Grammatik von der griechischen Philosophie entstehen, ganz im Gegensatz zur einheimischen Tradition, für welche die nationale Grammatik eine autochthone Wissenschaft ist. Man hat mit diesem Dogma der Abhängigkeit die Fähigkeit verloren, die älteren Quellen unbefangen zu würdigen, und vergessen, dass diese vor jenem Zeitpunkt liegen, da das Eindringen griechischer Weltweisheit in den islamischen Gedankenkreis historisch beglaubigt ist. Dabei ist oft mit recht schwachen Argumenten gearbeitet worden, und wurde versucht, sogar Einwirkungen der lateinischen Grammatik auf die grammatische Begriffsbildung der Araber festzustellen, etwa im Vergleich von lat. terminus und arabisch harf. Harf bezeichnet ein kleines, dem Umfang nach nicht abgegrenztes Quantum von Gesprochenem bzw. Geschriebenem, von Buchstabe oder Konsonant angefangen bis Wort, Redensart, Phrase, Satz. Gerade diese Harf, das wir mit Partikel wiedergeben, der dritte Redeteil, ist in der ältesten Darstellung der arabischen Grammatik anders aufzufassen als dies gewöhnlich geschieht. „Die Wörter zerfallen in drei Klassen“, sagt Sibawaihi, „Nomen, Verbum und Harf“, und definiert Harf näher mit den Worten: „Harf steht zum Ausdruck von etwas Gemeintem, das weder Name noch Aktion ist“. Harf ist damit etwas anderes als der isolierte Buchstabe oder die Buchstaben, die ein geschriebenes Wort bilden, einzeln für sich bedeutungslos sind. Alles, was nicht Nomen und nicht Verbum ist, gehört hierher und steht zum Ausdruck von etwas Gemeintem. Mit dem griechischen syndesmos hat Harf nichts zu tun. In Harf ma'na, wie der dritte Redeteil ursprünglich heisst, liegt das Hauptgewicht im zweiten Wort ma'na „Sinn“. „Sinnbezeichnende Lautgruppe“ dürfte den arabischen Begriff am besten wiedergeben. Jüdische Grammatiker verwenden oft einfach eine hebräische Uebersetzung dieses ma'na für den dritten Redeteil. Von einer Entlehnung aus dem Griechischen kann hier nicht die Rede sein. Und die Uebereinstimmung von arabisch Ism „Name“ und griechisch onoma „Benennung einer Person oder eines Gegenstandes“ als Bezeichnung des ersten Redeteiles ist rein äusserlich. Mit dem griechischen rhema „das, was von jemand angesagt wird“, hat der Name des zweiten Redeteiles im Arabischen, Fi'l „Aktion“, gleich gar nichts zu tun.

Das Subjekt ist für den arabischen Grammatiker etwas ganz anders als für uns. Der urs-

prünglich logische Begriff wurde von den Griechen auf die Grammatik übertragen und bezeichnet hier das Wort, von dem schlechthin etwas ausgesagt wird. Diesen einheitlichen Begriff des Subjekts kennt die arabische Grammatik nicht. Für sie ist der Satz kein Urteil, sondern eine Reihe von Wörtern, die einen Sinn geben. So unterscheidet sie verschiedene Arten von Subjekten, je nachdem was von ihnen ausgesagt wird. Wo das Verbum, arabisch Fi'l „Tun“, am Anfang, steht, heisst der zugehörige Subjektsnominativ arabisch „das Handelnde“. Wo der Satz dagegen mit dem Nomen beginnt, heisst Subjektsnominativ einfach „Wort, mit dem begonnen wird“. Da aber in einem passivischen Satz das Subjekt kein „handelndes“, sondern „leidendes“ Ding ist, der Ausdruck „das Handelnde“ also nicht passt, wird dieses Subjekt umschrieben als das „leidende Ding, von dem nicht genannt ist, wer ihm das Leiden zugefügt hat“.

Diese fundamentalen grammatischen Begriffe liegen schon bei den älteren Systematikern vor. Der Umfang des zu bearbeitenden Materials war für sie äusserst begrenzt. Um so mehr musste bei ihnen und ihren Nachfolgern daher die zweite Voraussetzung wissenschaftlicher Arbeit überwiegen, der konstruierende und kombinierende Verstand. Das, was der Gelehrte von sich aus hinzutut, überwiegt dann bei weitem das Material.

Andere semitische Sprachen mit dem Arabischen zu vergleichen, haben sie sich nicht einfallen lassen, weil sie diese meist kaum kannten. Logische Kategorien auf die Sprache anzuwenden, war ihnen nicht möglich, da ein System fehlte. Zudem stand ihr Arbeiten unter einem massgebenden Prinzip: Der Koran als Gotteswort ist wie Gott selbst die Vernunft schlechthin. Nun ist die Sprache des Korans Vorbild der arabischen Sprache, Muster ihres Ausdrucks. In ihre Bau muss sich daher allüberall die göttliche Vernunft bekunden. Haben die Griechen Sprechen und Denken, Sprachgesetze und Denkgesetze identifiziert, so galt den arabischen Grammatikern die Gleichung arabisch Sprache = göttliche Vernunft. Aufgabe des Grammatikers ist es, hinter dem Schleier der Worte die Vernunft wiederzuerkennen, die „Geheimnisse der Sprache“ zu enthüllen, die asrar al-'arabiya. Der abendländische Grammatiker sucht aus den sprachlichen Erscheinungen Regeln herauszuarbeiten, die eine sprachliche Entwicklung zu erklären vermögen. Dem arabischen Grammatiker ist die Sprache so vernunftgemäss aufgebaut, dass er darüber hinaus die Vernunft dieser Regeln zeigen muss und nachzuweisen hat, dass

„Turan und China haben sich längst vertragen,
Und immer noch müssen 'Amr und Zaid sich
[schlagen.]“

Wo der arabische Unterricht nach den alten Vorbildern erteilt wird, schlagen sie sich noch heute.

Als etwas sich Wandelndes, Wachsendes ist die Sprache von den Muslimen nicht begriffen worden. Den Unterschied zwischen der Sprache und der Schrift als etwas Zufälligem, Erfundenem haben sie nicht erfasst. Ursache hierfür ist wohl auch hier der Koran. In seinem überlieferten Text liegt die Bedeutung eines jeden Wortes nicht so sehr in seinem gesprochenen Lautbild als in der bestimmten schriftlichen Ueberlieferungsform. Schrift und Sprache gelten als identisch. Die Grammatik wird nach der Textgestalt des Korans aufgebaut, nach dem Schriftbild also durch Sehen, nicht durch Hören nach den Lauten. Kleinste Einheit der Schrift ist der Buchstabe, im Arabischen gar nur der Konsonant. So ist für die grammatische Terminologie Laut und Konsonant dasselbe. Der Begriff Silbe als letzte Einheit der gesprochenen und gehörten Sprache ist dem mittelalterlichen muslimischen Grammatiker unbekannt. Die Sprache kennt keinen Terminus dafür. Da man nur nach dem Schriftbild arbeitete, musste auch der Begriff Vokal zunächst fehlen. Erst das Schriftzeichen, das später zur Bezeichnung der kurzen Vokale eingeführt wurde, erkannte man als Vokal an. Dies geschah aber nur, weil hier der Vokal durch ein besonderes Zeichen wiedergegeben wurde. Es bleibt erstaunlich, dass auf dieser Grundlage etwas unserer Lautlehre Vergleichbares geschaffen und sogar eine Lehre von den Vermassen entwickelt wurde, ohne dass man den Begriff Silbe kannte.

Ausser einem für unsere Anschauung unverständlich engen Begriff vom Material ist auch der äussere Ablauf in der Betrachtung der eigenen Sprache in Abendland und islamischem Morgenland völlig verschieden. Die Griechen, unsere eigentlichen Lehrmeister in der Grammatik, hatten vor der Erforschung der Einzelwissenschaften sich intensiv mit dem hinter den Einzeldingen liegenden Allgemeinen, mit den Grundfragen der Philosophie, befasst und namentlich die Logik aufgebaut. In ihrem Rahmen fand das in den Einzelwissenschaften, vor allem der Sprachwissenschaft erarbeitete Material einen festen Standort. Sprechen und Denken unterstehen nach griechischer Anschauung denselben logischen Gesetzen. Man konnte beide daher in denselben Kategorien erfassen. Urteil und Satz, Begriff und Wort sind ihnen identisch. Im Islam ist die Entwicklung genau umgekehrt.

Dort wird zunächst das zu bearbeitende Sprachmaterial gesammelt. Dann erst, nachdem das Quellenmaterial vorliegt, wird eine Theorie der Sprache aus ihm abgeleitet. Diese theoretische Grundanschauung ist nicht unlogisch, aber nicht wie bei den Griechen rein formal logisch. Die arabischen Nationalgrammatiker berücksichtigen über das rein Formale hinaus auch den Inhalt und Sinn der Sätze. Der Grieche und mit ihm wir heutigen Abendländer sehen hinter dem Einzelnen das Allgemeine. Der muslimische Grammatiker vermochte sich nur schwer von dem gegebenen Einzelnen zum Allgemeinen durchzuringen. Die Sprachtheorie der Griechen war, weil sie rein formal vorging, allgemein gültig und auf alle Sprachen anwendbar. Die Begriffe der arabisch-islamischen Sprachbetrachtung sind im Grunde nur auf die arabische Sprache anwendbar, denn sie entspringen nicht allgemeinen-logischen Prinzipien. So wird auch verständlich, warum es in den beiden anderen vom Arabischen abhängigen grossen islamischen Literatursprachen, dem Neuheimischen Sprachbetrachtung kommen konnte. Das indogermanische Neupersische liess sich eben nicht in ein System zwängen, das nur für das Arabische Geltung hatte.

Schon im Äusseren weicht die Einteilung unserer Grammatiken von der muslimischen völlig ab. Entsprechend der logischen Gleichstellung des Wortes mit dem Begriff, des Satzes mit dem Urteil ist unsere Grammatik eingeteilt in Wortbildungs- oder Formenlehre und in Stazbildungslehre oder Syntax. Anders der arabische Nationalgrammatiker: Er unterscheidet nur die einzelnen Wörter rein grammatisch nach ihren verschiedenen Endungen und nach der Wirkung, die die Wörter im Satze zeigen. Dann genügt es, die Wörter rein äusserlich einzuteilen und kann unter den Wortarten sogar die Lehre von der Satzbildung behandelt werden. Denn die Wörter verändern sich in ihren Endungen je nach der Stellung, die sie im Satze einnehmen.

Mit der Einteilung der Wörter in Wortarten bin ich zum Ausgangspunkt des Ganzen zurückgekehrt. Das gesamte Sprachmaterial wird in drei Redeteile gegliedert, in Ism „Namen“, Fi'l „Aktion“, Harf, von uns gewöhnlich wiedergegeben durch Partikel. Es ist die Einteilung, die Reuchlin der nationaljüdischen Grammatik entnahm, die letztere der nationalarabischen verdankt. An diesen grundlegenden Begriffen der arabischen Grammatik hat man in früherer Zeit oft fremden, vor allem griechischen Einfluss feststellen zu können geglaubt. Im Abendland sind als erstes nur einige verhältnismässig späte grammatische Werke bekannt geworden, die deutliche Spuren aristotelischer

Der arabische Polyhistor as-Suyuti hat jede Wissenschaft definiert als den Teil des überlieferten Materials, der verstandesmäßig bearbeitet ist. Seine Begriffsbestimmung schliesst die beiden Prämissen jeglicher wissenschaftlicher Arbeit mit ein: einmal die Tradition als das überlieferte und zu bearbeitende Material, dann den bearbeitenden Verstand des Gelehrten mit seiner Gabe der Konstruktion und Kombination. Diese Begriffsbestimmung könnte ohne weiteres auch unsere bilden, und doch ist die islamische Wissenschaft, damit auch die nationale arabische Grammatik, in völlig anderer Richtung verlaufen als die abendländische. Wir suchen die Tradition, das überlieferte Material nach Kräften auszudehnen und zu mehren. In der Geschichte sind wir bemüht, immer neue Quellen zu erschliessen, um immer besser Schicksal ergründen zu können. In den philologischen Fächern streben wir danach, durch die Herausgabe der Sprachdenkmäler, durch die Aufnahme der Umgangssprache unsere Auffassung von der sprachlichen Entwicklung immer mehr zu vertiefen. Was dabei an Theorien aufgestellt wird, richtet sich ganz nach dem Material. Ändert sich das Material oder tritt neues auf, können diese Theorien sich unter Umständen entscheidend ändern. Anders die Wissenschaft des Islams: Das Material, das zu bearbeiten ist, hat schon in der Vergangenheit zu einem bestimmten Zeitpunkt seine Begrenzung gefunden. Nachdem die ersten arabischen Philologen an Hand der damals anerkannten arabischen Literatur ihre grammatische Theorie aufgestellt hatten, ist dieses begrenzte Material allein massgebend geworden für den Aufbau des grammatischen Systems. Nach dem Vorbild dieser ältesten Philologen werden hinfert in der gesamten grammatischen arabischen Literatur ausser dem Koran nur die älteren Dichter und die wenigen ganz alten Prosatexte berücksichtigt, u.a. die Berichte über die Schlachtstage der alten Araber, die alten Sprichwörter, die Dicta des Propheten Mohammed. Von der nach dem Omajjadenzeitalter in reichem Masse aufblühenden guten arabischen Prosaliteratur hat man für die grammatische Darstellung keinen Gebrauch gemacht. Dass man sie stets beiseite liess und dass die Epigonen des berühmten Sibawaihi nie aus dieser Prosa Belege für die grammatischen Erscheinungen zogen, hängt mit dem Beharrungsvermögen des Islams am einmal Gegebenen zusammen. Uebertragen hiesse das, den Schriftstellerkanon für die grammatische Darstellung des Griechischen auf die homerische Dichtung und die alte Lyrik zu beschränken, auf Herodot oder Thukydides aber zu verzichten. Da die Sprache des Korans allein als kanonisch und gut angesehen wurde und sich die Sprache

des Volkes in Formenlehre und Stabau stark von ihr unterschied, war es nur natürlich, wenn man es grundsätzlich ablehnte, Erscheinungen der Volkssprache für den Aufbau des grammatischen Systems zu verwenden.

Religiöse Erwägungen haben hier zur Einschränkung des Materials geführt. Schon im zweiten Jahrhundert nach der Hidschra macht sich zwar eine Opposition dagegen bemerkbar. Man wollte die Tradition ausdehnen, mehr Sprachgut für das grammatische System verwenden. Bald aber hatte der starre Ueberlieferungsgrundsatz über die Erweiterungs- und Neuerungstendenzen gesiegt — sogar in der Grammatik, in der wir zunächst keine Beziehung zur Religion erwarten würden, spiegelt sich der fortgesetzte Widerstreit, den wir in der dogmatischen und gesetzlichen Entwicklung des Islams kennen. Gesiegt haben die starren Anhänger des Alten. Die grossen Vertreter der nationalen Grammatik haben es darum stets abgelehnt, über die Sprache des Volkes oder etwa dessen Sprachfehler zu arbeiten. Sie haben eifersüchtig darauf gesehen, dass der Kanon der als Muster anzusehenden Sprachdenkmäler nicht ausgedehnt wurde. Sie haben deshalb in ihren Werken eigentlich immer nur dieselben Belege verwandt. Durch sie hat die Grammatik den Charakter einer normierenden Wissenschaft bekommen. Letztlich hat die Normierung mit ihrem fortgesetzten „es ist verboten“ bewirkt, dass die arabische Hochsprache seit über dreizehnhundert Jahren im Grunde dieselbe geblieben ist.

Dass eine solche Wissenschaft ohne jeden lebendigen Zuwachs lebendiger Sprache allmählich trocken, mumienhaft wirken musste, ist leicht einzusehen. Einen Eindruck davon gibt in einer Erzählung seines Rosengartens der berühmte persische Dichter Sa'di im 13. Jahrhundert. Auf einer sicher nur der dichterischen Phantasie entsprungenen Reise nach Ostturkestan sah Sa'di in der Moschee von Kaschgar einen Studenten voll Eifer über ein Kapitel aus dem Lehrbuche des Zamachschari gebeugt. Hier muss ich einschalten, dass die arabische Grammatik etwa die Kasusbildung in kleinen paradigmatischen Sätzchen verdeutlicht. Man lernt die Kasusendungen im wirklich vorkommenden Sinnzusammenhang, nicht davon losgelöst. Und also hört Sa'di den Studenten lesen: „Daraba Zeidun 'Amran 'Zaid schlug den 'Amr, und hier ist 'Amr das Objekt und Zaid das Subjekt...“. Im selben Jahr aber hatte der Herrscher von Turan endlich Frieden mit dem chinesischen Kaiser geschlossen. Und so redet Sa'di den jungen Mann in hintergründiger Ironie an:

Zwischen der indischen und der griechischen steht auch räumlich gesehen die nationale arabische Grammatik. Diese Zwischenlage hat die Frage nach einer möglichen Abhängigkeit der ersten arabischen Sprachgelehrten von fremden Vorbildern bis heute nicht verstummen lassen. Angesichts der Quellenlage wird sie mit cuellenmässiger Sicherheit endgültig wohl nicht entschieden werden können. Denn es ist nicht zu erwarten, dass wir über Chalil als dem eigentlichen Begründer der arabischen Grammatik hinaus noch einmal auf ältere Quellenwerke zu ihrer Erschliessung stossen werden. Wie ein Wunderbau tritt vielmehr schon im zweiten Jahrhundert nach der Hidschra, gegen Ende des achten Jahrhunderts nach Christus, das Gebäude der arabischen Grammatik vollkommen vor uns. Der Schüler des genannten Chalil der Perser Sibawaihi, hat es aufgerichtet. Sein grammatische Hauptwerk ist die erste zusammenhängende Darstellung der arabischen Sprache. Mit dem Titel al-Kitab, zu deutsch "das Buch", ist es für die einheimischen arabischen Grammatiker zum Buche schlechthin geworden und ist für sie noch heute Autorität.

Um den Entwicklungsgang der reinsten aller arabischen Wissenschaften wuchert ein Kranz von Legenden. Abu l-Aswad ad-Du'ali, Parteigänger des späteren Kalifen 'Ali, Richter in dem aus einem Zeltlager arabischer Heeresverbände zur Grosstadt erwachsenen Basra im heutigen unteren Irak, dieser Abu l-Aswad sei danach gefragt worden, wo er die grammatische Wissenschaft gelernt habe, und habe darauf geantwortet: Von 'Ali, dem Kalifen selbst. Abu l-Aswad aber habe nie etwas von dem Gelernten preisgegeben, bis ihm der Statthalter des Iraks befohl, eine Art Sprachführer zusammenzustellen, der die Oeffentlichkeit zum Verständnis des Korans als des heiligen Buchs der Muslime führen könnte. Abu l-Aswad habe zunächst nicht gewollt, einmal aber gehört, wie jemand aus Sure 9 des Korans rezitierte: **anna ilaha bari'um mina l-musrikina warasulih.** Rasulih zu lesen statt des richtigen **rasuluhu** wirkt an dieser Stelle wie eine Blasphemie, würde es doch nichts anderes bedeuten als dass Allah los und ledig der Götzendiener sei, und los und ledig seines Propheten. Abu l-Aswad habe sich darüber entsetzt und dem Statthalter zugesagt, den Sprachführer zu schreiben.

Der historische Kern der Legende ist unschwer zu erkennen. Es geht um die Bewahrung einer heiligen Ueberlieferung, um die Reinerhaltung des nach muslimischem Glauben in reinem Arabisch geoffenbarten Gotteswortes. Religiöse Beweggründe gaben den ersten Anstoss zu grammatischer Beobachtung. Die Sprache des

Korans sollte vor der Verderbnis im Munde der zahlreichen Neubekehrten bewahrt werden. Der Zusammenstoss mit fremden Sprachen in den eroberten Ländern mag dabei das Nachdenken über die eigene Sprache noch gefördert haben, letzte Ursache für die Entstehung der nationalen arabischen Grammatik war er nicht. Denn anderswo hat zur gleichen Zeit etwa im abendländischen Mittelalter das Zusammentreffen mit fremden Sprachen nicht zur grammatischen Bearbeitung der eigenen geführt. Verschiedene Stufen derselben Sprache sind im Arabischen bereits vor dem Auftreten Mohammeds gegeneinandergestanden: hie eine in zahlreiche Dialekte gespaltene Umgangssprache, hie die aus der Vorzeit überkommene eigentliche altarabische Sprache, eine gehobene, in gewissem Sinne Literatursprache. Wann und wo sich diese Hochsprache herausgebildet hat, wann sie von allen Dialekten anerkannt und wann ihr Gebrauch unter bestimmten Voraussetzungen für verbindlich erklärt wurde, wird sich nicht ausmachen lassen. Zur Zeit Mohammeds war sie jedenfalls scharf getrennt von den Dialekten, eine Art Koine oder Gemeinsprache, angewandt in Dichtung und bei feierlicher Aussage. Die altarabische Dichtung mit ihren streng ausgebildeten Versmassen hat diese Sprache rein erhalten. Die Bedeutung der Dichtung als Ersatz für die in der Beduinischen Lebensform unmögliche bildende Kunst hat dafür gesorgt, dass sie stets lebendig blieb. Der Gegensatz zwischen der Volkssprache und der Sprache der Dichter und damit des Korans musste das Nachdenken über die eigene Sprache noch vertiefen. Sicherlich sind die berufsmässigen Koranrezitatoren zu gleicher Zeit auch Grammatiker gewesen. Denn die für die Regelung des öffentlichen und privaten Lebens massgebliche Interpretation des Korans konnte nur mit genauer Kenntnis der Hochsprache erfolgen. In den aufstrebenden Städten Kufa und Basra im unteren Irak entstanden Zentren der grammatischen Wissenschaft. Zuerst mag sie sich auf die Beobachtung der Sprache der Beduinen, auf die Sammlung und Erklärung der Dichter, der alten Kampfberichte, der Sprichwörter und Traditionen beschränkt haben. Von Kufa wissen wir, dass dort im wesentlichen nur gesammelt wurde. Die Gelehrten von Basra scheinen dagegen schon früh mit der Ordnung des Materials begonnen zu haben. Mit den Hauptvertretern der dortigen Schule, Chalil und Sibawaihi, ist die Systematisierung der arabischen Grammatik gewissermassen abgeschlossen.

Hier ist eine kurze Besinnung auf die Grundanschauungen der muslimischen Wissenschaft geboten.

SCHALL

Die arabische Sprache im Spiegel ihrer nationalen Grammatik

Wenn wir eine heutige Schulgrammatik des Lateinischen aufschlagen, um uns Auskunft zu verschaffen über die Wortarten als den Bestandteilen des Satzes, finden wir die Einteilung in Nomina, Verba und Partikeln vor. Die Merkmale, auf denen diese Einteilung beruht, sind äusserer Natur: die deklinierbaren Nomina und konjugierbaren Verba sind veränderliche Wörter, den Rest als die unveränderlichen Wörter fasst der Begriff Partikeln zusammen. Das Unterscheidungsmerkmal versagt für die weitere Unterteilung der Partikeln. Daher ist hier der Gesichtspunkt der Leistung im Satz eingeführt worden und werden die Partikeln gegliedert in Adverbien, in Präpositionen, in Konjunktionen und Interjektionen. So hat sich in dieser Liste der Wortarten oder Redeteile im Laufe der Geschichte schon sehr Verschiedenartiges unter sehr verschiedenen Gesichtspunkten zusammengefunden.

Gehen wir etwas über zwei Jahrtausende zurück zur ersten Grammatik des Abendlandes, der griechischen *technè grammatikè* des Dionysios Thrax, sagt ihr Paragraph 11 u.a.: „Es gibt acht Redeteile, Nomen, Verbum, Partizip, Artikel, Pronomen, Präposition, Adverb, Konjunktion“. Die römischen Grammatiker übernehmen die griechische Terminologie in genauester Uebersetzung. Das Vorbild des Dionysios Thrax wog so sehr, dass man an den acht Redeteilen unbedingt festhielt und statt des Artikels, den es im Lateinischen nicht gibt, die Interjektion einführte. Autoritäten wie die spätantiken Grammatiker Donat und Priscian machten diese Lehre das ganze Mittelalter hindurch verbindlich. Von der eingangs erwähnten Dreiteilung ist, soweit ich sehe, zu dieser Zeit noch keine Spur zu finden.

Im Jahre 1506 begründet Johannes Reuchlin aus Pforzheim mit seinem Buche *De rudimentis hebraicis* die hebräische Sprachkunde bei den Christen. Auf Seite 551 kommt er auf die Redeteile des Hebräischen zu sprechen und schreibt: „Es gibt drei Redeteile: Nomen, Verbum und *Consignificativum* — wir würden dafür Partikel sagen. Das Nomen umfasst auch das Pronomen

und das Partizip. Das *Consignificativum* umfasst folgende vier: Adverb, Konjunktion, Präposition und Interjektion.“ Die Einteilung unserer lateinischen Schulgrammatik stimmt mit der Reuchlins verblüffend überein. Nun fussten Reuchlin und die zeitgenössischen christlichen Gelehrten in ihrer Darstellung auch der Redeteile durchaus auf der nationaljüdischen grammatischen Bearbeitung des Hebräischen. Deren erste systematische Werke aber wurden in arabischer Sprache geschrieben und abgefasst unter dem Einfluss und nach dem Vorbild der nationalen arabischen Grammatik.

Der kleine Streifzug in der Geschichte der Grammatik hat uns auf den Zusammenhang mit einer beherrschenden Wissenschaft aus der Glanzzeit der arabisch-islamischen Kultur geführt. Einfluss und Nachleben dieser Kultur in der abendländischen Naturwissenschaft, in Mathematik und Astronomie, ihre Vermittlerrolle gegenüber dem griechischen Geisteserbe ist gemeinhin bekannt. Die bescheidene Spur des Nachlebens einer autochthonen arabischen Wissenschaft mitten in einer heutigen Schulgrammatik ist bisher wohl nicht in dieser Weise gesehen worden.

Die Erscheinung, dass ein Volk sich mit seiner eigenen Sprache beschäftigt, über sie nachdenkt und die Reflexionen in ein System zu bringen sucht, begegnet in dem mir überschaubaren Bereich unter den alter Völkern nur bei den Griechen und Indern. Auf die Rolle der nationalen griechischen Grammatik wurde schon hingewiesen. Den Griechen an Exaktheit überlegen und durchaus originell war die Tätigkeit der Inder auf diesem Gebiet. Gipfeln im grammatischen Werke des Panini um die Mitte des ersten vorchristlichen Jahrtausends, haben die indischen Grammatiker der vergleichenden indogermanischen Sprachforschung den Weg geebnet. Die grossartigen Leistungen dieser Wissenschaft sind erst ermöglicht worden durch das Studium des Sanskrit und der diese Sprache schärfstens analysierenden, sie bis in die feinsten Einzelheiten durchleuchtenden indischen Grammatiker.

الفهرس العام

(1) دراسات وأبحاث

صفحة	
5	من مظاهر الوحدة : التكامل بين شقي العروبة
7	الدلالة الجديدة والتطور اللغوي
13	الاضداد في اللغة
38	دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الاجنبية في البلدان الافريقية
47	تنقل الالفاظ
49	مظاهر التعريب
63	الفصحى لغة القرآن
66	فلسفة الحركات في اللغة العربية
72	التعريب والتفتح في المغرب العربي
75	اللغة العربية في مراة فواعدها القومية
82	اللغة العربية تماشي الامة العربية الى الامام لانها جزء حي منها
85	تحقيقات لغوية
90	دخيل ام ائسل
104	اختلاف في المفاهيم اللغوية بين الامم
107	الالفاظ الهندية العربة

(2) أبحاث عامة

151	تاريخهم من لغتهم - اطنظة -
158	ملاحظات منهجية حول الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي
162	ابن الحاجب المصري وآثوره في الدراسات اللغوية

صفحة

183	للدكتور جلال شوقي	علم الحركة في الفلسفة العربية
195	للدكتور احمد محمد الحرفي	الاتجاه النفسي في نواتج العقاد النقدية
207	للدكتور ابراهيم انيس	النظام الالكتروني تحصي جذور مفردات اللغة العربية
212	للاستاذ ميسى الناعوري	سمات ومثابه عربية في أدب الكاتب الايطالي جوفاني فيرغا
222	للاستاذ سعيد الدبوع جني	لغة الموسيقى كأداة للتعبير النفسي
231	لابو فارس	دليل جديد على عروبة الارقام المستعملة في المفرد العربي
234	للاستاذ نيكيتور بيلاييف	الاستعراب في لتنفراد
236		الاستشراق في رومانيا
238	للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله	الوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى
248		صور ... لشاعر العروبة عزيز اباطة باشا الوديعه - الى مجلة « اللسان العربي »
250	للاستاذ يوسف الغريب	

(3) نشاط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمكتب الدائم

لتنسيق التعريب

253		المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
257		رحلة وفد المكتب الدائم في البلاد العربية
259		اللغة العربية في المؤتمر الافريقي التاسع
261		اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر في نشاطها العامر
264		نحو استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية بين المجلة وقرائنها
267		حول ثورية التعريب
280	للاستاذ سعيد الدبوع جني	عن التعريب وفضائسه : لقاء مع الدكتور احمد سعيدان مندوب الاردن في المكتب الدائم لتنسيق التعريب
283		
286	للاستاذ فوكهارد فيندور	اللغة العربية الفصحى والعامية

صفحة

289 للدكتور سامي الدهان معجم الطحانة والخبازة والفرانسة
291 للإستاذ عمر الطاهر رأي ... نحو تفصيح العامية في الوطن العربي
293 تعليق على موضوع: التطور اللغوي ونشوء اللغة
295 للإستاذ محمد نلبي عينة للذين يؤمنون .. وبرهان للذين يشكون
297 رجال مجهولون وراء مشروع عظيم
298 للإستاذ حبيب علي الراوي تعقيب على نسبة ابيات
300 تراجم الكتاب والباحثين في مجلة اللسان العربي
334 للإستاذ عبد الحق فاضل قصص في اللغة

(4) أبحاث ودراسات باللغات الأجنبية

I للإستاذ أنطون شال اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية
VII للإستاذ عبد العزيز بن عبد الله المظهر الاندلسي والمغربي للحضارة العربية (النص الفرنسي)
XXI المظهر الاندلسي والمغربي للحضارة العربية (النص الانجليزي)
XXXVI اللغة العربية من اهم منابع الثقافة الفرنسية
XXXVIII رسالة مكتب تنسيق التعريب (النص الفرنسي)
XLII رسالة مكتب تنسيق التعريب (النص الانجليزي)
XLIII اللغة العربية والقارة الافريقية
XLV اعداد المؤتمر الثاني للتعريب